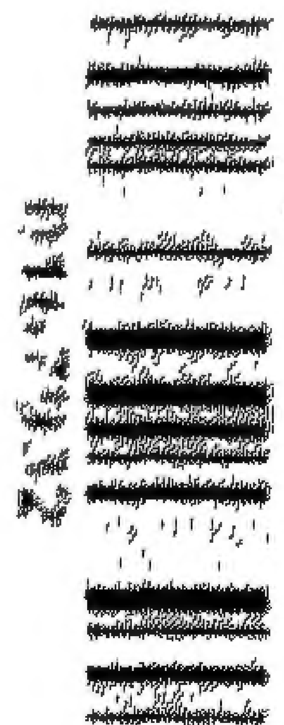
وقعة صفين

لنصر بن مزاحم المنقري

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون



دار الجيل
بيروت

وقعة صفين

لنصر بن مزاحم المنقري
المتوفى سنة ٢١٢ هـ

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون



دار الجيل
بيروت

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

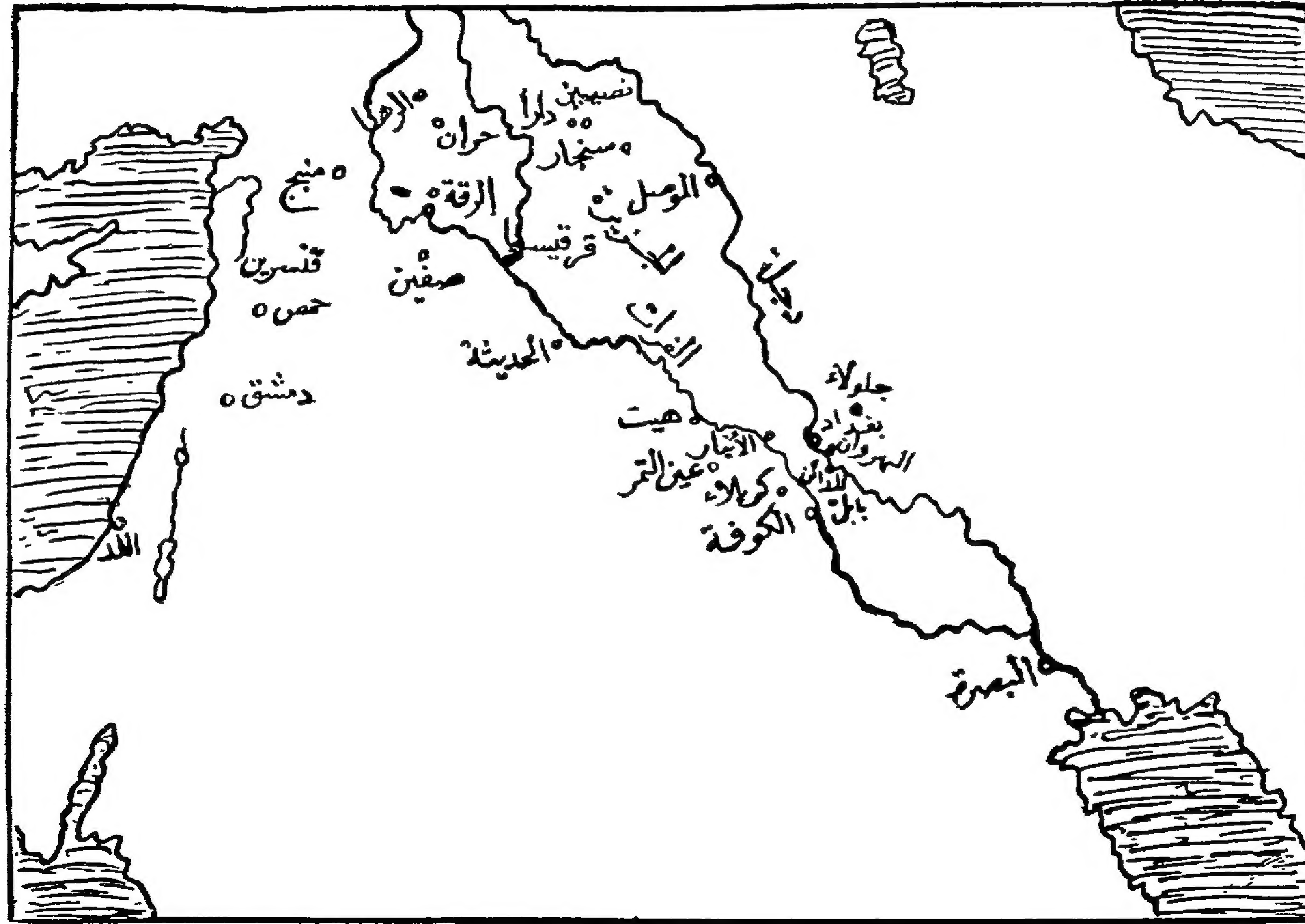
مراجع التحقيق (*)

إتحاف فضلاء البشر للدمياطى . طبع . مصر ١٣٥٩ .
الاستيعاب لابن عبد البر . طبع حيدر آباد ١٣١٨
الاشتقاق لابن دريد . طبع جوتنجن ١٨٥٣ .
الإصابة لابن حجر العسقلانى . طبع السعادة ١٣٢٣ .
الأصمعيات ، اختيار الأصمعى . طبع ليبسك ١٩٠٢ م .
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى . طبع الساسى ١٣٢٣ .
الأمالى للقالى . طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٤ .
الإمامة والسياسة لابن قتيبة . طبع مطبعة الفتوح ١٣٣١ .
الأنساب للسمعانى . طبع ليدن ١٩١٢ م .
أيمان العرب للنجيرمى . طبع السلفية ١٣٤٣ .
تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى . طبع الحسينية ١٣٢٣ .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . طبع السعادة ١٣٤٩ .
تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية) .
تذكرة الحفاظ للذهبى . طبع حيدر آباد ١٣٢٣ .
تقريب التهذيب لابن حجر . طبع الهند ١٣٢٠ .
التنبيه والإشراف للمسعودى . طبع الصاوى ١٣٥٧ .
تهذيب التهذيب لابن حجر . طبع حيدر آباد ١٣٢٥ .
الجامع الصغير للسيوطى . طبع مصر ١٣٥٢ .
جمهرة الأمثال للعسكرى . طبع بمباى ١٣٠٦ .
جنى الجنتين للمولى المحبى . طبع دمشق ١٣٤٨ .
حماسة البحترى . طبع الرحمانية ١٩٢٩ م .
حماسة أبى تمام . طبع السعادة ١٣٣١ .
حماسة ابن الشجرى . طبع حيدر آباد ١٣٤٥ .
الحيوان للجاحظ . طبع الحلبى من سنة ١٣٥٧ .
خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى . طبع بولاق ١٢٩٩ .
الخيل لأبى عبيدة . طبع حيدر آباد ١٣٥٨ .
ديوان الأخطل . طبع بيروت ١٨٩١ م .
« امرئ القيس . طبع أمين هندية ١٣٢٤ .
« حاتم (من خمسة دواوين العرب) . طبع الوهبية ١٢٩٣ .
« حسان . طبع الرحمانية ١٣٤٧ .
« طرفة . طبع قازان ١٩٠٩ م .
« المعانى لأبى هلال العسكرى . طبع ١٣٥٢ .
الروض الأنف للسهيلى . طبع مصر ١٣٣٢ .
سفر التكوين . طبع جامعة كبردج .
السيرة لابن هشام . طبع جوتنجن ١٨٥٩ م .

(*) اقتصر فيها على مما ورد له ذكر فى حواشى الكتاب .

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى . طبع مصر ١٣٥٠ .
شرح الألفية للأشمونى . طبع بولاق ١٢٨٧ .
شرح الشافية للرضى . طبع مطبعة حجازى ١٣٥٨ .
شرح شواهد المغنى للسيوطى . طبع البهية ١٣٢٢ .
شرح الكافية للرضى . طبع الآستانة ١٢٧٥ .
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد . طبع الحلبى ١٣٢٩ .
الشعر والشعراء لابن قتيبة . طبع الخانجى ١٣٢٢ .
شفاء الغليل للخفاجى . طبع السعادة ١٣٢٥ .
صفة الصفوة لابن الجوزى . طبع حيدر آباد ١٣٥٥ .
صحيح مسلم . طبع بولاق ١٢٩٠ .
الطبقات الكبير لابن سعد . طبع ليدن ١٣٢٣ .
العقد الفريد لابن عبد ربه . طبع الجمالية ١٣٣١ .
العمدة لابن رشيق . طبع هندية ١٣٤٤ .
عيون الأخبار لابن قتيبة . طبع دار الكتب ١٣٤٣ .
الفرق بين الفرق للبغدادى . طبع مطبعة المعارف ١٣٢٨ .
الفهرست لابن النديم . طبع الرحمانية .
الكامل للمبرد . طبع ليبسك ١٨٦٤ م .
كتاب سيبويه . طبع بولاق ١٣١٦ .
لباب الآداب لأسامة بن منقذ . طبع الرحمانية ١٣٥٤ .
لسان الميزان لابن حجر . طبع حيدر آباد ١٣٣٠ .
مجمع الأمثال للميدانى . طبع البهية ١٣٤٢ .
مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب . طبع جوتنجن ١٨٥٠ م .
مروج الذهب للمسعودى . طبع البهية ١٣٤٦ .
مشارق الأنوار للقاضى عياض . طبع السعادة ١٣٣٢ .
المشتبه للذهبى . طبع ليدن ١٨٨١ م .
المعارف لابن قتيبة . طبع مصر ١٣٥٣ .
معجم الأدباء لياقوت . طبع مصر ١٣٥٥ .
معجم البلدان لياقوت . طبع السعادة ١٣٢٣ .
معجم الشعراء للمرزبانى . طبع القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى لاستينجاس . طبع لندن ١٩٣٠ م .
المفضليات للمفضل الضبى . طبع دار المعارف ١٣٦٢ .
المنتظم لابن الجوزى . طبع حيدر آباد ١٣٥٩ .
منتهى المقال لأبى على محمد بن إسماعيل . طبع إيران ١٣٢٠ .
المؤتلف والمختلف للآمدى . طبع القدسى ١٣٥٤ .
نهاية الأرب للنويرى . طبع دار الكتب ١٣٤٢ .
نهج البلاغة مع شرح ابن أبى الحديد . طبع الحلبى ١٣٢٩ .
وفيات الأعيان لابن خلكان . طبع الميمنية ١٣١٠ .

مصور لأهم البلدان والمواضع الواردة فى الكتاب





مقدمة الطبعة الأولى

صِفِّين :

ما بين أعالى العراق وبلاد الشام تقع صِفِّين ، تلك البلدة التى خلدها التاريخ ، وخلدت هى تاريخاً ظاهراً فى حياة الأُمة العربية والخلافة الإسلامية ، وألوان المذاهب الدينية والسياسية التى ولَّدتها حرب صفين ، ونشرت أطيافها فى ربوع الدولة الإسلامية ، تلك الحرب التى استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائة يوم وعشرة أيام ، بلغت فيها الوقائعُ تسعين وقعةً فيما يذكر المؤرخون[1] .

كانت حرباً ضَروساً أوشكت أن تُفنىَ المسلمين وتذهب بمجدهم وتمحوَ آثارهم ؛ فما كاد المسلمون ينزلون عن خيلهم بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ من الهجرة ، حتى اعتلَوْها مرةً أخرى فى حرب صفين ، لخمسٍ مضين من شوّالٍ من تلك السنة[2] . ولولا أن تداركتهم عنايةُ الله بصلح حَقنَ من دماءِ الفريقين ، وحفظ عليهم بقيّةً من أبطالهم وأنجادهم لتغيّر وجه التاريخ الإسلامى .

وقد عُنِى علماءُ التاريخ بتسجيل هذه الوقعة . ومن أقدم من ألّف فى ذلك أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخنف بن سليم الأزدى المتوفى قبل سنة ١٧٠ . ثم أبو الفضل نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢ . قال ابن النديم[3] : « أبو الفضل من طبقة أبى مخنف » . وقد عاصر ابنَ مزاحم مؤرخ آخر ألّف فى وقعة صفين ، وهو عبد الله محمد بن عمر

(١) معجم البلدان (صفين) .

(٢) انظر ص ١٣١ من الكتاب .

(٣) الفهرست ص ١٣٧ .

الواقدى المولود سنة ١٣٠ والمتوفى سنة ٢٠٧[١] . ومن أقدم من كتب فى تاريخ صفين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ ، وهو لم يفرد لها تأليفاً خاصاً ، وإنما ذكر الوقعة فى أثناء تاريخه لحوادث سنة ٣٣ وسنة ٣٧[٢] .

وأقدم نص معروف لدينا فى هذه الوقعة هو (كتاب صفين) لنصر ابن مزاحم ، الذى نستطيع أن نعده فى طبقة شيوخ شيوخ الطبرى ، إذ أن الطبرى يروى عمن يروى عن أبى مخنف[٣] الذى يعد نصر بن مزاحم فى طبقته كما سلف القول .

نصر بن مزاحم :

هو أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيّار المنقرى . ونسبته إلى بنى مِنْقَر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم[٤] . وهو مؤرخ عربى ، شيعى يغلو فى مذهبه ، كما يذكر المؤرخون ، وهو كوفى النشأة ولكنه سكن بغداد وحدّث بها عن سفيانَ الثورى ، وشعبة ابن الحجاج ، وحبيب بن حسان ، وعبد العزيز بن سِياه ، ويزيد بن إبراهيم التُّسترى ، وأبى الجارود زياد بن المنذر . وروى عنه ابنه (الحسين ابن نصر) ، ونوح بن حبيب القُومسى ، وأبو الصَّلت الهروى ، وأبو سعيد الأشج ، وعلى بن المنذر الطريقى ، وجماعة من الكوفيين . ولسكناه بغداد أورد له الخطيب البغدادى ترجمة فى تاريخه[٥] .

(١) فهرست ابن النديم ١٤٤ . وقد اجتمع مع نصر فى الرواية عن الثورى . انظر ابن خلكان (١ : ٥٠٦) .

(٢) انظر تاريخ الطبرى (٥ : ٢٣٥ — ٢٤٤ / ٦ : ٢ — ٤٠) .

(٣) يروى الطبرى عن أبى الحسن على بن محمد المدائنى ، عن أبى مخنف . انظر (٥ : ٢٣٣). ويروى أيضاً عن عمر بن شبة ، عن أبى الحسن المدائنى ، عن أبى مخنف . انظر (٥ : ١٨٤) .

(٤) انظر المعارف ٣٦ والاشتقاق ١٥٢

(٥) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٨٢ — ٢٨٣) .

ولم تذكر لنا التواريخ مولده ، ولكنّ عدَّهُ فى طبقة أبى مخنف يحملنا على القول بأنه كان من المعمَّرين ؛ إذا أن أبا مِخنف لوط بن يحيى توفى قبل سنة ١٧٠ كما ذكر ابن حجر فى لسان الميزان . وذلك يرجح أن ولادة نصر كانت قريبة من سنة ١٢٠ .

ويذكر المترجمون له أنه كان عطاراً يبيع العطور ، ولعل ذلك مما أسبغ على تأليفه ذلك الذوق الحسن الذى يلمع فى أثناء كتابه . ولعل ذلك أيضاً مما أكسبه هذه الروح البارعة فى التأليف ؛ إذا أنه يسوق مقدمات حرب صفين فى حذق ، ثم هو يصور لنا الحرب وهى دائرة الرحى فى دقة تصوير وحسن استيعاب ، ويروى لنا أحاديث القوم وخطبهم وأشعارهم ، على ما فى ذلك الشعر من صناعة الرواة أو تلفيق أصحاب الأخبار ، ولكنه فى ذلك كله يكاد لا يخطئه التوفيق فى مراعاة الانسجام ، واستواء التصوير ، واتِّساق العَرْض .

والمؤرخون يختلفون فى توثيق نصر ، شأنهم فى كل راوٍ من الشيعة ؛ فبينا يذكره ابن حِبّان فى الثقات[1] ، ويقول ابن أبى الحديد الشيعى فى شأنه[2] : « ونحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين فى هذا المعنى ، فهو ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال. وهو من رجال أصحاب الحديث » ، إذ يقول فيه العقيلى : « شيعى فى حديثه اضطراب » . ويقول أبو حاتم : « زائغ الحديث متروك[3] » .

ومهما يكن فإن الناظر فى كتابه هذا يلمس هدوء المؤرخ الذى لاتستفزُّه العصبيَّة إلى هواه ، إلا فى القليل لا يستطيع منه إفلاتاً ، فهو حين يذكر مثالب معاوية لا يُخفِى مَطاعنَ الأعداءِ فى علىّ .

(١) انظر لسان الميزان (٦ : ١٥٧) .
(٢) شرح نهج البلاغة (١ : ١٨٣) .
(٣) لسان الميزان (٦ : ١٥٧) .

مصنفاته :

قال ياقوت[1] : « كان عارفاً بالتاريخ والأخبار » . وسرد له ابن النديم[2] من المصنفات . كتاب الغارات[3] . كتاب الجَمَل . كتاب صفين . كتاب مقتل حجر بن عدى . كتاب مقتل الحسين بن على .

وزاد صاحب منتهى المقال[4] : كتاب عين الوردة[5] . كتاب أخبار المختار[6] . كتاب المناقب .

فأنت ترى أن جهد هذا الرجل كان موجَّهاً إلى التأليف الشيعى . ولم تحفظ لنا الأيّام من آثاره إلا هذا الكتاب ، « كتاب صفين » .

نُسَخ كتاب صِفِّين :

١ ـ طبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر فى إيران سنة ١٣٠١ . وهذه الطبعة نادرة الوجود ، عزيزة المنال ، حتى إنها لم تدخل خزائن دار الكتب المصرية إلا منذ عهد قريب . وهى نسخة مرويّة تقع فى ثمانية أجزاء ، فى صدر كل منها سند الرواية التى تنتهى إلى نصر بن مزاحم . وهذه الأجزاء الثمانية فى ٣٠٥ صفحة ، كل صفحة منها تشتمل على نحو ٢٠ سطراً فى كل سطر نحو ١٢ كلمة . وقد طمست بعض كلمات

---

(١) معجم الأدباء (١٩ : ٢٢٥) .

(٢) الفهرست ١٣٧ . وقد نقل أسماء هذه المصنفات ياقوت فى معجمه ولم يصرح بالنقل .

(٣) ممن ألف كتابا بهذا الاسم أيضاً إبراهيم بن هلال الثقفى ، يروى عنه ابن أبى الحديد كثيراً . انظر (١ : ٣٦٩) وما بعدها .

(٤) منتهى المقال لأبى على محمد بن إسماعيل ص ٣١٧ .

(٥) عين الوردة ، هى رأس عين ، المدينة المشهورة بالجزيرة ، كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم . معجم البلدان .

(٦) هو المختار بن أبى عبيد الثقفى ، صاحب « المختارية » ، ويسمون أيضاً « الكيسانية » ، فرقة من الشيعة . انظر الفرق بين الفرق ٢٧ — ٣٨ .

هذه النسخة ووقع فيها كثير من التحريف والتصحيف، والزيادة والنقص، وهذه النسخة هى التى قد اتخذتها أصلا فى نشر هذا الكتاب وتحقيقه ، وهى التى أُعبّر عنها بلفظ (الأَصل) .

٢ ــ وطبع مرة أُخرى فى المطبعة العباسية ببيروت سنة ١٣٤٠ . وهذه الطبعة عمد فيها الناشر إلى حذف جميع أسانيد الكتاب ، ، وكذلك بعض النصوص والشعر ، وليس لهذه الطبعة قيمة فى التحقيق ؛ إذ أن ناشرها لم يزد على أن قدّم مختصر النسخة الأُولى إلى المطبعة ، ولم يشأْ أن يمسّ ما شاع فيها من التحريف والتصحيف ، ومهما يكن فإن له كبيرَ الفضل فى إذاعة كتاب صفين بطبعته هذه التى اعتمد عليها كثير من الباحثين .

٣ ــ وهناك نسخة ثالثة كانت فى ضمير الغيب، وأمكننى أن أكشفها شيئاً فشيئاً ، بمطالعتى فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، الذى جرت عادته على أن يضمِّن تأْليفه جملةً من الكتب ينشرها فى تضاعيف كتابه ، كما جرى على ذلك من بعدُ صاحب خزانة الأَدب عبد القادر ابن عمر البغدادى . وقد اقتضانى استخراج هذه النسخة وتكشيفها أن أُنفق نحو الشهر فى صناعتها ، ، وأمكننى عونُ الله ــ والحمدُ له ــ أن أَعثر على جميع نصوص هذا الكتاب فى شرح ابن أَبى الحديد ، من مواضع متباينة لم يُلتزَم فيها ترتيبُ الكتاب، وإنما وردتْ فى الشرح وَفقاً لما تقتضيه المناسبات المختلفة . ولم يخطئنى من ذلك إلا نحو نَيِّف وعشرين صفحة . وهذه النسخة هى التى رمزت إليها بالرمز (ح) اقتباساً من اسم ابن أَبى الحديد .

وإلى القارئ صفحات نسخة الأَصل معارضة بصفحات النسخة المصنوعة من شرح ابن أَبى الحديد ، المرموز إليها بالرمز (ح) ، ليتضح له كيف أَمكن استخراجها وتعقُّبها :

الأصل	٣ — ٧	١٠ — ١٣	١٧ — ١٩
ح	١ : ٢٥٦ — ٢٥٧	١ : ٢٤٦ — ٢٤٧	١ : ٢٤٧ — ٢٤٨
الأصل	٢٠	٢١ — ٢٦	٢٧
ح	١ : ٢٤٨ ، ١٣٦	١ : ٣٥ — ٤٠	١ : ١٤٠ ، ٢٤٩
الأصل	٢٨ — ٣٣	٣٤	٣٥
ح	١ : ٢٤٩ — ٢٥١	١ : ٢٥٢ ، ٢٦٠	١ : ٢٦٠
الأصل	٣٦ — ٤١	٤٢	٤٣ ، ٤٤
ح	١ : ٢٥٨ — ٢٦٠	١ : ٢٦٠ ، ٣٥٢	١ : ٢٥٣
الأصل	٤٥	٤٦	٤٧ — ٤٩
ح	١ : ٢٥٤ ، ٢٥٦	١ : ١٥٦ ٣ : ٤٠٧	٣ : ٤٠٧ — ٤٠٨
الأصل	٥٠	٥١ — ٥٧	٥٩
ح	١ : ٢٧٨ ٣ : ٤٠٩	١ : ٢٧٩ — ٢٨٢	١ : ٤٠٩ — ٤١٠
الأصل	٦٠	٦١ — ٦٩	٧١
ح	١ : ٢٨٢ ٤ : ١١٤	١ : ٢٨٢ — ٢٨٦	١ : ٢٧٧ ، ٢٨٧
الأصل	٧٢	٧ ، ٧٥	٧٦
ح	١ : ٢٧٧	١ : ٢٧٨	١ : ٢٧٨ ، ٢٨٨
الأصل	٧٧	٧٨	٧٩ — ٨٢
ح	١ : ٢٨٨	١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩	١ : ٢٩٠ — ٢٩١
الأصل	٨٣	٨٤ — ٩٦	٩٧ — ١١١
ح	١ : ٢٩١ ، ٣٢٥	١ : ٣٢٧ — ٣٣١	١ : ٣٤٢ — ٣٤٧

الأصل	١١٣ — ١١٧	١١٨	١١٩
ح	١ : ٤٨٠ — ٤٨٢	١ : ٤٨٢ ، ٤٧٩	١ : ٤٧٩ ، ٤٨٣
الأصل	١٢٠	١٢١ — ١٢٥	١٢٦
ح	١ : ٤٨٠ ، ٤٨٣	١ : ٤٨٣ — ٤٨٥	١ . ٤٨٥ ، ٤٨٦
الأصل	١٢٧ — ١٣٨	١٣٩	١٤٠
ح	١ : ٤٨٦ — ٤٩١	١ : ٤٩٢ ، ٤٩٩	١ : ٤٩٢
الأصل	١٤١	١٤٢ — ١٥٢	١٥٣
ح	١ : ٤٩٣ ، ٤٩٤	١ : ٤٩٤ — ٤٩٩	١ : ٤٩٩ ، ٥٠٠
الأصل	١٥٤	١٥٥	١٥٦ — ١٦٥
ح	١ : ٤٩٩ ، ٥٠٠	١ : ٥٠٠ ، ٥٠١	١ : ٥٠١ ، ٥٠٤
الأصل	١٦٦	١٦٨ — ١٨١	١٨٢
ح	١ : ٥٠٦ ٢ : ٢٦٩	٢ : ٢٦٩ — ٢٧٥	٢ : ٢٧٥ ، ٢٧٦
الأصل	١٨٣ — ١٩٩	٢٠١ — ٢٠٢	٢٠٥ — ٢١١
ح	٢ : ٢٧٦ — ٢٨٣	٢ : ٢٨٣ — ٢٨٤	٢ : ٢٨٤ ، ٢٨٥
الأصل	٢١٣ — ٢٢١	٢٢٥ — ٢٤٩	٢٥٠
ح	٢ : ٢٨٦ — ٢٨٩	٢ : ٢٨٩ — ٣٠٢	٢ : ٣٠٢ ٣ : ٤٢٣
الأصل	٢٥١ — ٢٥٣	٢٥٥ — ٢٦١	٢٦٤ — ٢٦٧
ح	٣ : ٤٢٣ — ٤٢٤	١ : ١٨٣ — ١٨٧	١ : ١٨٦ ، ١٨٨
الأصل	٢٦٩ — ٢٧٩	٢٨٣ — ٢٨٥	٢٩١ — ٣٠١
ح	١ : ١٨٩ — ١٩٢	١ : ١٩٣ — ١٩٤	١ : ١٩٥ ، ٢٠٠

فعلى هذه النسخة المستخرجة من شرح ابن أبى الحديد ، وعلى النسخة الأُولى ، كان اعتمادى فى نشر هذا الكتاب .

تحقيق الكتاب :

لم يكن لى بدٌّ من أن ألتزم معارضة نسخة إيران بتلك النسخة المستخرجة من شرح ابن أبى الحديد . وقد وجدت فى نسخة إيران أسقاطاً كثيرة أكملتها من النسخة المصنوعة ، ولم أُنبه عليها إلا بوضعها بين معقَّفى الإكمال : [ ] . فما وجده القارئ بين هاتين العلامتين خالياً من التنبيه فهو من هذه النسخة ، وما لم يكن منها فقد نبّهتُ على موضع اقتباسه .

ولم يكن لى بدٌّ أيضاً أن أرجع إلى مختلف مصادر التاريخ وكتب الرجال والشعر والعربية والبلدان ، فى تحقيق النصوص المختلفة لهذا الكتاب الزاخر بالحوادث والأَعلام والشعر والرجز والآثار الأَدبية . وقد عيّنت بعض هذه المراجع فى صدر هذا الكتاب .

فهارس الكتاب :

وضعت لهذا الكتاب فهارس تحليلية ستة : أولها للأَعلام ، وقد عُنيت فيه بتبيين الصور المختلفة التى يرد عليها العَلَم فى مختلف مواضعه من الكتاب . ولم أَجعل الإحالة على موضع واحد كما يفعل كثير من الناشرين ، فيجهد الباحثُ نفسَه فى العثور على صورة خاصة من صور العَلَم الذى يبغيه . وأَلفيت ثَمّة أعلاما ــ هى سبعة فى العدّ ــ يكثر دورانها فى الكتاب ، فلا يجد القارئ فى تتبُّع أَرقامها إلا الجهد والعنت ، فهذه أَسقطت أَرقامها واكتفيت بتسجيل العلم فقط ، ونبهت على ذلك فى

ص ٦٤٧[1] . كما وضعت أرقام الصفحات التى تُرجِم فيها كلٌّ عَلَم بين قوسين ، تنبيها على موضع الترجمة .

ويلى فهرسَ الأَعلام فهرسُ القبائل والطوائف ، ثم فهرسُ البلدان والمواضع . وقد صنعت فى هذين الفهرسين ما صنعت بسابقهما .

وبعد هذين فهرس الأَشعار، ثم فهرس الأَرجاز ، وقد فَصَلت بينهما لكثرة هذا الأخير بحيث يكاد يكون قسيما للأَول . وقد عيَّنْتُ بُحُور الشعر وقائليه فى الفهرس الأَول ، وجعلت الأَرجاز كلها باباً واحداً مهما اختلفت بحورها ، وأثبتُّ أسماء قائليها .

ثم فهرس مواضيع الكتاب ، صنعته مختصراً من العنوانات التى أثبتُّها فى أعلى صفحات الكتاب .

وأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ فى جلاء الرِّيب عن كثير من مشتبهات هذا الكتاب ، وأن أكون قد أسديت إلى المكتبة التاريخية والعربية جهداً متواضعاً ؟

الإسكندرية فى منتصف المحرم سنة ١٣٦٥

عبد السلام محمد هارون

---

(١) من أرقام الطبعة الأولى ، كما هو المفهوم ، وهى تقابل صفحة ٥٦٣ فى كل من الطبعتين الثانية والثالثة اللتين روعى فيهما توحيد أرقام الصفحات .

مقدمة الطبعة الثانية

وهذه هى الطبعة الثانية من وقعة صفين، وقد أتاحت لى الفترة التى بين الطبعتين أن أعيد النظر فى بعض النصوص والتفسيرات، وأن أضيف إلى الفهارس الفنية فهارس أخرى، تيسيراً للانتفاع بنصوص الكتاب.

وفى هذه الطبعة روجعت الفهارس مراجعة دقيقة وأدخل عليها بعض الاستدراكات والتكملات، فكانت بذلك أدق من سابقتها، وأوسع إحاطة وشمولا.

والله المسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يمنحنا من العون والقوة ما نستطيع به أن نحقق بعض ما نأمل من خدمة هذا التراث الخالد، وتجلية وجهه وتيسير الانتفاع به، إنه نعم المولى ونعم المعين؟

مصر الجديدة فى { أول ربيع الثانى سنة ١٣٨٢
آخر أغسطس سنة ١٩٦٢ }

عبد السلام محمد هارون

مقــدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من « وقعة صفين » . ولم أكن لأُخرجها مطابقة لسابقتها كل المطابقة ؛ فإنَّ ما جريتُ عليه من مداومة النظر والتقليب ، والمراجعة والتحقيق لكل ما أظهرته وأحييته من أعمال علمية ، جعل لهذه النشرة الثالثة نصيباً من العناية أكبر ، وحظاً من التجلية والتوضيح أوفر .

وقد شاء الله أن يكون بين هذه النشرة وسابقتها نحو ثماني عشرة سنة ، كما شاء أن يكون بين سابقتها وما قبلها نحو هذا التوقيت . وبذلك أُتيح لي أن أرضى تمام الرضا بهذه الصورة الجديدة للكتاب في في مادته ومظهره .

ولم آل جهداً أن تتوحد صفحات الطبعتين ، كما حرصت على استبقاء طبعات مراجع الشرح والتحقيق كما هي ، مراعاةً للتوافق كذلك ولئلا يقع الباحث في مَتْيهة بين مختلف طبعات تلك المراجع .

وأعود فأدعو بما دعوت الله به من قبل أن يجعل هذا العمل وغيره مما أقوم به ، خالصاً لوجهه ، وأن يمنحني من العون والقوة ما أستطيع به أن أحقق بعض ما آمل من خدمة هذا التراث الخالد ، وتجلية وجهه ، وتيسير الانتفاع به ، إنه نعم المولى ونعم المعين .

مصر الجديدة في { ٢٠ من رجب سنة ١٤٠١ هـ
٢٤ من مايو سنة ١٩٨١ م }

عبد السلام محمد هارون



أخبرنا الشيخ الحافظ شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى[1] قال : أخبرنا الشيخ أبو الحُسَين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى[2] بقراءتى عليه فى شهر ربيع الآخِر من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وقال : أخبرنا أبو يعلى أحمد ابن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الوكيل[3] قراءة عليه وأنا أسمع ،

---

(١) كان أبو البركات محدث بغداد ، وهو أحد حفاظ الحنابلة ، ولد سنة ٤٦٢ وقرأ على ابن الطيورى جميع ما عنده . وقال ابن الجوزى : « كنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكى ، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتى بروايته » . وتوفى سنة ٥٣٨ . انظر المنتظم (١٠ : ١٠٨ – ١٠٩) وصفة الصفوة (٢ : ٢٨١) وتذكرة الحفاظ (٤ : ٧٥ – ٧٦) وشذرات الذهب (٤ : ١١٦ – ١١١٧) .

(٢) هو أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد الصيرفى الطيورى ، ويعرف أيضاً بابن الحامى ، المحدث البغدادى ، سمع أبا على بن شاذان ، وأبا الفرج الطناجيرى ، وأبا الحسن العتيق ، وأبا محمد الخلال . وكان عنده ألف جزء بخط الدارقطنى ، وأكثر عنه السلفى ، وانتقى عليه مائة جزء تعرف بالطيوريات . وابن الحامى بتخفيف الميم ، كما فى لسان الميزان (٥ : ١١) . ولد سنة ٤١١ وتوفى سنة ٥٠٠ . انظر المنتظم (٩ : ١٥٤) ولسان الميزان (٥ : ٩ – ١١) وشذرات الذهب (٣ : ٤١٢) .

(٣) هو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب ، أبو يعلى ، المعروف بابن زوج الحرة . سمع موسى بن جعفر ، وأبا الحسن الدارقطنى . قال الخطيب البغدادى : « كتبت عنه ، وكان صدوقاً يسكن درب المجوس من نهر طابق . وسألته عن مولده فقال : ولدت بعد أن استخلف القادر بالله بأربعين يوماً ، وكان استخلاف القادر بالله =

فى رجب من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو الحَسَن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى [1] ، قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرَنا أبو الحسنِ على بن محمد [بن محمد [2]] ابن عقبة بن الوليد بن همّام بن عبد الله بن الحمار بن سلمة بن سمير [3] ابن أسعد بن همام [4] بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل ، قراءة عليه فى سنة أربعين وثلاثمائة ، قال : أخبرنا أبو محمد سليمانُ بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز [5] ،

= فى يوم السبت الحادى عشر من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة . ومات أبو يعلى فى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، ودفن من يومه بباب الدير قريباً من قبر معروف الكرخى . انظر تاريخ بغداد (٤ : ٢٧٠) .

(١) ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد (٢ : ١١١) وقال : سمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبا عمرو بن السماك ، وعبد الصمد بن على الطستى . وذكر أن وفاته فى سنة ٣٩٣ . وهى السنة التى توفى فيها أبو الفتح عثمان بن جنى ، والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى .

(٢) هذه التكملة ثابتة فى سائر أسانيد أجزاء الكتاب ، وكذلك فى ترجمته من منتهى المقال ص ٢٢٥ ، قال : « سمع منه التلعكبرى بالكوفة وببغداد ، وله منه إجازة » . والتلعكبرى الذى يشير إليه هو أبو محمد هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد الشيبانى ، ترجم له صاحب منتهى المقال فى ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

(٣) ما بعد « الوليد » إلى هنا لم أجده فيما لدى من المراجع .

(٤) ذكر فى نهاية الأرب (٢ : ٣٣٣) : « الأسعد بن همام » . وانظر لإدخال أل على الأعلام التى هى فى الأصل صفات ما كتبت فى حواشى الحيوان (٣ : ٣٨٢) ومجلة الثقافة ٢١٥٢ .

(٥) هو أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام بن عزور بن مهلهل ، النهدى الكوفى . قدم بغداد وحدث بها عن حصين بن مخارق ، وهمام بن مسلم الزاهد ، وأبى نعيم الفضل بن دكين ، وروى عنه محمد بن جرير الطبرى ، ويحيى بن صاعد ، ومحمد بن مخلد العطار . توفى بالكوفة سنة ٢٧٤ . انظر تاريخ بغداد (٩ : ٥٤ — ٥٥) ولسان الميزان (٣ : ٩١) .

قال : أنبأنا نصر بن مزاحم التميمى ، قال عمر بن سعد بن أبى الصيد الأسدى[1] عن الحارث بن حصيرة[2] عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبى الكنود وغيره قالوا :

قدوم على إلى الكوفة

لما قدم علىّ بن أبى طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين، وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوِّه ، ومعه أشرافُ الناس وأهلُ البصرة ، استقباه أهلُ الكوفة وفيهم قُرّاؤهم وأشرافهم ، فدعَوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أتنزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكنى أنزل الرحبة . فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلَّى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على رسوله وقال : « أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم فى الإسلام فضلا ما لم تبدِّلوا وتغيِّروا . دعَوْتكم إلى الحق فأجبتُم ، وبدأتم بالمنكر فغيَّرتم . ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله فى الأحكام والقَسْم . فأنتم أُسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتُم فيه . ألا إن أَخْوَف ما أخافُ عليكم اتِّباعُ الهوى ، وطولُ الأمل . فأمّا اتِّباع الهوى فيَصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة . ألا إنَّ الدنيا قد ترحَّلت مدبرة، والآخرة ترحَّلت مقبلة ، ولكلٍّ واحدة منهما بنُون ، فكونوا من أبناء

خطبته فى أهل الكوفة

---

(١) فى ميزان الاعتدال (٢ : ٢٥٨) : « عمر بن سعد . عن الأعمش . شيعى بغيض . قال أبو حاتم : متروك الحديث » .

(٢) هو الحارث بن حصيرة الأزدى ، أبو النعمان الكوفى . روى عن زيد بن وهب وأبى صادق الأزدى ، وجابر الجعفى . وعنه : عبد الواحد بن زياد ، والثورى ، ومالك بن مغول ، وعبد السلام بن حرب . قال ابن عدى : عامة روايات الكوفيين عنه فى فضائل أهل البيت . وهو يعد من المحترقين بالكوفة فى التشيع . وحصيرة ، بفتح المهملة وكسر المهملة بعدها . وفى الأصل « حضيرة » بالضاد المعجمة ، تحريف . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ١٤٠) وتقريب التهذيب ٨٧.

الآخرة . اليوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل . الحمد لله الذى نصر وليَّه ، وخذل عدوَّه ، وأعزّ الصادق المحقّ ، وأذلّ الناكثَ المُبْطِل. عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله مِن أهل بيت نبيِّكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه ، من المنتحلين المدَّعين المقابلين إلينا[1] يتفضلون بفضلنا ، ويجاحدونا أمرنا ، وينازعونا حقَّنا ، ويدافعونا عنه[2] . فقد ذاقوا وبالَ ما اجْتَرَحُوا فسوف يلقَوْنَ غَيّا . ألَا إنَّه قد قعَد عن نُصرتى منكم رجالٌ فأنا عليهم عاتبٌ زارٍ . فاهجُروهم وأسمِعوهم مايكرهون حتى يُعتِبوا[3] ؛ ليُعرف بذلك حزب الله عند الفرقة » .

هو ومالك ابن حبيب

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعى — وكان صاحب شرطته — فقال : والله إنى لأرى الهَجْر وإسماعَ المكروه لهم قليلا . والله لئن أمرتنا لنقتلنَّهم . فقال علىّ : سبحان الله يا مالِ ، جُزْتَ المَدَى ، وعدوت الحدّ ، وأغرقت فى النزْع ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لَبعض الغَشْم أبلغ فى أمورٍ تنوبك من مهادنة الأعادى . فقال علىّ : ليس هكذا قضى الله يا مال ، قتل النفس بالنفس فما بال الغشم[4] . وقال : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً ﴾ . والإسراف فى القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو الغشم .

هو وأبو بردة

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدى — وكان ممن تخلف عنه — فقال :

---

(١) فى ح (١ : ٢٥٦) : « القائلين إلينا » .

(٢) كذا وردت الأفعال الثلاثة هنا وفى ح بحذف نون الرفع لغير ناصب أو جازم ، وهى لغة صحيحة . انظر خزانة الأدب (٣ : ٥٢٥ — ٥٢٦) .

(٣) الإعتاب : إعطاء العتبى ، وهى الرضا . وأعتبنى فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله .

(٤) فى ح (١ : ٢٥٧) « قال سبحانه النفس بالنفس فما بال ذكر النفس » .

يا أمير المؤمنين، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة ، بم قتلوا[1] ؟ قال : قتلوا شيعتى وعمالى ، وقتلوا أخا ربيعة العبدى ، رحمة الله عليه ، فى عصابة من المسلمين قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدِر كما غدرتم . فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فسألتهم أن يدفعوا إلىّ قتلةَ إخوانى أقتلهم بهم ، ثمّ كتابُ الله حكَمٌ بينى وبينَهم ، فأَبوا علىَّ ، فقاتلونى وفى أعناقهم بيعتى ، ودماء قريبٍ من ألف رجل من شيعتى ، فقتلتُهم بهم ، أفى شكٍّ أنت من ذلك ؟ » . قال : قد كنتُ فى شكّ ، فأَما الان فقد عرفتُ ، واستبان لى خطأُ القوم ، وأنَّك أنت المهدىّ المصيب .

أبو بردة الأزدى

وكان أشياخ الحى يذكرون أنه كان عثمانيًّا ، وقد شهد مع علىّ عَلَى ذلك صفين ، ولكنه بعدما رجع كان يكاتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة[2] ، وكان عليه كريماً .

ثم إن عليًّا تهيأَ لينزل ، وقام رجال ليتكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا .

اختيار على لمنزله بالكوفة

نصر : أبو عبد الله سيف بن عمر ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبغ ابن نباتة ، أن عليًّا لما دخل الكوفة قيل له : أى القصرين ننزلك ؟ قال : « قصر الخبال لا تنزلونيه » . فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومى[3] .

نصر ، عن الفيض بن محمد ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، قال :

---

(١) فى ح : « علام قتلوا . أو قال : بم قتلوا ؟ » .

(٢) الفلوجتان : قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة ، قرب عين التمر . ويقال الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، والفلوجة العليا والفلوجة السفلى أيضاً .

(٣) قال ابن أبى الحديد : « قلت : جعدة ابن أخت هانئ بنت أبى طالب ، كانت تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، فأولدها جعدة » .

لما قدم عليٌّ الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلَّى ، ثم تحوّل فجلس إليه الناس ، فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة ، فقال قائل : استأثر الله به . فقال : « إن الله لا يستأثر بأحد من خلقه » ، وقرأ : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ . قال : فلما لحق الثقل قالوا : أى القصرين تنزل ؟ فقال : «قصر الخبال لاتنزلونيه[1]» .

معاتبته سليمان ابن صرد

نصر ، عن سيف قال : حدثنى إسماعيل بن أبى عميرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبى الكنود ، أنَّ سليمان بن صُرَد الخزاعىّ[2] دخل على علىّ بن أبى طالب بعد رجْعته من البصرة ، فعاتبه وعذَلَه وقال له : « ارتَبْتَ وتربّصت وراوغت ، وقد كنتَ من أوثق الناس فى نفسى وأسرعِهم — فيما أظنّ — إلى نصرتى ، فما قَعد بك عن أهل بيت نبيك ، وما زهّدك فى نصرهم ؟ » . فقال يا أمير المؤمنين ، لا تردّن الأمور على أعقابها ، ولا تؤنّبنى بما مضى منها ؛ واستبق مودّتى يخلص[3] لك نصيحتى .

سليمان بن صرد والحسن

وقد بقيتْ أمورٌ تعرف فيها وليَّك من عدوّك . فسكت عنه وجلس سليمان قليلاً ، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علىّ وهو قاعد فى المسجد ،

(١) ح : « قالوا : انزل القصر . قال : قصر الجبال لا تنزلوا فيه » . ولم أجد ذكراً لهذا القصر برسميه اللذين وردا فى الأصل وح . لكن وجدت السيد فرج الله الحسينى قد كتب « أراد منه عليه السلام قصر دار الامارة ؛ فكأنه سماها به لما وقع فيها قبله من أمراء الجور وعمال أهل النفاق والشقاق ، من الهلكة والنقصان » .

(٢) هو سليمان بن صرد ، بضم المهملة وفتح الراء ، بن الجون الخزاعى ، أبو مطرف الكوفى . صحابى جليل . قال ابن حجر : وكان خيراً فاضلا شهد صفين مع على وقتل حوشبا مبارزة ، ثم كان ممن كاتب الحسين ثم تخلف عنه ، ثم قدم هو والمسيب بن نجبة فى آخرين فخرجوا فى الطلب بدمه وهم أربعة آلاف ، فالتقاهم عبيد الله بن زياد بعين الوردة بعسكر مروان ، فقتل سليمان ومن معه ، وذلك فى سنة خمس وستين . انظر الإصابة وتهذيب التهذيب .

(٣) ح : « تخلص » .

فقال : ألا أُعجِّبك من أمير المؤمنين وما لقيتُ منه من التبكيت والتوبيخ ؟ فقال له الحسن : إنما يُعاتَب من تُرْجى مودّتُه ونصيحته . فقال : إنه بقيت أُمور سيَستَوسِقُ فيها القنا[1] ، ويُنتضَى فيها السيوف ويحتاج فيها إلى أشباهى ، فلا تستغشُّوا عَتْبِى[2] ، ولا تتَّهموا نصيحتى . فقال له الحسن : رحمك الله : ما أنت عندنا بالظَّنين .

دخول سعيد ابن قيس على على

نصر ، عن عمر -- يعنى ابن سعد -- عن نمير بن وعلة[3] عن الشَّعبى[4] ، أنَّ سعيد بن قيس دخل على علىّ بن أبى طالب فسلَّم عليه ، فقال له علىّ : « وعليك ، وإن كنتَ من المتربِّصين » . فقال : حاش لله يا أمير المؤمنين لستُ من أُولئك . قال : « فَعَل الله ذلك » .

معاتبة على أشراف الكوفة

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بنِ مِخْنف قال : دخلت مع أبى على علىّ عليه السلام حين قدم من البصرة ، وهو عامَ بلغت الحُلم ، فإذا بين يديه رجالٌ يؤنِّبهم ويقول لهم : ما بطَّأ بكم عنى وأنتم أشراف قومكم ؟ والله لئن كان من ضعف النيَّة وتقصير البصيرة ، إنكم لبُور[5] . والله لئن كان من شكٍّ فى فضلى ومظاهرةٍ عَلَىَّ إنكم لعدوّ » . قالوا : حاش لله يا أمير المؤمنين ، نحن

---

(١) القنا : الرماح . والاستيساق : الاجتماع ، وفعله لازم . وفى حديث أحد : « استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم » ، أى استجمعوا وانضموا . وبدلها فى ح : « سيسرع فيها القتال » .

(٢) استغشه واغتشه : ظن به الغش ، وهو خلاف استنصحه . وفى الأصل : « لا تستبشعوا غيبتى » ، صوابها فى ح .

(٣) ذكره فى لسان الميزان مصحفاً برسم نمير بن دعلمة .

(٤) هو عامر بن شراحيل الحميرى أبو عمرو الكوفى ، ثقة مشهور . روى عن أبى هريرة وعائشة ، وابن عباس وغيرهم . وعنه : ابن سيرين ، والأعمش ، وشعبة ، وجابر الجعفى . لسان الميزان (٦ : ٨٤٠) .

(٥) البور بالضم : الهالك ؛ يقال رجل بور ، ورجلان بور ، وقوم بور ؛ وكذلك الأنثى . انظر اللسان .

سِلْمك وحرب عدوِّك . ثمَّ اعتذر القومُ ، فمنهم من ذكر عذره ، ومنهم من اعتلّ بمرض ، ومنهم من ذكر غيبة . فنظرتُ إليهم فإذا عبد الله ابن المعتمّ العبسى[1] ، وإذا حنظلة بن الربيع التميمى — وكلاهما كانت له صحبة — وإذا أبو بردة بن عوف الأزدى ، وإذا غريب بن شرحبيل الهمدانى . قال : ونظر علىٌّ إلى أبى فقال : « لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلَّفوا ، ولم يكن مَثَلهم مثلَ القوم الذين قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَكُمْ شَهِيداً . وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيماً[2] ﴾ » .

شعر الشنى فى التحريض على معاوية

ثم إن عليًّا مكث بالكوفة ، فقال الشنىُّ فى ذلك[3] — شنّ بن عبد القيس :

قل لهذا الإمامِ قد خبَتِ الحر ... بُ وتمَّت بذلك النعماءُ
وفرغنا مِن حرب مَنْ نقض العهْـ ... ـدَ وبالشَّامِ حيَّةٌ صَمَّاءُ
تنفُثُ السُّمَّ مالِمَنْ نهشتْهُ ، ... فارمِها قبل أن تَعضَّ ، شفاءُ
إنَّه والذى يحُجُّ له النا ... سُ ومَن دُونَ بيته البَيْداءُ

---

(١) هو عبد الله بن المعتمّ ، بضم الميم وسكون المهملة وفتح المثناة وتشديد الميم ، قال ابن حجر : « له صحبة ، وهو ممن تخلف عن على يوم الجمل . . . وقال أبو زكريا الموصلى فى تاريخ الموصل : هو الذى فتح الموصل » . وفى ح : « عبيد الله » بالتصغير ، محرف . انظر الإصابة ٤٩٥٧ .

(٢) الآيتان ٧٢ ، ٧٣ من سورة النساء .

(٣) هو الأعور الشنى ، بشر بن منقذ ، أحد بنى شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . قال الآمدى : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضى الله عنه يوم الجمل » . انظر المؤتلف ٣٨ ، ٦٠ .

لَضعيفُ النخـاع إنْ رُمِىَ اليـو ... مَ بخيـل كأنهـا الأشْلاءُ[1]
جانِحَـاتٍ تحتَ العَجـاج سِخالاً ... مُجْهَضَـاتٍ تخالهـا الأسْلاءُ[2]
تتبـارى بـكل أَصْيَدَ كالفحـ ... ـلِ بكفَّيه صعـدةٌ سمـراءُ
ثم لا ينثـنى الحـديد ولمـَّا ... يخضب العـامِلَين منها الدماءُ
إنْ تَذَرْهُ[3] فما معـاويةُ الدهـ ... ـرَ بمعطيـك ما أَراك تشـاءُ
ولنَيـل السِّماكِ أقـربُ مِن ذا ... ك ونجمُ العَيُّـوق والعَوَّاءُ[4]
فاضرب الحدَّ والحديد[5] إليهم ... ليس والله غيـر ذاك دَواءُ

خطبة على فى الجمعة بالكوفة والمدينة

حدثنا نصر عن أَبى عبد الله سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أَبى طَيْبة[6] ، عن أَبيه قال : أَتمَّ علىٌّ الصلاة يوم دخل الكوفة ، فلما كانت الجمعة وحضرت الصلاة صلَّى بهم وخطب خطبة .

---

(١) أشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرق . وقد مثل الخيل فى تفرقها للغارة بالأعضاء المتناثرة .

(٢) جانحات : أراد أنها تكسر جوانح هذه السخال . والجوانح : الضلوع القصار التى فى مقدم الصدر ، والواحدة جانحة ، يقال جنح البعير : انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . والسخال : جمع سخلة ، وهى ولد الشاة من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى . ويقال أيضاً فى الخيل ، كما هنا وكما فى قول عبد الله بن عنمة :

يطرحن سخل الخيل فى كل منزل ... تبين منه شقرها ووردادها

انظر المفضلية (١١٤ : ٩ طبع المعارف) . وفى الأصل وح : « سحال » محرفة . والمجهضات : التى ألقيت لغير تمام ولما يستبن خلقها . والأسلاء : جمع سلى ، وهو الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد . وفى البيت إقواء .

(٣) فى الأصل : « أو تذره » ، صوابه من ح .

(٤) السماك والعيوق والعواء : نجوم فى السماء . ح : « ولنيل السماء » .

(٥) ح : « فأعد بالجد والحديد » ، صواب هذه : « فاغد بالحد والحديد » .

(٦) أبو طيبة ، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة ثم باء موحدة ، واسمه عبد الله بن مسلم السلمى المروزى ، كان قاضياً بمرو .

نصر : قال أبو عبد الله ، عن سليمان بن المغيرة ، عن عليّ بن الحسين خطبة عليّ بن أبي طالب فى الجمعة بالكوفة والمدينة :

« إنَّ الحمد لله ، أحمده[1] وأستعينه وأستهديه ، وأعوذ بالله من الضلالة . من يهد الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، انتجبه[2] لأمره ، واختصه بالنبوة ، أكرمُ خلقه وأحبهم إليه ، فبلَّغ رسالة ربه ، ونصح لأُمته ، وأدَّى الذى عليه . وأُوصيكم بتقوى الله ؛ فإن تقوى الله خير ما تواصى به عبادُ الله وأقربه لرضوان الله ، وخيرُه فى عواقب الأُمور عند الله . وبتقوى الله أُمِرتم ، وللإحسان والطاعة خلقتم . فاحذروا من الله ما حذَّركم من نفسه ؛ فإنَّه حذَّر بأْساً شديداً . واخشوا الله خشيةً ليست بتعذير[3] ، واعملوا فى غير رياءٍ ولا سمعة ؛ فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عَمل له ، ومن عمل لله مخلصاً تولَّى الله أجره . وأشفقوا من عذاب الله ؛ فإنَّه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سُدًى ، قد سمَّى آثاركم ، وعَلِم أعمالكم ، وكتب آجالكم . فلا تُغَرُّوا بالدنيا فإنها غرَّارة بأَهلها ، مغرور من اغترَّ بها ، وإلى فناءٍ ما هى . وإن الآخرة هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون . أسأَل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأَنبياء ، ومعيشة السعداء ؛ فإنما نحن له وبه » .

توليته الولاة على الأمصار

ثم إن عليًّا عليه السلام أقام بالكوفة ، واستعمل العمال .

---

(١) ح : « الحمد الذى أحمده » .

(٢) فى اللسان : « انتجب فلان فلاناً ، إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره » . ح : « انتخبه » . والانتخاب بالخاء : الاختيار .

(٣) التعذير : التقصير مع إظهار الاجتهاد . وفى الحديث : « جاء بطعام جشيب فكنا نعذر » ، أى نقصر ونظهر أننا مجتهدون .

نصر ، عن عمر بن سعد قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، والصقعب ابن زهير ، عن يوسف وأبي روق ، أن عليًّا حين قدم من البصرة إلى الكوفة بعث يزيد بن قيس الأَرحبيّ على المدائن وجُوخَا كلِّها .

وقال أصحابنا : وبعث مِخْنف بنَ سليمٍ على أَصبهان وهَمَذان .

نصر ، عن محمد بن عبيد الله ، عن الحكم ، قال : لما هرب مخنف بالمال قال عليّ عليه السلام : « عَذَرْتُ القِردانَ فما بالُ الحَلَم[1] ؟ » .

ثم رجع إلى حديث عمر بن سعد ، قال : وبعث قَرظةَ بنَ كعب على البِهْقُبَاذات[2] ، وبعث قدامة بن مظعون الأَزدى على كسكر ، وعديَّ بن الحارث على مدينة بَهُرَسِير وأُستانِها[3] ، وبعث أَبا حسّان البكريَّ على أُستان العالى[4] ، وبعث سعد بن مسعود الثقفى على أُستان الزَّوابى[5] ،

---

(١) القردان : جمع قراد ، بالضم . والحلم جدس منه صغار . قال الميدانى : « وهذا قريب من قولهم : « استنت الفصال حتى القرعى » . وفى الأصل : « غددت الفردان فا بال الحكم » محرف ، وصواب النص من مجمع الأمثال (١ : ٤٤٣) ، ولم يذكر نسبته إلى على .

(٢) هن ثلاث بهقباذات ذكرها ياقوت فى معجمه . وبهقباذ ، بالكسر ثم السكون وضم القاف وباء موحدة وألف وذال معجمة . ثلاث كور ببغداد منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنو شروان . وفى الأصل : « البهقياذات » ، محرفة .

(٣) بهرسير ، بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة : من نواحى سواد بغداد . والأستان ، قال العسكرى : مثل الرستاق بالضم : السواد والقرى . انظر معجم البلدان (١ : ٢٢٣ س ١٢)، والقاموس(رزدق، ورستق) . والأستان ، بالضم ، كما فى القاموس .

(٤) فى معجم البلدان : « الأستان العالى » وقال : كورة فى غربى بغداد من السواد تشتمل على أربعة طساسيج : وهى الأنبار ، وبادوريا ، وقطربل ، ومسكن .

(٥) الزوابى ، بالزاى المعجمة ، قال ياقوت : « فى العراق أربعة أنهر ، نهران فوق بغداد ونهران تحتها ، يقال لكل واحد منها الزاب » . وقال فى مادة (الزاب) : « وربما قيل لكل واحد زابى والتثنية زابيان . . . وإذا جمعت قيل لها الزوابى » . وقد تكون: «الروابى» ، فنى المعجم : « روابى بنى تميم من نواحى الرقة . عن نصر » .

واستعمل رِبعيَّ بن كاس على سجِستان – وكاسُ أُمّه يعرف بها – وهو من بنى تميم . وبعث خُليداً إلى خراسان ، فسار خليدٌ حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطاعة ، وقدم عليهم عمّال كسرى من كابل ، فقاتل أهلَ نيسابور فهزمَهم وحَصر أهلَها وبعث إلى علىّ بالفتح والسَّبْى ، ثم صَمَد لبنات كسرى فنزلْن على أمانٍ، فبعث بهنّ إلى علىّ عليه السلام ، فلما قدِمن عليه قال : أُزوِّجكن ؟ قلن : لا ، إلّا أن تزوِّجنا ابنَيك ؛ فإنّا لا نرى لنا كُفُواً غيرهما . فقال علىّ عليه السلام : اذهبا حيث شئتما . فقام نَرْسا فقال : مُرْ لى بهنّ ؛ فإنها منك كرامة ، فبينى وبينهنّ قرابة(۱) . ففعل فأنزلهن نرسا معه ، وجعل يطعمهنّ ويسقيهنّ فى الذهب والفضّة ، ويكسوهنّ كِسْوة الملوك ، ويبسط لهن الدِّيباج .

وبعث علىٌّ الأشتر على الموصل ونَصِيبين ، ودَارًا ، وسِنْجار ، وآمِد ، وهِيت ، وعانات ، وما غلَب عليه من تلك الأَرَضين من أرض الجزيرة .

حرب الأشتر والضحاك

وبعث معاويةُ بن أبى سفيان الضّحاكَ بن قيسٍ على ما فى سلطانه من أرض الجزيرة ، وكان فى يديه حرّانُ والرَّقّة والرُّهَا وقَرْ قِيسيا . وكان من كان بالكوفة والبَصرة من العثمانيّة قد هربوا فنزلوا الجزيرةَ فى سلطان معاوية ، فخرج الأشترُ وهو يريدُ الضّحاكَ بن قيس بحَرّان ، فلما بلغ ذلك الضَّحاك بعث إلى أهل الرّقة فأمدُّوه ، وكان جلُّ أهلِها يومئذ عثمانيّة ، فجاءُوا وعليهم سِمَاكُ بن مَخرمة ، وأقبل الضّحّاك يستقبل الأشتر ، فالتقى الضّحاك وسِمَاك بن مَخرمة ، بمرج مَرِينا بين حَرّان والرَّقّة ، فرحل الأشتر حتى نزل عليهم فاقتتلوا اقتتالاً شديداً

---

(۱) أشار ناسخ الأصل إلى أن فى بعض النسخ : « لأن بينى وبينهن قرابة » .

حتى كان عند المَساء ، فرجع الضَّحاك بمن معه فسار ليلتَه كلَّها حتى صبَّح بِحرَّانَ فدخلها ، وأصبح الأَشترُ فرأى ما صنعوا ، فتبعهم حتى نزل عليهم بحرَّان فحصرهم ، وأتى الخبرُ معاويةَ فبعث إليهم عبدَ الرحمن ابنَ خالد فى خيلٍ يُغيثُهم ، فلما بلغ ذلك الأَشتر كتَّب كتائبه ، وعَبَّى جنودَه وخيلَه ، ثم ناداهم الأَشتر : ألا إنَّ الحى عزيز ، ألا إنَّ الذِّمار منيع ، ألا تنزلون أيُّها الثعالب الروَّاغة ؟ احتجرتم احتجار الضِّباب ! فنادَوا : يا عباد الله أقيموا قليلا ، علمتم والله أن قد أُتيتم . فمضى الأَشتر حتى مرّ على أهل الرقة فتحرَّزُوا منه ، ثم مضى حتى مرَّ على أهل قَرقِيسيا فتحرَّزُوا منه ، وبلغ عبدَ الرحمن بنَ خالد انصرافُ الأَشتر فانصرف .

عتاب أيمن ابن خريم

فلما كان بعد ذلك عاتب أيمن بن خُريمٍ الأَسديُّ معاويةَ ، وذكر بلاءَ قومه بنى أسد [فى مرج[1]] مَرِينًا . وفى ذلك يقول :

أَبلغ أَمير المـؤمنين رسـالةً ... من عاتِبِين مَسَاعِرٍ أنجـادِ
منَّيتَهم ، أَنْ آثروك ، مثوبةً ... فرَشَدْتَ إذ لـم تُوفِ بالمِيعادِ
أَنسِيت إذْ فى كـلِّ عـامٍ غارةٌ ... فى كل ناحيةٍ كرِجْلِ جرادِ[2]
غاراتُ أشترَ فى الخيول يريدُكم ... بمعـرَّةٍ ومضـرَّةٍ وفسـادِ
وَضَعَ المسالحَ مُرصِداً لهلاككم ... مـا بين عانات إلى زيداد[3]
وحوى رساتِيقَ الجزيرة كلَّها ... غصبـاً بـكلِّ طِمِـرَّةٍ وجـوادِ
لمَّا رأى نيران قـومى أُوقِدت ... وأبو أنيسٍ فـاتِرُ الإِيقادِ
أَمضَـى إلينـا خيلَه ورجالَه ... وأَغـذَّ لا يَجـرى لأَمر رشادِ

---

(١) الكلمتان ساقطتان من الأصل .

(٢) الرجل ، بالكسر : الجراد الكثير ، وجمعه أرجال .

(٣) زيداد ، لم أجد لها ذكراً فى كتب البلدان ، ولعلها « سنداد » .

ثُرْنا إليهم عند ذلك بالقَنا ... وبكلِّ أبيض كالعقيقةِ صادِ[1]

فى مرج مَرِّينا[2] ألمْ تسمَعْ بنا ... نبغى الإمامَ بِهِ وفيه نُعادِى

لولا مقامُ عشيرتى وطِعانُهم ... وجِلادهم بالمَرْج أىَّ جِلادِ

لأتاك أشْتَر مَذْحِجٍ لا ينثنى ... بالجيش ذا حَنَقٍ عليك وآدِ[3]

حديث على مع نرسا

نصر : عبد الله بن كَرْدَم بن مَرْثَد ، قال : لما قدم علىٌّ عليه السلام حَشرَ أهل السواد ، فلمّا اجتمعوا أذِن لهم ، فلما رأى كثرتَهم قال : إنى لا أُطيق كلامكم ، ولا أفقَهُ عنكم ، فأسنِدُوا أمركم إلى أرضاكم فى أنفسكم ، وأعمِّه نصيحةً لكم . قالوا : نَرْسا ، ما رضى فقد رضيناه ، وما سخِط فقد سخِطناه . فتقدَّم فجلس إليه فقال : أخبِرْنى عن ملوك فارس كم كانوا ؟ قال : كانت ملوكُهم فى هذه المملكة الآخِرة اثنين وثلاثين ملكا[4] . قال : فكيف كانت سيرتُهم ؟ قال : ما زالت سيرتُهم فى عُظْمِ أمرهم واحدةً[5] ، حتى ملكَنا كسرى بنُ هرمز ، فاستأثر بالمال والأعمال ، وخالف أوَّلينَا ، وأخْرَب الذى للناس ، وعمَّر الذى له ، واستخفَّ بالناس ، فأوغَر نفوسَ فارس ، حتى ثاروا عليه فقتلوه ، فأُرمِلت نساؤه ويتِّم أولادُه . فقال : يا نَرْسا ، إنَّ الله عز وجل خلق الخلق بالحقّ ، ولا يرضى من أحدٍ إلا بالحقّ ، وفى سلطان الله تذكِرةٌ

(١) العقيقة : البرق إذا رأيته فى وسط السحاب كأنه سيف مسلول .

(٢) شدد راء « مرينا » للشعر ، وأصلها التخفيف كما فى القاموس . وبنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من العباد . قال الجواليقى : « وليس مرينا بكلمة عربية » . وأنشد لامرئ القيس :

فلو فى يوم معركة أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مرينا

(٣) الآد والأيد : القوة .

(٤) جعلهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٨٧ — ٩٠ ثلاثين ملكاً . وهم الساسانيون .

(٥) عظم الأمر بالضم والفتح : معظمه .

مما خوَّل الله ، وإنها لاتقوم مملكةٌ إلّا بتدبير ، ولا بدَّ من إمارة ، ولايزال أمرُنا متماسكاً ما لم يشتُمْ آخرُنا أوَّلنا ، فإذا خالفآخرُنا أوَّلنا وأفسدُوا، هلكوا وأهلكوا .

ثم أمَّر عليهم أمراءَهم . ثم إن عليًّا عليه السلام بعث إلى العمال فى الآفاق ، وكان أهمَّ الوجوه إليه الشام .

كتب على إلى العمال

نصر ، عن محمد بن عبيد الله القرشى ، عن الجُرجانى قال : لما بُويع علىٌّ وكتب إلى العمال فى الآفاق كتب إلى جرير بن عبدالله البَجَلىِّ وكان جريرٌ عاملا لعثمان على ثغر هَمَدَان[1] ، فكتب إليه مع زَحْرِ بن قيسٍ الجُعفىّ[2] :

كتابه إلى جرير بن عبد الله

« أما بعد فإنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد اللهُ بقومٍ سوءًا فلا مردَّ لهُ وما لهمْ مِن دونِه من والٍ . وإنى أُخبرك عن نبإٍ[3] من سرنا إليه من جموع طلحةَ والزُّبير ، عند نكْثهم بيعتهم[4] وما صنعوا بعاملِى عثمانَ بن حُنَيف[5] . إنى هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار ، حتى إذا كنت بالعُذَيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن على ، وعبدِ الله بن عباس ، وعمّارِ بن ياسر ، وقيس بن سعد بن عُبادة،

(١) همدان ، كذا وردت فى الأصل وفى ح (١ : ٢٤٦) . وهما لغتان فى همذان . ولغة الإهمال هى الفارسية ، وبالإعجام معربة . انظر معجم استينجاس ١٥٠٩ .

(٢) زحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء المهملة . وهو زحر بن قيس الكوفى الجعفى ، أحد أصحاب على بن أبى طالب ، أنزله المدائن فى جماعة جعلهم هناك رابطة ، روى عنه عامر الشعبى ، وحصين بن عبد الرحمن . انظر تاريخ بغداد ٤٦٠٥ . ح : « زجر » محرف .

(٣) ح : « عن أنباء » .

(٤) ح : « بيعتى » .

(٥) حنيف ، بهيئة التصغير . وعثمان بن حنيف صحابى أنصارى ، شهد أحدا ، وكان على استعمله على البصرة قبل أن يقدم عليها، فغلبه عليها طلحة والزبير . ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٥٤٢٧ .

فاستنفروهم فأجابوا ، فسرتُ بهم حتى نزلت بظهر البَصرة فأعذَرْتُ فى الدُّعاءِ ، وأَقَلْت العترة ، وناشدتُهم عقد بيعتهم[1] فأبوا إلَّا قتالى ، فاستعنْتُ بالله عليهم ، فقُتل من قُتل وولَّوا مدبِرين إلى مصرهم ، فسألونى ما كنت دعوتُهم إليه قبل اللقاءِ ، فقبِلت العافية ، ورفعْتُ السيفَ ، واستعملت عليهم عبدَ الله بن عباس ، وسرتُ إلى الكوفة . وقد بعثت إليكم زَحْر[2] بن قيس ، فاسأل[3] عما بدا لك » .

جواب جرير

قال : فلمَّا قرأ جرير الكتاب قام فقال : أيها الناس ، هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وهو المأمون على الدِّين والدنيا ، وقد كان من أمره وأمر عدوِّه ما نحمَد الله عليه . وقد بايعه السابقون الأولون[4] من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان . ولو جُعل هذا الأمرُ شورَى بين المسلمين كان أحقَّهم بها . ألا وإنَّ البقاءَ فى الجماعة ، والفَناءَ فى الفُرقة . وعلىٌّ[5] حاملكم على الحق ما استقمتم ، فإن مِلْتم أقام ميلكم .

فقال الناس : سمعاً وطاعة ، رضينا رضينا . فأجاب جريرٌ وكتب جواب كتابِهِ بالطاعة . وكان مع علىٍّ رجلٌ من طيئ ، ابنُ أختٍ لجرير ، فحمَّل زَحْرَ بنَ قيسٍ شعراً له إلى خاله جرير ، وهو :

شعر ابن أخت جرير

جَريرَ بنَ عبدِ الله لا تردُدِ الهُدَى ... وبايِعْ عَليًّا إنَّنى لك ناصحُ

فإنَّ عليًّا خيرُ من وطِئَ الحَصَى ... سِوى أحمدٍ والموتُ غادٍ ورائحُ

---

(١) ح : « عهد بيعتهم » .

(٢) فى الأصل وح : « زجر » بالجيم ، محرفة .

(٣) فى ح : « فاسأله » ، وفى الإمامة والسياسة (١ : ٧٨) : « فاسأله عنا وعنهم » .

(٤) ح : « الناس الأولون » .

(٥) ح : « وإن علياً » .

ودعْ عنك قولَ النَّاكثين فإنمـــا ... أُولَاكَ ، أَبا عَمرٍو ، كلابٌ نوابحُ
وبايِعْـهُ إنْ بايعتَـه بنصيحـةٍ ... ولا يكُ مَعْهَا فى ضميرك قادحُ[1]
فإنَّك إن تَطلب به الدين تُعطَهُ ... وإن تطلُب الدُّنيا فبيعُك رابحُ
وإن قلتَ عثمانُ بنُ عفَّانَ حقُّـه ... علىَّ عظيمٌ والشَّكورُ مُناصِحُ
فحقٌّ علىٍّ إذ وَلِيــك كحقِّـه ، ... وشكرُكَ ما أوليتَ فى الناس صالحُ[2]
وإنْ قلتَ لا نرضَى عليًّـا إمامَنا ... فَدعْ عنك بحراً ضلَّ فيه السوابحُ
أَبَى اللهُ إِلّا أنَّـه خيـرُ دهـرِهِ ... وأفضلُ من ضُمَّت عليه الأَباطحُ

خطبة زحر ابن قيس

ثم قام زَحْرُ بن قيسٍ خطيباً[3] ، فكان ممّا حُفظ من كلامه أنْ قال : « الحمد لله الذى اختار الحمد لنفسه وتولاه دون خلقه ، لاشريك له فى الحمد ، ولا نظير له فى المجد ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائم الدائم ، إله السماء والأرض ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالنور الواضح[4] والحق الناطق ، داعياً إلى الخير ، وقائداً إلى الهدى » . ثم قال : « أيها الناس ، إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلا رجيع من القول ، ولكن لابد من ردِّ الكلام . إن الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير محاباة له ببيعتهم ؛ لعلمه بكتاب الله وسنن الحق ، وإن

---

(١) القادح ، بالقاف : أصله الأكال يقع فى الشجر والأسنان ، والمراد به الغش والدخل . وفى اللسان : « قدح فى ساق أخيه : غشه وعمل فى شيء يكرهه » . وفى الأصل : « فادح » بالفاء وهو الحمل الثقيل والنازلة تنزل بالمرء . والوجه ما أثبت من ح .

(٢) وليه ، كرضيه : صار ولياً له . وسكن الياء للشعر .

(٣) كذا فى الأصل . وفى ح : « قال نصر : ثم إن جريراً قام فى أهل همدان خطيباً » . وعقب ابن أبى الحديد على هذه الخطبه والشعر الذى بعدها بقوله : « قال نصر : فسر الناس بخطبة جرير وشعره » . انظر ح (١ : ٢٤٧) . وقد مضت خطبة لجرير فى الصفحة السابقة فيصح ما هنا إن كان قد أشار إلى تلك الخطبة .

(٤) فى الأصل : « بالحق الواضح » ، وأثبت ما فى ح .

طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث ، وألَّبا عليه الناس ، ثم لم يَرضَيا حتَّى نصبا له الحرب ، وأخرجا أُم المؤمنين ، فلقيهما فأَعذَرَ فى الدعاءِ ، وأحسن فى البقيَّة ، وحمل الناس على ما يعرفون . هذا عِيانُ ما غاب عنكم . ولئن سأَلتم الزيادة زدناكم ، ولا قوة إلا بالله » .

قصيدة جرير البجلى

وقال جرير فى ذلك :

أتــانا كتــابُ علىّ فــلم ... نردَّ الـكتاب ، بأَرضِ العجمْ
ولـم نَعْصِ مـا فيـه لمّـا أَتى ... ولمَّـا نذمَّ[1] ولمـا نَـلُمْ
ونحـــن ولاةٌ عـلى ثغرهـا ... نَضِيمُ العزيز ونَحمِى الـذِّممْ
نسـاقيهمُ الموتَ عنـد اللقـاءِ ... بـكأْس المنايا ونشفى القَـرَمْ
طحنَّـاهم طحنـةً بالقَنـا ... وضربِ سُيوفٍ تُطير اللِّـمَمْ
مضَينـا يقينـاً على ديننا ... ودينِ النـبىِّ مُجـلِّى الظُّـلَمْ
أمينِ الإلـهِ وبرهـانِه ... وعـدلِ البريـة والمعتَصَمْ
رسولِ المليك ، ومِن بعـدِه ... خليفتُنـا القـائمُ المدَّعَمْ
عليًّـا عنيتُ وصىَّ النـبىِّ ... نُجـالِدُ عنه غـواةَ الأُمَمْ
له الفضلُ والسَّبقُ والمكرماتُ ... وبيتُ النبـوَّةِ لا يهتَضَمْ[2]

شعر فى مدح جرير

وقال رجل[3] :

لعمـر أَبيك والأَنبـاءُ تَنْمى ... لقـد جَـلَّى بخطبتـه جريرُ

---

(١) فى الأصل : « ولما نضام » ، صوابه من ح .

(٢) بعد هذا فى ح ، كما سبق : « قال نصر : فسر الناس بخطبة جرير وشعره » .

(٣) ح : « وقال ابن الأزور القسرى فى جرير يمدحه بذلك » .

وقـال مقـالةً جـدعتْ رجالاً ... مـن الحيَّين خطبُهـم كبيرُ

بَدَا بك قبـل أُمَّتِـهِ عـلىٌّ ... ومُخُّكَ إن رَدَدْتَ الحقَّ رِيرُ[1]

أتاك بأمـره زَحْـر بن قيسٍ ... وزَحْـرٌ بالتى حـدثَتْ خبيرُ

فكنتَ بمـا أتاك به سميعـاً ... وكدتَ إليـه من فـرحٍ تطير

فأنتَ بمـا سعِدْتَ به ولىٌّ ... وأنت لمـا تُعدُّ لـه نَصيرُ[2]

ونعـم المـرءُ أنتَ لـه وزيرٌ ... ونعم المـرءُ أنت لـه أميرُ

فأحرزْتَ الثـوابَ : ورُبَّ حادٍ ... حـدا بالرّكبِ ليس لـه بعيرُ

ليَهنِكَ مـا سَبقْتَ به رجـالاً ... من العَلياءِ، والفضلُ الكبيرُ[3]

وقال النهدىُّ فى ذلك :

أتانا بالنَّبَـا زَحْـرُ بنُ قيسٍ ... عظيمَ الخَطْبِ من جُعْفِ بن سعدِ[4]

تخيَّـره أبـو حسنٍ علىٌّ ... ولم يكُ زَنْدُه فيهـا بصلْدِ

رَمى أغْـراضَ حاجتِه بقـولٍ ... أخُـوذٍ للقـلوبِ بلا تعدِّ

فسَرَّ الحـىَّ من يَمنٍ وأرضَى ... ذَوِى العليـاء من سَلَفَىْ مَعَدِّ[5]

---

(١) مخ رير : ذائب فاسد من الهزال . يقال مخ رار ، ورير بالكسر . ورير بالفتح وفى الأصل : « يزير »، وفى ح : « وتفخر إن رددت الحق » كلاهما محرف ، والصواب ماأثبت.

(٢) فى الأصل : « بعمير » بالباء ، صوابه من ح .

(٣) تقرأ بالرفع عطفاً على : « ما سبقت » ، وبالجر عطفاً على « العلياء » ، وفى القراءة الأخيرة إقواء .

(٤) جعف ، أراد « جعفى » وحقها أن تنتهى فى الرسم بالياء ، لكن كذا وردت فى الأصل و ح . وجعفى ، بتشديد الياء ، هم بنو سعد العشيرة بن مذحج ، حى من اليمن .

(٥) يعنى ربيعة ومضر ابنى نزار بن عدنان .

ولم يكُ قبلَهُ فينـــا خطيبٌ　　مضَى قَبلى ولا أرجُـوه بَعدِى
متى يَشْهَـــدْ فنحن بـه كثيرٌ　　وإن غابَ ابنُ قَيْسٍ غابَ جَدِّى[1]
وليس بمُوحِشِى أمـــرٌ إذا مـا　　دنَا منِّى وإن أُفْرِدْتُ وحـدِى
له دُنيَـا يُعَـاشُ بهـا ودينٌ　　وفى الهيجا كذى شِبْلَيْن وَرْدِ

مبايعة جرير لعلى

قال : ثم أقبل جريرٌ سائراً من ثغر هَمَذان[2] حتَّى ورد على علىٍّ عليه السلام بالكوفة ، فبايعه ودخَل فيما دخل فيه النَّاسُ ، من طاعةِ علىٍّ ، واللُّزُوم لأمره .

مكاتبة الأشعث ابن قيس

ثم بعث إلى الأشعث بن قيس الكندى .

نصر : محمد بن عبيد الله ، عن الجُرْجانىّ قال : لما بُويع علىٌّ وكتب إلى العمال ، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مَرْحَب الهَمْدانى ، والأشعثُ على أذربيجان عاملٌ لعثمان ، وقد كان عمرو بن عثمان تزوَّج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك ، فكتب إليه علىٌّ :

« أما بعد ، فلولا هَنَاتٌ كنَّ فيكَ كنتَ المقدَّمَ فى هذا الأمر قبل الناس ، ولعلَّ أمرك يحمل بعضُه بعضًا إن اتَّقيت الله . ثمّ إنَّه كان من بيعة الناس إياى ما قد بلغك ، وكان طلحةُ والزُّبير ممَّن بايَعانى ثمَّ نقَضا بيعَتى على غير حدَث ، وأخرَجا أُمَّ المؤمنين وسارا إلى البصرة ، فسرتُ إليهما فالتقينا ، فدعوتُهم إلى أن يَرجعوا فيما خَرجوا منه فأَبَوْا ، فأبلغْتُ فى الدّعاءِ وأحسنتُ فى البقيَّة . وإنَّ عملك ليس لك بطُعمةٍ ،

---

(١) الجد ، ها هنا : الحظ .
(٢) كذا وردت بإهمال الدال ، كما هو أصلها الفارسى . انظر التنبيه (١ ص ١٥) .

ولكنّه أمانة . وفى يديك مالٌ من مال الله ، وأنتَ من خزّان الله عليه حتّى تسلّمه إلىّ ، ولعلّى ألّا أكونَ شرَّ وُلاتك لك إن استقَمْت . ولا قوّةَ إلا بالله » .

خطبة زياد ابن مرحب

فلما قرأ الكتاب قام زياد بن مرحب[1] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيُّها الناس ، إنَّ مَنْ لم يكْفِه القليلُ لم يكفِه الكثيرُ ، إنَّ أمر عثمان لا ينفع فيه العِيان ، ولا يَشفِى منه الخبَر ، غير أنَّ مَن سمع به ليس كمن عاينه . إنَّ الناس بايَعوا عليًّا راضين به ، وأنَّ طلحة والزُّبير نقضا بيعتَه على غير حدَث ، ثمَّ أذِنَا بحربٍ فأخرجا أُمَّ المؤمنين ، فسار إليهما فلم يقاتلهمْ وفى نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرضَ وجعل له عاقبةَ المتَّقين » .

خطبة الأشعث ابن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس إن أمير المؤمنين عثمان وَلاَّنِى أذربيجان ، فهلك وهى فى يدى ، وقد بايع الناس عليًّا ، وطاعتُنا له كطاعة من كان قبله . وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم . وعلىٌّ المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر » .

فلما أتى منزله دعا أصحابه فقال : إنَّ كتاب علىّ قد أوحشَنى ، وهو آخذٌ بمال أذربيجان[2] ، وأنا لاحقٌ بمعاوية . فقال القوم : الموت خير لك من ذلك . أتدع مِصرَك وجماعةَ قومك وتكونَ ذنَباً لأهل الشام ؟! فاستحيا فسار حتى قدم على علىّ ، فقال السَّكونى ــ وقد خاف أن يلحق بمعاوية :

شعر السكونى

إنِّى أُعيذك بالذى هــو مالكٌ بمُعــاذةِ الآبــاءِ والأجــدادِ

(١) فى الإمامة والسياسة ١ : ٧٩ : « زياد بن كعب » .
(٢) فى الإمامة والسياسة : « وهو آخذى بمال أذربيجان » .

مما يظنُّ بك الرِّجالُ . وإنمــا … سامُوكَ خُطَّةَ معشرٍ أوغــادِ
إنَّ آذربيجــان التى مزَّقتهــا … ليست لجدِّك فاشْـنَهـا ببلادِ[1]
كـانت بـلادَ خليفةٍ ولَّاكَهـا … وقضـاءُ ربِّك رائحٌ أو غـادِ
فدعِ البلادَ فليس فيها مطمـعٌ … ضُرِبت عليكَ الأَرضُ بالأَسدادِ[2]
فادفَع بمالك دونَ نفسِك إنَّنـا … فَادُوك بالأَمـوالِ والأَولادِ
أنت الذى تُثنَى الخناصرُ دونَه … وبكَبْش كِندةَ يستهلُّ الوادى
ومعصَّب بالتَّـاج مفرِقُ رأسِه … مُلكٌ لعمرك راسخُ الأَوتـادِ
وأَطـعْ زيادًا إنَّه لك ناصـحٌ … لا شكَّ فى قول النَّصيـحِ زيادِ
وانظُـر عليًّـا إنَّه لك جُنَّـةٌ … تَرشُد ويَهْدِكَ للسعادة هـادِ[3]

شعره إلى الأشعث

ومما كتب به الأَشعث :

أَبلغ الأَشْعثَ المعصَّب بالتـا … ج غـلاماً حتَّى عـلاه القتيرُ[4]
يا ابن آل المُرار من قِبَلِ الأُ … مِّ وقيسٌ أَبـوه غيثٌ مطيرُ[5]
قد يصيب الضعيفُ ما أَمـر اللَّـ … ـهُ ويُخطِى المـدرَّبُ النِّحـريرُ
قـد أَتَى قبلك الرَّسولُ جـريراً … فتلقَّـاه بالسُّـرور جـريرُ
وله الفضلُ فى الجهاد وفى الهِجْـ … ـرَةِ والدِّينِ ، كلُّ ذاكَ كثيـرُ
إن يكنْ حظُّك الذى أَنت فيـه … فحقيرٌ من الحظـوظ صغيرُ

(١) اشنها ، أراد اشنأها، ثم حذف الهمزة وعامله معاملة المعتل. والشناءة والشنآن: البغض.
(٢) أى سد عليه الطريق فعميت مذاهبه ، وواحد الأسداد سد .
(٣) فى الأصل : « يرشد ويهديك للسعادة » ، محرف .
(٤) القتير : الشيب ، أو أول ما يظهر منه . يقول : كان ملكاً من صباه إلى مشيبه .
(٥) أبوه ، على الالتفات . ولو لم يلتفت لقال : « أبوك » .

يا ابن ذى التّاج والمبجَّلِ من كِنْـ ... دَةَ ، ترضَى بأَن يقال أميرُ ؟
أَذرَبيجانُ حَسْرةٌ فذرَنْها ... وٱبْغِيَنَّ الذى إليه تصيرُ
واقبَلِ اليومَ ما يقولُ علىٌّ ... ليس فيما يقولُه تخييرُ
واقْبَلِ البيعة التى ليس للنا ... سِ سواها من أمرهم قِطْمِيرُ
عَمْرَكَ اليومَ قد تركتَ عليًّا ... هل له فى الذى كرهتَ نظيرُ

مما قيل على لسان الأشعث

وممَّا قيل على لسان الأَشعث :

أتانا الرَّسولُ رسولُ علىٍّ ... فسُرَّ بمَقْدَمِه المسلمونا
رسولُ الوصىِّ وصىِّ النبىّ ... له الفضلُ والسَّبقُ فى المؤمنينا
بما نَصَحَ اللهَ والمصطفى ... رسولَ الإله النبىَّ الأَمينا
يُجاهِد فى الله ، لا ينثنى ، ... جميعَ الطغاة مع الجاحدينا[1]
وزير النبىِّ وذو صِهْرِه ... وسيف المنيّةِ فى الظالمينا
وكم بطلٍ ماجدٍ قد أذاقَ ... منيَّةَ حتفٍ ، من الكافرينا
وكم فارسٍ كان سالَ النِّزالَ ... فآب إلى النار فى الآئبينا[2]
فذاك علىٌّ إمامُ الهدى ... وغيثُ البريَّة والمقْحَمِينا[3]
وكان إذا ما دعا للنِّزال ... كليث عرينٍ يَزِينُ العَرينَا[4]

(١) جاهد العدو : قاتله . وفى الكتاب : « جاهد الكفار والمنافقين » .

(٢) سال : مخفف سأل . قال حسان (انظر ديوانه ٦٧ والكامل ٢٨٨ ليبسك) :
سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

(٣) المقحمون : الذين أصابتهم السنة والجدب ، فأخرجتهم من البادية وأقحمتهم الحضر . وفى الأصل : « المفخمينا » محرفة .

(٤) فى الأصل : « بن ليث العرينا » ، وهو تحريف .

أجاب السؤال بنصحٍ ونَصْرٍ وخالصِ وُدٍّ على العالَمينا
فما زال ذلك من شأْنه ففاز وربِّى مع الفائزينا

وممّا قيل على لسان الأَشعث أيضاً :

أتانا الرسولُ رسول الوصىِّ علىٌّ المهذبُ من هاشمِ
رسولُ الوصىِّ وصىِّ النبىِّ وخير البريّة مِنْ قائمِ
وزير النبي وذو صِهرِه وخير البرية فى العالَمِ
له الفضلُ والسَّبقُ بالصالحات لِهَدْىِ النبىِّ به يأْتمِى(١)
محمداً أعنى رسول الإله وغيثَ البريَّة والخاتَمِ
أَجبنا عليًّا بفضلٍ له وطاعةِ نُصْحٍ له دائمِ
فقيهٌ حليمٌ له صولةٌ كليث عرينٍ بها سائمِ
حليمٌ عفيف وذو نجدةٍ بعيدٌ من الغدر والمأثَمِ

وفود القوم على على

وأَنّه قدم على علىٍّ بن أَبى طالب عليه السلام بعد قدومه الكوفة ، الأَحنفُ بن قيس ، وجاريةُ بن قُدامة ، وحارثةُ بن بدر ، وزيد بن جَبَلة ، وأَعْيَن بن ضُبيعة ، وعظيم الناس بنو تميم ، وكان فيهم أَشراف ، ولم يقدم هؤلاءِ على عشيرة من أَهل الكوفة ، فقام الأَحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، وحارثة بن بدر ، فتكلَّم الأَحنف فقال : « يا أَمير المؤمنين ، إنه إن تك سعدٌ لم تنصرك يومَ الجمل فإنها لم تَنْصُرْ عليك . وقد عجبوا أَمْسِ ممَّن نَصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك ؛ لأَنهم شكُّوا فى طلحة والزبير ، ولم يشكُّوا فى معاوية . وعشيرتُنا بالبصرة ، فلو بعثْنا

---

(١) يأْتمى ، أراد يأْتم أى يأْتم ، فقلب إحدى الميمين ياء ، وكذلك يفعلون ، كما قالوا فى التظنن التظنى ، وفى التقصص التقصى . وفى الأَصل : « يأْتم » ، محرفة .

حديثه مع جارية بن قدامة

إليهم فقدِموا إلينا فقاتلْنا بهم العدوَّ وانتصفنا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم أَمسِ ! » . قال عليّ لجارية بن قدامة — وكان رجُلَ تميمٍ بعد الأَحنف — : ما تقول يا جارية ؟ قال : « أَقول هذا جمعٌ حشره الله لك بالتقوى ، ولم تستكْرِه فيه شاخصاً ، ولم تُشْخِص فيه مُقيما . والله لولا ما حضرك فيه من الله لغبَّك سياسته ، وليس[1] كلُّ من كان معك نافِعَك ، ورُبَّ مقيم خيرٌ من شاخص ، ومِصراكَ خيرٌ لك ، وأَنت أَعلم » .

فكأَنه [بقوله] : « كان معك » ربّما كره إشخاص قومِه عن البصرة[2] .

حديثه مع حارثة بن بدر

وكان حارثة بن بدر أَسَدَّ النَّاس رأْياً عند الأَحنف[3] ، وكان شاعرَ بنى تميم وفارسَهم ، فقال عليٌّ : ما تقول يا حارثة ؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنَّا نشوب الرَّجاءَ بالمخافة . والله لَوَددتُ أَنَّ أَمواتنا[4] رجعوا إلينا فاستعنَّا بهم على عدوِّنا . ولسنا نلقى القوم بأَكثر من عددهم ، وليس لك إلاَّ من كان معك ، وإن لنا فى قومنا عدداً لا نلقى بهم عدوًّا أَعْدى من معاوية ، ولا نسدُّ بهم ثغراً أَشدّ من الشام ، وليس بالبصرة بِطانةٌ نُرصِدهم لها ، ولا عدوٌّ نعِدّهم له .

ووافق الأَحنفَ فى رأْيه ؛ فقال عليٌّ للأَحنف : اكتب إلى قومك . فكتب الأَحنف إلى بنى سعد :

---

(١) فى الأصل : « وليس كل من كان معك » والتكلة من الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٧٥ ، وقد سقطت منها كلمة « ليس » .

(٢) فى الأصل : « فكأنه كان معك وربما كره . . . الخ » ، والوجه فيما أثبت .

(٣) أسد ، من سداد الرأى ، وهو استقامته وصحته . وفى الأصل : « أشد » بالمعجمة ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « أمراءنا » ، وصوابه من الإمامة والسياسة .

كتاب الأحنف إلى بنى سعد

« أمَّا بعد فإنه لم يبق أحدٌ من بنى تميم إلاَّ وقد شقُوا برأى سيِّدهم غيركم . شقِيتْ سعد بن خَرَشة برأى ابن يثربىّ ، وشقيت حنظلة برأى لِحْيان[1] ، وشقيت عدىّ برأى زُفر ومَطَر ، وشقيت بنو عمرو بن تميم برأى عاصم بن الدُّلَف ، وعصمكم الله برأيى لكم حتَّى نلتم ما رجوتم ، وأمِنتم ، وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء ، لاحقين بأهل العافية . وإنِّى أخبركم أنَّا قدِمنا على تميمٍ الكوفةَ فأخذوا علينا بفضلهم مرتين : بمسيرهم إلينا مع علىّ ، وميلهم إلى المسير إلى الشام . ثم أخمروا[2] حتَّى صرنا كأنَّا لا نُعرف إلا بهم ، فأقبِلوا إلينا ولا تتَّكلوا عليهم ، فإنَّ لهم أعدادنا من رؤسائهم ، وحناناً أن تلحق[3] ، فلا تبطئوا ؛ فإن من العطاء حرماناً ، ومن النَّصر خِذْلانا . فَحِرْمان العطاء القلَّة ، وخِذلان النَّصر الإبطاء ، ولا تقْضَى الحقوق إلا بالرِّضا ، وقد يَرضَى المضطرُّ بدون الأمل » .

شعر معاوية ابن صعصعة

وكتب معاوية بن صعصعة ، وهو ابن أخى الأحنف :

تَميمَ بنَ مُرٍّ إنَّ أحنفَ نِعمةٌ ... من الله لم يخْصُصْ بها دونكم سَعْدَا
وعَمَّ بها مِنْ بعدِكم أهلَ مصرِكم ... ليالىَ ذمَّ الناسُ كلُّهم الوَفْدَا
سِواهُ لقطع الحبل عن أهل مصره ... فأمْسَوا جميعاً آكلين به رغدَا
وإعظامه الصاعَ الصغيرَ وحذفُه ... من الدرهم الوافى يجوز له النقدَا
وكان لسعدٍ رأيُه أمسِ عصمةً ... فلم يُخطِ لا الإصدارَ فيهم ولا الوِرْدَا

---

(١) فى الأصل : « الحيان » .

(٢) أخمروا ، من الإخمار ، وهو الستر . أى غلبوا عليهم . وفى الأصل : « ثم أخسوا » ، وفى الإمامة والسياسة : « ثم انحشرنا معهم » .

(٣) كذا . ولعلها : « وجناناً لن تلحق » . جعلهم كالجن ، والجان : جمع جان .

وفى هذه الأُخرى له مَخْض زبدةٍ سيخرجها عَفواً فلا تُعْجِلوا الزُّبدَا
ولا تبطئوا عنه وعِيشُوا برأيه ولا تجعلوا ممَّا يقول لكم بُدَّا
أليس خطيبَ القومِ فى كلِّ وَفدةٍ وأقربَهم قُرباً وأبعدَهم بُعْدَا
وإنَّ عليًّا خير حافٍ وناعلٍ فلا تمنعوه اليوم جَهداً ولا جِدَّا
يحاربُ من لا يَحْرَجون بحربه ومن لا يساوى دينهُ كلُّه رَدًّا[1]
ومن نزلت فيه ثلاثون آية تسمِّيه فيها مؤمناً مخلِصاً فَرْدا
سوى موجبات جِئْن فيه وغيرها بها أَوجبَ اللهُ الوِلاية والودّا

مسير بنى سعد إلى الكوفة

فلما انتهى كتابُ الأَحنف وشِعرُ معاويةَ بنِ صعصعة إلى بنى سعد ساروا بجماعتهم حتَّى نزلوا الكوفة ، فعزَّت بالكوفة وكثُرت . ثم قدِمت عليهم ربيعةُ — ولهم حديث — وابتدأ خروج جرير إلى معاوية.

إرسال جرير إلى معاوية

نصر : عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، وعن عامر الشعبى ، أن علياً عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريراً هَمَدانَ ، فجاء حتَّى نزل الكوفة ، فأَراد علىٌّ أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير : ابعثنى إلى معاوية ، فإنه لم يزل لى مستنصحاً ووُدًّا[2] ، فآتيه[3] فأَدعوه على أن يسلِّم لك هذا الأَمر ، ويُجامعَك على الحقِّ ، على أن يكون أَميراً من أُمرائك ، وعاملا من عمالك ، ما عمِل بطاعة الله، واتَّبَع ما فى كتاب

---

(١) الرد : الزائف من الدراهم . وفى الأصل : « ريداً » ، ولا وجه له .

(٢) الود ، بكسر الواو : الصديق ، كالحب بمعنى المحبوب . والود ، بضم الواو : الصديق ، على حذف المضاف . وجاء فى اللسان : « وفى حديث ابن عمر : إن أبا هذا كان وداً لعمر . هو على حذف المضاف ، تقديره كان ذا ود لعمر ، أى صديقاً » .

(٣) فى الأصل : « نأتيه » ، تحريف . وفى ح (١ : ٢٤٧) : « آتيه » .

الله ؛ وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ، وجلهم[1] قومى وأهل بلادى ، وقد رجوت ألا يعصونى . فقال له الأشتر : لا تبعثه ودعه ، ولا تصدقه ، فوالله إنى لأظنُّ هواه هواهم ، ونيّته نيّتهم . فقال له على : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا . فبعثه علىّ عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه : إن حولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الدين والرأى من قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك : « إنك من خير ذى يَمَن[2] » . ايتِ معاوية بكتابى ، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبِذ إليه[3] ، وأعلِمْه أنى لا أرضى به أميراً ، وأنَّ العامة لا ترضى به خليفة » .

نزول جرير على معاوية

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهلُ الحَرَمين وأهل المصرين[4] وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العَروض وعُمان ، وأهل البحرين واليمامة ، فلم يبق إلّا أهل هذه الحصون التى أنت فيها ، لو سال عليها سيلٌ من أوديته غرّقها . وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل » .

ودفع إليه كتاب على بن أبى طالب ، وفيه :

---

(١) ح : « فجلهم » بالفاء .

(٢) من خير ذى يمن : أى من خير اليمن . وفى اللسان (٢٠ : ٣٤٩) : « ويقال أتينا ذا يمن ، أى أتينا اليمن » .

(٣) النبذ : أن يكون بينه وبين قوم هدنة فيخاف منهم نقض العهد ، فيلقى إليهم أنه قد نقض ما بينه وبينهم قبل أن يفجأهم بالقتال . ومنه قول الله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » .

(٤) الحرمان : مكة والمدينة . والمصران : البصرة والكوفة .

كتاب على
ابن أبى طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام[1] ؛ لأنه بايعنى القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابُويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردّ . وإنما الشُّورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل فسمَّوه إمَاماً[2] كان ذلك لله رضا ، فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعن أو رغبة ردُّوه إلى ما خرج منه ، فإن أَبَى قاتلوه على اتِّباعه غيرَ سبيل المؤمنين ، وولَّاه[3] الله ما تَولَّى ويُصليه جهنَّمَ وساءت مصيرا . وإنَّ طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى ، وكان نقضهما كردِّهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. فادخُلْ فيما دخل فيه المسلمون ؛ فإنَّ أحبَّ الأُمور إلىَّ فيك العافية ، إلاَّ أن تتعرض للبلاء . فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت اللهَ[4] عليك . وقد أكثرتَ فى قتلة عثمان فادخلْ فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلىّ أحملك وإياهم على كتاب الله . فأما تلك التى تريدها فخُدعة الصبيِّ عن اللبن . ولعمرى لئن نظرتَ بعقلك دونَ هَواك لتجدنِّى أبرأَ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء[5] الذين لا تحلُّ لهم الخلافة ، ولا تعرض

---

(١) فى الأصل : « . . بيعتى لزمتك بالمدينة وأنت بالشام » ، والوجه ما أثبت من ح (١ : ٢٤٨) .

(٢) ح : « إذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً » .

(٣) فى الأصل : « ووليه » ، وأثبت الصواب من ح .

(٤) ح : « بالله » .

(٥) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير الذى أطلق عنه إساره وخلى سبيله . ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم .

فيهم الشُّورى . وقد أرسلتُ إليك وإلى من قِبلك[1] جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة . فبايعْ ولا قوة إلا بالله » .

خطبة جرير عند معاوية

فلما قرأ الكتاب قام جرير فقال :

الحمد لله المحمود بالعوائد[2] ، المأمول منه الزوائد ، المرتجَى منه الثواب المستعان على النوائب . أَحمده وأَستعينه فى الأُمور التى تَحَيَّرُ دونها الأَلباب ، وتضمحلُّ عندها الأَسْباب[3] . وأَشهد أَلاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شىءٍ هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بعد الفترة ، وبعد الرسل الماضية[4] والقرون الخالية[5] ، والأَبدان البالية ، والجبلَّة الطاغية ، فبلَّغ الرسالة ، ونصح الأُمَّة ، وأَدَّى الحق الذى استودعه الله وأَمره بأَدائه إلى أُمّته . صلى الله عليه وسلم من مُبتَعثٍ ومنتجب[6] .

ثم قال : أَيها الناس ، إن أَمر عثمان قد أَعيا من شهده ، فما ظنُّكم بمن غاب عنه . وإن الناس بايعوا عليًّا غير واترٍ ولا موتور ، وكان طلحة والزبير ممَّن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدَث . أَلا وإنَّ هذا الدِّين

---

(١) كلمة : « وإلى من قبلك » ساقطة من ح .

(٢) العوائد : جمع عائدة ، وهى المعروف ، والصلة ، والفضل .

(٣) الأسباب : جمع سبب ، وهو كل ما يتوصل به إلى غيره . وفى الأصل : « الأرباب » ولا وجه له . وهذه الجملة ساقطة من ح .

(٤) ح : « بعد فترة من الرسل الماضية » .

(٥) الكلام بعد هذه الكلمة إلى : « الطاغية » ليس فى ح .

(٦) منتجب ، بالجيم : مختار . وانظر ما سبق فى ص ١٠ . ح : « من رسول ومبتعث ومنتخب » .

لا يحتمل الفتن. ألا وإن العرب لا تحتمل السيف[1] . وقد كانت بالبصرة أمسِ مَلحمةٌ إن يشفع البلاءُ بمثلها فلا بقاء للناس . وقد بايعتِ العامَّة[2] عليًّا . ولو ملكنا الله أُمورنا[3] لم نختر لها غيره ، ومن خالف هذا استَعْتَب[4] . فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس . فإن قلت : استعملَنى عثمان ثم لم يعزلنى ، فإن هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين ، وكان لكل امرئٍ ما فى يديه . ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاة حقَّ الأَول ، وجعل تلك أُموراً موطَّأَة ، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً .

[ثم قعد] ، فقال معاوية : انظُرْ ونَنظُر ، واستطلعْ رأى أَهل الشام.

خطبة معاوية

فلما فرغ جرير من خطبته أَمر معاوية[5] منادياً فنادى : الصلاة جامعة . فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال :

الحمد لله الذى جعل الدعائم للإسلام أَركاناً ، والشرائع للإيمان برهاناً ، يتوقَّد قَبَسُه[6] فى الأَرض المقدَّسة التى جعلها الله محلَّ الأَنبياء والصالحين من عباده ، فأَحلَّها أَهل الشام[7] ، ورضيهم لها ورضيها لهم ، لما سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءَه والقُوَّامَ بأَمره ،

---

(١) ما بعد : « الفتن » إلى هنا ليس فى ح .

(٢) ح : « الأمة » .

(٣) ح : « ولو ملكنا الله الأمور » .

(٤) استعتب : استقال مما فرط منه .

(٥) بدلها فى ح : « فمضت أيام وأمر معاوية » .

(٦) القبس : النار ، أو الشعلة منها . وفى الأصل : « قابسه » صوابه من ح .

(٧) أى أحل الأرض المقدسة أهل الشام . وفى ح : « فأحلهم أرض الشام » . وما فى الأصل أولى وأقوى .

والذَّابِّين عن دينه وحُرماته . ثم جعلهم لهذه الأُمَّة نظاماً ، وفى سبيل الخيرات أعلاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم أُلفة المؤمنين . واللهَ نستعينُ على ما تشعَّب من أَمر المسلمين بعد الالتئام ، وتباعَدَ بعد القرب ، اللهم انصرنا على أَقوامٍ يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمِنَنا ، ويريدون هِرَاقة دمائنا[1] ، وإخافةَ سبيلنا . وقد يعلم الله أَنا لم نُرِدْ بهم عقاباً[2] ، ولا نهتك لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زَلَقاً . غير أَن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزِعَه طوعاً ما جاوبَ الصَّدى ، وسقط النَّدى وعُرِف الهدى . حملَهم على خلافنا البغْىُ والحسد ، فاللهَ نستعين عليهم[3] . أَيها الناس ، قد علمتُم أَنِّى خليفة أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأَنى خليفة عثمان بن عفان عليكم[4] ، وأَنِّى لم أُقِم رجلاً منكم على خَزَايَةٍ قطُّ[5] ، وأَنِّى ولىُّ عثمان وقد قُتِل مظلوماً . والله يقول : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ وأَنا أُحبُّ أَن تُعلِمُونى ذاتَ أَنفسِكم فى قَتْل عُثمان » .

مبايعة أهل الشام معاوية على الطلب بدم عثمان

فقام أَهل الشام بأَجمعهم فأَجابوا إلى الطلب بدم عثمان[6] ، وبايعوه على ذلك ، وأَوثقوا له على أَن يبذُلوا أَنفسَهم وأَموالهم أَو يُدرِكوا بثأْره ، أَو يفْنِىَ الله أَرواحهم[7] . فلما أَمسى معاوية وكان قد اغتمَّ بما هو فيه ،

---

(١) الهراقة ، بكسر الهاء : الإراقة ، كما فى نص القاموس . وضبطت فى اللسان ضبط قلم مرة بالكسرة ومرة بالفتح ، والأخيرة ليست من الصواب .
(٢) ح : « لا نريد لهم عقاباً » .
(٣) ح : « حملهم على ذلك البغى والحسد فنستعين الله عليهم » .
(٤) ح : « وأمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم » .
(٥) الخزاية ، بالفتح : الاستحياء . أراد عملا ما يستحيا منه .
(٦) فى الأصل : « إلى دم عثمان » ، وأثبت ما فى ح .
(٧) فى الأصل : « يغنى » ، بالغين المعجمة ، تحريف . وفى ح : « أو تلحق أرواحهم بالله » .

قال نصر : فحدثنى محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال : لما جَنَّ معاويةَ اللَّيلُ واغتمَّ وعنده أَهل بيته ، قال :

قصيدة لمعاوية

تطاوَلَ ليلى واعترتنى وساوسى لِآتٍ أَتى بالتُّرَّهَاتِ البَسابسِ[1]

أَتانا جريرٌ والحوادثُ جَمَّةٌ بتلك التى فيها اجتداع المعاطِسِ[2]

أُكابده والسيف بينى وبينه ولستُ لأَثواب الدَّنِىِّ بلابسِ[3]

إن الشَّامُ أَعطتْ طاعةً يمنيَّةً تواصفها أَشياخها فى المجالسِ

فإن يُجمِعوا أَصدِمْ عليًّا بجبهةٍ[4] تفتُّ عليه كلَّ رطبٍ ويابِسِ

وإِنِّى لأَرجو خيرَ ما نال نائلٌ وما أَنا من مُلْكِ العراق بآيسِ

وإلاَّ يكونوا عند ظنِّى بنصرهم وإن يخلفوا ظنى كف عابس[5]

حديثه مع جرير وعتبة

نصر ، قال : حدثنى محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى قال : واستحثه جرير بالبيعة ، فقال : يا جرير ، إنَّها ليست بخلسة ، وإنه أمرٌ له ما بعده ، فأَبلِغْنى ريقى حتى أَنظر . ودعا ثقاته فقال له عتبة ابن أَبى سفيان — وكان نظيره — : اجتمعنَّ على هذا الأَمر بعمرو بن العاص ، وأَثمِنْ له بدينه فإِنَّه من قد عرفت ، وقد اعتزل أَمر عثمان فى حياته ، وهو لأَمرك أَشدُّ اعتزالاً إن ير فرصة[6] .

---

(١) الترهات البسابس : الباطل . وربما قالوا ترهات البسابس ، بالإضافة .

(٢) اجتداع المعاطس : أى قطع الأنوف ، وذلك علامة الإذلال .

(٣) أكابده : من قولهم كابد الأمر مكابدة وكباداً : قاساه . ح : « أكايده » بالمثناة التحتية . وفى اللسان : « وكل شىء تعالجه فأنت تكيده » .

(٤) قال ابن أبى الحديد : « الجبهة ههنا الخيل » . وقال ابن منظور : « الجبهة الخيل لا يفرد لها واحد » .

(٥) كذا ورد البيت فى الأصل . وهو ساقط من ح .

(٦) ح : « أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه » .

نصر ، عن عمر بن سعد ومحمد بن عبيد الله قالا : كتب معاوية إلى عمرو وهو بالبيع[1] من فلسطين : « أما بعد فإنّه كان من أمر علىّ وطلحة والزبير ما قد بلغك . وقد سقط إلينا مروان بن الحكم فى رافضةِ أهل البصرة[2] ، وقدم علينا جرير بن عبد الله فى بيعة علىّ ، وقد حبستُ نفسى عليك حتى تأْتينى . أقبِلْ أُذاكرْك أمراً[3] » .

قال : فلما قرئ الكتاب على عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمداً فقال : ابنىَّ ، ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم قُبض وهو عنك راض ، والخليفتان من بعده ، وقتل عثمان وأنت عنه غائب . فقرَّ فى منزلك فلستَ مجعولاً خليفة ، ولا تريد أن تكون[4] حاشيةً لمعاوية عَلَى دنيا قليلة ، أوشَكَ أن تَهْلِك فتشقَى فيها[5] . وقال محمد : أرى أنَّك شيخُ قريش وصاحبُ أمرها ، وإن تَصَرّم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ[6] تصاغَرَ أمرك ، فالحقْ بجماعة أهل الشام فكن يداً من أياديها ، واطلبْ بدم عثمان ، فإنَّك قد استنمت فيه إلى بَنِى أمية[7] . فقال عمرو : أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى

(١) كذا فى الأصل .

(٢) ح (١ : ١٣٦) : « فى نفر من أهل البصرة » .

(٣) ح : « إذاكرك أموراً لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله » .

(٤) ح : « ولا تزيد على أن تكون حاشية » .

(٥) ح : « أوشكتما أن تهلكا فتساويا فى عقابها » .

(٦) ح : « غافل » .

(٧) استنام : سكن . وفى الأصل : « استلمت » ، وفى ح : « فإنه سيقوم بذلك بنوأمية » .

ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتَني بما هو خيرٌ لي في دنياي ، وأنا ناظرٌ فيه . فلما جنَّه الليل رفع صوته وأهله ينظرون[1] إليه فقال :

قصيدة لعمرو

تطـاوَلَ ليلي للهمـوم الطوارقِ ... وخَوْلَ التي تجلو وُجوهَ العواتقِ[2]

وإنَّ ابنَ هنـدٍ سـائلي أن أزورَه ... وتلك التي فيها بناتُ البوائقِ[3]

أتـاه جـريرٌ من عـليٍّ بخُطةٍ ... أمَرَّت عليه العيشَ ذاتِ مَضائقِ

فـإن نـال مـني ما يؤمِّـل ردّه ... وإن لم ينلْه ذلّ ذُلَّ المُطابِقِ[4]

فوالله ما أدرى وما كنت هكذا ... أكون ، ومهما قادني فهو سابقي[5]

أُخـادعُه إن الخـداع دنيَّـةٌ ... أم اعطيهِ من نفسي نصيحةَوامق

أوَ اقعدُ في بيتي وفي ذاك راحـةٌ ... لشيخ يخاف الموت في كلِّ شارقِ

وقـد قال عبدُ الله قولاً تَعلَّقتْ ... به النفسُ إن لم يعتلقني عوائقي[6]

وخالفـه فيـه أخـوه محمدٌ ... وإنّي لصُلب العُودعندالحقائقِ[7]

حديثه مع وردان

فقال عبد الله : ترحَّلَ الشيخ[8] . قال : ودعا عمرو غلاماً له يقال له وَردان ، وكان داهياً مارداً ، فقال : ارحَل يا وردان . ثم قال : حُطَّ

---

(١) ح : « وأهله يسمعون » .

(٢) خول : ترخيم خولة لغير نداء ، وهي من أعلامهن . والعاتق : الشابة أول ما تدرك .

(٣) البوائق : الدواهي ، جمع بائقة . ح : « سألني أن أزوره » .

(٤) المطابق من المطابقة ، وهي المشي في القيد .

(٥) ح : « فهو سابقي » .

(٦) ح : « تقتطعني عوائقي » .

(٧) الحقيقة : ما يحق على المرء أن يحميه .

(٨) ترحل : ارتحل . أراد أنه استعد للرحيل إلى الدار الآخرة . ح : « رحل الشيخ » .

ياوردان [ثم قال : ارحل يا وردان ، احطط يا وردان[1]] . فقال له وردان : خلطتَ أبا عبد الله ، أَمَا إنَّك إن شئتَ أنبأْتُك بما نفسك . قال : هاتِ ويحك . قال : اعتركَتِ الدُّنيا والآخرةُ على قلبك ، فقلتَ : علىٌّ معه الآخرة فى غير دنيا ، وفى الآخرة عوضُ الدنيا ؛ ومعاويةُ معه الدنيا بغير آخرة ، وليس فى الدنيا عوضٌ من الآخرة ، فأنت واقفٌ بينهما . قال : فإنَّك والله[2] ما أخطأْتَ ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم فى بيتك ، فإنْ ظهر أهل الدين عشت [فى] عفو دينهم[3] وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك . قال : آلآن لما شهدتِ العربُ مسيرى إلى معاوية[4] ؟ فارتحل وهو يقول :

شعر لعمرو ابن العاص

يا قاتَل الله وَردانـاً وقِدْحتَـه ... أبدى لعمرك ما فى النفسِ وردانُ[5]

لمَّـا تعرَّضتِ الدُّنيـا عَرضتُ لهـا ... بحرص نفسى وفى الأَطباع إدهان[6]

نفس تعفُّ وأُخرى الحرص يغلبها[7] ... والمرءُ يأْكل تبنـاً وهو غـرثانُ

أما علىٌّ فدِينٌ ليس يَشْرَكُـه ... دُنيَا وذاك له دُنيا وسُلطـانُ

فاخترتُ من طمعى دُنيا على بَصرٍ ... وما معى بالذى أختـارُ برهـانُ

إنِّى لأَعـرف مـا فيهـا وأُبصرهَ ... وفىَّ أَيضـاً لمـا أهـواه أَلـوانُ

لكنَّ نفسى تحب العيشَ فى شرفٍ ... وليس يرضى بذُلِّ العيشِ إنسانُ

أمـرٌ لعمـر أبيـكم غير مشتبِهٍ ... والمـرءُ يعطس والوسنـان وسنانُ

---

(١) التكملة من ح والإمامة والسياسة (١ : ٨٣) .
(٢) ح : « قاتلك الله » .
(٣) العفو : الفضل . وكلمة : « فى » ليست فى الأصل ، وهى ثابتة فى ح .
(٤) فى الإمامة والسياسة : « الآن حين شهرتنى العرب بمسيرى إلى معاوية » .
(٥) فى الأصل : « ومزحته » ، صوابه من ح واللسان (قدح) . والقدحة ، بالكسر من قولهم اقتدح الأمر : دبره ونظر فيه .
(٦) الإدهان : المصانعة والغش واللين .
(٧) فى الأصل : « يقلبها » ، والصواب من ح .

مسير عمرو إلى معاوية

فسار حتّى قدم إلى معاوية وعرف حاجةَ معاوية إليه ، فباعدهُ [من نفسه] ، وكايد كلٌّ واحد منهما صاحبه ، فلمّا دخل عليه قال : يا أبا عبد الله ، طرقَتْنا فى ليلتنا هذه ثلاثةُ أخبارٍ ليس منها وِردٌ ولا صدَر . قال : وما ذاك ؟ قال : ذاك أنَّ محمد بن أبى حذيفة قد كسر سجنَ مِصر فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين . ومنها : أن قيصر زحف بجماعةِ الروم إلىَّ ليتغلب عَلَى الشام . ومنها : أنَّ عليًّا نزل الكوفة متهيِّئاً للمسير إلينا . قال : ليس كلُّ ما ذكرت عظيماً . أما ابن أبى حُذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج فى أشباهه أنْ تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأْتيك به ؛ وإن فاتك لا يضرُّك . وأما قيصر فأَهدِ له من وُصفاء الروم ووصائِفِها ، وآنية الذهب والفضة ، وسَلْهُ الموادعة ؛ فإنَّه إليها سريع . وأما علىٌّ فلا والله يا معاوية ما تسوِّى[1] العربُ بينك وبينه فى شىءٍ من الأَشياء ، وإن له فى الحرب لَحَظّاً[2] ما هو لأَحدٍ من قريش ، وإنه لصاحبُ ما هو فيه إلّا أن تظلِمَه .

حديث عمرو مع معاوية

نصر : عمر بن سعد بإسناده قال : قال معاوية لعمرو : يا أبا عبد الله ، إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربَّه وقتل الخليفة[3] وأظهر الفتنة ، وفرَّق الجماعة ، وقطع الرَّحم . قال عمرو : إلى من ؟ قال : إلى جهاد علىّ ، قال : فقال عمرو : والله يا معاوية ما أنتَ وعلىٌّ بِعكْمَىْ بَعير[4] ، مالك هِجرته ولا سابِقَتُه ، ولا صحبتُه ولا جهاده ،

(١) فى الأصل : « تستوى » ، والوجه ما أثبت .

(٢) وقد تقرأ : « لحظا » باللام الداخلة على : « حظا » ، وانظر ما سيأتى فى كلام عمرو لمعاوية ص ٣٨ س ٢ .

(٣) يعنى عثمان بن عفان .

(٤) يقال : هما كعكمى البعير للرجلين يتساويان فى الشرف . والعكمان : عدلان يشدان على جانبى الهودج بثوب . وفى اللسان (١٥ : ٣٠٩) وأمثال الميدانى (٢ : ٢٨٩) والحيوان (٣ : ١٠) : « كعكمى عير » .

ولا فقهُه وعلمه . . والله إنَّ له من ذلك حَدًّا وجَدًّا[1] . وحَظًّا وحُظوة ، وبلاءً من الله حسناً ، فما تجعل لى إن شايعتُك على حربه ، وأنت تعلم ما فيه من الغَرَر والخَطَر ؟ قال : حكْمَك . قال : مصرَ طُعْمةً . قال : فتلكَّأ عليه معاوية .

قال نصر : وفى حديث غير عُمر قال : قال له معاوية : يا أبا عبد الله ، إنِّى أكره أن يتحدَّث العرب عنك أنَّك إنَّما دخلتَ فى هذا الأمر لعَرَضِ الدُّنيا . قال : دَعْنِى عنك . قال معاوية : إنِّى لو شئْت أن أمنِّيَك وأخدعَك لفعلتُ . قال عمرو : لا لعَمْرُ الله ، ما مثلى يُخدع ، لأَنا أكْيَس من ذلك . قال له معاوية : ادنُ منِّى برأسك أسارّك . قال : فدنا منه عمرٌو يسارُّه ، فعضَّ معاويةُ أذنه وقال : هذه خدعة ، هل ترى فى بيتك أحداً غيرى وغيرك[2] ؟

ثم رجع إلى حديث عُمرَ[3] ، قال : فأنشأ عمرٌو يقول[4] :

---

(١) الحد : الحدة والنشاط والسرعة فى الأمور والمضاء فيها . والجد ، بفتح الجيم : الحظ . وبالكسر : الاجتهاد . وفى الأصل : « وحدوداً » ولا وجه له . وفى ح : « ووالله إن له مع ذلك لحظا فى الحرب ليس لأحد من غيره ، ولكنى قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاء جميلا » .

(٢) قال ابن أبى الحديد بعد هذا : « قلت : قال شيخنا أبو القاسم البلخى رحمه الله تعالى : قول عمرو له : دعنا عنك ، كناية عن الإلحاد بل تصريح به . أى دع هذا الكلام الذى لا أصل له فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات . قال رحمه الله : وما زال عمرو ابن العاص ملحداً ما تردد قط فى الإلحاد والزندقة ، وكان معاوية مثله . ويكفى من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروى ، وأن معاوية عض أذن عمرو . أين هذا من أخلاق على عليه السلام وشدته فى ذات الله ، وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة » .

(٣) يعنى عمر بن سعد الراوى .

(٤) فى الأصل : « فأنشأ وهو يقول » ، صوابه فى ح .

شعر لعمرو

معاوىَ لا أُعطيك دِينى ولم أنَلْ بذلك دُنيا[1] فانظرَنْ كيف تصنعُ

فإن تُعطِنى مصراً فأَرْبحْ بصفقةٍ أخذتَ بها شيخاً يضرُّ وينفعُ

وما الدِّين والدُّنيا سواءٌ وإنَّنى لآخُذُ ما تُعطِى ورأسىَ مُقنَعُ

ولكنَّنى أُغضِى الجفونَ وإنَّنى لأَخدعُ نفسى والمخادِعُ يُخدَعُ

وأُعطيك أَمراً فيه للملك قوَّةٌ وإنِّى به إن زلَّت النَّعل أَصْرَعُ[2]

وتمنعنى مصراً وليستْ بِرَغبة[3] وإنى بذا الممنوعِ قِدْماً لمولعُ

قال : أَبا عبد الله ، أَلم تعلم أَن مصراً مثل العراق ؟ قال : بلى ، ولكنها إنما تكون لى إذا كانت لك ، وإنما تكون لك إذا غلبت عليًّا على العراق . وقد كان أَهلها بعثوا بطاعتهم إلى علىّ . قال : فدخلِ عتبة بن أَبى سفيان فقال : أَما ترضى أَن تشترى عمراً بمصر إن هى صفتْ لك . فليتك لا تُغلَب على الشام . فقال معاوية : يا عتبة ، بتْ عندنا الليلة . قال : فلما جَنَّ على عتبة الليلُ رفع صوتَه ليُسمع معاوية ، وقال :

قصيدة لعتبة

أَيها المانع سيفاً لم يهزّْ إنما ملت على خزٍّ وقزّْ[4]

---

(١) ح (١ : ١٣٧) : « ولم أنل به منك دنيا » .

(٢) ح : « وأنى به أن زلت النعل أصرع » .

(٣) فى الأصل : « ولست نزعته » ، والصواب من ح . قال ابن أبى الحديد تعليقاً على هذا البيت : « قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ : كانت مصر فى نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذى فتحها فى سنة تسع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر ، فكان لعظمها فى نفسه وجلالتها فى صدره وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه » .

(٤) القز من الثياب أعجمى معرب ، وهو الذى يسوى منه الابريسم . وفى الأصل : « بز » والبز : الثياب ، أو ضرب منها . وأثبت ما فى ح .

إنمـــا أنت خــروف ماثل[1] بين ضَرْعَين وصوفٍ لم يجزْ
أعط عمــراً إن عمــراً تــارك دينه اليومَ لدنيا لم تُحَزْ[2]
يالك الخيرُ فخــذ مــن دَرِّه شخبةَ الأُولى وأبعــد ما غـرزْ
واسحب الذيل وبادر فُوقَها[3] وانتهـزها إن عمــراً يُنتَهــزْ
أعطــه مصــراً وزدهُ مثلَهـــا إنمـــا مصــرُ لمـن عــزَّ وبـزّْ
واترك الحــرص عليهــا ضَلَّـةً واشبُب النار لمقرور يُكَزّْ[4]
إن مصــراً لعــلِيٍّ أَوْ لَنَـــا يُغلَبُ اليومَ عليها مَن عَجَزْ[5]

إعطاء معاوية مصر لعمرو

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو وأعطاها إياه . قال : فقال له عمرو : ولى الله عليك بذلك شاهد ؟ قال له معاوية : نعم لك الله علىَّ بذلك ، لئن فتح الله علينا الكوفة . قال عمرو : ﴿ واللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ . قال : فخرج عمرو ومَن عنده فقال له ابناه : ما صنعتَ ؟ قال : أعطانا مِصرَ [طعمة] . قالا : وما مصر فى ملك العرب ؟ قال : لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر . قال : فأعطاها إياه ، وكتب له كتاباً ، وكتب معاوية : « على أن لا ينقُضَ شرطٌ طاعةً » ، وكتب عمرو : « على ألا تنقض طاعةٌ شرطاً[6] » . وكايد كل واحد منهما صاحبه[7] .

---

(١) ماثل : قائم . وفى الأصل و ح : « مائل » .
(٢) فى الأصل : « لم تجز » ، والصواب من ح .
(٣) الفوق ، بالضم ، هنا : الطريق الأول .
(٤) الكزاز : داء يأخذ من شدة البرد وتعترى منه رعدة . وفى الأصل : « يكن » محرفة .
(٥) فى الأصل : « ولنا » وأثبت ما فى ح . وفى الأصل : « من عجن » ، تحريف .
(٦) فى الأصل : « ولا ينقض طاعة شرطاً » وأثبت ما فى ح . وانظر الكامل للمبرد ١٨٤ ليبسك .
(٧) قال ابن أبى الحديد (١ : ١٣٨) : « تفسيره أن معاوية قال للكاتب اكتب على=

عمرو وابن عمه

وكان مع عمرٍو ابن عمٍّ له فتًى شابٌّ ، وكان داهياً حليماً[1] ، فلما جاء عمرٌو بالكتاب مسروراً عجِب الفتى وقال : ألا تخبرنى يا عمرو بأَىِّ رأْىٍ تعيشُ فى قريش ؟ أَعطيتَ دينَك ومُنِّيت دنيا غيرك . أترى أهل مصر — وهم قتلة عثمان — يدفعونها إلى معاوية وعلىٌّ حى ؟ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأْخذها بالحرف الذى قدَّمه فى الكتاب ؟ فقال عمرو : يا ابنَ الأَخ ، إن الأَمر لله دون علىٍّ ومعاوية . فقال الفتى فى ذلك شعراً :

ألا يا هنـــد أختَ بنى زياد ... دُهِى عمرٌو بداهيةِ البلادِ[2]
رُمِى عمــرٌو بأعــور عبشمىٍّ ... بعيـد القعـر مخشىِّ الكِيادِ[3]
له خُـدعٌ يحـار العقـلُ فيها ... مزخـرفةٌ صــوائدُ للفـؤادِ

= ألا ينقض شرط طاعة. يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء . وهذه مكايدة له ؛ لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع فى إعطائه مصراً ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتج عليه برجوعه عن إعطائه مصراً ؛ لأن مقتضى المشارطة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كانت مصر مسلمة إليه أو لا . فلما انتبه عمرو على هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك وقال : بل اكتب : على أن لا تنقض طاعة شرطاً. يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه . وهذا أيضاً مكايدة من عمرو لمعاوية ، ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر » .

(١) الحليم : ذو الأناة والعقل . وفى ح : « وكان لعمرو بن العاص ابن عم من بنى سهم أريب » . وفى الإمامة والسياسة : « وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر » . وانظر ما سيأتى فى س٦ هذه الصفحة من قوله : « يا ابن الأخ » وما سيأتى بعد القصيدة فى الصفحة التاليـة .

(٢) أراد : رمى ، فسكن آخره للشعر . وفى ح : « رمى » وكلاهما بالبناء للمفعول .

(٣) فى الأصل وح : « مخشى الكباد » ، وإنما يريد أنه يخشى كيده .

فشرَّطَ فى الكتاب عليه حرفاً | يناديه بخُدعته المنادِى
وأثبت مثلَه عمرٌو عليه | كِلاَ المرأين حيَّةُ بطنِ وادِ
ألا يا عمرو ما أحرزتَ مصراً | وما ملتَ الغداةَ إلى الرشادِ
وبعتَ الدين بالدُّنيا خَساراً | فأنت بذاك من شرِّ العبادِ
فلو كنتَ الغداةَ أخذتَ مصراً | ولكنْ دونها خَرطُ القَتادِ
وفدتَ إلى معاوية بن حرب | فكنتَ بها كوافدِ قوم عادِ
وأعطيتَ الذى أُعطيت منهُ | بِطِرسٍ فيه نضحٌ من مدادِ
ألم تعرف أبا حسنٍ عليًّا | وما نالت يداه من الأَعادِى
عدلت به معاويةَ بنَ حربٍ | فيا بُعْدَ البياضِ من السَّوادِ
ويا بُعدَ الأَصابعِ من سُهيلٍ | ويا بُعد الصَّلاح من الفسادِ
أتأْمن أن تراه على خِدَبٍّ | يحثُّ الخيل بالأَسَلِ الْحِدادِ[1]
ينادى بالنِّزال وأنت منه | بعيدٌ فانظرَنْ من ذا تعادِى

فقال عمرو : يا ابن أخى ، لو كنت مع علىٍّ وسعنى بيتى ، ولكِنِّى الآن مع معاوية[2] . فقال له الفتى : إنك إن لم ترد معاوية لم يردْك ، ولكنك تريد دنياه و [هو] يريد دينك . وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلىّ فحدثه بأَمر عمرو ومعاوية . قال : فسرّ ذلك عليًّا وقرَّبه . قال : وغضب مروان وقال : ما بالى لا أشترى كما اشترى عمرو ؟ قال : فقال له معاوية : إنما تبتاع الرجال لك . قال : فلما بلغ عليًّا ما صنعه معاوية وعمرو قال :

---

(١) الخدب : الضخم من كل شيء .
(٢) ح : « لو كنت عند على لوسعنى ، ولكنى الآن عنده » .

تصيدة لعلى فيما صنع معاوية وعمرو

ياعجباً لقد سمعتُ منكرًا كِذْباً على الله يُشيب الشَّعَرَا
يسترق السَّمْعَ ويغشى البصرَا ما كان يرضى أحمدُ لوْ خُيِّرا
أن يقرنوا وصِيَّه والأَبترا شانِى الرَّسولِ واللَّعينَ الأَخْزَرا (١)
كلاهما فى جُندِه قد عسكرا قد باع هذا دينَه فأفجرا (٢)
مِنْ ذا بدنيا بيْعَهُ قد خَسِرا بملك مصر أنْ أصابَ الظَّفَرا (٣)
إنى إذا الموت دنا وحضَرا شمَّرت ثَوبى ودعوت قَنْبَرَا (٤)
قدِّمْ لوائى لا تؤخِّرْ حذَرا لن يدفع الْحِذارُ ما قد قُدِّرا (٥)
لما رأيت الموت موتاً أحمرَا عبَّأْتُ همْدانَ وعَبَّوْا حِمْيَرَا
حىٌّ يمانٍ يُعظِمُون الخَطَرا قِرنٌ إذا ناطَحَ قِرناً كَسَرا
قل لابن حرب لاتَدِبَّ الْخَمَرا (٦) أَرْوِدْ قليلاً أُبْدِ منك الضجرا
لا تحسبَنِّى يا ابنَ حرب غَمَرا (٧) وسَلْ بنا بدراً معاً وخَيبرَا

---

(١) يعنى بالأبتر العاص بن وائل ، والد عمرو بن العاص ، وفيه نزل قول الله : (إن شانئك هو الأبتر) . وبالأخزر عمرو بن العاص ، وكأنه كان أخزر ينظر بمؤخر عينيه .

(٢) أفجر : كذب ، أو عصى ، أو كفر . ومثله فجر .

(٣) ح : « بيعة قد خسرا » .

(٤) قنبر بفتح القاف والباء: مولى على . وإليه ينسب المحدثان: العباس بن الحسن، وأحمد ابن بشر القنبريان .

(٥) الحذار : الحذر . وفى الأصل : « لن ينفع » ، صوابه فى ح .

(٦) الخمر ، بفتح الخاء المعجمة والميم : ما واراك من الشجر والجبال ونحوها . والدبيب : المشى على هينة . يقال للرجل إذا ختل صاحبه : هو يدب له الضراء ، ويمشى له الخمر . وفى الأصل : « لا ندب الحمرا » والكلمتان محرفتان ، والصواب فى ح . والإرواد : الإمهال .

(٧) الغمر ، بتثليث أوله وبفتح أوله وثانيه : من لم يجرب الأمور . وفى الأصل : « عمراً » ، محرف .

كانت قريشٌ يوم بدر جَزَرا[1] إذ وردُوا الأَمر فذمُّوا الصَّدَرا
لو أن عندى يابن حربٍ جعفرًا أَو حمزةَ القَرْمَ الهُمامَ الأَزهرا
رأَتْ قريشٌ نجمَ ليلٍ ظُهُرا

مشورة عمرو لمعاوية

نصر : محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى قال : لمَّا باتَ عمرو عند معاوية وأَصبح، أعطاه مِصْر طعمة له ، وكتب له بها كتاباً وقال : ما ترى ؟ قال : أَمْضِ الرأْى الأَوّل . فبعث مالكَ بن هبيرة الكندىّ فى طلب [محمد] بن أَبى حذيفة فأَدركه فقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه . ثم قال : ما ترى فى علىّ ؟ قال : أَرى فيه خيراً ، أَتاك فى هذه البيعة خير أَهل العراق ، ومن عند خير الناس فى أَنفس الناس ، ودعواك أَهلَ الشام إلى ردِّ هذه البيعة خطر شديد ، ورأْس أَهل الشام شُرحبيل بن السِّمط الكندىّ ، وهو عدوٌّ لجرير المرسَل إليك، فأَرسل إليه ووطِّن له ثقاتِك فليُفْشوا فى الناس أَنَّ عليًّا قتَل عثمان، وليكونوا أَهل الرضا عند شُرحبيل ؛ فإنها كلمةٌ جامعة لك أَهلَ الشام على ما تحبّ ، وإن تعلقتْ بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشىء أَبدا[2] .

كتاب معاوية إلى شرحبيل

فكتب إلى شرحبيل : « إن جرير بن عبدالله قدِم علينا من عند علىّ بن أَبى طالب بأَمرٍ فظيع ، فاقدَم » . ودعا معاويةُ يزيد بن أَسد ، وبُسر بن أَرطاة ، وعَمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحارث الزبيدى ، وحمزة بن مالك ، وحابسَ بن سعد الطائى – وهؤلاء رءُوس قحطان واليمن ، وكانوا ثقاتِ معاوية وخاصَّتَه – وبنى عمِّ شرحبيل بن السمط فأَمرهم أَن يلقَوه ويخبروه أَن عليًّا قتل عثمان . فلما قدم كتاب معاوية

استشارة شرحبيل اهل اليمن

(١) الجزر بفتحتين : اللحم الذى تأكله السباع ، يقال تركوهم جزراً إذا قتلوهم .
(٢) فى الأصل : « وإن تعلق بقلبه لم يخرجه شىء أبداً » ، وأثبت الصواب من ح .

على شُرحبيل وهو بحمص استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه ، فقام إليه عبد الرحمن بن غَنْم الأَزدى ، وهو صاحب مُعاذ بن جَبل وختنه[(1)] ، وكان أفقه أهل الشام ، فقال : يا شُرحبيل بن السمط ، إن الله لم يزلْ يزيدك خيراً منذْ هاجرت إلى اليوم ، وإنّه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس ، ولا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم . إنه قد أُلقِىَ إلينا قتل عثمان ، وأنَّ علياً قتل عثمان[(2)] ، فإن يك قتَله فقد بايعه المهاجرون والأنصار ، وهم الحكَّام على الناس ، وإن لم يكن قتله فعلامَ تصدِّق معاوية عليه ؟ لا تُهلكْ نفسَك وقومك . فإن كرهتَ أن يذهب بحظِّها جريرٌ فسر إلى عَلِىٍّ فبايعه على شامك وقومك[(3)] . فأَبى شُرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية ، فبعث إليه عياضٌ الثُّمالى[(4)] ، وكان ناسكاً :

قصيدة عياض الثمالى

ياشُرْحُ يا ابن السِّمط إنَّك بالغٌ	بودّ علىٍّ ما تريد من الأَمرِ[(5)]
ويا شُرحُ إنْ الشَّـام شامُك ما بها	سِواك فدع قولَ المضلَّل من فهرِ
فإن ابنَ حرب ناصبٌ لك خُدعةً	تكون علينا مثل راغية البَكْرِ[(6)]

(١) عبد الرحمن بن غنم ، أحد الرجال المختلف فى صحبتهم للرسول . ومات سنة ٧٨ . انظر الإصابة ٥١٧٣ و ٦٣٧١ . فى الأصل : « وحنثه » وإنما هى « وختنه » كما جاء فى ح .

(٢) بدلها فى ح : « إنه قد ألقى إلى معاوية أن علياً قتل عثمان ، ولهذا يريدك » .

(٣) ح : « عن شامك وقومك » .

(٤) الثمالى : نسبة إلى ثمالة ، بطن من بطونهم . وفى الأصل : « اليمانى » صوابه فى ح ومعجم المرزبانى ٢٦٩ . قال المرزبانى : « شامى . يقول لشرحبيل بن السمط لما بويع معاوية . . . » وأنشد بعض أبيات القصيدة التالية .

(٥) شرح : مرخم شرحبيل ، وهذا بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء ، ولكنه سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « شرخ » بالخاء ، صوابه فى ح .

(٦) الراعية : الرغاء . والبكر ، بالفتح : ولد الناقة . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٧٨) .. وهذا مثل يضرب فى التشاؤم ، يشار به إلى ما كان من رغاء بكر ثمود حين عقر قدار ناقة صالح فأصاب ثمود ما أصاب . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ والمفضليات (٢ : ١٩٥ طبع المعارف) .

فإن نال ما يرجو بنا كان ملكُنا | هنيئاً له ، والحربُ قاصمةُ الظَّهرِ
فلا تبغِينْ حربَ العراق فإنها | تحرِّم أطهارَ النِّساءِ من الذُّعر
وإن عليًّا خيرُ من وطئ الحصى | من الهاشميِّين المَداريكِ للوِتْرِ [1]
له فى رقاب الناس عهدٌ وذمَّةٌ | كعهدِ أبى حفصٍ وعهدِ أبى بكرِ
فبايعْ ولا تَرجع على العَقْبِ كافراً | أُعيذُك باللهِ العزيزِ من الكفرِ [2]
ولا تسمَعَن قول الطَّغامِ فإنما | يريدونَ أن يُلقوك فى لُجَّة البحرِ
وماذا عليهم أن تطاعِن دونهم | عليًّا بأطرافِ المثقَّفة السُّمرِ
فإن غَلبوا كانوا علينا أئمَّةً | وكنَّا بحمد الله من ولد الظَّهْرِ [3]
وإن غُلبوا لم يَصْلَ بالحرب غيرُنا | وكان علىٌّ حرْبَنا آخرَ الدَّهرِ
يهُون على عُليا لؤىٍّ بن غالب | دِماءُ بنى قحطان فى ملكهم تجرِى
فدع عنك عثمان بن عفان إنَّنا ، | لك الخير ، لاندرى وإنك لاتدرِى
على أى حال كان مصرع جنبه | فلا تسمعن قول الأُعَيْورِ أو عمرِو

مصانعة معاوية لشرحبيل

نصر بن مزاحم ، فى حديث محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى قال : لمَّا قدم شرحبيل على معاوية تلقَّاه الناس فأعظموه ، ودخل على معاوية فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا شرحبيل ، إن جرير ابن عبد الله يدعونا إلى بيعة علىّ ، وعلىٌّ خير الناس لولا أنَّه قتل عثمان

---

(١) المداريك : المدركون ، جمع مدراك . والوتر ، بالكسر : الثأر والذحل .
(٢) على العقب ، فيه إشارة إلى قول الله : (يردوكم على أعقابكم) . وفى الأصل : «العقد» بالدال ، صوابه فى ح .
(٣) يقال فلان من ولد الظهر ، بالفتح : أى ليس منا . وقيل معناه أنه لا يلتفت إليه ، قال أرطاة بن سهية :
فمن مبلغ أبناء مرة أننا | وجدنا بنى البرصاء من ولد الظهر

ابن عفان ، و [قد] حبست نفسى عليك ، وإنما أنا رجلٌ من أهل الشام ، أرضى ما رضُوا ، وأكرَهُ ما كرِهُوا . فقال شرحبيل : أخرجُ فأنظر . فخرج فلقيه هؤلاءِ النفر الموطَّؤون له ، فكلُّهم يخبره بأن عليًّا قتل عثمان بن عفان . فخرج مغضَباً إلى معاوية فقال : يا معاوية ، أبَى الناس إلا أن عليًّا قتل عثمان ، ووالله لئن بايعتَ له لنخرجنَّك من الشام أو لنقتلنَّك . قال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ، وما أنا إلا رجلٌ من أهل الشّام . قال : فرُدَّ هذا الرجل إلى صاحبه إذًا . قال : فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته فى حرب أهل العراق ، وأن الشام كله مع شرحبيل[1] . فخرج شرحبيل فأتى حصين بن نمير فقال : ابعث إلى جرير [فليأتنا] . فبعث إليه حصين : أن زرْنا ، فإنَّ عندنا شرحبيل بن السمط . فاجتمعا عنده ، فتكلم شرحبيل فقال : يا جرير ، أتيتنا بأمرٍ ملفَّف[2] لِتُلقيَنا فى لَهَوات الأُسد ، وأردتَ أن تخلط الشام بالعراق ، وأطرأت عليًّا[3] وهو قاتل عثمان ، واللهُ سائِلُك عما قلتَ يوم القيامة . فأقبل عليه جرير فقال : يا شرحبيل ، أما قولك إنى جئت بأمرٍ ملفَّف فكيف يكون أمراً ملفَّفاً[4] وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، وقوتل على ردِّه طلحةُ والزبير . وأما قولك إنى ألقيتك فى لَهَوات الأُسد ففى لهواتها ألقيتَ نفسك . وأمَّا خلط العراق بالشام فخلطهما على حقٍّ خير من فرقتهما على باطل . وأمَّا قولك إن

لقاء جرير لشرحبيل

(١) إلى هنا ينتهى اقتباس ح فى (١ : ١٤٠) وينتقل إلى (١ : ٢٤٩) .

(٢) فى اللسان : « اللفف : ما لففوا من ها هنا وهاهنا ، كما يلفف الرجل شهادة الزور » . وفى اللسان أيضاً : « أحاديث ملفقة : أى أكاذيب مزخرفة » . ح : « ملفق » بالقاف فى آخره ، وهما وجهان صالحان كما رأيت .

(٣) قال ابن منظور : « أطرأ القوم : مدحهم ، نادرة ، والأعرف بالياء » ، ح : « أطريت » بالياء .

(٤) ح : « ملفقاً » بقاف بعد الفاء ، وانظر الحاشية الثانية من هذه الصفحة .

عليًّا قَتَل عثمان فوالله ما فى يديك من ذلك إلا القـذفُ بالغيب من مكانٍ بعيد[1] ؛ ولكنَّك ملتَ إلى الدنيا ، وشىءٌ كان فى نفسك على زمن سعد بن أبى وقاص.

كتاب جرير إلى شرحبيل

فبلغ معاويةَ قولُ الرجلين ، فبعث إلى جرير فزَجَره[2] ولم يدر ما أجابه أهل الشام ، وكتب جرير إلى شرحبيل[3] :

شُرَحْبيل يا ابن السِّمط لا تَتبع الهـوى
فما لك فى الدنيـا من الدِّين من بَدَلْ

وقل لابن حـربٍ مالك اليـوم حـرمةٌ
تروم بها ما رمتَ ، فاقطَعْ له الأَمَلْ[4]

شرحبيل إن الحـقَّ قـد جَدَّ جِـدُّهُ
وإنَّك مأْمـونُ الأَديـم من النَّغَـلْ

فأَرْوِدْ ولا تفـرُط بشىء نخـافُه
عليك ، ولا تعجَل فلا خَير فى العجَل[5]

ولا تك كالمجْرِى إلى شـرٍّ غـاية
فقد خُرق السِّربالُ واستنوَقَ الجمـلْ

وقـال ابنُ هنـدٍ فى عـلىٍّ عضيهـةً
وَلَلّهِ فى صـدر ابنَ أبى طـالبٍ أَجَـلّْ

ومـا لعـلىٍّ فى ابن عفَّـانَ سقطـةٌ
بأمرٍ ، ولا جَلْبٌ عليه ، ولا قَتَـلْ[6]

---

(١) انظر الآية ٥٣ من سورة سبأ وأقوال أصحاب التفسير فيها .

(٢) فى الأصل : « فزجوه » ، صوابه فى ح .

(٣) ح : « وكتب كتاب لا يعرف كتابه إلى شرحبيل يقول » .

(٤) ح : « ملك اليوم . . . فاقطع » .

(٥) الإرواد : الإمهال . والفرط : السبق .

(٦) ح : « ولا مالا عليه ولا قتل » . والمالأة : المساعدة والمعاونة .

وما كان إلا لازماً قعرَ بيته
إلى أن أتى عثمانَ فى بيته الأَجلْ
فمن قال قولاً غير هذا فحسبُه
من الزُّور والبهتان قولُ الذى احتمل[1]
وصىٌّ رسولِ الله من دون أهله
وفارسه الأَولى به يضرب المثل[2]

وقع كتاب جرير

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذُعِر وفكَّر . وقال : هذه نصيحةٌ لى فى دينى ودنياى . [و] لا والله لا أعجِّل فى هذا الأَمر بشىء وفى نفسى منه حاجة . فاستتر له القوم . ولفَّف له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون ، ويُعظمون عنده قتلَ عثمان ويرمون به عليًّا ، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلفة ، حتى أعادوا رأيه وشَحذوا عزمه ، وبلغ ذلك قومَه فبعث ابنُ أختٍ له من بارق ــ وكان يرى رأى على ابن أبى طالب فبايعه بعدُ ، وكان ممن لحق من أهل الشام ، وكان ناسكاً ــ فقال :

قصيدة البارقى

لعمر أبى الأَشقى ابنِ هندٍ لقد رمى
شُرَحبيلَ بالسَّهم الذى هو قاتلُه
ولفَّف قوماً يسحبون ذيولَهم
جميعاً وأولى النَّاسِ بالذنب فاعلُه
فألفى يمانيًّا ضعيفاً نُخَاعُه
إلى كل ما يهوَون تُحدَى رواحلُه
فَطاطَا لها لمَّا رموهُ بثِقلها
ولا يُرزقُ التَّقوى مَنِ الله خاذلُه
ليأُكل دُنيا لابنِ هند بدينِه[3]
أَلا وابنُ هندٍ قبل ذلك آكلُه

(١) أى الذى احتمله . ح : « بعض الذى احتمل » .
(٢) ح : « ومن باسمه فى فضله يضرب المثل » .
(٣) فى الأصل : « ليأكل به دنيا ابن هند » .

وقالوا علىٌّ فى ابن عفَّان ، خُدعةً ودبَّتْ إليه بالشَّنَان غوائلُه[1]
ولا والذى أرسى ثَبِيراً مكانَه لقد كُفَّ عنه كَفُّهُ ووسائلُه
وما كان إلا من صِحابِ محمد وكلُّهمُ تغلِي عليه مراجلُه

فلما بلغ شرحبيلَ هذا القول قال : هذا بَعيث الشيطان . الآن امتحنَ الله قلبي . والله لأسيِّرنَّ صاحبَ هذا الشعر أو ليفوتنَّنى . فهرب الفتى إلى الكوفة — وكان أصله منها — وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

كتاب معاوية إلى شرحبيل

نصر : محمد بن عبيد الله ، وعمر بن سعد بإسناده قال . وبعث معاوية إلى شرحبيل بن السمط فقال : « إنه كان من إجابتك الحق ، وما وقع فِيهِ أجرك على الله وقبله عنك صُلَحاءُ الناس . ما علمت ، وإن هذا الأمر الذى قد عرفته لا يتمّ إلا برضا العامَّة ؛ فسر فى مدائن الشام ، ونادِ فيهم بأن عليًّا قتل عثمان ، وأنَّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه » . فسار فبدأ بأهل حمص فقام خطيباً . وكان مأموناً فى أهل الشام ناسكاً متألِّهاً . فقال : « يا أيها الناس ، إن عليًّا قتل عثمان بن عفان ، وقد غضب له قومٌ فقتلهم ، وهزم الجميعَ وغلب على الأرض فلم يبقَ إلاَّ الشام . وهو واضعٌ سيفه على عاتقه ثم خائض به غِمار الموت[2] حتى يأْتيكم[3] أو يحدثَ الله أمراً ، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية ، فجدُّوا [وانهضوا] » . فأجابه الناس إلاَّ نسَّاك أهل حمص[4] ، فإنهم قاموا إليه فقالوا : بيوتنا قبورنا ومساجدنا ، وأنت أعلم بما ترى . وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتَّى استفرغها ،

خطبة شرحبيل

(١) الشنان ، كسحاب : لغة فى الشنآن ، وهو البغض . وأنشد للأحوص :
وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنان وفندا
(٢) ح : « غمرات الموت » .
(٣) فى الأصل : « بيكم » ، وإعجامه وإكماله من ح .
(٤) ح : « إلا نساكا من أهل حمص » .

لا يأتى على قوم إلاّ قبلوا ما أتاهم به ، فبعث إليه النجاشى بن الحارث[1] ، وكان صديقاً له :

كتاب النجاشى إلى شرحبيل

شرحبيلُ ما للدِّين فارقتَ أمرنا ... ولكن لبُغْض المالكىِّ جريرِ
وشحناءَ دَبَّتْ بين سعدٍ وبينَه ... فأصبحتَ كالحادى بغير بعيرِ
وماأنتَ ،إذ كانت بَجيلة عاتبت ... قريشاً فيالله بُعْدَ نصيرِ
أتفصل أمراً غبتَ عَنْهُ بشبهةٍ ... وقد حار فيها عقلُ كلِّ بصير
بقولِ رجالٍ لم يكونوا أئمةً ... ولا للّتى لقَّوكَها بحضورِ[2]
وما قول قوم غائبين تقاذفوا ... من الغَيب ما دَلاَّهُمُ بغرورِ
وتترك أنَّ الناسَ أعطَوا عهودَهم ... عليًّا على أُنسٍ به وسُرورِ
إذا قيل هاتوا واحداً تقتدونه ... نظيراً له لم يُفصِحُوا بنظير[3]
لعلك أن تشقى الغداة بحربه ... شرحبيل ما ما جئته بصغير[4]

دخول شرحبيل على معاوية

نصر : عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن عامر الشعبى ، أن شرحبيل بن السِّمط بن جبلة الكندى دخل على معاوية فقال : أنت عامل أمير المؤمنين وابن عمه ، ونحن المؤمنون ، فإن كنت رجلاً تجاهد عليًّا وقتلةَ عثمان حتى ندرك بثأرنا أو تفنى أرواحُنا استعملناك علينا ،

---

(١) وكذا ورد فى ح . والمعروف فى شعرائهم النجاشى الحارثى ، واسمه قيس بن عمرو ابن مالك ، من بنى الحارث بن كعب . وهو ممن حده أمير المؤمنين على بن أبى طالب لشربه الخمر . انظر الشعراء ٦٨ والخزانة (٤ : ٣٦٨) .

(٢) فى الأصل : « ولا بالتى لقوكها » ، والصواب من ح (١ : ٢٥٠) .

(٣) تقتدونه ، المعروف تعديته بالباء ، فقد عداه بتضمينه معنى تتبعونه ، وفى ح : « يقتدى به » .

(٤) أى ليس الذى جئته بصغير . وفى ح : « فليس الذى قد جئته بصغير » .

وإلا عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ، ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أو نهلك . فقال جرير : يا شرحبيل ، مهلا فإن الله قد حقن الدماء، ولَمَّ الشعث ، وجمع أمر الأمة ، ودنا من هذه الأمة سكون ؛ فإياك أن تفسد بين الناس ، وأمسِكْ عن هذا القول قبل أن يـ ـهر منك قول لا تستطيع رده . قال : لا والله لا أُسرُّه أبداً . ثم قام فتكلم ، فقال الناس : صدق صدق ، القول ما قال ، والرأى ما رأى . فأَيس جرير عند ذلك عن معاوية وعن عوام أهل الشام .

جرير وشرحبيل

معاوية وجرير

نصر ، عن محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى قال : كان معاوية أتى جريراً فى منزله فقال : يا جرير ، إنى قد رأيت رأياً . قال : هاته . قال : اكتب إلى صاحبك يجعل إلىَ الشام ومصر جباية ، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة فى عنقى ، واسلِّمُ له هذا الأمر ، وأكتب إليه بالخلافة . فقال جرير : اكتب بما أردت ، وأكتب معك . فكتب معاوية بذلك إلى علىّ فكتب علىٌّ إلى جرير :

كتاب على إلى جرير

« أما بعد فإنما أراد معاوية ألا يكون لى فى عنقه بيعة ، وأن يختار من أمره ما أحب ، وأراد أن يُريثَكَ حتى يذوق أهلَ الشام . وإن المغيرة ابن شعبة قد كان أشار علىَّ أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة ، فأَبيت ذلك عليه . ولم يكن الله ليرانى أتَّخذ المضلِّين عضُدا . فإن بايعك الرَّجل ، وإلا فأَقْبِل » .

كتاب الوليد إلى معاوية

وفشا كتاب معاوية فى العرب فبعث إليه الوليد بن عقبة :

مُعاوىَ إنَّ الشَّام شامُك فاعتصِمْ ... بشامك لا تُدْخِلْ عليك الأَفاعيا
وحامِ عليها بالقنابل والقنا ... ولاتك محشوشَ الذراعين وانيا[1]

---

(١) حام : أمر من المحاماة . والقنابل : الجماعة من الناس، الواحدة قنبلة وقنبلة بفتح =

وإن عليًّا ناظرٌ ما تجيبُهُ فأَهْد له حرباً تُشيب النَّواصيا
وإلَّا فَسَلِّم إنَّ فى السَّلْمِ راحةً لمن لا يريدالحربَ فاخترْ معاويا
وإنَّ كتاباً يا ابنَ حربٍ كتبتَه على طمع،يُزْجى إليك الدَّواهيا
سأَلتَ عليًّا فيه ما لنْ تنالَه ولو نلتَه لم يَبْقَ إلّا لياليا
وسوف ترى منه الذى ليس بعده بقاءٌ فلا تكثِر عليك الأَمانيا
أَمثلَ علىٍّ تعتريه بخُدْعةٍ وقد كان ماجرَّبتَ من قبلُ كافيا
ولو نَشِبت أَظفارُه فيك مرَّةً حَذَاك،ابنَهندٍ،منه ماكنتحاذيا[1]

قال : وكتب إليه أيضاً :

مُعاوىَ إنَّ الملك قد جُبَّ غاربُه وأَنت بما فى كفِّك اليوم صاحبُه
أَتاك كتابٌ من علىٍّ بخُطةٍ هى الفَصْلُ فاختر سَلْمه أَو تحاربُهْ
ولا ترجُ عند الواترينَ مودَّةً ولا تأْمن اليوم الذى أَنت راهبُهْ
فحاربْه إن حاربت حربَ ابنِ حُرَّةٍ وإلاَّ فسلِّم لا تدِبَّ عقاربُهْ[2]
فإن عليًّا غير ساحِب ذيلِه على خُدعة ماسَوَّغ الماءَ شاربُهْ[3]
ولا قابل ما لا يُريدُ وهذه يقوم بها يوماً عليك نوادبُهْ

= القاف والباء فيهما . ح : « بالصوارم » . محشوش ، فى اللسان : « حشت اليد وأحشت وهى محش : يبست ؛ وأكثر ذلك فى الشلل . وحكى عن يونس حشت على صيغة ما لم يسم فاعله » . وفى ح : « موهون الذراعين » .

(١) حذاه حذوا : أعطاه . والبيت لم يرو فى ح . وفى الأصل : « حداك » و « حاديا » بالدال المهملة ، تحريف .

(٢) فى الأصل و ح : « حر بن حرة » .

(٣) يقال ساغ الطعام والشراب وأساغه : إذا ألفاه سائغا سهل المدخل فى الحلق . ولم أجد هذه الصيغة من التضعيف فى المعاجم .

ولا تدعَنَّ الملكَ والأَمـرُ مقبلٌ وتطلبَ ما أعيَتْ عليك مذاهبُهْ
فإن كنتَ تنوِى أن تجيب كتابَهُ فقُبِّـح مُمليـه وقُبِّـحَ كاتبُـهْ
فألقِ إلى الحىِّ اليمـانينَ كِلْمَةً تنالُ بها الأمرَ الذى أنت طالبُهْ
تقـول : أميرُ المؤمنين أصـابهُ عدوٌّ ومالاهُـم عليـه أقاربُه(١)
أفانِينُ منهم قـاتلٌ ومحضِّضٌ بلا تِرَةٍ كـانت وآخرُ سالبُهْ
وكنت أميراً قبلُ بالشام فيـكم فحسبى وإياكم من الحقِ واجبُهْ(٢)
فجيئُوا ، ومن أرسَى ثَبِيرًا مكانَه نُدَافِعُ بحراً لا تُرَدُّ غواربُهْ(٣)
فأَقلِل وأكثر مالهـا اليومَ صاحبٌ سواك فصرّحْ لستَ ممن تواربـهْ

قال : فخرج جريرٌ يتجسَّس الأخبار ، فإذا هو بغلام يتغنَّى على قَعود له وهو يقول :

شعر ولد المغيرة ابن الأخنس

حُكَيمٌ وعَمّـار الشَّجَـا ومحمـدٌ وأشْتَرُ والمكشوحُ جرُّوا الدَّواهيا(٤)
وقد كـان فيهـا الزُّبير عجـاجةٌ وصاحبُه الأدنى أشابَ النواصيا(٥)

(١) المالأة : المعاونة والمساعدة . ويعنى بأمير المؤمنين عثمان .

(٢) فى الأصل : « فحبلى » ، صوابه فى ح .

(٣) فى الأصل و ح : « تجيبوا » تحريف . والغوارب : أعالى الموج . يستحلفهم بمن أرسى جبل ثبير فى مكانه أن ينهضوا لمعاونته على عدوه الكثير العدد .

(٤) حكيم ، بهيئة التصغير ، هو ابن جبلة بن حصن العبدي ، وكان من عمال عثمان على السند ثم البصرة . انظر مروج الذهب (١ : ٤٤٠) والإصابة ١٩٩١ . وعمار ، هو عمار ابن ياسر الصحابى . ومحمد ، هو ابن أبى بكر الصديق . انظر مروج الذهب (١ : ٤٤٠ - ٤٤٢). والأشتر : لقب مالك بن الحارث الشاعر التابعى ، وكان قد قدم فى نفر من أهل الكوفة . انظر المعارف ٨٤ . والمكشوح ، هو المرادى . وقد اختلف فى اسمه . انظر الإصابة ٧٣٠٧ .

(٥) يعنى بصاحبه الأدنى « الزبير بن العوام » . وقد قتل طلحة والزبير يوم الجمل .

فأما علىٌّ فاستغاث ببيته   فلا آمرٌ فيها ولم يكُ ناهيا
وقُلْ فى جميع الناس ماششتَ بعده   وإن قلتَ أخطا الناسُ لم تك خاطيا
وإن قلتَ عُمَّ القومُ فيه بفتنةٍ   فحسبك من ذاك الذى كان كافيا
فقولا لأصحاب النبىِّ محمدٍ   وخُصَّا الرجال الأقربين المواليا
أيُقتل عثمانُ بن عفّانَ وسْطكم   على غير شىءٍ ليس إلاَّ تماديا(١)
فلا نومَ حتى نستبيحَ حريمَكم   ونخضِبَ من أهل الشَّنَان العواليا(٢)

قال جرير : يا ابن أخى ، من أنت ؟ قال : أنا غلام من قريش وأصلى من ثقيف ، أنا ابن المغيرة بن الأخنس [بن شُريق] ، قتل أبى مع عثمان يومَ الدار . فعجب جرير من قوله وكتب بشعره إلى على(٣) ، فقال علىّ : والله ما أخطأ الغلام شيئاً .

إبطاء جرير عند معاوية

وفى حديث صالح بن صدقة قال : أبطأ جرير عند معاوية حتى اتّهمه الناس وقال علىٌّ : وقّتُّ لرسولى وقتاً لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً ! وأبطأ على علىّ حتى أيس منه .

كتاب على إلى جرير

وفى حديث محمدٍ وصالح بن صدقة قالا : وكتب علىٌّ إلى جرير بعد ذلك : « أمّا بعد فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل ، وخذه بالأمر الجزم ، ثم خيِّره بين حرب مُجْلية : أو سلم مُحْظية(٤) . فإن اختار الحرب فانبِذْ له(٥) ، وإن اختار السلم فخذْ بيعته » .

---

(١) ح : « إلا تعاميا » .
(٢) الشنان لغة فى الشنآن وهو البغض. انظر ما سبق فى ص ٥٠ . والعوالى : عوالى الرماح.
(٣) ح : « من شعره وقوله وكتب بذلك إلى على عليه السلام » .
(٤) ح : « مخزية » .
(٥) انظر التنبيه الثالث من ص ٢٨ .

كتاب معاوية إلى على

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب . فقال : [له] : يامعاوية ، إنَّه لا يُطبَع على قلبٍ إلا بذنب ، ولا يُشْرَحُ [صدرٌ] إلا بتوبة[1] ، ولا أظنُّ قلبك إلا مطبوعاً . أُراكَ قد وقفتَ بين الحقِّ والباطل كأنك تنتظر شيئاً فى يدَىْ غيرك » . فقال معاوية : « ألقاك بالفيْصل أوّلَ مجلسٍ إن شاء الله » . فلما بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال : « يا جرير الحقْ بصاحبك » . وكتب إليه بالحرب[2] . وكتب فى أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل :

قصيدة كعب ابن جعيل

أرى الشام تكره مُلكَ العراقِ ... وأهلُ العراق لها كارهونا[3]

وكــلٌّ لصــاحِبِهِ مبغِــضٌ ... يَرَى كلَّ ما كان مِن ذاك دِينــا

(١) فى الأصل : « ولا ينشرح إلا بتوبة » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) لم يذكر لنا نص رسالة معاوية ، وهى كما جاءت فى كامل المبرد ١٨٤ : « بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر إلى على بن أبى طالب . أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ، ولكن أغريت بعثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف . وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين . ولعمرى ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير ؛ لأنهما بايعاك ولم أبايعك . وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام . وأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه » . وقد روى هذه الرسالة صاحب الإمامة والسياسة (١ : ٨٧) وزاد بعد قوله : « كانت شورى بين المسلمين » هذا الكلام : « وقد كان أهل الحجاز أعلى الناس وفى أيديهم الحق ، فلما تركوه صار الحق فى أيدى أهل الشام » . وهذه العبارة الأخيرة توضح لنا السر فى ارتياب ابن أبى الحديد فى آخر الصفحة ٢٥٢ من الجزء الأول ، فى تمام الرواية التى رواها المبرد . وقال فى أول ٢٥٣ : « وما وجدنا هذا الكلام فى كتابه » . وها هو ذا الكلام بتمامه بين يدى القارئ .

(٣) ح (١ : ١٥٨) : « تكره أهل العراق * وأهل العراق لهم » . وفى كامل المبرد ١٨٤ : « تكره ملك العراق * وأهل العراق لهم » .

إذا مـا رمَـونا رمَينـاهم ودِنَّاهم مثـلَ ما يُقرِضُونا[1]
وقـالوا علىٌّ إمـامٌ لنـا فقلنـا رضِينـا ابنَ هنـدٍ رضِينـا
وقلنـا : نرى أن تَدِينُـوا لنـا فقالوا لنا : لانرى[2] أن ندينـا
ومن دون ذلك خَـرط القَتـادِ وضربٌ وطعن يُقِرُّ العُيـونا[3]
وكـلٌّ يُسَـرُّ بمـا عنـده يرى غثَّ مـا فى يديه سمينـا
ومـا فى عـلىٍّ لمستعتِبٍ مقـالٌ سـوى ضَمِّهِ المحْـدِثينا
وإيثارِه اليـومَ أهـلَ الذُّنوب ورفْـعِ القِصاص عن القاتلينـا
إذا سِيلَ عنـه حـدا شُبهـةً وعَمَّى الجـوابَ على السَّائلينا[4]
فليس بـراضٍ ولا سـاخطٍ ولا فى النُّهَاةِ ولا الآمرينـا
ولا هـو سـاءَ ولا سرَّهُ ولا بدَّ من بعض ذا أن يكونا

كتاب على إلى معاوية

قال : فكتب إليه :

« من علىٍّ إلى معاوية بن صخر . أما بعدُ فقد أتانى كتابُ امرئ ليس له نظرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فاتَّبعه . زعمتَ أنَّه أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان. ولعمرى ما كنتُ إلَّا رجلاً من المهاجرين أوردتُ كما أوردوا ، وأصدرتُ كما أصدروا . وما كان

---

(١) دناهم ، من الدين ، وهو القرض ، وفى قول الحماسى : « دناهم كما دانوا » . يقرضونا ، من الإقراض . وقد حذف نون الرفع ، وهو وجه جائز فى العربية . انظر التنبيه رقم ٢ ص٤ . وفى الأصل : « يعرضونا » ، صوابه فى ح والكامل .

(٢) ح : « ألا لا نرى » .

(٣) قال المبرد : « وأحسن الروايتين : يفض الشؤونا . وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، أمسكنا عن ذكره » .

(٤) سيل : سئل . حدا شبهة : ساقها . وفى الأصل : « عن السائلينا » ، صوابه فى ح .

الله ليجمعهم على ضلالةٍ ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت[1] فيلزمنى خطيئة الآمر ، ولا قتلت فيجب علىَّ القصاص . وأما قولك إنَّ أهل الشام هم الحكَّام على أهل الحجاز فهاتِ رجلاً من قريش الشَّام يُقبَل فى الشُّورَى أَو تحلُّ له الخلافة . فإن زعمتَ ذلك كذَّبك المهاجرون والأَنصار ، وإلا أتيتك به من قريش الحجاز . وأما قولك : ادفع إلينا قتلة عثمان ، فما أنت وعثمان ؟ إنما أنت رجلٌ من بنى أُمية ، وبنو عثمان أَولى بذلك منك . فإن زعمتَ أنَّك أقوى على دمِ أبيهم منهم فادخلْ فى طاعتى ثم حاكم القومَ إلىّ أحملك وإياهم على المحجَّة . وأما تمييزك بين الشَّام والبصرة ، وبين طلحة والزبير ، فلعمرى ما الأَمر فيما هناك إلا واحدٌ[2] ؛ لأَنها بيعة عامَّة لا يثنَّى فيها النَّظر ، ولا يُستأْنَف فيها الخيار[3] . وأما وَلوعك بى فى أمر عثمان فما قلتَ ذلك عن حقِّ العِيان ، ولا يقين الْخُبْر[4] . وأما فضلى فى الإسلام وقرابتى من النبى صلى الله عليه وسلم وشرفى فى قريشٍ فلعمرى لو استطعتَ دفع ذلك لدفعتَه » .

وأمَر النَّجاشىّ فأَجابه فى الشعر فقال[5] :

قصيدة النجاشى فى جواب معاوية

دعَنْ يا معاوىَ ما لن يكونا ... فقد حقَّق الله ما تحذرونا

أتاكم علىٌّ بأَهل الحجاز ... وأهلِ العراق فما تصنعونا[6]

---

(١) ح : « وما ألبت » . والتأليب : التحريض .

(٢) ح والكامل : « إلا سواء » . وما فى ح هنا نقل عن الكامل لا عن كتاب نصر .

(٣) ح والكامل : « لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر » .

(٤) الخبر : العلم ، والاختبار . وفى الأصل : « ولا بعين الخير » ، والصواب من ح .

(٥) ح والكامل : « ثم دعا النجاشى ، أحد بنى الحارث بن كعب ، فقال له : إن ابن جعيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أسمعنى قوله . قال : إذن أسمعك شعر شاعر . فقال النجاشى يجيبه » .

(٦) روى المبرد هذين البيتين ، وقال فى إثرهما : « وبعد هذا ما نمسك عنه » .

على كلِّ جَرداء خَيفانةٍ　　　وأشعثَ نَهْدٍ يسُرُّ العيونا[1]
عليها فوارسُ مخشيَّةٌ[2]　　　كأُسْدِ العرين حَمَين العَرينا
يرونَ الطِّعان خِلال العَجاجِ　　　وضربَ الفوارس فى النَّقْع دِينا
همُ هزموا الجمعَ جمعَ الزُّبيرِ　　　وطلحةَ والمعشَرَ الناكثينا
وقالوا يميناً على حَلْفةٍ :　　　لَنُهدى إلى الشَّام حرباً زَبُونا[3]
تُشيب النَّواصىَ قبل المشيب　　　وتُلقى الحواملُ منها الْجَنينا[4]
فإن تكرهوا الملكَ ملك العراق　　　فقد رضى القومُ ما تكرهونا
فقل للمضلَّلِ من وائلٍ　　　ومن جعل الغَثَّ يوماً سمينا
جعلتمْ عليًّا وأشياعه　　　نظيرَ ابنِ هند ألا تستَحُونا
إلى أوَّل النَّاس بعد الرسول　　　وصِنْوِ الرسول من العالَمينا
وصهرِ الرسول ومَنْ مثلُه　　　إذا كان يوم يُشيب القُرونا[5]

نصر : صالح بن صدقة بإسناده قال : لما رجع جرير إلى على كثر قولُ الناس فى التُّهمة لجريرٍ فى أمر معاوية ، فاجتمع جرير والأُشتر عند على فقال الأُشتر : أَما والله يا أمير المؤمنين لو كنتَ أرسلتنى إلى معاوية لكنتُ خيراً لك من هذا الذى أرخَى من خناقه ، وأقام [عنده] ، تهمة جرير

---

(١) الجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والخيفانة : الخفيفة الوثابة . والنهد ، من الخيل : الجسيم المشرف .

(٢) مخشية : مخوفة . وفى الأصل : « تحسبهم » ، صوابه فى ح (١ : ٢٥٢) .

(٣) ح : « آلوا » ، أى حلفوا .

(٤) ح : « تشيب النواهد » .

(٥) قال ابن أبى الحديد : « أبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات ، وأخبث مقصداً وأدهى وأحسن » .

دفاع جرير

حتى لم يدعْ باباً يرجو رَوْحه إلاَّ فتحه[١] ، أو يخاف غمَّه إلا سَدَّه . فقال جرير : « والله لو أتيتَهم لقتلوك ــ وخوَّفه بعمرو ، وذى الكَلاَع ، وحوشب ذى ظُليم[٢] ــ وقد زعموا أنَّك من قتلة عثمان » .

فقال الأشتر : « لو أتيتُه والله يا جرير لم يُعْيِنى جوابُها ، ولم يثقل علىَّ محملها ، ولحملت معاوية على خُطَّةٍ أُعجِلُه فيها عن الفكر » . قال : فائتهم إذا . قال : الآن وقد أفسدْتَهم ووقع بينهم الشر ؟

اجتماع جرير والأشتر عند على

نصر : عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن عامر الشعبى قال ، اجتمع جرير والأشتر عند على فقال الأشتر : أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أنْ تبعث جريراً ، وأخبرتك بعداوته وغشِّه ؟ وأقبل الأشتر يشتمه ويقول : يا أخا بجيلة ، إن عثمان اشترى منك دينك بهمْدَان . والله ما أنت بأهلٍ أن تمشى فوق الأرض حيًّا[٣] . إنما أتيتَهم لتتَّخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم ، ثم رجعتَ إلينا من عندهم تهدِّدنا بهم . وأنت والله منهم ، ولا أرى سعيك إلَّا لهم ، ولئن أطاعنى فيك أمير المؤمنين لَيحبسنَّك وأشباهك فى مَحبِسٍ لا تخرجون منه ، حتى تستبين هذه الأمور ويُهلك الله الظالمين .

قال جرير : وددت والله أنك كنت مكانى بُعِثت ، إذا والله لم ترجع . قال : فلما سمع جرير ذلك لحق بقِرقِيسيا ، ولحق به أناسٌ من قَسْرٍ من قومه[٤] ، ولم يشهد صِفِّين من قَسْرٍ[٥] غيرُ تسعةَ عشرَ ، ولكنّ

(١) روحه ، أى ما فيه من روح . والروح ، بالفتح : الراحة . وفى ح (١ : ٢٦٠) : « يرجو فتحه » .

(٢) ظليم ، بهيئة التصغير ، كما فى القاموس . وهو حوشب بن طخمة .

(٣) ح : « بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض » .

(٤) قسر ، بفتح القاف ، هم بنو بجيلة رهط جرير بن عبد الله البجلى . وفى الأصل : « ولحق به أناس من قيس فسر من قومه » ، صوابه فى ح .

(٥) فى الأصل : « قيس » والكلام يقتضى ما أثبت من ح .

أَحْمَسَ[1] شهدها منهم سبعُمائة رجل ، وخرج علىٌّ إلى دار جرير فشعَّث منها وحرّق مجلسه ، وخرج أَبو زُرعة بن عمر بن جرير فقال : أَصلحك الله ، إنَّ فيها أَرضاً لغير جرير . فخرج علىّ منها إلى دار ثوير بن عامر فحرَّقها وهدم منها ، وكان ثوير رجلا شريفاً . وكان قد لحق بجرير.

وقال الأَشتر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو . وحوشب ذى ظُليم ، وذى الكَلاع[2] :

قصيدة الأشتر فيما كان من تخويف جرير إياه

لعمرك يا جريرُ لَقول عمرٍو ... وصاحِبه معاوية الشآمِى
وذى كَلع وحَوشبَ ذى ظُليمٍ ... أَخفُّ علىَّ من زِفِّ النعامِ[3]
إذا اجتمعوا علىَّ فخلِّ عنهم ... وعن بازٍ مخالبُه دَوَامِ[4]
فلستُ بخائفٍ ما خوَّفونى ... وكيف أَخاف أَحلام النيامِ
وهمُّهم الذين حامُوا عليه ... من الدُّنيا وهمِّى ما أَمامِى[5]
فإن أَسلَم أَعمَّهُمُ بحربٍ ... يَشيب لهولها رأْسُ الغلامِ
وإن أَهلِك فقد قدّمتُ أَمراً ... أَفوز بفَلْجِه يوم الْخِصامِ[6]
وقد زأَروا إلىَّ وأَوعدونى ... ومَنْ ذا مات من خَوف الكلامِ

---

(١) بنو أحمس، هم من بطون بجيلة بن أنمار بن نزار . وكانت بجيلة فى اليمن . انظر المعارف ٢٩ ، ٤٦ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٦٠ .

(٣) أى قول هؤلاء أخف من زف النعام . والزف ، بالكسر : صغار ريش النعام .

(٤) دوام : داميات . وقد عنى بالبازى نفسه .

(٥) حاموا ، من الحوم ، وهو الدوران ؛ يقال لكل من رام أمراً : حام عليه حوماً وحياماً وحؤوماً وحوماناً . وحاموا ، بفتح الميم ، من المحاماة والمدافعة .

(٦) الفلج : الظفر والنصر . وعنى بيوم الخصام اليوم الآخر .

وقال السَّكونى :

قصيدة السكونى

تطـاولَ ليـلى يا لحُبِّ السَّـكاسكِ
لقولٍ أتانا عن جـرير ومـالكِ[1]

أجـرَّ عليـه ذيلُ عمـرٍو عـداوةً
وما هـكذا فعل الرجال الحوائِكِ[2]

فأَعظِـمْ بهـا حَـرّى عليكَ مصيبـةً
وهل يُهلك الأَقوامَ غيرُ التماحكِ[3]

فإنْ تبقيـا تبقَ العـراقُ بغبطـة
وفى النـاس مأْوًى للـرِّجال الصَّعالكِ

وإلا فليتَ الأَرض يومـاً بأَهلهـا
تميـل إذا مـا أصبحـا فى الهـوالكِ

فـإن جـريراً ناصـحٌ لإمـامه
حريصٌ على غسـل الوجـوه الحوالكِ

ولـكنَّ أمر اللهِ فى النـاس بالـغٌ
يُحِـلُّ منـايَا بالنُّفوس الشـوارك

استشارة معاوية عمرا قبل المسير إلى صفين

قال نصر : وفى حديث صالح بن صدقة قال : لما أراد معاوية السيرَ إلى صِفِّين قال لعمرو بن العاص : إنى قد رأيتُ أن نُلقِىَ إلى أهل مكة

(١) السكاسك : حى من اليمن ، أبوهم سكسك بن أشرس بن ثور بن كندى . انظر اللسان (١٢ : ٣٢٧) والاشتقاق ٢٢١ .

(٢) الحوائك : جمع حائك على غير قياس ، فهو من إخوان الفوارس . واشتقاق الحائك من قولهم : « حنكت الشيء فهمته » . انظر اللسان (١٢ : ٢٩٩ س١٩ — ٢٠) .

(٣) أراد : أعظم بها مصيبة حرى . والحرى : الحارة . والتماحك : اللجاج والمشارة .

وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمرَ عثمان . فإمَّا أن نُدرك حاجتَنا ، وإما أن يكفَّ القومُ عنا . قال عمرو : إنما نكتب إلى ثلاثة نفر : راضٍ بعليٍّ فلا يزيده ذلك إلا بصيرة . أو رجلٍ يهوى عثمان فلن نزيده على ما هو عليه . أو رجلٍ معتزلٍ فلست بأوثق فى نفسه من عليٍّ . قال : عليَّ ذلك . فكتبا :

كتاب معاوية وعمرو إلى أهل المدينة

« أما بعد فإنَّه مهما غابت عنا من الأُمور فلن يغيب عنا أنَّ عليًّا قتل عثمان . والدَّليل على ذلك مكانُ قَتَلَتِه منه . وإنَّما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتلته فنقتلَهم بكتاب الله . فإنْ دفَعهم عليٌّ إلينا كففْنا عنه ، وجعلناها شُورَى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب . وأمّا الخلافة فلسنا نطلبُها ، فأعينُونا على أمرنا هذا وانهضُوا من ناحيتِكم ؛ فإنَّ أيدينا وأيديَكم إذا اجتمعت على أمرٍ واحد ، هاب عليٌّ ما هو فيه .

قال : فكتب إليهما عبد الله بن عمر[1] :

كتاب عبد الله ابن عمر إليهما

أما بعد فلَعمرى لقد أخطأْتُما موضعَ البصيرة . وتناولتُماها من مكانٍ بعيد ، وما زاد الله من شاكٍّ فى هذا الأمر بكتابكما إلا شَكًّا . وما أنتما والخلافة ؟ وأمّا أنتَ يا معاوية فطليق[2] ، وأما أنت يا عمرو فَظَنُون[3] . ألا فكُفَّا عنى أنفسَكما ، فليس لكما ولا لى نصير .

قصيدة الأنصارى مع كتاب ابن عمر

وكتب رجلٌ من الأنصار مع كتابِ عبد الله بن عمر :

مُعاوِىَ إنَّ الحقَّ أبلجُ واضــحٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وليس بما ربَّصتَ أنتَ ولا عمْرُو

---

(١) فى الإمامة والسياسة (١ : ٨٥) أن صاحب الكتاب هو المسور بن مخرمة .

(٢) الطليق : واحد الطلقاء ، وهم الذين أطلقهم الرسول يوم الفتح . انظر ص ٢٩ . وزاد فى الإمامة والسياسة : « وأبوك من الأحزاب » .

(٣) الظنون ، بالفتح : المتهم ومن لا يوثق به . ومثله الظنين . ح : « فظنين » .

نصبتَ ابنَ عفّانٍ لنا اليومَ خُدْعَةً كمانَصَبَ الشيخانِ إذ زُخْرِفَ الأمر[1]

فهذا كهذاك البَلا حَذْوَ نعلِه سواءٌ كرَقراقٍ يُغَرُّ به السَّفْرُ[2]

رميتم عليًّا بالذى لا يضرُّه[3] وإن عظمت فيه المكيدةُ والمكرُ

وما ذنبُه أن نالَ عثمانَ معشرٌ أتوه من الأحياءِ يجمعهم مِصرُ

فصار إليه المسلمون ببيْعَتِه عَلانيةً ما كان فيها لهمْ قسرُ

فبايعه الشَّيخان ثم تحمَّلا إلى العُمرة العظمى وباطنُها الغدرُ

فكان الذى قد كان ممَّا اقتصاصُه رجيعٌ فيالله ما أحدثَ الدهرُ[4]

فما أنتما والنَّصرُ مِنَّا وأنتُما بَعيثا حُروبٍ مايبوخُ لها الجمرُ[5]

وما أنتما لله درُّ أبيكما وذِكرَكُما الشُّورى وقد فَلَجَ الفجرُ

إرسال عدى إلى معاوية

قال : وقال نصر : وفى حديث صالح بن صَدَقة بإسناده قال : قامَ عدىُّ بنُ حاتم إلى علىٍّ عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عندى رجلا من قومى لا يُجَارَى به[6] ، وهو يريد أن يزور ابنَ عمٍّ له ، حابسَ ابن سعدٍ[7] الطائىّ ، بالشام ـ فلو أمرناه أن يلقَى معاويةَ لعله أن يكسرَه

(١) يعنى بالشيخين طلحة والزبير . انظر ح (١ : ٢٥٨) .

(٢) يعنى بالرقراق السراب . ترقرق : تلألأ ، وجاء وذهب .

(٣) ح : « لا يضيره » .

(٤) اقتصاصه : روايته وحكايته . والرجيع : المكرر المعاد من القول . ح : « مما اقتصاصه يطول » .

(٥) فما أنتما والنصر ، يجوز فى نحو هذا التركيب الرفع على العطف ، والنصب على أنه مفعول معه . انظر همع الهوامع (١ : ٢٢١) .

(٦) ح : « لا يوازى به رجل » .

(٧) حابس بن سعد ، قيل كانت له صحبة ، وقتل بصفين . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ١٢٧) . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٣٥ : « كان على طيئ الشام مع معاوية ، وقتل . وكان عمر رضى الله عنه ولاه قضاء مصر ثم عزله » . ح : « حابس بن سعيد » محرف .

خفاف بن عبد الله ومعاوية

ويكسرَ أهل الشَّام. فقال له عليّ : نعم، فمُرْه بذلك ــ وكان اسم الرجل خُفاف بن عبد الله ــ فقدم على ابن عمِّه حابس بن سعد بالشام، وكان حابسٌ سيِّد طيِّئ، فحدَّث خفاف حابساً أنَّه شهد عثمانَ بالمدينة، وسار مع عليّ إلى الكوفة. وكان لخفافٍ لسانٌ وهيئة وشِعْر. فغدا حابس وخفافٌ إلى معاوية، فقال حابس : هذا ابن عمي قدم الكوفة مع علي، وشهد عثمان بالمدينة وهو ثقة. فقال له معاوية : هات يا أخا طيئ، حدِّثنا عن عثمان. قال : حصره المكشوح، وحكم فيه حُكَيم، ووليَه محمّد وعمّار[1]، وتجرَّد في أمره ثلاثةُ نفر : عديٌّ بن حاتم، والأشتر النخعى، وعمرو بن الْحمِق؛ وجدّ في أمره رجلان؛ طلحة والزبير[2] وأبرأُ الناس منه عليٌّ. قال : ثمَّ مه ؟ قال : ثمَّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافُتَ الفَراش، حتَّى ضلَّت النَّعل[3] وسقَط الرداءُ، ووُطئ الشيخ، ولم يَذكُر عثمانَ ولم يُذكَرْ له، ثم تهيّأ للمسير وخفّ معه المهاجرون والأنصار، وكره القتال معه ثلاثة نفر : سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة. فلم يستكرهْ أحداً، واستغنى بمن خف معه عمن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طيّئ، فأتاه منا جماعة كان ضارباً بهم الناس، حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرَّح رجالاً إلى الكوفة فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة فهى فى كَفِّه[4]، ثم قدم إلى الكوفة، فحُمل إليه

(١) انظر التنبيه الرابع من ص ٥٤ .

(٢) ح : « حصره المكشوح والأشتر النخعى، وعمرو بن الحمق، وجد فى أمره طلحة والزبير » . وفيه سقط كما ترى .

(٣) ح : « ضاعت النعل » .

(٤) ح : « فإذا هى فى كفه » .

سماع معاوية قصيدة خفاف

الصبى ، ودبَّت[1] إليه العجوز ، وخرجت إليـه العروس فرحاً به ، وشوقاً إليه ؛ فتركتُه وليس همُّه إلا الشام » .

فذعر معاوية من قوله ، وقال حابس : أيها الأمير لقد أسمَعَنى شعراً غيَّر به حالى فى عثمان ، وعظَّم به عليًّا عندى . قال معاوية : أسمِعْنيه ياخفاف . فأسمَعه قوله شعراً :

قصيدة خفاف

قلت والليـلُ ساقط الأكنافِ ... ولجنْبِى عـن الفـراش تَجافِ
أرْقُبُ النَّجـم مائلاً ومـــى الغُمْـ ... ـض بعينٍ طويلة التَّـذرافِ[2]
ليتَ شِـعرى وإنـــنى لسؤولٌ ... هـل لىَ اليـومَ بالمدينة شـافِ
مِن صِحـاب النبىِّ إذ عظُم الْخَطْـ ... ـبُ وفيهـم من البريـة كـافِ
أحَــلالٌ دمُ الإمـــام بـذنب ... أم حــرامٌ بسنَّة الـوقَّافِ[3]
قـال لى القومُ لا سبيلَ إلى مـا ... تطلبُ اليومَ قلتُ حسبُ خُفافِ
عند قومٍ ليسوا بأوعيـة العِـلـ ... ـم ولا أهـلِ صِحَّـةٍ وعفـافِ
قلت لمـا سمعتُ قـولاً : دَعُـونى ... إنَّ قلبى من القـلوب الضِّعافِ
قـد مضى ما مضى ومرّ به الدهـ ... ـر كمـا مرّ ذاهبُ الأسلافِ
إننى والـذى يحـجُّ له النَّـا ... سُ على لُحَّقِ البُطون العجافِ[4]

---

(١) فى الأصل : « ودنت » ، والوجه ما أثبت من ح . والدبيب : المشى على هينة .

(٢) مائلا ، أى إلى المغيب . والغمض ، بالضم : النوم . فى الأصل : « راقب الليل » تحريف . هذا والبيت والستة الأبيات التى بعده لم ترو فى ح .

(٣) الوقاف : المتأنى الذى لا يعجل . وفى حديث الحسن : « إن المؤمن وقاف متأن ، وليس كحاطب الليل » . والوقاف أيضاً : المحجم عن القتال .

(٥) لحق البطون ، عنى بها الإبل . ولحق : جمع لاحق ولاحقة ، واللاحق : الضامر . وفى ح : « لحق البطون عجاف » .

تتبارَى مثـل القِسِىِّ من النَّبـ ـع بشُعْث مثل الرِّصافِ نِحافِ[1]
أَرهب اليومَ ، إن أَتاك علىّ ، صيحةً مثل صيحة الأَحْقافِ[2]
إنَّـه الليث عـادياً وشُجاعٌ مُطرِقٌ نافثٌ بسمٍّ زُعافِ[3]
فارسُ الخيل كلَّ يومِ نـزالٍ ونـزال الفـتى من الإنصافِ
واضعُ السَّيفِ فوق عاتقه الأَيمـ ـن يُذرى به شُؤون القحافِ[4]
لا يَرَى القتل فى الخلاف عليه أَلفَ أَلفٍ كانوا من الإسرافِ
سوَّم الخيلَ ثم قال لقومٍ تابَعُوه إلى الطِّعان خِفافِ :
استعِدُّوا لحرب طاغيه الشَّا م ، فلبُّوه كالبنينَ اللِّطافِ
ثم قالوا أَنت الْجَناح لك الرِّيـ ـش القُدامَى ونحن منه الْخَوافِى
أَنت والٍ وأَنت والدُنا البـ ـرُّ ونحن الغداةَ كالأَضيافِ
وقرى الضَّيفِ فى الدِّيار قليلٌ قد تركنا العراق للإتحافِ[5]

---

(١) شبه الإبل بالقسى فى تقوسها . والشعث ، عنى بهم الحجاج الذين قد شعثت رؤوسهم أى تلبد شعرها واغبر . والرصاف : العقبة التى تلوى فوق رعظ السهم إذا انكسر . ورعظ السهم: مدخل سنخ النصل . وفى ح : « مثل السهام » .

(٢) الصيحة : العذاب والهلكة . وقوم الأحقاف هم عاد قوم هود . انظر الآيات ٢١ - ٢٦ من سورة الأحقاف . والأحقاف : رمل فيما بين عمان إلى حضرموت . ح : « إن أتاكم على صبحة مثل صبحة » . والصبحة : المرة من صبح القوم شراً : جاءهم به صباحاً .

(٣) عادياً ، ينظر فيه إلى قول عبد يغوث بن وقاص فى المفضليات (١ : ١٥٦) : « أنا الليث معدوا عليه وعاديا » . وعدا الليث : وثب . وفى الأصل : « غازيا » ، وفى ح : « غاديا » . والشجاع ، بالضم والكسر : الحية الذكر .

(٤) يذرى : يطيح ويلقى ويطير . والشؤون : مواصل قبائل الرأس . ح : «يفرى به» .

(٥) الإتحاف : أن يتحفه بتحفة ، وهى ما تتحف به الرجل من البر واللطف . فى الأصل : « للانحاف » ، تحريف ، والبيت لم يرو فى ح .

وهـــم ما هُـــمُ إذا تَشِب البَـأْ　　سُ ذوُو الفضل والأُمور الكوافِى

وانظر اليوم قبلَ نادية القـوم　　بسِلمٍ أَردتَ أم بخـلافِ[1]

إنَّ هذا رأْى الشفيق على الشَّـا　　م ولـولاه ما خشيت مشـافِ

ارتياب معاوية في خفاف وإعجابه به

فانكسر معاوية وقال : يا حابس ، إنى لا أظن هذا إلا عينا لعلىّ ، أخرجْه عنك لا يفسدْ أهل الشام – وكنَّى معاوية بقول – ثم بعث إليه بعدُ فقال : ياخُفاف ، أَخبِرْنى عن أُمور الناس . فأَعاد عليه الحديثَ ، فعجب معاويةُ من عقله وحُسْنِ وصفِه للأُمور .

آخر الجزء الأَول من الأَصل ، والحمد لله وصلواته على رسوله
سيدنا محمد النبى وآله وسلم
ويتلوه الجزء الثانى

---

(١) نادية القوم : دعوتهم . وفى الحديث : « فبينما هم كذلك إذ نودوا نادية » . فى الأصل : « نادبة » بالباء الموحدة ، تحريف . وفى ح : « قبل بادرة القوم » . والبادرة : ما يبدو حين الغضب من قول أو فعل . ح : « بسلم تهم » .

الجزء الثانى

من كتاب صفين
لنصر بن مزاحم

رواية أبى محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز

رواية أبى الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد

رواية أبى الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى

رواية أبى يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى

رواية أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى

رواية أبى البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى

سماع مظفر بن على بن محمد المعروف بابن المنجم – غفر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى ، قال : أخبرنا أبو الحسن المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه فى ربيع الآخر من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، قال أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد ابن جعفر قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد ابن ثابت الصيرفى ، قال أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة ، قال أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزّاز ، قال أبو الفضل نصر بن مزاحم ، عن عطية بن غنى[1] ، عن زياد بن رستم قال :

كتاب معاوية إلى ابن عمر

كتب معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب خاصة ، وإلى سعد بن أبى وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، دون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان فى كتابه إلى ابن عمر :

أما بعد فإنه لم يكنْ أحدٌ من قريش أحبّ إلىّ أن يجتمع عليه الأُمة[2] بعد قتل عثمان منك . ثم ذكرتُ خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيّرت لك ، وقد هوّن ذلكَ علىّ خِلافُك على علىّ ، ومحَا عنك بعض ما كان منك[3] ، فأَعِنّا ــ رحمك الله ــ على حقِّ هذا الخليفة المظلوم ؛

(١) ح (١ : ٢٥٩) : « عطية بن غناء » .
(٢) ح : « الناس » .
(٣) فى الأصل : « وجزنى إليك بعض ما كانت منك » ، وأثبت ما فى ح .

فإنى لست أُريد الإمارة عليك ، ولكنى أُريدها لك . فإن أبيتَ كانتْ شورى بين المسلمين » . وكتب فى أسفل كتابه :

ألا قل لعبد الله واخصُصْ محمداً ... وفارسَنا المأْمونَ سعد بن مالكِ[1]
ثلاثة رهطٍ من صِحابِ محمدٍ ... نجومٌ ومأْوًى للرجال الصعالكِ[2]
ألا تخبرونا والحوادثُ جمّةٌ ... وما النَّاسُ إلَّا بين نَاجٍ وهالكِ
أَحِلٌّ لكمْ قتلُ الإمام بذنْبِه ... فلستم لأَهل الْجَوْر أَوَّلَ تاركِ
وإلا يكنْ ذنباً أحاط بقتله ... فنى تركه واللهِ إحدى المهالكِ
وإمَّا وقفتمْ بين حقٍّ وباطلٍ ... توقُّفَ نِسوانٍ إماءٍ عَوارِكِ[3]
وما القول إلا نصرَه أو قتالَهُ ... أمانةُ قومٍ بُدِّلت غيرَ ذلكِ
فإن تنصرونا تنصروا أهلَ حُرمةٍ ... وفى خَذْلنا ياقومِ جَبُّ الحوارِكِ[4]

قال : فأَجابه ابن عمر :

« أما بعد فإن الرأى الذى أطمعكَ فىَّ هو الذى صيّرك إلى ماصيّرك إليه . أنّى تركتُ عليًّا فى المهاجرين والأنصار ، وطلحة والزبير ، وعائشة أُم المؤمنين ، واتَّبعتُك[5] . أَمَّا زعمك أنى طعنت على علىّ فلعمرى ما أنا

(١) هو الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ، واسمه سعد بن مالك بن أهيب — وقيل وهيب — ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى . وهو أحد الستة أهل الشورى ، وولى الكوفة لعمر ، وهو الذى بناها ، ثم عزل ووليها لعثمان . توفى سنة ٥٥ . الإصابة ٣١٨٧ .

(٢) الصعالك : جمع صعلوك . وحذف الياء فى مثله جائز . والصعلوك : الفقير الذى لا مال له .

(٣) العوارك : الحوائض من النساء ، جمع عارك .

(٤) الحوارك : جمع حارك ، وهو أعلى الكاهل .

(٥) ح : « أترك » مع إسقاط كلمة : « أنى » قبلها . وفى ح أيضاً « وأتبعك » بدل : « واتبعتك » .

كعليّ فى الإيمان والهجرة ، ومكانِه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكايته فى المشركين . ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىَّ فيه عهد ، ففزعت فيه إلى الوقوف[1] ، وقلت : إن كان هُدًى ففضل تركته ، وإن كان ضلالةً فشرٌّ نجوتُ منه . فأَغْنِ عنَّا نفسَك[2] » .

ثم قال لابن أَبى غزيّة : أَجِب الرجل ــ وكان أبوه ناسكاً ، وكان أَشعر قريش ــ فقال : (شعر ابن أبى غزية)

معاوِىَ لا ترجُ الذى لستَ نائلاً
وحاول نصيراً غير سَعْدِ بن مالكِ[3]
ولا ترج عبدَ الله واتركْ محمداً
فَفِى ما تريد اليومَ جَبُّ الحواركِ
تركنا عليًّا فى صِحابِ محمدٍ
وكان لما يُرجَى له غير تاركِ
نصيرَ رسول الله فى كلِّ موْطن
وفارسَه المأمونَ عند المعاركِ
وقد خَفَّت الأَنصارُ مَعْه وعصبةٌ
مهاجرةٌ مثلُ الليُوثِ الشَّوابِكِ[4]

(١) ح : « ولكن عهد إلى فى هذا الأمر عهد ففرغت فيه الوقوف » ، تحريف ونقص .
(٢) أغن نفسك : اصرفها وكفها . ومنه قول الله : (لن يغنوا عنك من الله شيئاً) . وفى الأصل : « فاعزل عنا نفسك » ، صوابه من ح .
(٣) انظر ما مضى فى الصفحة السابقة .
(٤) أسد شابك . مشتبك الأنياب مختلفها . والشابك أيضاً من أسماء الأسد . وفى الأصل : « الشوائك » ، تحريف .

وطلحةُ يدعو والزُّبير وأُمُّنا
فقلْنا لها قولِى لنا ما بدا لَكِ
حذارَ أُمورٍ شُبِّهت ولعلَّها
موانعُ فى الأَخطارِ إحدى المهالكِ
وتَطمعُ فبِنا يا ابن هندٍ سفاهةً
عليك بعُليا حِميرٍ والسَّكاسكِ[1]
وقوم يمانيُّونَ يُعطوكَ نصرهم
بصُمِّ العَوالِى والسيوفِ البواتكِ

كتاب معاوية إلى سعد

قال : وكان من كتاب معاوية إلى سعد :

« أما بعد فإنَّ أحقَّ الناس بنصر عثمان أهلُ الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقَّه واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الأَمر ، ونظيراك فى الإسلام ، وخفَّت لذلك أُمُّ المؤمنين . فلا تكرهنَّ ما رضُوا ، ولا تردَّنَّ ما قبلوا ؛ فإنا نردُّها شورى بين المسلمين » .

وقال شعراً :

شعر وجه به معاوية إلى سعد

أَلا يا سعدُ قد أَظهرتَ شكًّا — وشكُّ المرءِ فى الأَحداث داءُ
على أىِّ الأُمور وقفتَ حقًّا — يُرَى أو باطلاً فله دواءُ
وقد قال النبى وحَدَّ حدًّا — يحِلُّ به من النَّاس الدماءُ
ثلاث : قاتل نفساً ، وزانٍ — ومرتدٌّ مضى فيه القضاءُ
فإن يكن الإِمام يلمُّ منها — بواحدة فليس له وَلاءُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٦٢ .

وإلا فالتى جئتم حرامٌ[1] وقاتِله وخاذِله سواءُ
وهذا حُكْمه لا شكَّ فيه كما أنَّ السماءَ هى السماءُ
وخير القول ما أوجزتَ فيه وفى إكثارك الدَّاءُ العَياءُ
أبا عَمْرٍو دعوتك فى رجالٍ فجازَ عراقِيَ الدَّلوِ الرشاءُ[2]
فأمَّا إذْ أبيت فليس بينى وبينك حرمةٌ ، ذَهَبَ الرَّجاءُ
سِوى قولى، إذا اجتمعت قريش: على سَعد من اللهِ العَفاءُ

إجابة سعد لمعاوية

فأجابه سعد :

« أما بعد فإن عمر لم يُدْخِلْ فى الشورى إلا من يحلّ له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحدٌ منا أحقَّ بها[3] من صاحبه [إلّا] باجتماعنا عليه ، غير أن عليًّا قد كان فيه ما فينا ولم يك فينا ما فيه . وهذا أمرٌ قد كرهْنا أوّلَه وكرهْنا آخرَه[4] . فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما . والله يغفر لأُم المؤمنين ما أتت » .

ثم أجابه فى الشعر :

معاوى داؤك الداءُ العياءُ فليس لما تجىءُ به دواءُ
طمعتَ اليوم فىَّ يا ابن هند فلا تطمع فقد ذهبَ الرجاءُ
عليك اليومَ ما أصبحت فيه فما يكْفيك من مثلى الإباءُ[5]

---

(١) فى الأصل : « حراما » .
(٢) أراد انقطع الأمل . وعراقى الدلو : جمع عرقوة ، قال الأصمعى : يقال للخشبتين اللتين تعترضان على الدلو كالصليب : العرقوتان ، وهى العراق . وفى الأصل : « عوالى الدلو » ولا وجه له . وهذه القصيدة وسابقتها لم أجدهما فى كتاب ابن أبى الحديد .
(٣) فى الأصل : « به » صوابه فى ح (١ : ٢٦٠) .
(٤) ح : « قد كرهت أوله وكرهت آخره » .
(٥) أى الذى يكفيك منى الإباء .

فمـا الدنيـا ببـاقيةٍ لحـىٍّ ... ولا حـىٌّ له فيهـا بقـاءُ
وكـلٌّ سرورها فيهـا غـرور ... كـلٌّ متاعِها فيهـا هبـاءُ
أيدعـونى أبو حسن عـلىٌّ ... فـلم أردد عليه بمـا يَشَـاءُ
وقلت له اعطنى سيفاً بصيراً ... تمـرُّ به العـداوةُ والـولاءُ
فإن الشـرَّ أصغـره كبيـرٌ ... وإن الظَّهْرَ تثقـله الدمـاءُ
أتطمـع فى الذى أعيـا عليًّـا ... عَلَى مـا قد طمِعت به العَفـاءُ
لَيومٌ منه خير منك حيًّـا ... وميتـاً ، أنتَ للمـرء الفـداءُ
فـأَمَّـا أمـر عـثمانٍ فدعْـهُ ... فـإن الـرَّأى أذْهَبَـه البَـلاءُ

كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة

وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة :

« أما بعد فإنى لم أكتب إليك وأنا أرجو متابعتك[1] ، ولكنِّى أردت أن أُذكِّرك النعمة التى خرجتَ منها والشكَّ الذى صرتَ إليه . إنَّك فارس الأنصار ، وعُدّة المهاجرين ، ادَّعيتَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع إلا أن تمضىَ عليه ، فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة ، فهلّا نهيت أهل الصلاة عن قتال بعضهم بعضاً . وقد كان عليك أن تكره لهم ما كره لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . أَو لم تر عثمان وأهل الدار من أهل الصلاة[2] ؟ فأما قومك فقد عصَوُا الله وخذلوا عثمان ، والله سائلك وسائلهم عن الذى كان ، يوم القيامة » .

جواب محمد

فكتب إليه محمد [بن مسلمة] :

« أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس فى يده من رسول الله

(١) ح : « مبايعتك » .

(٢) ح : « أهل القبلة » فى المواضع الثلاثة .

صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذى فى يدى . فقد أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن قبل أن يكون ،فلما كان كسرتُ سيفى، وجلست فى بيتى[1] واتّهمت الرأى على الدين ، إذ لم يصحّ لى معروف آمر به ، ولا منكر أنهى عنهْ . وأما أنت فلعمرى ما طلبت إلّا الدنيا ، ولا اتّبعتَ إلا الهوى . فإنْ تنصر عثمانَ مَيْتاً فقد خذلتَه حيًّا[2] . فما أخرجنى الله من نعمة ولا صيّرنى إلى شكٍّ . إن كنت أبصرت خلاف ما تحبنى به ومن قِبَلنا من المهاجرين والأَنصار ، فنحنُ أولى بالصواب منك » .

ثم دعا محمد بن مسلمة رجلاً من الأَنصار ، وكان فيمن يرى رأْى محمد فى الوقوف ، فقال : أجب يا مروان بجوابه فقد تركتُ الشعر . فقال مروان . لم يكن عند ابن عقبة الشعر .

نعى عثمان عند معـــاوية

وفى حديث صالح بن صدقة بإسناده قال : ضَرَبَت الركبانُ إلى الشام بقتل عثمان ، فبينما معاوية [يوماً] إذ أقبل رجل متلفف ، فكشف عن وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، أتعرفنى ؟ قال : نعم ، أنت الحجاج ابن خزيمة بن الصِّمَّة فأين تريد ؟ قال : إليك القربان[3] ، أنْعَى إليك ابن عفّان . ثم قال :

إنّ بـــنى عمِّــك عبــدِ المطلبْ   همْ قتلوا شيخكم غيرَ الــكذِبْ
وأنت أولى الناس بالوثب فثِبْ   واغضب مُعــاوِى للإِله واحتسِبْ

---

(١) يروى عن محمد بن مسلمة أنه قال : « أعطانى رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً فقال : قاتل به المشركين ما قوتلوا ، فإذا رأيت أمتى يضرب بعضهم بعضاً فائت به أحداً فاضرب به حتى ينكسر ، ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية خاطئة» . انظر الإصابه ٧٨٠٠ .

(٢) ح : « فقد خذلته حياً . والسلام » . وبذلك تنتهى هذه الرسالة فى ح .

(٣) القربان، بالضم والكسر : الدنو.

وسر بنا سير الجرىء المتلئب[1] وانهضْ بأهل الشام تَرْشُدْ وتُصِبْ[2]

ثم اهزز الصَّعْدة للشأْس الكلِبْ[3]

يعنى « عليًّا » . فقال له : عندك مَهَزٌ[4] ؟ قال : نعم . ثم أقبل الحجاج بن الصِّمة على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين[5] ، إنى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد [القسرى] مغيثاً لعثمان ، فقدمنا أنا وزفر بن الحارث فلقينا رجلا زعم أنه ممن قتل عثمان ، فقتلناه . وإنى أخبرك يا أمير المؤمنين أنك تقوى على علىّ بدون ما يقوى به عليك ؛ لأن معك قوماً لا يقولون إذا قلت ، ولا يسألون إذا أمرْت . وإن مع علىّ قوماً يقولون إذا قال ، ويسألون إذا أمر ؛ فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه . واعلم أنه لا يرضى علىّ إلا بالرضا ، وإنَّ رضاه سخطك . ولستَ وعلىٌّ سواءً[6] : لا يرضى علىّ بالعراق دون الشام ، ورضاك الشامُ

(١) قال ابن أبى الحديد فى (١ : ٢٥٣) : « المتلئب : المستقيم المطرد » . وفى اللسان أيضاً : اتلأب : أقام صدره ورأسه . وفى الأصل : « الملتبب » ولا وجه له .

(٢) فى الأصل : « وجمع أهل الشام » ، صوابه من ح .

(٣) الصعدة ، بالفتح : القناة المستوية . والشأس ، أصل معناه المكان الغليظ الخشن . قال ابن أبى الحديد : « ومن رواه : للشاسى ، بالياء فأصله الشاصى بالصاد ، وهو المرتفع ، يقال شصا السحاب إذا ارتفع ، فأبدل الصاد سينا . ومراده هنا نسبة على عليه السلام إلى التيه والترفع عن الناس » . قلت : قد أبعد ابن أبى الحديد فى التخريج ، إنما يكون : « الشاسى » مخفف « الشاسئْ » وهو من المقلوب . وفى اللسان (مادة شأس) : « ويقال مقلوباً : مكان شاسئٌ وجاسئٌ : غليظ » .

(٤) مهز : مصدر ميمى من الهز . يقال هززت فلاناً لخير فاهتز . ح : « أفيك مهز » .

(٥) زاد ابن أبى الحديد : « ولم يخاطب معاوية بأمير المؤمنين قبلها » أى قبل هذه الزيارة . وهذه العبارة تعليق من ابن أبى الحديد . وتقرأ بفتح الطاء من « يخاطب » وإلا فإن الحجاج خاطبه قبلها بأمير المؤمنين فى أول الحديث . وانظر ص ٨٨ س ٦ .

(٦) كذا وردت العبارة فى الأصل ، وح . وهو وجه ضعيف فى العربية ؛ إذ لا يحسن العطف على الضمير المرفوع المتصل إلا بعد توكيده بالضمير المنفصل ، أو وجود فاصل بين المتبوع والتابع .

دون العراق . فضاق معاوية [صدراً] بما أتاه ، وندم على خذلانه عثمان(١) .

رثاء معاوية لعثمان

وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان :

أتانىَ أمرٌ فيه للنفس غُمّةٌ   وفيه بكاءٌ للعيون طويلُ
وفيه فناءٌ شامل وخَزايةٌ   وفيه اجتداعٌ للأُنوف أصيلُ
مُصابُ أميرِ المؤمنين وهَدَّةٌ   تكاد لها صُمُّ الجبالِ تزولُ(٢)
فللّه عينَا مَنْ رأى مثلَ هالكٍ   أُصيب بلا ذنبٍ وذاكَ جليلُ
تداعت عليه بالمدينةِ عصبةٌ   فريقان منها قاتل وخذولُ(٣)
دعاهم فصَمُّوا عنه عند جوابه   وذاكم على ما فى النفوس دليلُ(٤)
ندمت على ما كان من تَبَعِى الهوى   وقَصْرِىَ فيه حسرةٌ وعويلُ(٥)
سأَنْعَى أبا عمرو بِكُلِّ مثقَّفٍ   وبيض لها فى الدَّارِعِينَ صَليلُ(٦)
تركتك للقوم الذين هُم هُم   شجاكَ فماذا بعد ذاكَ أقولُ
فلستُ مقيماً ما حييتُ ببلدة   أجرُّ بها ذيلى وأنت قتيلُ

---

(١) فى الأصل : « وهذه » ، صوابها من ح .

(٢) ح : « على خذلان عثمان » .

(٣) ح : « منهم قاتل » .

(٤) أى عند طلبه الجواب . وفى ح : « عند دعائه » .

(٥) يقال : قصرك أن تفعل كذا ، أى حسبك وكفايتك وغايتك ، كما تقول : قصارك وقصاراك . الأولى بفتح القاف والأخريان بضمها .

(٦) أبو عمرو : كنية عثمان بن عفان . وفى رثائه تقول زوجه نائلة بنت الفرافصة :
وما لى لا أبكى وتبكى قرابتى   وقد غيبوا عنا فضول أبى عمرو
ح : « سأبغى » أى سأطلب ثأره . والبيض ، بالكسر : السيوف ، جمع أبيض ، والدارع : لابس الدرع .

فلا نوم حتى تُشجَرَ الخيل بالقنا ويُشفَى من القوم الغُواةِ غليلُ[1]
ونَطْحنَهُمْ طحنَ الرحَى بِثفالها وذاك بما أسدَوْا إليك قليلُ[2]
فأما التى فيها مودَّةُ بيننا فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
سأُلقحها حرباً عَواناً مُلِحَّةً وإنِّى بها مِن عامنا لكفيلُ[3]

افتخار الحجاج

نصر : وافتخر الحجاج على أهل الشام بما كان من تسليمه على معاوية بإمرة المؤمنين .

مدة المكاتبة بين على ومعاوية وعمرو

نصر : صالح بن صدقة ، عن إسماعيل بن زياد ، عن الشعبى ، أن عليًّا قدم من البصرة مستهلَّ رجبٍ الكوفة ، وأقام بها سبعة عشر شهراً يُجرِى الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص .

قال : وفى حديث عثمان بن عبيد الله الجرجانى قال :

مبايعة مالك ابن هبيرة لمعاوية

بويع معاوية على الخلافة ، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيه ، فأقبل مالك بن هبيرة الكندى — وهو يومئذ رجلٌ من أهل الشام — فقام خطيباً وكان غائباً مِن البيعة ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أخدَجْتَ هذا الملك[4] ، وأفسدتَ الناس ، وجعلتَ للسفهاء مَقَالا . وقد علمت العرب أنَّا حىّ فِعال ، ولسنا بِحىٍّ مقال ؛ وأنَّا نأْتى بعظيمِ فعالنا

---

(١) الشجر : الطعن بالرمح . وفى حديث الشراة : « فشجرناهم بالرماح » ، أى طعناهم بها حتى اشتبكت فيهم » . وعنى بالخيل الفرسان .

(٢) الثفال ، بالكسر : جلد يبسط تحت الرحى ليقى الطحين من التراب ، ولا تثفل الرحى إلا عند الطحن . فى الأصل : « وأطحنهم » ، وأثبت ما فى ح . وفى الأصل أيضاً : « بما أسدى إلى » ، والوجه ما أثبت من ح .

(٣) فى الأصل : « من عامها » .

(٤) الإخداج : النقص ، وفى الأصل : « أخرجت » بالراء ، تحريف .

على قليل مقالنا . [illegible] أبايعْك على ما أحببنا وكرهنا » .

فكان أولُ [illegible] ها مالكَ بنَ هبيرة .

قصيدة الزرقان

وقال الزبرقان بن عبد الله السَّكونى :

معاوى أخدج [illegible] تى   شرطْتَ فقد بَوّا لك الملكَ مالكُ
ببيعة فصل [illegible] يزةٌ   ألاَ كلُّ ملكٍ ضَمّه الشرطُ هالكُ
وكان كبيت [illegible] باً   فأصبح محجوباً عليه الأرائكُ
وأصبح لا [illegible] لّة   ولا تنتحى فيه الرجال الصعالكُ
وما خير مُلْك [illegible] جٍ   تُجُرِّع فيه الغيظُ والوجهُ حالكُ
إذا شاء ردّته [illegible] شيرٌ   وهَمْدَان والحىُّ الْخِفَاف السكاسِكُ

خطبة معاوية بعد مقتل عثمان

نصر : صالح بن [illegible] ، عن ابن إسحاق ، عن خالد الخزاعى وغيره ممن لا [illegible](١) [illegible] ن عثمان لما قُتل وأتى معاويةَ كتابُ علىٍّ بعزْله عن الشام خرج [illegible] ثم نادى فى الناس أن يحضروا ، فحضروا المسجد فخطب [illegible] حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه صلى الله عليه وسلم [illegible]

« يا أهل ال[illegible] انى خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وخليفة عثمان [illegible] . وقد تعلمون أنّى وليُّه(٢) ، والله يقول فى كتابه : ﴿ وَمَن [illegible] فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً ﴾ : وأنا أحبُّ أن تُعلمونى ما فى أ[illegible] عثمان » .

كلمة كعب بن مرة

قال : فقا[illegible]ة السُّلَمى — وفى المسجد يومئذ أربعمائة

---

(١) ح ([illegible] يتهم » .

(٢) ح : « [illegible] وأنا ابن عمه ووليه » .

رجل أو نحو ذلك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ـ فقال :

« والله لقد قمتُ مقامى هذا وإنى لأَعلم أن فيكم مَن هو أقدم صحبةً لرسول الله صلى الله عليه وآله منِّى ، ولكنى قد شهدت من رسول الله مشهداً لعل كثيراً منكم لم يشهده . وإنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نِصفَ النهار فى يومٍ شديد الحرّ فقال : « لتكونَنَّ فتنةٌ حاضرة » . فمرَّ رجلٌ مقنَّع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا المقنَّع يومئذ على الهدى » قال : فقمتُ فأَخذتُ بمنكبيه[1] وحسرت عن رأسه فإذا عثمان ، فأَقبلت بوجهه إلى رسول الله فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : « نعم » .

مبايعة معاوية على الطلب بدم عثمان

فأَصفق أَهل الشام على معاوية ، وبايعوه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يَطمع فى الخلافة ، ثم الأَمر شورى .

وفى حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال :

معاوية وعبيد الله بن عمر

لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام ، أَرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال :

« يا عمرو ، إن الله قد أَحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عُبيد الله بن عمر ، وقد رأَيت أن أُقيمه خطيباً فيشهدَ علَى علىٍّ بقتل عثمان ، وينال منه » .

فقال : الرأى ما رأَيت . فبعث إليه فأَتى ، فقال له معاوية : يا ابن أخى ، إنَّ لك اسم أَبيك ، فانظر بملء عينيك ، وتكلَّمْ بكلّ فيك[2] ، فأَنت المأْمون المصدَّق ! فا [صعد المنبر ، وا] شتُم عليًّا واشهَدْ عليه أنَّه قتل عثمان . فقال : يا أَمير المؤمنين[3] أَمَّا شتميه فإنَّه على بن

---

(١) ح : « بمنكبه » .
(٢) ح (١ : ٢٥٦) : « وانطلق بملء فيك » .
(٣) ح : « أيها الأمير » .

أبى طالب ، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فما عسى أن أقول فى حسبه . وأما بأسه فهو الشّجاع المطْرِق . وأما أيامه فما قد عرفت : ولكنّى مُلزِمُه دمَ عثمان . فقال عمرو [بن العاص] : إذًا والله قد نَكَأْتَ القَرْحة[1] .

فلما خرج عبيد الله قال معاوية : أما والله لولا قتلُه الهرمزان ، ومخافة علىّ على نفسه[2] ما أتانا أبداً . ألم تر إلى تقريظه عليًّا ؟ ! فقال عمرو : « يا معاوية ، إن لم تغلب فاخلُبْ » . فخرج حديثه إلى عبيد الله ، فلما قام خطيباً تكلَّم بحاجته ، حتى إذا أتى إلى أمر علىّ أمسك [ولم يقل شيئاً] ، فقال له معاوية[3] : ابن أخِى[4] ، إنك بين عِىّ أو خيانة ! فبعث إليه : « كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان ، وعرفت أن الناس محتملوها عنى [فتركتها] » . فهجره معاوية ، واستخفّ بحقه وفسّقه ، فقال عبيد الله :

شعر عبيد الله

مُعاوىَ لم أَخْرُصْ بخطبة خاطبٍ
ولم أكُ عَيًّا فى لؤىّ بن غالب[5]
ولكنّنى زاولتُ نفساً أبيّةً
على قَذْفِ شيخ بالعراقين غائبِ

---

(١) ح : « قد وأبيك إذن نكأت القرحة » .

(٢) ح : « ومخافته علياً على نفسه » .

(٣) ح : « فلما نزل بعث إليه معاوية » .

(٤) فى الأصل : « ابن أخ » تحريف ، والمنادى إذا كان مضافاً إلى مضاف إلى الياء فالياء ثابتة لا غير كقولك : « يا ابن أخى » و « يا ابن خالى » إلا إن كان « ابن أم » أو « ابن عم » ففيهما مذاهب .

(٥) لم أخرص : لم أكذب . وفى الأصل وح : « لم أحرص » ، تحريف .

وقذفي عليًّا بابن عفّان جهرةً
يُجدِّع بالشّحنا أنوف الأقاربِ[1]

فأمّا انتقافي أشهد اليومَ وثبةً
فلستُ لكم فيها ابنَ حربٍ بصاحبِ[2]

ولكنه قد قرّبَ القوم جَهدَهُ
ودبُّوا حواليه دبيبَ العقاربِ[3]

فما قالَ أحسنتم ولا قد أسأْتم
وأطرقَ إطراقَ الشجاعِ المواثِبِ

فأمّا ابنُ عفّانٍ فأشهدُ أنّه
أُصيبَ بريئاً لابساً ثوب تائبِ

حرامٌ على آهالِهِ نتفُ شعرهِ
فكيف وقد جازَوْهُ ضربةَ لازبِ[4]

وقد كان فيها للزُّبير عجاجةٌ
وطلحة فيها جاهدٌ غير لاعبِ

وقد أظهرا من بعد ذلك توبة
فياليتَ شعرى ما هما فى العواقب

---

(١) الشحناء : البغض والعداوة ، وفى الأصل : « أجدع بالشحناء » : وفى ح : « كذاب وما طبعى سجايا المكاذب » ، وجه هذه « وما طبى » .

(٢) البيت لم يرو فى ح ، وفى صدره تحريف .

(٣) ح : « ولكنه قد حزب القوم حوله » .

(٤) الآهال : جمع أهل ، وأنشد الجوهرى : * وبلدة ما الجن من آهالها *

فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه وقرَّبه وقال : « حسبي هذا منك » .

قدوم أبي مسلم الخولاني إلى معاوية

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن أبي رَوق ، أن ابن عمر بن مسلمة الأرحبي أعطاه كتاباً في إمارة الحجاج بكتاب من معاوية إلى عليّ . قال وإن أبا مسلم الخولاني[1] قدم إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام ، [قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين ،] فقالوا [له] : يا معاوية علامَ تقاتل عليًّا ، وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ، ولا قرابته ولا سابقته ؟ قال لهم : ما أُقاتل عليًّا وأنا أدّعي أن لي في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ، ولكن خبِّروني عنكم ، ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ؟ قالوا : بلى . قال : فليدع إلينا[2] قتلته فنقتلهم به ، ولا قتال بيننا وبينه . قالوا : فاكتب [إليه] كتاباً يأتيه [به] بعضُنا . فكتب إلى عليّ هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني، فقدم به على عليّ ، ثم قام أبو مسلم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة أبي مسلم الخولاني

« أما بعد فإنك قد قمت بأمر وتولَّيته[3] ، والله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحقّ من نفسك ، إن عثمان قتل مسلماً مُحْرِماً[4]

---

(١) أبو مسلم الخولاني الزاهد الشامي ، هو عبد الله بن ثوب ، بضم المثلثة وفتح الواو ، وقيل بإشباع الواو ، وقيل ابن أثوب بوزن أحمر ، ويقال ابن عوف وابن مشكم ، ويقال اسمه يعقوب بن عوف ، وكان ممن رحل إلى النبي فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية . انظر تقريب التهذيب ٦١٢ والمعارف ١٩٤ . وفي الأصل : « الحولاني » بالمهملة ، صوابه بالخاء المعجمة ، كما في ح (٣ : ٤٠٧) نسبة إلى خولان ، بالفتح ، إحدى قبائل اليمن .

(٢) ح (٣ : ٤٠٧) : « فليدفع إلينا » .

(٣) ح : (٣ : ٤٠٨) : « وليته » .

(٤) محرماً : أي له حرمة وذمة ، أو أراد أنهم قتلوه في آخر ذي الحجة ، وقال أبو عمرو : =

مظلوماً ، فادفع إلينا قتلته ، وأنت أميرنا ، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة ، وألسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذا عذر وحجة».

أبو مسلم وعلى

فقال له علىّ : اغدُ علىَّ غداً ، فخذ جواب كتابك . فانصرف ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء فيه ، فلبست الشيعةُ أسلحتها ثم غدوا فملؤوا المسجد وأخذوا ينادون : كلُّنا قتل ابن عفان . [وأكثروا من النداء بذلك] ، وأذن لأبى مسلم فدخل على علىّ أمير المؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية ، فقال له أبومسلم قد رأيتُ قوماً ما لك معهم أمر . قال : وما ذاك ؟ قال : بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجّوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان . فقال علىّ : « والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين ، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه ما رأيته ينبغى لى أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك » .

فخرج بالكتاب وهو يقول : الآن طاب الضراب .

وكان كتاب معاوية إلى علىّ عليه السلام[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب معاوية إلى على

من معاوية بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبى له من

= أى صائماً ، ويقال أراد لم يحل بنفسه شيئاً يوقع به ، فهو محرم . وبكل هذه التأويلات فسر بيت الراعى ، الذى أنشده صاحب اللسان (١٥ : ١٣) :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مقتولا

وانظر خزانة الأدب (١ : ٥٠٣ – ٥٠٤) .

(١) انظر هذا الكتاب أيضاً فى العقد (٣ : ١٠٧) .

المسلمين أعواناً أيّده الله بهم ، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام . فكان أفضلَهم فى إسلامه ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفةُ من بعده ، وخليفة خليفته ، والثالث الخليفة المظلوم عثمان ، فكلَّهم حسدتَ ، وعلى كلِّهم بغيت . عرفنا ذلك فى نظرك الشَّزْر ، وفى قولك الهُجْر ، وفى تنفُّسك الصُّعَداء ، وفى إبطائك عن الخلفاء ، تقاد إلى كلٍّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش[1] حتى تبايعَ وأنت كاره . ثم لم تكن لأحدٍ منهم بأعظم حسداً منك لابن عمِّك عثمان ، وكان أحقَّهم ألاَّ تفعل به ذلك فى قرابته وصهره ، فقطعت رحمه ، وقبَّحت محاسنه ، وألَّبت الناس عليه ، وبَطَنت وظهرت ، حتّى ضُرِبَتْ إليه آباط الإبل ، وقِيدت إليه الخيل العِراب ، وحُمل عليه السلاح فى حرم رسول الله ، فقُتل معك فى المحَلَّة وأنت تسمع فى داره الهائعة[2] ، لا تردع الظنّ والتُّهمة عن نفسك فيه بقولٍ ولا فعل . فأُقسِم صادقاً أن لو قمتَ فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه الناسَ عنه ما عدل بك مَنْ قِبَلنا من الناس أحداً ، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغْى عليه . وأُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظَنين : إيواؤك قتلة عثمان ؛ فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك[3] . وقد ذُكر لى أنك تَنَصَّلُ من دمه ، فإن كنتَ صادقاً فأَمكِنَّا من قتلته نقتلْهم به ، ونحن أَسرع [الناس] إليك . وإلا فإنه فليس لك ولا لأصحابك إلا السيف . والذى لا إله إلا هو لنطلبنَّ قتلة عثمان فى الجبال والرمال ، والبر والبحر ، حتّى يقتلهم الله ، أو لَتلحقنَّ أرواحُنا بالله . والسلام .

---

(١) المخشوش : الذى جعل فى عظم أنفه الخشاش ، وهو بالكسر ، عويد يجعل فى أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع فى انقياده .

(٢) الهائعة : الصوت الشديد .

(٣) بطانة الرجل : خاصته وصاحب سره . وفى الأصل : « بطاشك » ، صوابه فى ح .

فكتب إليه علىّ عليه السلام :

كتاب على إلى معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان . أما بعد فإن أخا خولان قدم عَلَىَّ بكتابٍ منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحى . والحمد لله الذى صدَقَه الوعد ، وتمّم له النصر[1] ، ومكّن له فى البلاد ، وأظهره على أهل العِدَاءِ[2] والشنآن ، من قومه الذين وثبوا به وشَنِفوا له[3] ، وأظهروا له التكذيب ، وبارزوه بالعداوة . وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه [وأهله] ، وألَّبوا عليه العرب وجامعوهم على حربه ، وجهدوا فى أمره كلَّ الجهد ، وقلَّبوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون . وكان أشدَّ الناس عليه ألبة[4] أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصمه الله[5] يا ابن هند . فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ، ولقد قدمت فأفحشت ؛ إذْ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفينا ، فكنت فى ذلك كجالب التمر إلى هَجَر ، أو كداعى مُسدِّدِهِ إلى النِّضال[6] . وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده الله بهم ، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم

---

(١) ح : « وأيده بالنصر » .

(٢) فى الأصل : « العدى » تحريف . وفى ح : « ... » .

(٣) شنف له يشنف شنفاً ، من باب تعب : أبغضه ... فى إسلام أبى ذر : « فإنهم قد شنفوا له » ، أى أبغضوه .

(٤) الألبة : المرة من الألب ، وهو التحريض . ... وتحريضاً » .

(٥) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « النضال » لم يرد ...

(٦) التسديد : التعليم . أى كمن يدعو من علمه النضـ ...

فى الإسلام ، فكان أفضلهُم – زعمتَ – فى الإسلام ، وأنصحهُم لله ورسوله الخليفةَ ، وخليفة الخليفة . ولعمرى إنَّ مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد . رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء[١] . وذكرتَ أنَّ عثمان كان فى الفضل ثالثاً[٢] ، فإن يكنْ عثمانُ محسناً فسيجزيه الله بإحسانه ، وإن يكُ مسيئاً فسيلقى ربًّا غفوراً لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره . ولعمر الله إنى لأرجو إذا أعطى الله الناسَ على قدر فضائلهم فى الإسلام ونصيحتهِمْ لله ورسوله أن يكون نصيبنا فى ذلك الأوفرَ . إن محمداً صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد ، كنّا – أهلَ البيت – أوّلَ من آمن به ، وصدّق بما جاء به ، فلبِثنا أحوالا مجرَّمة[٣] وما يَعبُد اللهَ فى رَبعٍ ساكنٍ من العرب غيرنا ، فأراد قومُنا قتلَ نبيِّنا ، واجتياحَ أصلنا ، وهمُّوا بنا الهمومَ ، وفَعلوا بنا الأفاعيل، فمنعونا المِيرة ، وأمسكوا عنا العَذْب[٤] ، وأحلسونا الخوف[٥] ، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون ، واضطرُّونا إلى جبلٍ وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأْمنُ فيهم حتّى ندفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلوه ويمثّلوا به . فلم نكن نأْمن فيهم إلا مِن موسم إلى موسم ، فعزم الله لنا على منعه ، والذبِّ عن حوزته ، والرمى

---

(١) ح : « وجزاهما أحسن ما عملا » .

(٢) ح : « تاليا » .

(٣) أى سنين كاملة . والمجرمة ، بتشديد الراء المفتوحة .

(٤) الميرة ، بالكسر : ما يجلب من الطعام . والعذب ، عنى به الماء العذب .

(٥) أى ألزموناه . انظر ح (٣ : ٣٠٤) . وفى الأصل : « وأحلسوا » ، صوابه فى ح (٣ : ٣٠٣ ، ٤٠٨) .

من وراء حُرمته ، والقيام بأسيافنا دونه فى ساعات الخوف بالليل والنهار[1] ، فَمُؤْمِنُنَا يرجو بذلك الثواب ، وكافرُنا يحامى به عن الأَصل . فأَما من أسلم من قريش بعد فإنهم مما نحن فيه أَخلياءُ ، فمنهم حليف ممنوع ، أَو ذو عشيرة تدافع عنه فلا يبغيه أَحدٌ بمثل ما بغانا به قومنا من التلف ، فهم من القتل بمكان نجوةٍ وأَمْن . فكان ذلك ما شاء الله أَن يكون ، ثم أَمر الله رسوله بالهجرة ، وأَذن له بعد ذلك فى قتال المشركين ، فكان إذا احمرّ البأْس ودُعِيَتْ نَزَالِ أَقام أَهلَ بيته فاستقدموا ، فوقَى بهم أَصحابَه حَرَّ الأَسنة والسيوف ، فقُتل عُبيدة[2] يوم بدر ، وحمزة يوم أُحُد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة ، وأَراد الله من لو شئتُ ذكرتُ اسمه مثلَ الذى أَرادوا من الشهادة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة ، إلا أَن آجالهم عجِّلت ، ومنيّتَه أُخِّرت . والله مُولِى الإحسان إليهم ، والمنَّان عليهم ، بما قد أَسلفوا من الصالحات . فما سمعت بأَحد ولا رأَيت فيهم من هو أَنصح لله فى طاعة رسوله ، ولا أَطوع لرسوله فى طاعة ربه ، ولا أَصبر على اللأْواء والضراء وحين البأْس ومواطن المكروه مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، من هؤلاء النفر الذين سميتُ لك . وفى المهاجرين خير كثير نعرفه[3] ، جزاهم الله بأَحسن أَعمالهم . وذكرتَ[4] حسدى الخلفاء ، وإبطائى عنهم ، وبغيى عليهم . فأَما البغى فمعاذ الله أَن يكون ، وأَما الإبطاء عنهم والكراهة لأَمرهم فلست أَعتذر منه إلى الناس ؛ لأَنَّ

---

(١) فى الأصل : « والليل والنهار » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . وهو أول من عقدت له راية فى الإسلام . انظر الإصابة ٥٣٦٧ . وقد تزوج الرسول الكريم زوجته زينب بنت خزيمة بعده . انظر المعارف ٥٩ . وعبيدة هذا بهيئة التصغير كما فى الإصابة .

(٣) ح (٣ : ٤٠٩) : « خير كثير يعرف » .

(٤) فى الأصل : « فذكرت » صوابه بالواو ، كما فى ح .

الله جل ذكره لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم قالت قريش : منا أمير ، وقالت الأنصار : منا أمير . فقالت قريش : منا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أحقُّ بذلك الأمر . فعرفت ذلك الأنصارُ فسلَّمت لهم الولاية والسلطان . فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أحقُّ بها منهم. وإلاَّ فإنَّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً . فلا أدرى أصحابى سَلموا من أن يكونوا حقِّى أخذوا ، أو الأنصار ظلموا . [بل] عرفت أن حقى هو المأخوذ ، وقد تركتُه لهم تجاوزَ الله عنهم . وأما ماذكرتَ من أمر عثمان وقطيعتى رحِمَه ، وتألْيبى عليه فإن عثمان عمل ما [قد] بلغك ، فصنع الناس [به] ما قد رأيت وقد علمت . إنى كنت فى عزلة عنه ، إلاَّ أن تتجنَّى ، فتجنَّ ما بدا لك . وأما ما ذكرتَ من أمر قَتَلة عثمان فإنى نظرت فى هذا الأمرِ وضربت أنفه وعينيه فلم أر دفعَهم إليك ولا إلى غيرك . ولعمرى لئن لم تنزِع عن غَيِّك وشِقاقك لتعرفنَّهم عن قليل يطلبونك ، ولا يكلِّفونك أن تطلبَهم فى برٍّ ولا بحر ، ولا جبل ولا سهل . وقد كان أبوك أتانى حين ولَّى الناس أبا بكر فقال: أنت أحقُّ بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأمر ، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك . ابسطْ يدك أبايعك . فلم أفعلْ . وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذى أبَيْتُ ؛ لقرب عهد الناس بالكفر ، مخافةَ الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقِّى منك. فإن تعرف من حقى ما كان يعرف أبوك تصبْ رشدك ، وإن لم تفعل فسيغنى الله عنك . والسلام .

آخر الجزء الثانى من أصل عبد الوهاب

استشارة على المهاجرين والأنصار قبل المسير إلى الشام

نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن يزيد . والحارث ابن حَصيرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبى الكنود قال :

لما أراد علىٌّ المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أما بعد فإنكم مَيامِينُ الرأْى ، مراجيح الحلِم ، مقاويلُ بالحقّ ، مُباركو الفِعل والأَمر . وقد أردنا المسير إلى عدوِّنا وعدوِّكم . فأَشيروا علينا برأْيكم » .

رأى هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبى وقَّاص . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد يا أمير المؤمنين فأَنا بالقوم جِدُّ خبير ، هم لك ولأَشياعك أعداءٌ ، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياءُ ، وهم مقاتلوك ومجاهدوك [1] لا يُبقُون [2] جهداً ؛ مُشاحّة على الدنيا ، وضنًّا بما فى أيديهم منها. وليس لهم إربةٌ غيرها إلاَّ ما يخدعون به الجهَّال من الطلب بدم عثمان بن عفان [3] . كذبوا ليسوا بدمه يثأَرون [4] ولكن الدنيا يطلبون . فسر بنا إليهم [5] ، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلاَّ الضلال . وإن أبوا إلاَّ الشقاق فذلك الظَّنُّ بهم [6] . واللهِ ما أراهم يبايِعون وفيهم أحدٌ ممن يطاع إذا نهى و [لا] يُسمَع إذا أمر » .

رأى عمار بن ياسر

نصر : عمر بن سعد ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الرحمن ابن عبيد بن أبى الكنود ، أن عمار بن ياسر قام فذكر الله بما هو أهلُه ، وحمده وقال : يا أمير المؤمنين ، إن استطعت ألاَّ تقيم يوماً واحداً

---

(١) ح « (١ : ٢٧٨) : « ومجادلوك » لعل هذه : « ومجالدوك » .

(٢) ح : « لا يبغون » تحريف .

(٣) ح : « من طلب دم ابن عفان » .

(٤) ح : « ليسوا لدمه ينفرون » .

(٥) ح : « انهض بنا إليهم » .

(٦) ح : « فذاك ظنى بهم » .

ا[فعلْ . ا] شخَصْ بنا قبل استعار نار الفَجَرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعُهم إلى رشدهم وحظِّهم . فإن قبلوا سَعدوا ، وإن أبوا إلَّا حَربنا فوالله إنَّ سفك دمائهم ، والجِدَّ فى جهادهم ، لَقربةٌ عند الله ، وهو كرامةٌ منه » .

رأى قيس بن عبادة

وفى هذا الحديث : ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، انكمش بنا إلى عدوِّنا ولا تعرِّد[1] ، فوالله لجهادهم أحبُّ إلىّ من جهاد الترك والروم ؛ لإدهانهم فى دين الله[2] ، واستذلالهم أولياءَ الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان . إذا غضبوا على رجل حبَسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيَّروه[3] . وفيئُنا لهم فى أنفسهم حلال ، ونحن لهم – فيما يزعمون – قَطين[4] . قال : يعنى رقيق .

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت ، وأبو أيوب الأنصارى وغيرهما : لِمَ تقدَّمت أشياخَ قومك وبدأتَهم ياقيس بالكلام ؟ فقال : أمَا إنى عارفٌ بفضلكم ، معظِّم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضِّغن الذى جاش فى صدوركم حين ذُكرت الأحزاب .

رأى سهل بن حنيف

فقال بعضُهم لبعض : ليقُمْ رجلٌ منكم فليجِب أمير المؤمنين عن جماعتكم . فقالوا : قم يا سهل بنَ حُنيف . فقام سهلٌ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، نحن سِلْمٌ لمن سالمتَ ، وحربٌ لمن حاربت ، ورأيُنا رأيك ، ونحن كفٌّ يمينك . وقد رأينا أن تقوم بهذا

---

(١) الانكماش : الإسراع والجد . والتعريد : الفرار والإحجام والانهزام . ح : « ولا تعرج » .

(٢) الإدهان : الغش والمصانعة . وفى التنزيل العزيز : (ودوا لو تدهن فيدهنون) .

(٣) فى اللسان : « سيره من بلده : أخرجه وأجلاه » .

(٤) القطين : الخدم والأتباع والحشم والمماليك .

الأمر فى أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخوص ، وتخبرهم بما صنع الله لهم فى ذلك من الفضل ؛ فإنهم هم أهل البلد وهم الناس . فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد وتطلب . وأما نحن فليس عليك منا خلاف ، متى دعوتنا أجبناك ، ومتى أمرتنا أطعناك » .

خطبة على فى الخروج إلى صفين

نصر : عمر بن سعد ، عن أبى مخنف ، عن زكريا بن الحارث ، عن أبى حشيش[1] ، عن معبد قال ، قام علىٌّ خطيباً على منبره ، فكنت تحت المنبر حين حرَّض الناس وأمرهم بالمسير إلى صِفِّين لقتال أهل الشام . فبدأ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« سيروا إلى أعداء [الله . سيروا إلى أعداء] السنن والقرآن ، سيروا إلى بقية الأحزاب ، قتلة المهاجرين والأنصار » .

أى أربد الفزارى والأشتر

فقام رجل من بنى فزارة يقال له أربد فقال : أتريد أن تسيّرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلَهم لك ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم . كلاَّ ، ها اللهِ إذاً لا نفعل ذلك[2] . فقام الأشتر فقال : من لهذا أيُّها الناس[3] ؟ وهرب الفزارىّ واشتد الناس على أثره ، فلُحق بمكانٍ من السوق تباع فيه البراذين ، فوطِئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونِعَالِ سيوفهم[4] حتى قتل ، فأتى علىٌّ فقيل : يا أمير المؤمنين ، قُتل الرجل. قال : ومَن قتله؟ قالوا : قتلته همدان وفيهم شَوبة من الناس[5]

---

(١) ح (١ : ٢٧٩) : « أبى خشيش » بالخاء المعجمة .

(٢) ها التنبيه ، قد يقسم بها ، كما هنا . قال ابن منظور : « إن شئت حذفت الألف التى بعد الهاء ، وإن شئت أثبت » .

(٣) ح : « من هذا المأزق » .

(٤) نعل السيف : ما يكون فى أسفل جفنه من حديدة أو فضة .

(٥) ح : « ومعهم شوب من الناس » .

فقال : قتيلُ عِمِّيَّة لا يُدْرَى من قتله[1] ، دِيَته من بيت مال المسلمين .

وقال عَلاقة التيمى[2] :

أعوذ بربى أن تكون منيّتى ... كما مات فى سوق البراذين أربدُ

تعاوَره همْدَانُ خَفْقُ نعالهم ... إذا رفعت عنه يدٌ وُضِعت يدُ

خطبة الأشتر

قال : وقام الأشتر فحمِدَ الله وأثنى عليه فقال : « يا أمير المؤمنين ، لا يهدَّنَّك ما رأيت ، ولا يؤيِسَنَّك من نصرنا ما سمعتَ من مقالة هذا الشقى الخائن . جميع من ترى من الناس شيعتك ، وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ، ولا يحبون بقاءً بعدك . فإن شئت فسرْ بنا إلى عدوِّك . واللهِ ما ينجو من الموت من خافه ، ولا يُعطَى البقاءَ مَن أحبَّه ، وما يعيش بالآمال إلا شقىّ . وإنَّا لَعَلَى بيِّنةٍ من ربنا أنَّ نفساً لن تموتَ حتَّى يأتِىَ أجلُها ، فكيف لا نقاتلُ قوماً هم كما وصف أميرُ المؤمنين ، وقد وثبت عصابةٌ منهم على طائفة من المسلمين [بالأمس] فأسخطوا الله ، وأظلمت بأعمالهم الأرض ، وباعُوا خَلاقهم[3] بعرضٍ من الدنيا يَسير » .

فقال علىّ عليه السلام : « الطريق مشترك ، والناس فى الحق سواءٌ ، ومن اجتهد رأيه فى نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه » . ثم نزل فدخل منزله .

رأى حنظلة ابن الربيع

نصر : عمر بن سعد قال : حدثنى أبو زُهير العبسى ، عن النضر ابن صالح ، أن عبد الله بن المعْتَمّ العبسى ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، لما أمر علىّ عليه السلام الناسَ بالمسير إلى الشام ، دخَلا فى رجالٍ كثير

---

(١) العمية ، بكسر العين وتشديد الميم المكسورة والياء المفتوحة المشددة ، ويقال أيضاً « عمياً » بوزنه مع القصر ، أى ميتة فتنة وجهالة .

(٢) بدلها فى ح : « فقال بعض بنى تيم اللات بن ثعلبة » .

(٣) الخلاق ، بالفتح : الحظ والنصيب من الخير .

من غطفان وبنى تميم على أمير المؤمنين ، فقال له التميمى : « يا أمير المؤمنين ، إنا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلها منا ، ورأَيْنا لك رأياً فلا تردَّه علينا ؛ فإنا نظرنا لك ولمن معك . أَقِمْ وكاتب هذا الرجل ، ولا تعجل إلى قتالِ أَهل الشام ؛ فإنِّى والله ما أدرى ولا تدرى لمن تكون إذا التقيتم الغلبة ، وعلى من تكون الدَّبْرة » .

رأى عبد الله ابن المعتم

وقام ابن المعتَمِّ فتكلم ، وتكلَّم القومُ الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلَّم به ، فحمد علىٌّ الله وأَثنى عليه ، وقال :

« أَما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد ، ورب السمٰوات السبع والأَرَضين السبع ، وإليه تُرجعون . يؤتى الملك من يشاءُ وينزعه ممن يشاءُ ، ويعزّ من يشاءُ ويذل من يشاءُ . أَما الدَّبْرَة فإنها على [الضالِّين] العاصين ، ظفروا أَو ظفر بهم. وايم الله إنى لأَسمع كلام قوم ما أُراهم يريدون أَن يعرفوا معروفاً ، ولا ينكروا منكراً » .

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعى ثم الرياحى فقال :

الطعن فى حنظلة ابن الربيع وعبد الله بن المعتم

« يا أَمير المؤمنين ، إن هؤلاءِ والله ما أَتوك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلاَّ بغش ، فاحذرهم فإنهم أَدنى العدوّ » .

فقال له مالك بن حبيب : يا أَمير المؤمنين ، إنه بلغنى أَن حنظلة هذا يكاتب معاوية ، فادفعه إلينا نحبسه حتى تنقضى غَزَاتُك ثم تنصرف .

وقام إلى علىّ عَيَّاش بن ربيعة ، وقائِد بن بكير العبسيان ، فقالا : يا أَمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المعتمّ قد بلغنا أَنه يكاتب معاوية ، فاحبسه أَو أَمكنَّا منه نحبسه حتى تنقضى غزاتك وتنصرف. فأَخذا يقولان : هذا جزاءُ من نظر لكم[1] وأَشار عليكم بالرأى فيما بينكم

(١) فى الأصل : « من نصركم » صوابه من ح (١ : ٢٨٠) .

وبين عدوّكم . فقال لهما عليّ : « الله بيني وبينكم ، وإليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم . اذهبوا حيث شئتم » . ثم بعث عليّ إلى حنظلة بن الربيع ، المعروف بحنظلة الكاتب[1] ، وهو من الصحابة ، فقال : يا حنظلة ، أعليَّ أم لي ؟ قال : لا عليك ولا لك . قال : فما تريد ؟ قال : اشخص إلى الرُّهَا[2] ؛ فإنه فرج من الفروج ، اصمد له حتى ينقضيَ هذا الأمر . فغضب من ذلك خيار بني عمرو بن تميم - وهم رهطه - فقال : إنكم والله لا تغرُّوني من ديني . دعوني فأنا أعلم منكم . فقالوا : والله لئن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع فلانةَ تخرج معك - لأُم ولده - ولا ولَدَها . ولئن أردت ذلك لنقتلنَّك . فأعانه ناسٌ من قومه فاخترطوا سيوفهم ، فقال : أجِّلوني [حتَّى] أنظر . فدخل منزله وأغلق بابه حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية ، وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير ، ولحق ابنُ المعتمِّ أيضاً حتى أتى معاوية ، وخرج معه أحد عشر رجلا من قومه . وأما حنظلة فخرج بثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، ولكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعاً ، فقال حنظلة حين خرج إلى معاوية :

مصير حنظلة ابن الربيع وعبد الله بن المعتم

يسُلُّ غواةٌ عند بابي سيوفَهـا ... ونادى منـادٍ في الهُجَيم لأقبَلا

سـأترككم عَـوْداً لأصعبِ فرقةٍ ... إذا قلتمُ كـلاًّ يقول لـكم بَلَى

قال : فلما هرب حنظلة أمر عليّ بداره فهدمت ، هدمها عريفهم بكر بن تميم ، وشَبَثُ بن رِبْعيّ ، فقال في ذلك :

(١) هو حنظلة بن الربيع - ويقال ابن ربيعة - بن صيفي ، ابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب . وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم مرة كتاباً فسمي بذلك « الكاتب » . وكانت الكتابة قليلة في العرب . وكان ممن تخلف عن علي عليه السلام يوم الجمل . وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لليهود يوم وللنصارى يوم ، فلو كان لنا يوم » . فنزلت سورة الجمعة . انظر الإصابة ١٨٥٥ والمعارف ١٣٠ .

(٢) الرها ، بضم أوله والمد والقصر : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام .

أيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغَنْ مُغلغَلةً عَنِّى سراةَ بنى عمرِو
فأُوصيكمُ باللهِ والبرِّ والتُّقى ولا تنظُروا فى النائبات إلى بكرِ
ولا شَبَثٍ ذى المَنْخَرين كأنَّه أَزبُّ جِمالٍ فى مُلَاحيَّة صفر(١)

تحريض حنظلة لمعاوية

وقال أيضاً يحرض معاوية بن أبى سفيان :

أبلغ معاوية بن حرب خطَّةً ولكلِّ سائلةٍ تسيلُ قرارُ
لا نَقبلنَّ دنيَّةً تُعطُونها فى الأمر حتَّى تُقتلَ الأنصارُ
وكما تبوءُ دماؤهم بدمائكم وكما تُهدَّمُ بالدِّيار دِيارُ(٢)
وتُرى نساؤُهمُ يَجُلْن حواسراً ولهنَّ من عَلَقِ الدِّماء خُوارُ(٣)

خطبة عدى ابن حاتم

نصر : عمر بن سعد ، عن سعد بن طريف ، عن أبى المجاهد ، عن المحلّ بن خليفة قال : قام عدى بن حاتم الطائى [بين يدى علىٍّ عليه السلام] فحمد الله بما هو أهله وأثنى عليه ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، ما قلتَ إلا بعلم ، ولا دعوتَ إلا إلى حقّ ، ولا أمرت إلا برُشْد . فإن رأيت(٤) أن تستأْنِىَ هؤلاء القوم وتستديمهم حتى تأْتيَهم كتبُك ،

---

(١) الأزب من الإبل : الكثير شعر الوجه والعثنون . والملاحى ، بضم الميم وتخفيف اللام ، هو من الأراك ما فيه بياض وشهبة وحمرة . وفى ح : « قد غار ليلة النفر » ، وفى هامش الأصل : « قد دعا ليلة النفر » إشارة إلى أنه كذلك فى نسخة أخرى . صواب هذين : « قد رغا » .

(٢) فى الأصل :

وتجر قتلاهم بقتلى حروب وكما يقدم بالديار ديار

وأثبت ما فى ح (١ : ٢٨٠) . وكتب فى حاشية الأصل : « وكما تبوء دماؤهم بدمائكم » إشارة إلى أن صدره كذلك فى نسخة أخرى .

(٣) أصل الخوار صوت البقر والغنم والظباء . وفى ح : « من ثكل الرجال خوار » .

(٤) ح : (١ : ٢٨٠) : « ولكن إذا رأيت » .

ويَقْدَم عليهم رسلُك ـ فعلت. فإنْ يقبلوا يصيبوا ويرشُدوا [1]، والعافية أوسع لنا ولهم. وإن يتمادوا فى الشِّقاق ولا ينزِعوا عن الغىّ فسرْ إليهم. وقد قدّمنا إليهم العذر [2] ودعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحقِّ، فوالله لهُمْ من الله أبعَد، وعلى الله أهون، من قومٍ قاتلناهم بناحية البصرة أمس، لمَّا أَجْهَدَ لهم الحق [3] فتركوه، ناوخْناهم بَراكاءَ [4] القتالِ حتَّى بلغنا منهم ما نحبّ، وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى».

خطبة زيد بن حصين الطائى

فقام زيد بن حصين الطائى ـ وكان من أصحاب البرانس [5] المجتهدين فقال: الحمد لله حتَّى يرضى، ولا إله إلا الله ربُّنا، ومحمد رسول الله نبينا. أما بعد فوالله لئن كنا فى شَكٍّ من قتالِ مَن خالفنا، لا يصلح لنا النيَّة فى قتالهم حتى نستديمهم ونستأْنيَهم. ما الأعمال إلا فى تباب، ولا السَّعى إلا فى ضلال. والله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. إنا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دَمَه [6]، فكيف بأتباعه القاسيةِ قلوبهم، القليلِ فى الإسلام حظُّهم، أعوانِ الظلم ومسدِّدى أساس الجَور والعدوان [7]. ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار، ولا التابعين بإحسان.

---

(١) ح: «يصيبوا رشدهم».

(٢) ح: «بالعذر».

(٣) فى اللسان: «أجهد لك الطريق وأجهد لك الحق: برز وظهر ووضح». وفى الأصل «أجهدنا» والفعل لازم كما رأيت. وفى ح: «لما دعوناهم إلى الحق».

(٤) البراكاء، بضم الراء وفتحها: الابتراك فى الحرب، وهو أن يجثو القوم على ركبهم. والمناوخة: مفاعلة من النوخ، وهو البروك. وفى الأصل: «ناوحناهم» بالمهملة، صوابه فى ح.

(٥) البرنس، بالضم: قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه.

(٦) ح: «فيمن يتبعونه».

(٧) ح: «وأصحاب الجور والعدوان».

اعتراض طائى لزيد بن حصين

فقام رجل من طيِّئ فقال : يا زيد بن حصين ، أكلامَ سيدنا عدىٌّ ابن حاتم تهجِّن ؟ قال : فقال زيد : ما أنتم بأعرفَ بحق عدىٍّ منى ، ولكنى لا أَدَعُ القول بالحقّ وإن سخط الناس . قال : فقال عدىّ ابن حاتم : الطريق مشترك ، والناس فى الحقِّ سواءٌ . فمن اجتهد رأْيَه فى نصيحة العامة فقد قضى الذى عليه[1] .

أبو زبيب وعلى

نصر : عمر بن سعد ، عن الحارث بن حَصِيرة[2] قال : دخل أبو زُبَيب[3] بن عوف على علىّ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لئن كنا على الحقِّ لأَنت أهدانا سبيلا ، وأعظمُنا فى الخير نصيباً ، ولئن كنا فى ضلالةٍ إنك لأَثقلُنا ظهراً وأعظمنا وِزراً : أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله [من طاعتك] ، وفى أنفسنا من ذلك ما فيها . أليس الذى نحن عليه الحقَّ المبين ، والذى عليه عدونا الغَىَّ والحُوبَ الكبير ؟ » .

فقال علىّ : « [بلى] ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ، صحيحَ النيَّة فى نصرتنا ، قد قطعتَ منهم الولاية ، وأظهرتَ لهم العداوة كما زعمت ، فإنك ولى الله تسيح[4] فى رضوانه ، وتركض فى طاعته . فأبشر أبا زُبيب » .

---

(١) ما بعد : « سخط الناس » ساقط من ح ، فهو إما دخيل على النسخة ، أو تمثل من عدى بقول على عليه السلام ، الذى سبق فى ص ٩٥ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣ . وفى الأصل : « حضيرة » بالضاد المعجمة ، تحريف . وفى هامش الأصل « خ : حصين » إشارة إلى أنه « حصين » فى نسخة أخرى . وهذه الأخيرة توافق ما ورد فى ح (١ : ٢٨٠) . وليس بشىء .

(٣) ح : « أبو زينب » فى جميع المواضع .

(٤) ح : « تسبح » من السباحة .

فقال له عمار بن ياسر : أثبت أبا زبيب ولا تشكَّ فى الأحزاب عدوِّ الله ورسوله[1] .

قال : فقال أبو زبيب : ما أُحب أن لى شاهدين من هذه الأُمة فيشهدا لى على ما سألت عنه من هذا الأمر الذى أهمَّنى ، مكانكما . قال : وخرج عمار [بن ياسر] وهو يقول :

سيرُوا إلى الأحزابِ أعداءِ النَّبىّْ سيرُوا فخير النـاس اتباعُ عَلِىّ

هذا أوانَ طابَ سَلُّ المَشْرَفِىّ وقودُنا الخيــلَ وهــزُّ السمهرىّ

رأى يزيد بن قيس وزياد بن النضر

عمر بن سعد عن أبى روق قال : دخل يزيد بن قيس الأرحبى على علىّ بن أبى طالب فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن على جَهاز وعُدة[2] ، وأكثر النَّاسِ أهلَ قوة[3] ومن ليس بمضعَّف وليس به علَّة . فمر مناديَك فلينادِ الناسَ يخرجوا إلى معسكرهم بالنُّخيلَة ؛ فإنَّ أخا الحرب ليس بالسؤوم ولا النَّؤوم ، ولا مَن إذا أمكنَه الفُرصُ أجَّلها واستشار فيها ، ولا من يؤخر الحربَ فى اليوم إلى غدٍ وبعد غد .

فقال زياد بن النضر : لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيدُ بنُ قيس ، وقال ما يعرف ، فتوكَّل على الله وثِقْ به ، واشخص بنا إلى هذا العدوِّ راشداً مُعاناً ؛ فإن يرد الله بهم خيراً لا يدَعوك رغبةً عنك إلى من

---

(١) عدو ، يقال للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، ويقال أيضاً عدوة وعدوان وأعداء .

(٢) الجهاز : ما يحتاج إليه المسافر والغازى . ح : « أولو جهاز وعدة » .

(٣) أى أصحاب قوة . وفى الأصل : « القوة » وأثبت ما فى ح (١ : ٢٨١) .

ليس مثلَك فى السابقة مع النبى صلى الله عليه وآله ، والقَدَم[1] فى الإسلام ، والقرابة من محمد صلى الله عليه وآله . وإلاَّ يُنيبوا ويقبَلوا ويأْبَوا إلاَّ حرَبنا نجدْ حرَبهم علينا هيِّناً ، ورجونا أن يصرعهم الله مَصارعَ إخوانِهم بالأَمس .

رأى عبد الله ابن بديل

ثم قام عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعى فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا اللهَ يريدون أو لِله يعملون ، ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأُسوة[2] ، وحبًّا للأَثرة ، وضَنًّا بسلطانهم ، وكُرْهاً لفراق دنياهم التى فى أيديهم ، وعلى إحنٍ فى أنفسهم، وعداوةٍ يجدونها فى صدورهم ، لوقائع أوقعتَها يا أمير المؤمنين بهم قديمةٍ ، قتلتَ فيها أباءهم وإخوانهم[3] » .

ثم التفت إلى الناس فقال : فكيف يبايع معاويةُ عليًّا وقد قتل أخاه حنظلة ، وخالَه الوليد ، وجدَّه عُتبة فى موقف واحد . والله ما أظنُّ أن يفعلوا[4] ، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصَّد فيهم المُرّان[5] ، وتقطَّع على هامهم السيوف ، وتنثر حواجبُهم بعَمَدِ الحديد ، وتكونَ أمورٌ جمّةٌ بين الفريقين .

نصر : عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيرة[6]

---

(١) القدم ، بفتحتين : السبق والتقدم فى الإسلام .
(٢) الأسوة ، ها هنا : التسوية بين المسلمين فى قسمة المال . انظر ح (٣ : ٤) .
(٣) ح : « وأعوانهم » .
(٤) ح : « ما أظنهم يفعلون » .
(٥) تقصد : تكسر . والمران : الرماح الصلبة اللينة . والمران أيضاً : نبات الرماح . ح : « دون أن تقصف فيهم قنا المران » .
(٦) ح : « حصين » . وانظر ما سبق فى ص٣ ، ١٠٠ .

نصيحة على حجر بن عدى وعمرو بن الحمق

عن عبد الله بن شريك قال : خرج حُجر بن عدىّ ، وعمرو بن الحَمِق ، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام ، فأرسل إليهما علىّ : أن كُفَّا عما يبلغنى عنكما . فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين؛ ألسنا محقِّين ؟ قال : بلى . [قالا : أوَ ليسوا مبطلين ؟ قال : بلى] . قالا : فلم منعتنا من شتمهم ؟ قال : « كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتامين ، تشتمون وتتبرَّءُون . ولكن لو وصفتم مســاوئَ أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن عملهم كذا وكذا ، كان أصوب فى القول ، وأبلغ فى العذر . و [لو[1]] قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلحْ ذاتَ بينِهم ، واهدِهم من ضلالتهم ، حتّى يعرف الحقَّ منهم من جهلَه ، ويرعوىَ عن الغَىّ والعدوان مَن لهج به ، كان هذا أحبّ إلىَّ وخيراً لكم » . فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظتك ، ونتأدب بأدبك . وقال عمرو بن الحَمِق : إنى والله يا أمير المؤمنين ما أحْببتُكَ ولا بايعتُك على قَرابةٍ بينى وبينك، ولا إرادةِ مالٍ تؤتينيه ، ولا التماس سلطانٍ يُرفَع ذكرى به ؛ ولكنْ أحببتك لخصالٍ خمس : أنَّك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوّلُ من آمن به ، وزوجُ سيِّدة نساءِ الأُمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ، وأبو الذرِّيَّة التى بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً فى الجهاد . فلو أنى كُلِّفت نقلَ الجبال الرواسى ، ونَزْح[2] البحور الطوامى حتى يأتىَ علىّ يومى فى أمرٍ أُقوِّى به وليَّك وأُوهِن به عدوَّك ، ما رأيتُ أنِّى قد أدَّيت فيه كلَّ الذى يحقُّ علىَّ من حقِّك .

فقال أميرُ المؤمنين علىّ : اللهم نوِّر قلبَه بالتُّقى ، واهدِه إلى صراط

(١) ليست فى الأصل ولا فى ح ، وبها يلتئم الكلام .
(٢) فى الأصل : « وأنزح » ، صوابه فى ح (١ : ٢٨١) .

مستقيم[1] ، ليت أن فى جندى مائةً مثلَك . فقال حُجر : إذاً والله يا أَمير المؤمنين صحَّ جندُك ، وقلَّ فيهم من يغُشُّك .

ثم قام حجر فقال : يا أَمير المؤمنين ، نحن بنو الحرب وأَهلها ، الذين نُلقحها ونَنْتِجُها ، قد ضارستْنَا وضارسنَاهَا[2] ، ولنا أَعوانٌ ذوو صلاح ، وعشيرةٌ ذات عدد ، ورأىٌ مجربٌ وبأْسٌ محمودٌ ، وأَزِمَّتُنا منقادة لك بالسمع والطاعة ؛ فإنْ شرّقْتَ شرّقْنا ، وإن غرّبْتَ غرّبْنا ، وما أَمرتنا به من أَمرٍ فعلناه . فقال علىّ : « أَكلُّ قومك يرى مثلَ رَأْيِك؟» قال : « ما رأَيت منهم إلاَّ حسناً ، وهذه يدى عَنهم بالسَّمع والطاعة ، وبحسن الإجابة » . فقال له علىّ خيراً .

كتاب على إلى عامله مخنف ابن سليم

قال نصر : وفى حديث عمر بن سعد قال : وكتب علىّ إلى عمّاله ، فكتب إلى مخنف بن سليم :

سلام عليك ، فإنى أَحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أَما بعد فإنَّ جهاد مَن صدف عن الحق رغبةً عنه ، وهبَّ فى نُعاس العمى والضلال اختياراً له — فريضةٌ على العارفين. إن الله يرضى عمَّن أَرضاه، ويسخط على من عصاه . وإنا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ما أَنزل الله ، واستأْثروا بالفىء ، وعطَّلوا الحدود، وأَماتوا الحق ، وأَظهروا فى الأَرض الفساد ، واتخذوا الفاسقين وليجةً من دون المؤمنين ، فإذا ولىٌّ لله أَعظَمَ أَحداثهم أَبغضوه وأَقصَوه وحرموه ، وإذا ظالمٌ ساعدهم على ظلمهم أَحبُّوه وأَدنَوه وبَرُّوه؛ فقد أَصرُّوا على الظلم وأَجمعوا على الخلاف . وقديماً ما صدُّوا عن الحق ، وتعاونوا على الإثم

(١) ح : « صراطك المستقيم » .
(٢) فى اللسان (٨ : ٤٢٤) : « وضارست الأمور : جربتها وعرفتها » .

وكانوا ظالمين . فإذا أُتيتَ بكتابى هذا فاستخلِفْ على عملك أوثقَ أصحابِك فى نفسك ، وأَقبِلْ إلينا لعلك تلقى هذا العدوَّ المحلّ فتأْمرَ بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتجامعَ الحقَّ وتباينَ الباطل ؛ فإنه لاغَنَاءَ بنا ولا بك عن أجر الجهاد. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وكتب عبدُ الله بن أَبى رافع سنة سبع وثلاثين .

فاستعمل مِخنفٌ على أصبهان الحارثَ بن أَبى الحارث بن الربيع ، واستعمل على همدان سعيدَ بن وهب - وكلاهما من قومه - وأَقبل حتى شهد مع علىّ صفين .

كتاب على إلى ابن عباس فى اختلاف أهل البصرة

وكان علىّ قد استخلف ابن عباس على البصرة ، فكتب عبدالله ابن عباس إلى علىّ يذكر له اختلاف أهل البصرة ، فكتب إليه علىّ :

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس . أما بعد فالحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله . أما بعد[1] فقد قدم علىَّ رسولك وذكرتَ ما رأَيتَ وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافى[2] وسأُخبرك عن القوم : هم بين مقيم لرغبةٍ يرجوها ، أَو عقوبة يخشاها[3] . فأَرغِبْ راغبَهم بالعدل عليه ، والإنصاف له والإحسان إليه ؛ وحُلَّ عقدةَ الخوفِ عن قلوبهم ؛ فإنه ليس لأُمراءِ أهل البصرة فى قلوبهم عظم[4] إلاَّ قليلٌ منهم . وانتهِ إلى أَمرى ولا تعدُه ، وأَحسن إلى هذا الحىّ من ربيعة ،وكلُّ مَن قِبَلك فأَحسِنْ إليهم مااستطعتَ إن شاءَ الله . والسلام . وكتب عبد الله بن أَبى رافع فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين .

(١) كذا جاءت « أما بعد » مكررة . . وأول الرسالة فى ح : « أما بعد فقد قدم على رسولك» بإهمال ما قبلها من الكلام .

(٢) ح : « وقرأت كتابك تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعد انصرافى عنهم » .

(٣) ح : « أو خائف من عقوبة يخشاها »

(٤) كذا فى الأصل و ح . ولعلها : « عصم » جمع عصام ، وهو الحبل يشد به .

كتاب إلى الأسود بن قطنة

وكتب : من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى الأسود بن قطنة . أما بعد فإنه من لم ينتفع بما وُعظ لم يحذَر ما هو غابر[1] ، ومن أعجبته الدنيا رضىَ بها ، وليسَتْ بثقة . فاعتبِر بما مضى تحذر ما بقى ، واطبخ للمسلمين قِبَلك من الطِّلاءِ ما يذهب ثلثاه[2] ، وأكثر لنا من لَطَف الجند ، واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند ؛ فإن للوِلْدان علينا حَقًّا ، وفى الذرية من يُخاف دعاؤه ، وهو لهم صالح . والسلام .

وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابه إلى عبد الله ابن عامر

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر . أما بعد فإن خير الناس عند الله عز وجلّ أقومُهم لله بالطاعة فيما له وعليه ، وأقولهم بالحق ولو كان مُرًّا ؛ فإنَّ الحق به قامت السماوات والأرض . ولتكن سريرتُك كعلانيتك ، وليكن حكمك واحداً ، وطريقتك مستقيمة ؛ فإن البصرة مهبط الشيطان . فلا تفتحن على يد أحد منهم باباً لا نطيق سدَّه نحن ولا أنت . والسلامَ .

كتابه إلى ابن عباس

وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس . أما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غَلَّات المسلمين وفيئهم ، فاقسِمْه فيمن قِبَلك حتى تُغنيَهم ، وابعث إلينا بما فضَل نقسِمه فيمن قِبَلنا . والسلام .

---

(١) فى اللسان : الغابر : الباقى . قال : وقد يقال للماضى غابر .

(٢) الطلاء ، بالكسر : ما طبخ من عصير العنب .

وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس . أما بعد فإن الإنسان قد يسرُّه ما لم يكن ليفوته ، ويسوءُه فوتُ ما لم يكن ليدركَه وإن جهِد . فليكن سرورك فيما قدَّمتَ من حكمٍ أو منطق أو سيرة ، وليكن أسفُك على ما فرَّطت لله فيه من ذلك . ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزناً ، وما أصابك فيها فلا تبغِ به سروراً . وليكن همُّك فيما بعد الموت . والسلام[1] .

كتابه إلى أمراء الجنود

وكتب إلى أمراءِ الجنود :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين . أما بعد فإن حقَّ الوالى ألّا يغيِّره على رعيَّته أمرٌ ناله ولا أمر خُصّ به ؛ وأن يزيدَه ما قسم الله له دنُوًّا من عباده وعطفاً عليهم . ألَا وإنّ لكم عندى ألّا أحتجز دونكم سرًّا إلا فى حرب ، وَلَا أطوىَ عنكم أمراً إلّا فى حكم ، ولا أؤخِّر حقًّا لكم عن محِلِّه ، ولا أرزأكم شيئاً ، وأن تكونوا عندى فى الحق سواءً . فإذا فعلتُ ذلك وجبتْ عليكم النصيحة والطاعة . فلا تنكِصوا عن دعوتى ، ولا تفرِّطوا فى صلاحِ دينكم من دنياكم ، وأن تنفذوا لمَا هو لله طاعةٌ ، ولمعيشتكم صلاح . وأن تخوضوا الغمراتِ إلى الحقّ ولا يأْخذكم فى الله لومةُ لائم . فإن أبيتم أن تستقيموا لى على ذلك لم يكن أحدٌ أهونَ علىَّ ممن فَعَل ذلك منكم ، ثم أُعاقبُه عقوبةً لا يجد عندى فيها هوادة . فخذوا هذا من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم ، يصلح الله أمركم . والسلام .

---

(١) انظر مجالس ثعلب ١٨٦ .

كتابه إلى أمراء الخراج

وكتب إلى أمراء الخراج :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى أمراء الخراج[1] . أمَّا بعد فإنه مَن لم يحذَر ما هو صائر إليه لم يقدِّم لنفسه ولم يحرزْها . ومن اتَّبع هواه وانقاد له عَلَى ما يعرف نفع عاقبته عما قليل ليصبحَنَّ من النادمين. ألا وإنَّ أسعد الناس فى الدنيا من عدل عما يعرف ضره ، وإن أشقاهم من اتبع هواه . فاعتبروا واعلموا أنَّ لكم ما قدمتم من خير ، وما سوى ذلك وددتم لو أنَّ بينكم وبينه أَمَداً بعيداً ويحذِّركم الله نفسَه والله رءوف رحيم بالعباد . وإن عليكم ما فرَّطتم فيه ، وإن الذى طلبتم ليسير ، وإن ثوابه لكبير . ولو لم يكن فيما نُهِىَ عنه من الظُّلم والعدوان عقابٌ يُخاف ، كان فى ثوابه مالا عذْرَ لأَحد بترك طِلْبته[2] فارحموا تُرْحَموا ، ولا تعذِّبوا خلق الله ولا تكلِّفوهم فوق طاقتهم ، وأَنصِفوا الناس من أنفسكم ، واصبروا لحوائجهم فإنكم خُزّان الرعيَّة . لا تتخذُنَّ حُجَّاباً ، ولا تحجبُنّ أحداً عن حاجته حتى يُنهِيَهَا إليكم . ولا تأْخذوا أحداً بأَحد إلَّا كفيلاً عمن كفل عنه ، واصبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط ، وإياكم وتأْخير العمل ودفعَ الخير ؛ فإن فى ذلك الندم . والسلام .

وكتب إلى معاوية :

كتابه إلى معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان . سلام على من اتبع الهدى ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنك قد رأيت من الدنيا وتصرُّفِها بأَهلها وإلى ما مضى منها ، وخيرُ

---

(١) فى نهج البلاغة بشرح ابن أبى الحديد (٤ : ١١٥) : « أصحاب الخراج » .
(٢) الطلبة ، بالكسر : الطلب .

ما بقى من الدنيا ما أصاب العبادُ الصادقون فيما مضى . ومن نسىَ الدنيا نسيانَ الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً . واعلم يا معاوية أنك قد ادّعيتَ أمراً لستَ من أهله لا فى القَدَم ولا فى الولاية[1] ، ولست تقول فيه بأمرٍ بيِّنٍ تُعرف لك به أُثرة ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ، ولا عهد تدّعيه من رسول الله : فكيف أنت صانعٌ إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا أَبْهَجَتْ بزينتها[2] وركنتَ إلى لذّتها ، وخُلِّىَ فيها بينك وبين عدوٍّ جاهد ملحّ . مع ما عرض فى نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها ، وقادتك فاتَّبعْتها ، وأمـرَتْك فأطعْتَها . فاقْعَس عن هذا الأمر[3] ، وخذْ أُهبة الحساب ؛ فإنَّه يوشك أن يقفك واقف على مالا يُجِنّك منه مِجَنّ[4] . ومتى كنتم يا معاوية ساسةً للرعيّة ، أو ولاةً لأمر هذه الأمة بغير قَدَمٍ حسَن ، ولا شرفٍ سابق على قومكم . فشمِّر لما قد نزل بك ، ولا تمكِّن الشيطان من بُغيته فيك ، مع أنِّى أعرف أنَّ الله ورسوله صادقان . فنعوذ بالله من لزوم سابق الشَّقاء . وإلَّا تفعلْ أُعلمك ما أغفلَك من نفسك[5] ، فإنَّكَ مُترفٌ قد أخذ منك الشيطانُ مأْخذه ، فجرى منك مجرى الدم فى العُروق . واعلم أنَّ هذا الأمر لو كان إلى الناسِ أَو بأَيديهم لحسدونا وامتنُّوا به علينـا ، ولـكنّه

---

(١) انظر ما سبق فى التنبيه الأول ص ١٠٢ .

(٢) فى اللسان : « أبهجت الأرض : بهج نباتها » . وفى الأصل : « انتهت » تحريف . وفى ح (٣ : ٤١٠) : «تبهجت » قال ابن أبى الحديد : « وتبهجت بزينتها : صارت ذات بهجة» ولم أجد هذه الصيغة فى المعاجم .

(٣) القعس : التأخر والرجوع إلى الخلف ، كما فى اللسان . وفى الأصل : « فايس من هذا الأمر» صوابه فى ح (٣ : ٤٠٩) .

(٤) رواه ح : « مالا ينجيك منه منج » ، وقال : « ويروى : و لا ينجيك مجن . وهو الترس : والرواية الأولى أصح » .

(٥) ح : « ما أغفلت » .

قضاءً ممَّن امتَنَّ به علينا على لسان نبيه الصادق المصدَّق . لا أفلَحَ من شكَّ بعد العِرفان والبيِّنة . اللهمَّ احكم بيننا وبين عدُوِّنا بالحق وأنت خير الحاكمين .

فكتب معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب معاوية

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليِّ بن أبي طالب . أما بعد فدع الحسد فإنك طالما لم تنتفعْ به ، ولا تُفْسِد سابقةَ قَدَمك بشَره نخوتك ، فإنَّ الأعمال بخواتيمها ، ولا تمحَقْ سابقتك فى حقٍّ من لا حقَّ لك فى حقه[1] فإنك إن تفعل لا تضرَّ بذلك إلا نفسك ، ولا تمحقْ إلاَّ عملك ، ولا تبطلْ إلَّا حجتك. ولعمرى ما مضى لك من السابقات لشبيهٌ أن يكون ممحوقاً ؛ لِمَا اجترأْت عليه من سفْك الدماء ، وخلافِ أهلِ الحق . فاقرأْ سورة الفلق ، وتعوَّذْ بالله من شرِّ نفسك ، فإنَّك الحاسد إذا حَسَد .

كتاب على إلى عمرو بن العاص

وكتب إلى عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص . أما بعد فإنَّ الدنيا مَشغَلة عن غيرها ، وصاحبُها مقهورٌ فيها[2] ، لم يُصِب منها شيئاً قطُّ إلا فتحت له حرصاً ، وأدخلت عليه مَؤونةً تزيده رغبةً فيها ، ولن يستغنىَ صاحبُها بما نال عمَّا لم يبلُغه ، ومن وراءِ ذلك فراقُ ما جمَع ، والسعيد من وُعظ بغيره . فلا تُحْبِطْ أجرَك أبا عبد الله ، ولا تجارينَّ

---

(١) حق الرجل وأحقه : إذا غلبه على الحق .

(٢) ح (٤ : ١١٤) : « وصاحبها منهوم عليها » .

معاويةَ فى باطله[1] فإنَّ معاوية غمَص الناسَ وسَفِه الحقّ[2]. [والسلام][3]

وكتب إليه عمرو بن العاص :

جواب عمرو

من عمرو بن العاص إلى علىّ بن أبى طالب . أما بعد فإن الذى فيه صلاحُنا وأُلفة ذاتِ بيننا أن تُنِيب إلى الحقّ[4] ، وأن تجيب إلى ما تُدعَون إليه من شُورى[5] . فصبرَ الرجلُ منّا نفسَه على الحقّ ، وعذَره الناسُ بالمحاجزة . والسلام .

فجاء الكتاب إلى علىٍّ قبل أن يرتحل من النُّخيلة .

حديث زياد بن النضر وعبد الله ابن بديل

نصر : عمر بن سعد ، عن أبى روق قال : قال زياد بن النضر الحارثى لعبد الله بن بُديل بن ورقاء : إن يومنا ويومَهم لَيومٌ عصيب ، ما يصبر عليه إلا كلُّ مشيَّع القلب[6] ، صادق النية ، رابط الجأْش . وايم اللهِ ما أَظنُّ ذلك اليومَ يُبقِى منا ومنهم إلا الرُّذَال[7] . قال عبد الله ابن بُديل : واللهِ أَظنُّ ذلك . فقال علىٌّ : ليكن هذا الكلامُ مخزوناً فى صدوركما ، لا تُظهراه ولا يَسمَعْه منكما سامع . إن الله كتب القَتْل على قومٍ والموتَ على آخرين ، وكلٌّ آتيه منيّتُه كما كتب الله له . فطوبى للمجاهدين فى سبيل الله ، والمقتولين فى طاعته .

---

(١) ح : « و لا تشرك معاوية فى باطله »
(٢) غمص الناس : احتقرهم ولم يرهم شيئاً . وسفه الحق ، مختلف فى تأويله ، قيل معناه سفه الحق تسفيهاً . وقال الزجاج : سفه فى معنى جهل . وهو اقتباس من حديث لرسول الله رواه ابن منظور فى اللسان (غمص) .
(٣) زاد ابن أبى الحديد بعد هذه الكلمة : « قال نصر : وهذا أول كتاب كتبه على عليه السلام إلى عمرو بن العاص » .
(٤) أناب : رجع .
(٥) ح : « إلى ما ندعوكم إليه من الشورى » .
(٦) المشيع القلب : الشجاع .
(٧) الرذل ، والرذال ، والرذيل ، والأرذل : الدون الخسيس .

كلام هاشم ابن عتبة

فلما سمع هاشم بن عتبة[1] مقالتهم [قام[2]] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم . الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا فى عباد الله بغير رضا الله ، فأحلُّوا حرامه وحرّموا حلاله ، واستولاهم الشيطان[3] ووعدهم الأباطيل ومنَّاهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصدَ الرَّدَى ، وحبَّب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها كرغبتنا فى الآخرة إنجازَ موعود ربنا . وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه رحِماً ، وأفضلُ الناس سابقةً وقَدَماً . وهم يا أمير المؤمنين منك مثل الذى علمْنا . ولكن كُتب عليهم الشَّقاءُ ، ومالت بهم الأهواءُ وكانوا ظالمين . فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك[4] جَذِلةً على مَن خالفك وتولَّى الأمرَ دونك . والله ما أحبُّ أن لى ما فى الأرض ممّا أقلَّت ، وما تحت السماء مما أظلَّت ، وأنّى واليتُ عدوًّا لك ، أو عاديتُ وليًّا لك .

فقال علىّ : اللهم ارزقْه الشهادةَ فى سبيلك ، والمرافقَة لنبيك صلى الله عليه وآله وسلم .

خطبة على فى الدعوة إلى الجهاد

ثم إنَّ علياً صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم قال :

إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ؛ فانصِبُوا أنفسكم فى

---

(١) هو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص . وكان معه لواء على رضى الله عنه يوم صفين ، وقتل فى آخر أيامها . انظر الإصابة ٨٩١٣ والاشتقاق ٩٦ .

(٢) ليست فى الأصل . وفى ح : « . . ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال : سر بنا » .

(٣) كذا فى الأصل . وفى ح (١ : ٢٨٢) : « واستهوى بهم الشيطان ». وظنى بها « استهواهم » .

(٤) فى الأصل : « بنورك » ، صوابها فى ح .

أداءِ حقه ، وتنجّزوا مزعودَه ، واعلموا أنَّ الله جعل أمراسَ الإسلام متينة ، وعراه وثيقة ، ثم جعل الطَّاعةَ حظَّ الأنفس برضا الرب ، وغنيمةَ الأكياس عند تفريط الفَجَرة . وقد حُمِّلتُ أمر أسودِها وأحمرِها[1] ، ولا قوة إلا بالله . ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفِه نفْسَه ، وتناول ما ليس له وما لا يدركه : معاوية وجنده ، الفئة الباغية الطاغية ، يقودهم إبليس ، ويُبرِق لهم ببارق تسويفه ، ويدلِّيهم بغُروره[2] . وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذَّركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما أنالكم من الأَجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سُلِب دينَه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى . فلا أعرف أحداً منكم تقاعَسَ عنِّي وقال : فى غيرى كفاية ؛ فإن الذَّود إلى الذود إبلٌ ، ومن لا يذد عن حوضه يتهدم . ثم إنى آمركم بالشدَّة فى الأَمر ، والجهادِ فى سبيل الله ، وألا تغتابوا مسلماً . وانتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله .

ثم قام الحسن بن علىّ خطيباً فقال :

خطبة الحسن ابن على

الحمد لله لا إله غيره ، وحده لا شريك له ، وأُثنِى عليه بما هو أهله.

ثم قال :

إنَّ مما عظم الله عليكم من حقِّه ، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يُحصى ذكره ، ولا يؤدَّى شكره ، ولا يبلغه[3] صفة ولا قول . ونحن إنما

(١) يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة . فى الأصل : « أمركم أسودها وأحمرها » ، صوابه فى ح .
(٢) أى يوقعهم فيما أراد من تغريره . وفى الكتاب : « فدلاهما بغرور » .
(٣) فى الأصل : « تبلغها » ، والوجه ما أثبت من ح .

غضِبنا لله ولكم ؛ فإنه منٌّ علينا بما هو أهلُه أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونَعماءه ، قولاً[1] يصعد إلى الله فيه الرضا ، وتنتشر فيه عارفة الصدق ، يصدق الله فيه قولنا ، ونستوجب فيه المزيد من ربنا ، قولاً يزيد ولا يبيد ؛ فإنَّه لم يجتمع قومٌ قطُّ على أمرٍ واحد إلاَّ اشتدَّ أمرُهم ، واستحكمت عقدتهم . فاحتشِدُوا فى قتالِ عدوِّكم : معاويةَ وجنودِه ؛ فإنَّه قد حضر . ولا تَخاذَلوا ؛ فإنَّ الخِذلان يقطِّع نياط القلوب ؛ وإنَّ الإقدام على الأَسنَّة نجدةٌ وعصمة ؛ لأنَّه لم يمتنع[2] قومٌ قطُّ إلا رفع الله عنهم العلَّة ، وكفاهم جوائح الذلة[3] ، وهداهم إلى معالم الملَّة .

والصلح تأْخذُ منه ما رضيتَ [به]
والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ[4]

خطبة الحسين ابن على

ثم قام الحسين بن علىّ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا أهل الكوفة ، أنتم الأَحبَّة الكرماءُ ، [و] الشِّعار دون الدثار ؛ جِدُّوا فى إحياءِ ما دثَر بينكم ، وإسهال ما توعَّر عليكم ، وأُلفة ما ذاع منكم[5] . ألا إنَّ الحربَ شرُّها ذريع ، وطعمُها فظيع ، وهى جُرَعٌ

---

(١) فى الأصل : « قوك » . والكلام بعد : « إنما غضبنا لله ولكم » إلى : « ولا يبيد » لم يرد فى ح .

(٢) الامتناع : العزة والقوة . وفى القاموس : « والممتنع الأسد القوى العزيز فى نفسه » . ح : « يتمنع » . وفى اللسان : « منع الشىء مناعة : اعتز وتعسر . وقد تمنع » .

(٣) الجوائح : الدواهى والشدائد ، واحدتها جائحة . وفى الأصل : « حوائج » ، والوجه ما أثبت من ح .

(٤) البيت للعباس بن مرداس السلمى ، كما فى الخزانة (٢ : ٨٢) . والرواية المعروفة : « السلم تأخذ منها » . ويستشهد بهذه الرواية اللغويون على أن « السلم » تؤنث . قال التبريزى : « الجرع : جمع جرعة ، وهى ملء الفم . يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد فإذا جاءت الحرب قطعته عن لذاته وشغلته بنفسه » . وهو تحريض على الصلح . وأنفاس الحرب ، أراد بها أوائلها .

(٥) ليست فى ح . وذاع : انتشر وتفرق . وفى الأصل : « أذاع » .

متحسَّاة ، فمن أخذ لها أهبتَها ، واستعدّ لها عُدّتَها ، ولم يألَمْ كُلومَها عند حلولها ، فذاك صاحبها . ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها ، فذاك قَمِن ألاَّ ينفعَ قومه ، و [أن] يهلكَ نفسَه . نسأل الله بعونه أن يَدْعَمَكم بألْفته[1] .

اختلاف الناس في السير مع علي

ثم نزل . فأجاب عليًّا إلى السير[2] والجهادِ جُلُّ الناس ، إلاَّ أنَّ أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه ، وفيهم عَبيدة السَّلْمانى[3] وأصحابه ، فقالوا له : إنا نخرج معكم ، ولا ننزل عسكركم ، ونعسكر على حِدَةٍ حتَّى ننظر فى أمركم وأمرِ أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ له ، أو بدا منه بَغْيٌ ، كُنَّا عليه . فقال علىّ : مرحبا وأهلا ، هذا هو الفقه فى الدين ، والعلم بالسُّنَّة ، مَن لم يرض بهذا فهو جائر خائن . وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فيهم رَبيع بن[4] خُثَيْم ، وهم يومئذ أربعمائة رجل ، فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا شككنا فى هذا القتالِ على معرفتنا بفضلك ، ولا غَناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمَّن يقاتل العدوّ ، فولِّنا بعض الثغور نكونُ به[5] ثم نقاتل عن أهله. فوجَّهه على[6] ثغر الرَّى ، فكان أوَّل لواءٍ عقده بالكوفة لواءَ ربيع بن خُثَيم .

---

(١) ح : « بالفيئة » .
(٢) فى الأصل : « فأجابه إلى السير » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٣) عبيدة ، بفتح أوله . وهو عبيدة بن عمرو – ويقال ابن قيس – ابن عمرو السلمانى بفتح السين المهملة وسكون اللام ، نسبة إلى سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد . أسلم قبل وفاة النبى بسنتين ولم يلقه . روى عن ابن مسعود وعلى ، وروى عنه محمد بن سيرين ، وأبو إسحاق السبيعى ، وإبراهيم النخعى وغيرهم . وقال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه شىء كتب إلى عبيدة . توفى سنة ٧٢ وقيل ثلاث ، وقيل أربع . الإصابة ٦٤٠١ ، والمعارف ١٨٨ ، وتقريب التهذيب ، ومختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ص ٣٠ .
(٤) خثيم ، بهيئة التصغير . انظر الاشتقاق ١١٢ ، وشرح الحيوان (٤ : ٢٩٢) .
(٥) ح (١ : ٢٨٣) : « نكمن به » .
(٦) ح : « فوجه على عليه السلام بالربيع بن خثيم »

دعوة باهلة إلى الديلم وأهل البصرة إلى صفين

نصر : عمر بن سعد ، عن ليث بن سليم قال : دعا عليٌّ باهِلةَ فقال : يا معشر باهِلة ، أُشهِد اللهَ أنكم تُبغضونى وأُبغِضكم ، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الدَّيلم . وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صِفِّين .

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن عليًّا لم يبرح النُّخيلة حتى قدم عليه ابنُ عباسٍ بأهلِ البصرة ، وكان كَتب عليّ إلى ابن عباس وإلى أهل البصرة :

« أما بعد فأَشخِص إلىّ مَنْ قبلك من المسلمين والمؤمنين ، وذكِّرهم بلائى عندهم ، وعفوى عنهم ، واستبقائى لهم ، ورغِّبْهم فى الجهاد ، وأَعلمهم الذى لهم فى ذلك من الفَضْل » .

فقام فيهم ابن عباس فقرأَ عليهم كتاب علىّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، استعدُّوا للمسير إلى إمامكم ، وانفروا فى سبيل اللهِ خِفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ؛ فإنكم تقاتلون المُحِلِّين القاسطين ، الذين لا يقرءُون القرآن ولا يعرفون حكمَ الكتاب ، ولا يدينون دينَ الحقِّ ، مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر ، والصّادع بالحق ، والقيِّم بالهدى ، والحاكم بحكم الكتاب ؛ الذى لا يرتشى فى الحكم ، ولا يُداهِن الفُجّار ، ولا تأْخذه فى الله لومة لائم .

فقام الأَحنف بن قيس فقال : نعم ، والله لنُجيبنَّك ، ولنخرجنّ معك على العسر واليسر ، والرِّضا والكَرْه ، نحتسب فى ذلك الخير ، ونأْمل من الله العظيمَ من الأَجر[1] .

---

(١) ح : « نحتسب فى ذاك الأجر ، ونأمل به من الله العظيم حسن الثواب » .

استجابة الناس ورؤساء العرب للدعوة

وقام إليه خالد بن المعمَّر السدوسى[1] فقال : سمعنا وأطعنا ، فمتى استنفرتنا نفرنا ، ومتى دعوتَنا أجبنا .

وقام إليه عمرو بن مرجوم العبدى[2] ، فقال : وفّق الله أمير المؤمنين ، وجمع له أمرَ المسلمين ، ولعن المحلِّين القاسطين ، الذين لا يقرءُون القرآن ، نحن والله عليهم حَنِقون ، ولهم فى الله مفارِقون . فمتى أردتنا صَحِبَكَ خيلُنا ورَجْلُنا .

قدوم ابن عباس

وأجاب الناسُ إلى المسير ، ونشطوا وخَفُّوا ، فاستعمل ابن عباس على البصرة أبا الأسود الدُّؤَلى ، وخرج حتّى قدم على علىّ ومعه رءُوس الأخماس : خالد بن المعمَّر السدوسى على بكر بن وائل ، وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد القيس ، وصَبرة بن شَيْمان الأزدى[3] على الأزد ، والأحنف بن قيس على تميم وضبة والرباب ، وشريك بن الأعور الحارثى على أهل العالية . فقدموا على علىّ عليه السلام بالنخيلة . وأمَّر الأسباع من أهل الكوفة : سعد بن مسعود الثقفى على قيس وعبد القيس ، ومعقل بن قيس اليربوعى على تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد ، ومخنف بن سليم على الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة ، وحُجر بن عدىّ الكندى على كندة وحضرموت وقضاعة ومَهرة ، وزياد ابن النضر على مذحج والأشعريين ، وسعيد بن قيس بن مرة الهمدانى على همدان ومن معهم من حمير ، وعدىّ بن حاتم على طيئ ، ويجمعهم

---

(١) ترجم له فى الإصابة ٢٣١٧ فيمن له إدراك .

(٢) مرجوم ، بالجيم ، كان من أشراف عبد القيس ورؤسائها فى الجاهلية ، وقد مدحه المسيب بن علس . وكان ابنه عمرو سيداً شريفاً فى الإسلام . ذكره ابن حجر فى الصحابة . انظر الإصابة ٥٩٥٤ .

(٣) فى الأصل : « سيمان » صوابه بالشين كما فى الاشتقاق ٢٩٩ .

الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان : راية مذحج مع زياد بن النضر ، وراية طيئ مع عدى بن حاتم .

وكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية :

كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبى بكر إلى الغاوى بن صخر . سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلمٌ لأهل ولاية الله . أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عنَت[(١)] ولا ضعفٍ فى قوته ، ولا حاجة به إلى خلْقهم ، ولكنَّه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم شقيًّا وسعيداً ، وغَويًّا ورشيداً ؛ ثم اختارهم على علمه ، فاصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فاختصّه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولا مصدِّقا لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان أوّلَ من أجاب وأناب ، وصدَّق ووافق ، وأسلم وسلَّم ـ أخوه وابن عمه على ابن أبى طالب عليه السلام ، فصدَّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلِّ حميم ، فوقاه كلَّ هول ، وواساه بنفسه فى كلِّ خوفٍ ، فحارب حَرْبَه ، وسالم سَلْمَه[(٢)] فلم يبرحْ مبتذلاً لنفسه فى ساعات الأَزْل[(٣)] ومقامات الروع ، حتى برَّز سابقاً لا نظير له فى جهاده ، ولا مقاربَ له فى فعله . وقد رأيتك تساميه وأنت أنت . وهو هو المبرّز السابق فى كلِّ خير ، أوّلُ الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيَّة ، وأطيب الناس ذُرّيَّة ، وأفضل الناس زوجةً ، وخير الناس ابنَ عم . وأنت اللعينُ ابنُ اللعين . ثم

---

(١) العنت : المشقة .

(٢) الحرب : العدو المحارب . والسلم : المسالم .

(٣) الأزل : الضيق والشدة .

لم تزَلْ أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله ، وتجْهدان على إطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموعَ ، وتبذلان فيه المال ، وتحالفان فيه القبائل . على ذلك مات أبوك ، وعلى ذلك خَلَفْته ، والشاهد عليك بذلك من يأْوى ويلجأُ إليك من بقيَّة الأَحزاب ، ورءُوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . والشاهد لعلىٍّ مع فضله المبين ، وسبقه القديم ، أنصارُه الذين ذُكروا بفضلهم فى القرآن فأَثْنى الله عليهم ، من المهاجرين والأَنصار ، فهم معه عصائبُ وكتائب حولَه ، يجالدون بأَسيافهم ، ويُهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضلَ فى اتِّباعه ، والشَّقاءَ فى خِلافه ، فكيف ــ يالَكَ الويلَ ــ تعدِل نفسَك بعلىّ ، وهو وارثُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيُّه وأبو ولَده ، وأوَّل الناس له اتِّباعاً ، وآخرُهم به عهداً ، يخبره بسرِّه ويُشْرِكُه فى أمره ؛ وأنت عدوُّه وابنُ عدوِّه ؟ ! فتمتَّع ما استطعتَ بباطلك ، وليمدد لك ابنُ العاص فى غَوايتك ، فكأَنَّ أَجلك قد انقضى ، وكيدَك قد وهى . وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا . واعلم أنك [إنما] تكايد ربك الذى قد أمنت كيده ، وأيِست من رَوْحه . وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه فى غُرور ، وبالله وأهل رسوله عنك الغَنَاءُ ، والسلام على من اتبع الهدى .

كتاب معاوية إلى محمد بن أبى بكر

فكتب إليه معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبى سفيان إلى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر . سلامٌ على أهل طاعة الله . أما بعد فقد أتانى كتابك ، تذكر فيه ما اللهُ أهله فى قدرته وسلطانه ، وما أصفَى به نبيَّه (1) ، مع كلامٍ ألَّفته

---

(1) أصفاه بالشىء : آثره به . وفى الكتاب : (أفأصفاكم ربكم بالبنين) . وفى الأصل : « وما اصطفاه به نبيه » ، صوابه فى ح (1 : 284) .

ووضعته ، لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف . ذكرت حق ابن أبي طالب ، وقديمَ سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه ، ونُصرته له ومواساته إيّاه فى كلّ خوفٍ وهول ، واحتجاجَك علىّ بفضل غيرك لا بفضلك . فاحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك . وقد كنا وأبوك معنا فى حياةٍ من نبينا صلى الله عليه ــ نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرِّزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، وأظهر دعوته وأفلج حجته . قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقُه أوّلَ من ابتزّه وخالفه . على ذلك اتفقا واتّسَقا[1] ، ثم دعَوَاه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلّم لهما ، لا يشركانه فى أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قُبضا وانقضى أمرهما . ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدى بهَدْيهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبتَه أنتَ وصاحبُك ، حتّى طمِع فيه الأقاصى من أهل المعاصى ، وبطنتما له وأظهرتما[2] ، [وكشفتما] عداوتكما وغِلّكما ، حتى بلغتما منه مُناكما . فخذ حِذْرك يا ابن أبي بكر ، فسترَى وبالَ أمرك . وقس شبرك بفِتْرِك[3] تقصر عَنْ أنْ تساوىَ أو توازى من يَزِنُ الجبالَ حلمُه ، [و] لا تلين على قَسْرٍ قناتُه[4] ، ولا يُدرِكُ ذو مَدًى أناتَه . أبوك مهّد مِهادَه ، وبنَى ملكه وشاده ، فإن يكنْ ما نحن فيــه صواباً فأبوك أوّلُه ، وإن يكُ جَورًا فأبوك أسَسُه[5] . ونحن شركاؤه ، وبهديه أخذْنا ، وبفعله اقتدينا .

(١) فى الأصل : « وانشقا » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) ح (١ : ٢٨٤) : « وظهرتما » .
(٣) الشبر ، بالكسر : مابين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر . والفتر ، بالكسر أيضاً : ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما .
(٤) القسر : القهر والإكراه . وفى الأصل : « قصر » ، صوابه فى ح .
(٥) الأسس ، بالتحريك : الأساس ؛ ومثلها الأس ، بالضم . ح : « أسه » .

ولولا ما سبَقَنا إليه أبوك ما خالَفْنَا ابنَ أبي طالب وأسلَمْنا له ، ولكنَّا رأينا أباك فَعل ذلك فاحتذَينا بمثاله[1] ، واقتدينا بفعاله . فعِبْ أباك ما بدا لك أو دَعْ . والسّلامُ على من أناب ، ورجع عن غَوايته وتاب .

قال : وأمَر عليٌّ الحارث الأعور ينادى فى الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم بالنُّخيلة . فنادى : أيها الناس ، اخرُجوا إلى معسكركم بالنخيلة . وبعث عليٌّ إلى مالك بن حبيب اليربوعى صاحب شرطته ، فأمره أن يَحشُر الناس إلى المعسكر[2] . ودعا عقبةَ بن عمرٍو الأنصاريَّ فاستخلفه على الكوفة ، وكان أصغرَ أصحابِ العقَبة السبعين . ثم خرج عليٌّ وخرج الناس معه .

نصر : عمر حدثنى عبد الرحمن عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن شريك ، أن النَّاس لما توافَوا بالنخيلة قام رجالٌ ممن كان سَيَّرَ عثمان[3] فتكلموا ، فقام جندب بن زهير ، والحارث الأعور ، ويزيد بن قيس الأرحبي فقال جندب : قد آن للذين أُخرجوا من ديارهم[4] .

نصيحة على لزياد بن النضر وشريح بن هانئ

نصر : عمر بن سعد ، حدثنى يزيد بن خالد بن قَطَن ، أنَّ عليًّا حين أراد المسير إلى النُّخيلة دعا زيادَ بن النَّضر ، وشُريح بنَ هانئ – وكانا على مذحِج والأشعريين – قال : يا زياد، اتَّق الله فى كلِّ مُمْسًى ومُصْبَح ، وخَفْ[5] على نفسك الدنيا الغَرُورَ ، ولا تأْمَنْها على حالٍ من

(١) ح : « رأينا أباك فعل ما فعل فاحتذينا مثاله » .
(٢) فى الأصل : « العسكر » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) أى سيرهم عثمان . والتسيير : الإجلاء والإخراج من البلد .
(٤) كذا وردت العبارة . أى آن لهم أن يقاتلوا . وفى الكتاب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم » .
(٥) فى الأصل : « خفف » ، صوابه فى ح .

البلاء ، واعلم أنك إن لم تَزَعْ نفسَك عن كثيرٍ مِمّا يُحَبُّ[1] مخافة مكروهة ، سَمت بك الأهواءُ إلى كثيرٍ من الضُّرّ . فكن لنفسك مانعاً وازعاً[2] من البغْي والظلم والعدوان ؛ فإنِّى قد وليتك هذا الجند ، فلا تستطيلنَّ عليهم ، وإنَّ خيركم عند الله أتقاكم . وتعلَّمْ من عالمهم ، وعَلِّم جاهلهم ، واحلُم عن سفيههم ؛ فإنَّك إنما تدرك الخير بالحلم ، وكفّ الأذى والجَهْل[3] .

كتاب زياد بن النضر إلى على فى أمر شريح

فقال زياد : أَوصيتَ يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيَّتِك ، مؤدَّباً بأَدبك ، يرى الرُّشْد فى نفاذ أَمرك ، والغَىَّ فى تضييع عهدك .

فأَمرهما أَن يأْخذا فى طريقٍ واحد ولا يختلفا ، وبعثهما فى اثنى عشر أَلفاً على مقدِّمته[4] شريح بن هانئ على طائفة من الجند ، وزياد على جماعة . فأَخذ شريح يعتزل بمن معه من أَصحابه على حِدَة ، ولا يقرب زيادَ بن النضر[5] ، فكتب زياد [إلى علىّ عليه السلام] مع غلام له أو مولًى يقال له شوذب :

لعبد الله علىّ أَمير المؤمنين من زياد بن النضر ، سلام عليك فإنِّى أَحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أَمّا بعد فإنَّك ولَّيتنى أَمر الناس ، وإن شريحاً لا يرى لى عليه طاعة ولا حقاً ، وذلك من فعله بى استخفافٌ بأَمرك ، وترك لعهدك[6] . [والسلام] .

---

(١) فى الأصل : « يجب » ، صوابه فى ح .

(٢) فى الأصل : « وادعاً » صوابه فى ح . وجاء فى نهج البلاغة (٤ : ١٦١) بشرح ابن أبى الحديد : « رادعاً » .

(٣) الجهل : نقض الحلم . وفى الأصل : « الجهد » ، والصواب فى ح .

(٤) مقدمة الجيش ، بكسر الدال المشددة ، وعن ثعلب فتح داله .

(٥) فى الأصل : « بزياد » تحريف . وفى ح : « زياداً » فقط .

(٦) فى الأصل : « استخفافاً » و : « تركاً » ، صوابه فى ح (١ : ٢٨٥) .

كتاب شريح إلى على فى أمر زياد

وكتب شريح بن هانئ :

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإن زياد بن النضر حين أشركتَه فى أمرك ، ووليته جنداً من جنودك ، تنكَّر واستكبر ، ومال به العُجب والخُيَلاءُ والزهو إلى مالا يرضاه الربُّ تبارك وتعالى[1] من القول والفعل . فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنا ويبعث مكانه من يحبُّ فليفعل ، فإنا له كارهون . والسلام .

كتاب على إليهما

فكتب إليهما علىّ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ . سلام عليكما ، فإنى أحمد إليكما الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنى قد وليت مقدَّمتى زياد بن النضر وأمَّرته عليها ، وشريحٌ على طائفة منها أمير ، فإن أنتما جمعكما بأْسٌ فزياد بن النضر على الناس ، وإن افترقتما فكلُّ واحد منكما أميرُ الطائفة[2] التى وليَّناه أمرها . واعلما أنَّ مقدّمة القوم عيونهم ، وعيون المقدِّمة طلائعهم ، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأَما من توجيه الطلائع ، ومن نَفْض الشِّعاب والشَّجر والخَمَرِ فى كلِّ جانب[3] كى لا يغترَّكما عدو ، أو يكون لكم كَمِين . ولا تسيِّرُنَّ الكتائب [والقبائل] من لدن الصباح إلى المَسَاء إلّا على

---

(١) ح : « إلى مالا يرضى الله تعالى به » .

(٢) فى الأصل : « على أمير الطائفة » وكلمة : « على » مقحمة .

(٣) النفيضة : الجماعة يبعثون فى الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف . والشعاب : جمع شعبة ، وهو ما انشعب من التلعة والوادى ، أى عدل عنه وأخذ فى طريق غير طريقه . والخمر ، بالتحريك : ما واراك من الشجر والجبال ونحوها . فى الأصل و ح : « نقض الشعاب » بالقاف ، صوابه بالفاء .

تعبية[1] . فإنْ دهِمكم داهمٌ أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم فى التعبية . وإذا نزلتم بعدوٍّ أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قُبُل الأشراف أو سِفَاح الجبال[2] ، أو أثناء الأنهار ، كى ما يكونَ ذلك لكم رِدءًا[3] ، وتكون[4] مقاتلتكم من وجهٍ واحد أو اثنين . واجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال ، وبأعالى الأشراف ، ومناكب الهضاب[5] يَرَوْنَ لكم لئلاَّ يأْتيكم عدوٌّ من مكان مخافةٍ أو أمن . وإياكم والتفرُّقَ ، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً ، وإذا غشيكم ليلٌ فنزلتم فحُفُّوا عسكركم بالرماح والأترسة[6] ، ورماتكم يلون تِرَسَتَكم ورماحكم . وما أقمتم فكذلك فافعلوا كى لا تصابَ لكم غفلةٌ ، ولا تلفى منكم غِرّة ، فما قومٌ حَفُّوا عسكرَهم برماحهم وتِرستهم من ليل أو نهارٍ إلا كانوا كأنهم فى حصون. واحرسا عسكركما بأنفسِكما ، وإياكما أن تذوقا نَوْماً حتى تُصبِحا إلاَّ غراراً أو مضمضة[7] . ثم ليكن ذلك شأْنَكما ودأْبَكما حتى تنتهيا إلى

---

(١) فى الأصل : « إلا من لدن » الخ . وكلمة : « إلا » مقحمة .

(٢) الأشراف : الأماكن العالية ، جمع شرف . وقبلها : ما استقبلك منها . وسفاح الجبال أسافلها ، حيث يسفح منها الماء . ولم أجد هذا الجمع فى المعاجم . والمعروف سفوح .

(٣) قال ابن أبى الحديد فى (٣ : ٤١٣) : « المعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عال كالهضاب العظيمة أو الجبال أو منعطف الأنهار التى تجرى مجرى الخنادق على العسكر ، ليأمنوا بذلك من البيات ، وليأمنوا من إتيان العدو لهم من خلفهم » .

(٤) فى نهج البلاغة : « ولتكن » .

(٥) المنكب من الأرض : الموضع المرتفع . فى الأصل : « ومناكب الأنهار » ، صوابه من نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٣ : ٤١٢) .

(٦) الترس من السلاح تلك التى يتوقى بها ، وتجمع على أتراس وتراس وترسة وتروس . وفى اللسان : « قال يعقوب : ولا تقل أترسة » . وفى ح (١ : ٢٨٥) : « والترسة » .

(٧) فى اللسان : « لما جعل للنوم ذوقاً أمرهم أن لا ينالوا منه إلا بألسنتهم ولا يسيغوه فشبه بالمضمضة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع » .

عدوِّكما . وليكن عندى كلَّ يومٍ خبرُكما ورَسولٌ مِن قِبَلِكما ؛ فإنِّى –ولا شىء إلاَّ ما شاء الله – حثيثُ السَّيرِ فى آثاركما . عليكما فى حربكما بالتُّؤدة ، وإياكم والعجلة إلا أن تمكنكم فرصة بعد الإعذار والحجّة . وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلا أن تُبْدَآ أو يأْتيَكما أمرى إن شاء الله . والسلام .

كتاب على إلى أمراء الأجناد

وفى حديث عمر أيضاً بإسناده ، ثم قال : إن عليًّا كتب إلى أمراء الأَجناد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين ، أَما بعد فإنى أبرأُ إليكم وإلى أهل الذمة من معرَّة الجيش[1] ، إلا من جَوعة إلى شَبعة ، ومن فقرٍ إلى غنًى ، أَو عمى إلى هدى ؛ فإن ذلك عليهم . فاعزلوا الناسَ عن الظُّلم والعدوان ، وخُذوا على أيدى سفهائكم ، واحترسوا أَن تعملوا أعمالاً لا يرضى الله بها عنَّا فيردَّ علينا وعليكم دعاءَنا ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ . فإنَّ الله إذا مقت قوماً من السماء هلكوا فى الأرض ، فلا تأْلُوا أَنفسكم خيراً[2] ، ولا الجند حُسنَ سيرة ، ولا الرّعيَّة معونة ، ولا دينَ الله قوّة ، وأبلوا فى سبيله[3] ما استوجب عليكم ، فإن الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما [يجب علينا أن] نشكره بجهدنا ؛ وأن ننصره ما بلغت قوتنا . ولا قوة إلا بالله . وكتب أبو ثروان .

---

(١) معرة الجيش : أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم شيئاً بغير علم .
(٢) يقال فلان لا يألو خيراً : أى لا يدعه ولا يزال يفعله . وفى الأصل : « لاتدخروا أنفسكم » ، صوابه فى ح .
(٣) فى الأصل : « وأبلوه » ، صوابه فى ح .

كتاب على إلى الجنود

قال : وفى كتاب عمر بن سعد أيضاً : وكتب إلى جنوده يُخبرهم بالذى لهم والذى عليهم :

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين . أما بعد فإن الله جعلكم فى الحق جميعاً سواء ، أسودكم وأحمركم[1] ، وجعلكم من الوالى وجعل الوالىَ منكم بمنزلة الوالد من الولَد ، وبمنزلة الولد من الوالد الذى لا يكفيهم منعه إياهم ، طلبَ عدوِّه والتهمة به ، ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذى عليكم[2] . وإنَّ حقكم عليه إنصافُكم والتعديل بينكم ، والكفُّ عن فيئكم . فإذا فعل ذلك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق الحق ، ونُصرتُه على سيرته ، والدّفعُ عن سلطان الله ؛ فإنّكم وَزَعة الله فى الأرض – قال عمر : الوزعة الذين يدفعون عن الظلم – فكونوا له أعواناً ولدينه أنصاراً ، ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها . إنَّ الله لا يحبّ المفسدين .

تحقيق فى قبر يهودا

قال : ومرت جنازة على علىٍّ وهو بالنخيلة .

نصر : عمر بن سعد ، حدثنى سعد بن طريف عن الأصبغ بن نُباتة عن علىّ قال : قال علىّ : ما يقول الناس فى هذا القبر ؟ – وفى النخيلة قبر عظم يدفن اليهود موتاهم حوله – فقال الحسن بن علىّ : يقولون هذا قبر هود النبى صلى الله عليه وسلم لما أن عصاه قومه جاء فمات ها هنا . قال : كذبوا ، لأنا أعلم به منهم ، هذا قبر يهودَا[3] بنِ يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ، بكر يعقوب[4] . ثم قال : ها هنا أحد من

(١) انظر ما مضى ص ١١٣ .
(٢) الكلام بعد « الولد » إلى هنا ليس فى ح .
(٣) فى الأصل : « يهوذ » وفى ح (١ : ٢٨٦) : « يهوذا » صوابهما ما أثبت كما فى فى القاموس مادة (هود) . وفى شفاء الغليل للخفاجى : « يهودا معرب يهوذا بذال معجمة ، ابن يعقوب عليه السلام » .
(٤) الحق أن بكر يعقوب هو « رأوبين » وأمه ليئة . انظر التكوين (٣٥ : ٢٣ ، ٢٧) .

مَهْرة[1] ؟ قال : فأُتِىَ بشيخٍ كبير ، فقال : أَين منزلك ؟ قال : على شاطئِ البحر . قال : أَين من الجبل الأَحمر[2] ؟ قال : [أنا] قريب منه . قال : فما يقول قومك فيه ؟ قال : يقولون : قبر ساحر . قال : كذبوا ، ذاك قبر هود ، وهذا قبر يهودا[3] بن يعقوب بِكرِه . [ثم قال عليه السلام] : يُحشر من ظهر الكوفة سبعون أَلفاً على غُرَّة الشمس[4] يدخلون الجنَّة بغير حساب .

قال نصر : وفى حديث عمر بن سعد قال : بُعث قيس بن سعد الأَنصارى من الكوفة إلى مصر أَميراً عليها .

فلما بلغ معاويةَ بنَ أَبى سفيان مكانُ علىٍّ بالنخيلة ومعسكره بها ـ ومعاويةُ بدمشق قد أَلبس مِنبر دمشقَ قميصَ عثمان وهو مخضَّب بالدم ، وحول المنبر سبعون أَلفَ شيخٍ يبكون [حوله] لا تجفُّ دموعهم على عثمان ـ خَطب معاوية أَهل الشام فقال :

خطبة معاوية فى أهل الشام

يا أَهل الشام ، قد كنتم تكذِّبونى فى علىّ ، وقد استبان لكم أَمْره ، واللهِ ما قتل خليفتكم غيرُه ، وهو أَمر بقتله ، وأَلَّب النَّاسَ عليه ، وآوَى قتَلَته ، وهم جنده وأَنصاره وأَعوانه ، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم [ودياركم] لإبادَتكم . ياأَهل الشام ، اللهَ اللهَ فى عثمان ، فأَنا ولىُّ عثمان وأَحقُّ من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولى المظلوم سلطاناً[5] . فانصروا خليفتكم [المظلوم] ؛ فقد صنع به القوم ما تعلمون ، قتلوه

(١) مهرة ، بالفتح ، ابن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وهم حى من اليمن .

(٢) ح : « أين أنت من الجبل » فقط .

(٣) فى الأصل : « يهود » وانظر التنبيه رقم ٣ من الصفحة السابقة .

(٤) أى مطلعها . وغرة كل شىء : أوله . وفى الأصل : « الشمس والقمر » ، وأثبت مافى ح .

(٥) ح : « لولى المقتول ظلماً سلطاناً » .

ظلماً وبغياً ، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفَىء إلى أمر الله .
[ثم نزل] .

تولية معاوية الولاة والعمال

فأعطَوه الطاعة ، وانقادوا له وجمع إليه أطرافَه ، واستعمل على فلسطين ثلاثة رهط فجعلهم بإزاء أهل مصر ليغيروا عليهم من خلفهم ، وكتب إلى معتزلة أهل مصر ، وهم يومئذ يكاتبون معاوية ولا يطيقون مكاثرة أهل مصر ، إن تحرك قيسٌ عامل علىٍّ على مصر أن يثبتوا له . وفيها معاوية بن خديج ، وحصين بن نمير . وأمراءُ فلسطين الذين أمَّرهم معاوية عليها : حباب بن أسمر ، وسمير بن كعب بن أبى الحميرى ، وهَيلة بن سحمة . واستعمل على أهل حمص محول بن عمرو بن داعية ، واستخلف على أهل دمشق عمَّار بن السِّعر ، واستعمل على أهل قنَّسرين صيفىّ بن عُلَيّة بن شامل[1] .

آخرُ الجزء الثانى من الأصل ، ويتلوه فى الجزء الثالث
خروج على رضى الله عنه إلى النخيلة . وصلى الله
على سيدنا محمد النبى وآله وسلم .

(١) ترجم له ابن عساكر فى تاريخه (١٨ : ٦٤) النسخة التيمورية ، وقيده بالضبط الذى أثبت . وفى الأصل : « صيفى بن عيلة بن سائل » ، تحريف .

الجزء الثالث

من كتاب صفين
لنصر بن مزاحم

رواية أبي محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز

رواية أبي الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد

رواية أبي الحسن محمد بن ثابت

رواية أبي يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى

رواية أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى

رواية أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى

سماع مظفر بن على بن محمد بن زيد بن ثابت المعروف بابن المنجم — غفر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى ، قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه فى ربيع الآخر من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، قال أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر : قال أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى : قال أبو الحسن على بن محمد بن محمد ابن عقبة : قال أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز : قال أبو الفضل نصر بن مزاحم :

خروج على رضى الله عنه من النخيلة

عمرو بن شمر ، وعمر بن سعد ، ومحمد بن عبد الله ، قال عُمر : حدَّثنى رجل من الأنصار عن الحارث بن كعب الوالبى ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبى الكنود ، قال : لما أراد علىّ الشخوص من النُّخيلة قام فى الناس لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء فقال :

خطبة على عند الرحيل

الحمد لله غير مفقود النعم[1] ولا مكافإ الإفضال ، وأشهد ألاَّ إله إلا الله ونحن على ذلكم من الشاهدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم . أما بعدَ ذلكم فإنى قد بعثت مقدِّماتى ، وأمرتُهم

(١) فى الأصل : « غير معقود النعم » ، صوابه فى نهج البلاغة (١ : ٢٨٧) بشرح ابن أبى الحديد .

بلزوم هذا المِلْطاط[١] حتى يأْتيَهم أمرى ، فقد أردتُ أن أقْطَع هذه النُّطفة [٢] إلى شرذِمةٍ منكم مُوطِنين بأَكناف دجلة[٣] ، فأُنهِضَهم معكم إلى أعداءِ الله ، إن شاءَ الله ، وقد أمّرت على المِصر عقبة بن عمرٍو الأنصارى ، ولم آلُكم[٤] ولا نفسى . فإياكم والتخلُّفَ والتربُّص ؛ فإنى قد خلَّفت مالك بن حبيب اليربوعى ، وأمرتُه ألا يترك متخلِّفاً إلا ألحقَه بكم عاجلاً إن شاءَ الله .

كلام معقل ابن قيس

فقام إليه مَعقل بن قيسٍ الرياحى فقال : يا أمير المؤمنين ؛ واللهِ لا يتخلَّف عنك إلا ظَنين ؛ ولا يتربَّص بك إلا منافق . فأْمُر مالك ابن حبيب أن يضرب أعناق المتخلِّفين . قال علىّ : قد أمرته بأمرى ؛ وليس مقصِّراً فى أمرى إن شاءَ الله . وأراد قوم أن يتكلموا فدعا بدابّته فجاءته ؛ فلما أراد أن يركب وضع رجله فى الرِّكاب وقال : «بسم الله» . فلما جَلَس[٥] على ظهرها قال : ﴿ سُبْحَانَ الذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وإنَّا إلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ . ثم قال : اللهم إنى أعوذُ بك من وعْثاءِ السفر ، وكآبة المنقلب ، والحيرة بعد اليقين ، وسوءِ المنظر فى الأهل والمال والولد . اللهم أنت الصاحب فى السَّفر ، والخليفةُ فى

دعاء على

---

(١) قال الرضى فى تعليقه على نهج البلاغة : « أقول : يعنى عليه السلام بالملطاط ها هنا : السمت الذى أمرهم بلزومه ، وهو شاطىء الفرات . ويقال ذلك أيضاً لشاطىء البحر . وأصله ما استوى من الأرض » .

(٢) قال الرضى : « يعنى بالنطفة ماء الفرات . وهو من غريب العبارات وعجيبها » .

(٣) يقال وطن بالمكان وأوطن ، والأخيرة أعلى .

(٤) يقال ما يألو الشىء : أى ما يتركه . فى الأصل : « ولم آلوكم » ، صوابه فى ح (١ : ٢٨٧) .

(٥) فى الأصل : « ملس » تحريف .

الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ، لأنَّ المستخلَف لا يكون مستصحَباً ؛ والمستصحَب لا يكون مستخلفاً[1] .

رجز الحر بن سهم الربعى

ثم خرج وخرج أَمامه الحرُّ بن سهم بن طريف الرَّبَعى . (ربيعة تميم)، وهو يقول :

يافرسى سِيرى وأُمِّى الشاما وقطِّعِى الحُزونَ والأَعلاما[2]

ونابِذى مَن خالف الإماما إنى لأَرجو إن لقينا العاما

جمعَ بنى أُميَّة الطَّغاما أن نقتل العاصِىَ والهمَاما

وأن نُزيل من رجالٍ هاما

مالك بن حبيب وعلى

قال : وقال مالك بن حبيب ـ وهو على شرطة علىّ ـ وهو آخذٌ بعنان دابّته عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أَجر الجهاد والقتال وتخلِّفنى فى حَشْر الرجال ؟ فقال له علىّ : إنَّهم لن يصيبوا من الأَجر شيئاً إلا كنتَ شريكَهم فيه ، وأنت هاهنا أَعظمُ غَناءً منك عنهم[3] لو كنتَ معهم . فقال : سمعاً وطاعة ياأمير المؤمنين. فخرج علىٌّ حتى إذا جاز حدَّ الكوفة صلَّى ركعتين .

صلاة على بعد الخروج

نصر : إسرائيل بن يونس ، عن أَبى إسحاق السبيعى ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، أَن علياً صلَّى بين القنطرة والجسر ركعتين .

---

(١) قال الرضى فى نهج البلاغة : « وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله . وقد قفاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام ، وتممه بأحسن تمام ، من قوله : « ولا يجمعهما غيرك ، إلى آخر الفصل » . ووعثاء السفر : مشقته . والمنقلب : الرجوع .

(٢) انظر الأغانى (١١ : ١٣٠) .

(٣) ح (١ : ٢٧٧) : « عنهم منك » .

نصر : عمرو بن خالد ، عن أبي الحسين زيد بن على ، عن آبائه عن علىّ عليه السلام قال : خرج علىّ وهو يريد صِفِّين حتى إذا قطع النهر أمر مناديَه فنادى بالصلاة . قال : فتقدم فصلَّى ركعتين ، حتى إذا قضى الصلاة أقبل علينا فقال :

يـأيُّها الناس ، ألاَ مَن كان مشيِّعاً أو مقيماً فليتمَّ الصلاةَ فإنا قوم على سفَرٍ[1] ، ومَن صحِبنا فلا يَصُم المفروض[2] . والصلاة [المفروضة] ركعتان .

قال : ثم رجع إلى حديث عمر بن سعد ، قال :

ثم خرج حتى أتى دَير أبي موسى ، وهو من الكوفة على فرسخَين[3] ، فصلَّى بها العصر[4] ، فلما انصرف من الصلاة قال : « سبحان ذى الطَّول والنِّعم ، سبحان ذى القدرة والإفضال . أسأل الله الرِّضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، والإنابة إلى أمره ؛ فإنه سميع الدعاء » . ثم خرج حتّى نزل على شاطِئ نَرْس[5] ، بين موضع حَمَّام أبي بردة وحَمّام عمر ، فصلى بالناس المغرب فلما انصرف قال :

« الحمد لله الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، [و] الحمد لله كلما وقبَ لَيلٌ وغسَق ، والحمد لله كلما لاَح نجمٌ وخفق » .

---

(١) ح : « قوم سفر » . وسفر ، بالفتح : أى مسافرون .
(٢) ح (١ : ٢٧٧) : « فلا يصومن المفروض » .
(٣) لم يذكره ياقوت .
(٤) ح : « به العصر » التذكير للدير ، والتأنيث للبقعة .
(٥) نرس ، بفتح النون فى أوله : نهر حفره نرسى بن بهرام بنواحى الكوفة ، مأخذه من الفرات . وفى الأصل : « البرس » بالباء . صوابه ما أثبت من ح ومعجم البلدان .

ثم أقام حتى صلّى الغداة ، ثم شخَص حتى بلغ قُبَّة قُبِّين[1] ، [و] فيها نخلٌ طوال إلى جانب البِيعة من وراء النَّهر . فلما رآها قال : ﴿ والنَّخْلَ باسِقَاتٍ لها طَلْعٌ نَضيدٌ ﴾ . ثم أقْحم دابّتَه النهرَ فعبر إلى تلك البِيعة فنزلها فمكثَ بها قدرَ الغداة .

نصر : عمر ، عن رجلٍ - يعنى أبا مخنف[2] - عن عمِّه ابن مخنف[3] قال : إنى لأنظر إلى أبى ، مِخْنفِ بن سُلَيم[4] ، وهو يساير عليا ببابل ، وهو يقول : إنَّ ببابل أرضاً قد خُسِف بها ، فحرِّكْ دابّتك لعلنا أن نصلِّيَ العصر خارجاً منها . قال : فحرّكَ دابّته وحرّك الناس دوابَّهم فى أثره ، فلما جاز جسر الصَّراة[5] نزل فصلَّى بالناس العصر .

نصر : عمر ، حدثنى عمر بن عبد الله بن يعلى بن مُرّة الثَّقفى ، عن

---

(١) قبين ، بضم القاف وتشديد الباء المكسورة بعده . وفى ح : « يبين » محرف .

(٢) أبو مخنف ، هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى ؛ شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد ، وروى عنه المدائنى ، وعبد الرحمن بن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ٩٣ ليبسك .

(٣) لمخنف أولاد ، أحدهم أبو رملة عامر بن مخنف بن سليم الأزدى . ذكره صاحب منتهى المقال فى ٢٩٩ وقال إنه روى عن أبيه مخنف . والآخر حبيب بن مخنف ذكره الحافظ أبو عمرو . وثالث ذكره صاحب لسان الميزان (٥ : ٣٧٥) وهو محمد بن مخنف .

(٤) مخنف ، بكسر الميم . وسليم ، بضم السين ، كما فى الاشتقاق ٢٨٩ ومنتهى المقال ٢٩٩ . وهو صحابى ترجم له فى الإصابة ٧٨٤٢ .

(٥) الصراة ، بالفتح : نهر يأخذ من نهر عيسى من بلدة يقال لها المحول ، بينها وبين بغداد فرسخ . وهو من أنهار الفرات . وفى الأصل : « الصراط » ، تحريف . وفى ح : « الفرات » .

أبيه عن عبد خير[1] قال : كنت مع عليّ أسير فى أرض بابل . قال : وحضرت الصلاةُ صلاةُ العصر . قال : فجعلنا لا نأْتى مكاناً إلا رأيناه أفْيَحَ[2] من الآخر . قال : حتى أتينا على مكانٍ أحسنَ مارأينا ، وقد كادت الشمس أن تغيب . قال : فنزل عليٌّ ونزلت معه . قال : فدعا الله فرجعت الشمسُ كمقدارها من صلاة العصر . قال : فصلَّينا العصر ، ثم غابت الشمس ، ثم خرج حتى أتى دير كعب ، ثم خرج منها[3] فبات بساباط ، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النُّزُل[4] والطعام ، فقال : لا ، ليس ذلك لنا عليكم . فلما أصبح وهو بمُظْلِم[5] ساباط قال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكلِّ رِيعٍ آيةً تَعْبَثُون ﴾ .

بلوغ الخبر إلى عمرو

قال : وبلغ عمرَو بن العاص مسيرُه فقال :

لا تحسبنِّى يا علىُّ غافلاَ ... لأُوردنَّ الكوفة القَنابلا[6]

بجمعىَ العامَ وجمعى قابلاَ

رجز على فى عمرو ومعاوية

فقال على :

لأُوردنَّ العاصىَ بنَ العاصى ... سبعينَ ألفاً عاقِدِى النَّواصى

---

(١) هو عبد خير بن يزيد الهمدانى ، أبى عمارة الكوفى . أدرك الجاهلية وأدرك زمن النبى ولم يسمع منه . الإصابة ٦٣٦٠ وتهذيب التهذيب .

(٢) أفيح من الفيح ، وهو الخصب والسعة . وفى الأصل وح : « أقبح » .

(٣) ح (١ : ٢٧٧) : « ثم خرج منه » .

(٤) النزل ، بضم وبضمتين : ما يهيأ للضيف . وفى الأصل : « النزول » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) قال ياقوت : مضاف إلى ساباط التى قرب المدائن .

(٦) القنابل : جمع قنبلة ، بالفتح ، وهى جماعة الخيل .

مستحقِبين حَلَقَ الدِّلاصِ   قد جَنَبُوا الخيلَ مع القِلاص[1]

أُسودَ غِيلٍ حينَ لا مناصِ[2]

قال : وكتب علىّ إلى معاوية :

أصبحتَ منى يا ابن حربٍ جاهلا   إن لم نُرامِ منكم الكواهلا

بالحقِّ والحقُّ يزيل الباطلا   هذا لك العامَ وعامَ قابِلا

الخلاف فى رياسة كندة وربيعة

قال : وبلغ أهلَ العراق مسير معاوية إلى صِفِّين ونشِطوا وجدُّوا ، غير أنَّه كان من الأَشعث بن قيس شئٌ عند عزل علىٍّ إياه عن الرياسة ؛ وذلك أنَّ رياسة كِندة وربيعة كانت للأَشعث ، فدعا علىٌّ حسَّان بن مخدُوج ، فجعل له تلك الرياسة ، فتكلم فى ذلك أُناسٌ من أَهل اليمن ؛ منهم الأَشتر ، وعدىٌّ الطائى ، وزَحْر بن قيس[3] وهانئ بن عروة . فقاموا إلى علىٍّ فقالوا : يا أَمير المؤمنين ، إنَّ رياسة الأَشعث لا تصلُح إلا لمثله ، وما حسَّان بن مخدوجٍ مِثلَ الأَشعث . فغضب ربيعةُ . فقال حريث بن جابر : يا هؤلاءِ ، رجلٌ برجل ، وليس بصاحبِنا عجزٌ فى شرفه وموضعه ، ونجدته وبأْسه ، ولسنا ندفعُ فضلَ صاحِبكم وشرفَه . فقال النجاشىُّ فى ذلك :

شعر النجاشى فى ذلك

رضِينا بما يرضى علىٌّ لَنَا به   وإن كان فيما يأْتِ جدعُ المناخر

وصىُّ رسولِ الله من دون أَهْله   ووارثُه بعد العُموم الأَكابر[4]

---

(١) كانت العرب إذا أرادت حرباً فساروا إليها ركبوا الإبل وقرنوا إليها الخيل لإراحة الخيل وصيانتها . انظر المفضليات الخمس ٣٩ .

(٢) انظر لأقوال النحاة فى مثل هذه العبارة خزانة البغدادى (٢ : ٩٠ بولاق) .

(٣) فى الأصل : « زجر » بالجيم ، صوابه بالحاء كما سبق فى ص ١٥ .

(٤) جمع العم أعمام وعموم وعمومة .

رضِى بابن مخدوجٍ فقلنا الرِّضَا به | رضاك وحَسّانُ الرِّضَا للعشائر
وِلِلأَشعثِ الكندىِّ فى الناس فضلُه | تَوَارَثَهُ مِن كـابرٍ بعـد كـابرِ
متوَّجُ آباءٍ كـرامٍ أعـزَّةٍ | إذِ الملكُ فى أولادِ عمرو بن عامر
فـلولا أمير المؤمنين وحقُّـه | علينا لأَشجَيْنَا حُرَيثَ بن جابر
فـلا تطلبنَّا ياحريثُ فـإنَّنـا | لقومك رِدْءٌ فى الأُمور الغـوامر
وما بِابنِ مخدوجِ بن ذُهْلٍ نقيصةٌ | ولا قومُنا فى وائلٍ بعوائِرِ[1]
وليس لنـا إلا الرضا بابن حرّةٍ | أشمَّ طويلِ الساعدين مهـاجِرِ
على أنَّ فى تلك النفوس حزازةً | وصدعا يؤتّيه أكُفُّ الجوابرِ[2]

كلام سعيد بن قيس الهمدانى

قال : وغضب رجال اليمنية ، فأَتاهم سعيد بن قيس الهمدانى فقال : ما رأيتُ قوماً أبعدَ رأياً منكم ، أرأيتم إن عَصَيْتم على علىٍّ هل لكم إلى عدوٍّه وسيلة ؟ وهل فى معاوية عِوضٌ منه ، أو هل لكم بالشام من بدله[3] بالعراق ، أو تجد ربيعة ناصراً من مضر ؟ القول ما قال ، والرأى ما صنع.

كلام حريث ابن جابر

قال : فتكلم حريث بن جابر فقال : يا هؤلاء ، لا تجزعوا ؛ فإنه إن كان الأَشعث ملكاً فى الجاهلية وسيِّداً فى الإسلام فإنَّ صاحبنا أهلُ هذه الرياسة وما هو أفضل منها . فقال حسّان للأَشعث : لك رايةُ كندة ،

---

(١) العوائر : جمع عائر ، وهو الذى لا يدرى من أين أتى ، وأصل ذلك فى السهام .

(٢) يؤتيه : يهيئه ويصلحه . وفى اللسان : « أتيت الماء : أصلحت مجراه » . وفيه : « وأتاه الله : هيأه » . وفى الأصل : « يأبيه » مع ضبطها بضم الياء وفتح الهمزة . والوجه ما أثبت.

(٣) فى الأصل : « أوهل لك بالشام من بدلة بالعراق » .

ولى راية ربيعة . فقال : مَعاذ الله ، لا يكونُ هذا أبداً ، وما كانَ لك[1] فهو لى ، وما كان لى فهو لك .

تهييج معاوية الأشعث على على

وبلغ معاوية ما صنع بالأشعث، فدعا مالك بن هبيرة فقال : اقذفوا إلى الأشعث شيئاً تهيِّجونه على علىٍّ . فدَعوا شاعراً لهم فقال هذه الأبيات، فكتب بها مالكُ بن هبيرة إلى الأشعث، وكان له صديقاً ، وكان كنديًّا :

من كان فى القوم مثلوجاً بأُسرته | فالله يعلم أنِّى غير مثلوج
زالتْ عن الأشعث الكندِى رياستُه | واستجمع الأمْرَ حسانُ بنُ مخدوج
يالَلرِّجالِ لعارٍ ليس يغسله | ماءُ الفرات ، وكربٍ غيرِ مفروجِ
إنْ تَرضَ كندة حسّاناً بصاحبها | يَرضَ الدُّنَاةُ وما قحطانُ بالهوجِ
هذا لعمركَ عارٌ ليس ينكره | أهلُ العراقِ وعارٌ غير ممزوج
كان ابنُ قيسٍ هُماماً فى أرومتهِ | ضخماً يبوءُ بملكٍ غير مفلوجِ
ثم استقلَّ بعارٍ فى ذوِى يمنٍ | والقومُ أعداءُ ياجوجٍ وماجوجِ
إن الذين تولوا بالعراق له | لا يستطيعون طُرًّا ذبحَ فَرُّوجِ
ليست ربيعةُ أولى بالذى حُذِيت | من حقِّ كِندة ، حقٌّ غير محجوج[2]

فشل معاوية

قال : فلما انتهى الشِّعر إلى أهل اليمن قال شريح بن هانئ : يا أهل اليمن ما يريد صاحبُكم إلا أنْ يفرّق بينكم وبين ربيعة . وإنَّ حسانَ بن

ولاء الأشعث

مخدوج مشى إلى الأشعث بن قيس برايته حتى ركزَها فى داره . فقال

---

(١) فى الأصل : « ذلك » .

(٢) حذيت : أعطيت . والحذوة : العطية .

الأشعث : إن هذه الراية عظُمت على علىّ ، وهو والله أخفّ علىّ من زِفِّ النعام[1] ، ومَعاذ الله أن يغيِّرنى ذلك لكم . قال : فعرض عليه علىٌّ بن أبى طالب أن يعيدَها عليه فأبى وقال : يا أمير المؤمنين ، إن يكن أوَّلُها شرفاً فإنَّه ليس آخرُها بِعار . فقال له علىٌّ : أنا أشركك فيه . فقال له الأشعث : ذلك إليك . فولَّاه على ميمنته ، وهى ميمنة أهل العراق .

اختبار مالك ابن حبيب

وقال : وأخذ مالكُ بن حبيبٍ رجلاً وقد تخلَّف عن علىٍّ فضرب عنقَه فبلغ ذلك قومَه فقال بعضُهم لبعض : انطلقوا بنا إلى مالكٍ فنتَسقَّطَه[2] لعلَّه أن يقرَّ لنا بقتله ؛ فإنه رجل أهوج . فجاءوا فقالوا : يا مالك ، قتلتَ الرجل ؟ قال : أُخبركم أنَّ الناقة ترأم ولدها ؟! اخرجوا عنِّى قَبَحكم الله . أخبرتكم أنى قتلته .

قول على فى كربلاء

قال : حدثنى مصعب بن سلام[3] ، قال أبو حيان التميمى ، عن أبى عبيدة ، عن هرثمة بن سليم قال : غزونا مع علىّ بن أبى طالب غزوة صفِّين ، فلما نزلنا بكَربلا صلى بنا صلاة ، فلما سلَّم رُفع إليه من تُربتها فشمَّها ثم قال : واهاً لك أيتها التُّربة ، ليحشرنَّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب . فلما رجع هرثمة من غزوته[4] إلى امرأته — وهى جرداءُ بنت سمير ، وكانت شيعةً لعلىّ — فقال لها زوجها هرثمة : ألا أُعجِّبك من صديقك أبى الحسن ؟ لمّا نزلنا كربلا رُفع إليه من تربتها فشمَّها

---

(١) زف النعام ، بالكسر : ريشه الصغير .

(٢) فى اللسان : « وتسقطه واستسقطه : طلب سقطه وعالجه على أن يسقط فيخطىء أو يكذب أو يبوح بما عنده » . وفى الأصل : « فنسقطه » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « سلم » ، تحريف . وترجمة مصعب فى تاريخ بغداد (١٣ : ١٠٨) .

(٤) ح (١ : ٢٧٨) : « من غزاته » .

وقال : واهاً لك يا تربة ، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. وما عِلمُه بالغيب ؟ فقالت : دعنا منك أيُّها الرَّجل ؛ فإنَّ أمير المؤمنين لم يقلْ إلاَّ حقاً . فلما بعث عبيدُ الله بن زياد البعث الذى بعثه إلى الحسين بن علىٍّ وأصحابه ، قال : كنت فيهم فى الخيل التى بَعثَ إليهم ، فلما انتهيت إلى القوم وحسينٍ وأصحابه عرفتُ المنزل الذى نزل بنا علىٌّ فيه والبقعةَ التى رُفع إليه من ترابها ، والقولَ الذى قاله ، فكرِهت مسيرى ، فأقبلت على فرسى حتى وقفت على الحسين ، فسلَّمت عليه ، وحدّثتُه بالذى سمعتُ من أبيه فى هذا المنزل ، فقال الحسين : معنا أنت أو علينا ؟ فقلت : يا ابن رسول الله . لا معك ولا عليك . تركت أهلى وولدى[1] أخاف عليهم من ابن زياد . فقال الحسين : فولّ هرباً حتى لا ترى لنا مقتلا ؛ فوالذى نفسُ محمد بيده لا يرى مقتلَنا اليوم رجلٌ ولا يغيثنا[2] إلّا أدخله اللهُ النار . قال : فأقبلت فى الأرض هارباً حتى خفى علىَّ مقتله[3] .

نصر : مصعب بن سلام قال : حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندى عن أبى جُحيفة قال : جاء عُروة البارقىُّ إلى سعيد بن وهب . فسأله وأنا أسمع فقال : حديث حدَّثْتَنيه[4] عن على بن أبى طالب . قال : نعم ، بعثنى مِخنف بن سُليم إلى علىٍّ ، فأتيته بكربَلاء ، فوجدتُه يشير بيده ويقول : ها هنا ها هنا . فقال له رجل : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثَقَلٌ لآل محمدٍ ينزل هاهنا فويلٌ لهم منكم ، وويلٌ

(١) ح : « ولدى وعيالى » .
(٢) ح : « ثم لا يعيننا » .
(٣) ح : « مقتلهم » .
(٤) فى الأصل : « حدثنيه » محرف . وفى ح : « حدثتناه » .

لكم منهم . فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويلٌ لهم منكم : تقتلونهم ؛ وويلٌ لكم منهم : يدخلكم الله بقتلهم إلى النار .

وقد روى هذا الكلام على وجه آخر : أنه عليه السلام قال : فويلٌ [لكم منهم ، وويلٌ] لكم عليهم . قال الرجل : أمّا ويلٌ لنا منهم فقد عرفتُ[1] : وويل لنا عليهم ما هو ؟ قال : تَرونهم يُقتلون ولا تستطيعون نصرَهم .

طريق الجيش إلى صفين

نصر : سعيد بن حكيم العبسى : عن الحسن بن كثير عن أبيه : أن عليًّا أتى كربَلاءَ فوقف بها ، فقيل يا أمير المؤمنين . هذه كربَلاءُ . قال : ذات كرب وبَلاءٍ . ثم أَومأَ بيده إلى مكان فقال : ها هنا مَوضع رحالهم ، ومُناخ ركابهم. وأَومأَ بيده إلى موضع آخر فقال : ها هنا مُهَراق دمائِهم .

ثم رجع إلى حديث عمر بن سعد ، قال : ثم مضى نحو ساباط حتى انتهى إلى مدينة بَهُرَسِير ، وإذا رجل من أصحابه يقال له حُرّ[2] بن سهم ابن طريف ، من بنى ربيعة بن مالك[3] ، ينظر إلى آثار كسرى ، وهو يتمثّل قولَ ابن يعفر التميمى[4] :

جَرَتِ الرياحُ على مكان ديارهم فـكأَنَّما كانوا على ميعـادِ

---

(1) ح : « عرفناه » .

(2) فى الأصل : « حريز » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٢٨٨) .

(3) ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر ١٣٣ ونهاية الأرب (٢ : ٣٤٤) .

(4) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . شاعر جاهلى مقدم ، كان ينادم النعمان بن المنذر . والبيت من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ١٥ — ٢٠ طبع المعارف) . وفى الأصل : « ابن يعقوب التميمى » ، والصواب ماأثبت . وفى ح : « بقول الأسود بن يعفر » .

فقال علىّ : أفلاَ قلتَ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ . إنَّ هؤلاءِ كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ، إن هؤلاءِ لم يشكروا النعمة فسُلبوا دنياهم بالمعصية . إياكم وكفر النعم لا تحلَّ بكم النِّقم . ثم قال : انزلوا بهذه النَّجوة(١) .

نصر : عمر بن سعد ، حدثنى مسلم الأعور ، عن حَبَّة العُرَنى(٢) (رجل من عرينة) قال : أمر علىّ بن أبى طالب الحارث الأعور فصاحَ فى أهل المدائن : مَن كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين صلاةَ العصر . فوافَوه فى تلك الساعة ، فحمِد الله وأثنى عليه وقال :

خطبة على فى أهل المدينة

أمّا بعد فإنّى قد تعجَّبت من تخلُّفكم عن دعوتكم ، وانقطاعِكم عن أهل مصركم فى هذه المساكن الظَّالِم أهلُها ، والهالكِ أكثرُ سكّانها لا معروفاً تأمرون به ، ولا منكراً تَنْهَون عنه . قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنَّا كنَّا ننتظر أمرَك ورأيَك ، مُرنا بما أحببت . فسار وخلَّف عليهم عدىّ ابن حاتم ، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج فى ثمانمائة ، وخلَّف ابنه يزيد فلحقه فى أربعمائة رجل منهم ، ثم لحق علياً ، وجاء علىٌّ حتى مرّ بالأنبار ،

---

(١) النجوة : المكان المرتفع . ح : « الفجوة » . والفجوة : ما اتسع من الأرض ، وقيل ما اتسع منها وانخفض .

(٢) هو حبة ، بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة ، ابن جوين بجيم مصغر ، العرنى ، أبو قدامة الكوفى ، كان غالياً فى التشيع . قال فى تقريب التهذيب : أخطأ من زعم أن له صحبة » . ح : « حية » بالياء ، تحريف .

فاستقبله بنو خُشْنُوشَك دهاقنتها . قال سليمان[1] : « خُشْ : طيب . نُوشَك : راضٍ . يعنى بنى الطيّب الراضى ، بالفارسية » .

فلما استقبلوه نزلوا ثم جاءُوا يشتدُّون معه قال : ما هذه الدواب التى معكم ؟ وما أردتم بهذا الذى صنعتم ؟ قالوا : أمَّا هذا الذى صنعنا فهو خُلق منَّا نعظِّم به الأُمراءَ . وأما هذه البراذين فهديَّة لك. وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً ، وهيَّأْنا لدوابّكم علفاً كثيراً . قال : أمَّا هذا الذى زعمتم أنه منكم خُلقٌ تعظِّمون به الأُمراءَ فوالله ما ينفع هذا الأُمراءَ ، وإنكم لتشقُّون به على أنفسكم وأبدانكم ، فلا تعودوا له . وأما دوابُّكم هذه فإن أحببتم أن نأْخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها مِنْكم . وأما طعامكم الذى صنعتم لنا فإنا نكره أن نأْكل من أموالكم شيئاً إلاَّ بثمن . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نقوِّمه ثم نقبل ثمنه . قال : إذاً لا تقوِّمونَه قيمتَه ، نحن نكتفى بما دونَه . قالوا : يا أمير المؤمنين فإنَّ لنا من العرب موالىَ ومعارف ، فتمنَعُنا أَنْ نهدِى لهم وتمنعُهم أن يقبلوا منَّا ؟ قال : كلُّ العرب لكم موالٍ ، وليس ينبغى لأَحدٍ من المسلمين أن يقبل هديّتكم . وإن غصبكم أحدٌ فأَعلِمونا . قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا نحبُّ أن تقبل هديتنا وكرامتنا . قال لهم : ويحكم ، نحن أغنى منكم . فتركهم ثم سار .

خبر ماء الدير نصر : عبد العزيز بن سِياه[2] ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال

---

(١) هو أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى ، أحد رواة هذا الكتاب .

(٢) عبد العزيز بن سياه ، بكسر المهملة بعدها تحتانية خفيفة ، الأسدى الكوفى . صدوق يتشيع من كبار أتباع التابعين . انظر تهذيب التهذيب والتقريب . وفى ح (١ : ٢٨٨) : « ابن سباع » ، تحريف .

أبو سعيد التَّيْمى ، المعروف بعَقِيصا[1] ، قال : كنَّا مع علىٍّ فى مسيره إلى الشام ، حتَّى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد قال : عطش الناس واحتاجوا إلى الماء ، فا نطلَقَ بنا علىٌّ حتى أتى بنا[2] على صخرة ضِرْس من الأَرض[3] ، كأَنها رِبُضة عنز[4] ، فأَمَرَنا فاقتلعناها فخرج لنا ماءٌ ، فشرب الناس منه وارتووا . قال : ثم أمرنا فأَكفأْناها عليه . قال : وسار الناس حتَّى إذا مضينا قليلاً قال علىّ : منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذى شربتم منه ؟ قالوا : نعم يا أَمير المؤمنين . قال : فانطلِقوا إليه . قال : فانطلق منا رجالٌ ركباناً ومشاة ، فاقتصصنا الطريق [إليه] حتَّى انتهينا إلى المكان الذى نرى أنه فيه . قال : فطلبناها[5] فلم نقدر على شىء ، حتى إذا عِيل علينا انطلقْنا إلى دَير قريبٍ منَّا فسأَلناهم : أَين الماءُ الذى هو عندكم ؟ قالوا : ما قُربَنا ماءٌ . قالوا : بلى ، إنا شربنا منه . قالوا : أَنتم شربتم منه ؟ قلنا : نعم : قال [صاحب الدَّير] : ما بُنى هذا الدير إلا بذلك الماءِ[6] ، وما استخرجه إلا نبىٌّ أَو وصىّ نبىّ .

ثم رجع إلى الحديث . قال : ثم مضى أَمير المؤمنين حتى نزل بأَرض

نزول الجيش بالجزيرة

(١) فى القاموس : « وعقيصى مقصوراً : لقب أبى سعيد التيمى التابعى » . وفى منتهى المقال ١٣٢ : « دينار ، ويكنى أبا سعيد ، ولقبه عقيصا ، وإنما لقب بذلك لشعر قاله » . فجعل اسمه « ديناراً » . فى الأصل : « التميمى » ، تحريف . وفى ح : « حدثنا سعيد التيمى المعروف بعقيصاء » ، نقص وتحريف .

(٢) فى الأصل : « أتانا » وفى ح : « أتى » فقط .

(٣) الضرس ، بالكسر : الأرض الخشنة .

(٤) ربضة العنز ، بالضم : أى جثتها إذا بركت . وروى الحديث : « كربضة العنز » بكسر الراء . اللسان (٩ : ١٣) .

(٥) أى الصخرة . وفى ح : « فطلبناه » ، أى الماء .

(٦) فى الأصل : « لذلك الماء » ، وأثبت ما فى ح .

الجزيرة ، فاستقبله بنو تغلبَ والنمرِ بن قاسط بالجزيرة[1] . قال : قال عليّ ليزيد بن قيس الأَرحبي : يا يزيد بن قيس . قال : لبَّيك يا أَمير المؤمنين . قال : هؤلاءِ قومُك ، مِن طعامهم فاطعَمْ ، ومن شرابهم فاشرَبْ .

حكاية على وضوء رسول الله

نصر : عمر بن سعد ، عن الكلبي ، عن الأَصبغ بن نباتة ، أَنَّ رجلاً سأَل علياً بالمدائن عن وضوءِ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فدعا بمِخْضَبٍ من بِرامٍ[2] قَدْ نَصَفَه الماءُ[3] . قال عليّ : مَن السائل عن وضوءِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقام الرجل ، فتوضأَ عليٌّ ثلاثا ثلاثا ، ومسح برأْسه واحدة ، وقال : هكذا رأَيت رسول الله يتوضأُ.

وفد بنى تغلب

ثم رجع إلى الحديث الأَول ، حديث يزيد بن قيس الأَرحبي . ثم قال : والله إنى لشاهدٌ إذْ أَتاه وفدُ بنى تغلبَ فصالحوه على أن يقرَّهم على دينهم ، ولا يصَبغوا أَبناءَهم فى النصرانيَّة . قال : وقد بلغنى أَنَّهم قد تركوا ذلك ، وايمُ الله لئن ظَهَرْت عليهم لأَقتلنَّ مقاتِلتَهم ، ولأَسبِينَّ ذراريَّهم . فلما دخل بلادهم استقبلته مُسلِمةٌ لهم كثيرة ، فُسرّ بما رأَى من ذلك ، وثَناه عن رأْيه . ثم سار أَمير المؤمنين حتى أَتى الرَّقَّة وجُلُّ

الوصول إلى الرقة

أَهلها العثمانيَّة الذين فرُّوا من الكوفة برأْيهم وأَهوائهم إلى معاوية فغلَّقوا أَبوابها وتحصَّنوا فيها ، وكان أَميرهم سِماك بن مَخْرَمة الأَسدىّ فى طاعة معاوية ، وقد كان فارق عليًّا فى نحوٍ من مائة رجلٍ من بنى أَسد ، ثم أَخذ يكاتب قومَه حتَّى لحق به منهم سبعُمائة رجل .

---

(1) ح : « ابن قاسط بن محرز » ، تحريف . وهو النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

(2) المخضب ، بالكسر : شبه الإجانة يغسل فيها الثياب ، والمركن . والبرام : جمع برمة ، بالضم ، وهى قدر من حجارة .

(3) نصفه الماء : بلغ نصفه . وفى الأصل : « قدر نصفه الماء » ، محرف . وهذا الخبر لم يرد فى مظنه من ح .

نصر : عمر بن سعد ، حدثنى مسلم الملائى[1] عن حَبَّة[2] عن علىّ قال : لما نزل علىٌّ الرقَّة [نزل] بمكان يقال له بَليخ على جانب الفرات ، فنزل راهبٌ [هناك] من صومعته فقال لعلىّ : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا ، كتبه [أَصحاب] عيسى بن مريم ، أَعرِضه عليك . قال علىّ : نعم فما هو ؟ قال الراهب :

حديث راهب بليخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى قَضَى فيما قَضى ، وسَطَّر فيما سَطَّر ، أَنَّه باعثٌ فى الأُمِّيِّين رسولاً منهم يعلِّمهم الكتاب والحكمة ، ويدلُّهم على سبيل الله ، لا فظٌّ ولا غليظ ، ولا صَخَّاب فى الأَسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة . ولكن يعفو ويصفح[3] ؛ أُمّته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل نَشْز ، وفى كل صَعودٍ وهَبوط[4] ، تذلّ أَلسنتهم[5] بالتهليل والتكبير [والتسبيح] ، وينصره الله على كل من ناواه ، فإذا توفاه الله اختلفت أُمّته ثم اجتمعت ، فلبثت بذلك ما شاءَ الله ثم اختلفت ، فيمر رجلٌ من أُمته بشاطئ هذا الفرات ، يأْمُر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضى بالحق ، ولا يرتشى فى الحكم[6] . الدنيا أَهونُ عليه من الرَّماد فى يومٍ

(١) هو مسلم بن كيسان الضبى الملائى البراد ، أبو عبد الله الكوفى . انظر تهذيب التهذيب والتقريب .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ١٤٣ .

(٣) ح (١ : ٢٨٩) : « بل يعفو ويصفح » .

(٤) النشز ، بالفتح والتحريك : المتن المرتفع من الأرض . والصعود والهبوط ، بفتح أولهما : ما ارتفع وما انخفض من الأرض .

(٥) يذل ، من الذل ، بالكسر والضم ، وهو اللين . .

(٦) ح : « ولا يركس الحكم » . والركس : رد الشىء مقلوباً .

عصفت [به] الريح ، والموت أهونُ عليه من شرب الماء على الظماءِ[1] يخاف الله فى السرِّ ، وينصح له فى العلانية ، ولا يخاف فى الله لومةَ لائم . من أَدرك ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم من أَهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أَدرك ذلك العبدَ الصالح فلينصره ؛ فإن القتل معه شهادة » . [ثم قال له] : فأَنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبنى ما أَصابك . قال : فبكى علىٌّ ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده منسيًّا[2] ، الحمد لله الذى ذكرنى فى كتب الأَبرار . ومضى الراهب معه ، وكان – فيما ذكروا – يتغدَّى مع علىّ ويتعشَّى ، حتى أُصيب يومَ صِفِّين ، فلما خرج الناسُ يدفنون قتلاهم قال علىّ : اطلبوه . فلما وجدوه صَلَّى عليه ودفنه ، وقال : هذا منَّا أَهلَ البيت . واستغفرَ له مراراً .

مسير معقل بن قيس إلى الرقة

نصر : عمر عن رجل – وهو أَبو مخنف – عن نمير بن وعلة ، عن أَبى الودّاك[3] أن عليًّا بعث من المدائن معقل بن قيس [الرياحى] فى ثلاثة آلاف رجل ، وقال له : « خذ على الموصل ، ثمَّ نَصِيبِين ، ثم القَنى بالرَّقَّة ؛ فإنِّى موافيها ، وسكِّن الناسَ وأَمِّنْهم ، ولا تقاتلْ إلا مَن قاتَلك ، وسِرِ البَرْدَين[4] ، وغوِّر بالناس[5] ، وأَقم الليل ، ورفِّه

(١) الظمء ، بالفتح ، والظمأ ، بالتحريك ، والظماء والظماءة ، كسحاب وسحابة : العطش . ح : « الظمآن » .

(٢) ح : « الذى لم أكن عنده منسياً » .

(٣) هو جبر بن نوف – بفتح النون وآخره فاء – الهمدانى – بسكون الميم – البكالى – بكسر الباء الموحدة وتخفيف الكاف – أبو الوداك – بفتح الواو وتشديد الدال . انظر تهذيب التهذيب والتقريب .

(٤) البردان : الصبح والعصر ، كالأبردين . انظر جنى الجنتين ٢٦ .

(٥) التغوير : النزول فى القائلة نصف النهار . يقال « غوروا بنا فقد أرمضتمونا » ، أى انزلوا بنا وقت الهاجرة حتى تبرد .

فى السير ، ولا تسر فى الليل[١] فإنَّ الله جعلَه سكناً ، أَرِحْ فيك بدنَك وجندَكَ وظهرَك . فإذا كان السَّحر أو حين ينبطح الفجر[٢] فسِرْ » . فخرج حتى أتى الحَدِيثة ، وهى إذ ذاك منزِل الناس – إنما بَنَى مدينةَ الموصل بعد ذلك محمدُ بنُ مروان – فإذا هم بكبشين ينتطحان ، ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شدَّاد بن أَبى ربيعة[٣] قتل بعد ذلك مع الحَرَوْرِيَّة[٤] ، فأَخذ يقول : إيه إيه . فقال معقل : ما تقول؟ قال : فجاءَ رجلانِ نحوَ الكبشين فأَخذ كلٌّ واحدٍ منهما كبشاً ثم انصرفا ، فقال الخثعمى لمعقل : لا تغْلِبون ولا تُغلَبون . قال له : من أَين علِمت ذلك ؟ قال : أَمَا أَبصرتَ الكبشين ، أَحدهما مشرِّق والآخر مغرِّب ، التقيا فاقتتلا وانتطحا ، فلم يزل كلٌّ واحدٍ منهما من صاحبه منتصفاً حتى أَتى كلٌّ واحد منهما صاحبه فانطلقَ به . فقال له معقل : أَو يكون خيراً مما تقول يا أَخا خثعم ؟ ثم مضوا حتَّى أَتوا عليًّا بالرقة .

كتاب على إلى معاوية

نصر : عمر بن سعد ، عن رجل ، عن أَبى الودَّاك ، أَن طائفةً من أَصحاب علىّ قالوا له : اكتب إلى معاوية وإلى منْ قِبَله من قومك بكتابٍ تدعوهم فيه إليك ، وتأْمرهم بترك ما هم فيه من الخطأ[٥] ؛ فإن الحجّة لن تزداد عليهم بذلك إلا عِظَما . فكتب إليهم :

---

(١) ح (١ : ٢٩٠) : « أول الليل » .

(٢) انبطح الفجر : ذهبَ هاهنا وهاهنا . وإنما سمى بطن المسيل أبطح لأن الماء ينبطح فيه ، أى يذهب يميناً وشمالا . ح : « ينبلج الفجر » .

(٣) ح : « شرار بن شداد بن أبى ربيعة » .

(٤) هذا ضبط ياقوت . وضبط فى اللسان والقاموس والوفيات (١ : ٢٢٤) بفتح أوله وضم ثانيه .

(٥) فى الأصل : « وتأمرهم بما لهم فيه من الخطأ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية وإلى من قِبَله من قريش سلام عليكم، فإنى أحمد الله إليكم الله الذى لا إله إلا هو. أما بعدُ فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفَقُهوا فى الدين، وبيّن الله فضلهم فى القرآن الحكيم، وأنتم فى ذلك الزّمان أعداءٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تكذِّبون بالكتاب، مُجمعون على حرب المسلمين، من ثَقِفتم منهم حبستموه أو عذَّبتموه أو قتلتموه، حتَّى أراد الله إعزاز دينه وإظهار رَسوله(١)، ودخلت العرب فى دينه أفواجاً، وأسلمت [له] هذه الأُمة طوعاً وكَرهاً، وكنتم ممن دخل فى هذا الدين إمّا رغبةً وإمّا رهبة، على حينَ فاز أهل السَّبْق بسبقهم، وفاز المهاجرون الأَوَّلون بفضلهم. فلا ينبغى لمن ليست له مثلُ سوابقهم فى الدِّين ولا فضائلهم فى الإسلام، أن ينازعهم الأَمرَ الذى هم أهلُه وأولى به، فيحوبَ بظلم(٢). ولا ينبغى لمن كان له عقلٌ أن يجهل قدرَه، ولا أن يعدوَ طَوْرَه، ولا أن يُشقِيَ نفسه بالتماس ما ليس له. ثمَّ إنَّ أولى الناس بأَمْر هذه الأُمَّة قديماً وحديثاً، أقربُها من رسول الله صلى الله عليه، وأعلمُها بالكتاب وأفقَهُها فى الدِّين، وأوّلُها إسلاماً وأفضلُها جهاداً، وأشدُّها بما تحمِّله الرعيَّة من أُمورها اضطلاعاً. فاتقوا الله الذى إليه ترجعون، ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. واعلموا أنَّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون(٣)، وأن شرارهم الجهّال الذين ينازِعون بالجهل أهلَ العلم؛ فإنَّ للعالم بعلمه فضلاً، وإن الجاهل لن يزداد

---

(١) ح: «وإظهار أمره».
(٢) حاب يحوب حوباً: أثم.
(٣) فى الأصل: «بما يعطون»، صوابه فى ح.

بمنازعة العالم إلّا جهلا . ألا وإنّى أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه ، وحَقْنِ دماءِ هذه الأُمة . فإن قبلْتم أصبتم رشدكم ، واهتديتم لحظّكم . وإنْ أبيتم إلّا الفرقةَ وشقَّ عصا هذه الأُمّة فلن[1] تزدادوا من الله إلّا بعداً ، ولن يزداد الربُّ عليكم إلا سُخطاً . والسلام .

جواب معاوية

فكتب إليه معاوية :

« أما بعد فإنه :

ليس بينى وبين قيسٍ عتــابُ غيرَ طعنِ الكُلَى وضربِ الرقابِ »

فقال علىّ : ﴿ إنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ ﴾ .

العبور على جسر الرقة

نصر : عمر ، عن الحجّاج بن أرطاة ، عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث أنَّ عليًّا قال لأهل الرّقّة : اجسُروا لى جسراً لكى أعبُر من هذا المكان إلى الشام . فأبَوا وقد كانوا ضمُّوا السفن عندهم ، فنهض من عندهم ليعبر على جسر مَنْبِج ، وخلّف عليه الأَشْتَرَ ، فناداهم فقال : يا أهل هذا الحصن ، إنى أُقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسُروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأُجرِّدن فيكم السيف، ولأَقتلنَّ مقاتلتكم ، ولأُخَرِّبنَّ أرضَكم ، ولآخُذنَّ أموالكم . فلقى بعضُهم بعضاً فقالوا : إنَّ الأشتر يفى بما يقول[2] ، وإن عليًّا خلَّفه علينا ليأتينا منه الشر[3] .

(١) فى الأصل : « لن » ، والصواب دخول الفاء . وفى ح : « لم » . وهذه لا تطلب الفاء .

(٢) ح : « بما حلف عليه » .

(٣) ح : « وإنما خلفه على عندنا ليأتينا بشر » .

فبعثوا إليه : إنّا ناصبون لكم جسراً فأَقبِلوا . فأرسل الأَشتر إلى عليّ فجاءَ ونصبوا له الجسر ، فعبر الأَثقالُ والرِّجال[1] ، ثم أَمر الأَشترَ فوقف فى ثلاثة آلاف فارس ، حتّى لم يبق أَحدٌ من الناس إلّا عَبَرَ ؛ ثم إنه عبرَ آخرَ الناس رجلا .

وذكر الحجّاج أَن الخيل ازدحمت حين عبرت ، وزحم بعضها بعضاً وهى تعبر ، فسقطت قَلَنسوة عبد الله بن أَبى الحصين[2] فنزل فأَخذَها وركب ، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج فنزل فأَخذها ثم ركب ، فقال لصاحبه :

إنْ يَكُ ظَنُّ الزّاجِرِى الطَّيرِ صادقاً كما زعموا أُقْتَلْ وَشيكاً وتُقتَلِ[3]

قال عبدالله بن أَبى الحصين: ما شىءٌ أُوتاه هو أَحبُّ إلىّ مما ذكرت . فَقُتِلا جميعاً يوم صِفِّين .

سير زياد بن النضر وشريح ابن هانئ

وقال خالد بن قَطَن : فلمّا قطع علىٌّ الفراتَ دعا زيادَ بن النضر ، وشُريح بن هانئ ، فسرَّحهما أَمامه نحو معاويةَ على حالهما الذى كانا عليه حين خرجا من الكوفة ، فى اثنى عشر أَلفاً . وقد كانا حين سرَّحهما من الكوفة [مقدِّمة له] أَخَذَا على شاطئ الفرات ، من قِبَل البرِّ ممّا يلى الكوفة ، حتى بلغا عانات ، فبلغهما أَخْذُ علىٍّ على طريق الجزيرة ، وبلغهما أَنَّ معاوية أَقبل فى جنود الشام من دمشق لاستقبال علىّ فقالا :

---

(١) فى الأصل : « فعبر على الأثقال والرحال » بالحاء وبزيادة « على » ؛ وأثبت صوابه من ح (١ : ٢٩٠) . وفى الطبرى (٥ : ٢٣٧) : فعبر عليه بالأثقال والرحال » .

(٢) فى الأصل : « عبد الرحمن بن أبى الحصين » فى هذا الموضع وتاليه ، وصوابه فى ح والطبرى .

(٣) رسم فى الأصل بصورة النثر ، وبلفظ : « الزاجر » و « يزعمون » ، صوابه فى الطبرى .

لا والله ما هذا لنا برأى : أن نسير وَبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر . ما لنا خيرٌ أن نلقى جموعَ أهلِ الشام بقلّة من عددنا منقطِعين من العدد والمَدَد . فذهبوا ليعبروا من عانات فمنهم أهلُ عانات ، وحبسوا عندهم السفن[1] ، فأقبلوا راجعين حتّى عبروا من هِيت ثم لحقوا عليًّا بقرية دون قِرقِيسيا وقد أرادوا أهلَ عانات فتحصَّنوا منهم ، فلما لحقت المقدِّمة عليًّا قال : مقدِّمتى تأتى [من] ورائى ؟ فتقدَّم إليه زيادٌ وشُريح فأخبراه [بالرأى] الذى رأيا ، فقال : قد أصبتما رشدكما . فلما عَبَر الفراتَ قدَّمهما أمامه نحو معاوية ،فلمّا انتهَوْا إلى معاوية لقيهم أبوالأعور [السلمى] فى جند أهل الشام ، فدعَوهم إلى الدخول فى طاعةِ أمير المؤمنين فأبَوا ، فبعثوا إلى علىّ : إنا قد لقينا أبا الأعور السامى بِسُورِ الروم فى جندٍ من أهل الشام فدعوناهُ[2] وأصحابَه إلى الدخول فى طاعتك فأبَوا علينا ، فمُرنا بأمرك . فأرسل علىٌّ إلى الأشتر فقال : كتاب على إلى الأشتر

« يامالِ ، إنَّ زياداً وشُريحاً أرسلا إلىَّ يُعلمانى أنهما لقِيا أبا الأعور السُّلمىّ فى جند من أهل الشام بسُور الروم،فنبَّأنى الرسول أنَّه تركهم متواقفين[3] . فالنَّجاءَ إلى أصحابك النَّجاءَ . فإذا أتيتَهُم فأنت عليهم ، وإياك أن تبدأ القوم بقتالٍ ، إلا أن يبدءوك ، حتى تلقاهم وتسمع منهم ؛ ولا يجرمَنَّكَ شنآنُهم على قتالهم[4] قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّةً بعد مرّة . واجعلْ على ميمنتك زياداً ، وعلى ميسرتك

(١) ح (١ : ٢٩١) : « عنهم السفن » .

(٢) فى الأصل : « فدعوناهم » ، صوابه من ح .

(٣) متواقفين : وقف بعضهم أمام بعض فى الحرب .

(٤) أى لا يحملنك بغضهم على قتالهم .

شُريحاً ، وقف بين أصحابك وسطاً ، ولا تدنُ منهم دنوّ من يُريد أن يُنشِب الحرب ، ولا تَبَاعَدْ منهم تَبَاعُدَ من يهاب البأْس ، حتى أَقْدَم عليك[1] ؛ فإنى حثيثُ السير إليك إن شاء الله » .

كتاب إلى زياد وشريح

وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفى[2] .

وكتب إليهما :

« أما بعد ، فإنى قد أمّرت عليكما مالكاً ، فاسمعا له وأطيعَا أمره ؛ فإنَّه ممن لا يخاف رَهَقَه ولا سِقاطه[3] ، ولا بُطؤه عن ما الإسراعُ إليه أحزم ، ولا الإسراعُ إلى ما البطءُ عنه أَمثَل . وقد أَمرتُه بمثل الذى أمرتكما : ألاَّ يبدأ القوم بقتالٍ حتى يَلقاهم فيدْعُوَهم ويُعذِر إليهم[4] [إن شاء الله] » . فخرج الأَشتر حتّى قدم على القوم فاتَّبع ما أَمرهُ به علىّ ، وكفَّ عن القتال . فلم يزالوا متواقِفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السُّلَمىّ فثبتوا [له] واضطربوا ساعة . ثم إنَّ أهل الشام انصرفوا ، ثم خرج هاشم بن عتبة فى خيلٍ ورجالٍ حسنٍ عُدَّتُها وعددُها ، وخرج إليهم أبو الأعور السلمىُّ ، فاقتتلوا يومَهم ذلك ، تَحْمِل الخيلُ على الخيل[5] ، والرجال على الرجال ، فصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا . وبَكَّرَ عليهم الأَشترُ فقُتِل منهم[6] عبد الله

المعركة الأولى

(١) فى الأصل : « إليك » وأثبت ما فى ح .

(٢) ذكره فى لسان الميزان (٢ : ١٤٩) بدون نسبته ، وقال : « ذكره الطوسى فى رجال الشيعة » . وقد ضبط جمهان فى تاريخ الطبرى (٥ : ٢٣٨) بضم الجيم .

(٣) الرهق : الجهل وخفة العقل ؛ وهو أيضاً الكذب ، والعربدة . والسقاط ، بالكسر : الخطأ والعثرة والزلة .

(٤) فى الأصل : « ألا تبدءوا القوم بقتال حتى تلقاهم فتدعوهم وتعذر إليهم » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) فى الأصل : « فحمل الخيل على الخيل » وأثبت ما فى ح والطبرى (٥ : ٢٣٩) .

(٦) ح : « فقتل من أهل الشام » .

ابن المنذر التنوخى ، قتله ظَبْيان بن عُمارة التميمى ، وما هو يومئذٍ إلاّ فتًى حديث السنّ . وإن كان الشامىُّ لَفارسَ أهل الشام . وأخذ الأشتر يقول : ويحكم ، أرونى أبا الأعور . ثم إن أبا الأعور دعا الناس فرجَعوا نحوه ، فوقف على تَلٍّ من وراءِ المكان الذى كان فيه أوّلَ مرّة ، وجاءَ الأشتر حتّى صفَّ أصحابَه فى المكان الذى كان فيه أبو الأعور أوّل مرة ، فقال الأشتر لِسِنان بن مالكٍ النَّخَعىّ : انطلق إلى أبى الأعور فادْعُهُ إلى المبارزة . فقال : إلى مبارزتى أَو مبارزتك ؟ فقال : إلى مبارزتى . فقال الأشتر : [أوَ] لو أمرتك بمبارزته فعلت ؟ قال : نعم ، والذى لا إله إلا هو لو أمرتَنى أن أعترض صفَّهم بسيفى فعلْته[1] حتّى أضربه بالسيف . فقال : يا ابن أخى ، أطال الله بقاءَك ، وقد والله ازددت فيك رغبةً ؛ لا ، ما أمرتك بمبارزتِه ، إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتى ؛ لأنه لا يبارز — إن كان ذلك من شأْنه — إلا ذوى الأسنان[2] والكفاءة والشرف ، وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ؛ ولكنَّك حديث السنّ ، [و] ليس يبارز الأحداث ، فاذهب فادعه إلى مبارزتى . فأتاهم فقال[3] : أمّنونى فإنى رسول[4] . فأمّنوه حتّى انتهى إلى أبى الأعور .

طلب الأشتر مبارزة الأعور

نصر : عمر بن سعد ، رجل[5] ، عن أبى زهير العبسى ، عن صالح ابن سنان بن مالك ، عن أبيه قال : قلت له : إنَّ الأشتر يدعوك إلى مبارزته . فسكت عنّى طويلا ثم قال : إن خفّة الأشتر وسوءَ رأْيه هو

---

(١) ح (١ : ٢٩١) : « لفعلت » .
(٢) فى الأصل : « لذوى الأسنان » والوجه ما أثبت فى ح . وانظر الطبرى .
(٣) فى الأصل : « فأتاه فقال » ، صوابه فى ح .
(٤) ح : « أنا رسول فأمنونى » .
(٥) كذا فى الأصل ، وليست فى ح . ومعناه حدثنى رجل .

الذى دعاه إلى إجلاء عُمّال عثمان مِن العراق ، وافترائه عليه يقبّح محاسنه ، ويَجهل حقَّه ، ويُظهر عداوته . ومن خفَّة الأَشتر وسوءِ رأيه أَنه سار إلى عثمان فى داره وقرارِه ، فقتله فيمن قتله ، فأَصبح مبتغًى بدمه[1] . لا حاجة لى فى مبارزته . قال : قلتُ له : قد تكلمت فاستمع منِّى حتى أُخبرَك[2] . قال : فقال : لا حاجة لى فى جوابك ، ولا الاستماع منك . اذهبْ عنِّى . وصاح بِى أَصحابه فانصرفت عنه . ولو سمع منِّى لأَخبرتُه بُعذْر صاحبي وحُجَّته . فرجعتُ إلى الأَشتر فأَخبرته أَنه قد أَبى المبارزة ، فقال : لنفسه نظرَ . قال : فتواقفنا حتى حجز بيننا وبينهم الليل ، وبتنا متحارسين . فلما أَن أَصبحنا نظرنا فإذا هم قد انصرفوا[3] . قال : وصبَّحنا[4] علىٌّ غدوةً فسار نحو معاوية ، فإذا أَبو الأَعور السلمى قد سبق إلى سهولة الأَرض ، وسعة المنزل ، وشريعة الماء ، مكانٍ أَفيح[5] وكان على مقدّمة معاوية .

صفة الجيشين

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عَن محمد بن على ، وزيد بن حسن ، ومحمد – يعنى ابن المطّلب – قالوا : استعمل علىٌّ عليه السلام ، على مقدمته الأَشتر بن الحارث النخعى ، وسار علىٌّ فى خمسين ومائة أَلف من أَهل العراق ، وقد خنَست طائفةٌ من أَصحاب علىّ ، وسار معاوية فى نحوٍ من ذلك من أَهل الشام ، واستعمل معاوية على مقدّمته سفيان ابن عمرو : أَبا الأَعور السلمى . فلما بلغ معاوية أَن عليًّا يتجهز أَمر

(١) مبتغى : مطلوباً . وفى ح والطبرى : « متبعاً » .
(٢) ح والطبرى : « فاسمع حتى أجيبك » .
(٣) فى الطبرى : « قد انصرفوا من تحت ليلتهم » .
(٤) فى الأصل : « وأصبحنا » ، تحريف . وفى ح والطبرى : « ويصبحنا على غدوة » .
(٥) الأفيح : الواسع . ح : « مكاناً أفسح » ، محرف .

أصحابه بالتهيّؤ . فلما استتب لعليٍّ أمرُه سار بأصحابه ، فلما بلغ معاويةَ مسيرُه إليه سار بقَضِّه وقضيضه نحو عليّ عليه السلام ، واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو ، وعلى ساقته ابنَ أرطاة العامرى – يعنى بُسراً[1] – فساروا حتّى توافَوا جميعاً بقُناصِرِين[2] إلى جنب صفّين . فأتى الأشترُ صاحب مقدّمة معاوية وقد سبقه إلى المعسكر على الماء ، وكان الأشتر فى أربعة آلاف من متبصِّرى أهل العراق ، فأزالوا أبا الأعور عن معسكره ، وأقبل معاويةُ فى جميع الفيالق[3] [بقضّه وقضيضه] ، فلما رأى ذلك الأشتر انحاز إلى عليّ عليه السلام وغلب معاويةُ على الماء ، وحال بين أهل العراق وبينه ، وأقبل عليٌّ عليه السلام حتّى إذا أراد المعسكر إذا القوم قد حالوا بينه وبين الماء .

غلبة معاوية على الماء

ثم رجع إلى الحديث بإسناده إلى الأول . ثمّ إن علياً عليه السلام طلب موضعاً لعسكره ، وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم – وهم مائة ألفٍ أو يزيدون – فلما نزلوا تسرَّع فوارسُ من فوارس عليّ على خيلهم إلى معاوية – وكانوا فى ثلاثين ومائة – ولم ينزل بعد معاوية ، فناوشهم القتال واقتتلوا هُوِيًّا[4] .

---

(١) بعده فى ح (١ : ٢٩١) : « وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة الفهرى ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرجالة من الميسرة حابس بن سعيد الطائى ، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس الفهرى ، وعلى رجالة أهل دمشق يزيد بن أسد بن كرز البجلى ، وعلى أهل حمص ذا الكلاع ، وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد » . وسيأتى هذا الكلام فى نهاية هذا الجزء الثالث من الكتاب .

(٢) لم يذكره ياقوت . وفى القاموس : « وقناصرين بالضم : موضع بالشام » .

(٣) فى الأصل : « جمع الفيلق » ، صوابه فى ح (١ : ٣٢٥) .

(٤) الهوى ، بفتح الهاء وكسر الواو وتشديد الياء : الحين الطويل من الزمان . وبالضم : السرعة ، يقال هوت الناقة تهوى هوياً ، وإذا عدت عدواً شديداً أرفع العدو .

كتاب معاوية إلى على

نصر : عمر بن سعد، عن سعد بن طريف ، عن الأَصبغ بن نباتة ، قال : كتب معاوية إلى على عليه السلام :

« عافانا الله وإيّاك .

ما أَحسن العدل والإنصافَ من عمل
وأَقبحَ الطيشَ ثمَّ النفْشَ فى الرجلِ[1]

[وكتب بعده[2]] :

اربِطْ حمــارك لا يُنزَعْ سَــوِيَّتهُ
إذاً يردَّ وقيــدُ العَير مــكروبُ[3]

ليست ترى السِّيدُ زيداً فى نفــوسهم
كمـــا تراه بنــو كُــوزٍ ومرهــوبُ

إن تسأَلوا الحقَّ يُعطَى الحقَّ ســائلُه
والدِّرع مُحْقَبةٌ والسَّيفُ مقــروبُ

أَو تأْنفــون فإنَّا معشــرٌ أُنفٌ
لا نَطعَمُ الضَّيمَ إنَّ السّمَّ مشــروبُ

قال : وأمر علىّ عليه السلام الناس ، فوُزِعوا عن القتال[4] حتّى تأْخذ أَهل المصافّ مصَافَّهم[5] ، ثم قال :

---

(١) قال ابن أبى الحديد فى (١ : ٣٢٦) : « والنفش : كثرة الكلام والدعاوى . وأصله من نفش الصوف » .
(٢) التكملة من ح (١ : ٣٢٩) .
(٣) الأبيات لعبد الله بن عنمة الضبى . انظر الشعر وشرحه وترجمة قائله وجو الأبيات فى المفضليات (٢ : ١٨٢ طبع المعارف) .
(٤) وزعوا : كفوا .
(٥) ح (١ : ٣٢٦) : « حتى أخذ أهل الشام مصافهم » .

أيُّها الناس ، هذا موقفٌ من نَطِف فيه نَطِفَ يوم القيامة[1] ، ومن فَلَج فيه فلجَ يوم القيامة .

ثم قال عليٌّ ، لمّا نزل معاوية بصِفِّين :

لقد أتاكم كاشراً عن نابه يهمِّط الناس على اعْتزابه[2]

فليأتنا الدهر بما أتى به

كتاب علي إلى معاوية

وكتب عليّ إلى معاوية :

فإنَّ للحرب عُراماً شَرَرا إنَّ عليها قائداً عَشَنْزَرا[3]

يُنصِف من أَجْحَر أو تنمَّرا على نواحيها مِزَجًّا زَمْجَرا[4]

إذا ونَينَ ساعةً تغَشْمَرا[5]

---

(١) يقال نطف ، كعلم ، ونطف بالبناء المجهول : أى اتهم بريبة .

(٢) يهمط الناس ، أى يقهرهم ويخطبهم . والاعتزاب ، قال ابن أبي الحديد فى (١ : ٣٢٧) : « أى على بعده عن الإمارة والولاية على الناس » . وفى الأصل : « اغترابه » ، تحريف.

(٣) العشنزر : الشديد .

(٤) قال ابن أبي الحديد : « أجحر : ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا جحرتهم أو بيوتهم . وتنمر : أى تنكر حتى صار كالنمر . يقول : هذا القائد الشديد القوى ينصف من يظلم الناس ويتنكر لهم ، أى ينصف منه . فحذف حرف الجر كقوله « واختار موسى قومه » أى من قومه . والمزج ، بكسر الميم : السريع النفوذ ، وأصله الرمح القصير كالمزراق . ورجل زمجر أى مانع حوزته ، والميم زائدة . ومن رواها : زمخرا ، بالخاء ، عنى به المرتفع العالى الشأن » . فى الأصل : « أحجم » وفى ح : « أحجر » بتقديم الحاء على الجيم فى الرجز وفى شرحه ؛ وصوابهما بتقديم الجيم على الحاء وآخره راء كما أثبت .

(٥) تغشمر : تنمر وأخذهم بالشدة لا يبالى .

وقال أيضاً[1] :

أَلم ترَ قومى إذ دعاهم أخوهمْ
أجابوا وإن يغضَب على القوم يَغْضَبُوا

هم حفظوا غَيبى كما كنتُ حافظاً
لقومىَ أُخرى مثلَها إذْ تَغيَّبُوا

بنُو الحرب لم يقْعُد بهم أُمَّهاتهم
وآباؤُهم آباءُ صدقٍ فأَنْجَبُوا

فتراجع الناس إلى معسكرهم ، وذهب شبابٌ من الناس وغلمانهم يستقون ، فمنعهم أهل الشام .

استيلاء أهل الشام على الماء

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأَحمر قال : لمَّا قدمنا على معاوية وأَهل الشام بصِفّين ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه ، مستوياً[2] بَسَاطاً واسعاً ، وأَخذوا الشريعة فهى فى أيديهم ، وقد صفَّ أَبو الأَعور عليها الخيلَ والرَّجَّالة ، وقدَّم المُرامية ومعهم أَصحاب الرِّماح والدَّرَق ، وعلى رءُوسهم البَيْض ، وقد أَجمعوا أَن يمنعونا الماء ، ففزِعنا إلى أَمير المؤمنين فأَخبرْناه بذلك ، فدعا صعصعةَ بن صُوحان فقال : ائت معاوية فقل : إنا سِرْنا مسيرَنا

---

(١) الشعر لربيعة بن مشروم الطائى ، كما فى ح (١ : ٣٢٧) .

(٢) فى الأصل : « اختار ولا مستوياً » ، صوابه فى ح .

هذا ، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنك قد قدمت بخيلك[1] فقاتلتنا قبل أن نقاتلَك ، وبدأْتنا بالقتال ، ونحن مَنْ رأْيُنا[2] الكفُّ حتَّى ندعوَك ونحتجّ عليك . وهذه أُخرى قد فعلتموها ، حتَّى حُلتم بين الناس وبين الماءِ ، فخلِّ بينهم وبينه حتَّى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدِمنا له وقدمتم . وإن كان أَحبَّ إليك أَن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماءِ حتى يكون الغالب هو الشارب فعلْنا . فقال معاوية لأَصحابه[3] : ما ترون ؟ قال الوليد بن عقبة : امنعهم الماءَ كما منعوه ابنَ عفان : حصروه أَربعين يوماً يمنعونه بَرْد الماءِ ولينَ الطعام ، اقتلْهم عطشاً قتلهم الله ! قال عَمرو : خلِّ بين القوم وبين الماءِ ؛ فإنهم لن يعطشوا وأنت ريَّان ، ولكن لغير الماءِ فانظر فيما بينك وبينهم . فأَعاد الوليد مقالته ، وقال عبد الله بن أَبي سرح[4] — وهو أَخو عثمان من الرضاعة — : امنعهم الماءَ إلى الليل ؛ فإنَّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ، وكان رجوعُهم هزيمتَهم . امنعْهم الماءَ منعهم الله يومَ القيامة . فقال صعصعة بن صُوحان : إنما يمنعه اللهُ يومَ القيامةِ الكفرةَ الفجَرة شَرَبة الخمر ، ضَرْبَك وضربَ هذا الفاسق[5] — يعني الوليد بن عقبة — فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدَّدونه . فقال معاوية : كُفُّوا عن الرّجل فإنَّه رسول .

نصر : عمر بن سعد ، عن يو سف بن يزيد ، عن عبد الله بن

---

(١) ح : « قدمت خيلك » .
(٢) ح : « ممن رأينا » .
(٣) ح : « فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية قال معاوية لأصحابه » .
(٤) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب — بالتصغير — بن حذافة ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى . وهو الذى افتتح إفريقية زمن عثمان وولى مصر بعد ذلك . ومات سنة تسع وخمسين فى آخر عهد معاوية . الإصابة ٤٧٠٢ . ح : « بن سعيد » ، تحريف .
(٥) الضرب ، هاهنا : المثل والشبيه .

استيلاء أهل العراق على الماء ثم سماحهم به لأهل الشام

عوف بن الأحمر ، أنَّ صعصعة رجع إلينا فحدَّثنا بما قال معاوية وما كان منه وما ردّ عليه ، فقلنا : وما ردَّ عليك معاويةُ ؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده قلتُ : ما تردُّ عليَّ ؟ قال : سيأتيكم رأيى . قال : فوالله ما راعنا إلّا تسويةُ الرجال والخيلِ والصفوف ، فأرسل إلى أبى الأعور : امنعْهم الماءَ . فازدَلفْنا واللهِ إليهم ، فارتمينا واطّعنّا بالرماح ، واضطربنا بالسيوف. فطال ذلك بيننا وبينهم ، فضاربناهم فصار الماءُ فى أيدينا ، فقلنا : والله لا نسقيهم . فأرسل إلينا علىّ : خُذُوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عَسكركم[1] وخلوا بينهم وبين الماء ؛ فإن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم .

تحريض السكونى على منع الماء

نصر : عمر بن سعد ، عن رجل ، عن أبى حُرّة أنَّ عليًّا قال : هذا يومَ نُصِرتم فيه بالحميّة .

نصر ، محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى ، قال : فبقى أصحاب علىٍّ يوماً وليلة — يومَ الفرات — بلا ماءٍ . وقال رجل من السَّكُون من أهل الشام يعرف بالسَّليل بن عمرو[2] : يا معاوية :

اسمع اليوم ما يقــول السليل إنَّ قــولى قولٌ له تأويــلُ
امنع المــاءَ من صِحــاب علىّ أنْ يذوقوه ، والذليــلُ ذليــلُ
واقتل القومَ مثلَ ما قُتل الشَّيْـ ـخُ ظَمأً والقِصاصُ أمرٌ جميلُ[3]
فَوَحقِّ الذى يُســاق له البُـدْ نُ هــدايَا لنحرها تأْجيــلُ[4]

---

(١) ح : « معسكركم » ، وهما سيان ؛ فإن العسكر كما يقال للجيش يقال أيضاً لمجتمع الجيش كالمعسكر .

(٢) ح : « بالشليل بن عمرو » ، وكذا جاءت فى الشعر .

(٣) ح : « صدى فالقصاص أمر جميل » .

(٤) التأجيل : تحديد الأجل . وفى التنزيل : (كتاباً مؤجلا) . ح . : « هدايا كأنهن الفيول » .

لـو علىٌّ وصحبُـه وردوا المـا ءَ لمـا ذُقتموه حتّى تقـولوا :[١]

قـد رضينا بمـا حكمتُمْ علينـا بعد ذاك الرِّضـا جِـلادٌ ثقيلُ

فامنعِ القـومَ ماءَكُمْ، ليس للقو م بقـاءٌ وإن يـكُنْ فقليـلُ

رأى عمرو فى ذلك

فقال معاوية : الرأى ما تقول ، ولكنْ عمرٌو لا يدَعُنى[٢] . قال عمرو : خلِّ بينهم وبين الماء ؛ فإن عليًّا لم يكن ليظمأَ وأنتَ ريّان ، وفى يده أعنَّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشْربَ أو يموت ، وأنت تعلم أنَّه الشُّجاع المطْرِق[٣] ، ومعه أهلُ العراق وأهلُ الحجاز ، وقد سمعتُه أنا وأنت[٤] وهو يقول : لو استمكنت من أربعينَ رجلاً . فذكر أمراً . يعنى لو أنَّ معى أربعين رجلاً يوم فُتِّش البيت . يعنى بيت فاطمة.

رأى المعرى بن الأقبل فى منع الماء

وذكروا أنَّه لما غَلبَ أهلُ الشام على الفرات فَرِحُوا بالغلبة ، فقال معاوية : يا أهلَ الشّام ، هذا واللهِ أوّلُ الظفر ، سَقانى الله ولا سقى أبا سفيانَ إن شربوا منه أبداً حتى يُقتَلوا بأجمعهم عليه . وتباشر أهل الشام ، فقام إلى معاوية رجلٌ من أهل الشام [هَمْدانىٌّ ناسك] ، يقال له المعرّىّ بن الأقْبَل، وكان ناسكاً ، وكان له - فيما تَذكر هَمْدانُ - لسانٌ ، وكان صديقاً ومواخياً لعمرو بن العاص ، فقال : يا معاوية ، سبحان الله ، أَلِأَنْ سبقتم القومَ[٥] إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعونهم عنه ؟ أما والله لو سبقُوكم إليه لسقَوكم منه . أليسَ أعظمَ ما تنالون من القوم أن تمنعوهُم الفراتَ فينزلُوا على فُرضةٍ أُخرى فيجازوكم بما صنعتم ؟ أما تعلمون أنَّ فيهم العبدَ والأَمَة، والأَجيرَ والضَّعيف، ومَن

عمرو والمعرى

---

(١) هذا البيت ساقط من ح .

(٢) ح : « ولكن عمراً يدرى » .

(٣) انظر ما سبق ص ٦٧ س٣ .

(٤) ح (١ : ٣٢٨) : « وقد سمعته أنا مراراً » .

(٥) فى الأصل : « إن سبقتم القوم » ، وأثبت ما فى ح .

لا ذنب له . هذا والله أوّل الجَوْر . لقد شجَّعتَ الجبانَ ، وبصَّرتَ المُرتاب ، وحَملتَ من لا يريد قتالَك على كتِفَيك . فأَغلظ له معاويةُ ، وقال لعمرو : اكفِنى صديقَك . فأَتاه عمرٌو فأَغلظ ، فقال الهَمْدانىُّ فى ذلك :

لعمرو أَبى معاويةَ بنِ حربٍ ... وعمرٍو ما لدائهما دواءُ
سِوى طعنٍ يحار العقلُ فيه ... وضربٍ حين يختلط الدِّماءُ
فلستُ بتابع دينَ ابنِ هندٍ ... طَوالَ الدَّهْرِ ما أَرْسَى حِرَاءُ
لقد ذهبَ العتابُ فلا عتابٌ ... وقد ذهب الوَلاءُ فلا ولاءُ
وقولى فى حوادث كلِّ أمرى[1] ... على عمرٍو وصاحبِه العَفاءُ
ألا لله درُّك يا ابنَ هندٍ ... لقد برح الخفاءُ فَلا خفاءُ[2]
أَتَحمون الفراتَ على رجالٍ ... وفى أَيديهم الأَسلُ الظِّماءُ
وفى الأَعناق أَسيافٌ حدادٌ ... كأَنَّ القوم عندهم نِساءُ[3]
فترجو أن يجاوِرَكم علىٌّ ... بلا ماءٍ وللأَحزابِ ماءُ
دعاهم دعوةً فأَجاب قومٌ ... كجُرْبِ الإبل خالَطَها الهِناءُ

لحاق المعرى بن الأقبل بعلى

قال : ثم سار الهَمْدَانى فى سواد اللَّيل ، فلحِق بعلىٍّ . قال : ومكث أصحاب علىٍّ يوماً وليلةً بغير ماءٍ ، واغتم علىٌّ بما فيه أَهل العراق .

ماقيل من الشعر فى منع الماء

نصر ، محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى ، قال : خرج علىٌّ لما اغتم بما فيه أَهل العراق من العَطشِ قِبَل راياتِ مَذْحِجٍ ، وإذا رجلٌ ينادى :

أيمنعنا القومُ ماءَ الفراتِ ... وفينا الرِّماحُ وفينا الحَجَفْ[4]

---

(١) ح : « كل خطب » .

(٢) يقال برح الخفاء بكسر الراء وفتحها : أى ظهر ما كان خافياً وانكشف . وفى الأصل : « ذهب الحياء فلا حياء » ، وأثبت ما فى ح .

(٣) فى الأصل : « عندكم » ، والصواب ما أثبت من ح .

(٤) الحجف : جمع حجفة ، وهى الترس من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض . وانظر مقاييس اللغة (حجف) .

وفينــا الشــوازِب مثل الوَشيج وفينا السُّيوف وفينا الزغَفْ[1]
وفينـــا علىٌّ لــــه سَــوْرَةٌ إذا خوَّفوه الــرَّدَى لم يخَــفْ
فنحن الذين غـــداةَ الــزُّبير وطلحةَ خُضْنــا غِمَارَ التَّلفْ[2]
فمــا بالُنــا أمسِ أُسْــدَ العَرينِ وما بالُنا اليومَ شاءَ النَّجَفْ[3]
فمــا للعــــراقِ ومــا للحجــازِ سِوى اليوم يومٌ فَصُكُّوا الهَدَفْ[4]
فــدِبُّوا إليهم كبُزْلِ الجمـــــال دُوين الذَّميل وفوق القَطَفْ[5]
فإمّــا تحُــلُّوا بشــطِّ الفــرات ومنّــا ومنهم عليــه الجِيَفْ
وإمّــا تمــــوتوا على طــــاعة تُحِــلُّ الجِنَــانَ وتَحْبُو الشَّرَف
وإلا فأنتم عبيـــــد العَصَــــــا وعبد العصَا مُستذَلٌّ نَطِفْ[6]

قال : فحرَّك ذلك عليًّا ، ثم مضَى إلى راية كندة[7] ، فإذا مناد ينادى إلى جنْب منزل الأشعث[8] وهو يقول :

(١) الشوازب : الخيل الضامرة . وفى الأصل : « الشوارب » ، وفى ح : « الشواذب » صوابه بالزاى كما أثبت . والوشيج : أراد به الرماح ، وأصل الوشيج شجر الرماح . وشبه الخيل بالرماح فى دقتها وضمرها . انظر المفضليات (٢ : ١٨٠) . والزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع الواسعة الطويلة ؛ والغين تسكن وتحرك فى المفرد والجمع .

(٢) يشير إلى وقعة الجمل .

(٣) النجف ، بفتح النون والجيم ، قال ابن الأعرابى : « هو الحلب الجيد حتى ينفض الضرع » . وانظر خزانة البغدادى (١ : ٥٢٩) ومروج الذهب (٢ : ١٨) حيث أنشد بعض هذه الأبيات .

(٤) الصك : الضرب . ح : « سوا الشام خصم » .

(٥) الذميل والقطف : ضربان من السير .

(٦) عبيد العصا ، يقال للقوم إذا استذلوا . قال امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصـــــا ما غركم بالأســـد الباسل

وفى الأصل : « عبيد الرشاء » وعبد الرشا » صوابه فى ح (١ : ٣٢٨) . والنطف : المريب المعيب .

(٧) ح : « رايات كندة » .

(٨) فى مروج الذهب (٢ : ١٨) : « وألقى فى فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها » وأنشد البيتين الأولين .

لئن لم يجــلُ الأشعثُ اليومَ كُربةً　　من الموت فيها للنفوس تعنُّتُ[1]
فنشربَ من ماءِ الفراتِ بسيفــه　　فهبْنَا أُناساً قبلُ كانوا فموَّتوا
فإن أنتَ لم تجمع لنا اليومَ أمرَنا　　وتُلقِ التى فيها عليك التشتُّتُ[2]
فمن ذا الذى تُثنَى الخناصرُ باسمه　　سِواك ومن هذا إليه التلفُّتُ
وهل من بقاءٍ بعدَ يومٍ وليـلةٍ　　نظلُّ عِطاشاً والعـدوُّ يصوِّتُ[3]
هلمُّوا إلى مــاءِ الفــراتِ ودونه　　صدورُ العوالى والصَّفيح المشتَّتُ
وأنت امرؤٌ من عصبةٍ يمنيّــةٍ　　وكلُّ امرئٍ من غُصْنِهِ حين ينبتُ

القتال على الماء

فلما سمع الأشعَثُ قولَ الرَّجل أتى عليًّا من ليلته ، فقال : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القومُ ماءَ الفرات وأنت فينا ، ومعنا السُّيوف ؟ خلِّ عنَّا وعن القوم ، فو الله لا نرجع حتَّى نرِدَه أو نموت . ومُرِ الأشترَ فليعلُ بخيله فيقفْ حيث تأمره[4] . فقال : ذاك إليكم[5] . فرجع الأشعث ، فنادى فى الناس : من كان يريد [الماءَ أو] الموتَ فميعادُه الصُّبح[6] ؛ فإنِّى ناهض إلى الماء . فأتاه من ليلته اثنا عشر ألف رجل[7] وشدَّ عليه سلاحَه وهو يقول :

ميعادُنا اليومَ بياض الصُّبــح　　هل يَصلُحُ الــزَّادُ بغير مــلح
لا لا ، ولا أمرٌ بغيــر نُصْــحِ　　دِبُّوا إلى القــوم بطَعْنٍ سمْحِ

---

(١) التعنت ، من قولهم تعنت فلان فلاناً : إذا أدخل عليه الأذى . وفى الأصل : « تفتت » وفى مروج الذهب : « تعلت » ، صوابهما ما أثبت .
(٢) ح : « المذلة » .
(٣) ح « تظل خفوتا » .
(٤) فى الأصل : « ومر الأشتر فايعلو بخيله فيقف حين أمره » ، صوابه من ح .
(٥) فى الأصل : « إليك » ، وأثبت ما فى ح .
(٦) ح : « فميعاده موضع كذا » .
(٧) ح : « فأتاه اثنا عشر ألفاً من كندة وأفناء قحطان واضعى سيوفهم على عواتقهم » .

مثل العَزَالِي بطعانٍ نَفْحِ[1] لا صُلح للقوم وأين صُلْحِي

حسبي من الإقحام قابُ رُمحِ

فلما أصبح دبَّ فى الناس وسيوفُهم على عواتقهم ، وجعل يُلقى رمحه ويقول : بأبى أنتم وأمِّى ، تقدموا قابَ رُمحى[2] [هذا] . فلم يزل ذلك دأبَه حتى خالط القومَ وحسرَ عن رأسه ونادى : أنا الأشعث بن قيس ، خلُّوا عن الماء . فنادى أبو الأعور السُّلَمىُّ : أما والله لا ، حتَّى تأخذنا وإياكم السيوف . فقال : قد والله أظنُّها دنَتْ منا . وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره علىّ ، فبعث إليه الأشعث أنْ أقحِمِ الخيل . فأقحمها حتى وضعَ سنابكَها فى الفُرات ، وأخذت القومَ السيوفُ فولَّوا مدْبرين .

ظفر أهل العراق بالماء

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبى جعفر : عن زيد ابن حُسَين[3] قال : نادى الأشعثُ عمرو بنَ العاص ، قال : ويحكَ يا ابن العاصِ ، خلِّ بيننا وبين الماء ، فو الله لئن لم تفعلْ ليأخذنَّا وإيّاكم السُّيوف . فقال عمرو : والله لا نُخلِّى عنه حتى تأخذَنا السيوفُ وإيّاكم فيعْلم ربُّنا أيُّنا اليوم أصبر . فترجَّل الأشعث والأشتر[4] وذُوو البصائر من أصحاب علىّ ، وترجَّل معهما اثنا عشر ألفاً ، فحملوا على عمرو ومن معه من أهل الشام[5] فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل علىٍّ سنابكَها فى الماء .

ما قيل فى التهكم بأهل العراق

نصر : روى سعد أنَّ عليًّا قال ذلك اليوم : هذا يومٌ نُصرتم فيه بالحميَّة[6] . ثم إن عليًّا عسكر هناك . وقبل ذلك قال شاعر أهل العراق :

---

(١) العزالى : جمع عزلاء ، بالفتح ، وهى فم المزادة . شبه بها اتساع الطعنة واندفاق الدماء منها . والنفح : الدفع . وطعنة نفاحة : دفاعة بالدم .

(٢) فى الأصل : « قاب رمح » ، وأثبت ما فى ح . قاب رمحى : أى قدره .

(٣) ح : « عن أبى جعفر وزيد بن الحسن » .

(٤) ح : « فالأشتر » بالفاء .

(٥) ح : « على عمرو وأبى الأعور ومن معهما من أهل الشام » .

(٦) انظر ما سبق فى ص ١٦٢ س ٩ — ١٠ .

أَلا يتّقـون الله أَنْ يمنعوننــا الـ ـفرات وقد يَروى الفراتُ الثعالبْ

وقـد وعـدونـا الأَحمرين فـلم نجِد لهم أَحمراً إلاَّ قِراعَ الـكتائبْ (١)

إذا خفقت راياتُنـا طحنت لهـا رحًى تطحن الأَرحاءَ والموتُ طالبْ (٢)

فتعطى إلٰهَ النَّـاس عهداً نَفِى به لِصهر رسـول الله حتَّى نضاربْ

وكان بلغ [أهل [الشَّام أَنَّ عليًّا جعل للناس إن فُتحت الشام أَن يقسم بينهم البُرَّ والذَّهب ــ وهما الأَحمران (٣) ــ وأَن يعطيهم خمسمائة كما أَعطاهم بالبصرة (٤) ، فنادى منادى أهل الشام (٥) : يا أَهل العراق [لماذا نزلتم بعَجاج من الأَرض (٦) ؟ نحن أَزد شنوءة لا أَزد عمان ، يا أَهل العراق] :

لا خَمْسَ إلاَّ جَنْدلُ الإِحَرِّينْ (٧) والخَمْسُ قد يحمِّل الأَمَرِّينْ (٨)

(١) الأحمران ، سيأتى تفسيرهما بعد الشعر .

(٢) الأرحاء ، هاهنا : القبائل المستقلة ، واحدتها رحى .

(٣) فسرا فى المعاجم بأنهما اللحم والخمر ، أو الذهب والزعفران . أما تفسيرهما بالبر والذهب فلم أجده إلا هاهنا . وفى ح : « التبر والذهب » ولا إخال « التبر » إلا تحريفاً .

(٤) لما فرغ على من بيعة أهل البصرة بعد وقعة الجمل نظر فى بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة ، وقال : لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشام مثلها إلى أعطياتكم . انظر الطبرى (٤ : ٢٢٣) .

(٥) فى اللسان (حرر) : « أنشد ثعلب لزيد بن عتاهية التميمى ، وكان زيد المذكور لما عظم البلاء بصفين قد انهزم ولحق بالكوفة . . . . فلما قدم زيد على أهله قالت له ابنته : أين خمس المائة ؟ فقال :

إن أباك فـــر يوم صفين لمـا رأى عـكا والأشعـريين

وقيس عيـــلان الهوازنيين وابن نمير فى سراة الكندبين

وذا الكلاع سيد اليمانين وحابســا يستن فى الطائيين

قال لنفس السوء هــل تفرين لا خمس إلا جنــدل الإحرين

والخمس قد جشمك الأمــرين جمزاً إلى الكوفة من قنسرين ».

(٦) العجاج ، أراد به الأرض الخبيثة . وأصل العجاج من الناس الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه .

(٧) لا خمس ، أراد لا خمسمائة . والجندل : جمع جندلة ، وهى الحجارة يقلها الرجل . والإحرين بكسر أوله وفتح ثانيه : الحرار من الأرض ، كأنها جمع إحرة ، ولم يتكلموا بهذه . وهى من ملحقات الجمع السالم كالإوزين والأرضين والسنين . والحرار : جمع حرة ، وهى أرض ذات حجارة سود نخرات . والمعنى : ليس لك اليوم إلا الحجارة والخيبة .

(٨) الأمرين : الشر والأمر العظيم ، يقال بكسر الراء وفتحها ، كما فى القاموس .

جمزاً إلى الكوفة من قِنَّسْرِينْ[1]

نصر : أَبو عبد الرحمن المسعودى ، عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه ، عن عمرو بن العاص :

لا خَمْس إِلَّا جندَلُ الإِحَـرِّينْ والخَمْسُ قد يجشِّمك الأَمَرِّينْ[2]

حديث الأشعث وعمرو

نصر : قال عمرو بن شمر[3] ، عن جابر قال : سمعت تميماً الناجىَّ[4] قال : سمعت الأَشعثَ بن قيس يقول – يوم حال عمرُو بن العاص بيننا وبين الفرات – : ويحك ياعمرو ، والله إنْ كنت لأَظنُّ لك رأياً فإذا أنتَ لا عقل لك ، أَتُرانا نُخَلِّيك والماءَ ، تِربتْ يداك وفَمُك ، أَمَا علمتَ أَنَّا معشرٌ عُرب ، ثَكلِتك أُمُّك وهبلتك ، لقد رمتَ أمرًا عظيماً . فقال له عمرو : أَما والله لتعلمنّ اليومَ أَنَّا سنفى بالعهد ، ونقيم على العَقْد ، ونلقاك بصبر وجدّ[5] . فناداه الأَشتر : والله لقد نزلْنا هذه الفرضةَ يا بن العاص ، والنَّاس تريد القتالَ ، على البصائر والدين ، وما قِتالُنا سائرَ اليوم إِلَّا حميّة .

ثم كبَّر الأَشعث وكبَّر الأَشتر ، ثمَّ حملا فما ثار الغبار حتى انهزم أَهل الشَّام .

---

(١) الجمز : ضرب من السير السريع . وفى الأصل : « جمزك من الكوفة إلى قنسرين » وكتب بجواره : « خ : يجزيك من كوف إلى قنسرين » إشارة إلى أنه كذلك فى نسخة أخرى . وصواب هذه الأخيرة : « جمزك » وهذا البيت الأخير ساقط من ح (١ : ٣٢٩) . وانظر الاشتقاق لابن دريد ٨٥ جوتنجن ١٣٦ من تحقيقنا .

(٢) كتب إلى جوارها فى الأصل : « خ : قد يحمل الأمرين » .

(٣) هو عمرو بن شمر الجعفى الكوفى الشيعى ، أبو عبد الله . يروى عن جعفر بن محمد وجابر الجعفى ، والأعمش . انظر لسان الميزان (٤ : ٣٦٦) . ح : « عمر بن شمر » تحريف .

(٤) هو تميم بن حذلم بالحاء المهملة والذال المعجمة وزان جعفر – ويقال حذيم – الناجى الضبى . الكوفى ، أبو سلمة ، شهد مع على وكان من خواصه . قال ابن حجر : « ثقة ، مات سنة مائة » . انظر منتهى المقال ٧٠ والقاموس (حذلم) ، وتهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٥) ح (١ : ٣٢٩) : « ونحكم العقد ونلقاهم بصبر وجد » .

رجع إلى الخلاف في شأن الماء

[قالوا] : فلقى عمرو بن العاص بعد ذلك[1] الأشعث بن قيس فقال : أى أخا كندة ، أمَا واللهِ لقد أبصرتُ صوابَ قولك يوم الماء ، ولكنّى كنت مقهوراً على ذلك الرّأى ، فكايدتك بالتهدّد ، والحرب خُدعة.

ثم إنَّ عمراً أرسل إلى معاوية : أنْ خلِّ بين القوم وبين الماء ، أترى القومَ يموتون عطشاً وهم ينظرون إلى الماء ؟ فأرسل معاوية إلى يزيد ابن أسد [القسرىّ] : أنْ خلِّ بين القوم وبين الماء يا أبا عبد الله . فقال يزيد — وكان شديد العثمانية — كلاَّ والله[2] ، لنقتلنهم عطشاً كما قتلوا أمير المؤمنين .

رجز الأشتر في حملته على عمرو

نصر ، عمرو بن شمر ، عن إسماعيل السدّى قال : سمعتُ بكر بن تغلب السّدوسى يقول : والله لكأنّى أسمع الأشتر وهو يحمل على عمرو ابن العاص يوم الفرات ، وهو يقول :

ويحك يا ابن العاصى ... تَنَحَّ فى القواصى
واهرُبْ إلى الصَّياصى[3] ... اليوم فى عِراصِ[4]
نأخذ بالنَّواصى ... لا نحذَر التَّنَاصِى[5]
نحن ذوى الخِماصِ[6] ... لا نقرب المعاصى
فى الأدرُع الدِّلاص ... فى الموضع المُصاصِ[7]

(١) ح : « بعد انقضاء صفين » .
(٢) فى الأصل : « كلا والله يا أم عبد الله » . وهى عبارة تحتمل أن تكون من إقحام الناسخ ، أو من تهكم يزيد بن أسد بمعاوية ، كما أشار إلى ذلك ناشر الأصل . لكن عدم إثباتها فى ح يؤيد أنها مقحمة فى الكتاب .
(٣) الصياصى : الحصون وكل شىء امتنع به .
(٤) العراص ، بالكسر : جمع عرصة ، بالفتح ، وهى الساحة .
(٥) التناصى : أن يأخذ كل منهما بناصية الآخر . وفى الأصل : « القصاص » ، تحريف .
(٦) الخماص : الضوامر ، أراد بها الخيل .
(٧) الدلاص : البراقة الملساء اللينة ، تقال للواحد والجمع . والمصاص ، بالضم : أخلص كل شىء .

جواب عمرو

فأجابه عمرو بن العاص :

ويحك يا ابنَ الحارثْ[1] أنت الكذوب الحانثْ
أَنت الغَريرُ الناكثْ[2] أَعِدَّ مالَ الوارثْ

وفى القبور ماكث

رجز الأشتر يوم الفرات

عمرو بن شمر[3] ، عن إسماعيل السُّدّى ، عن بكر بن تغلب[4] قال : حدثنى من سمع الأَشتر يوم الفرات، وقد كان له يومئذ غَناءٌ عظيم من أَهل العراق[5] ، وهو يقول :

اليوم يوم الحفاظْ بين الكماة الغلاظْ
نحفِزُها والمِظاظْ[6]

قتل يوم الفرات

قال : ثم قال : وقد قُتل من آل ذى لَقْوَة[7] ، وكان يومئذ فارسَ أَهل الأُردنِّ ، وقُتل رجالٌ من آل ذى يَزَن .

نصر : فحدثنى عمرو بن شمر ، عن إسماعيل السدى ، عن بكر بن تغلب قال : حدثنى من سمع الأَشعث يوم الفرات وقد كان له غَناءٌ عظيم مِنْ أَهل العراق وقَتلَ رجالاً من أَهل الشام بيده ، وهو يقول : والله إنْ كنتُ لكارهاً قتالَ أَهل الصلاة ، ولكن معى مَن هو أَقدمُ منِّى فى

(١) ابن الحارث ، هو الأشتر . واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة ابن الحارث بن جذيمة ، تنتهى نسبته إلى النخع . انظر الاشتقاق ص ٢٤١ والمعارف ٨٤ .
(٢) الغرير : الذى لم يجرب الأمور . وفى الأصل : « العزيز » ، تحريف .
(٣) فى الأصل : « عمر بن شمر » تحريف . وقد تقدمت ترجمة عمرو فى ص ١٦٩ .
(٤) فى الأصل : « بحر بن تغلب » ، وأثبت ما اتفق عليه الأصل و ح فى الموضع التالى .
(٥) فى الأصل : « من أهل العراق » ، والوجه ما أثبت من ح (١ : ٣٢٩) .
(٦) الحفز : الطعن بالرمح . والمظاظ : المخاصمة والمنازعة .
(٧) كذا وردت العبارة ناقصة فى الأصل ، ولم ترد فى مظنها من ح .

الإسلام ، وأعلمُ بالكتاب والسُّنّة ، وهو الذى يَسْخى بنفسه[1] .

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن رجل من آل خارجةَ بن الصَّلت ، أنَّ ظَبْيان بن عُمارة التميميّ ، جعل يومئذٍ يقاتل وهو يقول[2] :

مالَكَ ياظَبْيَانُ من بقاءِ فى ساكن الأَرض بغيرِ ماءِ[3]
لا ، وإلٰهِ الأَرض والسَّماءِ فاضربْ وجوهَ الغُدُرِ الأَعداءِ
بالسَّيف عند حَمَسِ الوَغاءِ[4] حتَّى يُجيبوك إلى السَّواءِ

ماقيل يوم الفرات

قال : فضربناهم والله حتى خلونا وإياه .

نصر : عمر بن سعد بإسناده قال . طال بيننا وبين أهل الشام القتال ، فما أنسى قول عبد الله بن عوف [بن] الأَحمر[5] ، يوم الفُرات ، وكان من فرسان علىٍّ ، وهو يضربهم بالسيف وهو يقول :

خلُّوا لنا عن الفُرَات الجارى أَو اثبتُوا للجَحْفَلِ الجرّارِ
لكلِّ قَرْمٍ مستميتٍ شارِ[6] مُطاعنٍ برمحه كَرَّارِ
ضَرَّابِ هاماتِ العِدَى مِغْوارِ

الأشتر والحارث بن همام

قال : ثم إنَّ الأَشتر دعا الحارثَ بن همَّام النَّخَعى ثم الصُّهبانىّ[7]

---

(١) السخاء : الجود ، يقال سخى كسمى ودعا ورضى . وفى الأصل : « بنفسى » وأثبت ما فى ح (١ : ٣٣٠) .

(٢) الرجز فى تاريخ الطبرى (٥ : ٢٤٠) مطابق لهذه الرواية .

(٣) ح (١ : ٣٣) : « وحمل ظبيان بن عمارة التيمى على أهل الشام وهو يقول :
هل لك ياظبييان من بقاء فى ساكن الأرض بغير ماء » .

(٤) الوغى : الحرب ، مقصور ، وقد مده هنا للشعر . ح : « الهيجاء » .

(٥) فى الطبرى : « عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى » ، والتكملة هاهنا من الطبرى ومما سبق فى ١٦٠ ، ١٦١ .

(٦) القرم بالفتح ، هو من الرجال : السيد المعظم . وفى الأصل : «قوم» صوابه فى الطبرى. والشارى : البائع ، أى الذى يبيع نفسه لله ؛ ومن ذلك سمى الخوارج شراة لأنهم زعموا أنهم باعوا أنفسهم لله بالجنة .

(٧) الصهبانى ، نسبة إلى صهبان بالضم ، وهم قبيلة من النخع ، منهم كميل بن زياد صاحب على بن أبى طالب . انظر الاشتقاق ٢٤٢ .

فأعطاه لواءه ثم قال : يا حارث ، لولا أنِّى أعلم أنَّك تصبر عند الموت لأخذْتُ لوائى منك ولم أحْبُك بكرامتى[1] . قال : والله يا مالك لأسرنَّك اليومَ أو لأموتنّ ؛ فاتَّبعْنى. فتقدَّم [باللواءِ] وهو يقول[2] :

يا أشــتر الخير ويا خيرَ النَّخَعْ
وصــاحبَ النَّصر إذا عمَّ الفَــزَعْ[3]
وكاشفَ الأمـــرِ إذا الأمرُ وَقــعْ
ماأنت فى الحرب العَــوانِ بالجَذَعْ[4]
قــد جَزِع القــومُ وعُمُّوا بالجَــزَعْ
وجُرِّعــوا الغيظَ وغَصُّــوا بالجُــرَعْ
إنْ تَسقِنا المــاءَ فما هِى بالبِــدَعْ[5]
أونعطَشِ اليــومَ فَجُندٌ مُقْتَطَــعْ[6]
ما شئتَ خُــذْ منها وما شئتَ فــدَعْ

خطبة الأشتر فى تحريض أصحابه

فقال الأشتر : ادنُ منِّى ياحارث . فدنا منه فقبَّل رأسَه وقال : لا يَتْبع رأسَه اليومَ إلاّ خَيِّر[7] . ثم قام الأشتر يحرِّض أصحابه يومئذ

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به ، تقول : حبوته أحبوه حباء . وفى الأصل : « لم أجبك » . وفى ح : « لم أحيك » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) القائل هو الحارث بن همام النخعى . وفى مروج الذهب (٢ : ١٨) : « فصار يؤم الأشعث صاحب رايته ، وهو رجل من النخع ، يرتجز ويقول » .

(٣) فى مروج الذهب : « إذا عال الفزع » .

(٤) الحرب العوان : التى حورب فيها مرة بعد مرة . والجذع : الصغير السن . قال الليث : « الجذع من الدواب والأنعام قبل أن يثنى بسنة » . وفى الأصل : « بالخدع » ، والخدع بفتح فكسر : الكثير الخداع . و لا وجه له هنا . وأثبت ما فى ح .

(٥) فى مروج الذهب : « فما هو بالبدع » .

(٦) فى الأصل : « فجد يقتطع » ، صوابه فى ح .

(٧) الخير ، بالفتح وكسيد : الكثير الخير . فى الأصل : « لا يتبع هذا اليوم إلا خيراً » . وأثبت ما فى ح .

ويقول : فَدَتْكُم نفسى ، شُدُّوا شدّة المُحرَج الرَّاجى الفرج ، فإذا نالتْكُم الرِّماحُ فالتووا فيها ، وإذا عَضّتكم السيوفُ فليعضَّ الرَّجلُ نواجذه ، فإنّه أشدُّ لشئون الرأس ، ثم استقبلوا القومَ بهاماتكم . قال : وكان الأَشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم ، كأنّه حَلَكُ الغراب[1] .

نصر ، عن عَمرو بن شمر[2] ، عن جابر ، عن عامر ، عن الحارث ابن أدهم ، عن صعصعة بن صوحان قال : قتل الأَشتر فى تلك المعركة سبعةً ، وقَتل الأَشعثُ فيها خمسة ، ولكنَّ أهل الشام لم يثبتوا . فكان الذين قتلهم الأَشتر صالح بن فيروز العَكّىّ ، ومالكَ بن أدهم السَّلْمانى ، ورياحَ بن عتيك الغسّانى[3] ، والأَجلح بن منصور الكندى — وكان فارسَ أهل الشام — وإبراهيم بن وضّاح الجُمَحى ، وزامل بن عبيد الحِزامىّ ، ومحمد بن روضة الجُمحىّ .

من قتلهم الأشتر والأشعث

نصر : فأوّلُ قتيل قتل الأَشترُ ذلك اليومَ بيده من أهل الشام رجلٌ يقال له صالح بن فيروز ، وكان مشهوراً بشدة البأس ، فقال وارتجز عَلَى الأَشتر :

يا صاحب الطِّرْفِ الحصانِ الأَدهَمِ أَقدِم إذا شئتَ علَينا أُقدِمِ
أنا ابنُ ذى العزِّ وذى التكرُّمِ سيِّدِ عَكٍّ كلِّ عَكٍّ فاعلَمِ

فبرز إليه الأَشتر وهو يقول :

آليتُ لا أَرجعُ حتّى أَضربا بسيفِيَ المصقولِ ضرباً مُعْجِبا
أنا ابنُ خيرِ مَذْحِجٍ مُركَّبا من خيرها نفساً وأُمًّا وأَبَا[4]

قال : ثم شدَّ عليه بالرمح فقتله وفلَق ظهرَه ، ثم رجع إلى مكانه .

---

(١) المحذوف : المقطوع الذنب . وحلك الغراب : شدة سواده .
(٢) فى الأصل : « عمر بن شمر » ، تحريف . وانظر ترجمته فى ص ١٦٩ .
(٣) فى الأصل : « رماح بن عتيك الغسانى » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) روى هذا البيتان فى ح (١ : ٣٣٠) مقدمين على البيتين السابقين .

ثم خرج إليه فارس آخر يقال له مالك بن أدهم السَّلمانى ـ وكان من فُرسان أَهل الشام ـ وهو يقول :

إِنِّى منحت مالكاً سِنانِيَا[1]   أُجيبُه بالرُّمح إِذْ دَعانيا

لفارسٍ أَمنحه طِعانيا

ثم شدَّ على الأَشتر فلما رَهِقه[2] التوى الأَشتر على الفرس ، ومارَ السنان فأَخطأَه[3] ، ثم استوى على فرسه وشدَّ عليه بالرمح وهو يقول :

خانكَ رمحٌ لم يكنْ خَوَّانَا   وكان قِدْماً يقتُل الفُرسانَا

لويتَه لخيرِ ذِى قحطانَا   لِفارسٍ يخترِمُ الأَقْرانَا

أَشهل لا وَغْلاً ولا جَبَانَا[4]

مبارزة الأشتر لرياح بن عتيك

فقتله . ثم خرج فارسٌ آخر يقال له رياح بن عتيك[5] وهو يقول :

إِنى زعيمٌ مالكٍ بِضَربِ   بِذِى غرارَينِ ، جَمِيعُ القَلْبِ[6]

عبلُ الذِّراعَين شديد الصُّلْبِ

وقال بعضهم : « شديدُ العَصْبِ » . فخرج إليه الأَشتر وهو يقول :

رُوَيدَ لا تَجْزَعَ من جِلادى[7]   جِلادَ شخصٍ جامعِ الفُؤادِ

يجيبُ فى الرَّوعِ دُعَا المُنادِى   يشدُّ بالسَّيف على الأَعادى

---

(١) فى الأصل : « منحت صالحاً » ، تحريف . ومالك ، هو مالك بن الحارث ، المعروف بالأشتر النخعى . الإصابة ٨٣٣٥ وتهذيب التهذيب ومعجم المرزبانى ٣٦٢ .

(٢) رهقه : غشيه أو لحقه أو دنا منه .

(٣) مار يمور موراً : اضطرب .

(٤) الأشهل ، من الشهلة وهى أقل من الزرق فى الحدقة وأحسن منه . والوغل : الضعيف النذل الساقط .

(٥) فى الأصل : « رياح بن عبيدة » ، وفى ح : « رياح بن عقيل » وأثبت ما سبق فى ص ١٧٤ .

(٦) جميع القلب : مجتمعه لم يتفرق عليه .

(٧) لا تجزع ، أراد لا تجزعن ، بنون التوكيد الخفيفة .

مبارزة الأشتر لإبراهيم بن الوضاح وزامل بن عتيك

فشدَّ عليه فقتلَه . ثم خرج إليه فارسٌ آخر يقال له إبراهيم بن الوضَّاح وهو يقول :

هــل لك يا أشترُ فى بِرازى بِرازِ ذِى غَشْمٍ وذى اعتــزاز
مقـاومٍ لِقرْنِه لَزَّازِ[1]

فخرج إليه الأَشتر وهو يقول :

نَعَـــمْ نَعَـــمْ أَطلبُـــه شهيدَا مَعِى حســامٌ يَقْصِمُ الحــديدا
يترِكُ هاماتِ العِدَى حَصِيــدا

فقتله . ثم خرج إليه فارس آخر يقال له زامل بن عتيك الحِزَامى[2]، وكان من أصحاب الأَلوية ، فشدَّ عليه وهو يقول :

ياصاحبَ السيفِ الخضيبِ المِرْسب[3]
وصـــاحبَ الجَوْشَنِ ذاكَ المُذْهَبِ[4]
هل لك فى طعن غــــلام مِحْرَبِ[5]
يحمـــــلُ رُمحـــاً مستقيمَ الثَّعْلَبِ
ليس بحَيَّــــــادٍ ولا مغلَّـــــبِ

(١) اللزاز : الشديد الخصومة ، اللزوم لما يطالب . ويقال أيضاً لزه لزاً : طعنه .

(٢) فى الأصل : «أزمل» ، تحريف . وسبق فى ص ١٧٤ : « زامل بن عبيد » وفى ح : « زامل بن عقيل » .

(٣) المرسب ، من قولهم سيف رسب ورسوب : ماض يغيب فى الضريبة . وكان سيف خالد بن الوليد يسمى « مرسباً » . وفى الأصل : « المرزبى » ، ولا وجه له .

(٤) الجوشن : زرد يلبس على الصدر والحيزوم .

(٥) المحرب والمحراب : الشديد الحرب الشجاع .

فطعَن الأَشترَ فى موضع الجوشن فصرعَه عن فرسه ولم يُصبْ مقتَلاً ، وشدَّ عليه الأَشتر [راجلاً] فكَسَفَ قوائم الفرَس بالسيف[1] وهو يقول :

لا بدَّ من قتليَ أَو مِنْ قتلكما قتلت منكمْ خمسةً مِنْ قبلكما
وكلُّهمْ كانوا حُماةً مثلَكما

مبارزة الأشتر للأجلح

ثم ضرَبه بالسيف وهما رَجلان[2] ، ثم خرج إليه فارسٌ يقال له الأَجلح ، وكان من أَعلام العرب وفُرسانها ، وكان على فرسٍ يقال له لاحق ، فلمَّا استقبله الأَشتر كرِه لقاءَه واستحيا أَن يرجِع ، فخرج إليه وهو يقول :

أَقْدِمَ باللَّاحق لا تُهَلِّلِ[3] على صُمُلٍّ ظاهر التسَلُّلِ[4]
كأَنَّما يَقْشِمُ مُرَّ الحَنْظَلِ[5] إنْ سُمتَه خسفاً أَبَى أَن يقبلِ
وإن دعاه القِرْنُ لم يُعَوِّلِ[6] يمشى إليه بحُسام مِفْصَلِ
مشياً رويداً غير ما مُستعجَلِ يخترمُ الآخرَ بعدَ الأَوَّلِ

مبارزة الأشتر لمحمد بن روضة

فشدَّ عليه الأَشترُ وهو يقول :

بُليتَ بالأَشتر ذاكَ المَذْحِجِى بفارسٍ فى حَلَقٍ مُدَجَّجِ

---

(١) الكسف : القطع . وفى الحديث « أن صفوان كسف عرقوب راحلته » ، أى قطعه بالسيف . وفى الأصل : « فكتف » بالتاء ، وفى ح : « فكشف » بالشين ، صوابهما بالسين المهملة كما أثبت .

(٢) الرجل ، بالفتح وكفرح وندس : الراجل ، وهو خلاف الراكب . ح : « وهما راجلان » ، وكلاهما صحيح .

(٣) أقدم : أمر من الإقدام ، وأصله أقدمن بنون التوكيد الخفيفة حذفت للضرورة وبقيت الفتحة ، كما فى قول طرفة :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

انظر شرح شواهد المغنى ٣١٥ . والتهليل : النكوص والإحجام .

(٤) الصمل ، كعتل : الشديد الخلق العظيم .

(٥) القشم ، بالشين المعجمة : الأكل . وفى الأصل : «يقسم» ، تحريف . وأكل الحنظل مثل فى شدة العداوة . انظر البيت ١٣ من المفضلية ٤٠ طبع المعارف .

(٦) التعويل : رفع الصوت بالبكاء والصياح . وفى الأصل : « لم يقول » ، ولا وجه له .

كالليثِ ليثِ الغـــابةِ المهيَّـجِ إذا دعـــاه القِرنُ لم يُعـــرِّجِ

فضربَه . ثم خرج إليه محمد بن روضة ، وهو يضرب فى أهل العراق ضرباً منكراً ، وهو يقول :

يا ساكنى الكوفةِ يا أهلَ الفِتَنْ يا قاتِلِي عثمانَ ذاك المـــؤتَمنْ
ورَّث صدرِى قتلُه طولَ الحزَنْ[1] أضربُكم ولا أَرَى أَبَا حسَنْ

فشدَّ عليه الأشتر وهو يقول :

لا يبعـــدِ الله سِـــوى عُثمـــانا وأنـــزل الله بـــكم هَـــوانَا
ولا يسـلِّى عنـكم الأَحـــزانا مخالفٌ قـــد خـــالف الرحمانَا
نَصرتمـوه عـــابداً شَيطـــانا

رثاء الأجلح

ثم ضربه فقتله . وقالت أُختُ الأَجلح بن منصور الكندى حين أتاها مُصابه ، وكان اسمها حُبْلة بنت منصور :

ألا فابـــكى أخـــا ثِقـــةٍ فقـــد والله أُبْكِينَـــا[2]
لقتـــل المـــاجد القَمقـــا مِ لا مِثـلَ له فِينـــا
أتـــانـــا اليـــومَ مَقتـــلُه فقـــد جُـــزَّت نَواصِينَـــا
كـــريمٌ ماجَـــدُ الجـــدَّيْ نِ يَشْفِى مِن أَعادِينَـــا
وممَّن قـــاد جيشَهـــمُ علـىٌّ والمُضِـــلُّونَا[3]
شفـــانا اللهُ مِن أهـــل الـ عـــراق فَقـــد أَبادونا[4]
أمـــا يخشَـــون ربَّهـــمُ ولـــم يَرعَـــوْا له دِينَا

---

(١) ح (١ : ٣٣٠) : « أورث قلبى قتله طول الحزن » .
(٢) فى الأصل : « أبلينا » ، صوابه فى ح (١ : ٣٣١) .
(٣) البيت لم يرو فى ح . وفى الأصل : « والمصلونا » وهى إنما تهجو أصحاب على رضى الله عنه .
(٤) فى الأصل : « قد أبادونا » ، وأثبت ما فى ح .

قول على فى مرثية للأجلح

نصر ، قال : قال عمرو قال جابر : بلغنى أنَّها ماتت حزناً على أخيها . وقال أمير المؤمنين حين بلغه مرثيتُها أخاها : أَمَا إنَّهنَّ ليس بمِلْكهنَّ ما رأيتم من الجزَع[1] ، أَمَا إنَّهم قد أضرُّوا بنسأهم فتركوهنَّ [أيامى] خزَايا[2] [بائسات] ، من قِبَل ابن آكلة الأكباد[3] . اللهمَّ حمِّلْه آثامَهم وأوزارَهم ، وأثقالاً مع أثقالهم[4] .

مصرع حبيب بن منصور

وأُصيبَ يوم الوقعة العظمى حبيب بن منصور ، أخـو الأجلح ـ وكان من أصحاب الرايات ـ وجاء برأسِه رجلٌ من بَجِيلة قد نازعه فى سَلَبه رجل من همْدان ، كلٌّ واحدٍ منها يزعمُ أنَّه قتله ، فأصلح علىٌّ بينهما وقضى بِسلَبه للبَجَلىِّ ، وأرضَى الهمْدانىّ .

رجز الأشتر فى الملحمة

نصر ، عن عمرو بن [شمر ، عن] جابر ، عن الشَّعْبى ، عن الحارث ابن أدهم ، عن صعصعة قال : ثم أقبل الأشترُ يضرب بسيفه جمهورَ الناس حتى كشَف أهلَ الشام عن الماء وهو يقول :

لا تذكـروا ما قـد مَضَى وفاتا والله ربِّى باعث أمـواتا[5]
مِن بعدِ ما صارُوا صَدًى رُفاتا[6] لأوردنَّ خيـلىَ الفُـراتا
شُعْثَ النَّواصى أو يقالَ ماتا[7]

---

(١) ليس بملكهن : أى إن ما بدا عليهن من الجزع خارج عن إرادتهن . وفى الأصل : « ليس يملكن » وأثبت ما فى ح .

(٢) الخزايا : جمع خزيا ، وهى التى عملت قبيحاً فاشتد لذلك حياؤها . ح : « حرافى » .

(٣) آكلة الأكباد يعنى بها هنداً بنت عتبة بن ربيعة . وهى أم معاوية . يروى أنها بقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، وقالت :

شفيت من حمزة نفسى بأحـد حتى بقرت بطنـه عن الـكبد

انظر السيرة ٥٨١ جوتنجن .

(٤) ح : « مع أثقاله » .

(٥) فى ح : « باعث الأمواتا » .

(٦) الصدى : ما يبقى من الميت فى قبره . وفى الأصل : « كذا » .

(٧) انظر مروج الذهب (٢ : ١٨) .

الأشتر ومعاوية بن الحارث

وكان لواءُ الأشعث مع معاويةَ بن الحارث ، فقال له الأشعث : لِلّه أنتَ ! ليس النَّخَعُ بخيرٍ من كندة ، قدِّم لواءك [فإنّ الحظَّ لمن سَبَق] . فتقدَّم صاحب اللواءِ ، وهو يقول :

أنعطَشُ اليومَ وفينا الأشعثُ ... والأشعثُ الخَيْرُ كليثٍ يَعْبَثُ
فأَبشِرُوا فإنَّكمْ لن تلبَثُوا ... أن تشربُوا الماءَ فسُبُّوا وارْفُثُوا
من لا يَرِدْه والرِّجال تلهَثُ

وقال الأشعث : إنَّك لشاعر ، وما أنعمت لى بشرى . وكره أن يخلط الأشتر به ، فنادى الأشعث : أيُّها الناس ، إنما الحظُّ لمن سبق .

قال : وحمل عمرو العَكّيّ من أصحاب معاوية ، وهو يقول :

ابرُز إلَىَّ ذا الكبش يا نَجَاشِى ... اسمِىَ عمرٌو وأبو خِراشِ
وفارس الهيجاءِ ، بانكماشِى ... تُخبَرُ عَنْ بأْسىَ واحْرِنفاشِى[1]

النجاشى وعمرو العكى

فشدَّ عليه النجاشى وهو يقول :

أرْوِدْ قليلاً فانا النَّجاشى ... من سَرْوِ كعبٍ ليس بالرَّقاشى
أخو حُروبٍ فى رِباط الجاشِ ... ولا أبيعُ اللَّهوَ بالمعاشِ
أنصُرُ خير راكب وماشِ ... أعنى عليًّا بَيِّنَ الرِّياشِ
من خير خَلقِ الله فى نَشنَاشِ[2] ... مبرَّأً من نَزَقِ الطُّيَّاشِ
بيت قريشٍ لا من الحواشِى ... ليثُ عرين للكِباشِ غاشِ[3]

(١) الاحرنفاش : التقبض والتهيؤ للشر . وفى الأصل : « يخبرباني من أحرناشى » . تحريف .

(٢) النشناش : مصدر نشنش الرجل الرجل إذا دفعه وحركه ؛ ونشنش السلب : أخذه . ولم تذكر هذا المصدر المعاجم ، وهذا الوزن من المصادر سماعى . انظر شرح الشافية (١ : ١٧٨).

(٣) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم ، وقائدهم .

يقتلُ كبشَ القومِ بالهِراشِ — وذى حروبٍ بطلٍ وناشِ
خَفَّ له أَخطَفَ فى البِطاشِ[1] — مِنْ أُسْدِ خَفَّانَ وليثِ شاشِ[2]

حملة أبى الأعور

فضربه ضربة ففلق هامته بالسيف . وحمل أبو الأعور وهو يقول :

أنا أبو الأعور واسمى عَمْرو[3] — أَضرب قُدْماً لا أُوَلّى الدُّبُرْ
ليس بمثلى يافتَى يُغتَـرّْ — ولا فتى يُلاقينى يُسَرّ[4]
أحمى ذِمارى والمُحامِى حرّْ — جَرَى إلى الغايات فاستمرّ[5]

حملة الأشتر وشرحبيل

فحمل عليه الأشتر وهو يقول :

لستُ – وإن يُكرَهَ – ذاالخلاطِ — ليس أَخُو الحرب بذى اختلاطِ
لكنْ عبوسٌ غيرُ مستَشاطِ — هذا علىٌّ جاء فى الأسباطِ
وخَلَّفَ النَّعِيم بالإفراطِ — بعَرْصَة فى وسط البلاطِ
منحَّلُ الجِسْم من الرِّباطِ[6] — يحكم حُكمَ الحقِّ لا اعتباطِ

وحمل شُرَحْبيل بن السِّمط فقال : .

أنا شرحبيل أنا ابن السِّمط — مبيِّنُ الفِعْلِ بهذا الشَّط
بالطَّعْنِ سَمْحاً بقناةِ الخَطِّ — أَطلبُ ثاراتِ قتيل القِبْطِ[8]
جمَّعت قومى باشتراط الشَّرطِ — على ابنِ هند وأنا الموَطِّى

(١) خف له : أسرع . والبطاش : مصدر باطشه ، والبطش : التناول بشدة عند الصولة. وفى الأصل : « كف له يخطف بالنهاس » .
(٢) خفان ، ككتان : مأسدة قرب الكوفة . وشاش : مدينة بما وراء النهر .
(٣) هذا يؤيد ما قيل من أن اسمه « عمرو بن سفيان السلمى » .
(٤) فى الأصل : « ولا فتى بلا فتى يسر » .
(٥) الغايات : غايات السبق ينتهى إليها . وفى الأصل : « جرى على الغايات » .
(٦) الرباط والمرابطة : ملازمة ثغر العدو .
(٧) يعنى عثمان ، وعنى بالقبط أهل مصر .

رجز الأشعث وحوشب

حتى أناخــوا بالمَحَــامِى الخطِّ جندٌ يمــان ليس هم بخلْطِ

فأَجابه الأَشعث بن قيس :

إنى أَنا الأَشعث وابن قيس فارس هيجاء قَبيلِ دَرْسِ

لستُ بشَكَّاك ولا ممسُوس[1] كِنْدَةُ رُمْحِي وعليٌّ قَــوْسِي

وقال حوشَبُ ذُو ظُليم[2] :

يا أَيُّها الفارِسُ ادْنُ لا تُــرَعْ أَنَا أَبو مرٌّ وهذا ذُو كَلَعْ[3]

مسَوَّدٌ بالشَّــامِ ما شاء صَنَــعْ أَبْلِغَ عَنِّى أَشتراً أَخا النَّخَعْ[4]

والأَشعثَ الغيثَ إذا الماءُ امتنَعْ[5] قد كثر الغَدْرُ لديكم لو نَفَعْ

رجز الأشعث والأشتر

فأَجابه الأَشعث :

أَبلغَ عَنِّى حَوْشَبًا وذَا كَــلَعْ وشُرْحَبِيلَ ذاكَ أَهلك الطَّمَعْ[6]

قومٌ جُفَــاةٌ لاحَياً ولا وَرَعْ يقودهم ذاك الشــقُّ المبتــدِعْ

إنى إذا القِرْنُ لِقرْنٍ يَخْتَضِــعْ وأَبْرَقوها فى عَجَاجٍ قد سَطَعْ[7]

أَحمِى ذِمارى مِنهمُ وأَمتنِعْ

وقال الأَشتر أَيضاً فَجَال :

ياحوشَبُ الجِلْفُ وياشيخَ كَلَعْ أَيُّكُمــا أَرَادَ أَشْتَرَ النَّخَــعْ

---

(١) الممسوس : الذى به مس من الجنون . وفى هذا البيت سناد الحذو ، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف . وفى الأصل : « مملوس » ولا وجه له .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٦٦ .

(٣) ذو كلع ، هو ذو الكلاع . انظر ص٦٠ ، ٦١ .

(٤) أبلغ : أى أبلغا ، بنون التوكيد الخفيفة ، حذفها وأبقى الحركة قبلها . انظر ما مضى ص ١٧٧ .

(٥) فى الأصل : « منع » .

(٦) أى أهلكه الطمع . وقد غير ضبط شرحبيل للشعر .

(٧) العجاج ، كسحاب : الغبار . أبرقوها : أى أبرقوا السيوف . وفى اللسان: « وأبرق بسيفه يبرق : إذا لمع به » .

ها أنا ذا وقد يَهُولك الفَــزَعْ ... فى حَومة وسطَ وسطَ قرارٍ قدشَرَعْ

ثَمَّ تــلاقى بطلاً غيرَ جَزِعْ ... سائل بنا طلحة وأصحابَ البِدَعْ

وسَلْ بِنَا ذَاتَ البَعيرِ المُضطجعْ[1] ... كيف رأَوا وقع اللُّيوثِ فى النَّقَعْ[2]

تلقى امرأً كَـذَاكَ ما فيه خَلَعْ ... وخالف الحقَّ بدِينٍ وابتــدَعْ[3]

خروج محمد بن مخنف إلى القتال

نصر : عمر بن سعد ، عن رجلٍ قد سمَّاه[4] عن أبيه ، عن عمِّه محمد بن مخْنف[5] قال : كنت مع أبى يومئذٍ وأنا ابنُ سبعَ عشرةَ سنة ، ولستُ فى عَطَاءٍ[6] ، فلما مُنع النَّاسُ الماءَ قال لى : لا تبرَحْ . فلما رأيتُ النَّاسَ يذهبون نحو الماءِ لم أصبِرْ ، فأخذتُ سَيفى فقاتلتُ ، فإذا أنا بغلامٍ مملوكٍ لبعض أهل العراق ، ومعه قربةٌ له ، فلما رأى أهلَ الشَّام قد أفرجوا عن الماءِ شدَّ[7] فملأَ قربته ثمَّ أقبل بها ، وشدَّ عليه رجلٌ من أهل الشَّام[8] فضربه فصرعه ، ووقعت القِربة منه ، وشَددْتُ على الشَّامىِّ فضربتُه وصرعتُه ، وعدا أصحابُه فاستنقذوه . قال : وسمعتهم يقولون : لا بأْسَ عليك . ورجعتُ إلى المملوك فأجلستُه[9] فإذا هو يكلِّمنى وبه جُرحٌ رَحيب[10] ، فلم يكنْ أسْرعَ من أن جاءَ مولاهُ فذهب

(١) ذات البعير ، يعنى بها عائشة رضى الله عنها . وقد عرقب بعيرها يوم الجمل وأخذته السيوف حتى سقط واضطجع .

(٢) النقع ، بالفتح : الغبار ؛ وحركه للشعر .

(٣) أى وما خالف الحق .

(٤) هو أبو مخنف . وقد سبق نظير هذا الصنيع فى ص ١٣٥ .

(٥) ذكره فى لسان الميزان (٥ : ٣٧٥) وقال : « روى يحيى بن سعيد عنه أنه قال : دخلت مع أبى على على رضى الله عنه عام بلغت الحلم » . وهذا يضم إلى أولاد مخنف . انظر ص ١٣٥ .

(٦) العطاء : اسم لما يعطى . يقول : لم أكن فى الجند فيفرض لى عطاء . وفى الأصل : « فى غطاء » بالمعجمة ، تحريف .

(٧) شد : أسرع فى عدوه ، كاشتد .

(٨) شد عليه ، هنا ، بمعنى حمل عليه .

(٩) فى الطبرى (٥ : ٢٤١) : « فاحتملته » أى حملته .

(١٠) فى الطبرى . « رغيب » وهو الأكثر فى كلامهم . انظر المفضليات (٢ : ٥٥) .

به ، وأخذْتُ قربتَه وهى مملوءةٌ ماءً ، فجئتُ بها إلى أبى ، فقال : من أين جئتَ بها ؟ فقلت : اشتريتُها . وكرهت أن أخبره الخبر فيجِدَ علىَّ ، فقال : اسقِ القوم . فسقيتُهم وشربتُ آخِرَهُم ، ونازَعَتنى نفسى واللهِ القتالَ ، فانطلقتُ أتقدَّم فيمن يُقَاتِل . قال : فقاتَلْتُهُمْ ساعةً ، ثم أشهد أنَّهم خلَّوا لنا عن الماءِ . قال : فما أَمسَيتُ حتَّى رأيت سُقاتَهم وسُقاتَنا يزدحِمون على الماءِ ، فما يؤذِى إنسانٌ إنساناً . قال : وأقبلْتُ راجعاً فإذا أنا بمولى صاحبِ القِربة فقلتُ : هذه قربتُك فخذْها ، أو ابعثْ معى مَن يأْخذُها ، أو أعلِمْنى مكانك . فقال : رحمك الله ، عندنا ما يُكتفَى به . فانصرفت وذهب ، فلما كانَ من الغَد مرَّ عَلَى أبِى ، فوقَف فسلَّم ، ورآنى إلىَ جنبه فقال : مَن هذا الفتى منك ؟ قال : ابنى . قال : أراك الله فيه السرورَ ، استنقَذَ والله غلامى أمسِ ، وحدَّثَنى شبابُ الحىِّ أنَّه كان مِن أشجع الناس . قال : فنظر إلىَّ أبى نظرةً عرفتُ [منها[1]] الغضبَ فى وجهه ، ثم سكَتَ حتَّى مضى الرَّجلُ ثم قال : هذا ما تقدّمتُ إليك فيه[2] ؟ قال : فحلَّفنى ألاَّ أخرج إلى قتالٍ إلاَّ بإذنه فما شهدتُ لهم قتالاً حتَّى كانَ آخرُ يومٍ من أيامهم ، إلاَّ ذلك اليوم .

تعسر الحصول على المال

نصر ، عن يونس بن [أبى[3]] إسحاق السَّبيعى ، عن مِهْرَانَ مولى يزيدَ بنِ هانئ السَّبيعى قال : والله إنَّ مولاى ليقاتل على الماءِ ، وإنَّ القرْبة لفى يَدِى ، فلمّا انكشف أهلُ الشام عن الماءِ شدَدْتُ حتَّى أسْتَقِيَ ، وإنِّى فيما بين ذلك لأرمِى وأُقاتل .

---

(١) التكملة من الطبرى (٥ : ٢٤١) ، وحذف العائد على الموصوف قليل فى كلامهم . انظر حواشى الحيوان (٦ : ٢٤١) .

(٢) تقدم إليه فى كذا : أمره وأوصاه به . وفى الأصل : « قدمت » ، صوابه من الطبرى .

(٣) التكملة من الطبرى . وانظر منتهى المقال ٣٣٦ .

حديث سليمان الحضرمى

نصر ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبى عَمْرة[١] عن أبيه سُليمان الحضرمىّ[٢] ، قال : لما خرج علىٌّ من المدينة خرج معه أبو عمْرة ابن عمرو بن مِحْصَن[٣] . قال : فشهدنا مع علىٍّ الجملَ ثمّ انصرفنا إلى الكُوفة ، ثمَّ سِرنا إلى أهل الشَّام ، حتَّى إذا كان بيننا وبين صِفِّينَ ليلةٌ دخلنى الشَّكُّ فقلت : والله ما أدرِى علامَ أُقاتل ؟ وما أدرى ما أنا فيه . قال : واشتكى رجلٌ منا بطنَه من حوتٍ أكله ، فظنَّ أصحابُه أنه طعين[٤] ، فقالوا : نتخلَّف على هذا الرجل . فقلت : أنا أتخلَّف عليه . والله ما أقول ذلك إلا ممّا دخلنى من الشكّ . فأصبح الرجل ليس به بأْسٌ ، وأصبحتُ قد ذهبَ عنِّى ما كنتُ أجد ، ونفَذتْ لى بصيرتى ، حتَّى إذا أدركْنا أصحابَنا ومضَيْنا مع علىٍّ ، إذا أهلُ الشَّام قد سبقونا إلى الماء ، فلما أردناه منعونا ، فصَلَتْنَا لهم بالسيف فخلَّوْنا وإياه ، وأرسل أبو عَمرة إلى أصحابه : قد والله جُزْناهم فهم يقاتلونا ، وهم فى أيدينا ، ونحن دونَه إليهم كما كان فى أيديهم قبل أن نقاتلهم . فأرسل معاوية إلى أصحابه : لا تقاتلوهُمْ وخلُّوا بينهم وبينه . فشربوا فقلنا لهم : قد كنا عرَضْنا عليكم هذا أوّلَ مرّةٍ فأبيتمْ حتى أعطانا الله وأنتم غير محمودين . قال : فانصرفوا عنَّا وانصرفنا عنهم ، ولقد رأيتُ رَواياناا ورَوَاياهم بعدُ ، وخيلَنا وخيلَهم تردُ ذلك الماءَ جميعاً ، حتّى ارتووا وارتوينا .

نصْر : محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانى ، أنّ عَمْرو بن العاص

(١) فى التقريب ٦٠٣ : « أبو عمرة عن أبيه ، فى سهم الفارس . مجهول من السادسة » . وفى الأصل : « عن أبيه عمرة » تحريف .

(٢) فى التقريب : « سليمان بن زياد الحضرمى المصرى ، ثقة من الخامسة » .

(٣) هو أبو عمرة الأنصارى ، قيل اسمه بشر وقيل بشير ، وكان زوج بنت عم النبى صلى الله عليه وسلم المقوم بن عبد المطلب . انظر قسم الكنى من الإصابة ٨٠٥ ، ٨٠١ . وفى الاشتقاق ٢٦٩ : « وأبو عمرة بشير بن عمرو ، قتل بصفين » .

(٤) الطعين ، هنا : الذى أصابه الطاعون .

رأى عمرو بن العاص فى إباحة الماء

قال : يا معاوية ما ظنُّك بالقوم إنْ منعوك الماءَ اليومَ كما منعتَهم أمسِ ، أتُراكَ تُضارِبُهم عليه[1] كما ضارَبُوك عليه ؛ وما أَغنى عنك أَن تكشف لهم السَّوءة . قال : دعْ عنك ما مضى منه ، ما ظنُّكَ بعلىّ ؟ قال : ظنّى أنَّه لا يستحلُّ منك ما استَحللتَ منه ، وأَنَّ الذى جاءَ له غيرُ الماءِ . فقال له معاوية قولاً أَغضبه . فأَنشأَ عمرو يقول :

أَمرتك أَمراً فسخَّفته ... وخالفنى ابن أَبى سَرحهْ[2]
فأَغمضتَ فى الرَّأْىِ إغماضةً ... ولم تَرَ فى الحربِ كالفُسْحَهْ
فكيفَ رأَيتَ كِباشَ العراقِ ... أَلم ينْطِحُوا جَمْعَنا نَطْحَهْ
أَظنُّ لها اليومَ ما بعدَها ... وميعادُ ما بيننا صُبْحَهْ
فإِن يَنْطِحُونا غداً مثلَها ... نكن[3] كالزُّبيرى أَو طَلْحَهْ
وإِنْ أَخَّرُوها لما بعدها ... فقد قدَّموا الخَبْطَ والنَّفْحَهْ[4]
وقد شرب القومُ ماءَ الفراتِ ... وقلَّدك الأَشْتَر الفَضحَهْ

عبيد الله بن عمر وعلى

قال : ومكث علىٌّ يومين لا يرسل إلى معاوية ولا يأْتيه من قِبَل معاوية أَحدٌ ، وجاءَ عُبيد الله بن عُمر فدخل على علىٍّ فى عسكره فقال : أَنت قاتل الهُرمُزان ، وقد كان أَبوك فرضَ له فى الدِّيوان وأَدخله فى الإِسلام ؟ فقال له ابنُ عمر : الحمد لله الذى جعلك تطلبُنى بدم الهرمُزان وأَطلبُك بدم عثمانَ بنِ عفَّان . فقال له علىٌّ : لا عليك ، سيجمعنى وإِيَّاك الحربُ غداً . ثمَّ مكث علىٌّ يومين لا يرسل إلى معاوية ولا يرسل إليه معاوية[5] .

(١) فى الأصل : « ضاربهم عليه » ، صوابه من ح (١ : ٣٣١) .
(٢) يريد به عبد الله بن سعد بن أبى سرح . وقد تصرف فى الاسم للشعر . انظر ما سبق فى ص ١٦١ .
(٣) ح : « فكن » .
(٤) الخبط : الضرب الشديد . والنفحة : الدفعة من العذاب . ح : « الخيط » ، تحريف .
(٥) انظر أول هذا الكلام .

إيفاد على الرجال إلى معاوية

ثم إن عليًّا دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى[1] ، وسعيد ابن قيس الهمدانى ، وشَبَث بن رِبْعى التميمىّ ، فقال : ائتوا هذا الرّجلَ فادعوه إلى الله عزّ وجلّ وإلى الطّاعة والجماعة ، وإلى اتّباع أمر الله تعالى . فقال له شَبث : ألا نُطمِعه[2] فى سلطانٍ توليِّه إياه ومنزلةٍ تكون به له أُثْرةٌ عندك إن هو بايعك ؟ قال علىّ : ائتوه الآن فالقَوه ، واحتجُّوا عليه وانظروا ما رأيُه — وهذا فى شهر ربيع الآخر — فأَتَوه فدخلوا عليه ،

كلام أبى عمرة

فحمد أبو عَمرة بنِ مِحْصَنٍ الله وأثنى عليه وقال : « يا معاوية ، إنّ الدُّنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإنَّ الله عز وجلّ مجازيك بعَملِك ، ومحاسبك بما قدَّمَتْ يداك ، وإنى أَنْشُدك بِالله أن تفرِّق جماعةَ هذه الأُمّة ، وأن تسفك دماءها بَيْنَهَا » . فقطع معاويةُ عليه الكلام ، فقال : هلاَّ أَوصيتَ صاحبك ؟ فقال : سبحان الله ، إنَّ صاحبى ليس مثلَك ، إنَّ صاحبى أَحقُّ البريّةِ فى هذا الأَمر فى الفضل والدِّين والسابقة والإسلام ، والقرابةِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال معاوية : فتقول ماذا ؟ قال : أَدعُوك إلى تقوى ربِّك وإجابة ابنِ عمِّك إلى مايدعُوك إليه من الحقّ ؛ فإنّه أَسْلَمُ لك فى دينك ، وخيرٌ لك فى عاقبة أمرك . قال : ويُطَلُّ دمُ عثمان ؟ لا والرَّحمن لا أفعل ذلك أَبداً . قال : فذهب سعيدٌ يتكلَّم ، فبدره شَبثٌ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

كلام شبث بن ربعى

يا معاوية ، قد فهمتُ ما رددتَ على ابن مِحْصن ، إنّه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب ، إنّك لا تجد شيئاً تستغوى به الناسَ وتستميل به أَهواءهم ، وتستخلص به طاعَتهم ، إلاَّ أَن قُلتَ لهم قُتل إمامُكم مظلوماً فهلمُّوا نطلب بدمه ، فاستجابَ لك سفهاءُ طَغامٌ رُذَال ؛ وقد علمنا أَنّك

---

(١) هو أبو عمرة بن عمرو بن محصن ، وقد سبقت ترجمته فى ص ١٨٥ .

(٢) فى الأصل : « لا نطعمه » .

قد أبطأتَ عنه بالنَّصر ، وأحببتَ له القتلَ بهده المنزلة التى تطلب .
وربَّ مبتغٍ أمراً وطالبِه يحولُ اللهُ دونَه . وربَّما أُوتىَ المتمنِّى أُمنيّته ،
وربّما لم يُؤْتَها . واللهِ مالَكَ فى واحدةٍ منها خير . والله لئن أخطأَك ماترجو
إنَّك لشرُّ العرب حالاً ، ولئن أصبتَ ما تتمناه لا تصيبُه حتَّى تستحقَّ
صَلَى النار . فاتَّقِ الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمرَ أهلَه

جواب معاوية

قال : فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فإنَّ أوّلَ[1] ما عرفتُ به سفهَك وخِفَّةَ حلمك — قَطْعُك على هذا الحبيبِ الشريف سيِّدِ قومِه منطِقَه ، ثم عتبتَ بعدُ فيما لا علم لكَ به . ولقد كذبتَ ولويت[2] ، أيها الأعرابىُّ الْجِلفُ الجافِى ، فى كلِّ ما وصفتَ وذكرتَ . انصرفوا من عندى فليس بينى وبينكم إلا السَّيف » .

قال : وغضب فخرج القوم وشَبَثٌ يقول : أفَعلَينا تهوِّل بالسَّيف ، أمَا والله لنُعْجلنَّه إليك . فأتوا عليًّا عليه السلام فأخبروه بالذى كان من

موقف القراء

قوله — وذلك فى شهر ربيع الآخر — قال : وخرج قُرَّاءُ أهلِ العراق وقرّاءُ أهلِ الشام ، فعسكروا ناحيةَ صِفِّين فى ثلاثين ألفاً ، وعسكر علىٌّ على الماء ، وعسكر معاويةُ فوقَ ذلك ، ومشت القُرّاءُ فيما بينَ معاوية وعلىّ ، فيهم عَبِيدَة السَّلْمانى[3] ، وعلقمة بن قَيس النَّخَعى ، وعبد الله بن عتبة ، وعامر بن عبد القيس — وقد كان فى بعض تلك السواحل — قال : فانصرفوا مِن عسكر علىٍّ[4] فدخلوا على معاويةَ فقالوا : يا معاوية ،

(١) فى الأصل : « فإنى أول » ، تحريف .
(٢) وردت هذه الكلمة فى الأصل غير واضحة هكذا : « و — وت » .
(٣) هو عبيدة — بفتح أوله — بن عمرو ، ويقال ابن قيس بن عمرو السلمانى ، بفتح المهملة وسكون اللام ، وفتحها بعضهم . قال ابن الكلبى : أسلم قبل وفاة النبى بسنتين ولم يلقه . وكان شريح إذا أشكل عليه شىء كتب إلى عبيدة . والسلمانى نسبة إلى سلمان بن يشكر بن ناجية ابن مراد . انظر مختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ص ٣٠ جوتنجن والإصابة ٦٤٠١ والمعارف ١٨٨ وتهذيب التهذيب والتقريب .
(٤) فى الأصل : « إلى عسكر على » .

ما الذى تطلب ؟ قال : أطلبُ بدم عثمان . قالوا: ممَّن تطلب بدم عثمان. قال : مِنْ علىّ (عليه السلام) . قالوا : وعلىٌّ عليه السلام قتله ؟ قال : نعم ، هو قتَله وآوى قاتِليه . فانصرفوا من عنده فدخلوا على علىٍّ فقالوا: إن معاوية يزعم أنَّك قتلت عثمان . قال : اللَّهمّ لكذِبَ فيما قال ، لَمْ أقتلْه . فرجعوا إلى معاوية فأَخبروه فقال لهم معاوية : إن لم يكن قتلَه بيده فقد أَمَرَ ومالأَ . فرجعوا إلى علىٍّ عليه السلام فقالوا : إنَّ معاويةَ يزعُم أنك إن لم تكنْ قتلتَ بيدك فقد أمرتَ ومالأْتَ على قتل عثمان . فقال : اللهم كَذَبَ فيما قال . فرجعوا إلى معاوية فقالوا : إن عليًّا عليه السلام يزعم أنَّه لم يفعل . فقال معاوية : إن كان صادقاً فليمْكنَّا من قَتَلةِ عثمان ؛ فإنهم فى عسكره وجندُه وأصحابُه وعَضدُه . فرجعوا إلى علىٍّ عليه السلام فقالوا : إنَّ معاوية يقول لك : إن كنتَ صادقاً فادفع إلينَا قتلةَ عثمان أَو أَمكنَّا منهم . قال لهم علىٌّ : تأَوَّلَ القومُ عليه القرآنَ ووقعت الفرقة ، وقتلوه فى سُلطانه وليس على ضربهم قَوَد . فخصَم علىٌّ معاوية[1] . فقال معاوية : إن كان الأَمرُ كما يزعمون فما لَه ابتزَّ الأَمرَ دوننا على غير مشورة منا ولا ممن هاهنا معنا . فقال على عليه السلام : إنما الناسُ تَبَعُ المهاجِرين والأَنصار ، وهم شهود المسلمين فى البلادِ على ولايتهم وأمرِ دينهم ، فرضُوا بى وبايَعُونى ، ولست أَستحلُّ أَن أدعَ ضَرْبَ معاوية[2] يحكم على الأُمّة ويركبُهم ويشقُّ عصاهم . فرجَعوا إلى معاوية فأَخبروه بذلك فقال : ليس كما يقول ، فما بالُ من هاهنا من المهاجرين والأَنصار لم يدخُلوا فى هذا الأَمر فيؤامِروه[3] . فانصرفوا إلى علىّ عليه السلام فقالوا له ذلك وأَخبروه . فقال على عليه السلام :

(١) خصمه : غلبه فى الخصومة بالحجة .
(٢) أى مثل معاوية . والضرب : المثل والشبيه .
(٣) المؤامرة : المشاورة .

ويْحَكم ، هذا للبدريِّين دونَ الصحابة ، ليس فى الأَرض بدْرِىٌّ إلا قد بايَعَنى وهو معى ، أَوْ قد أَقام ورضِى ، فلا يغرَّنَّكم معاويةُ مِن أَنفُسكم ودينكم . فتراسلوا ثلاثةَ أَشهر ، ربيعاً الآخِر وجُمادَيَين ، فيفْزَعون الفَزْعة[1] فيما بينَ ذلك ، فيزحف بعضُهم إلى بعض ، وتحجز القُرّاءُ بينهم . ففزعوا فى ثلاثة أَشهر خمسةً وثمانين فَزْعة ، كلٌّ فزعة يزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراءُ بينهم ، ولا يكونُ بينهم قتال .

تراسل على ومعاوية

قال : وخرج أَبو أُمامة الباهلىُّ ، وأَبو الدَّرداء ؛ فدخلاَ على معاوية وكانا معه ، فقالا : يا معاوية : علامَ تقاتلُ هذا الرّجل ، فوالله لهو أَقدمُ منك سَلْماً[2] ، وأَحقُّ بهذا الأَمر منك ، وأَقربُ من النبى صلى الله عليه وسلم ، فعلامَ تقاتله ؟ فقال : أُقاتله على دم عثمان ، وأَنَّه آوى قتله ؛ فقولوا له فليُقِدْنا من قَتَلته ، فأَنا أَوّلُ من بايعه من أَهل الشام . فانطلقوا إلى علىٍّ فأَخبروه بقول معاويةَ ، فقال : هم الذين تَرون . فخرجَ عشرون أَلفاً أَو أَكثرُ مسربَلين فى الحديد ، لا يُرى منهم إلا الحَدَق ، فقالوا: كلُّنا قَتَلَه ، فإن شاءُوا فليروموا ذلك منَّا . فرجع أَبو أُمامة ، وأُبوالدرداء

وساطة أبى أمامة وأبى الدرداء

فلم يشهدا شيئاً من القتال حتَّى إذا كان رجَبٌ وخشِىَ معاويةُ أَن يبايع القرّاءُ عليًّا على القتال أَخذ فى المَكْر ، وأَخذ يحتال للقُرَّاءِ لكيما يُحجِموا عنه[3] ويكفُّوا حتَّى ينظروا . قال : وإنَّ معاوية كتب فى سهمٍ : « من عبد الله الناصح ، فإنِّى أُخبركم أَنَّ معاوية يريد أَن يَفْجُر عليكم الفراتَ فيغرقكم . فخُذوا حِذْرَكم » . ثم رمى معاويةُ بالسّهم فى عسكر علىٍّ عليه السلام ، فوقع السَّهمُ فى يَدىْ رجلٍ من أَهل الكوفة ، فقرأَه ثم اقرأَه صاحبه ، فلما قرأَه وأَقرأَه الناس ــ أَقرأَه من أَقبل وأَدبر

حيلة معاوية

سهم معاوية

(١) فى الأصل : « فيقرعون القرعة » وبنى سائر العبارة على ذلك ، تحريف .
(٢) السلم : الإسلام .
(٣) فى الأصل : « عليه » .

قالوا : هذا أخ ناصحٌ كتب إليكم يُخبركم بما أراد معاوية . فلم يزل السَّهم يُقرأ ويرتفع حتى رُفِع[1] إلَى أمير المؤمنين ، وقد بعث معاوية مائتى رجل من الفَعَلة إلى عاقول من النهر[2] ، بأَيْديهم المُرور والزُّبُل[3] يحفرون فيها بحيالِ عسكر علىٍّ بن أبى طالب ، فقال علىٌّ عليه السلام : ويحكم ، إنَّ الذى يعالجُ معاويةُ لا يستقيم له ولا يقوم عليه[4] ، وإنَّما يريد أن يزيلكم عن مكانِكم ، فالهَوْا عن ذلك ودَعوه . فقالوا له : لا ندعهم[5] والله يحفِرون الساعة . فقال علىّ : يا أهل العراق لاتكونوا ضَعْفى[6] ، وَيْحكم لا تغلبونى على رأيى . فقالوا : والله لنَرْتحلنَّ ، فإن شئت فارتَحِلْ ، وإن شئتَ فأَقِم . فارتحلوا وصعَّدوا بعسكرهم مَلِيًّا[7] ، وارتحل علىٌّ فى أُخريات الناس ، وهو يقول :

مخالفة الجيش لعلى

ولو أنِّى أُطعتُ عَصَبْتُ قـومى إلى رُكن اليَمامة أو شَمـامِ[8]
ولـكنِّى إذا أبـرمتُ أمـراً مُنِيت بِخُلْفِ آراءِ الطَّغـامِ

عتاب على للأشتر والأشعث

وارتحل معاوية حتَّى نزل على معسكر علىٍّ الذى كان فيه ، فدعا علىٌّ الأَشتر ، فقال : ألم تغلبنى على رائى[9] أنت والأُشعث ؟ فدونكما . فقال الأَشعث : أنا أكفيك يا أمير المؤمنين . سأُداوى ما أفسدتُ اليومَ من ذلك . فجمع بنى كندة ، وقال : يا معشر كندة ، لا تَفضحونى اليومَ

---

(١) فى الأصل : « دفع » بالدال ، وأثبت ما فى ح (١ : ٣٤٣) .
(٢) عاقول النهر والوادى والرمل : ما اعوج منه .
(٣) المرور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة . والزبل ، بضمتين : جمع زبيل ، وهو الجراب والقفة . فى الأصل : « الزبيل » والوجه الجمع . وفى ح : « المزور والرمل » تحريف .
(٤) ح : « ولا يقوى عليه » .
(٥) فى الأصل : « هم » بدل : « لا ندعهم » ، صوابه فى ح .
(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : « خلفى » وهو بالكسر : المخالف .
(٧) ملياً : طويلا . ومنه : « واهجرنى ملياً » وفى الأصل : « عليا » ، صوابه فى ح .
(٨) ح : « عصمت قومى » . وشمام : جبل لباهلة . وفى الأصل : « شآم » ، وجهه فى ح .
(٩) الرائى : الرأى . وفى ح : « رأيى » .

إعتابهما له

ولا تُخْزونى ، إنّما أقارع بكم أهل الشام . فخرجوا معه رَجْلاً يمشون[1] وبيد الأشعثِ رُمحٌ له يلقيه على الأرض ، ويقول : امشوا قِيسَ رمحى [هذا] . فيمشون ، فلم يزل يقيسُ لهم الأرض برمحه ذلك ويمشون معه رَجّالةً قد كسروا جُفون سيوفهم حتى لقُوا معاويةَ وسط بنى سُليمٍ واقفاً على الماء ، وقد جاءه أدَانِى عسكره ، فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة ، وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا ، وأقبل الأشتر فى خيلٍ من أهل العراق ، فحمل على معاوية حملةً ، والأشعثُ يحارب فى ناحيةٍ [أخرى] فانحاز معاوية فى بنى سليم فردُّوا وجوهَ إبله قدرَ ثلاثةِ فراسخ . ثمّ نزَل ووضع أهلُ الشام أثقالَهم ، والأشعثُ يهدِر ويقول : أرْضَيْتُك يا أمير المؤمنين ! ثم تمثّل [بقول طرفة بن العبد] :

ففــــداءٌ لبنـــى سعــــدٍ على ... ماأصاب النّاس من خيرٍ وشرّْ[2]

مــا أقلّتْ قــدماىَ ، إنّهـــمْ ... نِعِمَ السّاعونَ فى الحىِّ الشُّطُرْ[3]

ولقــد كنت عليــكم عاتبــاً ... فَعَقَبْتُمْ بذَنُوبٍ غيرِ مُــرّْ[4]

كنت فيـــكم كالمغطِّى رأسَــه ... فانجلى اليـومَ قِنَاعِى وخُمُــرْ

ســادراً أحسبُ غَيِّــى رَشَــداً ... فتناهَيْتُ وقــد صابت بِقُــرّْ[5]

---

(١) ح : « رجالة » . والرجالة والرجل والراجلون بمعنى .

(٢) رواية « فداء » بالرفع ، أى نفسى فداء أو أنا فداء . وفى ديوان طرفة ٨٢ والخزانة (٤ : ١٠١ بولاق) : « لبنى قيس » وفى الديوان والخزانة : « من سر وضر » وهما بضم أولهما السراء والضراء .

(٣) أقلت : حملت ؛ أى ما أقلتنى قدماى ، أى طول الحياة . ونعم ، بكسرتين ففتح : لغة فى نعم . والشطر بضمتين : جمع شطير ، وهو الغريب البعيد . ويروى : « خالتى والنفس قدما » على أن تكون « خالتى » مبتدأ خبره « فداء » فى البيت السابق .

(٤) عقبتم : أى وجدتم عقب ذلك . والذنوب ، بالفتح : النصيب والحظ . وفى الكتاب : (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم) . والمر : نقيض الحلو .

(٥) تناهيت : أى انتهيت من سفهى . ويقال للأمر إذا وقع فى مستقره : « صابت بقر » بضم القاف ، أى نزل الأمر فى مستقره فلا يستطاع له تحويل . وفى الأصل : وقد كادت تفر »، صوابه فى ح والديوان .

قال : وقال الأشعث : يا أمير المؤمنين ، قد غلب اللهُ لك على الماء.

قال عليٌّ : أنت كما قال الشاعر :

تُلاقِينَ قيساً وأتباعَه فيُشعل للحرب ناراً فَنَارا

أخو الحربِ إن لَقِحت بازلا سَمَا للعُلَى وأَجَلَّ الخِطَارا[1]

غلبة على على الماء

فلما غلب عليٌّ على الماء فطرد عنه أهلَ الشّام بعثَ إلى معاوية : « إنّا لا نكافيك بصُنعك ، هلمَّ إلى الماء فنحنُ وأنتم فيه سواءٌ » . فأخَذَ كل واحدٍ منهما بالشريعة مما يليه ، وقال عليٌّ عليه السلامُ لأصحابه : أيُّها الناس ، إنَّ الخَطْبَ أعظم من منْع الماء . وقال معاوية: للهِ درُّ عمرو، ما عصيتُه فى أمرٍ قطُّ إلاَّ أخطأْتُ الرأْيَ فيه . قال : فمكث معاوية أيّاماً لا يكلِّم عمراً ، ثم بعث إليه ، فقال : يا عمرو ، كان فلتةً من رأيٍ أعقَبَتْنِى بخطائها[2] وأَمَتُّ ما كان قبلها من الصَّواب ، أما والله او تقايس [صوابَك[3]] بخطائك لقلَّ صوابك . فقال عمرو : قد كان كذا فرأيتك احتجْت إلى رأيك ، وما خطاؤك اليوم حين أَعْذَرْتُ إليك أمس ، وكذلك أنا لك غداً إن عصيتَنى اليوم . فعطف عليه معاوية ، ورضيَ عنه ، وبات على مشق الحيل[4] حتى أصبح ، ثم غاداهم على القتال ، وعلى رايته يومئذٍ هاشم بن عُتبة المِرْقال . قال : ومعه الحُدُل التى يقول فيها الأشتر :

طلاق الماء للجيش

معاوية وعمرو

إنا إذا مــا احتسبنا الوغى أدرنا الرحى بصنوف الحُدُلْ[5]

(١) أى إن لقحت الحرب وهى بازل . والبزول : أقصى أسنان البعير إذا طعن فى التاسعة. يقول : إذا تجددت الحرب بعد ما طال عهدها وقوتل فيها مرات دخل فى غمارها ولم يتهيب . أجل : أعظم . والخطار : مصدر كالمخاطرة ؛ يقال خاطر بنفسه : أشفى بها على خطر هلك أو نيل ملك . وفى الأصل : « لحقت بازلا » ، صوابه فى ح .

(٢) الخطاء : الخطأ . وفى الأصل : « بخطاؤها » ، تحريف .

(٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) الحدل : جمع حدلاء ، وهى القوس قد حدرت إحدى سيتيها ورفعت الأخرى . وفى الأصل : « الجدل » فى هذا الموضع وسابقه ، جمع جدلاء للدرع المجدولة . و لا وجه لها هنا .

وضرباً لهـــامــاتِهم بالسُّيوفِ　　وطعناً لهم بالقنـــا والأَسَــلْ
عَرانينُ من مَذحِجٍ وسْطَهـــا　　يخُوضُونَ أغمارها بالهَبَلْ[1]
ووائــلُ تُسعِرُ نيرانَهـــا　　ينادُونهـــم أمــرُنا قـــد كَمُلْ
أبو حَسَنٍ صَوْتُ خيشومهـــا　　بأَسيافه كلُّ حُسَامٍ بَطَلْ[2]
على الحـــقِّ فينـــا له منهـــجٌ　　على واضـــحِ القصد لا بالمَيَلْ

مبارزة علقمة بن عمرو لعوف

قال : وبرز يومئذ عوف من أصحاب معاوية وهو يقول :

إنِّى أنا عوفٌ أخو الحروبِ　　عند هِيَاجِ الحربِ والكروبِ
صاحبُ لا الوقَّافِ والهَيوبِ[3]　　عند اشتعال الحربِ باللَّهيبِ
ولستَ بالنَّاجى من الخطوبِ　　ومن رُدَيْنِى مــارن الكُعوبِ
إذْ جئتَ تبغى نُصرةَ الكذوبِ　　ولستَ بالعَفِّ ولا النَّجيبِ

فبرز إليه علقمة بن عمرو ، من أصحاب علىّ ، وهو يقول :

يا عَجَبًـــا للعَجَبِ العجيبِ　　قد كنتَ ياعوفُ أخَا الحروبِ
وليس فيهـــا لَكَ مِنْ نصيبِ　　إنَّكَ ، فاعلمْ ، ظاهرُ العُيوبِ
فى طاعـــة كطـــاعة الصَّليبِ　　فى يومِ بدرٍ عُصبةِ القليبِ[4]
فدونك الطَّعْنَةَ فى المنخوبِ[5]　　قلبُك ذو كفرٍ من القُلوبِ

فطعنه علقمة فقتله ، فقال علقمة فى ذلك :

---

(١) الهبل : الثكل ، هبلته أمه : ثكلته .

(٢) فى الأصل : « أبا حسن » .

(٣) أى أنا صاحب من ليس بوقاف ولا هيوب . والوقوف : المحجم عن القتال . والهيوب : الجبان . وفى الأصل : « صاحبها الوقاف لا الهيوب » ، محرف .

(٤) القليب : قليب بدر .

(٥) المنخوب : الجبان ، أراد به قلبه . وفى الأصل : « النخوب » ، ولا وجه له .

يا عوفُ لو كنتَ امرأً حازماً لم تبرُزِ الـدَّهرَ إلى علقمَـهْ
لاقيتَ ليثاً أَسـداً باسـلاً يأْخُـذُ بالأَنْفَـاسِ والغَلصمَهْ
لاقَيتَـه قِـرناً لـه سطوةٌ يفترسُ الأَقْـرانَ فى الملحمَـهْ
ما كان فى نصرِ امرئ ظـالمٍ مـا يدركُ الجنَّـةَ والمرحَمَـهْ
ما لا بن صخرٍ حُرْمَـةٌ تَرتَجى لهـا ثَوابَ الله بل مَنْـدَمَـهْ
لاقيتَ مالاقى غـداةَ الوغَى مَن أَدرك الأَبطالَ يا ابن الأَمَهْ
ضيّعتَ حقَّ اللهِ فى نُصْـرَةٍ لِلظـالمِ المعـروفِ بالمظْلمَهْ
إِنَّ أَبَا سفيـانَ مِنْ قبـله لم يكُ مِثلَ العُصبـة المسلِمَهْ
لـكنَّه نافَقَ فى دينِـه منْ خشيةِ القَتْلِ على المَرْغَمَـهْ
بُعْدًا لصَخرٍ مَـعَ أَشياعِـهِ فى جَاحِمِ النَّار لدى المَضْرَمَهْ(١)

خروج الجماعات القليلة للقتال

فمكثوا على ذلك حتَّى كان ذو الحجة ، فجعل علىٌّ يأْمر هذا الرجلَ الشريفَ فيخرج معه جماعةٌ فيقاتل ، ويخرج إليه من أَصحاب معاوية رجلٌ معه آخر ، فيقتتلان فى خيلها ورَجْلِها ثمَّ ينصرفان ، وأَخذوا يكرهون أن يتراجعوا بجميع الفيلق من العراق وأَهل الشَّام ؛ مخافةَ الاستئصالِ والهلاك . وكان علىٌّ عليه السلام يُخرج الأَشترَ مرَّةً فى خيله ، وحُجْرَ بنَ عدىٍّ مرّة ، وشَبَثَ بن رِبْعِىٍّ التميمىَّ مرّة ، ومرةً خالدَ بنَ المعمَّر السَّدوسى ، ومرّة زيادَ بن النَّضر الحارثىّ ، ومرةً زيادَ بنَ جعفرٍ الكندىّ ، ومرةً سعدَ بن قيس الهَمْدَانىّ ، ومَرَّةً معقِلَ بنَ قيسٍ الرِّياحىّ ، ومرةً قيسَ بنَ سعدِ بن عُبادة . وكان أَكثرُ القوم حروباً الأَشتر .

وكان معاويةُ يُخرج إليهم عبدالرحمن بنَ خالد بنِ الوليد المخزومىّ ،

---

(١) جاحم النار : معظمها وموضع الشدة فيها . والمضرمة : مصدر ميمى من الضرم ، وهو اشتعال النار والتهابها .

ومرّةً أبا الأعور السُّلَمى ؛ ومرّةً حبيب بن مَسلمة الفِهرىّ ، ومَرّة ابن ذى الكَلاَع . ومَرّة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب . ومرّةً شُرَحْبيل بن السِّمط . ومَرّةً حمزة بن مالك الهمدانى . فاقتتلوا ذا الحجة . وربَّما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرّتين : أوّلَه وآخِرَه .

مبارزة الأشتر لأحد العماليق

نصر بن مزاحم . عن عمر بن سعد . عن عبد الله بن عاصم قال : حدَّثنى رجلٌ من قومى . أنَّ الأَشتر خرج يوماً فقاتل بصِفّين فى رجالٍ من القُرّاء ، ورجالٍ من فُرسان العرب . فاشتدّ قتالُهم ، فخرج علينا رجلٌ لَقلّ والله ما رأيتُ رجلاً قطُّ هو أطولُ ولا أعظمُ منه ، فدعا إلى المبارزة فلم يخرجْ إليه إنسان ، وخرج إليه الأَشتر فاختلفا ضربتَين ، وضربه الأَشتر فقتله . وأيمُ اللهِ لقد كُنَّا أشفقْنا عليه . وسألْناه ألاَّ يخرج إليه. فلما قتله نادى منادٍ من أصحابه :

ياسَهمَ سهْمَ بنَ أَبى العَيزارِ ياخيرَ من نعلمه من زَارِ[1]

وجاء رجلٌ من الأَزد فقال : أُقسم بالله لأَقتلنَّ قاتلَك . فحمل على الأَشتر . [وعطف عليه الأَشتر[2]] فضربه ، فإذا هو بين يدى فرسه ، وحمل أَصحابُه فاستنقذوه جَريحاً ، فقال أَبو رُقَيقة السَّهمى[3] : « كان هذا ناراً فصادفَتْ إعصاراً » .

التناهى عن القتال

فاقتتل الناسُ ذا الحِجّة كلَّه ، فلما مضَى ذُو الحجَّة تداعَى الناسُ أَن يكفَّ بعضُهم عن بعضٍ إلى أَن ينقضى المحرَّم ؛ لعلَّ الله أَن يُجرِىَ صلحاً واجتماعاً . فكفَّ الناس بعضُهم عن بعض .

---

(1) زار : مرخم زارة ، وهم بطن من الأزد . انظر الاشتقاق ٢٨٨ . وقد أنشد الطبرى الرجز فى (٥ : ٢٤٣) وعقب عليه بقوله : « وزارة حى من الأزد » . وفى الأصل : « من نعلم من نزار » ، صوابه من الطبرى .

(2) التكملة من الطبرى (٥ : ٢٣٤) .

(3) فى الطبرى : « أبو رفيقة الفهمى » .

اختلاف الرسل للصلح

نصر : عمر بن سعد ، عن أبي المجاهد ، عن المحلّ بن خليفة قال : لما توادع عليّ عليه السلام ومعاوية بصفين اختلفت الرُّسل فيما بينهما رجاءَ الصُّلح ، فأَرسل عليُّ بن أَبي طالبٍ إلى معاويةَ عديَّ بنَ حاتم ، وشَبَث بن رِبْعيّ ، ويزيد بن قيس ، وزياد بن خصفة ، فدخلوا على معاوية ، فحمد الله عديُّ بنُ حاتمٍ وأثنى عليه ثم قال :

كلام عدى

أما بعد فإنّا أتيناك لندعوَك إلى أمرٍ يجمعُ اللهُ به كلمتَنا وأُمّتنا ، ويحقن الله به دِماءَ المسلمين [1] . وندعوك إلى أفضلها سابقة وأَحسنها في الإسلام آثاراً [2] . وقد اجتمع له الناس [3] . وقد أَرشدهم الله بالذى رأَوا فأَتَوْا ، فلم يبق أَحدٌ غيرك وغير من معك ، فانْتَهِ يا معاوية من قبل أن يصيبَك اللهُ وأَصحابَك بمثلِ يوم الجمَل .

جواب معاوية

فقال له معاوية : كأَنك إنّما جئت متهدِّدا ولم تأْتِ مصالحاً . هيهات يا عديُّ . كلا والله إني لَابنُ حرب ، ما يُقعقع لي بالشِّنان [4] . أَمَا والله إنَّك لمن المُجْلبين على ابن عفَّان ، وإنّك لمن قَتَلَتِه ، وإني لأَرجو أن تكون ممن يقتله الله [5] . هيهات يا عديُّ ، قد حلبتُ بالسَّاعد الأَشدّ [6] .

كلام شبث بن ربعى وزياد بن خصفة

وقال له شَبَثُ بن رِبْعيٍّ وزيادُ بن خَصَفة – وتنازعا كلاماً واحداً [7] :

---

(١) زاد الطبرى في (٦ . ٢) : « ويأمن به السبل ويصلح به البين » .
(٢) أفضلها : أي أفضل الناس . وفي تاريخ الطبرى : « إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام آثاراً » . وفي ح (١ : ٣٤٤) : « ندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام آثاراً » .
(٣) ح : « إليه الناس » ، الطبرى : « استجمع له الناس » .
(٤) الشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق . وهم يحركون القربة البالية إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع . انظر الميداني (٢ : ١٩١) .
(٥) الطبرى : « ممن يقتل الله عز وجل به » .
(٦) في الميداني (١ : ١٧٦) : « حلبتها بالساعد الأشد . أي أخذتها بالقوة إذا لم يتأت الرفق » . وفي الأصل : « قد جئت » ، والصواب من الطبرى (٦ : ٣) . وهذه العبارة لم ترد في ح .
(٧) الطبرى : « جواباً واحداً » .

أتيناك فيما يُصلحنا وإياك ، فأقبلتَ تضربُ الأَمثالَ لنا . دع مالا ينفع من القول والفعل ، وأجبْنا فيما يعمُّنا[1] وإيَّاك نفعُه .

كلام يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس الأَرحبيّ فقال: إنا لم نأْتِك إلا لنبلِّغك مابُعثنا به إليك ، ولنؤدِّىَ عنك ما سمِعنا منك ، لن ندَعَ أن ننصحَ لك ، وأن نذكرَ ما ظننَّا أن لنا به عليك حُجّةً ، أو أنَّه راجعٌ بك إلى الأُلفة والجماعة . إنَّ صاحبَنا لَمَنْ قد عَرَفتَ وعَرف المسلمون فضلَه ، ولا أظنُّه يخفَى عليك : أنَّ أهلَ الدين والفضلِ لن يعدلوك بعلىٍّ عليه السلام ، ولن يميِّلُوا بينك وبينه[2] . فاتَّق الله يامعاوية ، ولا تخالفْ عليًّا ؛ فإنَّا والله ما رأينا رجلاً قطُّ أَعْمَلَ بالتَّقوى ، ولا أَزْهَد فى الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلِّها منه .

جواب معاوية له

فحمِد الله معاويةُ وأثنى عليه وقال : أمّا بعد فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة . فأمَّا الجماعة التى دعوتم إليها فنِعمَّا هى . وأما الطاعة لصاحبكم فإنَّا لا نراها . إن صاحبَكم قتلخليفتَنا ، وفرَّق جماعتنا ، وآوى ثأْرناوقتَلَتنا ،وصاحبكميزعمأنَّه لميقتله ؛فنحنلانردُّ ذلكعليه ،أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

كلام شبث ومعاوية

فقال له شبَث بن رِبْعىّ : أيسرُّك بالله يامعاوية أنْ أُمكِنتَ[3] من عمّار بن ياسر فقتلتَه ؟ قال : وما يمنعُنى من ذلك ؟ ! والله لو أمكننى

---

(١) فى الأصل : « يصيبنا » وكتب فوقه : « خ : يعمنا » ، وهو ما فى ح والطبرى .
(٢) التمييل بين الشيئين : الترجيح بينهما . تقول العرب : إنى لأميل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما آتى . وفى الأصل : « يمثلوا » ، تحريف . وفى ح : « ولا يميلون » .
(٣) فى الأصل : « أنك إن أمكنت » ، صوابه فى ح . وفى الطبرى : « أنك أمكنت » .

صاحبُكم من ابن سُمَيّة[1] ما قتلته بعثمان . ولكن كنت أقتله بناتل[2] مولى عثمان بن عفان . فقال له شبَث : وإلهِ السَّماء ما عدلْتَ مَعْدَلاً ، لا ، واللهِ الذى لا إله إلا هو . لا تصلُ إلى قتل ابن ياسرٍ حتى تنْدَرَ الهامُ عن كواهل الرِّجال وتضيقَ الأَرضُ الفضاءُ عليك برُحْبها ، فقال له معاوية : إنه لو كان ذلك كانت عليك أضيَق[3] . ورجع القومُ عن معاوية . فلما رجعوا من عنده بعث إلى زياد بن خَصَفة التيمىّ فدخل عليه ، فحمد اللهَ معاويةُ وأثنى عليه ثم قال :

أمَّا بعدُ يا أخا ربيعة فإنَّ عليًّا قطع أرحامَنا ، وقتَل إمَامنا ، وآوى قَتَلَةَ صاحبنا ، وإنى أسأَلك النُّصرةَ عليه[4] بأُسرتك وعشيرتك ، ولك علىَّ عهدُ الله وميثاقه إذا ظهَرْتُ أن أُولِّيَك أىَّ المصرينِ أحببْتَ .

كلام زياد بن خصفة

قال أبو المجاهد[5] : سمعت زياد بن خَصَفة يحدث بهذا الحديث . قال : فلمَّا قضَى معاوية كلامه حمدتُ اللهَ وأثنيتُ عليه ثم قلتُ له : « أمّا بعد فإنِّى لَعَلى بيِّنة من ربّى ، وبما أنعَمَ علىَّ فلن أكونَ ظهيراً للمجرمين » . قال : ثم قمت ، فقال معاوية لعمرو بن العاص – وكان إلى جانبه

(١) سمية ، هى سمية بنت خباط ، بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ، وهى أم عمار بن ياسر ، وكانت أمة لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، ثم زوجها ياسراً فولدت له عماراً . وهى أول شهيدة استشهدت فى الإسلام ، وجأها أبو جهل بحربة فماتت . المعارف ١١١ – ١١٢ والإصابة ٥٨٢ .

(٢) فى الأصل : « بنائل » ، صوابه فى الطبرى .

(٣) الطبرى : « إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق » .

(٤) فى الأصل : « عليك » ، صوابه فى ح والطبرى .

(٥) أبو المجاهد ، هو سعد الطائى الكوفى ، وثقه وكيع وابن حبان ، وقال ابن حجر : « لا بأس به . من السادسة » . انظر التقريب وحواشيه .

جالساً — : ليس يُكلِّم رجل منَّا رجلا منهم بكلمة فيجيب بخير[1] ، ما لهم عَضَبهم الله[2] ، ما قلوبهم إلا قلب رجلٍ واحد .

رسل معاوية إلى على

نصر : حدَّثنا سليمان بن أبى راشد[3] ، عن عبد الرحمن بن عُبيد أبى الكنود ، أن معاوية بعث إلى حبيب بن مسلمة الفِهرى ، وشرحبيل ابن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمى ، فدخلوا على علىٍّ عليه السلام وأنا عنده ؛ فحمد اللهَ حبيبُ بن مسلمة وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله ، ويُنيب إلى أمر الله ، فاستثقلتم حياتَه ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به . فإن قُلْتَ إنك لم تقتلْه فاعتزلْ أمرَ الناس فيكونَ أمرهم هذا شورى بينهم ، يولِّى الناسُ أمرَهم مَن أجمع عليه رأيُهم .

فقال له علىٌّ عليه السلام : وما أنت لا أُمَّ لكَ والولاية والعزلَ والدُّخولَ فى هذا الأمر . اسكت فإنك لست هناك ، ولا بأهلٍ لذاك .

فقام حبيب بن مسلمة فقال : أما والله لتريَنِّى حيثُ تكره . فقال له علىٌّ : وما أنت ولو أجلبْتَ بخيلك ورَجْلك؟! اذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك ، فلا أبقَى اللهُ عليك إن أبقيت . فقال شرحبيل بن السمط : إن كلَّمْتُك فلعمرى ما كلامى إيَّاك إلا كنحوٍ من كلامِ صاحبى قبلى ، فهل لى عندك جواب غير الجواب الذى أجبتَه به؟ فقال علىٌّ عليه السلام : عندى جواب غير الذى أجبتُه به ، لك ولصاحبك[4] . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) فى الأصل : « ليس يتكلم رجل منهم بكلمة » ، بهذا التحريف والنقص . وتصحيحه وإكماله من الطبرى . وهذه العبارة لم ترد فى ح .

(٢) العضب : القطع . وفى اللسان : « وتدعو العرب على الرجل فتقول : ماله عضبه الله . يدعون عليه بقطع يده ورجله » . وفى الأصل : « غصبهم » ، صوابه فى ح والطبرى .

(٣) وكذا فى ح . وفى الطبرى : « سليمان بن راشد الأزدى » .

(٤) بدل هذه العبارة فى ح : « قال نعم » . وفى الطبرى (٦ : ٤) : « نعم لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبته به » .

خطبة على فى رسل معاوية

أما بعد فإنَّ الله بعث النبى صلى الله عليه وسلم فأنقذ به من الضلالة ، ونَعَش به من الهَلَكة[1] ، وجمع به بعدَ الفُرقة ، ثمَّ قبضه الله إليه وقد أدَّى ما عليه ، ثم استخلف الناس[2] أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، وأحسنا السيرة ، وعَدَلا فى الأُمة ، وقد وجدْنا عليهما أنْ تولَّيَا الأمرَ دونَنا ونحن آلُ الرسول وأحقُّ بالأمر ، فغفرنا ذلك لهما ، ثم وَلِى أمرَ الناس عثمان فعمل بأشياءَ عابَها النَّاس عليه ، فسار إليه ناسٌ فقتلوه ؛ ثم أتانى الناس وأنا معْتزلٌ أمرهم فقالوا لى : بايعْ . فأَبيتُ عليهم . فقالوا لى : بايع فإنَّ الأُمة لا ترضى إلا بك . وإنَّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس . فبايعتهم ، فلم يَرُعْنى إلاَّ شقاقُ رجلين قد بايَعَانى[3] ، وخلافُ معاويةَ إيَّاك ، الذى لم يجعل الله له سابقةً فى الدين ، ولا سلَفَ صِدْقٍ فى الإسلام ، طليقٌ ابنُ طليق ، وحزبٌ من الأحزاب ، لم يزل لله ولرسوله والمسلمين عدوًّا هو وأبوه ، حتى دخلا فى الإسلام كارِهَين مُكرَهَين ؛ فعجِبنا لكم[4] ولإجلابكم معه ، وانقيادكم له ، وتَدَعُون أهلَ بيتِ نبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلم ، الذين لا ينبغى لكم شقاقُهم ولا خِلافُهم ، ولا أن تعْدِلوا بهم أحداً من الناس . إنى أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسُنَّةِ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، وإماتة الباطل ، وإحياء معالم الدين . أقولُ قولِى هذا وأستغفر الله لنا ولكلِّ مؤمنٍ ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

كلام شرحبيل ومعن بن يزيد

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد : أتشهد أنَّ عثمان قتل مظلوماً ؟

---

(١) فى الأصل : « وأنعش » ، صوابه فى ح . ولايقال أنعشه فهو من كلام العامة . نعشه : تداركه . وفى الطبرى : « وانتاش به من الهلكة » . والانتياش : الاستدراك والاستنقاذ .

(٢) ح (١ : ٣٤٥) : « فاستخلف الناس » .

(٣) ح فقط : « قد بايعا » .

(٤) ح : « فيا عجبا لكم » . الطبرى : فلا غرو إلا خلافكم معه » .

فقال لهما : إني لا أقول ذلك . قالا : فمن لم يشهد أنَّ عثمان قتل مظلوماً فنحن برآءُ منه . ثم قاما فانصرفا . فقال عليه السلام : ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . ثم أقبل على أصحابه فقال : لا يكون هؤلاء بأَولى فى الجِدِّ فى ضلالتهم منكم فى حقِّكم وطاعةِ إمامكم[1] .

ثم مكث الناس حتَّى دنا انسلاخ المحرم .

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر عَنْ أَبى الطفيل ، أَنَّ حابس بن سعد الطائى[2] كان صاحبَ لواءِ طيِّئٌ مع معاوية ، فقال :

أَمــا بينَ المنـايا غيرُ سبــعٍ ... بقِينَ من المحــرّمِ أو ثمــان
أَمَــا يعجبْك أَنّا قــد كففنــا ... عنَ أهل الكوفة الموتَ العِيانِى[3]
أَينهــانا كتــابُ الله عنهــم ... ولا ينهــاهمُ السَّبــعُ المَثَانِى[4]

إعلان الحرب

فقُتل بعد ، وكان مع معاوية . فلما انسلخ المحرم واستُقبِل صفر ، وذلك فى سنة سبع وثلاثين ، بعث علىٌّ نفراً من أصحابه حتَّى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يُسمعونهم الصَّوتَ قام مرثد بن الحارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام ، إنَّ أمير المؤمنين علىَّ بن أبى طالب وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لكم : إنا والله ما كففْنا عنكم شكًّا فى أمركم ، ولا بُقيًا عليكم ، وإنما كففنا عنكم

---

(١) الطبرى فقط : « وطاعة ربكم » .
(٢) سبقت ترجمته فى ص ٦٤ . وفى الأصل : « بن سعيد » ، تحريف .
(٣) العيانى : منسوب إلى العيان . وفى الأصل : « العيان » .
(٤) السبع المثانى : السور الطوال من البقرة إلى التوبة ، على أن تحسب التوبة والأنفال سورة واحدة ، ولذلك لم يفصل بينهما فى المصحف بالبسملة .

لخروج المحرَّم ، ثم انسلخ ، وإنَّا قد نبذنا إليكم على سَواءٍ[١] ، إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين .

قال : فتحاجز الناس[٢] وثاروا إلى أُمرائهم .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أَبي الزبير قال : كانت وقعة صفّين فى صفر .

التأهب للحرب

قال نصر : فى حديث عمر – يعنى ابن سعد[٣] – إنَّ عليًّا عليه السلام لما انسلخ المحرم أمر مرثد بن الحارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام ، ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إنى قد استدمتكم واستأْنيت بكم[٤] لتراجعوا الحقَّ وتنيبوا إليه . واحتججت عليكم بكتاب الله ودعَوْتكم إليه . فلَم تتناهَوا عن طُغيانٍ ، ولَم تُجيبوا إلى حق . وإنى قد نبذتُ إليكم على سواءٍ ، إنَّ الله لا يحب الخائنين .

فثار الناس إلى أُمرائهم ورؤسائهم . قال : وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتِّبان الكتائب ، ويعبِّيان العساكر ، وأوقدوا النيران ، وجاءُوا بالشُّموع[٥] ، وبات علىٌّ عليه السلام ليلتَه كلَّها يعبِّى الناس ، ويكتِّب الكتائب ، ويدُور فى الناس يحرضهم .

خطبة على عند كل لقاء للعدو

نصر : عمر بن سعد ، وحدَّثنى رجلٌ عن عبد الله بن جندب عن أبيه ، أن عليا عليه السلام كان يأْمرنا فى كلِّ موطن لقينا معه عدوَّه يقول : لا تقاتلوا القــوم حتى يبدَءُوكم ؛ فإنكم بحمد الله على حجّة ،

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٨ .

(٢) تحاجز القوم : أخذ بعضهم بحجز بعض .

(٣) خلط ابن أبى الحديد بين هذا الإسناد وسابقه فجعلهما لعمرو بن شمر .

(٤) فى الأصل : « قد استنبدتكم واستأناتكم » ، صوابه فى ح . وفى الطبرى (٦ : ٥) « قد استدمتكم » فقط .

(٥) وجاءوا بالشموع ، ليست فى الطبرى .

وتركُكم إيّاهم حتّى يبدءُوكم حجّة أُخرى لكم عليهم ، فإذا قاتلْتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مُدبراً ، ولا تُجهزوا على جريح . ولا تكشفوا عورةً ، ولا تمثّلوا بقتيل . فإذا وصلتم إلى رِحال القوم فلا تهتكوا سِتْراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذْنى . ولا تأْخذوا شيئاً من أَموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذًى ، وإن شتمنَ أَعراضكم وتناولْنَ أُمراءكم وصُلحاءكم ؛ فإنّهنّ ضِعافُ القُوى والأَنفُسِ والعقول . ولقد كنّا وإنّا لَنُؤْمَر بالكفِّ عنهن وإنهنّ لمشركات . وإنْ كان الرَّجُلَ ليتناول المرأَةَ فى الجاهليَّة بالهراوة أو الحديدِ فيعيَّرُ بها عَقِبُه مِن بعده .

خطبة على فى التحريض على القتال

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن[1] يزيد [يعنى ابن أَبى خالد[2]] . عن أَبى صادق ، عن الحضرمىّ قال : سمعت عليًّا عليه السلام حرَّضَ فى النـــاس[3] فى ثلاثةِ مواطن : فى يوم الجمل ، ويوم صِفّين ، ويوم النَّهْرَوان ، فقال :

عبادَ الله ، اتّقوا الله عزَّ وجل ، وغُضُّوا الأَبصار ، واخفِضوا الأَصوات ، وأَقِلُّوا الكلام ، ووطِّنوا أَنفسكم على المنازلة والمجاوَلة . والمبارزة والمعانقة والمكادمة[4] ، واثبتوا ﴿ وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. اللهم أَلهِمْهم الصَّبر ، وأَنزل عليهم النصر ، وأَعظِمْ لهم الأَجر .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن محمد بن على ، وزيد

---

(١) فى الأصل وح (١ : ٣٤٦) : « إلا بإذنى » صوابه من الطبرى (٦ : ٦) .

(٢) إسماعيل بن أبى خالد ، أبو عبد الله ، أحد التابعين ، رأى سعيد من رأى النبى ، منهم أنس بن مالك . توفى بالكوفة سنة ١٤٦ . انظر المعارف ٢١١ وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل : « عرض فى الناس » صوابه فى ح . وفى الطبرى : « يحرض الناس » .

(٤) المكادمة : مفاعلة من الكدم ، وهو العض ، والتأثير بالحديد ، وهذا هو الأقرب . وفى اللسان : رجل مكدم : إذا لقى قتالا فأثرت فيه الجراح » . وفى الأصل : « المكارمة » بالراء ، صوابه فى الطبرى (٦ : ٦) .

عقد الألوية وتأمير الأمراء

ابن حَسَن ، ومحمد بن المطَّلب[1] ، أن عليًّا عليه السلامُ ومعاويةَ عقدا الألوية ، وأمَّرا الأمراءَ . وكتَّبا الكتائب . واستعمل عليٌّ على الخيل عمَّار بنَ ياسر ، وعلى الرَّجَّالة عبد الله بن بُدَيل بن ورقاءَ الخزاعي ، ودفع اللواءَ إلى هاشم بن عتبة ابن أبي وقَّاص الزُّهرى ، وجعل على الميمنة الأشعثَ بنَ قيس . وعلى الميسرة عبدَ الله بنَ العباس . وجعل على رَجَّالة الميمنة سليمان بن صُرَد الخزاعى . وجعل على رجَّالةِ الميسرة الحارث ابن مرَّة العبدى ، وجعل القلب مُضَر الكوفةِ والبصرة ، وجعل الميمنةَ اليمنَ ، وجعل الميسرةَ ربيعةَ ، وعقد ألويةَ القبائل فأعطاها قوماً منهم بأعيانهم جعلهم رؤساءَهم وأمراءَهم . وجعل على قريش وأسد وكنانة عبدَ الله بن عبَّاس ، وعلى كندة حُجْرَ بنَ عدىّ . وعلى بكرِ البصرةِ حُضَين بنَ المنذر . وعلى تميمِ البصرةِ الأحنف بن قيس ، وعلى خزاعةَ عَمْرَو بن الحَمِق ، وعلى بَكرِ الكوفةِ نُعَيمَ بنَ هُبيرة ، وعلى سعدٍ وربابِ البصرةِ جاريةَ بنَ قُدامةَ السّعدىّ ، وعلى بَجيلةَ رِفاعةَ بنَ شدّاد ، وعلى ذُهلِ الكوفة يزيد بن رُوَيمٍ الشيبانى[2] ، وعلى عمرٍو وحنظلةِ البصرة[3] أعيَنَ بن ضُبَيعة ، وعلى قُضاعة وطيِّئٍ عدىَّ بنَ حاتم ، وعلى لهازمِ الكوفةِ عبدَ الله بن حَجَل العجلىّ ، وعلى تميم الكوفة عُمير بنَ عُطارد ، وعلى الأزد واليمن جندبَ بن زهير ، وعلى ذُهل البصرةِ خالد بن المعمَّر السدوسىّ ، وعلى عمرٍو وحنظلةِ الكوفةِ[4] شبَث بن رِبْعىّ ، وعلى هَمْدَان سعيد بن قيس ، وعلى لهازم البصرة حُريث بن جابر الحنفى[5] ، وعلى

---

(١) ذكره فى لسان الميزان (٥ : ٣٨٣) وقال : « روى عن أبان بن بشير ، وعنه وهب بن كعب . مجهول » . ح : « بن عبد المطلب » تحريف .

(٢) ح (١ : ٣٤٦) : « رويما الشيبانى أو يزيد بن رويم » .

(٣) ح : « وعلى عمرو البصرة وحنظلتها » .

(٤) ح : « وعلى عمرو الكوفة وحنظلتها » .

(٥) ح : « الجعفى » .

سعدٍ ورِباب الكوفة الطُّفَيْل أَبا صريمة ، وعلى مذحج الأَشتر بن الحارث النخعى ، وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان ، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البَكّائى [(١)] ، وعلى عبد القيس البصرة عمرو ابن حنظلة ، وعلى قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمى ، وعلى قيس البصرة [(٢)] قَبيصة بن شدّاد الهلالىّ ، وعلى اللفيف من القواصى القاسم بن حنظلة الجهنى .

واستعمل معاويةُ على الخيل عُبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الرّجّالة مسلم بن عقبة المُرّىّ [(٣)] ، وعلى الميمنة عَبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الميسرة حبيبَ بن مَسلمة الفهرى ، وأَعطى اللواء عبدَ الرحمن ابنَ خالد بن الوليد ، وعلى أَهل دمشق — وهم القلب — الضحَّاك بن قيس الفهرىّ ، وعلى أَهل حمص — وهم الميمنة — ذا الكَلاَع الحميرىّ ، وعلى أَهلِ قِنِّسرينَ — وهم [فى] الميمنة [أَيضاً] — زفر بن الحارث ، وعلى أَهل الأُردنِّ — وهم الميسرة — سفيان بن عمرو الأَعور السلمى ، وعلى أَهل فلسطين — وهم فى الميسرة أَيضاً — مسلمة بن مخلد ، وعلى رَجّالة أَهل حمص حوشباً ذا ظُلَيم [(٤)] ، وعلى رجّالة قيس طريف بن حابس الأَلهانى [(٥)] ، وعلى رجالة أَهل الأُردنّ عبد الرحمن بن قيس

---

(١) هو عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية بن عبادة بن البكاء ، العامرى ثم البكائى ، له إدراك ، وقد شهد مشاهد على . والعامرى : نسبة إلى عامر بن صعصعة . والبكائى ، بفتح الباء وتشديد الكاف : نسبة إلى البكاء ، وبنو البكاء من قبائل ربيعة بن عامر بن صعصعة . انظر الاشتقاق ١٧٩ . وفى الأصل : « الكنانى » تحريف ، صوابه فى ح والإصابة ٦٣٢٨ .

(٢) الكلام بعد : « البكائى » إلى هنا ساقط من ح .

(٣) المرى : نسبة إلى مرة بن عوف . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٧٤ : « فمن قبائل مرة بن عوف مسلم بن عقبة الذى اعترض أهل المدينة فقتلهم يوم الحرة فى طاعة يزيد بن معاوية » . انظر المعارف ١٥٣ . ح : « المزنى » ، تحريف .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٦٠ .

(٥) الألهانى ، بالفتح : نسبة إلى ألهان ، وهم إخوة همدان بن مالك بن زيد بن كهلان . انظر الاشتقاق ٢٥٠ .

القَينى ، وعلى رجّالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الأُزدى ، وعلى رجّالة قيسِ دمشقَ همّام بن قَبِيصة ، وعلى قيس وإيادِ حمص[1] بلالَ ابن أبى هبيرة الأَزدىّ وحاتم بن المعتمر الباهلىّ[2] ، وعلى رجّالة الميمنة حابس بن سَعْد الطائى ، وعلى قُضاعة دمشقَ حسانَ بن بَحْدل الكلبى[3] وعلى قُضاعة الأُردنّ حُبَيش بن دُلْجَة القَينىّ ، وعلى كنانة فلسطين شَريكاً الكنانى[4] ، وعلى مذحج الأُردنّ المخارق بن الحارث الزّبيدى ، وعلى لخم وجـــذام فلسطين[5] ناتل بن قيس الجُذَامى[6] ، وعلى همدان الأُردنّ حَمزة بن مالك الهمْدانى ، وعلى خثعم اليمن حَمَل بن عبد الله الخثعمى[7] ، وعلى غسان الأُردنّ يزيد بن الحارث ، وعلى جميع القواصى القعقاع بن أبرهة الكَلاَعى[8] ـ وأُصيب فى المبارزة أَوّلَ يوم تراءت فيه الفئتان .

---

(١) ح : « وعلى قيس حمص وإيادها » .

(٢) ما بعد « الأزدى » ليس فى ح .

(٣) بحدل ، بالحاء المهملة وزان جعفر . وفى الأصل و ح : « بجدل » بالجيم ، تحريف . وهو حسان بن مالك بن بحدل أبو سليمان الكلبى ، زعيم بنى كلب ومقدمهم . ويروون أنه سلم عليه بالخلافة أربعين ليلة . انظر تاريخ ابن عساكر (٩ : ٣٤٢) المخطوطة التيمورية وكذا الأغانى الأغانى (١١ : ١١٤) .

(٤) فى الأصل : « شريك البكائى » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٣٤٦) .

(٥) ح : « وعلى جذام فلسطين ولخمها » .

(٦) ناتل ، بمثناة ، ابن قيس بن زيد الشامى الفلسطينى أحد أمراء معاوية ، قتل سنة ست وستين . وفى الأصل : « نائل » وفى ح : « نابل » صوابهما ما أثبت من تهذيب التهذيب والاشتقاق ٢٢٥ والمشتبه للذهبى ٥١٤ .

(٧) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، فى حرف الحاء المهملة . قال : « حمل بن عبد الله الخثعمى ، شهد صفين مع معاوية ، وكان يومئذ أميراً على خثعم » . وفى ح : « جمل » بالجيم ، تحريف ، صوابه فى ابن عساكر (١١ . ٥٥١) مخطوطة التيمورية .

(٨) ترجم له ابن عساكر فى (٣٥ : ٣٦٩) . وفى ح : « الكلابى » ، تحريف .

نصر : إسماعيل بن أبى عُميرَة[1] عن الشَّعبى أن عليًّا عليه السلام بعث على ميمنته عبدَ الله بن بُديل بن وَرقاءَ الخُزاعىّ ، وعلى ميسرته عبدَ الله بن العباس .

وذكر عن فُضَيل بن خَدِيج[2] أنَّ عليًّا عليه السلام بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنيف ، وعلى رَجَّالة أهل الكوفة عمَّار بنَ ياسر ، وعلى رَجَّالة أهل البصرة قيس بن سعْد ــ وكان قد أقبل من مِصر إلى صِفِّين ــ وجعل معه هاشم بن عتبة ، وابنه ، و [جعلَ] مسعود بن فدكى التميمى على قراء أهل البصرة . فصار قراءُ أهل الكوفة إلى ابن بُديل وعمار بن ياسر .

آخر الجزء الثالث من أجزاء ابن الطُّيورى

والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وسلم . ويتلوه الجزءُ الرابع [وأوَّله[3]] :

« نصر ، عن عمر قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم مولى يزيد بن معاوية » .

وجدت فى الجزء الخامس من نسخة عبد الوهاب بخطه :

« سمع جميعَه على الشيخِ أبى الحسين المبارك بن عبد الجبَّار ،

---

(١) فى الأصل : « ابن أبى عمرة » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٣٤٧) كما سبق ص ٢٢ .

(٢) ذكره الذهبى فى المشتبه ١٥١ قال : « وفضيل بن خديج شيخ لأبى مخنف لوط الأخبارى» وترجم له ابن حجر فى لسان الميزان . وفى الأصل : « فضل بن خديج » ، صوابه فى المرجعين المذكورين .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام . وانظر أول الجزء التالى .

الأجلُّ السيد الأوحد قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدَّامَغانىّ ، وابناه القاضيان أبو عبد الله محمد[1] وأبو الحسين أحمد ، وأبو عبد الله محمد بن القاضى أبى الفتح بن البيضاوى ، والشَّريفُ أبو الفضل محمد ابن على بن أبى يعلى الحَسنى ، وأبو منصور محمد بن محمد بن قرمى ، بقراءة عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى فى شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة » .

---

(١) ترجم له السمعانى فى الورقة ٢١٩ وياقوت فى معجم البلدان . ولى القضاء ببغداد مدة . وكانت ولادته بالدامغان سنة ٤٠٠ ووفاته سنة ٤٩٨ . والدامغانى : نسبة إلى الدامغان ، بفتح الميم ، وهى قصبة بلاد قومس .

الجزء الرابع

من كتاب صفين
لنصر بن مزاحم

رواية أبي محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز .

رواية أبي الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد .

رواية أبي الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت .

رواية أبي يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى .

رواية أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى .

رواية الشيخ الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى .

سماع مظفر بن على بن محمد بن زيد بن ثابت المعروف بابن المنجم – غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب ابن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى ، قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه قال : أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ، قال أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى . قال أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة ، قال أبو محمد سليمان بن الربيع ابن هشام النهدىّ الخزّاز ، قال أبو الفضل نصر بن مزاحم :

قواد معاوية

عن عمر قال : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، أن معاوية بعث على ميمنته ذا الكَلَاع ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلَمة الفِهرىّ . وعلى مقدمته من يومَ أقبل من دمشق أبا الأعور السُّلمىّ ، وكان على خيلْ أهل دمشق ، وعمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلِّها[1] ؛ و [جعل] مُسلم بن عقبة المرىّ على رجّالة أهل دمشق ، والضحاك بن قيس على رجَّالة الناس كلهم[2] ، وبايع رجالٌ من أهل الشام على الموت ، فعقَّلوا أنفسهم بالعمائم[3] ، فكانوا خمسة صفوف معقَّلين[4] ، وكانوا يخرجون فيصطفُّون أحد عشر

الفدائيون

(١) وكذا فى الطبرى (٦ : ٦) لكن فى ح (١ : ٣٤٧) : « أبا الأعور السلمى وكان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص ومعه خيول الشام بأسرها » ، تحريف .

(٢) وكذا فى الطبرى . لكن فى ح : « على سائر الرجالة بعد » .

(٣) أى جعلوا العمائم لهم بمثابة العقل — جمع عقال . وفى الأصل : « فعلقوا » ، تحريف صوابه فى ح والطبرى . وسيأتى فى هذا الكتاب قوله : « وقد قيدت علك أرجلها بالعمائم » .

(٤) فى الأصل : « معلقين » ، صوابه فى ح والطبرى .

صفاً[1] ، ويخرج أهل العراق فيصطفون أحدعشر صفاً . فخرجوا أول يوم من صفر (من سنة سبع وثلاثين) ، وذلك يوم الأربعـــاء ، فاقتتلوا ، وعَلَى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتَر ، وعلى أهل الشام حبيب ابن مسلمة ، فاقتتلوا قتالا شديداً جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض . ثم خرج (فى اليوم الثانى) هاشم بن عتبة فى خيل ورجال حسنٍ عددها وعُدّتها ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمى فاقتتلوا يومَهم ذلك ، تحمل الخيلُ على الخيل ، والرِّجالُ على الرجال ، ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضُهم لبعض . وخرج (اليومَ الثالث) عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشدِّ القتال ، وجعل عمّار يقول : « يا أهل الإسلام[2] ، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغى على المسلمين وظاهَرَ المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبى ، صلى الله عليه ، فأسلم وهو والله فيما يُرَى[3] راهب غير راغب ؛ وقبض الله رسوله صلى الله عليه وإنّا واللهِ لنعرفه بعداوة المسلم ومودّة المجرم ؟ ألا وإنّه معاوية ، فالعنُوهُ لعنهُ الله ، وقاتِلوه فإنه ممن يطفئ نور الله ، ويظاهر أعداء الله » .

القتال بعد المحرم

نضال عمار بن ياسر

وكان مع عمّارٍ زياد بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل فى الخيل ، فحمل وصبروا له ، وشدّ عمّار فى الرجّالة فأزالَ عمرَو بن العاص عن موقفه ، وبارز يومئذ زيادُ بن النضر أخاً له [لأمّه[4]] من بنى

---

(١) الطبرى : « وكانوا يخرجون ويصفون عشرة صفوف » .
(٢) فى ح : « يا أهل الشام » ، فقد يكون ذلك إغراء لهم بصاحبهم وحثا لهم على الخلاف عليه . وعند الطبرى : « يا أهل العراق » يخاطب أصحابه .
(٣) الطبرى : « نرى » .
(٤) هذه التكملة من الطبرى .

عامر يقال له معاوية بن عمرو العُقيلىّ[١] ـ وكانت أُمُّها هندُ امرأةً من بنى زبيد ـ فلما ألتقيا تساءلا[٢] وتواقفا ، ثم انصرف كلٌّ واحدٍ منها عن صاحبه ، ورجع النَّاسُ يومَهم ذاك .

حديث لواء عمرو

نصر : أبو عبد الرحمن المسعودى ، حدثنى يونس بن الأرقم بن عوف ، عن شيخ من بكر بن وائل قال :

كنَّا مع علىٍّ بصفين ، فرفع عمرو بن العاص شُقَّةَ خميصةٍ سوداء فى رأس رمح ، فقال ناس : هذا لواءٌ عقده له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يزالوا كذلك حتى بلغ عليًّا ، فقال : هل تدرون ما أمر هذا اللواء ؟ إنَّ عدوّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقَّة فقال : « من يأخذها بما فيها ؟ » ، فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله ؟ قال : « فيها أن لا تقاتل به مسلما ، ولا تقرِّبه من كافر[٣] » ، فأخذها ، فقد والله قرَّبه من المشركين ، وقاتل به اليوم المسلمين[٤] . والذى فلق الحبّة وبرأ النَّسَمة ما أسلَموا ولكن استسلَموا ، وأسرُّوا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عدواتهم منَّا[٥] ؛ إلاَّ أنهم لم يدعوا الصلاة .

القول فى إيمان أهل الشام

نصر : أخبرنى عبد العزيز بن سياه ؛ عن حبيب بن أبى ثابت قال : لما كان قتال صفين قال رجل لعمار : يا أبا اليقظان : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا الناس حتى يسلموا ، فإذا أسلموا عصموا منِّى دماءهم وأموالهم » ؟ قال : بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسرُّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا[٦] .

---

(١) الطبرى : « يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عقيل » .

(٢) ليست فى ح . وفى الطبرى : « تعارفا » . وفى الأصل : « تسايلا » .

(٣) الضمير للواء . وفى ح : « بها » فى الموضعين ، أى الشقة .

(٤) ح : « قربها » و « قاتل بها » .

(٥) ح : « فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه » . ولم يرو سائر هذه الفقرة .

(٦) فى الأصل : « أهوانا » ، صوابه فى ح .

نصر : عبد العزيز ، قال حبيب بن أبى ثابت قال : حدثنى منذر الثورى[1] قال : قال محمد بن الحنَفَيّة : لما أتاهم [رسول] الله من أعلى الوادى ومِن أسفله ، وملأ الأودية كتائب[2] استسلموا حتى وجدوا أعواناً .

نصر ، عن فِطْر بن خليفة[3] ، عن منذر الثورى قال عمار بن ياسر : والله ما أسلم القومُ ولكن استسلَمُوا وأسرُّوا الكفر حتَّى وجدوا عليه أعواناً .

ماورد من الأحاديث فى شأن معاوية

نصر ، عن الحكم بن ظهير ، عن إسماعيل ، عن الحسن ، و[قال : وحدثنا] الحكم [أيضاً] ، عن عاصم بن أبى النَّجود[4] ، عن زِرّ بن حُبيش[5] ، عن عبد الله بن مسعود قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إذا رأيتم معاوية بن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه » . قال الحسن : فما فَعَلوا ولا أفْلَحوا .

نصر : عمرو بن ثابت ، عن إسماعيل ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى

---

(١) هو المنذر بن يعلى الثورى ، أبو يعلى الكوفى. ترجم له فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « منذر العلوى » لعلها « الكوفى » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) فى الأصل : « وملئوا » . ح : « وملأ الأودية كتائب — يعنى يوم فتح مكة » .

(٣) فطر بكسر الفاء ، بن خليفة المخزومى مولاهم ، أبو بكر الحناط . انظر تهذيب التهذيب والمعارف ومشارق الأنوار (٢ : ١٦٨) . وفى الأصل : « قطرب » تحريف .

(٤) هو عاصم بن بهدلة الأسدى مولاهم الكوفى المقرئ ، كان حجة فى القراءة ، قرأ على عبد الرحمن السلمى ، وزر بن حبيش . ويعرف بابن أبى النجود ، بفتح النون . وبهدلة أمه كما فى القاموس . توفى سنة ١٢٨ . انظر تهذيب التهذيب والمعارف ٣٢١ .

(٥) زر ، بكسر أوله وتشديد الراء ، بن حبيش ، بالتصغير ، بن حباشة ، بالضم ، الأسدى الكوفى ، كان أعرب الناس ، وكان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية . مات سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وعشرين سنة . انظر تهذيب التهذيب والمعارف ١٨٨ والإصابة ٢٩٦٥ .

فاقتلوه » . قال : فحدثنى بعضهم قال : قال أبو سعيد الخدرى : فلم نفعل ولم نفلح .

نصر ، عن يحيى بن يعلى ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال : قال عبد الله بن عُمَر [1] : إنَّ معاويةَ فى تابوتٍ فى الدَّرَك الأسفلِ من النَّار . ولولا كلمةُ فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ ما كان أحدٌ أسفلَ من معاوية .

نصر ، عن يحيى بن سلمة بن كُهيل ، عن أبيه ، عن سالم بن أبى الجعد [2] عن أبى حرب بن أبى الأسود [3] عن رجلٍ من أهل الشام عن أبيه قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : شرُّ خلق الله خمسة : إبليس ، وإبنُ آدم الذى قتل أخاه ، وفرعونُ ذو الأوتاد ، ورجلٌ من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم ، ورجلٌ من هذه الأمة يُبايع على كفره عند باب لُدّ [4] » . قال الرجل : إنى لما رأيت معاوية بايَع عند باب لُدٍّ ذكرتُ قولَ رسول الله ، فلحقتُ بعلىٍّ فكنتُ معه .

نصر ، عن جعفر الأحمر ، عن ليث عن مجاهد ، عن عبد الله بن عُمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يموت معاوية على غير الإسلام » .

عن جعفر الأحمر ، عن ليث ، عن محارب بن زياد ، عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يموت معاوية على غير مِلّتى » .

---

(١) فى الأصل : « عبد الله بن عمرو » ، تحريف .

(٢) هو سالم بن أبى الجعد رافع الغطفانى الأشجعى مولاهم . مات سنة سبع أو ثمان وتسعين ، وقيل مائة . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو حرب بن أبى الأسود الديلى البصرى ، ثقة ، قيل اسمه محجن ، وقيل عطاء . مات سنة ١٠٨ . تهذيب التهذيب .

(٤) لد ، بالضم والتشديد : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين .

نصر ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن عدى بن ثابت عن البراء ابن عازب قال : أقبل أبو سفيان ومعه معاويةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم الْعن التَّابعَ والمتبوع . اللَّهم عليكَ بالأُقيعس » . فقال ابن البراءِ لأبيه : من الأُقيعِس ؟ قال : معاوية .

نصر ، عن قيس بن الربيع وسليمان بن قَرْم[1] ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن الحارث بن سعيد ، عن على قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فشكوت إليه ما لقِيتُ من أمّته من الأَوَد واللَّدَد ، فقال : « انظُرْ ! » ، فإذا عمرُو بن العاص ومعاوية معلَّقين منكَّسين تُشدَخ رءُوسهما بالصَّخر .

نصر ، عمر حدثنى يحيى بن يعلى بن عبد الجبار بن عباس ، عن عَمّار الدُّهْنىّ[2] ، عن أبى المَثَنَّى ، عن عبد الله بن عُمر قال : ما بينَ تابوتِ معاويةَ وتابوت فرعونَ إلاَّ درجة ، وما انخفضت تلك الدرجةُ إلا أنَّه قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ .

نصر ، عن أبى عبد الرحمن قال : حدثنى العلاءُ بن يزيد القرشى ، عن جعفر بن محمد قال : دخل زيد بن أرقم على معاويةَ ، فإذا عمرو ابن العاص جالسٌ معه على السرير ، فلما رأى ذلك زيدٌ جاءَ حتّى رمى بنفسِهِ بينهما ، فقال له عمرُو بن العاص : أمَا وجدتَ لك مجلساً إلاَّ أن تقطع بينى وبين أمير المؤمنين ؟ فقال زيد : إن رسول الله غزا غزوةً وأنتما معه ، فرآكما مجتَمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ، ثم رآكما اليومَ الثانىَ واليومَ الثالث ، كلَّ ذلك يُديم النَّظرَ إليكما ، فقال فى اليوم

---

(١) هو سليمان بن قرم — بفتح القاف وسكون الراء — بن معاذ أبو داود البصرى النحوى . قال ابن حجر : «سيء الحفظ ، يتشيع ، من السابعة» . تقريب التهذيب . وفى الأصل : «بن قوم» تحريف .

(٢) هو عمار بن معاوية الدهنى ، بضم الدال المهملة وسكون الهاء بعدها نون ، أبو معاوية البجلى الكوفى ، صدوق يتشيع ، من الخامسة . تقريب التهذيب .

الثالث : « إذا رأيتم معاويةَ وعَمرَو بن العاص مجتمعَين ففرِّقوا بينهما ؛ فإنَّهما لن يجتمعا على خير[١] » .

نصر ، عن محمد بن فُضَيل[٢] ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن سليمان ابن عمرو بن الأحوص الأزدىّ قال : أخبرنى أبو هلال أنه سمع أبا بَرْزَة الأسْلَمىّ يقول : إنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمِعوا غِناءً فتشرَّفوا له ، فقام رَجلٌ فاستمع له ، وذاك قبل أن تُحرَّم الخمر ، فأتاهم ثم رجع فقال : هذا معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول :

يزال حَـوارىٌّ تاوح عظـامُه ... زَوى الحربَ عنه أن يُحَسَّ فيُقبرا[٣]

فرفع رسول الله يديه فقال : « اللهم أرْكِسْهم فى الفتنة رَكْساً . اللهم دُعَّهم إلى النار دعّا[٤] » .

نصر ، عن محمد بن فُضَيل ، عن أبى حمزةَ الثُّمالى[٥] ، عن سالم ابن أبى الجعد ، عن عبد الله بن عمر قال : إنَّ تابوت معاوية فى النار فوق تابوت فرعون ؛ وذلك بأنَّ فرعون قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ .

نصر : شريك ، عن ليث ، عن طاوس ، عن عبد الله بن عُمر قال :

---

(١) الكلام التالى إلى كلمة : « فاقتلوه » التى ستأتى فى ص ٢٢١ محذوف من طبعة بيروت .

(٢) هو محمد بن فضيل بن غزوان الضبى مولاهم ، أبو عبد الرحمن الكوفى . صدوق رمى بالتشييع . مات سنة خمس وتسعين ومائة . تهذيب التهذيب .

(٣) فى اللسان : « وحكى بعضهم زلت أفعل ، أى ما زلت » . والحس : القتل الشديد . وفى الكتاب : (إذ تحسونهم بإذنه) .

(٤) الإركاس والركس : الرد والإرجاع . وفى التنزيل : (والله أركسهم بما كسبوا) . والدع : الدفع الشديد . وفى الكتاب : (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) . وقد ورد الحديث فى اللسان (ركس) بلفظ : « اللهم اركسهما فى الفتنة ركساً » . وجاء فى اللسان (دع) : « اللهم دعها إلى النار دعاً » ، صوابه : دعهما » .

(٥) هو ثابت بن أبى صفية الثمالى ، بضم المثلثة ، أبو حمزة . واسم أبيه دينار وقيل سعيد ، كوفى ضعيف رافضى من الخامسة ، مات فى خلافة أبى جعفر . تقريب التهذيب .

أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : « يطلُع عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ يموت حين يموت وهو على غير سُنَّتى » . فشَقَّ علىَّ ذلك وتركتُ أبى يلبس ثيابه ويجىءُ ، فطلع معاوية .

نصر ، عن بَليدِ بن سُليمان[1] ، حدثنى الأعمش ، عن على بن الأَقمر[2] قال : وفدنا على معاويةَ وقضينا حوائجَنا ثم قُلنا : لو مررْنا برجلٍ قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاينَه . فأَتينا عبدَ الله ابن عُمر فقلنا : يا صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَدِّثْنا ما شهدتَ ورأيت . قال : إنَّ هذا أرسَل إلىَّ - يعنى معاوية - فقال : لئن بلغنى أنَّك تحدِّثُ لأَضربَنَّ عنقك . فجثوتُ على ركبتَى بين يديه ثمّ قلتُ : ودِدت أنَّ أحَدَّ سيفٍ فى جُنْدك[3] على عنقى . فقال : واللهِ ما كنتُ لأُقاتلك ولا أَقتُلَك . وأَيمُ اللهِ ما يمنعُنى أن أُحدِّثكم ما سمعت[4] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ فيه . رأَيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسَلَ إليه يدعوه - وكان يكتُبُ بين يديه - فجاءَ الرسول فقال : هو يأْكل . فقال : لا أَشبَع اللهُ بطنَه فهل تُرَونَه يشبع ؟ قال : وخرج من فجٍّ فنظر رسولُ الله إلى أبى سفيان وهو راكبٌ ومعاويةُ وأَخوه ، أحدهما قائد والآخر سائِق ، فلما نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ٱلْعن القائد والسائق والراكب » . قلنا : أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم : وإلا فصَمَّتَا أُذناى ، كما عميتَا عيناى .

---

(١) هو تليد ، بفتح التاء المثناة ، بن سليمان المحاربى ، أبو سليمان أو أبو إدريس الكوفى الأعرج ، رافضى ضعيف . قال صالح جزرة : كانوا يسمونه « بليداً » يعنى بالموحدة . مات سنة تسعين ومائة . تقريب التهذيب . وقد ورد « بليد » ها هنا بالموحدة فأثبته كما هو .

(٢) هو على بن الأقمر بن عمرو الهمدانى الوادعى ، كوفى ثقة . تقريب التهذيب .

(٣) فى الأصل : « جسدك » .

(٤) فى الأصل : « ما سمعت من » . وكلمة « من » مقحمة .

نصر ، عن عبد العزيز بن الخطاب ، عن صالح بن أبى الأسود ، عن إسماعيل ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم معاوية على منبرى يخطب فاقتلوه » .

قتال ابن الحنفية وابن عمر

قال نصر : ثم رجع إلى حديث عَمرو بن شَمِر ، قال :

فلما كان من الغد خرج محمد بن على بن أبى طالب ، وخرج إليه عُبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جَمعين عظيمين فاقتتلوا كأشدِّ القتال. ثم إنَّ عُبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية[1] : أن اخرجْ إلىّ أُبارزْك . قال له : نعم . ثم خرج إليه يمشى ، فبصُر به علىٌّ فقال : مَن هذان المتبارزان ؟ فقيل له : ابنُ الحنفيّة وابن عمر . فحرّك علىٌّ دابّتَه ثم دعا محمداً فوقف له فقال : أَمسِك دابتى . فأمسكها له ثم مشى إليه فقال : أنا أُبارزُك فهلمَّ إلىّ . قال : ليس لى فى مُبارزتك حاجة. قال : فرجع ابن عُمر وأخذ ابنُ الحنفية يقول لأبيه : منعتَنى من مبارزته ، فوالله لو تركتَنى لرجوتُ أن أقتلَه . قال : يَا بنىَّ ، لو بارزتُه أنا لقتلتُه ، ولو بارزتَه أنت لرجوتُ أن تقتلَه ، وما كنت آمَنُ أن يقتلَك . ثم قال : يا أَبَهْ أتبرُز بنفسِك إلى هذا الفاسق اللئيم عَدُوّ الله ؟ والله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبتُ بِك عنه . فقال : يا بنىَّ [لا تذكر أباه ولا] تقل فيه إلا خيراً[2] . يرحمُ الله أباه .

ثم إن الناس تحاجزوا وتراجَعوا . فلمّا أنْ كان (اليومُ الخامس) خرجَ عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً ،

(١) هو محمد بن على بن أبى طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابنى على ، بيد أن والدة هذين هى فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هى خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . توفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) ح (١ : ٤٨٠) : « لأبيه إلا خيراً » .

قتال عبد الله ابن العباس والوليد بن عقبة

ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة. فأخذ الوليد يسبّ بنى عبد المطلب[1] وأخذ يقول : يا ابن عبّاس قطّعتم أرحامكم ، وقتلتم إمامكم ، فكيف رأيتم صُنع الله بكم ، لم تُعطَوا ما طلبتم ، ولم تُدْرِكوا ما أمّلتم ، والله — إن شاءَ الله — مُهلكُكُم وناصرُنا عليكم[2] . فأرسل إليه ابن عباس : أن ابرُز إلىّ . فأبى أن يفعل ، وقاتل ابنُ عبّاسٍ يومئذ قتالاً شديداً . ثم انصرفوا عند الظهر وكلٌّ غيرُ غالب . وذلك يومَ الأحد[3] .

نصر ، عن عمر بن سعد ، قال : أبو يحيى عن الزهرى قال :

لحاق شمر بعلى

وخرج فى ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميرى ، فلحق بعلى عليه السلام فى ناس من قراءِ أهل الشام ، ففتَّ ذلك فى عضد معاوية وعمرو بن العاص ، وقال عمرو : يا معاوية ، إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة ، ورحم ماسَّة ، وقَدَم فى الإسلام لا يعتدُّ أحد بمثله ، ونجدةٌ فى الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله[4] ، وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد صلى الله عليه المعدودين ، وفرسانهم وقرَّائهم وأشرافهم وقدمائهم فى الإسلام ، ولهم فى النفوس مهابة . فبادِرْ بأهل الشام مخاشنَ الوعر ، ومضايق الغَيْض[5] ؛ واحملهم على الجهد ،

---

(١) ح : « فأكثر من سب بنى عبد المطلب » .

(٢) ح : « والله إن شاء أهلكم وناصر عليكم». وما فى الأصل يوافق ما فى الطبرى (٦ : ٧).

(٣) بعد هذه الكلمة فى الأصل كلام ناقص لم يرد فى ح وهو : « وخرج شمر بن أبرهة ابن الصباح الحميرى فلحق بعلى فى ناس من قراء أهل الشام ، فلما رأى ذلك معاوية وعمرو وما خرج إلى على من قبائل أهل الشام وأشرفهم » . وانظر ما يلى .

(٤) النجدة : الشجاعة وشدة البأس .

(٥) الغيض : القليل ؛ ومنه : فلان يعطى غيضا من فيض . ح : (١ : ٤٨١) : « مخاشن الأوعار ومضايق الغياض » .

وأْتِهِمْ من بابِ الطمع قبل أن ترفِّههم فيحدثَ عندهم طول المقام مللا ، فيظهر فيهم كآبة الخذلان. ومهما نسيتَ فلا تنسَ أنَّك على باطل .

فلما قال عمرو لمعاوية ذلك زوّق معاوية خطبةً ، وأمر بالمنبر فأُخرج ، ثم أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته ، فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال :

خطبة معاوية فى حضرة أجناد الشام

أيها الناس أَعِيرونا أنفسكم وجماجمكم ، لا تفشلوا ولا تخاذلوا[1] ؛ فإن اليوم يوم خِطارٍ ، ويوم حقيقةٍ وحِفاظ ؛ فإنكم على حق وبأيديكم حجة[2] وإنما تقاتلون مَنْ نكث البيعة ، وسفك الدم الحرام ، فليس له فى السماء عاذر .

خطبة عمرو

ثم صعد عمرو بن العاص مِرقاتين من المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[3] : أيها الناس ، قدِّموا المستلئمة ، وأخِّروا الحاسر ، وأعيروا جماجمَكم ساعةً ؛ فقد بلغ الحقُّ مَقْطَعه ، وإنما هو ظالم ومظلوم[4] .

نصر : عمر بن سعد ، عن أبى يحيى ، عن محمد بن طلحة ، عن أبى سنان الأسلمى قال : لما أُخبرَ على بخطبة معاويةَ وعمرٍو ، وتحريضِهما الناسَ عليه أَمَر الناس فجُمعوا . قال : وكأنِّى أنظر إلى علىّ متوكِّئاً على قوسه ، وقد جمع أصحابَ رسول الله صلى الله عليه عنده ، فهم يَلُونه . [وكأنه] أحبّ أن يُعلم الناسَ أنَّ أصحابَ رسول الله متوافرون عليه[5] ، فحمد الله ثم قال :

خطبة على فيما كان من تحريض معاوية وعمرو

أيها الناس ، اسمعوا مقالتى ، وعُوا كلامى ، فإنَّ الخيلاء من التجبُّر ،

(١) ح : « لا تقتلوا ولا تتجادلوا » .
(٢) فى الأصل : « ولكم حجة » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) الكلام من : « ثم صعد » إلى هنا ، ليس فى ح ، فإن ابن أبى الحديد جعل كلام عمرو من بقية خطبة معاوية . والحق أنهما خطبتان كما سيظهر مما يلى . وانظر البيان والتبيين ٢ : ٢٨٥ .
(٤) فى الأصل : « فإنه هو ظالم أو مظلوم » ، وأثبت ما فى ح .
(٥) ح : « متوافرون معه » .

وإن النَّخوة من التكبُّر ، وإنَّ الشيطانَ عدوٌّ حاضر ، يعِدُكم الباطل . ألا إنَّ المسلم أخو المسلم ، [ف] ــلا تنابَذُوا ولا تخاذلوا ؛ فإنَّ شرائع الدين واحدة وسُبلَه قاصدة ، مَن أخذ بها لَحِق ، ومن تركها مَرَق ، ومن فارقها مُحِق . ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن ولا بالمخلف إذا وعد ، ولا بالكذاب إذا نطَق . نحن أهلُ بيت الرحمة ، وقولنا الصدق ، ومن فعالنا القصد[1] ، ومنَّا خاتَمُ النبيين ، وفينا قادة الإسلام ، ومنا قُرّاء الكتاب[2] ، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوِّه ، والشدة فى أمره ، وابتغاءِ رضوانه ، وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان ، وتوفير الفيءِ لأهله[3] . ألا وإنَّ من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص السَّهمى ، أصبحا يحرِّضان الناسَ على طلب الدين بزعمهما. وقد علمتم أنِّى لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم قطُّ ، ولم أعصِهِ فى أمرٍ قطُّ . أقيه بنفسى فى المواطن التى ينكِص فيها الأبطال ، وتُرعَد فيها الفرائص . نَجدةٌ[4] أكرمنى الله بها ؛ فله الحمد . ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنَّ رأسه لفى حِجرى ، ولقد وَلِيت غسلَه بيَدى وحدى ، تقلِّبه الملائكة المقرَّبون معى . وأيم اللهِ ما اختلفتْ أُمةٌ قطُّ بعد نبيِّها إلا ظَهر أهلُ باطلها على [أهل] حقِّها ، إلا ما شاء الله .

تغيب عمار . قال : فقال أبو سنان الأسلمى[5] : فسمعت عمَّار بن ياسر يقول : أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنَّ الأُمة لن تستقيم عليه [أوّلاً ، وأنها لن

---

(١) ح : « وفعلنا الفضل » .

(٢) ح : « وفينا حملة الكتاب » .

(٣) ح : « على أهله » .

(٤) ح : « بنجدة » .

(٥) فى الأصل : « الأسدى » ، وأثبت ما فى (١ : ٤٨) مطابقاً ما مضى فى ص ٢٢٣ .

تستقيم عليه آخراً] . ثم تفرق الناس وقد نفذت بصائرهم فى قتال عدوهم ، [فتأهَّبوا واستعدُّوا] .

خطبة لعلى

نصر : عمرو بن شمر (١) ، عن مالك بن أعين ، عن يزيد بن وهب ، أن عليًّا قال فى هذه الليلة : « حتى متى لا نناهض القومَ بأجمعنا ؟ » .

قال : فقام فى الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر فقال :

الحمد لله الذى لا يُبرم ما نقَض ، ولا يُنقَض ما أبرم . ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأُمة ولا مِنْ خلقه ، ولا تنازعت الأُمة (٢) فى شىء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضلَه . وقد ساقتنا وهؤلاء القومَ الأقْدارُ حتى لَفَّتْ (٣) بيننا فى هذا المكان ، فنحن من ربِّنا بمرأى ومسمع ؛ فلو شاء لعجَّل النقمة ولكان منه التغيير (٤) حتى يكذب الله الظالم ويُعلم الحقُّ (٥) أين مصيره ، ولكنه جعل الدُّنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرةَ عنده دار [الجزاء] والقرار ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . ألا إنَّكم لاَقُو العدوِّ غداً إن شاء الله . فأطيلوا الليلةَ القيام ، وأكثِروا تلاوةَ القرآن ، واسألوا الله الصبر والنَّصر ، والقَوْهم بالجِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين .

التأهب للقتال وشعر كعب ابن جعيل

ثم انصرف ووثب النَّاسُ إلى سيوفهم ورِماحهم ونبالهم يصلحونها ، فمرَّ عليهم كعب بن جُعيل التغلبى وهو يقول :

أصبحت الأُمّةُ فى أمرٍ عجَبْ والمُلك مجموعٌ غداً لمن غلبْ

---

(١) ح : « عمر بن سعد » .
(٢) ح : « ولا تنازع البشر » .
(٣) فى الأصل : « ألفت » وأثبت ما فى ح . الطبرى (٦ : ٨) : « فلفت » .
(٤) فيه إشارة إلى قول الله : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . وفى ح : « النصر » ، وأثبت ما فى الأصل مطابقاً ما فى الطبرى .
(٥) ح فقط : « المحق » .

فقلتُ قولاً صادقاً غير كـذبْ إنَّ غداً يهلك أعـلامُ العـربْ
غـداً نُلاقِى ربَّنـا فنحتسِبْ يارب لا تُشمِت بنا ولا تُصِبْ[1]
من خَلَع الأَنْدادَ كُـلاًّ والصُّلُبْ غداً يكونون رماداً قـد كُثِبْ
بعد الجمالِ والحياءِ والحَسبْ

عقد الألوية وتأمير الأمراء

فلما كان الليل خرج علىّ فعبّأَ الناسَ ليلتَه كلَّها حتّى أَصبح ، وعقد الأَلوية وأَمَّر الأُمراءَ ، وكتَّب الكتائب. وبعث علىٌّ منادياً فنادى: يا أَهل الشام ، اغدوا على مصافِّكم . فضجَّ[2] أَهل الشام فى عسكرهم ، واجتمعوا إلى معاوية ، فعبَّأَ خيله وعقد الأَلوية وأَمَّر الأُمراءَ ، وكتَّب الكتائب ، ثم نادىٰ معاوية : أَين الجند المقدَّم ؟ فخرج أَهل حمص فى رايتهم عليهم ذو الكَلاَع الحميرىَ[3] . ثم نودى : أَين أَهل الأُردن ؟ فخرجوا فى راياتهم عليهم [أَبو الأَعور] سفيان بن عمرو السّلمى . ثم نودىَ : أَين أَهل قنَّسرين ؟ فجاءُوا فى راياتهم عليهم زفر بن الحارث. ثم نودىَ : أَين جند الأَمير ؟ فجاءَ أَهل دمشق على راياتهم وهم القلب ، وعليهم الضَّحاك بن قيس الفهرى ، فأَطافوا بمعاوية . وسار أَبو الأَعور وسار عمرو بن العاص [ومن معهُما] حتى وقفوا قريباً من أَهل العراق ، فنظر إليهم عمرو فاستقلَّهم وطمع فيهم ، وكان أَهل الشام أَكثر من أَهل العراق بالضِّعف . ثم رَجع عمرو بن العاص إلى معاوية فقال : قد

نصيحة عمرو لمعاوية

عرفتَ ما بيننا من العهد والعقدِ ، فاعصِبْ هذا الأَمرَ برأْسى ، وأَرسِلْ إلى أَبى الأَعور [فنحِّهِ عنى ودَعْنى والقوم . فأَرسل معاوية إلى أَبى الأَعور] :

(١) فى الأصل : « لا تعب » ، صوابه فى ح (١ : ٤٨٢) .
(٢) فى الأصل : « فصيح » ، صوابه فى ح (١ : ٤٨١) .
(٣) فى الأصل : « أبو الأعور السلمى » ، وهو تحريف فإن أبا الأعور السلمى هو سفيان بن عمرو السلمى الذى سيأتى ذكره . وأما من كان على أهل حمص فهو ذو الكلاع الحميرى كما سبق فى ص ٢٠٦ .

إنّ لأبى عبد الله رأياً وتجربةً ليست لى ولا لك ، وقد ولّيته أعنّةَ الخيل، فسر حتّى تقف أنت وخيلك على تلّ كذا ، [ودعه والقوم . فسار أبو الأعور] ، فأقبل عمرو بن العاص ثم نادى ابنَه : يا عبد الله بن عمرو . قال : لبَّيك . وقال : يا محمد بن عمرو . قال : لبَّيك . قال : قدِّما لى هذه الدُّرَّع وأخِّرا عنِّى هذه الحُسَّر ، وأقيما الصَّفَّ قَصَّ الشَّارب ؛ فإنَّ هؤلاءِ قد جاءُوا بخطَّةٍ بلغت السماء . فمشيا برايات‍هما وعَدَّلا الصفوف، وسار بينهما عمرو حتى عدَّل الصفوف ، وأحسن الصّفَّ ثانية ، ثم حمل قيساً وكلباً وكنانة على الخيول ، ورجَّل سائرَ الناس ؛ وقعد على مِنبره وأحاط به أهل اليمن وقال : لا يقربنَّ هذا المِنبر أحدٌ إلاّ قتلتموه كائناً من كان .

تكتيب الكتائب

نصر ، عن عمر ، عن الحارث بن حصيرة وغيره قال : لما قام أهل الشام وأهل العراق وتواقفوا وأخذوا مصافَّهم للقتال ، قال معاوية : مَن هؤلاء فى الميسرة ؟ ميسرة أهل العراق . قالوا : ربيعة . فلم يجد فى أهل الشام ربيعة . فجاء بحمير فجعلهم بإزاء ربيعة على قُرعة أقرعها من حمير وعكّ ، فقال ذو الكلاع : « بِاستك من سهمٍ لم تبغ الضِّراب [1] ». كأنَّه أنف من أن تكون حمير بإزاء ربيعة ، فبلغ ذلك الخندف الحنفى [2] ، فحلف بالله لئن عاينه ليقتلنَّه أو ليموتنَّ دونه . فجاءتْ حمير حتى وقفت بإزاء ربيعة ، وجعل السَّكونَ والسكاسك بإزاء كِندة وعليها الأشعث ، وجعل بإزاء همدان من أهل العراق الأَزد وبجيلة ، وبإزاء مذحج من أهل العراق عَكاًّ . فقال راجزٌ من أهل الشام :

راجز الشامى وعمرو بن العاص

ويلٌ لأُمِّ مذحجٍ من عكٍّ ... وأُمُّهم قائمة تُبَكِّى
نصكُّهم بالسَّيف أىَّ صكٍّ ... فلا رجالَ كرجال عكٍّ

(١) يعنى على سهام القرعة التى لم تأت بما أنت به مريدة .
(٢) ح (١ : ٤٨٢) : « جحدراً الحنفى » .

وجعل بإزاءِ التَّيم[1] من أهل العراق هوازن وغطفان وسُليماً ، وقد قيَّدت عكٌّ أرجلَها بالعمائم ، ثمَّ طرحوا حجراً بين أيديهم وقالوا : لا نفرّ حتَّى يفر هذا الحَكَرُ (بالكاف) ـ وعكٌّ تقلب الجيم كافاً ـ وصَفَّ القلب خمسةَ صفوف ، وفَعل أهلُ العراق أيضاً كذلك[2] . قال : ثم قال عمرو بن العاص :

يـأيُّها الجندُ الصَّليبُ الإيمــانْ قوموا قياماً واستعينوا الرَّحمٰنْ
إنى أتانى خبرٌ فأَشْجَــانْ[3] أنَّ عليًّــا قتلَ ابنَ عفَّـــان
رُدُّوا علينا شيخنا كما كان

فرد عليه [أهلُ العراقِ وقالوا[4]] :

أَبتْ سيوفُ مذحِجٍ وهَمْدانْ بأَن نردَّ نَعثــلاً كما كان[5]
خلقاً جديداً مثل خلقِ الرحمنْ [ذلكَ شأْنٌ قد مضى وذا شانْ]

وصاح رجلٌ من أهل الشام[6] :

رُدُّوا علينا شيخنا ثُمَّ بَجَل[7] أو لا تكونوا جزراً من الأَسل[8]

فقال رجل من أهل العراق :

---

(١) فى الأصل : « التميم » .
(٢) فى الأصل : « كك » وهو رمز إلى كلمة « كذلك » . وفى ح : « مثل ذلك » .
(٣) أى فأشجانى . وفى ح : « ذو ألوان » .
(٤) التكملة من ح (١ : ٤٨٢) .
(٥) نعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية . وكان عثمان إذا نيل منه وعيب ، شبه بهذا الرجل المصرى لطول لحيته ، ولم يكونوا يجدون فيه عيباً غير هذا . انظر اللسان (نعثل) .
(٦) ح : « ثم نادى عمرو بن العاص ثانية يرفع صوته » .
(٧) بجل بمعنى حسب . وقبل البيت كما فى اللسان (١٤ : ٧٠) :
نحن بنى ضبة أرباب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل
(٨) الجزر : قطع اللحم تأكله السباع . والأسل : الرماح . ح :« حرزا » ، تحريف .

كيف نردُّ نعثلا وقد قَحَل [1] نحن ضربنا رأسَه حتى انجفلْ [2]
لمَّا حكى حكم الطَّواغيت الأُوَلْ وجار فى الحكم وجارَ فى العملْ [3]
وأبدل الله به خَير البدلْ أقدم للحرب وأنْكَى للبطلْ [4]

وقال إبراهيم بن أوس بن عبيدة السلمى ، من أهل الشام :

لله در كتائب جاءتكُم تبكى فوارسُها على عثمان
سبعون ألفاً ليس فيهم قاسط يتلُون كلَّ مفصَّل ومَثان
يَسَلُون حقَّ اللهِ لا يَعْدُونه ومجيئكم الملكِ والسُّلطانِ [5]
فَأْتوا ببيِّنةٍ على ما جئتمُ أو لا فحسبكم من العُدوانِ
وأْتُوا بما يمحُو قِصاص خليفة للهِ ، ليس بكاذبٍ خَوّانِ

تعبية الناس

قال : وبات علىٌّ ليلتَه كلَّها يعبِّى الناس ، حتى إذا أصبح زحف بالنَّاس وخرج إليه معاويةُ فى أهلِ الشَّام ، فأخذ علىٌّ يقول : مَنْ هذه القبيلة ؟ ومَن هذه القبيلة ؟ يعنى قبائل أهل الشام — فيُسَمُّونَ له . حتَّى إذا عرفهم وعرف مراكزَهم قال للأزد : اكفونى الأزد . وقال لخثعم : اكفونى خثعما . وأمر كلَّ قبيلةٍ من أهل العراق أن تكفيَه أُختَها من أهْل الشام ، إلا قبيلةً ليس منهم بالشام أحد [6] ، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير ، فصرفهم إلى لخم [7] . ثم تناهض القوم يوم

قتال الأربعاء

(١) قحل : أى مات وجف جلده .
(٢) انجفل : انقلب وسقط .
(٣) هذا البيت وسابقه لم يرويا فى ح . وفى الأصل : « لما حكم »
(٤) أنكى : تفضيل من النكاية ، وهى الهزيمة والغلبة . وفى الأصل : « وألظى » ولا وجه له إلا أن جعل مقلوباً من ألظ ، ومورد هذا السماع .
(٥) يسلون : يسألون ، بإسقاط الهمزة وإلقاء حركتها على السين .
(٦) ح (١ : ٢٨٣) : « إلا قبيلة ليس منهم بالعراق إلا القليل » ، صوابه « بالشام » .
(٧) ح : «مثل بجيلة فإن لخماً كانت بإزائها » . وفى الطبرى (٦ : ٨) : « إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشام ليس منهم بالعراق واحد ، مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام إلا عدد قليل ، فصرفهم إلى لخم » . وفى الأصل : « ففرقهم إلى لخم » صوابه من الطبرى .

الأَربعاءِ فاقتتلوا اقتتالاً شديداً نهارَهم كلَّه ، وانصرفوا عندَ المساءِ وكلٌّ غير غالب . وكان علىٌّ يركب بغلاً له يستلذُّه[1] ، فلما حضرت الحرب قال : ائتونى بفرس.[فأَتوه بفرسٍ] له ، ذَنوبٍ أَدهم[2] يقاد بشَطَنين[3] يبحث الأَرض بيديه جميعاً[4] ، له حمحمة وصهيل ، فركبه وقال : ﴿ سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . — فرس على

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن تميم ، قال : كان علىٌّ إذا سار إلى القتال ذكر اسمَ الله حين يركب ، ثم يقول : الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم ، ﴿ سُبْحَانِ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنا لمنقَلِبُونَ ﴾ . ثم يستقبل القِبلة ويرفَع يديهِ إلى الله ثم يقول : اللهمَّ إليك نُقِلَت الأَقدامُ ، وأُتعِبت الأَبدانُ ، وأَفْضَت القلوب ، ورُفعت الأَيدى ، وشَخَصت الأَبصار . ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ . سِيرُوا على بركة الله . ثم يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلاَّ الله والله أكبر . يا الله يا أَحَدُ ياصمدُ ، ياربَّ محمد . بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم . ﴿ [الحمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ . الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ]. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . اللهم كُفَّ عنا بأْس الظالمين. فكان هذا شِعارَه بصِفِّين . — هيئة على فى الركوب

(١) ح (١ : ٤٧٩) : « بغلة له يستلذها » .
(٢) الذنوب : الوافر الذنب الطويله .
(٣) الشطن : الحبل . وفى اللسان : « وفى حديث البراء : وعنده فرس مربوطة بشطنين . الشطن : الحبل ؛ وقيل هو الطويل منه . وإنما شده بشطنين لقوته وشدته » . ح : « نفار شطين » محـــرف .
(٤) فى الأصل : « يبحث بيديه الأرض جميعاً » ، والوجه ما أثبت من ح .

نصر : الأبيض بن الأغرّ[1] عن سعد بن طريف[2] ، عن الأصبغ قال : ما كان علىٌّ فى قتالٍ قطٌّ إلاَّ نادى : كٓهيعٓصٓ .

دعاؤه يوم صفين

نصر : قيس بن الربيع ، عن عبد الواحد بن حسان العجلى ، عمَّن حدثه عن علىٍّ أنه سُمع يقول يوم صفّين : اللهم إليك رُفعت الأبصار ، وبُسطت الأيدى [ونُقِلَتْ الأقدام] ، ودعت الألسن ، وأفضت القلوب ، وتُحُوكم إليك فى الأعمال ، فاحكم بيننا وبينَهم بالحق وأنت خير الفاتحين[3] . اللهم إنا نشكو إليك غَيبة نبيِّنا ، وقلَّة عددِنا ، وكثرةَ عدوِّنا وتشتُّتَ أهوائِنا ، وشدّةَ الزمان ، وظُهور الفِتَن . أعِنَّا عليهم بفتحٍ تعجِّله ، ونصرٍ تُعِزُّ به سلطانَ الحق وتُظهِره .

دعاء على عند الخروج إلى الحرب

نصر : عمرو بن شمر ، عن عمران ، عن سلام بن سويد قال : كان علىٌّ إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابته وقال : « الحمد لله ربِّ العالمين على نعمه علينا وفضله العظيم . ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا له مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون ﴾ . ثم يوجه دابَّته إلى القِبلة ، ثم يرفع يديه إلى السماء ثم يقول : « اللهم إليك نُقِلت الأقدام ، وأفضت القلوب ورُفعت الأيدى ، وشخصت الأبصار . نشكو إليك غيبة نبيِّنا ، وكثرة عدوِّنا ، وتشتُّت أهوائِنا . ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ ﴾ . سيروا على بركة الله ». ثم [يحمل فـ] يُورد ، والله ، من اتَّبعه [ومَن حادَّه[4]] حياض الموت .

(١) هو الأبيض بن الأغر بن الصباح الكوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . روى عن صالح بن حيان ، ومجالد ، وعبيدة الضبى ، وروى عنه مروان بن معاوية ، ويحيى بن حسان التيمى . لسان الميزان .

(٢) سعد بن طريف الإسكاف الحنظلى الكوفى ، كان رافضياً ، وترجم له فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « بن سعد بن ظريف » كأنه تتمة للرجل قبله . والصواب ما أثبت .

(٣) الفاتح : القاضى الحاكم . وفى اللسان : « ويقال للقاضى الفتاح لأنه يفتح مواضع الحق . وقوله تعالى : ربنا افتح بيننا : أى اقض بيننا » .

(٤) المحادة : المعاداة والمخالفة .

تغليسه بالغداة

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه قال : لما كان غداة الخميس [لسبعٍ خلوْن من صفر من سنة سبعٍ وثلاثين] ، صلى عليٌّ فغلَّس بالغَداة ، ما رأيت عليًّا غلَّس بالغداة أشدَّ من تغليسه يومئذ ، ثم خرج بالنَّاس إلى أهل الشام فزحف إليهم ، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم ، فإذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزُحوفهم.

من دعاء على

قال : نصر فحدثنى [عمر بن سعد ، عن] مالك بن أعْيَنَ ، عن زَيد بن وهب أنَّ عليًّا خرج إليهم فاستقبلوه فقال : « اللهم ربَّ [هذا] السقف المحفوظ [المكفوف] ، الذى جعلته مَغِيضاً لِلَّيلِ والنَّهار[1] ، وجعلت فيه مجرَى الشَّمسِ والقَمر ، ومنازلَ الكواكب والنُّجوم ، وجعلتَ سُكَّانه سِبْطاً[2] من الملائكة لا يسأمون العبادة ؛ وربَّ هذه الأَرضِ التى جعلتها قراراً للأَنام والهوامِّ والأَنعام ، وما لا يحصى مما يُرى ومما لا يُرى من خلقك العظيم ؛ وربَّ الفُلْكِ التى تجرى فى البحر بما ينفعُ النَّاسَ ؛ وربَّ السَّحَابِ المسخَّر بين السماء والأَرض ، وربَّ البحر المسجور [المحيط] بالعالمين ، وربَّ الجبال الرَّواسى التى جعلتَها للأَرض أوتاداً وللخلق مَتاعاً ؛ إنْ أَظهرتنا على عدوِّنا فجنِّبنا البَغى ، وسدِّدنا للحق ؛ وإن أظهرتَهم علينا فارزُقنا الشهادة ، واعصم بقيّةَ أَصحابى من الفِتنة» .

خروجه بجيشه

قال : فلما رأَوه وقد أَقبل خرجوا إليه بزحوفهم[3] ، وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بُديل بن ورقاءَ الخزاعى ، وعلى ميسرته عبدالله ابن العباس وقراءُ العراق مع ثلاثة نفر : مع عمار بن ياسر : ومع قيس

---

(١) أى يغيض فيه الليل والنهار . فى الأصل : « مغيضاً الليل » ، صوابه من الطبرى (٦ : ٨) . وفى ح : « محيطاً بالليل والنهار » .
(٢) السبط : الأمة . وهذه الكلمة ساقطة من ح .
(٣) ح : « تقدموا إليه بزحوفهم » .

ابن سعد ، ومع عبد الله بن بُدَيل . والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعلىٌّ فى القلب فى أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة ، وعُظْم من معه من [أهل[1]] المدينة الأنصار ، ومعه من خزاعة عددٌ حسَن ، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة .

صفة على

وكان علىٌّ رجلاً دحداحاً[2] ، أدعج العينين ، كأنَّ وجهه القمرُ ليلةَ البدرِ حُسْناً ، ضخمَ البطن ، عريضَ المسْرُبة[3] ، شثْن الكفين، ضخم الكسور[4] ، كأنَّ عنقه إبريق فضة ، أصلع ليس فى رأسه شعر إلاَّ خُفَاف من خلفه[5] ؛ لمنكبيه مُشَاشٌ كمُشاش السَّبُع الضَّارى[6] ، إذا مشى تكفَّأ به ومارَ به جسدُه[7] ؛ له سنام كسنام الثور[8] ، لاَ تَبِين عضُده من ساعده[9] ، قد أُدمِجَتْ إدماجاً ؛ لم يُمسِكْ بذراعِ رجلٍ قَطُّ إلا أمسَكَ بنفَسه فلم يستطع أن يتنفس . وهو إلى السمرة ، أذلف الأنف[10] ؛ إذا مشى إلى الحرب هروَل ، وقد أيده الله بالعز والنصر .

ثم زحف علىٌّ بالناس إليهم ، ورفع معاويةُ قبَّةً له عظيمة قد ألقى

---

(١) هذه التكملة من الطبرى .

(٢) الدحداح : القصير السمين . وفى ح : « ربعة » .

(٣) المسربة : الشعر وسط الصدر إلى البطن .

(٤) شثن : غليظ . والكسور : الأعضاء .

(٥) الخفاف ، بالضم : الخفيف ؛ وبالكسر : جمع خفيف .

(٦) المشاش ، بالضم : رءوس العظام ، مثل المنكبين والمرفقين والركبتين .

(٧) تكفأ جسده : تمايل . والمور : التحرك والمجىء والذهاب ، كما تتكفأ النخلة العيدانة .

(٨) فى الأصل : « البعير » ، والوجه ما أثبت من ح (١ : ٤٨) . وسنام كل شىء : أعلاه .

(٩) العضد : ما بين المرفق إلى الكتف ، يذكر ويؤنث . والساعد : الذراع .

(١٠) الذلف : قصر الأنف وصغره .

زحف عبد الله ابن بديل

عليها الكرابيس[1] وجلسَ تحتَها ، وزحف عبد الله بن بُديل فى الميمنة نحوَ حبيب بن مسلمة [وهو على ميسرة أهل الشام] ، فلم يزل يحُوزُه[2] ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبة معاوية عند الظهر .

خطبته فى أصحابه

نصر ، عن عمر ، عن مالك بن أعيَن ، عن زيد بن وهب ، أنَّ عبد الله بن بُديل قام فى أصحابه فقال : إنَّ معاوية ادَّعى ما ليس له ، ونازع الأَمرَ أهلَه ومن ليس مثلَه ، وجادَلَ بالباطلِ ليُدحِض به الحقّ ، وصال عليكم بالأَعراب والأَحزاب ، وزيَّن لهم الضلالة[3] ، وزرع فى قلوبهم حبَّ الفتنة ، ولبّس عليهم الأَمر ، وزادهم رِجساً إلى رجسهم ، وأنتم والله على نورٍ من ربكم وبرهانٍ مُبين . قاتِلُوا الطَّغام الجُفاة ولا تخشَوهم . وكيف تخشونَهم وفى أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهرٌ مَبروز[4] ؟ ! ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وقد قاتلتهم مع النبى صلى الله عليه[5] والله ما هُمْ فى هذه بأزكى ولا أتقَى ولا أبَرّ . قوموا إلى عدوّ الله وعدوكم[6] .

---

(١) الكرابيس : ضرب من الثياب ، فارسى معرب .

(٢) حازهم يحوزهم : نحاهم فانحازوا ، أى تركوا مركزهم ومعركة قتالهم ؛ والحوزاء : الحرب تحوز القوم . فى الأصل : « يجوره » . وفى ح (١ : ٤٨٣) : « يجوزه » ، صوابه بالحاء والزاى . وقد جاءت على هذا الصواب الذى أثبت ، فى الطبرى (٦ : ٩) .

(٣) فى الأصل : « الضلال » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .

(٤) المبروز : الظاهر المنشور . ومنه قول لبيد فى ديوانه ١١٩ واللسان (برز) :

أو مذهب جدد على ألواحه ... الناطق المبروز والمختوم

وفى الأصل : « مبرور » . وفى الطبرى : « طاهراً مبروراً » ح : « ظاهر مبين » . وبعد هذه الكلمة فى الأصل و ح لفظة : « قوله » ، وليست فى الطبرى .

(٥) الطبرى : « وقد قاتلناهم مع النبى صلى الله عليه وسلم مرة ، وهذه ثانية » .

(٦) الطبرى : « قوموا إلى عدوكم بارك الله عليكم » .

خطبة على فى التحريض على القتال

نصر ، قال : قال عمر بن سعد ، عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن [1] عن أبيه [2] أن عليًّا أميرَ المؤمنين حرَّض الناس فقال : إنَّ الله عز وجلّ قد دَلَّكم على تجارةٍ تنجيكم من العذاب، وتُشْفِى بكم على الخَير [3]: إيمانٍ بالله ورسوله ، وجهادٍ فى سبيله ؛ وجَعَلَ ثوابَه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيِّبةً فى جنَّاتِ عدنٍ ، ورضوانٌ من الله أكبر [4] ، فأَخبَرَكم بالذى يحبُّ فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾. فسوُّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدّارع ، وأَخِّروا الحاسر ، وعضُّوا على الأَضراس ؛ فإنه أَنْبَى للسيوف عن الهامِ [5] ، وأَربَطُ للجأْش ، وأَسكَن للقلوب. وأَمِيتُوا الأَصوات ؛ فإنه أَطرد للفشل ، وأَولى بالوقار . والتووا فى أَطراف الرماح ؛ فإنه أَمْوَر للأَسنَّة [6] . وراياتكم فلا تميلوها ولا تُزيلوها ، ولا تجعلوها إلا فى أَيدى شجعانكم المانعى الذمار ، والصُّبُرِ عند نزول الحقائق ، أَهل الحفاظ ، الذين يحفُّون براياتكم ويكتنفونها ، يضربون خلفَها وأَمامها ، ولا تضيعوها [7] . أَجزأَ كل امرئٍ منكم - رحمه الله - [وقَذَ [8]] قرنه ، وواسَى أَخاه بنفسه ، ولم يَكِل قِرنَه إلى أَخيه ، فيجتمعَ عليه قِرنُه وقِرنُ أَخيه ، فيكتسب بذلك لائمةً ، ويأْتىَ به دناءةً . وأَنَّى هذا ،

(1) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد المحاربى أبو زياد الكوفى . توفى سنة ١١١ . انظر تهذيب التهذيب .

(2) أبوه هو عبدالرحمن بن محمد بن زياد المحاربى أبو محمد الكوفى ، توفى سنة ٩٥. وفى ح : « عن أبى عمرو عن أبيه » .

(3) أشفى على الشىء: أشرف . وفى الحديث : « فأشفوا على المرج » .

(4) كذا فى الأصل و ح . ورفعه على الاستئناف . وهذه الجملة لم ترد فى الطبرى .

(5) أنبى : أبعد . والهام : الرءوس .

(6) أمور : تفضيل من المور ، وهو الاضطراب والمجىء والذهاب . فى الطبرى : « أصون للأسنة » .

(7) ح : « ولا يضيعوها » تحريف . وفى الطبرى : « ولا يضعونها » .

(8) هذه التكملة من الطبرى . وقذه : ضربه شديداً .

وكيف يكون هكذا ؟ ! هذا يقاتل اثنين وهذا ممسكٌ يدَه ، قد خلَّى قِرنَه على أخيه هارباً منه ، وقائماً ينظر إليه . من يفعلْ هذا يَمْقته الله . فلا تَعَرَّضُوا لمقت الله ؛ فإنما مردُّكم إلى الله . قال الله لقوم : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾. وأيمُ الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تَسلمون من سيف الآخرة . استعينوا بالصدق والصبر ؛ فإنه بعد الصبر ينزل النَّصر .

خطبة سعيد بن قيس بقناصرين

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن مالك ابن قدامة الأَرحبي[1] قال : قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقُناصِرين[2] فقال : « الحمد لله الذي هدانا لدينه ، وأورثنا كتابَه ، وامتنَّ علينا بنبيه صلى الله عليه ، فجعله رحمة للعالمين ، وسيداً للمسلمين ، وقائداً للمؤمنين ، وخاتَمَ النبيين ، وحُجَّةَ الله العظيمِ على الماضين والغابرين . وصلوات الله عليه ورحمة الله وبركاته . ثم كان مما قَضَى الله وقدَّرهُ ــ والحمد لله على ما أحببنا وكرهنا ــ أنْ ضمّنا وعدوَّنا بقُناصرين ، فلا يُحْمَدُ بنا اليومَ الحِياص[3] . وليس هذا بأوانِ انصراف ، ولات حينَ مَناص . وقد اختصَّنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداءَ شكرها ، ولا نقدر قدرها : أنَّ أصحاب محمد المصطفَينَ الأَخيارَ معنا ، وفى حيِّزِنا . فوالله الذى هو بالعبادِ بصيرٌ أَن لو كان قائدُنا حبشيًّا مجدَّعاً[4] إلاَّ أَنَّ معنا من البَدْرِيِّين[5] سبعين رجلاً ، لكان ينبغى لنا أن تَحسُنَ

---

(١) ح : « الأزدى » .

(٢) فى القاموس : « قناصرين بالضم : موضع بالشام » .

(٣) الحياص : العدول والهرب . ح (١ : ٤٨٣) : « فلا يجمل بنا » .

(٤) ح : « رجلا مخدوعاً » ، محرف . وهو إشارة إلى حديث أبي ذر ، قال : « إن خليلي أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف » . انظر صحيح مسلم (٢ : ٨٥) .

(٥) البدريون : الذى حضروا وقعة بدر . وفى الأصل : « البدويين » ، صوابه فى ح .

بصائرُنا وتطيبَ أنفسُنا . فكيف وإنما رئيسُنا ابنُ عمّ نبينا ، بدرىٌّ صِدق ، صَلَّى صغيراً ، وجاهد مع نبيكم كبيراً . ومعاوية طليقٌ من وِثاق الإسار ، وابنُ طليق . ألا إنَّه أغوى جفاةً فأَوردَهم النارَ ، وأورثهم العار ، والله مُحِلٌّ بهم الذُّل والصَّغار . ألا إنكم ستلقَون عدوَّكم غداً ، فعليكم بتقوى الله والجدِّ والحزم ، والصِّدق والصبر ؛ فإن الله مع الصابرين . ألا إنكم تفوزون بقتلهم ويشقَون بقتلكم . واللهِ لا يقتلُ رجلٌ منكم رجلاً منهم إلاَّ أدخل الله القاتلَ جنَّاتِ عدْنٍ ، وأدخلَ المقتولَ ناراً تلَظَّى ، ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فيه مُبْلِسُون﴾ . عصمنا الله وإيَّاكم بما عصم به أولياءه ، وجعلنا وإيَّاكم ممَّن أطاعه واتَّقاه ، وأستغفر الله لنا ولكم وللمؤمنين .

ثم قال الشعبي : لعمرى لقد صدق بفعله ، وبما قاله فى خطبته[1] .

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبى جعفر وزيد بن حسن قالا : طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوِّىَ صفوف أهل الشام ، فقال له عمرو : على أنَّ لى حكمى إن قتل الله ابن أبى طالب ، واستَوْسَقَتْ لك البلاد[2] . قال : أليس حكمك فى مصر ؟ قال : وهل مصر تكون عوضًا عن الجنة ، وقتلُ ابن أبى طالب ثمناً لعذاب النار الذى لا يفتَّر عنهم وهم فيه مبلسون ؟ فقال معاوية : إنَّ لك حكمك أبا عبد الله إن قُتل ابن أبى طالب . رُويداً لا يَسمَع الناسُ كلامك . فقال لهم عمرو : « يا معشر أهل الشام ، سوُّوا صفوفكم ، وأعيروا ربَّكم جماجمكم ، واستعينوا بالله إلٰهكم ، وجاهدوا عدوَّ الله وعدوَّكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم ، ﴿واصبروا إنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

بين معاوية وعمرو

(١) ح : « صدق فعله ما قال فى خطبته » .

(٢) استوسقت البلاد : اجتمعت على الطاعة واستقر فيها الملك . ح : « استوثقت » ، تحريف .

نصر . عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الفضل بن أدهم قال : حدثني أبي أن الأشتر قام يخطب الناس بقناصرين ، وهو يومئذٍ على فرسٍ أدهم مثل [حلك[1]] الغراب ، فقال :

خطبة الأشتر بقناصرين

الحمد لله الذى خلق السموات العُلى، ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثرَى﴾ . أحمدُه عَلَى حسن البلاءِ ، وتظاهر النَّعماءِ ، حمداً كثيراً بكرة وأصيلاً . مَن يَهْدِهِ الله فقد اهتدى ، ومن يضلل الله فقد غوى . أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له . وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ،أرسلَه بالصَّواب والهدى ، وأظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . صلى الله عليه وسلم . ثم كان ممّا قضى اللهُ وقدّر أنْ ساقَتنا المقادِيرُ إلى هذه البلدةِ من الأَرض[2] ، ولفَّ بيننا وبين عدوِّنا ، فنحنُ بحمد الله ونعمته ومَنِّه وفضله قريرةٌ أعينُنا ، طيِّبةٌ أنفسُنا ، ونرجو فى قتالهم حُسنَ الثَّواب ، والأَمنَ من العقاب ، معَنا ابنُ عمٍّ نبيِّنا ، وسيفٌ من سيوف الله ، علىّ ابن أبى طالِب ، صلَّى مع رسول الله صلى الله عليه ، لم يسبِقْه بِالصلاة ذَكَرٌ حتَّى كان شيخاً؛ لم يكن له صَبوةٌ ولا نبْوةٌ ولا هَفْوة، فقِيهٌ فى دين الله ، عالمٌ بحدود الله ، ذو رأيٍ أصيلٍ ، وصبرٍ جميل ، وعفافٍ قديم . فاتَّقوا الله ، وعليكم بالحزْم والجِدّ ، واعلموا أنَّكم على الحقِّ ، وأنَّ القومَ على الباطل يقاتلون مع معاوية ، وأنتم مع البدريِّين قريبٍ من مائةِ بدريّ ، ومن سوى ذلك[3] من أصحاب محمَّد صلى الله عليه ، أكثر ما معكم راياتٌ قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه . ومع معاوية

---

(١) وردت الكلمة محرفة فى ح (١ : ٤٨٤) بلفظ : « حثل » والصواب ما أثبت . وحلك الغراب : شدة سواده . انظر ما مضى فى ص ١٧٤ .

(٢) فى هامش الأصل : « خ : البقعة » ، أى فى نسخة .

(٣) أى ومع من سوى ذلك . وفى ح : « سوى من حولكم » .

راياتٌ قد كانتْ مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه . فما يَشُكُّ في قتال هؤلاء إلا ميِّت القَلب . فإنَّما أنتم على إحدى الحُسنَيين : إمَّا الفتح ، وإمّا الشَّهادة . عصمَنا الله وإيَّاكم بما عصم به مَن أطاعة واتَّقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتَقْواه . وأستغفرُ الله لِى ولَكم[1] .

خطبة ذى الكلاع بتناصرين

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر عن الشَّعبي ، عن صَعصعة بن صُوحان العبدىّ قال : سمعت زَامل بن عمرو الجُذامىَّ يقول : طلب معاوية إلى ذى الكَلاَع أن يخْطُب النَّاسَ ويحرِّضَهم على قتال علىٍّ ومن معه من أهل العراق ، فعقَد فرسَه – وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً – ثم قال :

الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً جزيلا ، واضحاً منيراً ، بكرةً وأصيلا. أحمدُه وأستعينه ، وأومن به وأتوكَّل عليه ، وكفَى بالله وكِيلا . ثم إنى أشهد ألاَّ إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، أرسلَه بالفرقان حين ظهرت المعاصى ودرست الطاعة ، وامتلأت الأَرض جَوراً وضَلالةً ، واضطرمت الدنيا كلُّها نيراناً وفِتنة ، ووَرَكَ[2] عدو الله إبليس على أن يكون قد عُبد فى أكنافها ، واستولى بجميع أهلها، فكان الذى أطفأ الله به نيرانَها ، ونَزع به أوتادَها ، وأوْهَى به قُوى إبليس ، وآيسه ممَّا كان قد طمِع فيه من ظَفَره بهم – رسولَ الله محمدَ ابنَ عبدِ الله ، صلى الله عليه ، فأظهره على الدِّين كله ولو كره المشركين. ثمَّ كان ممّا قضى الله أنْ ضمَّ بيننا وبين أهل ديننا بصفين ، وإنَّا لَنعلَمُ أن فيهم قوماً كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه سابقةٌ ذات شأْن وخطرٍ ، ولكنِّى ضربت الأمر ظهراً وبطناً فلم أرَ يسعُنى أن يُهدَر دَمُ

---

(١) فى الأصل : « واستغفروا » ، والوجه ما أثبت من ح .

(٢) ورك بالمكان وروكاً : أقام .

عثمان صهر رسول الله صلى الله عليه نبيِّنا ، الذى جهَّز جيش العُسْرة[١] ، وألحَقَ فى مسجد رسول الله بيتاً وبنى سِقايةً ، وبايع له نبى الله صلى الله عليه بيده اليمنىَ [على اليسرى] ، واختصَّه رسول الله بكريمتَيْه : أم كُلثوم ورُقيَّة ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وآله . فإن كان أذنب ذنباً فقد أذنب مَن هو خيرٌ منه . وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه :﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقتل موسى نفساً ثم استغفر الله فغفر له ؛ ولم يَعْرَ أحد من الذنوب ! وأنَّا لنعلم أنَّه قد كانت لابن أبى طالب سابقةٌ حسنة مع رسول الله ، فإنْ لم يكن مالأً على قتل عثمان فقد خذَله ، وإنَّه لأخوه فى دينه وابنُ عمِّه[٢] ، وسِلْفه[٣] وابن عَمَّته[٤] . ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا فى شامِكم وبلادكم ، وإنَّما عامَّتهم بين قاتلٍ وخاذل . فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتُليتم أيَّتها الأُمَّة والله . ولقد رأيتُ فى منامى فى ليلتى هذه ، لكأنَّا وأهلَ العراق اعتوَرْنا مصحفاً نضرِبه بسيوفنا ، ونحن فى ذلك جميعاً ننادى : « ويَحْكم الله » . ومع أنَّا والله ما نحن لنفارق العَرْصةَ[٥] حتى نموت . فعليكم بتقوى الله ، ولتكن النِّيَّاتُ لله[٦] ؛ فإنى سمعتُ عمر بن الخطاب يقول سمعتُ : رسول الله صلى الله عليه يقول : « إنما يُبْعَثُ المقتتلون على

(١) وذلك فى غزوة تبوك ، إذ حدثت عسرة فى الظهر ، وعسرة فى الزاد ، وعسرة فى الماء فكان العشرة يعتقبون على بعير ، وكانت الجماعة تتعاور التمرة الواحدة ، وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه ويشربه. وقد أنفق عثمان فى جيش العسرة ألف دينار . انظر تفسير الآية ١١٧ من سورة التوبة وكتب السير .

(٢) يعنى بذلك العمومة البعدى لا الدنيا ؛ فإن عبد شمس جد عثمان الأعلى ، وهاشماً جد على الأعلى — هما ولدا عبد مناف بن قصى بن كلاب .

(٣) السلفان : الرجلان يتزوجان بأختين ، كل منهما سلف صاحبه .

(٤) أم عثمان هى أروى بنت كريز ، وأم أمه هى البيضاء بنت عبد المطلب .

(٥) أى عرصة الحرب، وهى ساحتها . ح (١ : ٤٨٥) : « ومع أنا والله لا نفارق العرصة » .

(٦) ح (١ : ٤٨٥) : « وليكن الثبات لله » . تحريف .

النِّيَّات[1] » ، أَفْرَغَ الله علينا وعليكم الصَّبر ، وأعزّ لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم فى كلِّ أمر . وأستغفر الله لى ولكم .

خطبة يزيد بن أسد البجلى فى أهل الشام

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن عامر[2] ، عن صعصعة العبدى[3] [عن أبرهة بن الصباح] قال : قام يزيد بن أسد البجلىُّ [فى أهل الشام] يخطب الناس بصفِّين ، وعليه يومئذ قَباءُ خَزٍّ ، وعمامةٌ سوداءُ ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نعل السيف[4] على الأرض متوكِّئاً عليه ـ قال صعصعة : فذكر لى أبرهة[5] أنَّه [كان] يومئذ من أجمل العرب وأكرمه وأبلغه[6] ـ فقال :

« الحمد لله الواحد القهار ، ذى الطَّول والجلال ، العزيز الجبَّار ، الحليم الغفَّار ، الكبير المتعال ، ذى العطاء والفَعال ، والسَّخاء والنوال ، والبهاء والجمال ، والمنِّ والإفضال . مالك اليوم الذى لا ينفع فيه بيع ولا خِلالٌ[7] . أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النَّعماء ، وفى كلِّ حالةٍ من شدة أو رخاء . أحمده على نعمه التُّؤام[8] ، وآلائه العِظام ،

(١) ح : « على الثبات » ، تحريف . وانظر لسان الميزان (٤ : ٣٦٧) . والحديث رواه السيوطى فى الجامع الصغير (١ : ٣٥١) من رواية ابن عساكر عن عمر . وروى السيوطى أيضاً نظيراً لهذا الحديث وهو : « إنما يبعث الناس على نياتهم » . رواه ابن ماجه عن أبى هريرة .

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبى ، المترجم فى ص ٢٣ .

(٣) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، تابعى كبير مخضرم فصيح ثقة . مات فى خلافة معاوية . وصوحان ، بضم الصاد . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « بن عامر بن صعصعة العبدى » ، والصواب : « عن عامر عن صعصعة » كما أثبت .

(٤) نعل السيف : حديدة فى أسفل غمده . ح : « نصل السيف » ، تحريف .

(٥) هو أبرهة بن الصباح الحبشى ، أو الحميرى . ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٥ . وفى الأصل : « ابن أبرهة » ، صوابه فى ح .

(٦) أى من أجمل من وجد من العرب ، فلذا وحد الضمير ذهاباً إلى المعنى . انظر اللسان (١٨ : ٢٢١ س ٢١ ـ ٢٥) . وفى ح : « وأكرمها وأبلغها » .

(٧) فى الأصل : «يملك يوم لا ينفع فيه بيع ولا خلال» ، صوابه من ح . والخلال : المصادقة

(٨) التؤام ، كغراب : جمع توأم . ح : « التوام » : جمع تامة .

حمداً قد استنار ، بالليل والنهار . ثم إنى أشهد ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له ؛ كلمة النجاة فى الحياة ، وعند الوفاة ، وفيها الخلاص ، يوم القصاص . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى المصطفى ، وإمام الهدى ، صلى الله عليه وسلم كثيراً . ثم قد كان مما قضى الله[1] أن جمعنا وأهلَ ديننا فى هذه الرُّقعة من الأرض ، والله يعلم أنى كنتُ لذلك كارهاً ، ولكنهم لم يُبلعونا ريقنا ، ولم يتركونا نرتادُ لأنفسنا ، وننظرُ لمعادنا حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفى حريمنا وبيضتنا . وقد علمنا أنَّ فى القوم أحلاماً وطغاماً ، فلسنا نأمن طَغَامهم على ذراريِّنا ونسائنا . وقد كنا نحبُّ ألا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأُمور إلى أن قاتلناهم كراهية[2] فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . أما والله الذى بعثَ محمداً بالرسالة لودِدت أنّى مُتُّ منذ سنة ؛ ولكنَّ الله إذا أراد أمراً لم يستطع العباد ردَّه . فنستعين بالله العظيم ؛ وأستغفر الله لى ولكم » . ثم انكفأ .

راجز عمرو بن العاص وشاعر من أهل العراق

قال نصر : وفى حديث عُمر ، عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب ، أن عمرو بن العاص قال يومئذ :

لا تأمننَّا بعدها أبا حسن[3] ... إنا نُمِرُّ الحربَ إمرارَ الرَّسَنْ[4]
لتُصبَحُنَّ مِثلَها أمَّ لُبُنْ[5] ... طاحنةً تدقُّكم دقَّ الحُفَنْ[6]

---

(١) ح : « من قضاء الله » .

(٢) فى الأصل و ح (١ : ٤٨٥) : « غدا حمية » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « بعده أبا الحسن » ، وأثبت ما فى ح . وكتب ناسخ الأصل : « ويروى : خذها إليك فاعلمن أبا حسن » .

(٤) الرسن : الحبل . وإمراره : إحكام فتله . ح : « تمر الأمر » .

(٥) اللبن : جمع لبون ، وهى ذات اللبن من الإبل . عنى كثرة ما بهذه الحرب من الإبل وركبانها .

(٦) الحفن : جمع حفنة ، بالفتح ، وهى ملء الكفين من طعام ، ولا يكون إلا من شىء يابس كالدقيق ونحوه .

فأجابه شاعر من شعراء أهل العراق :

ألا احذرُوا فى حربكم أبا الحسن ... ليثاً أبا شبلين محذُوراً فَطِنْ

يدقُّكم دقَّ المهاريس الطُّحُنْ[1] ... لتُغْبَنَنْ يا جاهلاً أىَّ غَبَنْ[2]

حَتَّى تعضَّ الكفَّ أو تَقْرَعَ سِنّْ ... ندامةً أَنْ فاتكم عَدْلُ السَّنَنْ[3]

مبارزة حجر الخير وحجر الشر

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشَّعبى ، أنّ أوّلَ فارسينِ التقيا فى هذا اليوم – وهو اليوم السابع من صفر ، وكان من الأيام العظيمة فى صِفِّين ، ذا أهوال شديدة – حُجْر الخير وحُجْر الشرّ . أما حُجر الخير فهو حُجر بن عدىّ صاحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب. وحجر الشر ابن عمه . وذلك أن حُجر الشرِّ دعا حجر بن عدىٍّ[4] إلى المبارزة ، وكلاهما من كندة ، فأجابه فاطَّعنا برمحيهما ، ثم حجز بينهما امرؤ من بنى أسد ، وكان مع معاوية[5] ، فضرب حُجراً ضربة برُمحه[6] ، وحمل أصحاب علىٍّ فقتلوا الأسدى ، وأفلتهم حجر بن يزيد[7] [حُجرُ[8]] الشرِّ هارباً ، وكان اسم الأسدى خزيمة بن ثابت .

ارتجاز حجر الشر

نصر : عمرو بن شمر ، عن عطاء بن السائب قال : أخبرنى مروان ابن الحكم أن حُجراً يوم قَتَل الحكم بنَ أزهر جعل يرتجز ويقول :

---

(١) المهاريس : جمع مهراس ، وهو حجر مستطيل منقور يهرس به الحب .

(٢) فى الأصل : « لتغبنن راكباً » ، صوابه فى ح (١ : ٤٨٥) .

(٣) عدل السنن ، أى الطريق العادل المستقيم . وهذا البيت لم يرو فى ح . وفى الأصل : «إن فاته».

(٤) هو حجر بن عدى بن معاويه بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندى ، وفد على النبى فأسلم . وقتل سنة ٥١ أو ٥٣ . انظر الإصابة ١٦٢٤ .

(٥) ح (١ : ٤٨٦) : « من عسكر معاوية » .

(٦) فى الأصل : « رمحه » ، صوابه فى ح .

(٧) هو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة بن حجر بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندى . وفد على النبى فأسلم ، وكان شريفاً ، وكان مع على يوم الجمل ، واتصل بعد بمعاوية فاستعمله على أرمينية . انظر الإصابة ١٦٢٦ . وقد ورد ذكره فى حواشى الاشتقاق ص ٢١٩ أنه حجر بنى زيد ، صوابه « بن يزيد » .

(٨) تكملة يقتضيها السياق .

أنا الغــلام اليمنىُّ الـكندِى قد لبِس الدِّيباجَ والإفـرندى[1]
أَنا الشــريف الأَريحىُّ المهـدِى يا حـكم بن أَزهر بن فهـدِ
لقــد أَصبتَ غَــارتى وحَدِّى وكَــرَّتى وشَــدَّتى وجِـــدِّى

آثبتْ أقاتلْك الغداة وَحْـدِى

حملة رفاعة الحميرى على حجر الشر

فلما أَنْ أَصاب الحكمَ بن أَزهرَ حمل عليه رفاعةُ بن ظالم الحميرى وهو يقول :

أَنا ابنُ عــمّ الحــكم بن أَزهرْ الماجدِ القَمقـام حين يذكـرْ
فى الذِّروتين من مُــلوك حميرْ ياحُجُرَ الشَّــرِّ تعـالَ فانظُرْ
أَنا الغــلام المــلك المحبَّرْ الواضحُ الوجهِ كريمُ العُنصــرْ
أَقــدمْ إذا شئتَ ولا تَـأَخَّــرْ واللهِ لا ترجِــعْ ولا تَعَثَّرْ

فى قاعِ صِفِّينَ بوادٍ معفَرْ

ثم إن رفاعة حمل على حُجْر الشرِّ فقتله فقال علىٌّ : الحمد لله الذى قتل حُجراً بالحكم بن أَزهر .

رسول على إلى جيش معاوية

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن تميم ، أَن عليًّا قال : من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاءِ القوم فيدعوَهم إلى ما فيه ؟ فأَقبل فتًى اسمه سعيد فقال : أَنا صاحبه . ثم أَعادها فسكت الناس وأَقبل الفتى[2] فقال : أَنا صاحبه . فقال علىٌّ : دونَك . فقبضه [بيده] ثم أَتى معاوية

(١) فى اللسان والقاموس أن « الفرند » ضرب من الثياب ، دخيل معرب . وفى المعرب ١٣٥ ، ٢٤٣ أن الفرند الحرير ، وأنشد للفرزدق :

لبسن الفرند الخسروانى فوقه مشاعر من خز العراق المفوف

ولذى الرمة :

كأن الفرند الخسروانى لثته بأعطاف أنقاء العقوق العواتك

وأما الإفرندى ، فلم أجده إلا المنسوب إلى الإفرند ، لغة فى فرند السيف .

(٢) ح : « وتقدم الفتى » .

فقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه . وزعم تميم [1] أنه سعيد بن قيس .

حملة عبد الله بن بديل على أهل الشام

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر [2] قال : سمعت الشَّعبى يقول : كان عبد الله بن بُديلٍ الخزاعىُّ مع علىٍّ يومئذ ، وعليه سيفانِ ودِرعان ، فجعل يضرِب الناسَ بسيفه قُدُماً وهو يقول :

لم يبق إلا الصَّبــرُ والتَّــوكلْ ... وأخذُك الترسَ وسيفاً مِقْصَلْ [3]

ثم التَّمشِّى فى الرعيـل الأوّلْ [4] ... مَشىَ الجمالِ فى حِياض المنهلْ [5]

واللهُ يقضِى ما يَشا ويَفْعَلْ

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية [والذين بايعوه على الموت ، فأمرَهم أن يصمدوا لعبد الله بن بُدَيل ، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهرى وهو فى الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه ، واختلط الناس واضطرم الفيلقان : ميمنة أهل العراق ، وميسرة أهل الشام . وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قُدُما] حتى أزال معاوية عن موقفه [6] ، وجعل ينادى : يَالَثَارَاتِ عثمان ! — يعنى أخاً كان له قد

---

(١) هو تميم بن حذلم — بكسر المهملة وسكون المعجمة وفتح اللام — الضبى ، أبو سلمة الكوفى ، ثقة مات سنة ١٠٠ . وقد اختلف فى اسم أبيه فقيل « خزيم » و «حذيم» ، والصواب « حذلم » . انظر تقريب التهذيب ومنتهى المقال .

(٢) هو جابر بن يزيد الجعفى ، ثقة فى نفسه ، ولكن جل من روى عنه ضعيف ، فمن أكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفى ، ومفضل بن صالح السكونى . وفى الميزان أنه روى عن أبى الطفيل الصحابى . مات سنة ١٢٧ أو ١٣١ . تهذيب التهذيب ، وميزان الاعتدال ، ومنتهى المقال .

(٣) ح (١ : ٤٨٦) : « والترس والرمح » ، وفى الأصل و ح : « وسيف مصقل » تحريف ، وإنما هو « مقصل » يقال سيف قاصل ومقصل وقصال : قطاع . وانظر الرجز الإصابة ٤٥٥٠ فى ترجمة عبد الله بن بديل حيث نقل الخبر عن وقعة صفين .

(٤) التمشى : المشى . وفى الأصل : « التمسى » ، صوابه فى ح .

(٥) فى الأصل : « فى الحياض » ، صوابه فى ح .

(٦) فى الأصل : « فأزاله عن موقفه » ، وأثبت ما فى ح لتلتئم التكملة السابقة بالكلام .

قتل ـ وظنَّ معاويةُ وأصحابُه أنَّه إنما يعنى عثمان بن عفَّان[1] . [وتراجع معاويةُ عن مكانه القهقرَى كثيراً ، وأشفَق على نفسه ، وأرسل إلى حبيب بن مَسلمة مرّةً ثانية وثالثةً يستنجده ويستصرخه ، ويحملُ حبيب حملةً شديدة بميسرة معاوية على مَيمنة العراق فكشفها ، حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسانٍ من القُرّاء ، فاستند بعضهم إلى بعضٍ يحمون أنفسهم ، ولجّج ابن بُدَيلٍ فى الناس وصمَّم على قتلِ معاوية ، وجعل يطلبُ موقفَه ويصمُد نحوه حتى انتهى إليه] عبد الله بن عامرٍ واقفاً ، [فنادى معاوية بالناس : ويلكم ! الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح] . فأَقبل أَصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر[2] حتى أثخنوه وقُتِل الرجل ، وأقبل إليه معاوية وعبد الله ابن عامر [حتى وقفا عليه] . فأمّا عبد الله بن عامر فألْقى عمامتَه على وجهه وترحَّم عليه ، وكان له [من قبل] أخا وصديقاً ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه . [فقال : لا والله ، لا يمثَّلُ به وفىَّ روح . فقال معاوية : اكشِفْ عن وجهه ؛ فإنا لا نمثِّل به] ، فقد وهبته لك[3] . فكشف [ابن عامر] عن وجهه فقال معاوية : هذا كبشُ القوم وربِّ الكعبة ، اللهم أظفرنى بالأَشتر النخعى والأَشعث الكندى . والله ما مِثلُ هذا إلا كما قال الشاعر[4] :

مصرع عبد الله بن بديل

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عَضَّها
وإن شمَّرت عن ساقها الحربُ شمَّرا

---

(١) بعد هذا فى الأصل : « حتى إذا أزال معاوية عن موقفه » ، وهى عبارة مقحمة .

(٢) ح : « فرضخه الناس بالصخر والحجارة » .

(٣) ح : « قد وهبناه لك » .

(٤) هو حاتم الطائى من قصيدة له فى ديوانه (خمسة دواوين العرب ١٢١ ـ ١٢٢) .

ويَحْمِى ، إذا ما الموتُ كان لقــاؤه
قِدَى الشِّبْر ، يحمى الأَنفَ أن يتــأخَّرا[1]

كليثٍ هِزَبرٍ كــان يحمى ذِمــارَهُ
رَمَتْــه المنــايا قَصْــدَهَا فتقطَّرا[2]

مع أنَّ نساءَ خُزاعة لو قدرت على أن تقاتلنى فضلاً عن رجالها فَعَلَتْ.

خطبة يزيد بن قيس فى تحريض الناس بصفين

نصر : عمرٌو ، عن أبى روقٍ الهمدانىّ أن يزيدَ بن قيس الأَرحبىَّ حرَّضَ الناس بصفِّين . قال : فقال :

« إن المسلم السليم[3] من سلم دينُه ورأيه . إن هؤلاءِ القوم والله ما إن يقاتلونا[4] على إقامةِ دينٍ رأونا ضيَّعناه ، ولا إحياءِ عدلٍ رأونا أَمَتْناه ، ولا يقاتلونا[5] إلاَّ على إقامةِ الدنيا ؛ ليكونوا جبابرةً فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم ــ لا أراهم الله ظهوراً ولا سُرورا ــ إذًا أَلزَمُوكم[6] مثلَ سعيدٍ والوليد[7]

(١) قدى الشبر ، بكسر القاف والقصر ، أى قدره ، كأنه مقلوب من قيد ، بالكسر . يقال قدى رمح ، وقيد رمح ، وقاد رمح . وأنشد :

ولكن إقدامى إذا الخيل أحجمت وصبرى إذا ما الموت كان قدى الشبر

وقد نسب بيت حاتم هذا فى اللسان (٢٠ : ٣٢) إلى هدبة بن الخشرم . وروايته فيه :

وإنى إذا ما الموت لم يك دونه قدى الشبر أحمى الأنف أن يتأخرا

وفى اللسان : « أتأخرا » . فى الأصل : « لدى الشر » ، وفى ح : «قدى السير » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) تقطر : سقط صريعاً . وهذا البيت لم يرو فى الديوان .

(٣) هذه الكلمة ليست فى ح .

(٤) فى الأصل : « يقاتلوا » ، صوابه فى ح (١ : ٤٨٥) .

(٥) فى الأصل : « ولن يقاتلونا » ، وأثبت ما فى ح .

(٦) ح (١ : ٤٨٥) : « إذا لوليكم » ، والعبارتان متقاربتان .

(٧) يعنى سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة . أما سعيد فكان والياً لعثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ، وولاه معاوية المدينة وتوفى سنة ٥٣ . وأما الوليد بن عقبة بن أبى معيط فكان أخا عثمان لأمه ، وولاه الكوفة ثم عزله عنها وجلده لشربه الخمر . وكان ممن يحرض معاوية على قتال على . انظر ما سبق فى ص ٥٢ — ٥٤ .

وعبد الله بن عامر[1] السَّفيه ، يحدِّث[2] أحدهم فى مجلسه بِذَيْتَ وذيت ، ويأْخُذُ مال الله ويقول : هذا لى ولا إثمَ علىَّ فيه ، كأَنَّما أُعطىَ تُراثَه من أَبيه ، وإنَّما هو مال الله أفاءه الله علينا بأَسيافنا ورماحنا . قاتِلوا ، عبادَ الله ، القومَ الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأْخذْكم فى جهادهم لومةُ لائم ؛ إنَّهم إن يظهروا عليكم يُفْسِدوا دينكم ودنياكم ، وهُم مَنْ قد عرفتُم وجرَّبتُم . والله ما أَرادوا إلى هذا إلاَّ شرًّا[3] . [وأستغفر الله العظيم لى ولكم] » .

حملة عبد الله بن بديل

فقاتلهم عبد الله بن بديل فى الميمنة حتَّى انتهى إلى معاوية مع الذين بايعوه على الموت . فأَقبلوا إلى معاوية فأَمرهم أن يصمدُوا لعبد الله ابن بُديل فى الميمنة ، وبعث معاوية إلى حبيب بن مسلمة فى الميسرة ، فحمل بمن كان معه على ميمنة الناس فهزمَهم ، وكُشف أهلُ العراق مِيلاً من قِبَل الميمنة ، حتَّى لم يبق مع ابنِ بُديلٍ إلاَّ نحو مائةٍ من القرّاء ، واستند بعضهم إلى بعض ، وانجفل الناس عليهم[4] ، فأَمر علىٌّ سهل ابن حنيف فاستقدم فيمن كان مع علىٍّ من أهل المدينة ، فاستقبلتهم جموعُ أهل الشام فى خيل عظيمة ، فحملوا عليهم وألحقوهم بالميمنة ، وكانت الميمنة متَّصلةً إلى موقفِ علىٍّ فى القلب فى أهل اليمن ، فلمَّا

---

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، ابن خال عثمان ابن عفان ، ولاه عثمان البصرة ثم وليها لمعاوية . وكان قد فتح خراسان فى أيام عثمان ، فأحرم من نيسابور وقدم عليه ، فلامه على ما صنع وقال : « غررت بنسكك » . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) فى الأصل : « الذى يحدث » . وكلمة : « الذى » مقحمة .

(٣) ح (١ : ٤٨٥) : « ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شرا » .

(٤) انجفلوا عليهم : ذهبوا مسرعين نحوهم . وفى الحديث : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله » ، أى ذهبوا مسرعين نحوه . وفى الأصل : « انحفل » صوابه بالجيم .

انكشفوا انتهت الهزيمة إلى على ؛ فانصرف علىٌّ يمشى نحو الميسرة ، فانصرف عنه مُضر من الميسرة ، وثبتَ ربيعة .

محاماة الحسين ومحمد عن أبيهما

نصر : عن عمر بن سعد ؛ عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب قال : مرَّ علىٌّ يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ، [ومعه ربيعة وحدها] ، وإنى لأرى النَّبل بين عاتقه ومَنكبيه ، وما مِن بنَيه أحدٌ إلاَّ يقَيهِ بنفسه ، فيكره علىٌّ ذلك ، فيتَقدَّم [١] عليه فيحول بينه وبين أهل الشام ، ويأْخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه ، أو من ورائه . فبصُر به أحمر – مولى أبى سفيان ، أو عثمانَ ، أو بعضِ بنى أُمية – فقال علىّ : وربِّ الكعبة قتلنى الله إن لم أقتلك أو تقتلنى ! فأقبل نحوه ، فخرج إليه كيسانُ مولى علىٍّ ، فاختلفا ضربتَين ، فقتله مولى بنى أُمية وخالط عليًّا ليضربه بالسيف ، فانتهزَه علىٌّ [٢] فتقع يده فى جيب درعه [٣] فجذبه ثم حمله على عاتقه ، فكأَنِّى أنظر إلى رجليه تختلفان على عُنق علىٍّ ، ثمَّ ضرب به الأرضَ فكسر منكِبه وعَضُده ، وشدَّ ابنا علىّ عليه : الحسينُ ومحمد ، فضرباه بأسيافهما [حتى بَرَدَ [٤]] ، فكأَنِّى أنظر إلى علىٍّ قائماً وشبلاه يضرِبان الرَّجُل ، حتى إذا أَتيَا عليه [٥] أقبلا إلى أبيهما والحسنُ معه قائم ، قال : يا بنىَّ ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ قال : كَفَيانى يا أمير المؤمنين .

ثم إنَّ أهل الشام دنَوا منه – واللهِ ما يزيده قربُهم منه [ودنُوُّهم إليه] سرعةً فى مشية [٦] – فقال له الحسن : ما ضرَّكَ لو سعيْتَ حتّى

(١) فى الأصل : « فيقدم » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٤٨٦) .
(٢) انتهزه ، بالزاى : بادر إليه وأسرع . قال :
* وانتهز الحق إذا الحق وضح *
(٣) أى يد على . فى الأصل : « فوقع يده » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) برد : مات .
(٥) فى الأصل : « قتلاه » ، وأثبت ما فى ح .
(٦) فى الأصل : «إلا سرعةفى مشيه»، والوجه حذف «لا» كما فى ح، وهو ما يقتضيه السياق.

تنتهىَ إلى هؤلاءِ الذين صَبروا لعدوِّك من أَصحابك ؟ ــ [قال : يعنى وربيعة الميسرة] ــ قال : يا بنى [إنَّ] لأَبيك يوماً لن يَعْدُوَه ، ولا يبطئُ به عنه السعى ، ولا يُعجِّل به إليه المشى . إنَّ أَباك واللهِ ما يُبالى وقَع على الموتِ أَو وقَع الموتُ عليه .

على وسعيد بن قيس والأشتر

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أَبِى إسحاق ، قال : خرج علىٌّ يوم صِفّين وفى يده عَنَزة[1] ، فمرّ على سعيد بن قيسٍ الهمدانى ، فقال له سعيد : أَما تخشى يا أَمير المؤمنين أَن يغتالك أَحدٌ وأَنتَ قُربَ عَدوِّك ؟ فقال له علىٌّ : « إنه ليس من أَحدٍ إلا عليه من الله حَفَظة يحفَظونه من أن يتردَّى فى قَليبٍ ، أَو يخِرَّ عليه حائط ، أَو تصيبَه آفة ، فإذا جاءَ القدر خَلَّوْا بينه وبينه » .

نصر ، عن عمر ، عن فُضَيل بن خَديجٍ ، عن مولى الأَشتر قال : لمّا انهزمت ميمنة أَهل العراق أَقبل علىٌّ يركض نحو الميسرة يستَثِيب الناسَ[2] ويستوقفُهم ويأْمرهم بالرجوع نحو الفَزَع ، حتى مرَّ بالأَشتر فقال له : يا مالك . قال : لبَّيك يا أَمير المؤمنين . قال : ائت [هؤلاء] القوم فقل لهم : أَين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه إلى الحياة التى لا تبقى لكم ؟ فمضى الأَشتر فاستقبل الناسَ منهزمين فقال لهم هؤلاءِ الكلمات التى أَمره علىٌّ بهن[3] وقال : أَيُّها الناس ، أَنا مالك بن الحارث [ــ يكرِّرها ــ فلم يَلْوِ أَحدٌ منهم عليه] . ثم ظن أَنه بالأَشتر أَعرَفُ فى الناس فقال : أَيُّها الناس ، أَنا الأَشتر ، إلىَّ أَيها الناس . فأَقبلت إليه طائفةٌ وذهبت عنه طائفة فقال : عضضتم بهَنِ أَبيكم ، ما أَقبح [والله]

(١) العنزة ، بالتحريك : رميح بين العصا والرمح فى أسفله زج .

(٢) يستثيب الناس : يسترجعهم ؛ ثاب : رجع . وفى الأصل : «يستئيب» ، وفى ح : « يستتب » ووجههما ما أثبت .

(٣) ح : « فقال لهم الكلمات » ، وفى الطبرى (٦ : ١١) : « هذه الكلمات التى قالها له على » .

ما قاتلتم اليوم[1] . يأَيها الناس ، غُضُّوا الأَبصار ، وعَضُّوا على النواجذ ، واستقبلوا القوم بِهَامِكم ، ثم شُدُّوا شَدَّة قومٍ موتورين بـآبائهم وأَبنائهم وإخوانهم ، حَنَقاً على عدوّهم ، وقد وطَّنوا على الموتِ أَنفسَهم ، كى لا يُسبقُوا بثأْر . إنَّ هؤلاءِ القومَ واللهِ لن يقارِعوكم إلاَّ عن دينكم ، ليطفئوا السُّنَّة ، ويُحيوا البِدعة ، ويُدخلوكم فى أَمرٍ قد أَخرجكم الله منه بحُسن البصيرة . فطِيبُوا عبادَ الله نفساً بدمائكم دون دينكم ؛ فإنَّ الفِرار فيه سَلْب العزّ ، والغلبةُ على الفَىء ، وذلُّ المَحْيا والممات ، وعارُ الدنيا والآخرة ، وسخط اللهِ وأَليم عقابه .

ثم قال : أَيُّها الناس ، أَخلِصُوا إلىَّ مذحِجاً . فاجتمعت إليه مذحج ، فقال لهم : عضَضتُم بصُمِّ الجندل ! والله ما أَرضيتم اليومَ ربَّكم ، ولا نصحتم له فى عدوِّه ، فكيف بذلك وأَنتم أَبناءُ الحرب وأَصحاب الغارات ، وفِتيان الصَّباح[2] ، وفُرسان الطِّراد ، وحُتوف الأَقران ، ومَذْحِج الطِّعان[3] ، الذين لم يكونوا يُسْبَقون بثأْرهم ولا تُطَلُّ دماؤهم ، ولا يُعرَفُون فى موطنٍ من المواطن بخَسْف . وأَنتم أَحدُّ أَهل مصركم[4] ، وأَعدُّ حىٍّ فى قومكم[5] ، وما تفعلوا فى هذا اليوم فإنَّه مأْثورٌ بعد اليوم . فاتَّقُوا مأْثور الحديث فى غد[6] واصدُقوا عدوَّكم اللقاءَ ؛ فإنَّ الله مع

(١) وسيأتى فى ص ٢٥٢ قوله : « والله ما أحسنتم اليوم القراع » . فى ح : « ما فعلتم » .

(٢) فتيان الصباح : فتيان الغارة ؛ وكانوا يسمون يوم الغارة يوم الصباح .

(٣) فى المعارف ٤٩ والعمدة (٢ : ١٥٦) : « وكان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحمير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل » .

(٤) ح : « وأنتم سادة مصركم » .

(٥) أعد : أكثر عدداً . وفى الحديث : « يخرج جيش من المشرق آدى شىء وأعده » أى أكثره استعداداً وعدداً . وفى ح : « وأعز حى » من العزة ، وما أثبت من الأصل يوافق ما فى الطبرى .

(٦) مأثور الحديث : ما يؤثر ويروى ويخبر الناس به بعضهم بعضاً . وفى الأصل : « وأبقوا مآثر الحديث فى غد » ، صوابه فى ح والطبرى .

الصابرين . والذى نفسُ مالكٍ بيده ما من هؤلاء – وأشار بيده إلى أهل الشام – رجلٌ على مثلِ جناحِ بعوضةٍ من دين الله . واللهِ ما أحسنتم اليومَ القِراع . اجلُوا سوادَ وجهى يرجعْ فى وجهى دمى . عليكم بهذا السَّواد الأعظم ؛ فإن الله لو [قد] فضّه تبِعه من بجانبيه كما يتبع [مؤخَّر[1]] السَّيل مُقدَّمه .

مصارع الهمدانيين

قالوا : خُذْ بنا حيثُ أحببت . فصمد بهم نحو عُظْمهم ممّا نحو الميمنة ، وأخذ يزحفُ إليهم الأشتر ويردُّهم ، ويستقبله شبابٌ من همدان[2] وكانوا ثمانىَ مائة مقاتل يومئذ ، وقد انهزموا آخرَ الناس ، وكانوا قد صبروا فى ميمنةِ علىّ عليه السلام حتى أُصيب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيساً ، كلما قُتل منهم رجلٌ أخذ الرايةَ آخر . فكان أوّلهم كُريب بن شُريح ، وشُرحبيل بن شُريح ، ومَرْثَد بن شُريح ، وهُبيرة بن شُريح ، ثم يَريم بن شريح[3] ، [ثم شمر بن شريح[4]] ، قُتل هؤلاءِ الإخوة الستَّة جميعاً . ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ، ثم عبد بن زيد ، ثم كرب بن زيد[5] فقُتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعاً . ثم أخذ الرايةَ عمير بن بشر[6] ، والحارث بن بشر ، فقتلا . ثم أخذ الراية وهب بن كريب[7] أبو القلوص ، فأراد

(١) هذه من الطبرى .

(٢) فى الأصل : « واستقبله سنام من همدان » . ح (١ : ٤٨٧) : « واستقبله أشباههم من همدان » . وأثبت ما فى الطبرى .

(٣) فى الأصل : « بريم » ، صوابه من الطبرى . وفى ح : « هريم » .

(٤) التكملة من ح والطبرى . لكن فى الطبرى : « سمير » .

(٥) الطبرى : « كريب بن زيد » ، وفى ح : « سفيان بن زيد ، ثم كرب بن زيد ، ثم عبد الله بن زيد » .

(٦) فى الأصل : « عميرة بن بشر » ، وأثبت ما فى ح . وفى الطبرى : « عمير بن بشير » .

(٧) فى الأصل : « وهيب » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .

أن يستقبل فقال له رجلٌ من قومه : انصرفْ [يرحمك الله] بهذه الراية تَرَّحها الله[1] من راية ، فقد قُتِل أشرافُ قومك حولَها ، فلا تقتُلْ نفسك ولا مَن بقى ممّن معك . فانصرفوا وهم يقولون : ليت لنا عديداً مِن العرب يحالفوننا ثم نستقدمُ نحن وهم ، فلا ننصرف حتى نُقْتَل أو نَظْهَر[2] . فمرُّوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الأشتر : إلىّ ، أنا أحالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتى نَظهر أو نَهلِك[3] . فوقفوا معه [على هذه النيّة والعزيمة] . ففى هذا القول قال كعب بن جعيل[4] :

تثبيت الأشتر أصحابه

* وهمدان زُرْقٌ تبتغى مَنْ تحالِفُ[5] *

تراجع الناس إلى الأشتر

وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه أُناسٌ تراجعوا من أهل البصيرة والحياء والوفاء[6] ، فأخذ لا يَصمُد لكتيبةٍ إلا كشفها ، ولا لجمع إلاَّ حَازَه وردَّه[7] . فإنه لكذلك إذ مرَّ بزياد بن النَّضر يُحمَلُ إلى العسكر فقال : مَن هذا ؟ قيل : « زياد بن النضر ، استُلحم [عبدالله ابن بُديل[8]] وهو وأصحابه فى الميمنة ، فتقدّم زيادٌ فرفع لأهل الميمنة رايتَه فقاتلَ حتى صُرع » . ثم لم يمكثوا إلا كَلاَ شىءٍ حتى مروا

---

(١) ترحها الله ، دعاء عليها بالترح ، وهو الحزن والهم . وفى اللسان : « ترحه الأمر تتريحا : أى أحزنه » . وهذه الكلمة ليست فى الطبرى . وفى ح : « نزحها الله » ، تحريف .

(٢) الظهور : الظفر ؛ ظهر عليه ظهوراً وأظهره الله عليه . ح : « حتى نظفر أونقتل » الطبرى : « حتى نقتل أو نظفر » .

(٣) ح والطبرى : « حتى نظفر أو نهلك » .

(٤) فى الأصل : « فى هذا القول فقال كعب بن جعيل » ، وأثبت ما فى الطبرى . وفى ح : « فهذا معنى قول كعب بن جعيل » .

(٥) المراد بالزرق زرق العيون ، والعرب يتهاجون بذلك ، ويعدونه من اللؤم . انظر الحيوان (٣ : ١٧٥ و ٥ : ٣٣٠ – ٣٣١) .

(٦) ح : « أهل الصبر والوفاء والحياء » .

(٧) فى الأصل و ح : « جازه » ، صوابه بالحاء كما فى الطبرى . انظر ما سبق ص ٢٣٤ .

(٨) استلحم ، بالبناء للمفعول : احتوشه العدو فى القتال . وهذه التكلة من الطبرى (٦ : ١٢) . والكلام فى ح محرف مبتور .

بيزيدَ بنِ قيسٍ محمولاً إلى العسكر ، فقال الأشتر : من هذا ؟ قالوا : « يزيد بن قيس ، لما صُرع زياد بن النَّضر رفع لأهل الميمنة رايته فقاتَلَ حتى صُرع » . فقال الأشتر : « هذا والله الصبر الجميلُ ، والفعلُ الكريم . ألا يستحيي الرجل أن ينصرفَ لم يَقتُل ولم يُقتَل.ولم يُشفَ به على القتل ؟ » .

صفة الأشتر في لباس الحرب

نصر ، عن عمر ، عن الحُرّ بن الصَّيَّاح[1] [النَّخَعيّ[2]] أنَّ الأشتر كان يومئذٍ يقاتل على فرسٍ له ، في يده صفيحة [له] يمانية إذا طأطأها خِلتَ فيها ماءً منصبًّا ؛ فإذا رفعها كادَ يُغْشى البصرَ[3] شُعاعُها ، ويضرب بسيفه قُدُماً وهو يقول :

* الغَمَرَاتُ ثمَّ ينجَلينا[4] *

الأشتر وابن جمهان

قال : فبصُر به الحارث بن جُمهان الجعفيّ ، والأشتر مقنَّع في الحديد ، فلم يعرفه ، فدنا منه وقال له : جزاك الله منذ اليوم عن أمير

(١) الحر ، بضم الحاء المهملة وتشديد الراء ، بن الصياح ، كشداد ، النخعي الكوفي ، ثقة من الثالثة . روى عن ابن عمر وأنس وعبد الرحمن بن الأخنس ، وعنه : شعبة والثوري وأبو خيثمة وعمرو بن قيس الملائي . انظر تهذيب التهذيب والمشتبه ٣١٠ . وفي الأصل : « الحر ابن الصباح » وأثبت ما في التهذيب والمشتبه مطابقاً ما في الطبري . وفي ح : « الحارث بن الصباح » وهو رجل شيعي آخر ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٦ : ١٥٣) وقال : إنه تابعي روى عن علي .

(٢) هذه التكلة من الطبري ، وهي تعين أنه « الحر بن الصياح النخعي » .

(٣) يغشى البصر : يذهب به . وفي كتاب الله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » . وقد وردت هكذا بالغين المعجمة في الأصل و ح والطبري . وهم يقولون كثيراً في نحو هذا المقام : « يعشى » بالعين المهملة ؛ والعشا : ضعف الإبصار .

(٤) هو للأغلب العجلي ، كما في أمثال الميداني . في الأصل : «غمرات» ، وفي أمثال الميداني : «غمرات ثم ينجلين» ، ويروى : « الغمرات ثم ينجلين » . وهذا الأخير هو الوجه في الإنشاد ؛ فني جمهرة العسكري ١٥٠ عند الكلام على المثل : هو من قول الراجز :

الغمـــرات ثم ينجلين عنـا وينزلن بآخـــرين
شـــدائد يتبعهن لين

وانظر مقاييس اللغة (غمر) .

المؤمنين عليه السلام وجماعةِ المسلمين خيراً . فعرفه الأَشتر فقال : يا ابن جُمهان ، أَمثلك يتخلَّف اليوم عن مثل موطنى هذا الذى أَنا فيه؟ فتأَمَّله ابن جُمهان فعرفه ، وكان الأَشتر من أَعظم الرِّجال وأَطوله[1] ، إلا أَنَّ فى لحمه خِفَّةً قليلة — قال : جُعِلت فِداك ، لا والله ما علمت مكانَكَ حتَّى الساعة ، ولا أُفارقكَ حتى أَموت . قال : ورآه[2] منقذٌ وحِميرٌ ابنا قيس الناعطيان[3] فقال مُنقِذ لحمير : ما فى العرب رجلٌ مثلُ هذا إن كان ما أَرى من قتاله على نيَّته . فقال له حمير : وهل النِّيَّة إلاَّ ما ترى ؟ قال : إنى أَخاف أَن يكونَ يحاول مُلْكا .

الأشتر ومنقذ وحمير ابنا قيس

تحريض الأشتر أصحابه

نصر ، عن عُمر[4] ، عن فُضيل بن خَديج ، عن مولى الأَشتر قال : لما اجتمع إلى الأَشتر عُظْمُ مَن كان انهزم من الميمنة حرَّضهم فقال لهم : « عَضُّوا على النواجذ من الأَضراس ، واستقبلوا القومَ بهامِكم ، فإنَّ الفِرار من الزَّحف فيه سلبُ العزّ ، والغلبةُ على الفَىء ، وذلُّ المحيا والممات ، وعارُ الدنيا والآخرة[5] » . ثمَّ حمل عليهم حتى كشفهم فأَلحقهم بصفوف معاوية[6] بين صلاة العصر والمغرب .

نصر ، عن عمر ، عن محمد بن إسحاق ، أَنَّ عَمرو بن حميَّة الكلبي خرج يوم صِفِّين وهو مع معاوية يدعو للبِراز .

---

(١) فى الأصل و ح : « وأطولهم » ، وأثبت ما فى الطبرى . وانظر التنبيه السادس من ص ٢٤١ .

(٢) فى الأصل : « ورأى » ، وفى ح : « رأى الأشتر يومئذ منقذاً وحميراً ابنا قيس » تحريف ، صوابه من الطبرى .

(٣) بنو ناعط : قبيلة فى اليمن . انظر الاشتقاق ٢٥١ . وفى الأصل : « البعطيان » ح (١ : ٤٨٨) : « اليقظيان » ، والأشبه ما أثبت من الطبرى .

(٤) ح : « عمرو » .

(٥) الخطبة فى تاريخ الطبرى (٦ : ١٢) مسهبة .

(٦) ح : « بمضارب معاوية » .

خطبة لعلى

نصر ، عن عُمر [1] ، عن مالك بن أعيَن ، عن زيدِ بن وهب ، أنّ عليًّا لما رأى ميمنتَه قد عادت إلى موْقفها ومصافِّها وكُشِف من بإزائها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم ، أقبل حتى انتهى إليهم فقال : إنى قد رأيت جولتكم وانحيازَكم عن صفوفكم ، يحوزُكم [2] الجفاةُ الطَّغام ، وأعراب أهل الشـام ، وأنتم لهاميمُ العرب ، والسَّنام الأعظم ، وعُمَّار الليلِ بتلاوة القرآن ، وأهلُ دعوةِ الحق إذْ ضلَّ الخاطئون [3] . فلولا إقبالُكم بعد إدباركم ، وكرُّكم بعد انحيازكم ، وجبَ عليكم ماوجب على المولِّى يومَ الزَّحف دُبُرَه ، وكنتم فيما أُرى من الهالكين . ولقد هوّن علىّ بعضَ وجدى ، وشفى بعضَ أُحَاح نفسى [4] أنى رأيتكم بأَخَرَةٍ حُزتموهم كما حازوكم ، وأزَلتموهم عن مصافِّهم كما أزالوكم ، تحوزُونهم بالسيوف ليركب أوّلُهم آخِرَهم ؛ كالإبل المطرَّدة الهِيم [5] . فالآن فاصبِروا ، أُنْزِلَتْ عليكم السكينة ، وثبَّتَكم الله باليقين . وليعلم المنهزم أنَّه مُسْخِطٌ لربِّه ، ومُوبِقٌ نفسَه ؛ وفى الفِرَارِ موجدة الله عليه ، والذُّلُّ اللازم [له ، والعار الباقى ، واعتصار الفىء من يده [6]] ، وفساد العيش ، وإن الفارّ لا يزيد الفِرار فى عمره ، ولا يُرْضِى ربَّه . فموتُ الرجل مَحْقاً قبل إتيانِ هذه الخصال خيرٌ من الرّضا بالتلبُّسِ بها [7] والإقرار عليها .

---

(١) ح (١ : ٤٨٨) : « عمرو » .

(٢) يحوزكم : ينحيكم عن مراكزكم . فى الأصل : « وتحزركم » ، صوابه فى ح والطبرى (٦ : ١٤) . وانظر ما مضى ص ٢٣٤ .

(٣) فى الأصل : « إذا ضل » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .

(٤) الأحاح ، بالضم : اشتداد الحزن والغيظ . وفى الأصل : « حاج » ، صوابه فى الطبرى . وفى ح : « لاعج » .

(٥) الهيم : العطاش . فى الأصل و ح : « المطرودة » ، وأثبت ما فى الطبرى .

(٦) كلمة : « له » من ح . وباقى التكملة من الطبرى .

(٧) الطبرى : « بالتأنيس لها » .

رأس خثعم الشام ورأس خثعم العراق

نصر ، عن عمر قال : حدثنا [أبو علقمة الخثعمى ، أنّ عبدالله ابن حَنَش الخثْعمى رأسَ خثعمٍ مع معاوية ، أرسل إلى أبى كعب رأس خثعمٍ مع علىّ : أن لو شئت لتواقَفْنَا فلم نقتتل، فإن ظهر صاحبُك كنّا معكم ، وإن ظهر صاحبُنا كنتم معنا ولم يقتل بعضُنا بعضاً . فأَبَى أبو كعبٍ ذلك ، فلما التقت خثعم وخثعم وزَحَف الناسُ بعضُهم إلى بعض ، قال رأسُ خثعم الشام لقومه : يا معشر خثعم ، قد عرضْنا(١) على قومنا من أهل العراق الموادعة صلةً لأرحامهم ، وحفظاً لحقِّهم ، فأبوا إلاَّ قتالنا، فقد بدءُونا بالقَطيعة فكُفُّوا أيديَكم عنهم حفظاً لحقِّهم أبداً ما كفُّوا عنكم ؛ فإذا قاتلوكم فقاتلوهم . فخرج رجلٌ من أصحابه فقال : [إنَّهم] قد ردُّوا عليك رأيك وأقبلوا يقاتلونك . ثم برز فنادى : رجلٌ لرجلٍ يا أهل العراق . فغضب رأسُ خثعم من أهل الشام ، فقال : اللّهم قيِّضْ له وهبَ بن مسعود — رجلاً من خثعم من أهل الكوفة، وقد كانوا يعرفونه فى الجاهلية ، لم يبارزه رجل قطُّ إلا قتله — فخرج إليه وهبُ بن مسعود فحمل على الشامىِّ فقتله ، ثم اضطربوا [ساعةً] فاقتتلوا أشدَّ القتال ، وأخذ أبو كعب يقولُ لأصحابه : يا معشر خثعم : خدِّموا(٢) . وأخذ صاحب الشام يقول : يا أبا كعب ، [الكلُّ] قومك فأنصِفْ ! فاشتدَّ قتالهم ، فحمل شمر بن عبدالله الخثعمى من أهل الشام على أبى كعب رأسِ خثعمِ الكوفة فطعنه ، فقتله ، ثم انصرف يبكى ويقول : رحِمَك اللهُ يا أبا كعب ، لقد قتلتُك فى طاعةِ قوم أنت أمسُّ بى رحماً منهم وأحبُّ إلىَّ نفساً منهم . ولكن والله ما أدرى ما أقول ، ولا أُرَى(٣) الشيطان إلاَّ قد فتننا ، ولا أرى قريشاً إلا قد لعبت بنا .

(١) فى الأصل : « عرضت » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) فسره ابن أبى الحديد فى (١ : ٤٨٩) بقوله : « أى اضربوا موضع الخدمة ، وهى الخلخال . يعنى اضربوهم فى سوقهم » .

(٣) فى الأصل : « أدرى » ، صوابه فى ح .

ووثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه فأخذها ، ففقئت عينه وصرع . ثم أخذها شُريح بن مالك فقاتل القومُ تحتها ، حتى صُرِع منهم حول رايتهم ثمانون رجلا ، وأُصيب من خثعم الشام نحوٌ منهم . ثم إن شُريح ابن مالك ردَّها بعد ذلك إلى كعب بن أبي كعب .

قتال بجيلة

نصر ، عن عمرو[1] ، عن عبد السلام بن عبد الله بن جابر[2] ، أنَّ راية بجيلة في صفِّين كانت في أحمس مع أبي شدَّاد — وهو قيس ابن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عَمرو بن عامر[3] بن على بن أسلَم ابن أحمس بن الغوث بن أنمار . فقالت له بجيلة : خذْ رايتَنا . فقال : غيرى خير لكم منِّى . قالوا : ما نريد غيرك . قال : فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهى[4] بكم دونَ صاحب الترس المذْهَب — قال : وعلى رأْس معاوية رجلٌ قائم معه ترس مُذْهَب ، يستره من الشمس — قالوا : اصنعْ ماشئت . فأخذها ثم زحف وهو يقول :

إن عليًّا ذو أناة صارمُ　　جَلْدٌ إذا ما حضر العزائمُ
لما رأى ما تفعل الأَشائمُ　　قامَ له الذِّروة والأَكارمُ
الأَشيبانِ مالكٌ وهاشمُ

ثم زحف بالرّاية حتى انتهى إلى صاحب التُّرس المذْهَب ، وكان فى خيلٍ عظيمة من أصحاب معاوية — وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — قال : فاقتتل الناس هنالك قتالاً شديدًا . قال : وشدّ

---

(١) فى الأصل : « عمر » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) هو عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسى ، كما فى الطبرى . ذكره فى لسان الميزان (٤ : ١٣) وقال : إنه روى عن أبيه . وذكر فى ترجمة أبيه أنه لم يرو عنه إلا ابنه . انظر (٣ : ٢٦٥) . وفى الأصل : « عبد السلام بن عبد الله عن جابر » ، وكلمة « عن » محرفة .
(٣) فى ح : « بن عمرو بن عوف بن عامر » ، وما أثبت من الأصل يطابق ما فى الإصابة ٧٣٠٧ . وفى تاريخ الطبرى : « بن عمرو بن جابر » .
(٤) فى الأصل : « لانتهى » ، صوابه فى ح .

أَبو شدادٍ بسيفه نحو صاحب التُّرْس ، فتعرَّض له روميٌّ من دونه لمعاوية فضرب قدم أَبى شدّاد فقطعها وضربه أَبو شدّاد فقتله ، وأُشرعت إِليه الأَسنَّة فقُتل ، وأَخذ الراية عبد الله بن قلع الأَحمسى وهو يقول :

لا يُبْعِدِ اللهُ أَبا شدّادِ ... حيثُ أَجاب دعوةَ المنادِى
وشدَّ بالسَّيف على الأَعادِى ... نِعم الفَتَى كان لَدَى الطِّرَادِ
وفى طِعانِ الخيلِ والجِلادِ

ثم قاتل حَتَّى قتل ، ثمَّ أَخذَ الرَّايةَ أَخوه عبدُ الرحمن بن قلع فقاتَل فقتل ، ثم أَخذها عفيف بن إِياس [الأَحمسىّ] ، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس .

صرعى بجيلة

[قال نصر] : و [حدثنا عمرو قال : حدثنا عبد السلام قال] : قتل حازم بن أَبى حازم ، أَخو قيس بن أَبى حازم ، يومئذ ، وقتل نعيم بن صهيب بن العلية [البجلى(١)] ، فأَتَى ابنُ عمِّه وسميُّه نُعيم ابن الحارث بن العليَّة(٢) معاويةَ - وكان معه - فقال : إِنَّ هذا القتيل ابنُ عمِّى فهبه لى أَدفنْه . فقال : لا تدفنْهم فليسوا أَهلاً لذلك(٣) ، فوالله ما قَدرنا(٤) على دفن عثمانَ معهم إِلا سِرًّا . قال : والله لتأْذَنَنَّ لى فى دفنه أَو لأَلحقنَّ بهم ولأَدَعنَّك . فقال له معاوية : [ويحك] ، ترى أَشياخ العرب لا نُواريهم(٥) وأَنت تسأَلُنى دفنَ ابنِ عمك ؟ ثم قال له : ادفنْه إِن شئتَ أَو دَعْ(٦) . فأَتاه فدفنه .

قتال غطفان العراق

نصر ، عن عمر(٧) ، عن أَبى زهير العبسىّ ، عن النَّضر بن صالح

(١) فى الأصل : « نعيم بن سهيل بن الثعلبة »، وأثبت ما فى الطبرى مع هذه التكملة . وفى ح (١ : ٤٨٩) : « نعيم بن سُهد بن التغلبية » .
(٢) فى الأصل : « الثعلبة » وفى ح : « الثعلبية » ، وأثبت ما فى الطبرى .
(٣) الطبرى : « لا تدفنه فابس لذلك أهلا » .
(٤) فى الأصل : « ما قدر » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .
(٥) ح : « ترى أشياخ العرب قد أجالتهم أمورهم » .
(٦) فى الأصل و ح : « أودعه » ، وأثبت ما فى الطبرى . (٧) ح : « عمرو » .

أنَّ راية غطفانِ العراق كانت مع عَيَّاش بن شَريك بن حارثة بن جندب[1] ابن زيد بن خلف بن رواحة ، قال : فخرج رجلٌ من آل ذى الكَلاع يسأل المبارزة فبرز إليه قائد بنُ بُكير العَبْسى ، فبارزه فشد عليه الكَلاَعىُّ فأَوهطه[2] ، فخرج إليه عَيَّاش بن شَريك أبو سليم فقال لقومه : أنا مبارز الرجل ، فإن أُصيب فرأْسُكم الأَسود بن حبيب بن جمانة[3] بن قيس بن زهير ، فإن قتل فرأسكم هرم بن شتير[4] بن عمرو بن جندب ، فإن قتل فرأْسكم عبد الله بن ضرار من بنى حنظلة ابن رواحة . ثم مشى نحو الكَلاعى فلحقه هرم بن شُتَير[4] فأَخذ بظهره فقال : ليمسَّك رَحِم[5] ، لا تبرُزْ لهذا الطُّوال ! قال : هبلتك الهَبُول[6] ، وهل هو إلا الموت . قال : وهل يُفَرُّ إلا منه ؟ ! قال : وهل منه بُدّ ؟ قال : والله لأَقتلنّه أو ليُلْحِقنِّى[7] بقائد بن بكير . فبرز له ومعه حَجَفةٌ له من جلود الإبل ، فدنا منه فنظر عَيَّاش بن شريك فإذا الحديد عليه مُفْرَغٌ لا يُرى منه عورة[8] إلاَّ مثلُ شَرَائك النعل من عنقه بين بَيضته ودرعه ، فضربه الكَلاَعىُّ فقطع حجفته إلا نحواً من شبر ، ويَضْربه عَيَّاشٌ على ذلك الموضع[9] فقطع نُخاعه ، وخرَج ابنُ الكَلاعىّ ثائراً بأَبيه ، فقتله بُكير بن وائل .

---

(١) فى الأصل : « بن جارية بن جنيدب » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) أوهطه : صرعه صرعة لا يقوم منها .

(٣) فى الأصل : « الأسعد بن حبيب بن حمامة » ، وأثبت ما فى ح .

(٤) فى الأصل : « هرم بن شبير » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) الرحم : القرابة ، كأنه يتوسل إليه بحق القرابة . ح : « لتمسك » بالتاء .

(٦) فى اللسان : « وفى حديث على : هبلتهم الهبول . أى ثكلتهم الثكول ، وهى بفتح الهاء من النساء التى لا يبقى لها ولد » .

(٧) فى الأصل : « ليقتلنى أو ليلحقن » ، صوابه فى ح (١ : ٤٨٩) .

(٨) ح : « لا يبين من نحره » .

(٩) أى فى الموضع الذى كانا فيه . وفى الأصل : « وضربه عياش على ذلك المكان » .

نصر ، قال : عمر ، حدثنى أبو الصَّلت التيمى أن زياد بن خَصَفة بارزه فقتله .

قتال بنى نهد بن زيد

نصر : عُمر ، عن الصلت بن زُهير النهدىّ أنّ راية بنى نهد بن زيد أخذها مسروق بن الهيثم بن سلمة ، فقتل وأخذ الراية صخر بن سُمَىّ فارتُثَّ[(١)] ، ثم أخذها على بن عمير فقاتل حتى ارتُثَّ ، ثم أخذها عبدالله ابن كعب فقتل . ثم رجع إليهم سلمة بن خُذَيم[(٢)] بن جرثومة وكان يحرِّض الناس . فوجد عبدَ الله بن كعب قد قتل . فأخذ رايته فارتُثَّ وصرع . فأخذها عبد الله بن عمرو بن كبشة[(٣)] فارتُثَّ ، ثم أخذها أبو مسبِّح[(٤)] بن عمرو الجهنى فقتل ، ثم أخذها عبد الله بن النَّزَّال فقتل ، ثم أخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن زهير فقتل ، ثم أخذها مولاه مخارق فقتل ، حتى صارت إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدى[(٥)]

[قال نصر : فحدثنا عُمر ، وقال : حدثنا الصلت بن زهير قال : حدثنى عبد الرحمن بن مخنف] قال : صرع يزيد بن المغفَّل إلى جنبى فقتلت صاحبه وقمتُ على رأسه[(٦)] ، وقتل أبو زُبَيب بن عروة فقتلتُ صاحبه ، وجاءنى سفيان بن عوف فقال : أقتلتم[(٧)] يا معشر الأزد يزيدَ ابن المغفَّل ؟ فقلت له : [إى والله ، إنه لَهذا الذى ترانى قائماً على رأسه. قال : ومن أنت حيّاك الله ؟ قلت : أنا عبد الرحمن بن مخنف . فقال : الشريف الكريم ، حيّاك الله ومرحباً بك يا ابن عمّ ، أفلا تدفعه إلىّ

(١) ارتث ، على مالم يسم فاعله : ضرب فى الحرب فأثخن وحمل وبه رمق ثم مات من بعد .
(٢) خذيم ، بالذال المعجمة كما فى ح . وفى الأصل : « خديم » تحريف .
(٣) ح : « كنيسة » ، تحريف .
(٤) فى الأصل : « أبو مسيح » ، صوابه بالباء الموحدة . ح : « أبو سنخ » .
(٥) فى الأصل : « ثم أخذها مولاه مخارق فقتل ثم أخذها ابن أخيه عبد الرحمن بن مخنف الأزدى » ، ورددت الكلام إلى نصابه وتمامه من ح .
(٦) الكلام بعدها إلى كلمة « صاحبه » ساقط من ح .
(٧) فى الأصل : « أفيكم » ، وأثبت ما فى ح .

فأنا عمُّه سفيان بن عوف بن المغفل ؟ فقلت] : مرحباً بك . أما الآن فنحن أَحقُّ به منك ، ولسنا بدافِعِيه إليك ، وأمّا ما عدا ذلك فلعمرى أنت عمُّه ووارثه [1] .

أزد العراق وأزد الشام

نصر قال : قال عمر ، عن الحارث بن حصيرة عن أشياخٍ من النَّمر من الأَزد [2] أنَّ مخنف بن سليم لمّا نُدِب أزدُ العراقِ إلى أزد الشام حمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : « إنّ من الخطب الجليل والبلاء العظيم أنّا صُرِفْنَا إلى قومنا وصُرِفوا إلينا، فواللهِ ما هى إلاَّ أيدينا [نقطعها بأَيدينا [3]] ، وما هى إلا أَجنحتنا نحذِفها بأَسيافنا . فإنْ نحن لم نفعلْ لم نناصِحْ صاحبَنا ، ولم نُواسِ جماعتَنا ، وإنْ نحنُ فعلْنَا فعزَّنا أَبَحْنا [4] ، ونارَنا أخمدنا » . فقال جندب بن زُهير : « واللهِ لو كنّا آباءهم ولدناهم أو كنَّا أبناءهم ولدونا ، ثم خرجوا من جماعتنا وطعنوا على إمامنا ، وآزرُوا الظَّالمين ، والحاكمين بغير الحقّ على أهل ملَّتنا وذمّتنا [5] ، ما افترقنا بعدَ أن اجتمعنا [6] حتَّى يرجعوا عما هم عليه ، ويدخُلوا فيما ندعوهم إليه ، أو تكثر القتلى بيننا وبينهم » .

فقال مخنف : « أَعْزَبَكَ الله فى التِّيه [7] . أما والله ما عَلِمتُك صغيراً و[لا] كبيراً إلا مشؤوماً ، والله ما ميَّلْنا الرّأىَ بين أمرين قطُّ [8] أيَّهما

---

(١) فى الأصل : « وأما بعد ذلك فأنت عمه وأحق به » ،وأثبت ما فى ح (١ : ٤٩٠) .

(٢) هم بنو النمر بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن الأزد . انظر مختلف القبائل ومؤتلفها ص ١٩ . وفى الأصل : « أشياخ النمر » وفى ح : « أشياخ الأزد » ، وأثبته كاملا من الطبرى (٦ : ١٥) .

(٣) التكملة من ح والطبرى .

(٤) ح : « آلمنا » .

(٥) ح : « ودينا » .

(٦) فى الأصل : « إذا اجتمعنا » ، وأثبت ما فى ح .

(٧) هذه الجملة ساقطة من ح . وهى فى أصلها : « أغر الله بك فى النية » وفى الطبرى : « أعز الله بك النية » . ورأيت صوابهما فيما أثبت . الإعزاب : الإبعاد . والتيه : الضلال .

(٨) التمييل : الترجيح . فى الأصل: « فى أمرين قط » ، وأثبت ما فى ح . وفى اللسان . =

نأتى وأيَّهما ندَعُ ، فى الجاهلية ولا بعدَ ما أسلمنا ، إلا اخترتَ أعسرَهما وأنكدَهما . اللهم فأَن نُعَافَى أحبُّ إلينا من أن نُبتَلى[1] . فأعط كلَّ رجلٍ منَّا ما سأَلك» .

فقال أبو بردة بن عوف : « اللهم احكم بيننا بما هو أرضَى لك . يا قوم إنكم سترون ما يصنع الناس ، وإنَّ لنا الأُسوةَ[2] بما اجتمعت عليه الجماعة إن كنا على حقٍّ ، [وإن يكونوا[3]] صادقين ؛ فإنَّ أسوةً فى الشرّ ؛ والله ؛ ما علمنا ضررٌ فى المحيا والممات[4] » .

وتقدَّم جُندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام . فقتله الشامىّ . وقَتل من رهط عبد الله بن ناجد عجلا وسعيداً ابنى عبد الله[5] ، وقُتل مع مخنف من رهْطِهِ عبد الله بن نَاجد ، [و] خالد بن ناجد[6] . وعمرو وعامر ابنا عريف ، وعبد الله بن الحجاج . وجندب بن زهير . وأبو زينب بن عوف . وخرج عبد الله بن أبى الحصين [الأزدىّ] فى القراء الذين كانوا مع عمار بن ياسر فأُصيب معه . وقد كان مخنف قال له : نحن أحوجُ إليك من عمّار . فأبَى عليه . فأُصيب مع عمّار .

خطبة عتبة بن جويرية

نصر : عمر . عن الحارث بن حصيرة . عن أشياخ النَّمر[7] أن

= « تقول العرب : إنى لأميل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما آتى » . وفى ح : « والله ما دفعنا فى الرأى » ، تحريف .

(١) ح : « أن تعافينا أحب إلى من أن نبتلينا » .

(٢) فى الأصل : « وإن كنا الأسوة » ، صوابه فى الطبرى . وكلام أبى بردة لم يرد فى مظنه من ح .

(٣) التكملة من الطبرى .

(٤) فى الأصل : « وإن كنا الأسوة » ، صوابه فى الطبرى .

(٥) الطبرى : « وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله من بنى ثعلبة » .

(٦) فى الأصل : « من رهط عبد الله بن ناجد بن خالد بن ناجد » . وصواب الإيراد من الطبرى . وفى الطبرى : « عبد الله وخالد ابنا ناجد » .

(٧) انظر ما سبق ص ٢٦٢ .

عتبة بن جويرية[1] قال يوم صفين : « ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح هشيما[2] ، وأصبح زرعها حصيداً ، وجديدها سَمَلاً ، وحلوُها مرَّ المذاق. ألاَ وإنى أُنبِّئكم نبأ امرئٍ صادق، إنِّى سئمتُ الدنيا ، وعزفَتْ نفسِى عنها . وقد كنتُ أتمنَّى الشهادةَ ، وأتعرَّضُ لها فى كلِّ حين[3] ، فأبى الله إلا أن يُبْلغنى هذا اليوم . ألا وإنى متعرِّضٌ ساعتى هذه لها ، وقد طمعت ألاَّ أُحْرَمَها . فما تنتظرون عبادَ الله من جهادِ أعداءِ الله ؟ أخَوفَ الموت القادمِ عليكم ، الذاهبِ بأنفسكم لا مَحالة ، أو من ضربةِ كفٍّ أو جبين بالسَّيف ؟ ! أتستبدلون الدُّنيا بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ ، أو مرافقة النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصّالحين فى دار القرار . ما هذا بالرأى السديد » . ثم قال : « يا إخوَتاه ، إنى قد بعت هذه الدَّارَ بالدّار التى أمامَها . وهذا وجهى إليه ، لا يبرحِ اللهُ وجوهَكم[4] ولا يقطع الله أرحامكم » .

فتبعه إخوتُهُ عبيد الله وعوف ومالك وقالوا[5] : « لا نطلب رزق الدنيا بعدك . قَبَح اللهُ العيشَ بعدَك . اللهم إنا نحتسب أنفسَنا عندك ». فاستقدموا [جميعاً] فقاتلوا حتى قتلوا .

نداء مالك بن حرى النهشلى

نصر : عمر ، حدثنى رجل من آل الصلت بن خارجة ، أن تميماً لما ذهبت لتنهزم [ذلك اليوم] ناداهم مالك بن حَرِّىّ النهشلىّ[6] :

---

(1) ح (١ : ٤٩٠) : « عقبة بن خوبة » ، وفى الطبرى : « عقبة بن حديد النمرى » .
(2) فى الأصل : « أصبح شجرها هشيما » ، والوجه حذف « شجرها » كما فى ح والطبرى .
(3) وكذا فى ح . لكن فى الطبرى : « فى كل جيش وغارة » .
(4) البرح : الشدة والأذى .
(5) فى الأصل : « فتبعه أخواه عبيد الله وعوف ابنا مالك وقالا » ، والوجه ما أثبت من الطبرى .
(6) فى الأصل : « مالك بن مر النهشلى » ، صوابه فى ح (١ : ٤٩٠) . وقد ذكره ابن حجر فى أثناء ترجمته لأخيه نهشل بن حرى ٨٨٧٨ .

« ضاع الضراب اليومَ ، والذى أنا لَهُ وسائر القوم عبدٌ ، يابنى تميم » . قالوا : ألا ترى الناسَ قد انهزموا ؟ قال لهم : أَفِرَاراً واعتذاراً ؟ ![1] [ثم نادى بالأَحساب ، فجعل يكرّرُها ، فـ] قالت له بنو تميم : أفتنادى بنداء الجاهلية ؟ ! إن ذا لا يحلّ . قال : فالفرارُ ويلكم أقبح . إن لم تقاتلوا على الدين واليقين فقاتلوا على الأَحساب ، ثم أقبل يقاتل ويرتجز وهو يقول :

إن تميماً أَخلَفَتْ عنكَ ابنَ مُرّْ[2] وقـد أُراهمْ وهمُ الحىُّ الصُّبُرْ
فإن تَخِيموا أو تفرُّوا لا نفرّْ[3]

رثاء نهشل بن حرى لأخيه مالك

وقال أخوه نهشل بن حرّىّ[4] التميمى يرثيه :

تطاول هذا الليلُ ما كاد ينجلى كليلِ التِّمامِ ما يريدُ انصراما
فبتُّ لذِكرَى مالكٍ بكآبةٍ أُؤرِّقُ من بعد العِشاء نياما
أَبَى جزَعِى فى مالكٍ غيرَ ذكره فلا تعذلينى أنْ جزِعتُ أماما
سأبكِى أخى ما دامَ صوتُ حمامة يؤرِّقُ[5] من وادى البِطاحِ حَماما
وأبعثُ أنواحاً عليه بسُحْرةٍ[6] وتذرِف عيناىَ الدُّموعَ سِجاما

---

(١) فى الأصل : « أفرار واعتذار » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) يقول : إن تميم بن مر أخلفت عنك . وهم تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . والإخلاف : التخلف ، قال الأسود بن يعفر (اللسان ١٠ : ٤٤٣) :

بيض مساميح فى الشتاء وإن أخلف نجم عن نوئه وبلوا

(٣) خام يخيم خيما وخيماناً وخيوماً وخيومة وخيمومة وخياماً : نكص وجبن .

(٤) هو نهشل بن حرى بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو من الشعراء المخضرمين . انظر الإصابة والخزانة (١ : ١٥١) . وحرى ، بفتح الحاء وتشديد الراء المكسورة كالمنسوب إلى الحر أو الحرة . وفى الأصل : « نهشل ابن مر » ، صوابه فى ح .

(٥) ح : « تؤرق » ، أى الحامة .

(٦) الأنواح : جمع نوح ، بالفتح ، للنسوة النائحات . والسحرة ، بالضم : السحر ، وقيل هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر . وفى الأصل : « بشجوة » ، صوابه فى ح .

وأدعو سَرَاةَ الحيِّ يبكون مالكاً ... وأبعث نَوْحاً يلتدِمْنَ قِياما
يَقُلْنَ ثَوَى ربُّ السَّماحةِ والنَّدى ... وذو عزَّةٍ يأْبَى بها أن يضاما
وفارسُ خيلٍ لا تُسَايَرُ خيلُه ... إذا اضطرمت نار العدوِّ ضراما
وأحيا عن الفحشاءِ من ذاتِ كِلَّةٍ ... يَرَى ما يهابُ الصَّالحون حَرَاما
وأجرأُ من ليثٍ بخَفَّانَ مُخْدِرٍ ... وأمضى إذا رامَ الرِّجالُ صِداما
فلا تَرجُوَن ذَا إِمَّةٍ بعدَ مالكٍ ... ولا جازراً للمنشِئاتِ غُلاما[1]
وقل لهم لا يرحلوا الأُدْمَ بعده ... ولا يرفَعُوا نحو الجِياد لجاما[2]

وقال أيضاً فيه :

أَبكى الفتى الأَبيضَ البُهلُولَ سُنَّتُهُ ... عند النِّداءِ ، فلا نِكْساً ولا وَرَعا[3]
أَبكى على مالكِ الأَضيافِ إذْ نزلوا ... حين الشَّتاء وعَزَّ الرِّسلُ فانجدعا[4]
ولم يجِدْ لقِراهم غير مُرْبِعةٍ ... من العِشارِ تزجِّى تحتها رُبَعا[5]
أَهوى لها السيفَ تَرًّا وهى راتِعةٌ ... فأَوهن السيفُ عظمَ السَّاق فانقطعا[6]

---

(١) الإمامة ، بالكسر : النعمة . وفى الأصل : « فلا يرجعون » . والمنتشئات : النوق اللواقح ؛ أنشأت الناقة فهى منشىء : لقحت . والغلام : الطار الشارب ، والكهل ، أو من حين يولد إلى أن يشب . وهذا البيت وتاليه لم يرويا فى ح . وفى الأصل : « ولا جار إلا المنشآت علاما » .

(٢) الأدم : جمع آدم وأدماء ، وهى الإبل الخالصة البياض . رحل البعير ، كمنع : حط عليه الرجل .

(٣) السنة : الوجه . وفى الأصل : « شبيه » ، صوابه فى ح (١ : ٤٩١) ، وفى ح : « بكى » فى هذا البيت وتاليه على الأمر .

(٤) نسبه إلى الأضياف . والرسل ، بالكسر : اللبن .

(٥) المربعة : ذات الربع ، بضم ففتح ، وهو ما ولد من الإبل فى الربيع . والمذكور فى المعاجم : « مربع » بدون تاء ، و« مرباع » . تزجى : تسوق ، وفى الأصل : « يرجى » صوابه فى ح .

(٦) الترّ : القطع والإبانة . ح : « صلتا » .

فجاءهم بعد رَقْدِ الحيِّ أطيبُهَـا   وقد كفَى منهم من غابَ واضطجعا[1]

يافارس الرَّوع يوم الرَّوع قد علموا   وصاحب العزْم لا نِكْسا ولا طَبِعا[2]

ومُدرِكَ التَّبْلِ فى الأَعداء يَطْلُبه   وإنْ طَلَبْتَ بِتَبْلٍ عندَه مَنَعا[3]

قالوا: أَخوكَ أتَى الناعى بمصْرَعِه   فارتاع قلبِى غداةَ البين فانصدَعا

ثم ارعوى القلبُ شيئاً بعد طيرته   والنفسُ تعلمُ أن قد أُثْبِتَتْ وَجَعا[4]

بعض صرعى صفين

وقُتل محيا بن سلامة بن دِجاجة ، من تيم الرِّباب ، بصفِّين ، وقُتل المسيّب بن خِداش من تيم الرِّباب ، ودينار عَقِيصا[5] مولاه .

أدهم بن محرز وشمر بن ذى الجوشن

نصر : عمر بن سعد ، حدثنى يونس بن أبى إسحاق قال : قال [لنا] أدهم بن محرز [الباهلى] ونحن معه بأَذرُح[6] : هل رأى أحد

---

(١) الرقد ، بالفتح : النوم ، كالرقاد والرقود . وفى ح : « رفد الناس » بالفاء ، وهو بالكسر : الصلة والعطاء ؛ وبالفتح ، المصدر . من غاب : أى من غاب وقعد عن قرى الأضياف . ومثله قول متمم بن نويرة فى المفضلية ٦٧ :

إذا جرد القوم القداح وأوقدت   لهم نار أيسار كفى من تضجعا

وفى الأصل : « من غار » ، صوابه ما أثبت . وفى ح : « وأشبعت منهم من نام » وهى رواية مصنوعة فيما أرى .

(٢) النكس ، بالكسر : المقصر عن غاية النجدة والكرم . والطبع ، بفتح فكسر : الدنىء الخلق الدنس .

(٣) التبل ، بالفتح : الثأر والذحل . وفى الأصل : « ومدرك النيل » و : « بنيل » صوابهما ما أثبت من ح (١ : ٤٩١) .

(٤) الطيرة : المرة من الطيران . ح : « طربته » والطربة المرة من الطرب ؛ والطرب يقال فى السرور والحزن معاً . وفى الأصل : « قد أثبتت » صوابه فى ح . وفى اللسان : « أثبته السقم ، إذا لم يفارقه » .

(٥) سبقت ترجمته فى ١٤٥ . وعقيصاً لقب لدينار . والبصريون يوجبون الإضافة فى مثل هذا . والكوفيون يجيزون الإتباع والقطع إلى النصب وإلى الرفع . الأشمونى (١ : ١٤٣ — ١٤٤) .

(٦) أذرح ، بضم الراء وفى آخره حاء مهملة : اسم بلد فى أطراف الشام . وفى الأصل : « باددخ » ، وفى ح : « بأدرج » ، صوابهما ما أثبت .

منكم شَمِر بنَ ذِى الجَوشن ؟ فقال عبد الله بن كبار النهدىّ ، وسعيد ابن خازم السلولى[1] : نحن رأيناه . قال : فهل رأيتما ضربةً بوجهه ؟ قالا : نعم . قال : أنا والله ضربتُه تلك الضَّرْبَة بصِفِّين .

نصر : عمر ، عن الصلت بن زهير[2] النهدىّ ، عن مسلم قال : خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية بصِفِّين إلى شمر بن ذى الجَوْشَنِ فاختلفا ضربتين ، فضربه أدهمُ على جبينه فأسرع فيه السيف حتَّى خالط العظم ، وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئاً ، فرجع إلى عسكره فشرب من الماء وأخذ رمحاً ، ثم أقبل وهو يقول :

إنى زعيم لأخى باهلهْ ... بطعنةٍ إن لم أمُتْ عاجلهْ[3]
وضربةٍ تحت الوغَى فاصلهْ[4] ... شبيهةٍ بالقَتْلِ أو قاتِلَهْ

ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهَه ، وأدهم ثابتٌ له لم ينصرف ، فطعنه فوقع عن فرسه ، وحال أصحابُه دونه فانصرف ، فقال [شمر] : هذه بتلك . وخرج سويد [بن قيس] بن يزيد الأَرحَبىّ من عسكر معاوية يسأَلَ المبارزة ، فخرج إليه من عسكر العراق أبو العمرَّطة قيس [ابن عمرو بن عمير] بن يزيد ، وهو ابن عمِّ سويد ، وكلٌّ منهما لا يعرف صاحبه ، فلمَّا تقاربا تعارفا وتواقفا وتساءلا ، ودعا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه إلى ما هو عليه[5] ، فقال أبو العمرَّطة : أمَّا أنا فوالله الذى لا إله إلا هو لئن استطعتُ لأضربنَّ بسيفى هذه القبّة البيضاء – يعنى قُبَّة معاوية التى هو فيها – ثم انصرف كلٌّ منهما إلى أصحابه . فقال فى ذلك همّام :

مبارزة سويد بن قيس وأبى العمرطة

(١) ح : « سعيد بن حازم البلوى » .
(٢) فى الأصل : « عمر بن الصلت بن زهير » .
(٣) فى الطبرى (٦ : ١٦) : « إن لم أصب » .
(٤) الطبرى : « أو ضربة تحت القنا والوغى » .
(٥) ح : « إلى دينه » .

أَلُومَ بنَ لُومٍ ما غدا بك حاسراً إلى بطلٍ ذى جرأةٍ وشكيم[1]
معاودِ ضرب الدَّارِعين بسَيفه على الهام عند الهيج غيرِ لئيمِ
إلى فارسِ الغاوين حيث تَلاقيا بصِفِّين قرْمٍ نجلِ خَيرِ قُرومِ[2]

مبارزة بشر بن عصمة لابن العقدية

قال : وخرج بشر بن عصمة المزنى[3] يسأل المبارزة — وكان من أهل الكوفة فلحق بمعاوية — فخرج إليه مالك بن الجُلاح[4] ، وكان يقال له ابن العَقَديّة[5] وكان رجلا ناسكاً ، فأقبلا فى خيلهما ، فتغفَّله بشر بن عصمة فطعنه ؛ فصرع ابن العَقَدية . فقال بِشر بن عصمة :

إنى لأَرجُو من مليكى وخالقى ومِنْ فارس الموسوم فى الصَّدرهاجسُ[6]
دلفتُ له تحت الغبارِ بطعنةٍ على ساعة فيها الطِّعـان يُخَالَسُ[7]

---

(١) هذه الأبيات لم ترو فى ح . وفى الأصل : « ذى جرة » ، والوجه ما أثبت . والشكيم ، فى اللسان : « يجوز أن يكون لغة فى الشكيمة » . وأنشد :

* أنا ابن سيار على شكيمه *

والشكيمة : الصرامة والحزم والأنفة والانتصار من الظلم .

(٢) الغاوين ، كذا وردت . والقرم ، بالفتح : السيد المعظم .

(٣) بشر بن عصمة المزنى ، أحد الصحابة ، ترجم له فى الاستيعاب والإصابة ولسان الميزان . وفى الأصل : « المرى » ، صوابه فى الطبرى ومراجع ترجمته . وهذا الخبر لم يرد فى مظنه من ح .

(٤) هو مالك بن الجلاح بن صامت بن سدوس بن إنسان بن عتوارة ، أحد بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٦٣ . وفى الأصل : « مالك بن الجلاج » صوابه فى الطبرى ومعجم المرزبانى .

(٥) العقدية أمه ، غلبت عليه . وعقد ، بالتحريك : قبيلة من بجيلة أو اليمن . انظر الطبرى والقاموس (عقد) .

(٦) فى القاموس : « موسوم فرس مالك بن الجلاح » . ورواية الطبرى : « من مليكى تجاوزا » .

(٧) الطبرى : « الطعان تخالس » .

فردَّ عليه ابن العَقَدِيّة :

أَلاَ أَبلِغا بشرَ بن عِصْمة أَنّنى شُغلت وألهانى الذين أُمارسُ
وصادفتَ منّى غِرَّةً فأَصبتَها كذا كانت الأَبطالُ ماضٍ وحابسُ[1]

طائفة من المبارزات

قال : وخرج ذو نواس بن هذيم بن قيس العبدىّ — وكان ممن لحق بمعاوية — يسأَل المبارزة ، فخرج إليه ابن عمِّه الحارث بن منصور فاضطربا بسيفهما وانتميا إلى عشائرهما[2] ، فعرف كلٌّ منهما صاحبه فتتاركا[3] . ثم خرج مالك بن يسار الحضرمىّ يسأَل المبارزة ، فخرج إليه الجون ابن مالك الحضرمىّ من أَهل الشام فقتل الشامىُّ الكوفىَّ . وخرج زياد ابن النضر الحارثى يسأَل المبارزة ، فخرج إليه رجلٌ من أَهل الشام من بنى عُقيل فلما عرفه انصرف عنه . ثمَّ خرج رجلٌ من أَزد شَنوءة يسأَل المبارزة ، فخرج إليه رجلٌ من أَهل العراق فقتله ، فخرج إليه الأَشتر فما لبث أَن قتله ، فقال رجل : « كان هذا ناراً فصادفَتْ إعصاراً » . فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً يومَ الأَربعاء ، فقال رجلٌ من أَصحاب علىٍّ : والله لأَحملنَّ على معاوية حتّى أَقتلَه ! فأَخذ فرساً فركبه ثمَّ ضربَه حتّى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهْهُ شىءٌ عن الوقوف على رأْس معاوية ، ودخل معاوية خباءً[4] فنزل الرجلُ عن فرسه ودخل عليه ، فخرج معاويةُ من [جانب] الخباء [الآخر] ، وطلع الرجل فى

مطاردة أحد أصحاب على لمعاوية

(١) الطبرى : « كذلك والأبطال ماض وخالس » . وفى معجم المرزبانى : « كذلك والأبطال ماض وجالس » .

(٢) انتميا : ارتفعا فى النسب . وفى الأصل : « فانتهيا » ، تحريف . والخبر لم يرد فى مظنه من ح ولا فى الطبرى .

(٣) أى ترك كل منهما صاحبه . وفى الأصل : « تشاركا » ، تحريف .

(٤) ح : « فهرب معاوية ودخل خباء » .

إثره . فخرج معاوية وهو يقول[1] :

أقولُ لها وقد طارتْ شَعـاعاً من الأبطـال إنَّكِ لن تُراعِى
فإنَّكِ لو سـألتِ بقاءَ يومٍ على الأجل الذى لك لم تُطاعِى

فأحاطَ به الناس فقال : ويْحكم ، إنَّ السيوفَ لم يؤذَن لها فى هذا ، ولولا ذلك لم يصلْ إليكم . عليكم بالحجارة . فرضخوهُ بالحجارة حتى هَمَد الرجل . ثم عاد معاوية إلى مجلسه وهو يقول : هذا كما قال الآخر[2] :

أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عضَّهـا
وإن شمَّرَت عن ساقهـا الحـربُ شمَّرا

نصر ، عن عُمر ، عن أبى رَوقٍ ، عن أبيه ، عن عمٍّ له يدعى أبا أيوب قال : حمل يومئذٍ أبو أيّوب على صفِّ أهلِ الشام ثم رجع فوافق رجلاً [من أهل الشام] صادراً قد حمل على صفِّ أهل العراق ثم رجع ، فاختلفا ضربتين ، فنفحه أبو أيّوب فأبانَ عنقَه ، فثبت رأسُه على جسده كما هو ، وكذَّب الناسُ أن يكونَ ضربه وأرابَهم ، حتَّى إذا دخل فى أهل الشام[3] وقع ميتاً ونَدر رأسُه ، فقال علىٌّ : واللهِ لأنا مِنْ ثبات رأسِ الرَّجُل أشدُّ تعجُّباً منِّى لضربته ، وإن كان إليها ينتهى وصف الضارب[4] . وغدا أبو أيُّوبَ إلى القتال فقال له علىٌّ : أنت والله كما قال القائل :

حملة أبى أيوب على أهل الشام

وعلَّمَنَا الضـربَ آباؤُنا فسوفَ نعلِّم أيضاً بَنِينا

نصر : قال عمر : وخرج رجلٌ يسأل المبارزة ، من أهل الشام ،

مبارزة رجل لأخيه

(١) المعروف أن البيتين التاليين هما من أبيات لقطرى بن الفجاءة المتوفى سنة ٧٨ أو ٧٩ . انظر الحماسة (١ : ٢٤) وابن خلكان (١ : ٤٣٠) . وقد كانت وفاة معاوية سنة ٦٠ .
(٢) هو حاتم الطائى ، كما سبق فى حواشى ص ٢٤٦ .
(٣) ح (١ : ٤٩١) : « حتى إذا أدخلته فرسه فى صف أهل الشام » .
(٤) كذا . وفى ح (١ : ٤٩١) : « وصف الواصفين » .

فنادى : من يبارز ؟ – وهو بين الصفين – فخرج إليه رجل من أهل العراق فاقتتلا بين الصفَّين قتالاً شديداً ، ثم إنَّ العراقىَّ اعتنقه فوقعا جميعاً تحت قوائم فرسيهما ، فجلس على صدره وكشف المِغْفر عنه يريد ذبحه ، فلما رآه عرفَه فإذا هو أخوهُ لأبيه وأمِّه . فصاح به أصحابُ علىٍّ : أجهزْ على الرجل ! فقال : إنَّه أخى . قالوا : فاتركه . قال : لا ، حتى يأْذن لى أميرُ المؤمنين . فأُخبِر علىٌّ بذلك ، فأَرسل إليه : دعْه . فتركهُ ، [فقام فعاد إلى صفِّ معاوية] .

نصر ، عن محمد بن عبيد الله[1] ، عن الجرجانىّ قال : كانَ فارسَ معاوية الذى يُعدّه لكلِّ مبارزٍ ولكلِّ عظيمٍ حريثٌ مولاه ، وكان يلبس سلاحَ معاوية متشبِّهاً به ، فإذا قاتل[2] قال الناس : ذاك معاوية . وإنَّ معاويةَ دعاه فقال : يا حريث ، اتَّق علياً ، وضع رُمْحَك حيثُ شئت ! فأَتاه عمرو بن العاصِ فقال : يا حُريث ، إنَّك والله لو كنت قرشيًّا[3] لأَحَبَّ معاويةُ أن تقتل عليًّا ، ولكن كره أن يكون لك حظُّها ، فإن رأَيت فرصةً فاقْحُم . وخرج علىٌّ [عليه السلام فى هذا اليوم] أمام الخيل ، وحمل عليه حُريث .

ضربة على لحريث

قال نصر : فحدثنا عَمرو بن شَمِر ، عن جابر ، عن تميم قال : نادى حريثٌ مولى معاوية [هذا اليوم] ، وكان شديداً ذا بأْس ، فقال : يا علىّ ، هل لك فى المبارزة ، فأَقدِم أبا حسَنٍ إذا شئت . فأَقبل علىٌّ وهو يقول :

أنا علىٌّ وابن عبد المطَّلبْ ... نحنُ لَعمر الله أولى بالكتبْ
منَّا النبىُّ المصطفى غيرَ كذِبْ ... أهلُ اللِّواء والمَقَامِ والحُجُبْ

(١) فى الأصل : « عبد الله » ، تحريف .
(٢) فى الأصل : « قابل » ، صوابه فى ح .
(٣) فى الأصل : « قريشاً » ، صوابه فى ح .

نحن نصرناهُ على جُلِّ العربْ[1] يـأيُّها العبد الغرير المنتـدِبْ[2]

اثبت لنا يـأيُّها الكلْبُ الكَلِبْ

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربةً واحدة فقطعه نصفين[3] .

قال نصر : قال محمد بن عبيد الله ، [عن] الجرجانى[4] : إن معاوية جزع عليه جزعاً شديداً ، وعاتب عمراً . قال معاوية :

حُريثُ ألم تعلمْ وجهلُك ضائرٌ بأنَّ عليًّا للفـوارسِ قـاهرُ
وأنَّ عليًّا لم يبارزْهُ فـارسٌ من النَّاس إلَّا أقصدَتْهُ الأظافرُ
أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَنى فجَدُّك إذ لم تقبل النُّصح عاثرُ
ودلَّاك عمرٌو والحوادثُ جَمَّةٌ غُروراً وما جرَّت عليك المقادرُ
وظنَّ حريثٌ أن عمراً نصيحُهُ وقد يُهلِكُ الإنسانَ مَن لا يحاذِرُ
أيركب عمرٌو رأسَه خوفَ سيفِهِ ويُصلِي حُريثاً إنَّه لفُرافِرُ[5]

مصرع عمرو بن حصين السكسكى

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن تميم قال : فلما قَتل علىٌّ حُريثاً برز عمرو بن حصين السَّكْسَكىّ فنادى : يا أبا حسَن، هلمَّ إلى المبارزة . فأنشأ علىٌّ يقول :

ما عِلَّتى وأنا جـلدٌ حـازمْ وعن يمينى مَـذحِجُ القمـاقمْ
وعن يسارى وائلُ الْخَضـارِمْ والقلبُ حولى مُضَـرُ الجماجمْ
وأقبلتْ همـدانُ فى الخضـارِمْ مَشْىَ الجمـال البُزَّل الْخَلاجِمْ

(١) ح (١ : ٤٩٢) : « كل العرب » .
(٢) الغرير : المخدوع . وفى الأصل : « العزيز » . وهذا البيت وتاليه لم يرويا فى ح .
(٣) فى الأصل : « ثم ضربه على فقتله » ، وأثبت بدلها ما ورد فى ح .
(٤) فى الأصل : « محمد بن عبد الله الجرجانى » ، والوجه ما أثبت .
(٥) الفرافر ، بفاءين أولاهما مضمومة : الأخرق الأحمق . وفى الأصل : « قراقر » بقافين ، ووجهه ما أثبت . وهذا البيت لم يرد فى ح .

أُقْسَمْتُ باللهِ العــلِىِّ العــالِمْ   لا أنثنى إلَّا برَغْمِ الــرَّاغمْ

وحمل عليه عمرو بن الحصين ليضربه ، فبادره إليه سعيد بن قيس ففلق صلبه .

نصر ، عن عَمرو بن شمر قال : حدثنى السُّدّى عن أَبى أَراكة ، أَنَّ عليًّا قال يومئذ :

شعر لعلى

دعوتُ فلبَّانِى من القومِ عصبــةٌ   فوارسُ من هَمْدَانَ غيرُ لئــامِ
فوارسُ من هَمْدَانَ ليسُوا بعُزَّلٍ   غَدَاةَ الوَغَى من شاكرٍ وشِبامِ (١)
بــكُلِّ ردينِىٍّ وعَضْبٍ تخــالُه   إذا اختلفَ الأَقوامُ شَعْلَ ضِرامِ (٢)
لهمــدانَ أَخــلاقٌ ودينٌ يَزينُهم   وبأْسٌ إذا لاقَوا وحَدُّ خِصَامِ (٣)

قال : قال نصر : وفى حديث عمر بن سعد :

وجِدٌّ وصِدْقٌ فى الحروبِ ونجدةٌ   وقــولٌ إذا قــالوا بغير أَثَــامِ
مَتَى تأْتِهم فى دارهم تستضيفُهُمْ   تَبِتْ ناعماً فى خدمةٍ وطَعَــامِ
جَزَى اللهُ هَمْدَانَ الجِنَانَ فإِنَّهــا   سِمَامُ العِدَى فى كلِّ يومِ زِحامِ (٤)
فلو كنتُ بَوَّاباً على باب جَنــةٍ   لقلتُ لهمــدانَ ادخُلِى بسلامِ

طلب على من معاوية أن يبارزه

نصر قال : عمرو بن شمر فى حديثه : ثم قام علىٌّ بينَ الصَّفَّين ثم نادى : يا معاوية ! – يكرِّرها – فقال معاوية : آسأَلوه ، ما شأْنه ؟ قال : أُحِبُّ أَن يظهر لى فأُكلِّمَه كلمةً واحدة . فبرز معاوية ومعه عمرو

---

(١) بنو شاكر وشبام : بطنان من همدان . انظر الاشتقاق ٢٥٧ ، ٢٥٠ . وشبام ، بكسر الشين ، وأصل معناه الخشبة تعرض فى فم الجدى لئلا يرتضع ؛ وشباما البرقع : الخيطان اللذان يشدان فى القفا .

(٢) فى الأصل : « وكل » ، والوجه ما أثبت من ح (١ : ٤٩٢) .

(٣) الحد ، بفتح الحاء : الحدة . وفى الأصل : « وجد » ، ووجهه فى ح .

(٤) السمام : جمع سم . فى الأصل . « يوم سمام » ، صوابه فى ح .

ابن العاص ، فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو ، وقال لمعاوية : ويحك ، عَلامَ يقتتل النَّاس بيني وبينك ، ويضربُ بعضُهم بعضاً ؟ ! ابرز إلىّ فأيُّنا قتلَ صاحبَه فالأَمرُ له . فالتفت معاوية إلى عمرو فقال : ما ترى يا أَبا عبد الله فيما ها هنا ، أُبارزُه ؟ فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل ، واعلم أنَّه إن نكلت عنه لم تزل[1] سُبَّةً عليك وعلى عَقِبك ما بقى عربىٌّ. فقال معاوية : ياعمرُو بن العاص ، ليس مثلى يُخْدَع عن نفسه . والله ما بارز ابنُ أَبى طالبٍ رجلاً قطُّ إلاَّ سَقَى الأَرض من دمه . ثم انصرف راجعاً حتَّى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه . [فلما رأى علىٌّ عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه] .

نكوص معاوية وعتابه لعمرو ابن العاص

وفى حديث عمر قال : قال معاوية : ويحك يا عمرو ، ما أَحْمَقك ، أتراني أبرزُ إليه ودونى عكٌّ والأَشعرونَ وجُـذام ؟ ! قال : وحقَدها معاويةُ على عمرو [باطنا] ، وقال له [ظاهراً] : ما أَظنُّك [قلتَ ما قلتَه] يا عمرُو[2] إلاَّ مازحاً . فلما جلس معاويةُ مجلَسه مع أَصحابه أَقبل عمرٌو يمشى حتَّى جلس ، فقال معاوية :

ياعمرو إنك قد قشرت لى العَصَا	برضاك فى وسط العجاجِ برازى
يا عمرو إنَّك قد أَشرْتَ بظِنَّـةٍ	إنَّ المبـارزَ كالجُدَىِّ النَّـازى
مـا للمـلوك وللبِـراز وإنَّمـا	حَتْفُ المبارز خَطْفةٌ للبـازى[3]
ولقد أَعدتَ فقلت : مَزْحَةُ مازحٍ	والمزح يَحْمِـلُهُ مقـالُ الهـازِى
فإذا الذى مَنَّتْكَ نفسُك خالياً	قتلِى ، جَزَاك بما نَوَيْتَ الجازى
فلقد كشفتَ قِناعَهـا مذمومةً	ولقد لبستَ بها ثيابَ الخازى[4]

(١) ح : « لم يزل » بالياء .
(٢) ح : « أبا عبد الله » .
(٣) فى الأصل : « حسب المبارز حفظه من بازى » ، وأثبت ما كتب فى هامش الأصل مشاراً إليه بأنه كذلك فى نسخه أخرى . وقد لفق من عجز هذا البيت وصدر سابقه بيت واحد فى ح فأسقط صدر هذا وعجز سابقه .
(٤) فى الأصل : « لبست بنا » ، صوابه فى ح (١ : ٤٩٣) .

فقال له عمرو : إيهاً أيُّها الرجل ، أتجبُن عن خَصْمك وتتّهمُ نَصِيحَك ؟ ! وقال مجيباً له :

معاوِىَ إنْ نَكَلْتَ عنِ البِـرَازِ ... لكَ الويلاتُ فانظُرْ فى المَخازِى[1]

معـاوِىَ ما اجترمتُ إليكَ ذنبـاً ... وما أنا فى التى حَدَثَتْ بِخَازِى[2]

ومـا ذنبِى بأَنْ نادَى علىٌّ ... وكبشُ القـوم يُدعَى للبِرَازِ

فـلو بارزتَهُ بارزتَ ليثـاً ... حديدَ النَّابِ يخطف كلَّ بازِى[3]

ويزعُم أنَّنِى أضمرتُ غِشّـا ... جزانى بالذى أَضمرتُ جـازِى

أَضَبْعٌ فى العَجاجةِ يا ابنَ هنـدٍ ... وعندَ الباهِ كالتَّيْسِ الحِجـازِى

طائفة من المبارزات

نصر ، عن عُمر قال : حدَّثنى فُضيل بن خَديجٍ قال : خرج رجلٌ من أَهل الشّام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز[4] الكندى ثم الطُّمَحِىّ[5] ، فتجاولاَ ساعةً ، ثم إنَّ عبد الرَّحمن حمل على الشامىِّ فطعنه فى نقرةِ نحرِه[6] فصرَعه ، ثم نزل إليه فسلبَه درعَه وسلاحَه ، فإذا هو عبدٌ أَسود[7] ، فقال : يَاللهِ ، لقد أَخطَرْتُ نفسى لعبدٍ أَسود . قال : وخرج رجلٌ من عكٍّ ليسأَل المبارزة ، فخرج إليه

---

(١) ح : « وخفت فإنها أم المخازى » .

(٢) فى الأصل : « بخاذى » ، تحريف ، وفى ح : « خازى » مع قراءة « حدثت » بتشديد الدال

(٣) فى الأصل : « ينفد كل بازى » ، وأثبت ما فى ح .

(٤) فى الأصل : « بن نجم » ، صوابه فى ح والطبرى (٦ : ١٦) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ح ، وفى الطبرى : « الطحمى » بتقديم الحاء ، تحريف . والطمحى : نسبة إلى « طمح » ، وضبطت فى القاموس ضبط نص بالتحريك ، وفى اللسان ضبط قلم بفتحتين أيضاً . وفى الاشتقاق ٢١٨ ، ٣١٧ بضم الطاء وفتح الميم . وهى بطن من بطون كندة .

(٦) الطبرى : « ثغرة نحره » ، وما أثبت من الأصل يطابق ما فى ح . والثغرة ، بالضم : نقرة النحر .

(٧) الطبرى « فإذا هو حبشى » .

قيسُ بن فهدان الكنانىّ ثم البدنى[1] فما لبث العكى أن طعنه فقتله ، فقال قيس :

لقد علمتْ عكٌّ بصِفِّينَ أنَّنــا إذا ما نُلاقى الخيلَ نطعَنُها شَزْرا
ونحمِلُ راياتِ القتـال بحقِّها فَنُورِدُها بِيضاً ونُصدِرُها حُمْرَا[2]

وحمل عبد الله بن الطفيل البَكَّائىّ[3] على صفوف أهل الشام ، فلما انصرف حمل عليه رجلٌ من بنى تميم يقال له قيس بن نَهد[4] الحنظلىّ اليربوعىّ — وهو ممن لحق بمعاوية من أهل العراق — فوضع الرُّمحَ بين كتفَى عبد الله فاعترضه يزيدُ بنُ معاوية البَكَّائى ، ابن عم عبد الله بن الطُّفيل ، فوضع الرمحَ بين كتفَى التميمىِّ وقال : والله لئن طعنتَه لأَطعننَّك . قال : عليك عهدُ الله لئن رفعتُ السِّنان عن ظهرِ صاحبك لترفعنَّه عنى ؟ قال : نعم لك العهدُ والميثاقُ بذلك . فرفع السِّنانَ عبدُ الله بن طفيل ، ورفع يزيدُ الرُّمح عن التميمى ، فوقف التميمى فقال [ليزيد] : من أنت ؟ قال : أحد بنى عامر . قال : جعلنى الله فِداكم ، أينما لقيناكم وجَدْناكم كراماً ، والله إنى لآخِرُ أحد عشر رجلاً من بنى تميم قتلتموهم[5] اليوم . فلمَّا تراجع الناس عن صِفِّين عتب يزيد على عبد الله بن الطُّفيل فى بعض ما يعتِب الرجُلُ على ابن عمِّه فقال :

أَلم تَرَنى حـاميتُ عنـكَ مناصحاً بصِفِّينَ إذْ خـلاَّكَ كـلُّ حميمِ
ونَهنهتُ عنكَ الحنظلىَّ وقد أتى على سابحٍ ذى مَيْعةٍ وهَزيمِ

مبارزة ابن مقيدة الحمار للمقطع العامرى

ثم خرج ابن مقيِّدة الحمار الأسدىّ ، [وكان ذا بأْس وشجاعةٍ]

(١) فى الأصل : « بن فهد بن الكندى » ، وأثبت ما فى الطبرى . وفى ح : « قيس بن فهران » .
(٢) فى الأصل : « ونوردها » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .
(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٦ . ح : « البكالى » ، تحريف .
(٤) ح : « بن فهد » بالفاء ، وفى الطبرى (٦ : ١٦) : « بن قرة » .
(٥) فى الأصل : « قتلتموه » ، وأثبت ما فى ح والطبرى .

وهو مع أهل الشام ، وكان فى الناس ردفَ بِشر بن عصمة وهو الثّانى فى الناس ، فنادى : ألاَ مِن مبارز؟ فأحجم النَّاس عنه ، فقام المقطّع العامرىّ وكان شيخاً كبيراً ، فقال له علىٌّ : اقعدْ إنَّك شيخٌ كبير وليس معه من رهطه أحدٌ غيرُه ، ما كنتُ لأُقدِّمَك . فجلس . ثم إنَّه نادى ابنُ مقيِّدة الحمار : ألاَ مِن مُبارز ؟ الثانيةَ . فقام المقطّع ، فأجلسه علىٌّ أيضاً . ثم نادى الثالثة : ألاَ مِن مُبارز ؟ فقام المقطّع فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لا تردَّنى ، إما أن يقتلَنى فأتعجَّلَ الجنَّة ، وأستريحَ من الحياة الدنيا فى الكبر والهَرَم ، أو أقتلَه فأُريحَك منه . فقال له علىٌّ : ما اسمُك ؟ قال : أنا المقطّع ، قد كنت أُدعى هُشيماً فأصابتنى جراحة فسمِّيت مقطَّعاً منها . فقال له : اخرجْ [إليه ، وأقدِمْ عليه] ، اللهم انصُرْه ! فحمل عليه المقطّع ، فأجهش ابنُ مقيِّدةِ الحمار ، وكان ذكيًّا مجرّباً ، فلم يجد شيئاً خيراً من الهرب ، فهرب حتى مرَّ بمِضْرَب معاوية[1] والمقَطَّع على أثره فجاز معاويةَ فناداه معاويةُ : لقد شَمَص بك العراقىّ[2] . قال : لقد فعل ! ثم رجع المقطّع حتَّى وقف فى موقفه . فلما كانَ عامُ الجماعة [و] بايع النَّاسُ معاويةَ سأل عن المقطّع العامرى حتَّى نزل عليه ، فدخل عليه فإذا هو شيخٌ كبير ، فلما رآه قال : أوه ، لولا[3] أنَّك فى هذا الحال ما أفلتَّنى . قال : نَشدتُك اللهَ إلاَّ قتلتَنى وأرحتَنى[4] من بؤس الحياة ، وأدنيتَنى إلى لقاءِ الله . قال : إنِّى لا أقتلك وإنَّ لى إليك لحاجةً . قال : فما حاجتك ؟ قال : جئتُ لأُواخِيَكَ . قال : إنا وإيَّاكم قد افترقنا فى الله ، أمّا أنا فأكون على حالى حتَّى

(١) المضرب ، بكسر الميم : الفسطاط العظيم .
(٢) فى الأصل : « شخص » ، وأثبت ما فى ح . الشمص : الإعجال ؛ والتشميص : السوق والطرد العنيف .
(٣) فى الأصل : « لو عامت » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٤) فى الأصل : « إلا قتلت وأرحت » ، وأثبت ما فى ح .

يجمع الله بيننا فى الآخرة . قال . فزوِّجْنى ابنتك . قال : قد منعتُك ما هو أهونُ علىَّ من ذلك ، قال : فاقبلْ منِّى صلةً . قال : فلا حاجة لى فى ما قِبَلك . فتركه فلم يقبَلْ منه شيئاً . قال : فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً . فعبّت لطيِّئ جموعُ أهل الشام ، فجاءهم حمزةُ بن مالك [الهمْدانىّ[1]] فقال : من أنتم ، لله أبوكم ! فقال عبد الله بن خليفة الطائىّ[2] : نحن طيُّ السهل وطىّ الجبل ، وطىّ الجبل الممنوع بالنحل[3] ونحن حُماة الجبلين ، ما بين العُذيب إلى العين ، طىّ الرِّماح وطىّ البِطاح ، وفُرسان الصَّباح . فقال له : بخٍ بخٍ ما أَحسَنَ ثناءَك على قومِك ! فقال :

فخر عبد الله بن خليفة الطائى

إنْ كنتَ لم تشعر بنجدةِ مَعشرٍ   فاقدَمْ علينا وَيلَ غيرِكَ تَشْعُرِ[4]

ثم اقتتلوا وأنشأ يقول : يا طىّ ، فِدًى لكم طارِفى وتلادى ، قاتلوا على الدِّين والأَحساب . ثمَّ أنشأ يقول :

يا طيِّئَ الجبالِ والسَّهل معَـا   إنَّا إذا داعٍ دَعـا مضطجعا
نَدِبٌ بالسَّيفِ دبيباً أَروَعَـا   فَنُنزِلُ المستلئِمَ المقنَّعـا[5]
ونقتُل المُنازِلَ السَّميدَعـا

وقال بشر بن العشوش الطائىّ [ثمّ المِلْقطى[6]] :

شعر بشر بن العشوش الطائى

يا طيِّئَ السُّهولِ وَالجبـالِ   أَلا انهضُوا بالبيض والعَوالِى

(١) هذه من الطبرى (٦ : ١٧) .
(٢) فى الطبرى : « البولانى » . وبولان : إحدى قبائل طيء .
(٣) كذا . وفى الطبرى : « الممنوع ذى النخل » .
(٤) البيت لم يرو فى ح . وفى الطبرى : « وييب غيرك » .
(٥) فى الأصل : « فنترك » . وقد روى الرجز فى الطبرى على الوجه التالى :
أنا الذى كنت إذا الداعى دعـا   مصمما بالسيف ندبا أروعـا
فـأنزل المستلئم المقنعـا   وأقتل المبالط السميدعـا
(٦) التكملة من الطبرى . وفيه : « بن العسوس » بمهملتين .

وبالكماةِ منكم الأبطالِ فقارِعوا أئمَّةَ الضلال

السَّالكينَ سُبُلَ الجُهَّالِ

قال : ففقئت عينه فقال :

ألا ياليتَ عينِى هذه مثلُ هذه ولم أَمْشِ بين النَّاسِ إلاَّ بقائدِ

وياليتَ رِجْلى ثَمَّ طَنَّت بنصفها[1] وياليت كفِّى ثَمَّ طاحَتْ بساعِدى

ويا ليتنى لم أَبقَ بعد مطرِّفٍ وسعدٍ ، وبعد المُستنير بن خالد

فوارسُ لم تغذُ الحواضِنُ مثلَهم إذا هى أَبدت عن خِدام الخرائد[2]

آخر الجزء الرابع من أجزاء ابن الطُّيورى ، يتلوه فى الخامس : « نصر بن مزاحم ، عن عمر ، عن فُضيل بن خَديج ، أَنَّ قيس بن فهدان كان يحرِّض أَصحابه ويقول : إذا شددتم فشدُّوا جميعاً » .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليما كثيراً .

وجدت فى الجزء السادس من أجزاء عبد الوهاب بخطِّه : « سمع جميعه على الشيخ أَبى الحسين المبارك بن عبد الجبار ، الأَجلُّ السيِّد الأَوحد الإمام قاضى القضاة أَبو الحسن على بن محمد الدامَغانىّ ، وابناه

---

(١) طنت : قطعت وسقطت فكان لذلك صوت . وفى الأصل : « طلت » ، صوابه فى الطبرى .

(٢) الحواضن : الأمهات . وفى الأصل : « لم تعر الحواضر » ، صوابه من الطبرى . هى : أى الحرب ، وفى الطبرى : « إذا الحرب » . والخدام : السيقان ، واحدتها خدمة ومثله قوله :

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن خدام العقيلة العذراء

القاضيان أبو عبد الله محمد وأبو الجسين أحمد ، وأبو عبد الله محمد بن القاضى أبى الفتح بن البيضاوى ، والشريف أبو الفضل محمد بن على بن أبى يَعلى الحسينى ، وأبو منصور محمد بن محمد ابن قرمى ، بقراءة عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى فى شعبان من سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

الجزء الخامس

من كتاب صفين

لنصر بن مزاحم

رواية أبي محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخزاز

رواية أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد

رواية أبي الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت

رواية أبي يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريري

رواية أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي

رواية الشيخ الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي

سماع مظفر بن علي بن محمد بن زيد بن ثابت المعروف بابن المنجم – غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الحافظ شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب ابن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطيّ قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه ، قال : أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى ، قال : أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن ثابت ، قال : أبو الحسن علىّ بن محمد ابن محمد بن عقبة بن الوليد بن همّام الشيبانى ، قال : أبو محمد سُليمان بن الربيع بن هشام النهدىّ الخزاز ، قال :

نصر بن مزاحم ، عن عمر ، عن فُضيل بن خَديج أن قيس بن فهدان كان يحرِّض أصحابه ويقول :

خطبة قيس بن فهدان

« إذا شدَدتُم فشدُّوا جميعاً وغُضُّوا الأبصار ، وأقلُّوا الكلام واللَّغَط ، واعْتَوِرُوا الأقران[1] ، ولا تُؤتَيَنَّ من قِبَلِكم العرب » .

مقاتل بعض الرجال

وقُتل ذُهيك بن عزيز من بنى الحارث بن عدى ، وعمرو بن يزيد من بنى ذهل ، وسعد بن عمر[2] من بنى بدا . وخرج قيس بن يزيد[3] الكندىّ – وهو ممن فرَّ إلى معاوية من علىّ – فخرج إليه من أصحاب

---

(١) فى الأصل : « وأغنوا الأقران » ، صوابه فى الطبرى (٦ : ١٧) . وهذا الكلام لم يرد فى مظنه من ح .

(٢) الطبرى : « وسعيد بن عمرو » ، ولم ينسبه إلى قبيلته .

(٣) فى الأصل : « زيد » ، صوابه من الطبرى .

عليٌّ [قيس بن عمرو بن عمير بن[1]] يزيد ، أبو العمرَّطة ، فلما دنا منه عرفه فانصرف كلٌّ واحد منهما عن صاحبه .

نداء عنتر بن عبيد

نصر ، عن عمر قال : حدّثنى رجل عن أبى الصَّلت التيمىّ ، قال أشياخ من محارب : إنّه كان رجل منهم يقال له عَنْتر بن عبيد بن خالد[2] ، وكان من أشجع الناس يوم صِفِّين ، فلما رأى أصحابَه منهزمين أخذَ ينادى : يا معشرَ قيسٍ ، أطاعةُ الشَّيطان آثرُ عندكم من طاعة الله ؟ ! [ألاَ إنَّ] الفِرارَ فيه معصيةُ الله وسُخْطه ، والصبرُ فيه طاعةُ الله ورضوانه . [أفتختارون سخط الله على رضوانه ، ومعصيتَه على طاعته] . فإنما الراحةُ بعد الموت لمن مات محتسباً لنفسه . وقال[3] :

أنا الذى لا أنثنِى ولا أفِرّْ   لا وألَتْ نفسُ امرِىءٍ ولَّت دُبُرْ[4]

ولا يُرَى مَعَ المعازِيلِ الغُدُرْ[5]

فقاتل حتى ارتُثَّ . ثم إنَّه بعد ذلك خرج فى الخمسمائة[6] الذين خرجُوا مع فروة[7] بن نوفل الأشجعى ، فنزلوا بالدَّسكرة والبَنْدَنِيجِين[8] . ثم إن النَّخع قاتلت قتالاً شديداً فأُصيب منهم يومئذٍ بكر بن هوذة ،

---

(١) تكلمة يصح بها الكلام . انظر ما سبق ص٢٦٨ . وفى الطبرى : « أبو العمرطة بن يزيد ».

(٢) الطبرى : « خنثر بن عبيدة بن خالد » .

(٣) وردت هذه الكلمة بعد البيت الأول من الرجز التالى . وموضعها هنا .

(٤) وألت : نجت . وفى الأصل : « وأبت » ، صوابه فى ح والطبرى .

(٥) المعازيل : جمع معزال ، وهو الذى لا سلاح معه .

(٦) فى الأصل : « خمسمائة » ، صوابه فى الطبرى .

(٧) فى الأصل : « فرقة » تحريف ، صوابه فى الطبرى . وفى تقريب التهذيب : « فروة ابن نوفل الأشجعى ، مختلف فى صحبته ، والصواب أن الصحبة لأبيه » . وانظر الإصابة ٧٠٣٣. ولم يرد ذكره فى معجم المرزبانى المطبوع، مع نص الإصابة على أن المرزبانى ذكره فى المعجم.

(٨) البندنيجين : بلدة فى طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد .

وحنان بن هوذة[1] ، وشعيب بن نعيم من بنى بكر النخع ، وربيعة ابن مالك بن وهبيل[2] ، وأُبىّ بن قيس أخو علقمة [بن قيس الفقيه[3]].
وقطعت رجلُ علقمة بن قيس ، فكان يقول : ما أُحِبُّ أن رجلى أصحُّ ما كانت ؛ لما أرجو بها من حُسن الثواب من ربِّى . ولقد كنت أُحبُّ أن أُبصِر فى نومى أخى وبعضَ إخوانى ، فرأيت أخى فى النوم فقلت له : يا أخى ، ماذا قَدِمتُم عليه ؟ فقال : التقينا نحنُ والقومُ فاحتججنا عند الله عزّ وجلّ فحججناهم . فما سُررتُ بشىءٍ مذ عقلت كسرورِى بتلك الرؤيا .

استبراء خالد بن المعمر

نصر ، عن عمر ، عن سويد بن حبة النضرى[4] ، عن الحُضَين[5] ابن المنذر [الرقاشى] قال : إن ناساً كانوا أتوا عليًّا قبل الوقعة فى هذا اليوم ، فقالوا : إنَّا لا نرى خالد بن المعمَّر السّدوسىَّ إلاَّ قد كاتب معاوية ، وقد خشِينا أن يتابِعه . فبعث إليه علىٌّ وإلى رجالٍ من أشرافهم ، فحمد الله ربَّه تبارك وتعالى وأثنَى عليه ثم قال :

أمّا بعدُ يا معشر ربيعة فأنتم أنصارى ، ومجيبو دعوتى ، ومِن أوثق حىٍّ فى العرب فى نفسى ، ولقد بلغنى أن معاوية قد كاتب صاحبَكم خالد بن المعمَّر ، وقد أتيت به[6] ، وقد جمعتكم له لأُشهدكم عليه وتَسمعوا أيضاً منِّى ومنه » . ثم أقبل عليه فقال : « يا خالد بن المعمَّر ،

---

(١) الطبرى : « حيان بن هوذة » .
(٢) فى الأصل : « وسمير بن نعيم من بنى بكر بن ربيعة ومالك بن نهشل » . وأثبت ما فى الطبرى (٦ : ١٨) .
(٣) هذه التكملة من الطبرى .
(٤) ح (١ : ٥٠٤) : « بن حبة البصرى » ، الطبرى : « بن حبة الأسدى » .
(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، فارس شاعر من كبار التابعين مات على رأس المائة . انظر المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب والخزانة (٢ : ٨٩ - ٩٠) . وحضين ، بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير . وفى الأصل وح : « الحصين » ، صوابه فى الطبرى .
(٦) فى الأصل : « أوتيت به » ، صوابه فى ح والطبرى .

إن كان ما بلغني عنك حقًّا فإني أُشهدُ اللهَ ومَن حضَرني من المسلمين أنَّك آمنٌ حتى تلحق بالعراق أو بالحجاز ، أو أرضٍ لا سلطانَ لمعاويةَ فيها . وإن كنتَ مكذوباً عليك فأَبِرَّ صدورنا بأَيمانٍ نطمئن إليها » .

فحلف له بالله ما فعل . وقال رجالٌ منَّا كثير : والله لو نعلم أنَّه فعل لقتلناه .

وقال شقيق بن ثور [السدوسي[1] : [ما وفَّق الله الله خالدَ بن المعمّر حين نصر معاويةَ وأَهلَ الشام على عليٍّ وربيعة . فقال له زياد بن خَصَفة يا أمير المؤمنين، استوثقْ من ابن المعمَّر بالأَيمانِ لا يغدر . فاستوثقَ منه ، ثم انصرفنا . فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من الميمنة ، فجاءنا عليٌّ حتى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوتٍ عال جهير كغير المكترث لما فيه الناس ، وقال : لمن هذه الرايات ؟ قلنا : رايات ربيعة . قال : بَلْ هي رايات الله ، عصَم الله أهلَها وصبّرهم وثبّت أقدامهم . ثم قال لي [وأنا حامل راية ربيعة يومئذ] : يا فتى ، ألا تُدنِي رايتَك هذه ذراعاً ؟ فقلت له : نعم والله ، وعشرة أذرع[2] . ثمّ مِلْتُ[3] بها [هكذا] فأَدنَيتُها ، فقال لي : حسبُك ، مكانَك .

قول علي في رايات ربيعة

نصر ، عن أبي عبد الرحمن قال : حدثني المثنى بن صالح — من بني قيس بن ثعلبة — عن يحيي بن مطرِّف أبي الأَشعث العجلي ، شهد مع عليٍّ صفين ، قال : لما نُصبت الرايات اعترض عليٌّ الراياتِ ثم انتهى إلى رايات ربيعة فقال : لمن هذه الرايات ؟ فقلت : رايات ربيعة . قال : بل هي رايات الله .

(١) هذه التكملة من الطبري .
(٢) كذا في الأصل و ح . وهي صحيحة ؛ فإن الذراع قد يذكر . وفي الطبري « عشر أذرع » .
(٣) في الأصل : « فقلبت » ، وأثبت ما في ح (١ : ٤٩٥) .

راية الحضين ابن المنذر

نصر ، عن عمرو بن شمر قال : **أقبل الحُضَين**[1] **بن المنذر** -وهو يومئذ غلام- يزحف برايته. قال السُّدِّىُّ : وكانت حمراء . فأعجب عليًّا زحفه وثباته فقال :

لمن رايةٌ حمراءُ يخفِقُ ظلُّها ... إذا قيل قدِّمْها حُضَينُ تَقدَّما[2]
ويدنُو بها فى الصَّفِّ حتَّى يديرَها ... حِمامُ المَنايا تَقطُر الموتَ والدَّما[3]
تراه إذا ما كانَ يومٌ عظيمةٍ ... أَبَى فيه إلاَّ عِزَّةً وتكرُّما
جزى الله قوماً صابَرُوا فى لقائهم ... لَدَى البأْسِ حُرًّا ماأعفَّ وأَكرَما[4]
وأحزمَ صبراً حِينَ تُدْعَى إلى الوغَى ... إذا كان أصواتُ الكماةِ تغمْغُما
ربيعةَ أعنِى ، إنَّهمْ أهلُ نجدةٍ ... وبأْسٍ إذا لاقَوْا خَمِيساً عَرَمْرَما
وقد صبرت عكٌّ ولخمٌ وحِميرٌ ... لمذحجَ حَتَّى لم يفارِقْ دمٌ دَما
ونادت جذامٌ يالَ مَذْحِجَ وَيْلَكُمْ ... جَزَى اللهُ شَرًّا أَيَّنا كان أظْلَما
أَما تتَّقون اللهَ فى حُرُماتِكمْ ... وما قرَّب الرَّحمنُ مِنْها وعَظَّما
أذقْنَا ابنَ حربٍ طعنَنا وضِرَابنا ... بأسيافنا حتَّى تولى وأحجما
وفرَّ ينادِى الزبرقانَ وظالماً ... ونادى كَلاعاً والكُرَيبَ وأَنْعَما[5]
وعمراً وسفياناً وجهماً ومالكاً ... وحَوشَبَ والغاوى شُريحاً وأَظْلَما

---

(١) فى الأصل : « الحصين » ، صوابه بالضاد المعجمة . انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

(٢) فى الأصل و ح : « حصين » ، صوابه بالضاد المعجمة كما فى الطبرى (٦ : ٢٠) .

(٣) وهى أيضاً رواية ح . وفى الطبرى ، وهو الوجه :
« حتى يزيرها » « حياض المنايا »

(٤) الحر : الفعل الحسن الجميل . وجاء فى قول طرفة :
لا يكن حبك داء داخلا ... ليس هذا منك ماوى بحر
ورواية الطبرى : « لدى الموت قوماً » .

(٥) فى الأصل : « وحتى ينادى زبرقان بن أظلم » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٤٩٦) .

وكرز بن نبهان وعمرو بن جَحْدَرٍ وصبّاحاً القينىَّ يدعو وأسلما[1]

راية ربيعة

نصر : عن عمر ، قال حدثنى الصَّلت بن يزيد بن أَبى الصَّلت التيمىّ قال : سمعتُ أَشياخ الحىِّ من بنى تيم الله بن ثعلبة[2] يقولون : كانت راية ربيعة كوفيّتها وبصريّتها[3] مع خالد بن المعمَّر [من أَهل البصرة . قال : وسمعتهم يقولون : إن خالد بن المعمَّر[4]] ، وسعيد ابن ثور[5] السّدوسىّ ، اصطلحا أَن يولّيا راية بكر بن وائل من أَهل البَصرة الحُضَين[6] بن المنذر . قالوا : وتنافسا فى الراية قالا : هذا فتًى له حسب ونجعلها له حَتَّى نرى مِن رأْيِنا . ثم إن عليًّا أَعطى الرايةَ خالد بن المعمر ، رايةَ ربيعة كلِّها . .

اقتراع معاوية لحمير

قال : وضرب معاويةُ لحمير بسهمٍ على ثلاث قبائل لم يكن لأَهل العراق قبائل أَكثر منها عدداً يومئذ : على ربيعة ، وهمدان ، ومذحِج . فوقع سهم حمير على ربيعة ، فقال ذو الكلاع : قَبَحَكَ الله من سهمٍ كرهتَ الضِّراب . فأَقبل ذو الكلاع فى حِمير ومن لفّ لفَّها ، ومعها

---

(١) ح : « بن تيهان » بالتاء ، و « صباحاً الليثى » . وقد عقب ابن أبى الحديد على هذه الأبيات بقوله : « قلت : هكذا روى نصر بن مزاحم . وسائر الرواة رووا له عليه السلام الأبيات الستة الأولى ، ورووا باقى الأبيات من قوله : وقد صبرت عك ، لحضين بن المنذر صاحب الراية » .

(٢) هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . انظر المعارف ص ٤٤ وما قبلها . وفى الأصل : « تميم بن ثعلبة » ، صوابه فى الطبرى . ومما هو جدير بالذكر أن فى العرب أيضاً : « تيم بن ثعلبة » وهؤلاء فى قحطان من ولد طيىء بن أدد . وأشهر من فى العرب تميان : تميم بن مر القبيلة المعروفة ، وتميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . انظر لهذه المعارف ص٣٠ .

(٣) الطبرى : « أهل كوفتها وبصرتها » . انظر (٦ : ١٨) .

(٤) هذه التكملة من الطبرى .

(٥) الطبرى : « سفيان بن ثور » ، مع إسقاط النسبة بعده .

(٦) فى الأصل : « الحصين » بالمهملة ، تحريف . انظر ما سبق فى ٢٨٧ .

تضعضع رايات ربيعة

عبيدُ الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من قراء أهل الشام قد بايعوا على المـوت ، وهى ميمنة أهل الشام ، وعلى ميمنتهم ذو الكَلاع ، فحملوا على ربيعة – وهم مَيسرة أهل العراق – وفيهم عبد الله بن العباس وهو على الميسرة ، فحمل عليهم ذو الكَلاع وعُبيد الله ابن عُمر ، فحملوا على ربيعة حملةً شديدة بخيلهم ورجالهم ، فتضعضعت رايات ربيعة ، فتشبَّتوا إلاَّ قليلا من الأَحشام والأَنذال [1] . ثم إنَّ أهل الشام انصرفوا ولم يمكثوا إلا قليلاً حتى كرُّوا [ثانية] وعبيد الله ابن عمر [فى أوائلهم] يقول : « يا أهل الشام ، هذا الحىُّ من أهل العراق قتلةُ عثمان بن عفَّان ، وأنصار علىّ بن أبى طالب . وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأْرَكم فى عثمان ، وهلك علىّ وأهل العراق » .

ثبات ربيعة بعد الهزيمة

فشَدُّوا على الناسِ شَدَّةً شديدة ، فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبراً حسناً إلاَّ قليلا من الضعفاءِ ، وثبت أهل الرايات وأهل البصائر منهم والحِفاظ ، وقاتلوا قتالا شديداً . فلما رأى خالد بن المعمر أناساً قد انهزموا من قومه انصرف ؛ فلما رأى أصحابَ الرايات قد ثبتوا ورأى قومَه قد صبَروا رجع وصاح بمن انهزم بالرجوع ، فقال من أراد أن يتهمه [من قومه] : أراد الانصراف فلما رآنا قد ثبتنا رجعَ إلينا ؟ وقال هو [2] : لما رأيتُ رجالاً مِنَّا قد انهزموا رأيت أن أستقبلهم ثم أردّهم إليكم ، فأقبلتُ إليكم بمن أطاعنى منهم . فجاء بأمرٍ مشتبه [3] .

وكان بصفِّين أربعة آلاف مُجحِّف من عنزة [4]

---

(١) الأحشام : الأتباع . وعند الطبرى : « فتضعضعت رايات ربيعة إلا قليلا من الأخيار والأبدال » . ومؤدى العبارتين واحد . وهذا الخبر من أوله روى فى ح مختصراً ، ولم أجد فيه مواضع المقابلة التى أشرت إليها من الطبرى .

(٢) فى الأصل : « لهم » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٤٩٦) والطبرى .

(٣) الطبرى : « بأمر مشبه » .

(٤) ح : « وكان فى جملة ربيعة من عنزة وحدها أربعة آلاف مجفف » . والمجفف : =

نصر ، عن عمر قال : حدثنى رجلٌ من بكر بن وائل ، عن محرز ابن عبد الرحمن [العجلى[1]] أن خالد بن المعمر قال :

خطبة خالد ابن المعمر

« يا معشر ربيعة ، إن الله عز وجل قد وجل قد أتى بكلِّ رجل منكم من مَنْبِته ومسقط رأسه فجمعكم فى هذا المكان جمعاً لم تجتمعوا مثله ، منذ نَشرَكمُ فى الأرض[2] . وإنكم إن تمسكوا أيديكم تنكِلوا عن عدوِّكم وتحولُوا عن مصافِّكم[3] . ولا يرضى الربُّ فعلكم . ولا تَعْدَمُوا معيِّراً يقول : فضحتْ ربيعةُ الذِّمار ، وخامت عن القتال[4] . وأُتيت[5] مِنْ قِبلها العرب . فإيَّاكم أن يتشاءمَ بكم المسلمونَ اليوم . وإنَّكم إن تمضُوا مقدِمين ، وتصبروا محتسبين فإنَّ الإقدامَ منكم عادةٌ ، والصبرَ منكم سجيَّة . فاصبروا ونيِّتكم صادقةٌ تُؤجَروا ؛ فإنَّ ثوابَ مَن نوى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامةُ الآخرة ، ولا يُضيعُ اللهُ أجرَ مَن أحسنَ عملا ».

رد أحد الربعيين عليه

فقام إليه رجلٌ من ربيعة فقال : « ضاعَ واللهِ أمْرُ ربيعةَ حينَ جعلَتْ أَمرَها إليك ، تأْمُرنا ألاَّ نحولَ ولا نزُول حتَّى نقتُلَ أنفسَنا ونسفِك دماءَنا . ألا تَرَى إلى النَّاس قد انصرفَ جُلُّهم ؟! » . فقام إليه

= لابس الجحفة ، وهى ترس يتخذ من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض . والمجفف فى رواية ح صحيحة أيضاً ، رجل مجفف لبس التجفاف ، وهو بالفتح : ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح . وفى اللسان : « وقد يلبسه الإنسان أيضاً » . قال ابن أبى الحديد : « قلت : لا ريب عند علماء السير أن خالد بن المعمر كان له باطن سوء مع معاوية ، وأنه انهزم ذلك اليوم ليكسر الميسرة على على عليه السلام . ذكر ذلك الكلبى والواقدى وغيرهما . ويدل على باطنه هذا أنه لما استظهرت ربيعة على معاوية وعلى صفوف أهل الشام فى اليوم الثانى من هذا أرسل معاوية إلى خالد بن المعمر : أن كف ولك إمارة خراسان ما بقيت . فرجع بربيعة وقد شارفوا أخذه من مضربه » .

(١) التكملة من الطبرى .

(٢) فى الأصل : « هذا فرشكم الأرض » ، صوابه فى الطبرى .

(٣) الطبرى : « ونزلوا عن مصافكم » .

(٤) خامت : جبنت . وفى الأصل : « حامت » بالمهملة ، تحريف . وفى ح : « خاموا » وفى الطبرى : « حاصت » . والحيص : العدول والفرار والهرب .

(٥) فى الأصل : « وأوتيت » ، صوابه من ح والطبرى .

رجالٌ من قومه فتناولوه بقِسِيِّهم[1] ، ولكزُوه بأيديهم ، فقال لهم خالد بن المعمَّر : « أخرِجُوا هذا من بينِكم ؛ فإنَّ هذا إنْ بَقِىَ أضَرَّ بكم ، وإنْ خرجَ منكم لم يَنْقُصكم ، هذا الذى لا ينقص العدَدَ ولا يملأُ البلد . برَّحك[2] الله من خطيب قوم ! كيف جنَّبكَ الخير[3] ! » .

قتال ربيعة وحمير

واشتدَّ قِتال ربيعة وحِمير وعُبيد الله بن عمر ، حتَّى كثرت القتلى فيما بينهم ، وحَمَل عُبيد الله بن عمر فقال : أنا الطيِّب ابن الطيِّب . قالوا : أنتَ الخبيث ابنُ الطيِّب . فقُتل شمر بن الريان بن الحارث[4] وهو من أشدِّ الناس بأْساً . ثم خرج نحوٌ من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحابِ عليٍّ ، على رءُوسهم البَيض وهم غائصون فى الحديد ، لا يُرى منهم إلاَّ الحَدَق ، وخرج إليهم من أهل الشَّام نحوُهم فى العدد فاقتتلوا بين الصَّفَّين والناسُ تحت راياتهم : فلم يرجع مِن هؤلاء ولا مِن هؤلاء مُخْبِر لا عراقىٌّ ولا شامىٌّ ، قُتلوا جمعاً بين الصَّفَّين .

التفاخر بعبيد الله بن عمرو ومحمد بن أبى بكر

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن تميم قال : نادى منادِى أَهل الشَّام : ألاَ إنَّ معنا الطَّيّب ابنَ الطَّيِّب ، عبيد الله بن عمر . فقال عمّار بنُ ياسر : بل هو الخبيث [ابن الطيّب] . ونادى منادى أهل العراق : ألا إنَّ معنا الطيّب ابنَ الطيّب ، محمدَ بن أَبى بكر . فنادى منادى أَهل الشام : بل هو الخبيث ابن الطيِّب . وفى حديثٍ : فقال عقبة بن سلمة أخو بنى رقاش[5] من أهل الشام ، وكان بصِفِّين تلٌّ يُلقَى عليه جماجمُ الرِّجال ، [وكان يُدعى تلَّ الجماجم] ، فقال :

(١) فى الأصل : « بفيهم »، صوابه فى ح (١ : ٤٩٦) . وفى الطبرى : « وتناولوه بألسنتهم » .

(٢) برح به : عذبه . وفى الأصل : « يرحمك الله » ، صوابه فى الطبرى . ح : « ترحك الله » . يقال ترحه الأمر تتريحاً : أحزنه .

(٣) جنبه : بعد عنه . ح : « لقد جنبك الخير » . الطبرى : « كيف جنبك السداد » .

(٤) الطبرى : « سمير بن الريان بن الحارث العجلى » .

(٥) ح : « عقبة بن مسلم الرقاشى » .

من أشعار صفين

لم أر فرساناً أشدَّ بديهة وأمنَعَ منهم يوم تلِّ الجماجمِ (١)
غداةَ غدا أهلُ العراقِ كأنَّهم نعامٌ تلاقَى فى فِجَاج المخَارمِ
إذَا قلتُ قد ولَّوا أنَابَتْ كتيبةٌ مُلملَمةٌ فى البَيضِ شُمْطُ المقادِمِ
وقالوا لنا : هذا علىٌّ فبايعُوا فقلنا ألا لا بالسيوف الصوارمِ (٢)
وثُرْنا إليهم بالسُّيوف وبالقَنا تَدافعُهم فُرسانُنا بالتزاحمِ

وقد كان معاوية نذر فى سَبْى نساء ربيعة وقَتْل المقاتلة ، فقال فى ذلك خالد بن المعمر :

تمنَّى ابنُ حرب نَذْرةً فى نسائنا ودُونَ الذى ينوِى سيوفٌ قواضبُ
ونَمنح ملكاً أنتَ حاولتَ خَلْعَه بنِى هاشم قولَ امرئٍ غيرِ كاذبِ

وقال أيضاً :

وفتنة مثلِ ظَهر اللَّيلِ مُظْلمةٍ لا يستبين لها أنفٌ ولا ذنَبُ
فرَّجتُها بكتاب الله فانفرجَتْ وقد تحيَّرَ فيها سادةٌ عَرَبُ

وقال شَبث بن رِبْعىّ :

وقفنا لديهم يوم صِفِّين بالقَنا لَدُنْ غدوةً حتَّى هوَتْ لغُروبِ
وولَّى ابنُ حربٍ والرِّماحُ تَنوشُهُ وقدأرضتِ الأسيافُ كُلَّ غَضوبِ (٣)
نُجالدهم طَوراً وطوراً نصدُّهم عَلَى كل محبُوكِ السَّراةِ شَبُوبِ (٤)
بكلِّ أسيلٍ كالقِراط ، إذا بدت لوائحُها بين الكُماة ، لعوبِ (٥)

(١) ح (١ : ٤٩٧) : « أشد حفيظة » .
(٢) ح : « فقلنا صه بل بالسيوف » .
(٣) فى الأصل : « وقد غضب الأحلاس » ، صوابه فى ح .
(٤) ح : « وطوراً نشلهم » . والشل : الطرد . والسراة ، بالفتح : الظهر . والمحبوك : المدمج . وفى الأصل : « محنوك » ، صوابه بالباء ، كما فى ح .
(٥) القراط ، بالكسر : شعلة السراج .

نجـالدُ غسَّـاناً وتشقى بحربنا جُذامٌ ووِتْر العبدِ غيرُ طَلوبِ[1]
فلم أرَ فُرساناً أشـدَّ حفيظةً إذا غشِيَ الآفاقَ نَفْـحُ جَنُوبِ
أكرَّ وأحْمَى بالغَطـاريف والقنا وكـلِّ حديد الشَّفْـرتين قَضُوبِ

وقال ابن الكَوَّاء :

ألا مَنْ مُبلغٌ كلبـاً ولخمـاً نصيحةَ ناصحٍ فوقَ الشَّقيقِ
فإنَّـكمْ وإخوتكم جميعـاً كبازٍ حَادَ عن وَضَحِ الطَّرِيقِ
وبِعتم دينَـكم برضـاء عُبْدٍ أَضَلَّ بها مُصَافَحةُ الرَّقيقِ[2]
وقمتم دوننـا بالبِيضِ صَلْتـاً بكلِّ مُصَانِعٍ مثلِ الفَنيقِ[3]
وساروا بالكتائب حول بَدْرٍ يضيءُ لَدَى الغُبـار من البريقِ

يعنى بالبدر عليًّا . حتى إذا كان يوم الخميس التاسع من صفر ، خطب النَّاسَ معاويةُ وحرَّضهم وقال :

خطبة لمعاوية

« إنَّه قد نزل من الأَمر ما قد ترون ، وحَضَركم ما قد حضَركم . فإذا نَهَدْتم إليهم إن شاء الله فقدِّموا الدارع ، وأَخِّروا الحاسر ، وصُفُّوا الخيل مُجَنِّبين ، وكونوا كقصِّ الشَّارب ، وأَعِيرُونا جماجمكم ساعةً ، فإنَّما هو ظالمٌ أو مظلوم . وقد بلغ الحقُّ مقطعَهُ ، والنَّاسُ على تعبئةٍ أُخرى »

خطبة أخرى له

نصر ، عن عمر قال . حدثنى رجل عن جابر ، عن الشعبى قال : قام معاوية يخطب بصِفِّين قبل الوقعة العظمى فقال :

« الحمد لله الذى علا فى دنوِّه . ودَنا فى عُلوِّه . وظهر وبطن ،

---

(١) غير طلوب : أى قريب سهل المنال . وأصله من قولهم « بئر طلوب » ، أى بعيدة الماء .
(٢) العبد : العبيد ، والأصل فيه ضم الباء ، وسكنها للشعر .
(٣) المصانع : الفرس الذى لا يعطيك جميع ما عنده من السير ، له صون يصونه ، فهو يصانعك ببذله سيره . وفى الأصل : « مضالع » ، ولا وجه له . والفنيق : الفحل المكرم .

وارتفع فوق كلِّ منظرٍ ، أوّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، يقضى فيفصِل ، ويقدِر فيغفر ، ويفعل ما يشاءُ ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم عَلَى أمرٍ قضاه ، لا يُؤامرُ أحداً فيما يملك ، ولا يُسأَلُ عما يفْعل وهم يسألون . والحمد لله ربِّ العالمين على ما أحببنا وكرهنا . ثم كان فيما قَضى الله أن ساقتْنا المقادير[1] إلى هذه البقعة من الأرض ، ولفَّ بيننا وبينَ أهل العراق ، فنحنُ من الله بمنظرٍ . وقد قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَااقْتَتَلُوا وَلكِنَّ اللَّهَ يَفْعلُ ما يُرِيدُ ﴾ . انظروا يا معاشر أهل الشّام فإنما تلقون غداً أهلَ العراق ، فكونوا على إحدى ثلاثِ أحوال : إمَّا أن تكونوا قوماً طلبتم ما عند الله فى قتالِ قومٍ بَغَوا عليكم فأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا فى بيضتكم ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيِّكم صلى الله عليه ، وإما أن تكونوا قوماً تذبُّون عن نسائكم وأبنائكم . فعليكم بتقوى الله والصَّبر الجميل . أسأل الله لنا ولكم النَّصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين » .

فقام ذو الكلاع فقال : يا معاوية :

رد ذى الكلاع

إنَّا لنحن الصُّبُر الكرامْ[2] لا ننثنى عِنــدَ الخصــامْ
بنــو المــلوكِ العظــامْ ذَوُو النُّهى والأَحــلامْ
لا يقربُون الآثامْ

تحريض زياد ابن خصفة لعبد القيس

فلما سكت قال له معاويةُ : صدقْت .

نصر قال : أخبرنى عمر بن سعد قال : أخبرنى رجل عن جَيْفر بن

---

(١) فى الأصل : « وساقتنا المقادير » ، صوابه فى ح (١ : ٤٩٧) .
(٢) كذا ورد هذا الشعر على ما به من اضطراب ظاهر فى الوزن . وهو أشبه ما يكون بالنثر والتسجيع . وفى ح : « نحن الصبر الكرام » .

أبى القاسم[1] [العبدىّ[2]] ، عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر ، أنَّ زِياد بن خَصفة أَتى عبد القيس يوم صفِّين وقد عُبِّيت قبائلُ حمير مع ذى الكلاع – وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب – لبكر بن وائل ، فقاتلوا قتالاً شديداً خافوا [فيه[3]] الهلاك؛ فقال زياد لعبد القيس: لا بَكْرَ بعد اليوم ، إنَّ ذا الكلاع وعُبيد الله أبادا ربيعة ، فانهضُوا لهم وإلاَّ هلكوا . فركبتْ عبد القيس وجاءت كأنَّها غمامةٌ سوداءُ ، فشدَّتْ إزاءَ الميسرة ، فعظُم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرىّ ، قتله رجلٌ من بكر بن وائل اسمه خِندف ، وتضعضعَت أركانُ حمير ، وثبتت بعد ذى الكلاع تحارب مع عُبيد الله بن عمر .

عبيد الله بن عمر والحسن بن على

وبعث عُبيد الله بن عمر إلى الحسن بن علىٍّ فقال : إنَّ لى إليك حاجةً فالقنى . فلقيه الحسن فقال له عُبيد الله : إن أَباك قد وتَر قريشاً أوّلاً وآخراً ، وقد شنئُوه فهل لك أن تخلُفه ونولِّيَك[4] هذا الأمر ؟ قال : كلاَّ والله لا يكونُ ذلك . ثم قال له الحسن : لكأنى أنظُر إليكَ مقتولاً فى يومك أو غَدك . أمَا إنَّ الشيطان قد زيَّن لك وخَدعك حتى أخرجَك مخلَّقاً بالخَلوق ترى نساءَ أهل الشَّام موقفك ، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً . قال : فوالله ما كان إلا كيومه أو كالغد وكان القتال . فخرج عُبيدُ الله فى كتيبةٍ رقطاءَ – وهى الخُضْرية – كانوا أربعة آلاف ، عليهم ثيابٌ خضر ، ونظر الحسنُ فإذا هو برجلٍ متوسِّدٍ رِجْلَ قتيل قد ركز رمحه فى عينه ، وربَطَ فرسه برجله ، فقال الحسن لمن معه : انظروا مَن هذا . فإذا هو برجلٍ مِن همْدان ، فإذا القتيل

(١) فى الأصل : « جيفر عن القاسم » ، وأثبت ما فى الطبرى .
(٢) هذه التكملة من الطبرى . وفى لسان الميزان ومنتهى المقال : « جيفر بن الحكم العبدى » فلعله هو . والعبدى : نسبة إلى عبد القيس .
(٣) هذه التكملة من الطبرى .
(٤) فى الأصل : « ونليك » . وفى ح (١ : ٤٩٨) : « وأن تتولى أنت » .

عُبيد الله بن عمر بن الخطاب ، قد قتله وبات عليه حتى أصبح ، ثم سلبه . فسأل الرجلَ من هو ؟ فقال[1] : رجل مِن همدان ، وإنه قتله . فحمد الله ، وحُزنا القوم حتى اضطررناهم إلى معسكرهم .

مصرع عبيد الله بن عمر

واختلفوا فى قاتل عبيد الله ، فقالت همدان : قتله هانئُ بن الخطاب . وقالت حضرموت : قتله مالك بن عمرو السبيعى . وقالت بكرُ بن وائل : قتله رجلٌ منَّا مِنْ أهل البصرة يقال له محرز بن الصَّحصح من بنى [عائش بن مالك بن[2]] تيم اللات بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل حين بويع ، فقالوا[3] : إنما قتله رجل منَّا من أهل البصرة يقال له مُحرز بن الصحْصَح . فبعث معاوية إليه بالبصرة فأخذ السيفَ منه .

سيف عبيد الله بن عمر

رثاء كعب بن جعيل له

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشَّعبيّ قال : فعند ذلك يقول كعب بن جُعيل التغلبى فى قتل عبيد الله بن عمر :

ألا إنما تبكى العيونُ لفـــارسٍ بصفِّين أجْلَتْ خيلُه وهو واقفُ
تبدَّل من أسماءَ أسيــافَ وائلٍ وأىُّ فتى لو أخطأتْهُ المتالفُ
تركن عُبيد الله بالقـــاع مُسلَماً يمجُّ دِماهُ والعروقُ نوازفُ[4]
ينوءُ وتغشاهُ شــآبيبُ من دم كما لاح فى جيب القميص الكفائفُ
دعاهنَّ فاستسمعْنَ من أين صوتُه وأقبلْن شتَّى والعيونُ ذوارفُ[5]

(١) فى الأصل : « فقالوا » .
(٢) التكملة من الطبرى .
(٣) فى الأصل : « فقال » .
(٤) مسلما : متروكا . وفى الأصل : « مسلبا » ، صوابه فى ح . وفى ح : « يمج دماه » .
(٥) قال ابن أبى الحديد فى (١ : ٤٩٩) : « الضمير فى قوله : دعاهن فاستسمعن من أين صوته ، يرجع إلى نساء عبيد الله . وكان تحته أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى ، وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيبانى . وكان عبيد الله قد أخرجهما معه إلى الحرب فى ذلك اليوم لينظرا إلى قتاله » .

وقد صبرتْ حولَ ابن عمٍّ محمدٍ — لدى الموت شهباءُ المناكب شارفُ[1]
فما برحوا حتى رأى الله صَبرَهمْ — وحتى أُتيحت بالأكفِّ المصاحفُ
بمرج ترى الراياتِ فيه كأنّها — إذا اجتنحت للطعن طيرٌ عواكفُ[2]
جزى الله قَتلانا بصفِّين خيرَ ما — جَزاهُ عباداً غادرتها المواقف

وفى حديث عمر : قال كعب بن جُعيل فى قتل عُبيد الله بن عُمر :

يقول عُبيدُ اللهِ لمَّا بدتْ له — سَحابةُ موت تقطُر الحتْفَ والدَّما
ألاَ يالقومى اصبروا إنَّ صبرَنا — أعفُّ وأَحْجَى ، عِفَّــةً وتكرُّما
فلمّا تلاقى القومُ خرَّ مجــدَّلاً — صَريعاً فَلاقى التُّربُ كفَّيهِ والفَما
وخلَّف أطفــالاً يتامَى أذلَّةً — وخلَّف عِرْساً تسكُبُ الدَّمعَ أيِّما
حَلالاً لها الخطَّابُ لا تَتَّقِيهِمُ — وقد كان يَحْمَى غَيرةً أنْ تُكلَّما

وحمل عُبيد الله بن عُمَرَ وهو يقول :

عبيد الله بن عمر وحريث بن جابر الحنفى

أنا عُبيــد الله ينميني عمر — خيرُ قريشٍ مَنْ مَضَى ومن غَبر
إلاَّ نَبِيَّ اللهِ والشَّيـخ الأَغَرّْ — قد أبطأَت عن نَصْرِ عثمانَ مُضَرْ
والرَّبعيُّونَ فــلا أُسقُوا المطرْ — وسَارَعَ الحيُّ اليمــانون الغُرَرْ
والخيرُ فى الناسِ قديماً يُبتدَرْ

فحمل عليه حُريث بن جابر الحنفىّ وهو يقول :

قد سارَعَتْ فى نَصْــرها ربيعةْ — فى الحقِّ والحقُّ لهم شريعةْ
فاكْفُفْ فلستَ تاركَ الوقيعةْ — فى العُصْبة السَّامِعةِ المطيعةْ
حتى تذوق كأْسها الفظِيعَةْ[3]

---

(١) فى الأصل : « شهباء المبارك » ، صوابه فى ح . عنى بها الكتيبة قد صارت مناكبها شهباء لما يعلوها من بياض الحديد .

(٢) اجتنحت : مالت . وفى ح : « جنحت » ، وهما بمعنى .

(٣) فى الأصل : « القطيعة » ، صوابه فى ح (١ : ٤٩٨) .

فطعنه فصرعه وأخذ لواءَهُ ابنُ جَوْنٍ السَّكونى .

قول الصلتان في مقتل عبيد الله

وفى حديث محمد بن عُبيد الله ، عن الجرْجانى ، قال الصَّلتان العبدىّ ، [يذكر مقتل عبيد الله ، وأنَّ حريث بن جابر الحنفىَّ قتله] :

أَلا يا عُبيدَ الله ما زِلْتَ مُولعاً ... ببَكْرٍ لها تُهدِى اللَّغَا والتَّهدُّدا[1]
كأَنَّ حُمَاة الحىِّ من بكر وائلٍ ... بذِى الرِّمث أُسْدٌ قد تبوَّأْن غَرْقَدا
وكنتَ سفيهاً قد تعوَّدْتَ عادةً ... وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تَعوَّدا
فأَصبحت مسلوباً على شر آلةٍ ... صَرِيع قناً وَسْط العجَاجة مُفْرَدا[2]
تشقُّ عليكَ الجيبَ اِبنةُ هانئٍ ... مَسلِّبة تُبدِى الشَّجا والتلدُّدا[3]
وكانت تَرَى ذا الأَمرَ قبْل عِيانه ... ولكنَّ أمرَ الله أَهْدَى لك الرَّدى
وقالت : عُبيدَ الله لا تأْت وائلاً ... فقلتَ لها : لاتَعْجَلى وانظرِى غَدا
فقد جاءَ ما منَّيْتَها فتَسَلَّبت ... عليكَ وأَمسى الجيبُ منها مقدَّدا
حباك أَخُو الهيْجا حُريث بن جابرٍ ... بِجَيّاشةٍ تحكى الهديرَ المنَدَّدا[4]

راية حضين ابن المنذر

نصر ، عن عمر ، عن الزُّبير بن مسلم قال : سمعتُ حُضين بن المنذر يقول : أعطانى علىٌّ الراية ثم قال : سِرْ على اسم الله ياحضين[5] ، واعلم أنه لا يخفُق على رأسِك رايةٌ أبداً مثلُها . إنَّها رايةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) اللغا ، بالفتح : الباطل . وفى الأصل : « اللقا » ، تحريف . وفى ح : « القرى » .
(٢) الآلة ، هنا ، بمعنى الحالة .
(٣) المسلبة : المحد التى تلبس الثياب السود للحداد . والذى ذكرته المعاجم «المسلب» بدون هاء . والتلدد : التلفت يميناً ويساراً فى حيرة وتبلد .
(٤) الجياشة : الطعنة التى يفور منها الدم . والمندد ، من التنديد ، وهو رفع الصوت . وفى الأصل : « المبددا » تحريف . وفى ح :
* بحاسمة تحكى بها النهر مزبدا *
(٥) فى الأصل : « حصين » صوابه بالمعجمة ، كما سبق فى ص ٢٨٧ .

جود حريث بن جابر فى الحرب

قال : وقد كان حُريث بن جابر نازلاً بين العسكرين فى قبةٍ له حمراء ، وكان إذا التقى النَّاسُ للقتال أَمدَّهم بالشَّراب من اللبن والسَّويق والماءِ ، [ويطعمهم اللحم والثريد] ، فمن شاءَ أَكل أَو شرِب[1] .

وفى ذلك يقول الشاعر :

لو كان بالدَّهنا حريثُ بن جابرٍ لأَصْبحَ بحراً بالمفازة جارياً[2]

حرب مذحج

نصر ، عن عَمرو بن شمر ، عن جابرٍ قال : سمعت الشَّعبى يذكر [أَنَّ[3]] صعصعةَ قال : عبَّأَ لمذحج ولبكر بن وائل ذُو الكلاع وعُبيد الله ، فأَصابوا ذَا الكلاع وعُبيدَ الله ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . قال : وشدَّت عكٌّ ولخْمٌ وجُذام والأَشعرون من أَهل الشَّام ، على مذحج وبكر ابن وائل . فقال العكِّىّ فى ذلك :

ويل لأُمِّ مذحج من عَكِّ لَنتركنّ أُمَّهمْ تُبَكِّى

نقتلُهم بالطَّعن ثمَّ الصكِّ فلا رجالَ كرجالِ عكِّ

لِكلِّ قِرنٍ باسِلٍ مِصَكِّ

قال : ونادى منادى مَذْحِج : يالَ مَذْحج ، خدِّموا[4] . فاعترضت مذحِجٌ لسوق القوم فكان بوارُ عامةِ القوم . وذلك أَنَّ مذحج حَمِيتْ من قول العكِّى . وقال العكىّ حين طحنت رَحى القوم ، وخاضت الخيلُ والرِّجال فى الدِّماء . قال : فنادى : « يالَ مذحج : اللهَ اللهَ : فى عَكٍّ

نداء العكيين والأشعرين

---

(١) ح (١ : ٥٠٠) : « فمن شاء أكل ومن شاء شرب » .

(٢) قال ابن أبى الحديد : « قلت : هذا حريث الذى كتب معاوية إلى زياد فى أمره بعد عام الجماعة — وحريث عامل لزياد على همدان — : أما بعد فاعزل حريث بن جابر عن عمله فما ذكرت مواقفه بصفين إلا كانت حزازة فى صدرى . وكتب إليه زياد : خفض عليك يا أمير المؤمنين ؛ فإن حريثاً قد بلغ من الشرف مبلغاً لا تزيده الولاية ولا ينقصه العزل » .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) انظر ما سبق ص ٢٥٧ .

وجذام ، ألا تَذْكرون الأَرحام ، أفنيتم لخم الكرام ، والأَشعرِين وآل ذى حُمَام[1] ، أَين النهى والأَحلام ، هذه النساءُ تبكى الأَعلام » .

وقال العكىّ[2] : « ياعكُّ أَينَ المفَرّ ، اليوم تعلم ما الخبر ، إنكم قومٌ صبر ، كونوا كمجتمع المدر[3] ، لا تشمتن بكم مُضر ، حتى يَحُولَ الحكر[4] ، فيرى عدوُّكم الغِيَر » .

وقال الأَشعرىّ[5] : « يالَ مذحج مَن للنِّساء غداً ، إذا أفناكم الردى ؛ اللهَ اللهَ فى الحرمات ، أَما تذكرون نساءكم والبنات ؛ أَما تذكرون أَهل فارس والرُّومَ والأَتراك ، لقد أَذِن الله فيكم بالهلاك » : والقوم ينحرُ بعضهم بعضاً ، ويتكادمُون بالأَفواه . وقال : نادى أَبو شُجاعٍ الحميرىّ ، وكان من ذوى البصائر مع علىٍّ ، فقال : يا معشر حِمير ، [تبّتْ أَيديكم] أَتُرون معاويةَ خيراً من علىٍّ ؟ أَضلَّ اللهُ سعيكم . ثم أَنت يا ذا الكلاع فوالله إن كنا نرى أَنَّ لك نِيَّةً فى الدِّين . فقال ذو الكلاع : إيهاً يا أَبا شجاع ، والله فاعلمنَّ ما معاويةُ بأَفضلَ من علىّ ، ولكن إنما أُقاتل على دم عثمان . قال : وأُصيب ذُو الكلاع بعده[6] ، قتله خندف [بن بكر] البكرىُّ فى المعركة .

مطالبة ابن ذى الكلاع بجثة أبيه

نصر : عُمر ، عن الحارث بن حصيرة ، أَنَّ ابن ذى الكلاع أرسل إلى الأَشعث بن قيس رسولاً ، فقال له : « إن ابن عمِّك ذى الكلاع[7]

---

(١) فى القاموس : « وذو الحمام بن مالك حميرى » .

(٢) ح : « ونادى منادى عك » .

(٣) فى الأصل : « كمفترق المدر » ، صوابه فى ح (١ : ٥٠٠) .

(٤) الحكر فى لغة أهل عك هو « الحجر » بقلب الجيم كافاً . انظر ما سبق ص ٢٢٨ . ح : « حتى يحول ذا الخبر » ، تحريف .

(٥) فى الأصل : « الأشعرون » ، وفى ح : « ونادى منادى الأشعريين » .

(٦) ح : « حينئذ » .

(٧) فى الأصل : « ذا الكلاع » ، تحريف .

يقرئك السلام ورحمةَ الله ، وإن كان ذو الكلاع قد أُصيب وهو فى الميسرة فتأْذنُ لنا فيه » . فقال له الأشعث : أَقرئْ صاحبك السلام ورحمةَ الله وقل له : إنى أخاف أن يتَّهمنى علىّ ، فاطلبه[1] إلى سعيد ابن قيس فإنه فى الميمنة . فذهب إلى معاوية فأخبره وكان مَنعَ ذلك منهم ، وكانوا فى اليوم والأيام يتراسلون ، فقال له معاوية : فماعَسيتُ أن أصنع ؟ وذلك لأنهم منعوا أهل الشّام أن يدخلوا عسكر علىٍّ لشىءٍ ، خافوا أن يفسدوا أهل العسكر[2] . وقال[3] معاوية : لأنا أشدُّ فرحاً بقتلِ ذى الكلاع مِنِّى بفتح مصر لو فتحتُها . لأنَّ ذا الكلاع كان يحجُر على معاويةَ فى أشياءَ كان يأْمر بها . فخرج ابن ذِى الكلاع إلى سَعيد بن قيس فاستأْذنه فى ذلك فأَذن له ؛ فقال سعد الإسكاف[4] والحارثُ بن حصيرة ، قالا : قال سعيد بن قيس لابن ذِى الكلاع : كذَبتَ أن يمنعوك ، إنَّ أمير المؤمنين لا يُبالى مَن دخَل بهذا الأمر ، ولا يمنعُ أحداً من ذلك فادخُلْ . فدخل من قِبل الميمنة فطاف فى العسكر فلم يجِدْه ، ثم أتى الميسرة فطاف فى العسكر فوجده قد رُبط رجلُه بطُنب من أطناب بعضِ فساطيط العسكر ، فوقف على باب الفسطاط ؛ فقال : السلام عليكم يا أهل البيت . فقيل له : وعليك السلام . وكان معه عبدٌ له أسود لم يكن معه غيره ، فقال : تأْذنون لنا فى طُنُبٍ من أطناب فسطاطِكم ؟ قالوا : قد أذنَّا لكم . ثم قالوا : معذرة إلى ربِّنا عزَّ وجلّ وإليكم ، أمَا إنه لولا بغْيه علينا ما صنعْنا به ما ترون . فنزل

(١) فى الأصل : « فاطلبوا » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) ح : « فقال له إن علياً عليه السلام قد منع أن يدخل أحد منا إلى معسكره ، يخاف أن يفسد عليه جنده » .

(٣) فى الأصل : « فقال » .

(٤) هو سعد بن طريف الحنظلى ، مولاهم ، الإسكاف الكوفى ، ويقال له أيضاً سعد الخفاف روى عن الأصبغ بن نباتة ، وأبى جعفر ، وأبى عبد الله . قال ابن حجر : متروك ، ورماه ابن حبان بالوضع . انظر تهذيب التهذيب ومنتهى المقال ١٤٤ .

ابنُه إليه – وكان من أعظم النّاس خَلْقاً وقد انتفخ شيئاً – فلم يستطيعا احتماله ، فقال ابنه . هل من فتًى مِعوان ؟ فخرج إليه خِندف البكرى فقال : تنحَّوْا [عنه] . فقال له ابنُ ذى الكلاع : ومَن يحملُه إذا تنحَّينا ؟ قال : يحمله الذى قتله . فاحتمله خندفٌ ثمَّ رمى به على ظهر البغْل . ثم شدَّه بالحبال فانطلقُوا به .

استدام القتال

ثمَّ تمادى الناس فى القتال فاضطربوا بالسيوف حتى تعطَّفت[1] وصارت كالمناجل ، وتَطاعنوا بالرِّماح حتى تكسَّرت [وتناثرت أسنتها] ، ثمَّ جَثوا على الرُّكُبات فتحاثوا بالتراب . يحثو بعضُهم فى وجوه بعضٍ التراب ، ثم تعانقوا وتكادموا [بالأفواه] ، وترامَوْا بالصخر والحجارة ، ثم تحاجزوا فجعل الرجل من أهل العراق يمرُّ على أهل الشام فيقول : من أين آخذ[2] إلى رايات بنى فلان ؟ فيقولون : ها هنا ، لا هداك الله . ويمرُّ الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول : كيف آخُذُ إلى رايات بنى فلان ؟ فيقولون : ها هنا ، لا حفِظك اللهُ ولا عافاك .

وكان من أُمراءِ النمر بن قاسط عبدُ الله بن عمرو ، من بنى تميم . وقتل يومئذٍ فلان بن مُرَّة بن شُرَحْبيل ، والحارث بن عمرو بن شُرَحبيل .

استعارة أبى عرفاء راية الحضين

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن البراء بن حَيَّان الذُّهلى أن أبا عرفاء جبلة بن عطية الذهلىّ قال للحُضين[3] يوم صِفِّين : هل لك أن تعطينى رايتك أحملُها فيكون لك ذكرها ويكونَ لى أجرُها ، فقال له الحضين[4] : وما غناىَ [ياعمّ] عن أجرها مع ذكرها ؟ قال له : لا غنى بك عن ذلك ، أَعِرْها عمَّك ساعة[5] فما أسرَع ما ترجعُ إليك . فعلم أنه يريد

(١) تعطفت : تثنت وتلوت . وفى الأصل وح : « تقطعت » ، والوجه ما أثبت .
(٢) ح (١ : ٥٠١) : « كيف آخذ » .
(٣) فى الأصل : « للحصين » . وانظر ما سبق ص ٢٨٧ .
(٤) فى الأصل : « الحصين » بالصاد المهملة ، تحريف .
(٥) فى الأصل : « أعيرها عنك ساعة » ، صوابه فى ح (١ : ٥٠٠) .

أن يستقتل، قال : فما شئتَ . فأخذَ الرَّاية أبو عرفاء فقال : يا أهل هذه الراية ، إنَّ عمل الجنَّة كَرْه كُلّه [وثقيل] ، وإنَّ عمل النّار خِفٌّ كله [وحبيب[1]] ، وإنَّ الجنة لا يدخلها إلا الصابرون ، الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره ، وليس شيءٌ مما افترضَ اللهُ على العباد أشدَّ من الجهاد ، هو أفضلُ الأعمالِ ثواباً . فإذا رأيتمونى قد شَددتُ فشُدُّوا . ويْحَكم ، أما تشتاقون إلى الجنة ، أما تحبُّون أنْ يغفر اللهُ لكم . فشدَّ وشدُّوا معه فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، وأخذ الحضين[1] يقول :

شُدُّوا إذا ما شُــدّ باللِّــواء ذاكَ الرَّقاشيُّ أبو عــرْفاء

فقاتلوا أبو عرفاء حتى قتل . [وشدّت ربيعة بعده شَدَّة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها] . وذلك قال مَجزَأَةُ بن ثور[2] : مقتل أبي عرفاء

أضربُهم ولا أَرَى معــاويهْ الأبرَجَ العين العظيمَ الحاويهْ[3]

هــوت به فى النَّــارِ أُمٌّ هاوِيهْ جاوَرَهُ فيهــا كــلابٌ عاويهْ

أغْوَى طَغاماً لا هدَته هادِيهْ

قال : وقال معاوية لعمرو : أما ترى يا أبا عبد الله ما قد دفعنا فيه؟ كيف ترى أهل العراق غداً صانعين ؟ إنا لبمعْرِضٍ خطرٍ عظيم . فقال له عمرو : إنْ أصبحتْ ربيعةُ متعطِّفين حول عليّ تعطُّفَ الإبلِ حول فحلها لقيتَ منهم جِلاداً صادقاً ، وبأساً شديداً . [وكانت التى لايُتعزَّى

(١) هذه التكملة التى أثبت من ح هى فى أصلها : « وخبيث » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت .

(٢) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسى ، أحد الصحابة ، وكان رئيساً . انظر الإصابة ٧٧٢٤ . وفى ح : « محرز بن ثور » ، تحريف . والرجز يروى لبديل بن ورقاء ، كما فى مروج الذهب (٢ : ٢٥) . ولعلى رضى الله عنه ، كما فى اللسان (١٨ ، ٢٢٩) ومروج الذهب . وللأخنس ، كما فى الاشتقاق ١٤٨ .

(٣) البرج : سعة العين . والحاوية : واحدة الحوايا ، وهى الأمعاء .

لها] . فقال له معاوية : أبخؤولتك تخوِّفنى يا أبا عبد الله ؟ قال : إنك سألتَنى فأجبتُك . فلما أصبحوا فى اليوم العاشِر أصبحُوا وربيعةُ محدِقةٌ بعلىٍّ عليه السلام إحداق بياضِ العين بسوادها ، وقام خالد ابن المعمَّر فنادى : من يبايع نفسه على الموت ويَشرى نفسه لله ؟ فبايعهُ سبعةُ آلافٍ ألاَّ ينظر رجلٌ منهم خلفه حتى يردَ سُرادقَ معاوية . فاقتتلوا قتالاً شديداً وقد كسروا جفونَ سيوفهم .

تحريض عتاب ابن لقيط لربيعة

نصر ، قال عمر : حدثنى ابن أخى عتّابِ بن لقيطٍ البكرىّ من بنى قيس بن ثعلبة ، أن عليًّا حيث انتهى إلى رايات ربيعة قال ابن لقيطٍ : إن أُصيب علىٌّ فيكم افتضحتم ، وقد لجأ إلى راياتكم . وقال لهم شقيق ابن ثور : يا معشر ربيعة ، ليس لكم عذرٌ فى العرب إن أُصيب علىٌّ (١) فيكم ومنكم رجلٌ حَىّ ، إنْ منعتموه فحمدُ الحياة أُلبِستُموه . فقاتَلُوا قتالاً شديداً لم يكن قَبْلَه [مثله] ، حين جاءَهم علىٌّ . ففى ذلك تعاقدوا وتواصَوا ألَاَّ ينظر رجلٌ منهم خلْفه حتى يرِدَ سُرَادِقَ معاوية . فلما نظر إليهم معاوية قد أقبلوا قال :

إذا قلت قد ولّت ربيعةُ أقبلت ... كتائبُ منهم كالجبالِ تُجالِدُ

معاوية وعمرو معاوية وخالد ابن المعمر

ثم قال معاوية لعمرو : ماذا ترى ؟ قال : أرى ألا تحنَثَ أخوالى اليوم . فخلَّى معاوية عنهم وعن سرادقه وخرج فارًّا عنه لائذاً إلى بعض مضاربِ العسكر ، فدخل فيه . وبعث معاوية إلى خالد بن المعمَّر : إنّك قد ظفرتَ ولك إمرةُ خُراسان إن لم تُتِمَّ . فطمع خالدٌ فى ذلك ولم يُتِمّ (٢) ، فأمَّره معاويةُ — حين بايعَهُ النَّاس — على خُراسان ، فمات قبل أن يصل إليها .

---

(١) ح (١ : ٥٠١) : « إن وصل إلى على » .
(٢) ح : « فقطع خالد القتال ولم يتمه » .

وفى ذلك قال النجاشى :

لو شهِدتْ هنـدٌ لعمرى مَقامَنا … بصِفِّينَ فَدَّتْنـا بكعبِ بن عامرْ
فياليتَ أنَّ الأَرض تُنشَر عنهم … فيخبرَهم أَنْبـاءَنا كـلُّ خابرْ
بصفِّين إذْ قمنا كـأنَّا سحابةٌ … سَحابُ ولِيٍّ صـوبُه متبـادرْ
فأُقسمُ لو لاقيت عَمْرَو بنَ وائلٍ … بصِفِّين أَلفَـانى بعُهدةِ غـادرْ
فولَّوْا سِراعاً مُوجِفِينَ كأَنَّهمْ … نَعـامٌ تلاقَى خَلفَهنَّ زَوَاجـرْ
وفرَّ ابنُ حربٍ عَفَّر اللهُ وجهَـه … وأَرْداهُ خِزياً ، إنَّ ربِّىَ قـادرْ
معاوىَ لولا أَنْ فقدناكَ فيهـم … لغُودِرتَ مَطروحاً بها مَعْ مَعاشرْ
معاشرَ قـومٍ ضلَّلَ اللهُ سعيَهـم … وأَخزاهُمُ ربِّى كخِزْى السَّـواحرْ

شعر مرة ابن جنادة

قال : وقال مُرَّة بن جُنادة العُليمىّ ، من بنى عُلَيمٍ من كلب[(١)] :

أَلاَّ سأَلت بنا غـداةَ تبعثَرَتْ … بَكْرُ العراق بكلِّ عَضْبٍ مِقْصل[(٢)]
برزوا إلينـا بالرِّماح تهـزُّها … بين الخنـادِق مثل هَزِّ الصَّيقَلِ
والخيل تَضْبِر فى الحـديدِ كأَنَّها … أُسْـدٌ أصابتها بَليلٌ شَمْأَلُ[(٣)]

على وعبد العزيز ابن الحارث

وفى حديث عمر بن سعد قال : ثم إنَّ عليًّا صلى الغَداة ثمَّ زحف إليهم ، فلمَّا أَبصروه قد خـرج استقبلوه بزُحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم إنَّ خيلَ أَهل الشَّام حملت على خيلِ أَهل العراق فاقتطعوا من أَصحاب علىٍّ أَلفَ رجلٍ أَو أَكثر ، فأَحاطوا بهم وحالُوا بينهم وبينَ أَصحابهم فلم يَرَوْهُم ، فنادى علىٌّ يومئذ : أَلاَ رجلٌ يشرِى نفسَه لله ويبيع

---

(١) هم بنو عليم بن جناب بن هبل ، إحدى قبائل كلب بن وبرة ، من قضاعة . انظر الاشتقاق ٣١٦ ثم ٣١٤ .
(٢) مقصل ، بالقاف : قطاع . وفى الأصل : « مفصل » .
(٣) تضبر : تثب . وفى الأصل : « تصبر » ، تحريف . والحديد ، هنا : السلاح . والبليل : الريح الندية . وفى هذا البيت إقواء .

دُنياه بآخرته ؟ فأَتاه رجل من جُعْفٍ يقال له عبد العزيز بن الحارث، على فرسٍ أَدهَم كأنَّه غرابٌ، مقنَّعاً فى الحديد، لا يرى منه إلا عيناه؛ فقال : يا أَمير المؤمنين، مُرْنى بأَمرٍ، فوالله ما تأْمُرُنى بشىءٍ إلا صنَعتُه. فقال علىّ :

سمَحتَ بأَمرٍ لا يُطَاق حَفيظةً وصِدْقاً، وإخوانُ الحِفاظ قليلُ[1]
جزاك إلهُ الناس خيراً فقد وفَتْ يداكَ بفضلٍ ما هناكَ جزيلِ[2]

أَبا الحارث، شَدّ اللهُ رُكنك، احملْ على أَهل الشَّام حتى تأْتىَ أَصحابك فتقول لهم : أَميرُ المؤمنين يقرأُ عليكم السلام ويقول لكم : هلِّلوا وكبِّروا من ناحيتكم، ونهلِّل نحن ونكبِّر من هاهنا، واحملوا من جانبكم ونحملُ من جانبنا على أَهل الشَّام. فضرب الجعفىُّ فرسه حتى إذا قام على السَّنابك[3]، حمل على أَهل الشام المحيطين بأَصحاب علىٍّ فطاعنَهم ساعةً وقاتلهم، فانفرجوا له حَتى أَتى أَصحابه، فلما رأَوه استبشروا به وفرحوا وقالوا : ما فَعل أَميرُ المؤمنين؟ قال : صالح، يقرئكم السلام ويقول لكم : هلّلوا وكبِّروا، واحملوا حملة رجلٍ واحدٍ من ذلك الجانب. وحملوا على أَهل الشام من ثَمَّ، وحمل علىٌّ من ها هنا فى أَصحابه، فانفرج أَهل الشام عنهم فخرجوا وما أُصيب منهم رجل واحد. ولقد قتل من فرسان أَهل الشام يومئذ زهاءُ سبعمائة رجل. قال : وقال علىٌّ : مَن أَعظمُ الناسِ غَناء؟ فقالوا : أنت يا أَمير المؤمنين، قال : كلاَّ، ولكنَّه الجُعفىّ.

ما صنع عبد العزيز بن الحارث الجعفى

تنافس ربيعة ومضر

وذكروا أَن عليًّا كان لا يعدِل بربيعةَ أَحداً من الناس، فشقَّ ذلك

---

(١) ح (١ : ٥٠١) : « وإخوان الصفاء ».
(٢) فى البيت إقواء. وفى ح : « خيراً فإنه * لعمرك فضل ».
(٣) ح : « على أطراف سنابكه ».

على مُضَر وأظهروا لهم القبيح ، وأبدَوْا ذاتَ أنفسهم ، فقال حُضين ابن المنذر [الرّقاشى] شعراً أغضبهم ، فيه :

رأت مضرٌ صارت ربيعةُ دونهم شِعارَ أميرِ المؤمنين ، وذا الفضلُ
فأبدَوْا إلينا ما تجنُّ صدورُهم علينا من البغضا وذاك له أصل [1]
فقلتُ لهم لما رأيتُ رجالهم بدَت بهم قطوٌ كأنَّ بهم ثِقلُ
إليكمْ أهيبوا لا أبا لأبيكم فإن لكم شِكلاً وإن لنا شِكلُ
ونحنُ أناسٌ خصَّنا الله بالتى رآنا لها أهلاً وأنتم لها أهلُ
فأبلُوا بَلاَنا أو أقِرُّوا بفضْلنا ولن تلحقونا الدَّهرَ ما حنَّت الإبْلُ

فغضبوا من شعر حُضين، فقام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى [2] ، وعُمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى ، ووجوه بنى تميم ، وقبيصة بن جابر الأسدىّ فى وجوه بنى أسد ، وعبد الله بن الطفيل العامرىّ [3] فى وجوه هوازن ، فأتوا عليًّا فتكلم أبو الطفيل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا والله ما نحسد قوماً خصَّهم الله منك بخيرٍ إنْ أحمدوه وشكروه ، وإن هذا الحىّ من ربيعة قد ظنُّوا أنهم أولى بك منَّا ، وأنَّك لهم دوننا ، فأعْفِهم عن القتال أياماً ، واجعل لكل امرئٍ منا يوماً يقاتل فيه ؛ فإنا إذا اجتمعنا [4] اشتبه عليك بلاؤنا . فقال على : أعطيتُم ما طلبتم يومَ الأربعاء [5] . وأمر ربيعةَ أن تكفّ عن

---

(١) ح : « فأبدوا لنا ما تجن صدورهم * هو السوء والبغضاء والحقد والغل » .

(٢) هو عامر بن واثلة – بالثاء المثلثة – بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثى . ولد عام أحد ، ورأى الرسول ، وروى عن أبى بكر فمن بعده ، وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة . وهو آخر من مات من الصحابة . انظر الإصابة ٦٧٠ من باب الكنى ، وتهذيب التهذيب . ح : « ابن وائلة » ، تحريف .

(٣) هو عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية العامرى ثم البكائى . انظر ما سبق ص٢٠٦ والإصابة ٦٣٢٨ . وفى الأصل : « عبيد الله بن عامر » ، صوابه فى ح (١ : ٥٠٢) . وسيأتى على الصواب أيضاً ص ٣١١ .

(٤) فى الأصل : « إن اجتمعنا » ، وأثبت ما فى ح . (٥) يوم الأربعاء ، ليست فى ح .

القتال ، وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام .

قتال كنانة

فغدا [أبو الطفيل] عامر بن واثلة فى قومه من كنانة وهم جماعةٌ عظيمة ، فتقدَّم أمام الخيل وهو يقول : طاعِنوا وضارِبوا .ثم حمل وهو يقول :

قد صابرت فى حربها كنانه[1] والله يجزيها بها جِنانهْ
من أفرغ الصَّبرُ عليه زانهْ أو غلبَ الجبنُ عليه شانهْ
أو كفَر اللهَ فقد أهانهْ غداً يعضُّ منْ عصى بنانهْ

فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرف أبو الطفيل إلى علىّ فقال : « ياأمير المؤمنين ، إنك نبأتنا أنَّ أشرف القتل الشهادة ، وأحظَى الأمر الصبر ، وقد والله صَبرنا حتى أُصبنا ، فقتيلُنا شهيد ، وحيُّنا ثائر[2] ، فاطلب بمن بقِىَ ثأْرَ من مضى ، فإنا وإنْ كان قد ذهب صفوُنا[3] وبقى كدَرُنا فإن لنا ديناً لا يميل به الهوَى ، ويقيناً لا يزحمه الشبهة » .

قتال عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم

فأثنى علىٌّ عليه خيراً . ثم غدا يومَ الجمعة عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم ، وهو يومئذ سيِّد مضر من أهل الكوفة ، فقال : يا قوم ، إنى أتبع آثار أبى الطفيل وتتْبعون آثار كنانة . فتقدَّم برايته وهو يقول :

قد ضاربتْ فى حربها تميمُ إنَّ تميما خطبُها عظيمُ
لها حديثٌ ولها قديم إن الكريم نسله كريمُ
إن لم تزُرهمْ رايتى فلوموا[4] دينٌ قويم وهوًى سليمُ

فطعن برايته حتى خضبها دماً ، وقاتل أصحابه قتالا شديداً حتى

(١) ح : « ضاربت » .
(٢) ثائر ، من الثأر . ح : « سعيد » .
(٣) فى الأصل : « عفونا » ، صوابه فى ح .
(٤) فى الأصل : « إن لم تردهم » تحريف . وفى ح : « إن لم تردهم » .

أَمسَوْا ، وانصرف عميرٌ إلى عليٍّ وعليه سلاحُه فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان ظنِّى بالناس حسناً ، وقد رأيتُ منهم فوقَ ظنِّى بهم ، قاتَلُوا من كلِّ جهة ، وبلغوا من عفوهم جهدَ عدُوِّهم [1] ، وهم لهم إن شاء الله .

قتال قبيصة بن جابر ببنى أسد

ثم غدا يومَ السبت قبيصة بن جابر الأسدىُّ فى بنى أَسد ، وهم حىُّ الكوفة بعد همدان ، فقال : « يا معشر بنى أَسد ، أَمَّا أنا فلا أُقصِّر دون صاحبى ، وأَما أَنتم فذاك إليكم » ثم تقدم برايته وهو يقول :

قد حافظت فى حربها بنو أَسدْ ... ما مثلُها تحت العجاج من أَحدْ
أقربَ من يُمْنٍ وأنأَى مِن نكدْ ... كأَنّنا رُكنا ثَبيرٍ أَو أُحُـدْ [2]
لسنا بأَوباش ولا بَيْض البلدْ [3] ... لكننا المُحَّةُ من وُلْـد مَعدْ [4]
كنت ترانا فى العجاج كالأُسُـدْ ... ياليت روحى قد نـأَى عن الجسدْ

فقاتل القومُ ولم يكونوا على ما يُرِيد [5] فى الجهد ، فعذلهم على ما يجب فظفر ، ثمَّ أَتىٰ علياً فقال : « يا أَمير المؤمنين ، إن استهانة النفوس فى الحرب أَبقى لها [6] ، والقتل خيرٌ لها فى الآخرة » .

قتال عبد الله بن الطفيل بجماعة هوازن

ثم غدا يومَ الأَحد عبد الله بن الطفيل العامرى [7] — وكان سيِّدَ بنى عامر ، فغدا بجماعة هوازن وهو يقول :

---

(١) العفو : ما جاء فى يسر لا كلفة معه .

(٢) فى الأصل : « ركن ثبير » ، وأثبت ما فى ح .

(٣) بيضة البلد ، مثل فى الذلة والقلة ، وهى بيضة النعام التى يتركها .

(٤) الولد ، بالضم : جمع ولد ، كأسد وأسد . وفى الأصل : « من ولد سعد » ، صوابه فى ح (١ : ٥٠٢) . وكأنه ينظر إلى قول عبد الله بن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصة لعبد منـاف

(٥) فى الأصل : « يزيد » .

(٦) ينظر إلى قول الخنساء :

نُهين النفوس وهون النفـو ... س يوم الكريهة أبقى لهـا

(٧) سبقت ترجمته فى ص ٣٠٩ .

قد ضاربَتْ فى حَرْبِها هَوَازِنُ   أُولاَكَ قومٌ لهمُ مَحاسِنُ
حُبِّى لهم حَزمٌ وجأشى ساكنُ   طَعْنُ مدارِيكَ وضربٌ واهِنُ[1]
هذا وهذا كلَّ يومٍ كائنُ   لم يُخْبَرُوا عَنَّا ولكن عايَنُوا

واشتدَّ القتالُ بينهم حتَّى الليل ، ثم انصرف عبدُ الله بن الطُّفيل فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَبشِرْ ، فإن الناس نَقَمةٌ ، لقيتُ والله بقومى أَعدادَهم من عدوِّهم ، فما ثَنَوا أَعنَّتهم حتى طعنوا فى عدوِّهم ، ثم رجعوا إلىّ فاستكرهونى على الرُّجوع إليهم ، واستكرهتهم على الانصراف إليك ، فأَبوا ثم عادوا فاقتتلوا . فأَثنى علىٌّ عليهم خيراً ، وفخرت المضَرِيّة بما كان منهم على الرَّبَعية ، وانتصفوا من الربَعيَّة . وقال عامر ابن واثلة :

شعر عامر بن واثله

حامت كِنانةُ فى حربِها   وحامت تميمٌ وحامت أَسَدْ
وحامت هوازن يوم اللِّقا   فما خام منَّا ومنهمْ أَحَدْ
لقينا قبائلَ أنسابُهم   إلى حَضْرَمَوتٍ وأهلِ الْجَنَدْ[2]
لقينا الفوارسَ يومَ الخمي   سِ والعيدِ والسَّبتِ ثمَّ الأَحد[3]
وأَمدادُهم خلْفَ آذانهم   وليس لنا مِنْ سوانا مَددْ[4]
فلما تنادَوا بآبائهم   دعَوْنا مَعَدًّا ونعم المَعَدّ
فظَلْنا نفلِّق هاماتِهم   ولم نكُ فيها بِبَيْضِ البلَدْ
ونعمَ الفوارسُ يوم اللِّقاءِ   فَقُلْ فى عديدٍ وقُلْ فى عَدَدْ
وقل فى طعانٍ كفُرْغ الدِّلاءِ   وضربٍ عظيمٍ كنار الوَقَدْ[5]

---

(١) الضرب الواهن : الموهن . يقال وهنه وأوهنه ، أى أضعفه .

(٢) الجند ، بالتحريك : قسم من أقسام اليمن ، وهى من أرض السكاسك ، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . وفى الأصل : « جند » ، صوابه فى ح (١ : ٥٠٣) .

(٣) يعنى بيوم العيد يوم الجمعة .

(٤) خلف آذانهم ، أى هم من القرب إليهم بذلك المكان . وفى الأصل : « أذنابهم » والوجه ما أثبت من ح .

(٥) فرغ بضم الراء : جمع فراغ ككتاب ، وهو مصب الدلو . وسكن الراء الشعر .

ولـكن عَصَفْنَا بهم عَصْفةً   وفى الحرب يمنٌ وفيها نكَدْ
طحنَّا الفوارسَ وسط العجاج   وسُقْنا الزعانِفَ سَوْق النَّقَدْ
وقلنا ، علىٌّ لنا والدٌ   ونحن له طاعةً كالولدْ

قال : وبلغ أَبا الطُّفيل أَنَّ مروان وعمرو بن العاص يشتُمون أَبا الطُّفيل ، فقال أَبو الطفيل الكنانىّ :

شعر أبى الطفيل فى مروان وعمرو ابن العاص

أَيشتمنى عَمرو ومَرْوانُ ضَلَّةً   بحُكمِ ابنِ هندٍ والشقىُّ سعيدُ
وحولَ ابن هند شائِعُون كأَنَّهمْ   إذا ما استقاموا فى الحديثِ قرودُ
يَعَضُّون من غيظٍ عَلَىَّ أَكفَّهم   وذلك غمٌّ لا أَجَبُّ شديدُ
وما سبَّنى إلاَّ ابنُ هندٍ وإنَّنى   لِتلك التى يَشْجَى بها لرَصُودُ
وما بلَّغت أَيّامُ صِفِّين نفسَه   تراقِيَه والشّامتون شهودُ
وطارت لعمرٍو فى الفِجاج شَظِيَّةٌ   ومَروانُ من وَقْعِ الرِّماح يحيدُ

كتاب عقبة إلى سليمان بن صرد

نصر عن عمرو ، عن الأَشعث بن سويد ، عن كُردوس قال : كتب عقبة ــ وهو ابن مسعود ، عاملُ علىٍّ على الكوفة ــ إلى سليمان بن صرد [الخزاعى] ، وهو مع علىّ بصفين : « أَما بعد فإنهم ﴿ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُم يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ . فعليك بالجهادِ والصبر مع أَميرِ المؤمنين . والسلامُ عليك »

نصر ، عن عمر [بن سعد] وعمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أَبى جعفر قال : قام علىٌّ فخطب الناس بصِفِّين يومئذ فقال :

خطبة لعلى بصفين

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البَرِّ والفاجر ، وعلى حججه البالغة على خلْقه من أَطاعهُ فيهم ومن عصاه . إنْ رحم فبفضله ومَنِّه ، وإن عذَّب فبما كسبت أَيديهم وأَن الله ليس بظلاَّم للعبيد .

أَحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأَستعينه على ما نابنا من أَمرِ دُنيا أَو آخرة ، وأُومن به وأَتوكَّل عليه وكفى بالله وكيلا . وأَشهد أَلاَّ إِله إِلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ، وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله ، أَرسلَه بالهدى ودينِ الحقّ ، ارتضاه لذلك ، وكان أَهلَه ، [و] اصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته ، وجعله رحمةً منه على خلقه ، فكان كعلمه فيه : رءوفاً رحيما ، أَكرمَ خَلق الله حَسباً[1] ، وأَجملَه[2] منظراً وأَسخاه نفساً ، وأَبرَّه بوالد ، وأَوصلَه لرحم ، وأَفضله علماً ، وأَثقَله حِلماً ، وأَوفاه بعهد ، وآمنَه على عَقْد ، لم يتعلَّق عليه مسلم ولا كافر بمظلمةٍ قطُّ ، بل كان يُظْلَم فيغْفر ، ويقدِر[3] فيصفح ويعفو ، حتى مضى صلى الله عليه مطيعاً لله ، صابراً على ما أَصابه ، مجاهداً فى الله حقَّ جهاده حتى أَتاه اليقين ، صلى الله عليه [وآله] . فكان ذهابه أَعظمَ المصيبة على جميع أَهل الأَرض ، والبَرِّ والفاجر . ثمَّ ترك كتابَ الله فيكم يأْمُر بطاعة الله وينهى عن معصيته . وقد عهِد إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه عهداً فلستُ أَحِيد عنه ، وقد حضَرْتُمْ عدوَّكم وقد علمتم مَنْ رئيسُهُم ، منافقٌ ابنُ منافق يدعوهم إلى النار ؛ وابنُ عمٍّ نبيِّكم معكم بين أَظْهُرِكم ، يدعوكم إلى [الجنَّة وإلى] طاعة ربكم ، ويعمل بسنَّة نبيكم صلى الله عليه . فلا سواءٌ من صلَّى قبل كلِّ ذكَر ، لم يسبقنى بصلاتى مع رسول الله صلى الله عليه أَحدٌ ، وأَنا من أَهل بدر ، ومعاوية طليقٌ ابنُ طليق. واللهِ إِنكم لعلى حقٍّ وإِنَّهم لعلى باطلٍ ، فلا يكونَنَّ القومُ على باطلهم اجتمعوا عليه وتَفرَّقون عن حقِّكم حتى يغلب باطلُهم حَقَّكم . ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيدِيكُمْ ﴾ . فإن لم تفعلوا يعذِّبْهم بأَيدى غيركم » .

(١) فى الأصل : « حسناً » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) فى ح : «وأجملهم» وكذا سائر ضمائر العبارة إلى قوله : «وآمنه على عقد » أى بضمير الجمع .
(٣) فى الأصل : « ويغدو » ، صوابه فى ح .

فأجابه أصحابه فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، انهَضْ بنا إلى عدوِّنا وعدوِّك إذا شئت ، فواللهِ ما نُريد بك بدلاً ، نموتُ معك ونحيا معك . فقال لهم علىٌّ مجيباً لهم : والذى نفسى بيده لَنَظَر إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه [وآله] أضربُ قدَّامه بسيفى فقال : « لا سيف إلا ذو الفَقَار[1] ولا فتًى إلا علىٌّ » . وقال : « يا علىُّ ، أنت منِّى بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لا نبىَّ بعدى ، وموتك وحياتك يا علىُّ معى » . والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْت ، ولا ضللتُ ولا ضُلَّ بى ، وما نَسِيتُ ما عَهِدَ إلىّ ، وإنِّى لعلَى بيِّنةٍ من ربِّى ، وإنى لعلى الطريق الواضح . ألفِظُه لفظاً .

ثم نهض إلى القوم ، فاقتتلوا من حينَ طلعت الشَّمسُ حتَّى غابَ الشفق ، وما كانت صلاة القومِ إلا تكبيرا .

مبارزات كريب ابن الصباح

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبى ، عن صَعصعة بن صُوحان ذكر أن على بن أبى طالب صافّ أهل الشام ، حتى برزَ رجلٌ من حمير من آل ذى يزَن ، اسمه كُريب بن الصَّباح ، ليس فى أهل الشام يومئذٍ رجلٌ أشهر شدَّة بالبأس منه . ثم نادَى : مَنْ يبارز ؟ فبرز إليه المرتفع ابن الوضَّاح الزبيدى ، فقُتل المرتفع . ثم نادى : من يبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن الجُلاح[2] فقتل ، ثم نادى : من يبارز ؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمدانى[3] فقَتل عائذا ثم رمى بأجسادهم بعضِها فوقَ بعض ، ثم قام عليها بغياً واعتداءً ، ثم نادى : هل بقى من مُبارز ؟ فبرز إليه علىٌّ ثم ناداه : ويحك يا كُرَيب ، إنى أحذِّرك [الله وبأْسَه ونقمته] ، وأدعُوك إلى سنة الله وسنة رسوله ، ويحك لا يُدخلنَّك ابن آكلة الأكباد

مصرع كريب ابن الصباح

---

(١) ذو الفقار : اسم سيف النبى صلى الله عليه وسلم ، سمى بذلك لحفر صغار حسان كانت به . وكان للعاص بن منبه ، ثم صار إلى الرسول ، ثم صار إلى على . انظر اللسان ، وما يعول عليه .

(٢) ح : « بن الحجاج » .

(٣) ح : « عابد » بالباء الموحدة .

النارَ . فكان جوابه أن قال : ما أكثر ما قد سمعنَا هذه المقالة منك ، فلا حاجة لنا فيها . أَقدِمْ إذا شئت. مَن يشترى سيفى وهذا أثَرُه[1]؟ فقال علىٌّ عليه السلام : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربةً خرَّ منها قتيلا يتشحَّط فى دمه .

مبارزات على

ثم نادى : مَن يبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وَداعة الحميرىّ فقَتل الحارث . ثم نادى : مَن يبارز ؟ فبرز إليه المطاع بن المطَّلب القينى[2] ، فقتل مطاعاً ثم نادى : من يبرز ؟ فلم يبرز إليه أحد .

طلبه مبارزة معاوية

ثم إن عليًّا نادى : يامعشر المسلمين ، ﴿ الشَّهْرُ الحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْه بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَى عليكُمْ وَٱتقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ[3] ﴾ . ويحك يا معاوية هلمَّ إلىَّ فبارزْنى ولا يُقْتَلَنَّ الناسُ فيما بيننا . فقال عمرو : اغتنِمْه

امتناع معاوية من المبارزة

منْتَهَزاً ، قد قتل ثلاثةً من أبطال العرب ، وإنى أطمع أن يُظْفِرك الله به. فقال معاوية : وَيْحكَ يا عمرو ، والله إن تُريد إلا أن أُقتَل فتصيبَ الخلافةَ بعدى ، اذهب إليك ، فليس مثلى يُخدَع .

المخارق ومعاوية

وقال المخارق بن الصَّباح الحميرىُّ فى ذلك ، وقد قتل إخوةٌ له ثلاثة ، وقُتل أبوه وكان من أعلام العرب . فقال وهو يبكى على العرب :

أَعُوذ بالله الـــذى قـــد احتجب ... بالنُّور والسَّبْع الطباقِ والحُجُبْ
أَمِنْ ذواتِ الـدِّين مِنَّا والحَسبْ ... لا تبكِيَنْ عَيْنٌ على مَن قد ذهَبْ
ليس كمثـــل اللهِ شئٌ يُرتَهَبْ ... يا ربِّ لا تُهْلِكَ أعلامَ العَربْ[4]

---

(١) يضرب فى التحذير والمباهاة بالغلبة ، وأول من قاله هو الحارث بن ظالم المرى .

(٢) ح (١ : ٥٠٤) : « العبسى » .

(٣) فى الأصل : « مع الصابرين » ، تحريف . والآية هى الـ ١٩٤ من البقرة .

(٤) أراد لا تهلكن ، فحذف نون التوكيد الخفيفة ، وأبقى الفتحة قبلها تدل عليها . انظر ما سبق ص ١٧٧ فى التنبيه الثالث .

القائلين الفاعلين فى التَّعبْ والمطعمين الصَّالحين فى السَّغَبْ

أفناهمُ يومُ الخميس المعْتصِبْ[1]

قال : فأرسل إليه معاوية بألف درهم .

خطبة عمرو

نصر ، قال عمر : حدثنى خالد بن عبد الواحد الجزَرِىُّ[2] قال : حدَّثنى من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفّين ، وهو يحرِّض أصحابه بصفّين ، فقام محنيًّا على قوس فقال :

الحمد لله العظيم [فى]شانِه ، القوىِّ فى سلطانِه ، العلىِّ فى مكانه ، الواضح [فى] برهانه . أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعَّماء ، وفى كلِّ لَزْبةٍ من بلاءٍ[3] أو شدّة أو رَخاء . وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله . ثم إنا نحتسب عند الله ربِّ العالمين ما أصبح فى أُمّة محمد صلى الله عليه من اشتعال نيرانها ، وظلام جنباتها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأْسِها بينها ؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . أوَلاَ تعلمون أنَّ صلاتنا وصلاتهم ، وصيامَنَا وصيامَهم ، وحجَّنا وحجَّهم ، وقِبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحدٌ،ولكنّ الأهواء متشتتة[4] . اللهمَّ أصلِحْ هذه الأُمَّة بما أصلحتَ به أوَّلَها ، واحفَظْ فيها بنِيها[5] . مع أنَّ القوم قد وَطِئُوا بلادَكم ، وبَغَوْا عليكم فجِدُّوا فى قتال عدوِّكم ، واستعينوا بالله ربِّكم ، وحافظوا على حُرُماتكم » .

خطبة عبد الله ابن العباس

ثم إنّه جلس ، ثم قام عبد الله بن العباس خطيباً فقال :

(١) المعتصب ، وصف من قولهم : يوم عصيب ، أى شديد . وفى الأصل : « المنتصب » .
(٢) ح : « الجريرى » .
(٣) اللزبة : الشدة . ح : « رزية » .
(٤) ح : « مختلفة » .
(٥) ح : « واحفظ فيها بيننا » .

« الحمد لله ربِّ العالمين ، الذى دَحَا تحتنا سبْعاً ، وسَمَكَ فوقَنا سبْعاً[1] ؛ ثم خلق فيما بينهنَّ خَلْقاً . وأنزل لنا منهنَّ رِزْقاً[2] ، ثم جعل كلَّ شىءٍ يبلى ويفْنَى غيرَ وجهه ، الحىُّ القيوم الذى يحيا ويبقى . ثم إن الله بعث أنبياءَ ورسُلاً فجعلهم حُججا على عباده ، عُذْرا أو نُذْراً . لا يُطاعُ إلاَّ بعلمه وإذنه ، يمنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها ، ويُعصى [بعلم منه] فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يُقـدَرُ قدرُه ، ولا يبلغ شىءٌ مكانَه ، أحصى كلَّ شىءٍ عدداً ، وأحاط بكلِّ شىءٍ علما . ثم إنى أشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه ، إمام الهُدى والنبىّ المصطفى . وقد ساقنَا قدر الله إلى ما قد ترون ، حتَّى كان فيما اضطرب من حَبْل هذه الأمّة وانتشر من أمرها ، أنَّ ابنَ آكلة الأكباد قد وجد من طَغام أهل الشَّام أعواناً على علىّ بن أبى طالب ، ابنِ عم رسول الله وصهرِه ، وأوّلِ ذكَرٍ صلَّى معه ، بدرىٌّ قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كلَّ مشاهده التى فيها الفضل ، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام . واعلموا واللهِ الذى ملك الملكَ وحدَه فبان به وكان أهلَه ، لقد قاتل علىٌّ بن أبى طالبٍ مع رسول الله صلى الله عليه ، وعلىٌّ يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية وأبو سفيان يقولان : كذب الله ورسوله . فما معاوية فى هذه بأبرَّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصْوَب منه فى قتالكم . فعليكُم بتقوى الله والجدِّ والحزم والصبر ، وإنَّكم لعلى الحقِّ وإنَّ القوم لعلَى الباطل . فلا يكونُنّ أولى بالجِدِّ فى باطلهم منكم فى حقِّكم . أَمَا والله إنا لنعْلم أنَّ الله سيعذِّبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم. اللهمربّنا أَعِنَّا ولا تخذلنا ،وانصرنا علىعدوِّنا

---

(١) سمك : رفع . ويقال سمكته فسمك ، أى رفعته فارتفع .

(٢) فى الأصل : « وأنزل لهم فيها رزقاً » وأثبت ما فى ح .

ولا تَخَلَّ عنا[1] ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم » .

خطبة عمار ابن ياسر

نصر ، عن عمر قال : حدثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن جندب ابن عبد الله قال : قام عمّار بن ياسر بصفّين فقال : « امضوا[2] [معى] عبادَ الله إلى قومٍ يطلبون — فيما يزعمون — بدمِ الظّالم لنفسه ، الحاكمِ على عباد الله بغير ما فى كتاب الله ، إنّما قتله الصالحون المنكِرون للعُدْوان ، الآمِرون بالإحسان . فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمتْ لهم دنياهم [و] لو درَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه . فقالوا : إنه ما أَحدَثَ شيئاً . وذلك لأنَّه مكّنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعَوْنها ، ولا يبالون لو انهدَّت عليهم الجبال . والله ما أظنُّهم يطلبون دمه[3] ، إنهم ليعلمون إنّه لظالم ، ولكنّ القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحبُّوها واستمرَوْهَا ، وعلموا لو أنَّ [صاحب] الحقّ لزِمهم لحال بينهم وبين ما [يأكلون و] يرعَون فيه منها . ولم يكن للقوم سابقةٌ فى الإسلام يستحقُّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتْباعهم بأَن قالوا : قُتِل إمامنا مظلوماً ؛ ليكونوا بذلك جبابرةً وملوكا . وتلك مكيدةٌ قد بَلغوا بها ما ترون ، ولولا هى[4] ما بايعهم من النّاس رجلان[5] . اللهمَّ إنْ تنصرنا فطالما نَصَرت ، وإنْ تجعلْ لهم الأَمرَ فادّخر لهم بما أَحدثوا لعبادك العذابَ الأليم .

(١) ح : « و نحل عنا » من حال يحول .

(٢) ح : « انهضوا » .

(٣) ح (١ : ٥٠٥) : « بدم » .

(٤) هذا هو المعتمد فى مثل هذا التعبير ، كما جاء فى الطبرى (٦ : ٢٢) بل ذهب المبرد إلى أن « لولا » لا يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع ، واحتج بأنه لم يأت فى القرآن غير ذلك . وفى قول الله : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) . انظر الخزانة (٢ : ٤٣٠ — ٤٣٣) ، وشرح الرضى للكافية (٢ : ١٨ — ١٩) . وجاء فى ح (١ : ٥٠٤) : « لو لاها » وفى جواز هذا الوجه — وهو إيلاؤها الضمير المشترك بين النصب والجر — خلاف ، ومما سمع منه قوله :

* لولاك فى ذا العـــام لم أحجج *

(٥) وكذا فى الطبرى ، لكن فى ح : « رجل » .

حملة عمار

ثم مضى ومضى معه أصحابه ، فلما دنا من عمرو بن العاص قال : يا عمرو : بعتَ دينك بمصر ! تبًّا لك ، وطالما بَغَيت الإسلامَ عِوَجاً ! ثم حمل عمَّارٌ وهو يقول :

صدقَ اللهُ وهو للصِّدقِ أهلٌ　　وتعالَى ربِّى وكانَ جَليلا
ربِّ عجِّلْ شهادةً لى بقَتْلٍ　　فى الذى قد أَحَبَّ قتلاً جَميلا[1]
مقبلاً غير مدبرٍ إنَّ للقَتْـ　　ـلِ على كلِّ مِيتَةٍ تَفضِيلا
إنَّهم عند ربِّهم فى جِنانٍ　　يَشْربون الرَّحيقَ والسَّلسَبِيلا
مِن شَراب الأبرار خالطه المِسْـ　　ـكُ ، وكأْساً مِزاجُها زَنْجَبِيلا

عمار وعبيد الله بن عمر

ثم نادى عمارٌ عبيدَ الله بن عُمر ، وذلك قبل مقتله ، فقال يا ابن عُمر ، صَرَعَك الله ! بعتَ دِينَك بالدُّنيا من عدوِّ الله وعدوِّ الإسلام . قال : كلاَّ ، ولكن أطلُبُ بدمِ عثمانَ الشهيدِ المظلوم . قال : كلاَّ ، أشهد على علمى فيك أنَّك أصبحتَ لا تطلُب بشىءٍ من فِعلك وجْهَ الله ، وإنَّك إن لم تُقْتل اليومَ فستموت غداً . فانظرْ إذا أعطى اللهُ العبادَ على نِيَّاتهم ما نِيَّتُك؟

دعاء عمار

ثم قال عمّار : اللهم إنَّك تعلم أنى لو أعلم أنَّ رضاك فى أن أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلت . اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك أنْ أضعَ ظُبَةَ سيفى فى بَطْنى ثم أنحنِى عليها حتَّى يَخْرُجَ من ظهرى لفعلْتُ . اللهم وإنى أعلم ممَّا أعلمتنى أنى لا أعمل[2] اليوم عملاً هو أرضى لك من جهادِ هؤلاءِ الفاسقين ، ولو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفعلْتُه .

عمار والمستبصر

نصر ، عن يحيى بن يعلى ، عن صَباح المزنىّ[3] ، عن الحارث بن حَصيرة

(١) فى الذى ، أى مع الذين .
(٢) فى الأصل : « لا أعلم » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٥٠٥) .
(٣) هو صباح بن يحيى أبو محمد المزنى ، يروى عن الحارث بن حصيرة . قال ابن عدى : هو من جملة الشيعة . انظر لسان الميزان ومنتهى المقال ١٦٤ .

عن زيد بن أُبي رجاءٍ ، عن أسماءَ بن الحكم الفزاريّ قال : كُنا بصِفِّين مع علىّ بن أَبي طالب تحتَ راية عمّار بن ياسر ، ارتفاعَ الضحى — استظللنا ببُردٍ أحمر ، إذ أقبَلَ رجلٌ يستقرِى الصفَّ حتى انتَهى إلينا فقال : أَيُّكم عمارُ بن ياسر ؟ فقال عمّار بن ياسر : هذا عمّار . قال : أبو اليقظان ؟ قال : نعم . قال : إن لى حاجةً إليك فأَنطقُ بها علانيةً أَو سِرًّا ؟ قال : اخترْ لنفسك أىَّ ذلك شئت . قال : لا ، بل عَلانِيَة . قال : فانطِقْ . قال : إنى خرجت من أهلِي مستبصراً فى الحقِّ الذى نحنُ عليه لا أَشكُّ فى ضلالةِ هؤلاءِ القوم وأنَّهم على الباطل ، فلم أَزَلْ على ذلك مستبصِراً حتى كان ليلتى هذه صباحَ يومِنا هذا ، فتقدَّم مُنادينا فشهد ألاَّ إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ونادى بالصَّلاة ، فنادى مناديهم بمثل ذلك ، ثم أُقيمت الصلاة فصلَّينا صلاةً واحدة ، ودعَوْنا دعوةً واحدة ، وتلَوْنا كتاباً واحداً ، ورسولُنا واحدٌ ، فأَدْرَكَنى الشكُّ فى ليلتى هذه ، فبتُّ بليلةٍ لا يعلمها إلا الله حتى أَصبحت ، فأَتيتُ أمير المؤمنين فذكرتُ ذلك له فقال : هل لقيتَ عمّارَ بن ياسرٍ ؟ قلتُ : لا . قال : فالقَه فانظُرْ ما يقولُ لك فاتَّبِعْه . فجئتك لذلك . قال له عمّار : هل تعرفُ صاحب الراية السَّوداءِ المقابلتى[1] فإنَّها راية عمرو ابن العاص ، قاتلتُها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرّاتٍ ، وهذه الرابعة ما هى بخيرِهنَّ ولا أبرِّهن ، بل هى شرُّهن وأفجرُهُنَّ . أَشَهِدتَ بدراً وأُحُداً وحُنيناً أَوْ شهِدها لك أَبٌ فيخبرَك عنْها ؟ قال : لا . قال : فإنَّ مراكزنا على مراكزِ رايات رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدرٍ ، ويومَ أُحدٍ ، ويوم حُنين ، وإنَّ هؤلاءِ على مراكز رايات المشركين من الأَحزاب ، هل ترى هذا العسكر ومن فيه ؟ فوالله لودِدتُ أَنَّ جميع

(١) فى الأصل : « لمقابلتى » ، تحريف . وفى ح (١ : ٥٠٦) : « المقابلة لى » .

من أقبل مع معاوية ممّن يريد قتالنا مفارقاً للذى نحن عليه كانوا خلْقاً واحداً فقطّعته وذبحته . والله لدماؤهم جميعاً أحَلّ من دم عصفور . أفترى دَمَ عصفور حراماً ؟ قال : لا ، بل حلال . قال : فإنّهم كذلك حلالٌ دماؤهم ، أتراني بيّنتُ لك ؟ قال : قد بيّنتَ لى . قال : فاختر أىَّ ذلك أحببتَ . قال : فانصرف الرّجل ، ثم دعاه عمّار بن ياسر فقال : أمَا إنهم سيضربوننا بأسيافهم[1] حتى يرتاب المبْطلون منكم فيقولون : لو لم يكونوا على حقٍّ ما ظهروا علينا . والله ما هُم من الحقِّ على مايُقذِى عينَ ذُباب . واللهِ لو ضربونا بأسيافهم حتى يُبلغونا سَعَفاتِ هَجَر[2] لعرفتُ أنّا على حقٍّ وهم على باطل . وايمُ اللهِ لا يكونُ سَلْماً سالماً أبداً حتى يبوءَ أحدُ الفريقَين على أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين ، وحتّى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحقّ ، وأنّ قتلاهم فى الجنة وموتاهم . ولا ينصرم أيّام الدنيا حتى يشهدوا بأنّ موتاهم وقتلاهم فى الجنة ، وأنّ موتَى أعدائِهم وقَتْلاهم فى النار ، وكان أحياؤهم على الباطل .

جواب على لمن سأله عن أهل الشام

نصر ، عن يحيى[3] ، عن على بن حَزَوّر[4] عن الأصبغ بن نباتة قال : جاءَ رجلٌ إلى علىٍّ فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاءِ القوم الذين نقاتلهم : الدعوةُ واحدةٌ ، والرسولُ واحد ، والصلاةُ واحدة ، والحجُّ واحد فبِمَ نسميهم ؟ قال : تسمِّيهم بما سمّاهم اللهُ فى كتابه . قال : ما كلُّ ما فى الكتاب أعلمُه . قال : أما سمعتَ الله قال : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَو شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) ح : « سيضربونكم بأسيافهم » .

(٢) ذكر هذا الحديث فى اللسان (١١ : ٥٢) : وقال : « وإنما خص هجر للمباعدة فى المسافة ، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل » .

(٣) هو يحيى بن يعلى ، كما فى ح . وانظر ص ٢١٧ .

(٤) حزور ، بالحاء المهملة والزاى المفتوحتين والواو المشددة . ويقال له أيضاً على بن أبى فاطمة . متروك شديد التشيع . مات بعد الثلاثين والمائة . منتهى المقال ٢١٠ .

مِنْ بعدِ مَا جَاءَتهُمُ البَيِّناتُ وَلكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ . فلما وقع الاختلافُ كنَّا نحن أولى باللهِ وبالكتاب وبالنبيِّ وبالحقِّ . فنحن الذين آمنوا ، وهم الذين كفروا ، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هُدًى ، بمشيئة الله[(1)] ربِّنا وإرادته .

ماجاء من الحديث في عمار

نصر ، عن سفيان الثَّورى وقيس بن الرَّبيع[(2)] ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن عليٍّ قال : جاء عمار بن ياسر يستأْذنُ على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : « ايذَنوا له . مرحباً بالطيِّب ابنِ الطيب » .

نصر عن سفيان بن سعيد[(3)] ، عن سلمة بن كُهيل ، عن مجاهدٍ ، عن النبي صلى الله عليه – يعنى أنه رآهم يحملون الحجارةَ حجارةَ المسجد – فقال : « ما لهم ولعمّار ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار . وذاك الأشقياءُ الفجّار » .

نصر ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي عمّار ، عن عمرو بن شُرحبيل ، عن رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه ، قال : « لقد ملِئ عمّارٌ إيماناً إلى مُشَاشِه[(4)] » .

نصر ، عن الحسن بن صالح ، عن أبي ربيعة الإيادىّ ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه قال : « إنَّ الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : علىّ ، وعمّار ، وسَلْمان[(5)] » .

---

(1) فى الأصل : « بسنة الله » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٥٠٦) .

(2) هو قيس بن الربيع الأسدى ، أبو محمد الكوفى . قال ابن حجر : « لا يكاد يعرف ، عداده فى التابعين » . انظر لسان الميزان ومنتهى المقال ٢٤٧ . وفى الأصل : « بن الربيعى » تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٢١٧ ، ٢٣١ .

(3) هو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله الثورى الكوفى ، ثقة حافظ فقيه ، وكان ربما دلس . مات سنة ١٦١ وله أربع وستون سنة . وهو أحد أصحاب الرأى . انظر تهذيب التهذيب والمعارف ٢١٧ . وفى الأصل : « سفيان عن سعيد » ، تحريف .

(4) المشاش ، بالضم : رءوس العظام اللينة . انظر اللسان (٨ : ٣٣٩ س ١٠) .

(5) هوسلمان الفارسى الصحابى ، كان أول مشاهده الخندق ، ثم شهد بقية المشاهد وفتوح العراق ، وولى المدائن . وهو أحد المعمرين ، يزعمون أنه عاش ثلثمائة وخمسين سنة . انظر الإصابة ٣٣٥ .

نصر، عن عبد العزيز بن سِياه ، عن حبيب بن أَبى ثابت قال : لما بُنِى المسجدُ جعل عمّار يحمل حجرَين ، فقال له رسول الله صلى الله عليه : « يا أَبا اليَقْظان ، لا تشقُقْ على نفسك » . قال : يارسولَ الله ، إنى أُحبُّ أَن أَعمل فى هذا المسجد . قال : ثمَّ مَسح ظهره ثم قال : « إنك من أَهل الجنة ، تقتلك الفئة الباغية » .

نصر ، عن حفص بن عمران الأَزرق البرجمى[1] قال : حدثنى نافع ابن الجمحى ، عن ابن أَبى مُليكة[2] قال : قال عبد الله بن عَمرو بن العاص : لولا أَنَّ رسول الله صلى الله عليه أَمَرَ بَطواعِيَتك ما سرتُ معك هذا المسير ، أَما سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه يقول لعمَّار : « يقتلك الفِئةُ الباغية » ؟ ! .

نصر ، عن حفص بن عمران البرجُمى ، عن عَطاء بن السَّائب ، عن أَبى البَخْترِىّ قال : أُصيب أُويس القَرَنىّ[3] مع علىٍّ بصفِّين .

القول فى من يشرى نفسه

نصر ، عن محمَّد بن مروان ، عن الكلبى ، عن أَبى صالح ، عن ابن عبَّاس فى قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ واللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ قال : نزلت فى رجلٍ ، وهو صُهَيب ابن سِنان مولى عبد الله بن جُدْعان[4] ، أَخذه المشركون فى رهطٍ من

---

(١) هو حفص بن عمر ، أو ابن عمران ، الأزرق البرجمى الكوفى ، كان من المستورين . تقريب التهذيب .

(٢) اسمه عبد الله بن عبيد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة – بالتصغير – بن عبد الله بن جدعان التيمى المدنى ، أدرك ثلاثين من الأصحاب ومات سنة ١١٧ . تقريب التهذيب .

(٣) هو أويس بن عامر القرنى ، سيد التابعين ، روى له مسلم . والقرنى ، بفتح القاف والراء : نسبة إلى قرن ، وهم بطن من بطون جعفى بن سعد العشيرة . انظر تقريب التهذيب والاشتقاق ص ٢٤٥ .

(٤) جدعان ، بضم الجيم بعدها دال مهملة . انظر الاشتقاق ٨٨ والإصابة ٤٠٧٨ . وكان عبد الله سيد قريش فى الجاهلية . وفى الأصل : « بن جذعان » ، تحريف .

المسلمين ، فيهم خيرٌ مولى قريش لبنى الحضرمى [1] ، وخَبَّاب بن الأَرتّ مولى ثابت بن أُمّ أَنمار [2] ، وبلالٌ مولى أَبى بكر ، وعابِسٌ [3] مولى حُويطِب بن عبد العُزّى ، وعَمَّار بن ياسر ، وأَبو عمّار [4] ، وسُمَيّة أُمّ عمّار . فقُتل أَبو عمّار وأُمّ عمّار ، وهما أَوّل قتيلين قُتِلا من المسلمين ، وعُذِّب الآخرون بعد ما خرج النبى صلى الله عليه من مكّة إلى المدينة ، فأَرادوهم على الكفر . فأَمّا صُهيب فكان شيخاً كبيراً ذا متاع ، فقال للمشركين : هل لكم إلى خَير ؟ فقالوا : ما هو ؟ قال : أنا شيخٌ كبير ضعيف لا يضرّكم منكم كنتُ أَو من عدوّكم ، وقد تكلّمتُ بكلام أَكرَهُ أَن أَنزِلَ عنه ، فهل لكمْ أَن تأْخذوا مالى وتَذرونِى ودينى ، ففعلوا فنزلت هذه الآية ، فلقيه أَبو بكر حين دخَل المدينة فقال : رَبِح البيعُ ياصُهيب. وقال : وبيعك لا يَخْسَر . وقرأَ عليه هذه الآية ففرح بها . أَما بِلال وخَبّاب وعابِس وعمّار وأَصحابهم فعُذِّبوا حتى قالوا بعضَ ما أَراد المشركون ، ثم أُرسلوا . ففيهم نزلت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا [5] لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

---

(1) خير ، ويقال أيضاً « جبر » مولى عامر بن الحضرمى ، أخى العلاء بن الحضرمى الصحابى المشهور . وفى خير نزل قول الله : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) أكرهه عامر على الكفر ، ثم أسلم عامر بعد ، وكان فى الصحابة . انظر الإصابة والسيرة ٢٦٠ جوتنجن .

(2) كذا . وفى الإصابة : « مولى أم أنمار الخزاعية ، وقيل غير ذلك » .

(3) عابس ، بالباء الموحدة ، كما فى القاموس (عبس) والإصابة ٤٣٣١ . قيل : نزل فيه وفى صهيب : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) . وفى الأصل : « عائش » فى هذا الموضع وتاليه ، تحريف .

(4) فى الأصل : « وأبى عمار » ، تحريف .

(5) فى الأصل : « فتنوا » وهو من شنيع التحريف . وهذه الآية هى الآية ٤١ من سورة النحل . وأما « فتنوا » فهى فى الآية ١١٠ من سورة النحل أيضاً : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » .

نصر ، عن أيوب بن خَوْط[1] ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه لما أخذ فى بناءِ المسجد قال : « ابنوا لى عريشاً كعريش موسى » وجعل يناول اللَّبِن وهو يقول : « اللهم إنه لا خير إلاَّ خير الاخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » . وجعل يتناول من عمَّار بن ياسرٍ ويقول : « ويحك يا بن سُمَيّة ، تقتلك الفئةُ الباغية » .

نداء عمار بن ياسر

نصر ، عن عمر قال : حدثنى مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب الجهنى أن عمار بن ياسر نادى يومئذ[2] : أين مَن يبغى رضوان ربِّه ولا يؤُوبُ إلى مالٍ ولا ولد ؟ قال : فأتته عصابةٌ من الناس فقال : « أيُّها الناس اقصِدُوا بنا نحو هؤلاءِ القوم الذين يبغون دمَ عثمانَ ويزعمُون أنَّه قُتل مظلوماً ، والله إنْ كانَ إلاَّ ظالماً لنفسه ، الحاكمَ بغيرِ ما أنزل الله » .

على وهاشم بن عتبة

ودفع علىٌّ الراية إلى هاشم بن عُتبة بن أبى وقَّاص ، وكانت عليه [ذلك اليومَ] درعان ، فقال له علىٌّ كهيئة المازِح : أيا هاشم، أمَا تخشى من نفسك أنْ تكون أعورَ جباناً ؟ ! قال : ستعلم يا أمير المؤمنين ،

تأهب هاشم للحرب

والله لأَلُفَّنّ بين جماجم القوم لفّ رجلٍ ينوى الآخرة . فأخذ رمحاً فهزَّه فانكسر ، ثم آخرَ فوجده جاسياً فألقاه ، ثم دعا برمحٍ ليِّن فشدّ به لواءه . ولما دفع علىٌّ الراية إلى هاشمٍ قال له رجلٌ من بكر بن وائل من أصحاب هاشم : أقدم هاشمُ - يكرِّرها - ثم قال : مالَكَ يا هاشم قد انتفخ سَحْرُك ، أعَوَراً وجُبناً ؟ قال : من هذا ؟ قالوا : فلان . قال : أهلُها وخير منها، إذا رأيتَنى قد صُرعت فخُذْها . ثم قال لأصحابه : شُدُّوا شُسوع نِعالكم وشدُّوا أُزركم ، فإذا رأيتمونى قد هززتُ الرّايةَ ثلاثاً

---

(١) خوط ، بفتح الخاء المعجمة بعدها واو ساكنة . وترجمة أيوب فى تقريب التهذيب ولسان الميزان . وفى الأصل : « بن حنوط » ، تحريف .

(٢) (٢ : ٢٦٩) : « نادى فى صفين يوماً قبل مقتله بيوم أو يومين » .

فاعلموا أنَّ أحداً منكم لا يسبِقُنى إليها[1] . ثم نظر هاشمٌ إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيما ، فقال : مَن أولئك ؟ [قيل : أصحاب ذى الكلاع . ثم نظر فرأى جنداً فقال : من أولئك] ؟ قالوا : جند أهل المدينة وقريش[2] . قال : قَوْمى لا حاجة لى فى قتالهم . قال : مَنْ عِند هذه القبّة البيضاء ؟ قيل : معاوية وجندُه . قال : فإنِّى أرى دونهم أسوِدَة[3] . قالوا : ذاك عمرو بن العاص وابناه [ومواليه] . وأخذ الرايةَ فهزَّها فقال له رجلٌ من أصحابه : امكُثْ قليلاً ولا تَعجَلْ . فقال هاشم :

قد أكثروا لومى وما أقلاَّ[4] ... إنِّى شَرَيْتُ النَّفْسَ ، لن أعتلاَّ
أعورُ يبغى نَفْسه مَحَلاَّ ... لا بد أن يَفُلَّ أو يُفَلاَّ[5]
قد عالج الحياة حتَّى مَلاَّ ... أشدُّهم بذى الكُعوبِ شَلاَّ[6]

قال نصر : عمرو بن شمر :

* أشلهم بذى الكعوب شلا *

مع ابن عمٍّ أحمدَ المعلَّى ... فيه الرَّسولُ بالهدى استَهلاَّ
أوَّل من صدَّقَه وصلَّى ... فجاهَدَ الكفار حتَّى أبْلَى

قال : وقد كان علىٌّ قال له : أتخاف أن تكونَ أعورَ جباناً أياهاشمُ

---

(١) ح : « إلى الحملة » .
(٢) ح : « قيل قريش وقوم من أهل المدينة » .
(٣) الأسودة : جمع سواد ، وهو الشخص .
(٤) ح : « قد أكثرا لومى » . مروج الذهب (٢ : ٢٢) : « قد أكثر القوم » .
(٥) الفل : الهزيمة . وفى الأصل : « يغل أو يغلا » ، صوابه فى ح ومروج الذهب والطبرى (٦ : ٢٢) .
(٦) ذو الكعوب : الرمح . والشل : الطرد . ورواية الطبرى (٦ : ٢٤) :
* يتلهم بذى الكعوب تلا *
تله يتله تلا : صرعه ، فهو متلول وتليل .

المرقال ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أما والله لتعلمنِّى[1] – إن شاء الله – ألفُّ اليوم بين جماجم القوم . فحمل يومئذ يُرقل إرقالا .

عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة

نصر ، عن عبد العزيز بن سِياه ، عن حبيب بن أبى ثابت قال لما كان قِتال صفِّين والرايةُ مع هاشم بن عتبة – قال – جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول : أَقدِم يا أعور .

* لا خيرَ فى أعورَ لا يأْتِى الفَزَعْ *

قال : فجعل يستحيي من عمّار ، وكان عالماً بالحرب ، فيتقدَّم فيركِزُ الرايةَ ، فإذا تتامّتْ[2] إليه الصُّفوف قال عمّار : أَقدِم يا أعور.

* لا خيرَ فى أعورَ لا يأْتِى الفَزَعْ *

فجعل عمرو بن العاص يقول : إنى لأَرى لصاحب الراية السوداء عملاً ، لئن دام على هذا لتفنينّ العربُ اليوم . فاقتتلوا قتالا شديداً ، وجعل عمار يقول : صبراً عبادَ الله ، الجنة تحت ظلال البِيض[3] » . وكان لواءُ الشام مع أبى الأَعور السُّلمى .

احتدام القتال

ولم يزل عمّار بهاشمٍ ينخُسه حتى اشتدّ القتال[4] ، وزحف هاشمٌ بالراية يُرقِل بها إرقالا ، وكان يسمَّى المِرْقال . قال : وزحفَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ ، والتقى الزَّحْفانِ فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً لم يَسمع الناسُ بمثله ، وكثُرت القتلى فى الفريقَين كليهما .

---

(١) فى الأصل : « لتعلمن » .
(٢) فى الأصل : « شامت » .
(٣) البيض : السيوف .
(٤) فى الأصل : « شبت القتال » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٠) .

قال : وقال عَمْرو [بن شمر] : عن أَبى إسحاق ، عن أَبى السَّفَر[1] قال : لما التقينا بالقَوم فى ذلك اليوم وجدْناهم خمسةَ صفوفٍ قد قيَّدوا أنفسَهم بالعمائم[2] فقتلنا صَفًّا صَفًّا ، حتى قتلنا ثلاثة صفوف وخلَصنا إلى الصفّ الرابع ما على الأَرض شامىٌّ ولا عراقىٌّ يولِّى دُبُره . وأَبو الأَعور يقول[3] :

إذا ما فَرَرْنا كان أَسْوَا فِرارنا ... صُدودَ الخدودِ وازورارَ المناكبِ[4]

صدودَ الخدودِ والقنــا متشاجرٌ ... ولا تَبرحُ الأَقدام عند التَّضارب

ثم إن الأَزد وبجيلة كشفوا همدان غَلوةً حتى أَلجؤوهم إلى التلّ ، فصعِدوا فشدَّت عليهم الأَزدُ وبَجيلة حتى أَحدروهم منه ، ثم عَطفتْ عليهم همدانُ حتى أَلجؤوهم إلى أَن تركوا مصافَّهم . وقُتل من الأَزْد وبجيلة يومئذٍ ثلاثة آلاف فى دفعة . ثم إنَّ همدان عُبِّيت لعكٍّ ، فقيل:

همدانُ همدانُ وعكٌّ عكٌّ ... ستَعْلمُ اليومَ مَن الأَرَكُّ[5]

وكانت على عكٍّ الدُّروع وليس عليهم رَانات[6] ، فقالت همدان: خدِّموا القوم — أَى اضربوا سوقهم —[7] فقالت عكٌّ: بركٌ كبَرْك الكَمل[8] . فبركوا كما بَرَك الجمل[9] . ثم رموا بحجرٍ فقالوا : لا نفرٌّ حتى يفرّ الحَكَر .

(١) أبو السفر ، بالتحريك ، كما فى تقريب التهذيب والقاموس . واسمه سعيد بن يحمد، بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم ، الهمدانى الثورى الكوفى ، ثقة من الثالثة ، مات سنة ١١٢ .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٢٨ .

(٣) الشعر ليس للأعور ، بل هو لقيس بن الخطيم من قصيدة له فى ديوانه ١٠-١٥ ليبسك .

(٤) فى الأصل : « صدود خدود » ، وأثبت ما فى ح والديوان .

(٥) الأرك : الأضعف ؛ والركة : الضعف . وفى الأصل : « الأدك » ، صوابه فى ح .

(٦) فى القاموس : « الران كالخف إلا أنه لا قدم له، وهو أطول من الخف » . والجمع رانات . ح : « رايات » .

(٧) انظر ما سبق فى ص ٢٥٧ .

(٨) الكمل ، أى الجمل . وعك تقلب الجيم كافاً . انظر ما مضى فى ص ٢٢٨ . وفى الأصل: « الجمل » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٠) .

(٩) ح : « كما يبرك الجمل » .

عبيد الله بن عمر فى الكتيبة الرقطاء

وبلغنا فى حديث آخر أن عُبيد الله بن عمرَ بعثه معاويةُ فى أربعة آلاف وثلثمائة – وهى كتيبة الخضرية الرقطاءُ ، وكانوا قد أعلَموا بالخُضْرة – ليأْتوا عليًّا من ورائه . قال أبو صادق : فبلغ عليًّا أن عبيد الله بن عمر قد توجَّه ليأْتيه من ورائه ، فبعث إليهم أعدادهم ليس منهم إلا تميمىّ . واقتتل الناسُ من لَدن اعتدالِ النهار إلى صلاة المغرب ، ما كانت صلاةُ القوم إلا التكبيرَ عند مواقيت الصلاة . ثم إن ميسرة العراق كشفت ميمنة أهل الشام فطاروا فى سَواد الليل ، وأعادَ عبيد الله والتى هو وكرب – رجل من عُكْل – فقتله وقَتَل الذين معه جميعاً ، وإنما انكشَفَ الناس لوقْعة كرب ، فكشَفَ أهلُ الشـام أهل العراق

اختلاط المقاتلة

فاختلطوا فى سواد اللَّيلِ وتبدلت الرّايات بعضُها ببعض ، فلما أصبح الناسُ وجد أهل الشام لواءهم وليس حولَه إلا ألف رجل ، فاقتلعوه وركزوه مِن وراءِ موضعه الأَول ، وأحاطوا به ، ووجد أهل العراق لواءهم مركوزاً وليس حوله إلا ربيعة ، وعلىٌّ عليه السلام بينها ، وهم يحيطون به ، وهو لا يعلم من هُم ويظنُّهم غيرَهم . فلما أَذَّن مؤذن علىٍّ حين طلع الفجر قال على :

يا مرحباً بالقائِلينَ عَدْلاَ وبالصلاة مَرْحَباً وأَهْـلاَ

فلما صلى علىٌّ الفجرَ أبصر وجوهاً ليست بوجوهِ أصحابه بالأَمس ، وإذا مكانُه الذى هو به ما بين الميسرةِ والقلب بالأَمْس ، فقال : مَن القوم ؟ قالوا : ربيعة ، وقد بتَّ فيهم تلك الليلة[1] . قال : فَخْرٌ طويلٌ لكِ يا ربيعة . ثم قال لهاشم : خُذ اللِّواءَ ، فوالله ما رأيتُ مثلَ هذه الليلة . ثم خرج نحو القلب حتى ركز اللواءَ به .

[نصر : حدثنا عمرو بن شمر ، عن الشعبى قال : عبَّأ معاوية تلك

(١) ح : « وإنك يا أمير المؤمنين لعندنا منذ الليلة » .

الليلة أربعة آلاف وثلثمائة من فارسٍ وراجل مُعْلمين بالخضْرة ، وأمرهم أن يأتُوا عليًّا عليه السلام من ورائه ، ففطِنت لهم همدان فواجهوهم وصمدوا إليهم ، فباتوا تلك الليلةَ يتحارسون ، وعلىٌّ عليه السلام قد أفضى به ذهابُه ومجيئُه إلى رايات ربيعة ، فوقف بينها وهو لا يعلم ، ويظنُّ أنه فى عسكر الأشعث . فلما أصبح لم ير الأشعثَ ولا أصحابَه] وإذا سعيدُ بن قيس [الهمدانىّ] على مركزه ، فلحقه رجلٌ من ربيعة يقال له « نَفْر[1] » فقال له : ألستَ الزاعمَ لئن لم تنته ربيعةُ لتكونن ربيعة ربيعة وهَمْدان همدان[2] ، فما أغنت عنك همدان[3] البارحة. فنظر إليه علىٌّ نظرَ منكِرٍ ، [ونادى منادِى علىٍّ عليه السلام : أن اغْدوا للقتال واغدُوا عليه ، وانْهَدوا إلى عدوِّكم] . فلما أصبحوا نَهَدوا للقتال غير ربيعة لم تتحرَّك ، فبعث إليهم علىٌّ : أن انهدُوا إلى عدوِّكم . فأبوا ، فبعث إليهم أبا ثَروان فقال : إنَّ أمير المؤمنين يُقرئكم السلام ويقول : يا معشر ربيعةَ ما يمنعكم أن تنهدوا وقد نَهَد الناس ؟ قالوا : كيف ننهدُ وهذه الخيلُ من وراءِ ظهرنا ؟ قل لأمير المؤمنين عليه السلام فليأْمر هَمْدان أو غيرها بمناجزتهم لننهد . فرجع أبو ثَروانَ إلى علىٍّ عليه السلام فأخبره ، فبعث إليهم الأشتر فقال : يا معشر ربيعة ، ما منعكم أن أن تنهدوا [وقد نهد الناس] - وكان جهير الصوت - وأنتم أصحابُ كذا وأصحاب كذا ؟ ! فجعل يعدِّد أيَّامَهم . فقالوا : لسنا نَفعلُ حتى ننظرَ ما تصنعُ هذه الخيلُ التى خلف ظهورنا ، وهى أربعة آلاف . قُلْ لأمير المؤمنين فليبعث إليهم مَن يكفيه أمرَهم - ورايةُ ربيعة يومئذ مع حُضَين بن المنذر - فقال لهم الأشتر : فإن أمير المؤمنين عليه السلام

(١) ح : « زفر » .
(٢) فى الأصل : « ومضر مضر » ، والصواب ما أثبت من ح .
(٣) فى الأصل : « مضر » ، والصواب ما أثبت من ح .

يقول لكم : اكفُونيها . إنكم لو بعثتم إليهم طائفةً منكم لتركوكم فى هذه الفلاة وفرُّوا كاليعافير[1] . فوجِّهت حينئذٍ ربيعة إليهم تيمَ الله ، والنَّمر بن قاسط ، وعنزة . قالوا : فمشينا إليهم مستلئمين مقنَّعين فى الحديد ، وكانت عامة قتال صفين مَشْياً ، فلما أتيناهم هربوا وانتشَروا انتشار الجراد . قال : فذكرت قول الأشتر : « وفرُّوا كاليعافير[2] » ، فرجَعْنا إلى أصحابنا وقد نشِب القتال بينهم وبين أهل الشَّام وقد اقتطع أهلُ الشام طائفةً من أهل العراق بعضُها من ربيعة فأحاطوا بها ، فلم نصلْ إليها حتى حملْنا على أهل الشام فعلَوْناهم بالأسياف حتى انفرجوا لنا وأفضينا إلى أصحابنا [فاستنقذناهم] وعرفناهم تحت النَّقع بسيماهم وعلامتهم[3] .

ظفر أهل العراق

وكانت علامة أهل العراق بصفين الصوف الأبيض قد جعلوه فى رءوسهم وعلى أكتافهم . وشعارهم : « يا الله يا الله يا أحد يا صمد ، يارب محمد ، يا رحمن يا رحيم » . وكان علامة أهل الشام خِرَقاً صُفْراً[4] قد جعلوها على رءوسهم وأكتافهم . وكان شعارهم « نحن عباد الله حقًّا حقًّا ، يالثارات عثمان » . وكانت رايات أهل العراق سوداً وحمراً ودُكنا وبيضاً ومعصفرةً وموَرّدة ، والألوية مضروبة دُكْن وسود . قال : فاجتلدوا بالسُّيوف وعُمُد الحديد . قال : فما تحاجروا حتى حجز بيننا سواد الليل . قال : وما نرى رجلاً منا ولا منهم مولِّياً .

علامة العراقيين والشاميين

نصر : عمر ، حدثنى صديق أبى ، عن الإفريقى بن أنْعَم قال : كانوا عُرْباً يعرف بعضُهم بعضاً فى الجاهليّة ، وإنهم لحديثو عهدٍ بها ، فالتقَوا فى الإسلام وفيهم بقايا تلك الحميّة ، وعند بعضِهم بصيرةُ الدّين

تسامح الفريقين عند التحاجز

(١) اليعافير : الظباء ، واحدها يعفور .
(٢) فى الأصل : « كأنهم اليعافير » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٧١) .
(٣) فى الأصل : « وعرفنا علامة الصوف » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) فى الأصل : « بيضا » ، وأثبت ما فى ح .

والإسلام ، فتصابروا[1] واستحيوا من الفِرار حتّى كادت الحرب تبيدهم . وكانوا إذا تحاجزُوا دخل هؤلاء عسكر هؤلاء فيَستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ، فلما أصبحوا – وذلك يوم الثلاثاء – خرج الناس إلى مصافِّهم فقال أبو نوح : فكنت فى الخيل يوم صِفِّين فى خيل علىٍّ عليه السلام وهو واقفٌ بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان[2] ، وإذا أنا برجل من أهل الشام يقول : من دلَّ على الحميرىّ أبى نوح ؟ فقلنا : هذا الحميرىُّ فأيُّهم تريد ؟ قال : أريد الكلاعىَّ أبا نوح . قال : قلتُ : قد وجَدْتَه فَمن أنت ؟ قال : أنا ذو الكلاع ، سِرْ إلىّ . فقلت له : مَعاذ الله أنْ أسير إلاَّ فى كتيبة . قال ذو الكلاع : [بلى] فسرْ ، فلك ذمّةُ الله وذمّة رسوله وذمة ذى الكلاع حتَّى ترجع إلى خيلك ، فإنَّما أُريد أن أسألك عن أمرٍ فيكم تماريْنا فيه . فسِرْ دُون خيلك حتَّى أسير إليك . فسار أبو نوحٍ وسار ذو الكلاع حتَّى التقيا ، فقال ذو الكلاع : إنما دعوتُك أحدِّثك حديثاً حدَّثَناه عمرو بن العاص [قديماً] فى إمارة عمرَ بن الخطاب . قال أبو نوح : وما هو ؟ قال ذو الكلاع : حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه قال : « يلتقى أهل الشّام وأهلُ العراق ، وفى إحدى الكتيبتين الحقُّ وإمامُ الهدى ومعه عمّار بن ياسر » . قال أبو نوح : لَعَمْر اللهِ إنَّه لَفينا . قال : أجادٌّ هو فى قتالنا ؟ قال أبو نوح : نعم وربِّ الكعبة ، لهو أشدّ على قتالكم منِّى ، ولوددت أنكم خَلقٌ واحد فذبحتهُ وبدأتُ بك قبَلهم وأنت ابنُ عمِّى . قال ذو الكلاع : ويلك ، عَلام تتمنَّى ذلك منَّا ؟ ! والله ما قطعتُك فيما بينى وبينك ، وإنَّ رحمك لقريبة ، وما يسرُّنى أن أقتلَك . قال أبو نوح : إن الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة ، ووصل به أرحاماً

حديث عمرو ابن العاص

أبو نوح وذو الكلاع

(١) ح : « فتضاربوا » .
(٢) الأفناء : الأخلاط النزاع من ها هنا وهاهنا .

متباعدة ، وإنى لقاتلك[1] أنت وأصحابك ، ونحن على الحقِّ وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر ورءوس الأحزاب . فقال له ذوالكلاع [فهل تستطيع أن تأتىَ معى فى صف أهل الشام ؟ ف] ـأنا جار لك من ذلك ألاَّ تقتل ولا تسلبَ ولا تُكرَهَ على بَيعة ، ولا تُحبَس عن جندك ، وإنَّما هى كلمةٌ تبلِّغُها عمرَو بنَ العاص ، لعلَّ الله أن يُصلح بذلك بين هذين الجندين ، ويَضع الحربَ والسلاح[2] . فقال أبو نوح : إنِّى أخاف غَدَراتك وغدراتِ أصحابك . فقال له ذُو الكلاع : أنا لك بما قلتُ زعيم . فقال أبو نوح : اللهم إنَّك ترى ما أعطانى ذُو الكَلاع وأنت تعلم ما فى نفسى ، فاعصِمْنى واختر لى ، وانصرنى وادفَع عنِّى .

ذو الكلاع وأبو نوح فى مجلس عمرو ومعاوية

ثم سار مع ذى الكلاع حتَّى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية ، وحوله الناس وعبد الله بن عمرٍو ، يحرض الناس على الحرب ، فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو : يا أبا عبد الله ، هل لكَ فى رجلٍ ناصح لبيبٍ شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر لا يكذبُك ؟ قال عمرو : ومن هو ؟ قال : ابن عمِّى هذا ، وهو من أهل الكوفة . فقال عمرو : إنى لأرى عليك سيما أبى تُراب . قال أبو نوح : علىَّ سيما محمد صلى الله عليه وأصحابه ، وعليك سِيمَا أبى جهل وسيما فرعون . فقام أبو الأعور فَسلَّ سيفَه ثم قال : لا أرى هذا الكذَّاب اللئيم يشاتمنا بين أظهُرنا وعليه سيما أبى تُراب . فقال ذُو الكَلاع : أقسم بالله لئن بسطتَ يَدك إليه لأخطمنَّ أنفَك بالسَّيف . ابن عمِّى وجارى عقدت له بذمّتى ، وجئت به إليكما

(١) فى الأصل : « وإنى منا » ، صوابه فى ح .

(٢) قال ابن أبى الحديد : قلت : واعجباه من قوم يعتريهم الشك فى أمرهم لمكان عمار ولا يعتريهم الشك لمكان على عليه السلام ، ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبئون بمكان على عليه السلام ، ويحذرون من قول النبى صلى الله عليه وآله : تقتلك الفئة الباغية ، ويرتاعون لذلك ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله فى على عليه السلام : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ولا لقوله : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق . وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر فى إخمال ذكره وستر فضائله» .

ليخبركما عمَّا تماريتُم فيه . قال له عمرو بن العاص : اذكِّرك بالله يا أَبا نوح إلاَّ ما صَدَقتنا ، ولم تكذِبنا[1] ، أَفيكم عمار بن ياسر ؟ فقال له أَبو نوح : ما أَنا بمُخبرِك عنه حتَّى تخبرنى لِمَ تسأَلنى عنه ؛ فإنَّا معنا من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه عِدَّةٌ غيره ، وكلُّهم جادٌّ على قتالكم . قال عمرو : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه يقول : « إنَّ عماراً تقتله الفئةُ الباغية ، وإنه ليس ينبغى لعمَّارٍ أَن يفارق الحقّ ولن تأْكل النَّار منه شيئاً » . فقال أَبو نوح : لا إِله إلا الله والله أَكبر ، والله إنه لفينا ، جادٌّ على قتالكم . فقال عمرو : والله إنه لجاد على قتالنا؟ قال : نعم والله الذى لا إله إلاَّ هو ، [و] لقد حدَّثنى يوم الجمل أَنَّا سنظهر عليهم ، ولقد حدَّثنى أَمسِ أَن لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سَعَفَاتِ هجر[2] لعلمنا أَنا على حق وأَنهم على باطل ، و [لـ] كانتْ قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . فقال له عمرو : فهل تستطيع أَن تجمع بينى وبينَه؟ قال : نعم . فلما أَراد أَن يبلغه أَصحابَه ركب عمرو بن العاص ، وابناه ، وعُتبة بن أَبى سفيان ، وذو الكَلاع ، وأَبو الأَعور السلمى ، وحوشب ، والوليد بن [عقبة بن] أَبى معيط ، فانطلقوا حتى أَتوا خيولهم .

أبو نوح وشرحبيل بن ذى الكلاع عند عمار بن ياسر

وسار أَبو نوح ومعه شُرحبيل بن ذى الكَلاع حتى انتهيا إلى أَصحابه فذهب أَبو نوحٍ إلى عمّار فوجده قاعداً مع أَصحابٍ له ، منهم ابنا بُديل وهاشم ، والأَشتر ، وجارِية بن المثنَّى ، وخالد بن المعمَّر ، وعبد الله بن حَجَل ، وعبد الله بن العبّاس . وقال أَبو نوح : إِنَّه دعانى ذُو الكلاع وهو ذو رحم فقال : أَخْبرنى عن عمّار بن ياسر ، أَفيكم هو ؟ قلت : لِمَ تسأَل ؟ قال : أَخبرنى عمرو بن العاص فى إمرة عمر بن الخطاب أَنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول : « يلتقى أَهلُ الشَّام وأَهلُ العراق

(١) فى الأصل : « إلا ما صدقت ولا تكذبنا » ، والوجه ما أثبت من ح (٢ : ٢٧٢) .
(٢) انظر ما سبق ص ٣٢٢ س ٧ .

وعمّار فى أهل الحق يقتله الفئة الباغية » . فقلتِ : إنّ عمّاراً فينا . فسألنى[1] : أجادٌّ هو على قتالنا ؟ فقلت : نعمْ واللهِ ، أَجَدُّ منّى ، وَلَوَدِدْتُ أنّكم خلقٌ وَاحدٌ فذبحتُكم وبدأْتُ بك يا ذا الكَلاع . فضحك عمّار وقال : هل يسرُّك ذلك ؟ قال : قلت نَعم . قال أبو نوح : أخبرَنى [الساعةَ] عمرو بن العاص أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول : « عمّار يقتله الفئةُ الباغية » . قال عمَّار : أَقْرَرْتَه بذلك ؟ قال : نعم أقررتُه فأَقَرّ . فقال عمّار : صَدَق ، ولَيضُرنَّه ما سمع ولا ينفعه .

ركوب عمار بن ياسر إلى عمرو ابن العاص

ثم قال أبو نوح لعمّار – ونحن اثنا عشر رجلا – : فإنّه يريد أن يلقاك . فقال عمّار لأصحابه : اركَبوا . فركِبوا وساروا ثمَّ بعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمَّى عوفَ بن بشر ، فذهبَ حتّى كان قريباً من القوم ، ثم نادى : أين عمرُو بنُ العـاص ؟ قالوا[2] : ها هنا . فأَخبَرَه بمكان عمّارٍ وخَيله . قال عمرو : قل له فليَسِرْ إلينا . قال عوف : إنَّه يخاف غَدَرَاتِك . فقال له عمرو : ما أجرأَك علىَّ وأنت على هذه الحال ! فقال له عوف : جَرَّأَنى عليك بصيرتى فيك وفى أصحابك ، فإن شئتَ نابذتُك [الآن] على سَوَاءٍ ، وإن شئتَ التقيتَ أنت وخصماؤك ، وأنت كنت غادراً[3] . فقال له عمرو : ألاَ أبعثُ إليك بفارسٍ يُواقِفك ؟ فقال له عوف : ما أنا بالمستوحش ، فابعث بأَشقَى أصحابك. قال عمرو : فأَيُّكم يسير إليه ؟ فسار إليه أبو الأَعور ، فلما تواقَفا تعارفا فقال عوفٌ لأَبى الأَعور : إنى لأَعرف الجسَدَ وأُنكر القلب ، إنى لا أَراك مؤمناً ، وإنكِ لمن أَهل النار . فقال أَبو الأَعور : لقد أُعطيتَ لِساناً يكبُّك الله به على وجهك فى نار جهنَّم . فقال عوف : كلاَّ والله ، إنى أَتكلم أَنا

(١) فى الأصل : « قيل لى » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٢) .
(٢) فى الأصل : « قال » ، صوابه فى ح .
(٣) الكلام بعد لفظه « سواء » إلى هنا لم يرد فى ح .

بالحقِّ ، وتَكلَّمُ أنت بالباطل، وإنى أدعوك إلى الهدى ، وأُقاتلُ أهل الضلالة[1] وأفرُّ من النار ، وأنت بنعمة الله ضالٌّ تنطِقُ بالكذب وتقاتل على ضَلالة ، وتشترى العقاب بالمغفرة ، والضلالةَ بالهدى . انظروا إلى وجوهنا ووجوهكم ، وسِيمانا وسيماكم ، واسمعوا إلى دعوتنا ودعوتكم ، فليس أحدٌ مِنّا إلا [و] هو أولى بمحمد صلى الله عليه ، وأقرب إليه قرابةً منكم . قال له أبو الأعور : [لقد] أكثرتَ الكلامَ وذهبَ النهار . [ويحك] ادْعُ أصحابك وأدعوَ أصحابى ، فأنا جارٌ لك حتى تأتىَ موقفَك الذى أنت فيه الساعة ؛ فإنى لستُ أبدؤك بغَدرٍ ولا أجترئُ على غَدْرٍ حتى تأتىَ أنت وأصحابُك ، وحتى تقفوا . فإذا علمتُ كَمْ هم جئتُ من أصحابى بعددِهم . فإن شاء أصحابك فليقلّوا وإن شاءُوا فليكثّروا .

فسار أبوالأعور فى مائةِ فارسٍ حتى إذا كان حيثُ كنَّا بالمرة الأُولى[2] وقفوا ، وسار فى عشرةٍ بعمرو ، وسار عمار فى اثنى عشر فارساً حتى اختلفتْ أعناقُ الخيل : خيلِ عمرٍو وخيلِ عمَّار ، ورجع عوف بن بشر فى خيله وفيها الأشعث بن قيس ، ونزل عمار والذين معه فاحتبَوْا بحمائل سيوفهم ، فتشهَّد عمرو بن العاص ، فقال له عمار بن ياسر : اسكتْ (بعد هذا الكلام ليس عند ابن عقبة إلى موضع العلامة [3]) فقد تركتَها فى حياة محمد صلى الله عليه وبعدَ موته ، ونحنُ أحقُّ بها منك ، فإن شئتَ كانت خصومةٌ فيدفع حقُّنا باطلَك ، وإن[4] شئت كانت خطبةٌ فنحن أعلم بفَصْل الخطاب منك ، وإن شئتَ أخبرتُك بكلمةٍ تفصل

(١) ح : « وأقاتلك على الضلال » .

(٢) ح : « حتى إذا كانوا بالمنصف » .

(٣) ابن عقبة أحد رواة هذا الكتاب . ويريد بموضع العلامة ما أشار إليه بعد قوله : « فيمن قتله » الذى سيأتى فى ص ٣٣٩ ، وهو قوله : « من هنا عند ابن عقبة » .

(٤) قبل هذه العبارة فى الأصل : « وإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلا » . وهذه العبارة المكررة المحرفة لم ترد فى ح . وقد طرحتها من الأصل .

بيننا وبينَك وتكفِّرك قبل القيام ، وتشهد بها على نفسك ؛ ولا تستطيع أَن تكذِّبنى [فيها] . قال عمرو : يا أَبا اليقظان ، ليس لهذا جئتُ ، إنما جئتُ لأَنى رأَيتُكَ أَطوعَ أَهلِ هذا العسكر فيهم . أُذكِّرك اللهَ إلاَّ كففتَ سلاحَهم وحقنتَ دماءهم ، وحَرّضْتَ على ذلك[1] ، فعلامَ تقاتلُنا ؟ أَو لسنا نعبدُ إلهاً واحداً ، ونصلِّى [إلى] قبلتكم ، وندعو دعوتَكُم ، ونقرأُ كتابكم ، ونُؤمن برسولكم . قال عمار : الحمد لله الذى أَخرجَها مِنْ فيك ، إنها لى ولأَصحابى : القبلة ، والدِّين ، وعبادة الرحمن ، والنبىُّ صلى الله عليه ، والكتاب ، من دونك ودون أَصحابك . الحمد لله الذى قرَّرك لنا بذلك ، دونك ودونَ أَصحابك ، وجعلك ضالاًّ مُضِلاًّ ، لا تعلم هادٍ أَنت أَم ضالٌّ ؟ وجعلك أَعمى . وسأُخبرك عَلام قاتلتك عليه أَنت وأَصحابك . أَمرَنى رسولُ الله صلى الله عليه أَن أُقاتل النَّاكثين ، وقد فعلت ؛ وأَمرنى أَن أُقاتل القاسِطين ؛ فأَنتم هم . وأَما المارقون[2] فما أَدرى أُدركهم أَم لا . أَيُّها الأَبتر ، أَلستَ تعلم أَنَّ رسول الله صلى الله عليه قال لعلىٍّ : « من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه . اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه » . وأَنا مولى الله ورسولِه وعلىٌّ بعده ، وليس لك مولىً . قال له عمرو : لِمَ تشتُمنى يا أَبا اليقظان ولستُ أَشتُمك ؟ قال عمّار : وبم تشتمنى ، أَتستطيع أَن تقول : إنِّى عصيتُ اللهَ ورسولَه يوماً قطّ ؟ قال له عمرو : إن فيك لمسبّات[3] سوى ذلك . قال عمَّار : إنَّ الكريم من أَكرمه الله ، كنتُ وضيعاً فرفعنى الله ، ومملوكاً فأَعتقنى الله ، وضعيفاً فقوَّانى الله ، وفقيراً فأَغنانى الله .

وقال له عمرو . فما ترى فى قَتْل عثمان ؟ قال : فتح لكم بابَ كلِّ

(١) ح : « وحرصت على ذلك » ، ومؤدى العبارتين واحد .
(٢) فى الأصل : « المارقين » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٣) .
(٣) ح : « لمساب » .

سَوءٍ . قال عمرو : فعليٌّ قتله ؟ قال عمّار : بل الله ربُّ عليٍّ قتله وعليٌّ معه . قـــال عمرو : أكنت فيمن قتـــله ؟ (من هنا عند ابن عقبة[1]) قال : كنت مع مَن قتله وأنا اليومَ أُقاتل مَعَهم . قال عمرو : فلِمَ قتلتموه ؟ قال عمار : أراد أنْ يغيِّر ديننا فقتلناه . فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل عثمان . قال عمّار : وقد قالها فرعونُ قبلَكَ لقومه : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ[2] ﴾ . فقام أهل الشام ولهم زَجَلٌ فركبوا خيولهم فرجَعوا ، [وقام عمّارٌ وأصحابُه فركبوا خيولهم ورجعوا] ، فبلغَ معاويةَ ما كان بينهم فقال : هلكت العربُ أن أخذتهم[3] خِفَّة العبد الأسود . يعني عمار بن ياسر .

[قال نصر : فحدثنا عمرو بن شمر قال] : وخرج إلى القتال[4] ، وصفَّت الخيولُ بعضُها لبعض ، وزحفَ النَّاسُ ، وعَلَى عمّارٍ درعٌ [بيضاء] وهو يقول : أيُّها الناس ، الرّواحَ إلى الجنَّة . فاقتتل النَّاسُ قتالاً شديداً لم يَسمع النَّاسُ بمثله ، وكثُرت القتلى حتَّى إنْ كان الرّجُل ليَشُدُّ طُنب فُسطاطِه بيد الرّجُلِ أو برجله . فقال الأشعث : لقد رأيت أخبية فِلَسطين وأَرْوِقتَهم وما منها خِباء ولا رِواق ولا بِناءٌ ولا فُسطاط إلاّ مربوطاً بيد رجُلٍ أو رِجْله . وجعل أبو سماك الأسديُّ يأخذ إداوةً من ماء وشَفْرَةَ حديد ، فإذا رأى رجُلاً جريحاً وبه رَمَقٌ أقعده فيقول : مَن أمير المؤمنين؟ فإن قال عليٌّ غسل عنه الدّمَ وسقاه من الماءِ ، وإن سكت وجأه بالسِّكِّين[5] حتَّى يموت [ولا يسقيه] . قال : فكان يسمّى المخضخِض .

نصر ، عن عمرو بن شمر عن جابر قال : سمعت الشعبي يقول :

---

(١) ابن عقبة ، أحد رواة هذا الكتاب . انظر التنبيه ٣ من صفحة ٣٣٧.

(٢) من الآية ٢٥ فى سورة الشعراء . وفى الأصل وح : « ألا تسمعون » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ح : « حركتهم » .

(٤) وخرج ، أى عمار . وفى ح (٢ : ٢٧٣) : « فخرجت الخيول إلى القتال » .

(٥) فى الأصل : « بسكين » ، وأثبت ما فى ح .

عمار بن ياسر وهاشم بن عقبة

قال الأحنف بن قيس : والله إنى لإلى جانب عمّارِ بن ياسر ، بينى وبينَه رجل من بنى الشُّعَيراء[1] ، فتقدمنا حتى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار : احمِل فداك أبى وأمّى . ونظر عمّار إلى رقّة فى الميمنة فقال له هاشم : رحمك الله يا عمّار، إنك رجلٌ تأخذك خِفّةٌ فى الحرب، وإنّى إنما أزحَف باللّواء زَحْفاً ، وأرجو أن أنالَ بذلك حاجتى ، وإنى إن خَفَفْتُ لم آمَن الهَلَكة . وقد كان قال معاوية لعمرو : ويحك ، إن اللواءَ اليومَ مع هاشم بن عتبة ، وقد كان من قبل يُرقِل به إرقالاً ، وإنه إن زحفَ به اليوم زحفاً إنه لليومُ الأطولُ لأهل الشام ، وإن زحَف فى عُنُقٍ من أصحابه إنى لأطمع أن تقتَطَع . فلم يزل به عمّارٌ حتى حَمَل ، فبصُر به معاويةُ فوجّه إليه حُماةَ أصحابه ومن يُزَنّ بالبَأْسِ[2] [والنجدة] منهم فى ناحيته ، وكان فى ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعه [يومئذ] سيفانِ قد تقلّد واحداً وهو يضرب بالآخر ، وأطافتْ به خيلُ علىّ ، فقال عمرو : يا الله ، يا رحمٰن ، ابنى ابنى . قال : ويقول معاوية : صبراً صبراً فإنه لا بأس عليه . قال عمرو : ولو كان يزيدَ بنَ معاوية إذاً لصبرت ! ولم يزل حماةُ أهل الشام يذبُّون عنه[3] حتى نجا هارباً على فرسه ومن معه ، وأُصيب هاشمٌ فى المعركة .

مقتل عمار بن ياسر

قال [نصر : وحدثنا عمر بن سعد قال : وفى هذا اليوم قتل عمار ابن ياسر رضى الله عنه ، أُصيب فى المعركة] ، و [قد كان] قال عمّار حين نظر إلى راية عمرو بن العاص : والله إنَّ هذه الراية قاتلتُها ثلاثَ عركات وما هذه بأرشدِهنّ ! ثم قال عمّار :

(١) بنو الشعيراء هم بنو بكر بن أد بن طابخة . وفى الأصل : « السفير » ، ولم أجده فى قبائلهم . انظر القاموس واللسان (شعر) والمعارف ٣٤ .
(٢) يقال زنه بالخير وأزنه : ظنه به .
(٣) ح : « تذب عن عبد الله » .

نحن ضربناكم على تنزيلِهْ   فاليوم نضربْكم على تأْويلِهْ[1]
ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهْ   ويُذْهِل الخليلَ عن خليلِهْ
أَو يَرجعَ الحقُّ إلى سبيلِهْ

ثم استسقى وقد اشتد ظمؤه ، فأَتته امرأة طويلة اليدين والله ما أدرى أعُسٌّ معها أَمْ إداوةٌ فيها ضَياحٌ من لبن[2] ، فقال حين شرب : « الجنة تحت الأَسنّة

اليوم أَلقى الأَحبّهْ   محمداً وحِزبَه

والله لوضربونا حتّى يبلغوا بنا سَعَفاتِ هجر لعلمنا أَنّا على الحق وهُم على الباطل » . ثم حمل وحمل عليه ابن جَوْنٍ السَّكونى[3] ، وأَبو العادية الفزارى . فأَمّا أَبو العادية فطعنه ، وأَما ابن جَوْنٍ[4] فإنه احتزَّ رأْسَه .

مقتل ذى الكلاع

وقد كان ذو الكَلاع يسمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شَرْبةٍ تشربها ضَيَاحٌ من لبن » ، فقال ذو الكلاع لعمرو : ويحك ما هذا ؟ قال عمرو : إنه سيرجع إلينا [ويفارق أَبا تراب] . وذلك قبل أَن يُصاب عمارٌ . فأُصيب عمار مع علىّ ، وأُصيب ذو الكَلاع مع معاوية ، فقال عمرو : والله يا معاوية ما أَدرى بقتْل أَيِّهما أَنا أَشدُّ فَرَحاً . والله لو بَقى ذو الكلاع حتى يُقْتَل عمارٌ لمالَ بعامّة قومه إلى علىّ ، ولأَفْسَدَ علينا جندنا[5] . قال : فكان لا يزال رجلٌ يجىءُ فيقول لمعاوية وعمرو :

---

(١) ح : « كما ضربناكم على تأويله » . لكن الرواية هنا تطابق ما فى مروج الذهب (٢ : ٢١) . وهذا الرجز يحتمل التقييد والإطلاق فى قافيته .
(٢) الضياح ، بالفتح : اللبن الرقيق الكثير الماء .
(٣) ح (٢ : ٢٧٤) « ابن حوى السكسكى » ، وفى مروج الذهب (٢ : ٢١) . « أبو حواء السكسكى » .
(٤) ح : « ابن حوى » .   (٥) ح : « أمرنا » .

أنا قتلتُ عماراً . فيقول له عمرو : فما سمعتَه يقول ؟ فيخلط[1] . حتى أقبل [ابنُ] جونٍ[2] فقال : أنا قتلتُ عماراً . فقال له عمرو : فما كان آخر منطقهِ ؟ قال : سمعته يقول :

اليوم ألقى الأحبهْ محمداً وحزبَهْ

فقال له عمرو : صدقت ، أنت صاحبُه[3] ، أما والله ما ظفِرتْ يداك ولكن أسخطْتَ ربك .

ما جاء فى مقتل عمار بن ياسر

نصر ، عن عمرو بن شمر قال : حدثنى إسماعيل السدى ، عن عبد خيرٍ الهمدانىّ قال : نظرت إلى عمّار بن ياسر يوماً من أيام صِفِّين رُمِى رميةً فأُغمىَ عليه ولم يصلِّ الظهر ، و [لا] العصر ، و [لا] المغرب ، ولا العشاء ، ولا الفجر ، ثم أفاق فقضاهنَّ جميعاً ، يبدأ بأول شىءٍ فاتَهُ ، ثم بالتى تليها[4] .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن السدى ، عن ابن حُريث[5] قال : أقبل غلامٌ لعمار بن ياسر ، اسمه راشد ، يحمل شَربةً من لبن ، فقال عمّار : إنى سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه [يقول] : « إن آخر زادك من الدنيا شَربة لبن » .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن السدّى عن يعقوب بن الأوسط قال : احتجّ رجُلان بصفِّين فى سلَب عمّار بن ياسر ، وفى قتله ، فأتيا عبد الله بنَ عمرو بنِ العاص فقال لهما : ويحكما ، اخرُجا عنى فإنَّ رسول الله صلى الله عليه قال — [و] ولِعَت قريشٌ بعمار[6] — : « مالهم

(١) فى الأصل : « فما سمعتموه يقول فيخلطون » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) ح : « ابن حوى » . (٣) أى صاحب قتله ، الذى تولى ذلك منه .
(٤) فى الأصل : « ثم التى يليها » ، صوابه فى ح .
(٥) ح (٢ : ٢٨٤) : « أبى حريث » .
(٦) هذه الجملة لم ترد فى ح . والواو ليست فى الأصل . ويقال ولع فلان بفلان يولع به : إذا لج فى أمره وحرص على إيذائه .

ولِعمّار ، يدعُوهم إلى الجنة ويدعونَه إلى النار ، قاتِله وسالِبُه فى النار » .

قال السدّى : فبلغنى أنّ معاوية قال : « إنما قتـــله من أخرجه » . يخدعُ بذلك طَغامَ أهل الشام .

نصر، عن عَمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبى الزُّبير قال : أتى حذيفةَ بنَ اليمان رهطٌ من جهينة فقالوا : يا أبا عبد الله ، إن رسول الله صلى الله عليه استجار من أن تُصطَلم أُمّتُه [1] فأُجير من ذلك، واستجار من أن يَذُوق بعضُها بأْسَ بعضٍ فمُنع من ذلك . قال حذيفة : إنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه يقول : « إنَّ ابنَ سُمَيّة لم يُخيَّر بين أمرين قطُّ إلا اختار أرشَدَهما ـ يعنى عمّاراً ـ فالْزَموا سَمْتَهُ » .

حملة عمار

وفى حديث عمرو بن شمر قال : حمل عمّار بن ياسر [ذلك] اليوم وهو يقول :

كلا وربِّ البيتِ لا أبْرَحْ أجِى ... حتى أموتَ أو أرى ما أشْتَهِى
أنا مع الحقِّ أُحامى عن عَلِى [2] ... صهر النبىِّ ذى الأمانات الوفِى
نقتلُ أعداهُ وينصرْنا العَلِى [3] ... ونقطـعُ الهـامَ بحـدِّ المشرفى
والله ينصُرْنا على مَن يبتغى [4] ... ظلمـاً علينا جاهـداً ما يأْتلى

قال : فضربوا أهل الشام حتى اضطرُّوهم إلى الفِرار [5] .

ماقيل فى الجمع بين عمرو وعمار

قال : ومشى عبد الله بن سويد [الحميرى [سيِّد جُرَش إلى ذى الكَلاع فقال له : لِمَ جمعتَ بين الرجلين ؟ قال : لحديثٍ سمعتُه من عَمرٍو ، وذكر أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وهو يقول لعمّار بن ياسر : « يقتلك الفئةُ الباغية » . فخرج عبد الله بن عُمر

(١) الاصطلام : الاستئصال ؛ افتعال من الصلم .
(٢) ح : : « لا أفتر الدهر أحامى » .
(٣) ح : « ينصرنا رب السموات » .
(٤) ح : « يمنحنا النصر » . وهذا الرجز كما ترى ركيك مشيأ القافية .
(٥) فى الأصل : « الفرات » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٤) .

العَنْسى ، وكان من عُبَّاد أهل زمانه ، ليلا فأصبح فى عسكر علىٍّ ، فحدّث الناس بقولِ عمرٍو فى عمار . وقال الجرشى :

ما زلتَ ياعمرو قبلَ اليومِ مبتدئاً ... تبْغِى الخصوم جِهاراً غيرِ إسرارِ
حتى لقيتَ أبا اليَقْظانِ منتصباً ... لله درُّ أبى اليقظـانِ عَمَّـارِ
ما زال يَقْرَعُ منك العَظْمَ منْتَقِيًا ... مُخَّ العِظامِ بنزعٍ غير مكثار (١)
حتى رَمَى بك فى بحرٍ له حَـدَبٌ ... تَهوِى بك الموجُ ها فاذْهَبْ إلى النارِ (٢)

وقال العنسىّ :

والرَّاقصاتِ بركبٍ عامدين لهُ ... إنَّ الذى جاءَ من عمرٍو لمأْثورُ (٣)
قد كنت أسمعُ والأنبـاءُ شائعةٌ ... هذا الحديثَ فقلتُ الكِذبُ والزُّورُ
حتى تلقَّيتُـه عن أهْـلِ عَيبتِـهِ ... فاليومَ أرجعُ والمغـرورُ مغـرورُ
واليومَ أبرأُ مِنْ عمـرٍو وشيعتِـه ... ومِن معاوية المحْدُو بِهِ العِيـر
لا لا أقاتل عَمّـاراً على طمـعٍ ... بَعْدَ الرواية حتى يُنْفَخَ الصُّـورُ
تركتُ عَمراً وأشياعاً له نُـكُداً ... إنِّى بتركهمُ ياصاحِ مَعذورُ (٤)
ياذا الكلاع فَدَعْ لى معشراً كفروا ... أوْ لاَ فدِينُك عينٌ فيه تعزيرُ (٥)
ما فى مَقال رسول اللهِ فى رجُـلٍ ... شكٌّ ولا فى مقال الرُّسل تحبيرُ

فلما سمع معاوية بهذا القول بعث إلى عمرٍو فقال : أفسَدْتَ علىَّ أهلَ الشام ، أكلَّ ما سمعتَ من رسول الله تقوله ؟ فقال عمرو : قلتُها

عتب معاوية على عمرو فى إذاعة حديث عمار

---

(١) انتقاء المخ : استخراجه .
(٢) حدب الماء : ما ارتفع من أمواجه .
(٣) يقسم بالإبل التى ترقص ، أى تخب بركبانها القاصدين إلى الله أو البيت الحرام للحج .
(٤) النكد : جمع أنكد ، وهو المشؤوم العسر .
(٥) عين ، لعله يريد : دين عين ، كما تقول فلان صديق عين ، إذا كان يظهر لك من نفسه مالا يفى به إذا غاب ؛ أى إنه دين رياء .

ولستُ والله أعلمُ الغيب، ولا أدرى أنَّ صفين تكون . قُلْتُها وعمارٌ يومئذٍ لك ولى ، وقد رويتَ أنت فيه مثلَ الذى رويتُ فيه ، فاسأل أهلَ الشام . فغضب معاوية وتنمّر لعمرو ، ومنعه خيرَه ، فقال عمرو : لا خير لى فى جوار معاوية إن تجلّت هذه الحربُ عنّا . وكان عمرٌو حمِىَّ الأنف ، فقال فى ذلك : رد عمرو

تعاتبنى أن قلتُ شيئاً سمعتُه وقد قلتَ لو أنصفتَنى مثلَه قبلِى
أنعلُكَ فيما قلتَ نعلٌ ثبيتةٌ وتَزْلَق بى فى مثل ما قُلتُه نَعْلِى

وما كان لى عِلمٌ بصِفِّينَ أنها
تكونُ وعمارٌ يَحُثُّ على قتلِى
فلو كان لى بالغيب علمٌ كتمتُها
وكابَدْتُ أقواماً مراجلُهم تَغْلِى
أبى اللهُ إلا أنَّ صَدرَك واغرٌ
علىَّ بلا ذنبٍ جَنيتُ ولا ذَحْلِ
سوى أننى ، والرَّاقِصاتِ عشيَّةً ،
ينصركَ مَدْخُول الهوى ذاهلُ العَقْلِ
فلا وضعَتْ عندى حَصانٌ قِناعها
ولا حملتْ وجناءُ ذِعلِبةٌ رَحْلِي
ولا زِلْتُ أُدعَى فى لؤىِّ بنِ غالب
قليلاً غنائِى لا أُمِرُّ ولا أُحْلِي
إنِ اللهُ أرخَى من خِناقِك مَرَّةً
ونلتَ الذى رجَّيْتَ إن لم أَزُر أهلِي

وأتركْ لك الشـام الذى ضـاق رُحْبهـا
علـيـك ولم يَهْنِكْ بهـا العيش من أجْـلِى

جواب معاوية

فأَجاب معاوية :

أَ الآنَ لمـا أَلْقَت الحربُ بَرْكَهـا | وقام بنا الأَمرُ الجليل على رِجْل
غمزتَ قَناتى بعـدَ ستين حِجّـةً | تِباعاً كأَنى لا أُمِرُّ ولا أُحْـلى (1)
أَتيتَ بأَمر فيـه للشام فتنـةٌ | وفى دون ما أَظهرته زَلَّةُ النعـل
فقلتُ لك القولَ الذى ليس ضائراً | ولو ضرَّ لم يضررك حملُكَ لى ثِقْلِى
فعاتبتَنى فى كـلِّ يوم وليـلةٍ | كأَنَّ الذى أُبليك ليس كما أُبلِى (2)
فيا قَبَحَ اللهُ العِتـابَ وأَهـلَه | أَلم تَرَ ما أَصبحتُ فيه من الشُّغلِ
فدع ذا ولكنْ هل لكَ اليومَ حيلةٌ | تردُّ بهـا قوماً مراجِلُهم تَغْـلِى
دعاهم علىٌّ فاستجـابوا لِدعوةٍ | أَحبَّ إليهم من ثَرَا المالِ والأَهل
إذا قلتُ هابُوا حومةَ الموت أَرقلوا | إلى الموت إرقال الهَلُوكِ إلى الفحل

فلما أَتى عمراً شعرُ معاوية أَتاه فأَعتبه وصار أَمرُهما واحداً .

تحضيض على هاشم بن عتبة

ثم إنَّ عليًّا دعا فى هذا اليوم هاشم بنَ عُتْبة ومعه لواؤه ، وكان أَعور ، فقال له : يا هاشم ، حَتَّى متى تـأْكل الخبز وتشرب الماءَ ؟ فقال هاشم : لأَجهَدنَّ عَلَى أَلاَّ أَرجعَ إليك أَبداً . قال على : إن بإزائك ذا الكلاع ،

---

(1) فى الأصل : « بعد سبعين حجة » ، والصواب ما أثبت من ح (٢ : ٢٧٥) وذلك لأن معاوية حين وقعة صفين كان عمره نحواً من ٥٧ سنة ، فإن صفين كانت فى سنتى ٣٦ – ٣٧ وكانت وفاة معاوية سنة ٦٠ وله ثمانون سنة .

(2) الإبلاء : الإخبار ، يقال ابتليته فأبلانى ، أى استخبرته فأخبرنى . ح : « تعاتبنى » .

وعنده الموتُ الأَحمر ؟ فتقدم هاشم ، فلما أَقبل قال معاوية : مَن هذا المقبل ؟ فقيل هاشم المرقال . فقال : أَعْوَر بنى زُهرة قاتله الله ! وقال : إنَّ حماة اللواءِ ربيعة ، فأَجِيلُوا القِداح فَمن خرجَ سهمُه عبّيتُه لهم . فخرج سهمُ ذِى الكَلاع لبكر بن وائل[1] ، فقال : تَرَّحَكَ اللهُ مِن سَهْمٍ كرِهْتَ الضِّراب[2] . وإنّما كان جلُّ أَصحاب علىٍّ أَهلَ اللواءِ من ربيعة ؛ لأَنّه أَمَر حماةً منهم أَن يُحامُوا عن اللِّواءِ . فأَقبل هاشمٌ وهو يقول : سهم ذى الكلاع

أَعــورُ يبغى نفسَــه خلاصــا　　　مثلَ الفَنيــقِ لابســاً دِلاَصــا
قد جرَّب الحربَ ولا أَنَاصا[3]　　　لاديــةً يخشَى ولا قِصاصــا
كلُّ امرئٍ وإنْ كَبَا وحَاصا[4]　　　ليس يرى من مَوْتِه مَنَاصــا[5]

وحمل صاحب لواءِ ذى الكلاع – وهو رجلٌ من عُذْرة – وهاشمٌ حاسر وهو يقول :

يا أَعورَ العين وما بِى من عَــوَرْ　　　اثبُتْ فإنِّى لستُ من فَرْعَىْ مُضرْ
نحن اليمانون وما فينــا خَــوَرْ　　　كيفَ ترى وقع غُلامٍ مِنْ عُذَرْ[6]
يَنْعَى ابنَ عفَّانٍ ويَلْحَى مَن غَدَرْ　　　سِيَّانِ عِندِى مَن سَعى ومن أَمَرْ

(١) هم بكر بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، فهم ربعيون . وفى الأصل : « بكر بن وائل » ، والصواب : « لبكر » كما أثبت .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٢٧ .

(٣) المعروف ناص ينوص : هرب وفر .

(٤) كبا : انكب على وجهه . حاص : هرب . ح : « وإن بنى » .

(٥) فى الأصل : « ليس له » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٧٥) . وفى ح أيضاً : « من يومه » .

(٦) الغلام يقال للرجل من حين يولد إلى أن يشيب . وعذر : ترخيم عذرة لغير نداء . وعذرة من قبائل قضاعة .

فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشمٌ فقتله ، وكثُرت القتلى ، وحَمَل ذو الكلاع فاجتلد الناس ، فقتلا جميعاً[1] وأخذ ابنُ هاشمٍ اللِّواءَ وهو يقول :

رثاء ابن هاشم لأبيه

أهاشم بنَ عتبةَ بنِ مالكْ ... أعزِزْ بشَيخٍ من قُريشٍ هالكْ
تخبطه الخَيْلاَتُ بالسَّنابكْ ... فى أسودٍ من نَقعهنَّ حالكْ
أبشِرْ بحُور العين فى الأرائكْ ... والرَّوْحِ والرَّيحانِ عند ذلكْ

عبد الله بن هاشم فى مجلس معاوية

نصر : حدثنا عمرو بن شمر قال : لما انقضى أمر صفين وسلم الأمرَ الحسنُ عليه السلام إلى معاوية ، [و] وفدت عليه الوفود ، أُشخص عبدُ الله بن هاشمٍ إليه أسيراً ، فلما أُدخل عليه مَثَل بين يديه وعنده عمرو بن العاص فقال : « يا أمير المؤمنين ، هذا المخْتال[2] ابن المرقال فدونك الضبَّ المُضِبَّ[3] ، المغترَّ[4] المفتون ؛ فإنَّ العصا من العُصَيَّة ، وإنما تلد الحيَّةَ حيَّة ، وجزاءُ السيِّئةِ سيِّئةٌ مثلها » . فقال له ابنُ هاشم : ما أنا بأوّلِ رجلٍ خذله قومُه ، وأدركَه يومُه[5] . فقال معاوية : تلك ضغائنُ صفِّين وما جنى عليك أبوك . فقال عمرو : أمْكِنِّى منه فأُشخبَ أوداجَه على أثباجه . فقال له ابن هاشم : فهلاَّ كانت هذه الشجاعة منك يابن العاص أيام صفِّين حين نَدعوك إلى النِّزال ، وقد ابتلَّت أقدام الرِّجال ، من نَقيع الجِرْيال ، وقد تضايقت بك المسالك ، وأشرفت فيها على المهالك . وايمُ اللهِ لولا مكانُك منه لنشِبت لك منى خافيةٌ أرميك

---

(١) ح : « فقتل هاشم وذو الكلاع جميعاً » .
(٢) المختال : المتكبر المعجب بنفسه . وفى الأصل : « المحتال » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٦)
(٣) المضب : الذى يلزم الشيء لا يفارقه ، وأصل الضب اللصوق بالأرض .
(٤) فى الأصل : « المعن » ، صوابه فى ح .
(٥) ح : « وأسلمه يومه » .

من خلالها أحدٌ من وقع الأشافى[1] ، فإنك لا تزال تكثر فى هَوَسك وتَخبط فى دَهَشك ، وتَنْشِبُ فى مَرَسِك ؛ تَخَبُّط العشواء ، فى الليلة الحِنْدِس الظَّلماء . قال : فأعجَبَ معاويةَ ما سمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن وكفَّ عن قتله ، فبعث إليه عمرٌو بأبياتٍ يقولها له :

عتاب عمرو لمعاوية فى ابن هاشم

أَمرتُك أمراً حازماً فعصيتَنى ... وكان من التوفيق قتلُ ابن هاشمِ
وكان أَبُوه يا معاويةُ الذى ... رمَاك على جِدٍّ بحزٍّ الغَلاصمِ
فما برحوا حتَّى جَرَتْ من دمائنا ... بصِفِّين أمثالُ البحور الخَضَارمِ
وهذا ابنُه والمرءُ يُشبِه أَصلَه ... ستقرع إن أبقَيْتَهُ سِنَّ نادمِ

كتاب ابن هاشم

فبلغ ذلك ابنَ هاشم وهو فى محبِسه فكتب إلى معاوية :

معاوِى إنَّ المرءَ عَمْراً أَبَتْ له ... ضغينةُ صدرٍ وُدُّها غير سالمِ[2]
يرى لك قتلِى يا ابنَ حَربٍ وإنَّما ... يرى مايرى عمرٌو ملوكُ الأَعاجمِ
على أنَّهم لا يقتلون أسيرَهم ... إذا كان مِنهمْ منعةٌ للمُسالِمِ
وقد كان مِنَّا يوم صِفِّينَ نَفْرةٌ ... عليك جناها هاشمٌ وابن هاشمِ
قضى اللهُ فيها ما قضى ثُمَّت انقضى ... وما مامَضَى إلاَّ كأَضغاثِ حالمِ
هى الوقعةُ العُظْمَى التى تَعرِفُونها ... وكلٌّ على ما قد مَضَى غيرُ نادمِ
فإن تَعفُ عنِّى تعفُ عن ذى قَرابةٍ ... وإن تَرَ قتلى تستحلَّ محارمِى

---

(١) الأشافى : جمع إشفى ، وهى مخصف الإسكاف . وفى الأصل : « الأثافى » بالثاء ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٦) .

(٢) فى الأصل : غشها غير سالم » ، وأثبت ما فى ح .

آخرُ الجزءِ الخامس يتلوه الجزءُ السادس : « نصر عمرو بن شمر ، عن السدى ، عن عبد خير الهمدانى » . وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله والحمد لله رب العالمين ، ونعوذ بالله من الزِّيادة والنقصان .

وجدت فى الجزءِ الثامن من نسخة عبد الوهاب بخطِّه : « سمع جميعه من الشيخ أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار ، الأَجلُّ السيِّد الأَوحد الإمام قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامَغانىّ وابناه القاضيان أَبو عبد الله محمد وأَبو الحُسين أَحمد ، وأَبو عبد الله محمد ابن القاضى أَبى الفتح بن البيضاوى ، والشريف أبو الفضل محمد ابن على بن أَبى يعلى الحسينى ، وأَبو منصور محمد بن محمد بن قرمى ، بقراءة عبد الوهاب بن المبارك بن أَحمد بن الحسن الأَنماطى . وذلك فى شعبان سنة أَربع وتسعين وأَربعمائة » .

الجزء السادس
من كتاب صفين
لنصر بن مزاحم

رواية أبي محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز

رواية أبي الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد

رواية أبي الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت

رواية أبي يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى

رواية أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى

رواية الشيخ الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى

سماع مظفر بن على بن محمد بن زيد بن ثابت المعروف بابن المنجم — غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى ، قال : أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفىّ بقراءتى عليه ، قال أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر : قال أبو الحسن محمد ابن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى : قال أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن محمد بن عقبة : قال أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز : قال أبو الفضل نصر بن مزاحم :

مصرع هاشم بن عتبة ورسالته إلى على

عمرو بن شمر ، عن السدى عن عبد الخير الهمدانى قال : قال هاشم ابن عتبة : أيُّها الناس ، إنى رجلٌ ضخم ، فلا يهولنَّكم مَسقَطى إنْ أنا سقَطت ؛ فإنه لا يُفرَغ منى أقلَّ من نَحرِ جزورٍ حتَّى يفرُغ الجزَّار من جَزْرها . ثم حمل فصُرع ، فمرَّ عليه رجلٌ وهو صريعٌ بين القتلى فقال له : اقرأْ [على] أمير المؤمنين السلامَ ورحمةَ الله ، وقل له : أَنشُدك بالله إلاَّ أَصبحتَ وقد ربطت مَقاوِدَ خيلِك بأَرجُل القتلى ، فإنَّ الدَّبْرَة تصبح غداً[1] لمن غلب عَلَى القتلى . فأَخبر الرَّجُل عليًّا بذلك ، فسار علىٌّ فى بعض الليل حتى جعل القتلى خَلْف ظهره . وكانت الدَّبرة له عليهم .

تحريض هاشم ابن عتبة

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن رجل[2] ، عن أبى سلمة : أن هاشم

---

(١) الدبرة ، بالفتح : العاقبة . فى الأصل : « تصبح عندك » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٧٨) .
(٢) ح : « نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبى » .

ابن عتبة دعا فى الناس عند المساء : « ألَا مَن كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل » . فأَقبل إليه ناسٌ ، فشدَّ فى عصابةٍ من أصحابه على أهل الشام مِراراً ، فليس من وجهٍ يَحمِل عليه[1] إلا صبروا له وقُوتل فيه قتالا شديداً ، فقال لأَصحابه : « لا يهولنَّكم ما تَرون من صَبرهم ، فوالله ما تَرون منهم إلا حميّة العَرَب وصَبْرَها تحتَ راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق . ياقوم اصبِروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدوِّنا على تؤدة رويداً . ثم تآسَوا وتَصابروا واذكروا الله ولا يُسلِمْ رجلٌ أخاه ، ولا تكثروا الالتفات ، واصمُدوا صَمْدَهم ، وجالدوهم محتَسِبين ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » . فقال أبو سلمة : فمضى فى عصابة من القُرَّاء فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابُه ، حتى رأى بعضَ ما يُسِرُّون به ، إذْ خرج عليهم فتًى شابٌّ يقول :

هاشم والفتى الغسانى ميته

أنا ابنُ أربابِ المُلوك غَسَّانْ والدّائنُ اليومَ بدينِ غَسَّانْ
أنبأَنا أقوامنا بما كانْ[2] أنَّ عليًّا قتل ابنَ عَفَّانْ

ثم شدَّ فلا ينثنى يضربُ بسيفه ، ثم [جعل] يلعن [عليًّا] ويشتمه ويسهب فى ذمِّه[3] ، فقال له هاشم بن عتبة : « إن هذا الكلام بعدَه الخصام ، وإنَّ هذا القتالَ بعده الحساب . فاتّق الله فإنّك راجعٌ إلى ربِّك فسائِلُك عن هذا الموقف وما أَردتَ به[4] » . قال : فإنى أُقاتلكم لأنَّ صاحبَكم لا يصلِّى كما ذُكر لى ، وأنكم لا تصلُّون ، وأُقاتلكم أنَّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله . فقال له هاشم : « وما أَنت وابنَ عفان ؟ إنما قتله أصحابُ محمدٍ وقرّاءُ الناس ، حين أحدثَ

(١) فى الأصل : « عليهم » ، صوابه فى ح .
(٢) ح (٢ : ٢٧٨) : « أنبأنا قراؤنا » .
(٣) فى الأصل : « ويشتم ويكثر الكلام » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) ح : « وعن هذا المقال » .

أحدَاثاً وخالفَ حكم الكتاب ، وأصحابُ محمد هم أصحاب الدِّين ، وأَوْلَى بالنَّظر فى أُمور المسلمين . وما أَظنُّ أَن أَمر هذه الأُمةِ ولا أَمرَ هذا الدِّينِ عَنَاك طرفةَ عينٍ قطُّ » . قال الفتى : أَجَلْ أَجَلْ ، والله لاأَكذبُ فإن الكذب يضرُّ ولا ينفع ، وَيَشِين ولا يَزين. فقال له هاشم : « إن هذا الأَمر لا علم لك به ، فخلِّه وأَهلَ العلم به» . قال : أَظنُّك والله قد نصحتَنى . وقال له هاشم : وأَمّا قولك إنَّ صاحبنا لا يصلِّى فهو أَول من صلَّى مع رسول الله وأَفقَهُه فى دين الله ، وأَولاه برسول الله . وأَمّا من ترى معه فكلُّهم قارئُ الكتاب ، لا ينامون الليلَ تهجُّدا . فلا يغررك عن دينك الأَشقياءُ المغرورون » . قال الفتى : يا عبد الله ، إنى لأَظنُّك امرأً صالحاً ، [وأَظننى مخطئاً آثماً] ، أَخبِرْنى هل تجد لِى من تَوْبة ؟ قال : « نعم ، تُب إلى الله يَتُبْ عليك؛ فإنه يقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويحب التَّوابين ويحبُّ المتطهِّرين » . قال : فذهب الفتى بين الناس راجعاً ، فقال له رجلٌ من أَهل الشام : خَدَعك العراقىّ ! قال : لا ، ولكن نصحنى العراقى ! وقاتلَ هاشِمٌ هو وأَصحابه قتالاً شديداً حتى أَتت كتيبةٌ لتنوخَ فشدُّوا على الناس ، فقاتَلَهم وهو يقول :

أَعور يبغِى أَهْله مَحَــلاَّ ... لا بد أَن يَفُلّ أَو يُفَلاَّ[1]

قد عالج الحيــاةَ حتّى مَلاَّ

حتى قتل تسعةَ نفر أَو عشرة ،وحمل عليه الحارثُ بن المنذر التنوخىّ فطعنه فسقط ، وبعث إليه علىٌّ : أَن قدِّم لواءك . فقال للرسول : انظُرْ إلى بطنى .. فاذا هو قد انشقّ . فأَخذ الرّايةَ رجلٌ من بكر بن وائل ؛ ورفع هاشمٌ رأْسَه فإذا هو بعبيدالله بن عمر بن الخطاب قتيلاً إلى جانبه ، فخَبَا[2]

(١) فى الأصل : « يغل أو يغلا » ، صوابه مما سبق ص ٣٢٧ .
(٢) فى الأصل : « فجثا » ، والوجه ما أثبت .

ميتة هاشم والبكرى على صدر عبيد الله بن عمر

حتى دنا منه ، فعض على ثديه حتى نيَّبتْ فيه أنيابه[1] . ثم ماتَ هاشمٌ وهو على صدر عبيد الله بن عمر ، وضُرب البكرىُّ فوقع ، فرفع رأسه فأبصر عُبيد الله بنَ عمرَ قريباً منه ، فحبا إليه[2] حتى عضَّ على ثديه الآخر حتى نيَّبت[3] أنيابُه فيه ، ومات أيضاً ، فوُجدا جميعاً على صدر عُبيد الله بن عمر ، هاشمٌ والبكرىّ قد ماتَا جميعاً .

أثر مصرع هاشم

ولما قُتل هاشمٌ جزِع الناسُ عليه جزعاً شديداً ، وأُصيب معه عصابةٌ مِنْ أسلم من القُرّاء ، فمرّ عليهم علىٌّ وهم قتلى حول أصحابه الذين قتلوا معه فقال :

جَزَى اللهُ خيراً عُصبةً أسلميّةً ... صِبَاحَ الوُجوهِ صُرِّعوا حولَ هاشِمِ

يزيد ، وعبد الله بشر ، ومعبدٌ ... وسفيان ، وابنا هاشمٍ ذى المكارمِ[4]

وعُروة لا يبعد ثناه وذكرُه ... إذا اخترِطَتْ يوماً خِفافُ الصَّوارمِ[5]

خطبة عبد الله ابن هاشم حين أخذ راية أبيه

ثم قال عبدُ الله بنُ هاشم وأخذ الرَّاية ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : « يأيُّها الناس ، إنَّ هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدّرَ أرزاقهم ، وكتب آثارهم ، وأحصى أعمالَهم ، وقضى آجالَهم ؛ فدعاه ربُّه الذى لا يُعصَى فأجابه ، وسلَّم الأمر لله وجاهد فى طاعةِ ابن عمٍّ رسول الله ، وأولِ مَن آمَن به ، وأفقههم فى دين الله ، المخالِف لأعداء الله المستحلِّين ما حرَّم الله ، الذين عملوا فى البلاد بالجَوْر والفساد ، واستحوذ عليهم الشَّيطانُ فزيّن لهم الإثم والعُدوان . فحقَّ عليكم جهادُ من خالف سُنَّة

(١) نيبت أنيابه : نشبت . وفى الأصل : « تبينت » ، وليس بشىء .

(٢) فى الأصل : « فجثا إليه » ، والصواب ما أثبت . ولم أعثر على هذا الخبر فى ح .

(٣) فى الأصل : « تبينت » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول .

(٤) ح : « يزيد وسعدان وبشر ومعبد * وسفيان وابنا معبد » .

(٥) ثناه ، أجدر بها أن تكون : « نثاه » بتقديم النون ، وهو ما أخبرت به عن الرجل من خير أو شر . اخترط السيف : استله .

رسولِ الله ، وعطَّلَ حدودَ الله ، وخالفَ أولياءَ الله . فجودوا بمُهَج أنفسِكم في طاعة الله في هذه الدُّنيا ، تصيبوا الآخرة والمنزلَ الأعلى ، والمُلْكَ الذى لا يبلى . فلو لم يكن ثوابٌ ولا عقاب ولا جنةٌ ولا نار ، لكان القتالُ مع علىّ أفضلَ من القتال مع معاوية ، ابن أكّالة الأكباد . فكيف وأنتم ترجون ما ترجون .

من شعر صفين

وقالت امرأة من أهل الشام :

لا تَعدموا قوماً أذاقوا ابنَ ياسرٍ ... شَعوباً ولم يُعطوكم بالخَزائمِ
فنحن قتلنا اليثربىَّ بن مِحْصنٍ ... خطيبَكمُ وابنى بُديلٍ وهاشمِ

وقال رجل من بنى عذرة :

لقد رأيتُ أموراً كلُّها عجبٌ ... وما رأيتُ كأيّامٍ بصِفِّينا
لمّا غَدَوْا وغدونا كلُّنا حَنِقٌ ... كما رأيتَ الجِمالَ الجِلّةَ الجُونا
خيلٌ تجولُ وخيلٌ فى أعنَّتها ... وآخرون على غيظٍ يُرامُونا
ثم ابتذلنا سيوفاً فى جماجمهم ... وما نُساقيهم من ذاك يَجْزُونا
كأنها فى أكفِّ القوم لامعةً ... سلاسِلُ البرق يَجْدَعْن العَرانينا
ثم انصرفنا كأشلاءٍ مقطَّعة ... وكلُّنا عند قتلاهم يُصَلُّونا

رثاء أبى عمرة ابن عمرو بن محصن

وقال عبد الله بن أبى مَعقِل بن نَهِيك بن يساف الأنصارىُّ ، قال : وفى حديث عمرو بن شمر : قال النجاشىُّ يبكى أبا عمرة بن عمرو بن مِحْصن[1] وقتل بصفِّين :

لَنعِم فَتَى الحيَّينِ عمرُو بن مِحْصَنٍ ... إذا صائح الحىِّ المصبِّحِ ثَوَّبا[2]

(١) هو بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى . ترجمته فى ١٨٥ .

(٢) صدر البيت يشهد بأن اسمه «عمرو» ، وهو أحد الأقوال التى قيلت فى اسمه . وفى الإصابة : « وقال ابن الكلبى : اسمه عمرو بن محصن » . المصبح : الذى صبحته الغارة . وفى الأصل : « المصيح » صوابه فى ح (٢ : ٢٧٨) . والتثويب : الاستصراخ ، وأصله أن يلوح المستصرخ بثوبه ليرى ويشتهر . ح : « إذا ما صارخ الحى » .

إذَاالخيل جالَتْ ،بينها قِصَدُ القنَا ... يُثِرْنَ عَجاجاً ساطعــاً متنصِّبَــا
لقد فُجع الأَنصارُ طُرًّا بسيِّــدٍ ... أَخى ثقةٍ فى الصَّالحين مجرَّبا
فيـارُبَّ خير قَد أَفَدْتَ ، وجَفنةٍ ... ملأْتَ ، وقِرْنٍ قد تَركتَ مخيَّبا[1]
ويارب خَصْمٍ قد رددتَ بغيظهِ ... فآب ذليلاً بعد ما كان مُغْضَبــا
ورايةِ مَجْدٍ قد حَملتَ وغَــزوةٍ ... شهدتَ إذا النِّكْسُ الجبانَ تهيَّبا
حووطا على جُلِّ العشيرةِ ماجـداً ... ولمْ يك فى الأَنصار نِكْساً مؤنَّبَا[2]
طويلَ عمود المجد رحباً فِناؤُه ... خَصِيباً إذا ما رائد الحىِّ أَجْدبا[3]
عظيمَ رماد النَّارِ لمْ يَكُ فاحشـاً ... ولا فَشِلا يومَ القِتال مغلَّبا
وكنتَ ربيعاً ينفعُ النَّاسَ سَيبُه ... وسيفاً جُرازاً باتِكَ الحدِّ مِقْضَبَا
فمن يكُ مسروراً بقتل ابن مِحْصنٍ ... فعاشَ شقيًّـا ثم مـاتَ معذَّبا
وغُودِر منــكبًّا لِفيــهِ ووَجْهـه ... يُعالجُ رُمْحاً ذا سِنانٍ وثعلبَــا
فإن تقتلُوا الحرَّالكريمَ ابنَ مِحْصنٍ ... فنحنُ قتلنا ذَا الكَلاع وحَوْشَبا
وإن تقتلوا اِبنى بُديلٍ وهاشماً ... فنحن تركنا منكم القَرْنَ أَعضَبَا
ونحنُ تركْنا حِميراً فى صفوفكم ... لدى الموت صَرْعَى كالنَّخِيل مشذبا
وأَفْلتنـا تحتَ الأَسِنَّة مَـرثدٌ ... وكان قديماً فى الفِـرار مُجرَّبا
ونحنُ تركْنا عند مختلَف القَنا ... أَخاكم عُبيدَ اللهِ لحمَـاً ملحَّبـا
بصِفِّين لما ارفضَّ عنه صفوفكم ... ووجه ابن عَتَّابٍ تركناه مُلْغَبا[4]

---

(١) ح : « مسلبا » .

(٢) ح : « حويطاً » . فى الأصل : « عضباً مشيباً » ، وأثبت ما فى ح .

(٣) فى الأصل : « حصينا » ، وصوابه فى ح .

(٤) ح : « عنه رجالكم » . وألغبه : أنصبه .

وطلحة من بعد الزبير ولم ندع لضبة فى الهيجا عَرِيفاً ومَنْكِبَا[1]
ونحن أحطنا بالبعيرِ وأهلِهِ ونحن سقيناكُمْ سِماماً مقشَّبا[2]

نصر : وكان ابن مِحصنٍ من أعلام أصحابِ علىٍّ عليه السلام ، قُتل فى المعركة ، وجَزع علىٌّ عليه السلام لقتله .

جزع على لمصرعه

قال : وفى قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وهو من الصحابة ، وقيل إنّه آخر من بقى من صحب رسول الله صلى الله عليه ، وشهد مع علىّ عليه السلام صفّين ، وكان من مخلصى الشِّيعة[3] :

رثاء أبي الطفيل لهاشم

ياهاشِمَ الخيرِ جُزِيتَ الجنَّهْ قاتلتَ فى اللهِ عدُوَّ السُّنَّهْ
والتَّاركى الحقِّ وأهلَ الظِّنَّهْ أعْظِمْ بما فُزْتَ به من مِنَّهْ
صيَّرنى الدهْرُ كأنِّى شَنَّهْ ياليتَ أهْلِى قد عَلَوْنى رَنَّهْ[4]
من حَوْبَةٍ وعَمَّةٍ وكَنَّهْ[5]

نصر : والحَوبة القرابة ، يقال لى فى بنى فلان حَوبةٌ أى قُربَى .

محاجة عدى بن حاتم

نصر ، عن عمرو بن شمر بإسناده قال : قال رجل يومئذ لعدىّ ابن حاتم — وكان من جِلَّة[6] أصحاب علىّ عليه السلام — : يا أبا طريف

---

(١) العريف : النقيب ، وهو دون الرئيس . والمنكب ، كمجلس : عون العريف . وقال الليث : رأس العرفاء .

(٢) البعير ، يعنى جمل عائشة الذى نسبت إليه الوقعة . والمقشب : المخلوط .

(٣) ترجمته سبقت فى ص ٣٠٩ .

(٤) الرنة : صيحة النياحة . وفى ح (٢ : ٢٧٩) :

* وسوف تعلو حول قبرى رنه *

(٥) الحوبة ، جاء فى تفسيرها عن أبى عبيد : « وبعض أهل العلم يتأوله على الأم خاصة . قال : وهى عندى كل حرمة تضيع إن تركها ، من أم أو أخت أو ابنة أو غيرها . والكنة ، بالفتح : امرأة الابن وامرأة الأخ .

(٦) ح : « جملة » .

أَلم أَسمَعْك تقولُ يومَ الدَّار : « واللهِ لا تَحْبِقُ فيها عناقٌ حَوْلِيَّةٌ[(١)] » ، وقد رأَيتَ ما كان فيها[(٢)] ؟ - وقد كانت فقئت عين عدىٍّ وقتل بنوه[(٣)] - قال : بلى والله لقد حَبَقَتْ[(٤)] فيه العَناقُ والتَّيس الأَعظم .

هزيمة الضحاك وعتبة بن أبي سفيان

وبعث علىٌّ خيلًا ليحبسوا عن معاويةَ مادّةً ، فبعث معاويةُ الضَّحاكَ ابن قيسٍ الفِهرىَّ فى خيلٍ إلى تلك الخيل فأَزالوها ، وجاءَت عيونُ علىٍّ فأَخبرته بما قد كان ، فقال علىٌّ لأَصحابه : فما ترون فيما هاهنا ؟ فقال بعضهم : نَرى كذا . وقال بعضهم : نرى كذا . فلما رأَى ذلك الاختلافَ أَمرهم بالغدوِّ إلى القوم ، فغاداهم إلى القتال قتالِ صفين ، فانهزم أَهلُ الشام وقد غَلب أَهل العراق على قتلى أَهل حمص ، وغَلَب أَهل الشام على قتلى أَهل العالية ، وانهزم عتبة بن أَبى سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة حتى أَتى الشام . فقال النجاشى من قصيدة أَولها:

شعر النجاشى فى فرار عتبة

لقــد أَمعنتَ ياعُتْبَ الفِـــرَارا وأَورثَكَ الـــوَغَى خِــزياً وعارا
فلا يُحْمِدْ خُصاك سِوى طِمِــرٌّ إذا أَجريْتَــهُ انهَمَرَ انهِمــارا

شعر كعب بن جعيل فى أيام صفين

وقال كعب بن جُعيل ، [وهو شاعر أَهل الشام ، بعد رفع المصاحف ، يذكر أَيام صِفِّين ويحرِّض معاوية] :

معـــاوى لا تنهَضْ بغير وثيقةٍ فإِنَّك بعد اليوم بالذُّلِّ عـــارفُ

---

(١) الحبق : ضراط المعز . وفى الأصل : «لا تخنق» ، صوابه فى ح . والعناق ، بالفتح : الأنثى من ولد المعز . والحولية : التى أتى عليها حول . ويروى أيضاً : « لا تحبق فى هذا الأمر عناق حولية » قال الميدانى : « يضرب المثل فى أمر لا يعبأ به ولا غير له ، أى لا يدرك فيه ثأر» وأول من قال هذا المثل عدى حين قتل عثمان . فيها : أى فى هذه الحادثة .

(٢) أى من وقعتى الجمل وصفين ، إذ طولب فيهما بدم عثمان .

(٣) عند الميدانى : « فلما كان يوم الجمل فقئت عين عدى وقتل ابنه بصفين » .

(٤) فى الأصل : « خنقت » ، صوابه فى ح وأمثال الميدانى .

تركتم عُبيدَ الله بالقاعِ مُسنَــدًا يمجُّ نجيعــاً والعــروقُ نوازفُ

ألا إنَّما تَبكى العيونُ لفــارسٍ بصِفِّين أَجْلَتْ خيلُه وهو واقفُ

ينوءُ وتعلوه شــآبيبُ من دَمٍ كما لاَحَ فى جَيبِ القميصِ اللَّفائفُ

يحلِّلْن عنه زِرَّ دِرْعٍ حصينــةٍ ويُبْدِيْنَ عنه بعدهنَّ معارفُ(١)

تبدَّلَ مِن أَسمــاءَ أَسيافَ وائلٍ وكانَ فتًى لو أخطأَتْه المتالفُ(٢)

ألا إنَّ شَرَّ النَّاسِ فى النَّاسِ كُلِّهمْ بنو أَسَدٍ ، إنِّى لما قلتُ عــارفُ

وفــرّت تميمٌ سَعْدُهــا وَرِبابُهــا وخالَفَت الجَعْرَاءُ فيمن يُخَالِفُ(٣)

رد أبي جهمة الأسدي

فرد عليه أَبو جهمة الأَسدى فقال :

تعرَّفتَ والعــرّاف تمــج أُمــه فإن كنتَ عرّافاً فلستَ تُقائِفُ(٤)

أَغرتم علينــا تَسرِقون بنَاتِنــا وليس لنا فى قاعِ صِفِّين قــائفُ

يجــالد مِن دون ابن عمٍّ محمدٍ من النَّاسِ شَهْبَاءُ المناكبِ شارفُ

فمــا برحوا حتى رأَى الله صبرهم وحتى أُتيحت بالأَكفِّ المصاحفُ(٥)

---

(١) ح (١ : ٤٩٨) : « وأنكر منه بعد ذلك معارف » .

(٢) أسماء هذه هى بنت عطارد بن حاجب بن زرارة ، زوج عبيد الله بن عمر ، كان قد أخرجها معزوجه الأخرى بحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيبانى؛ لينظرا إلى قتاله ، كما فى ح (١ : ٤٩٩).

(٣) فى الأصل : « وجالت تميم » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٧٩) . والجعراء : لقب بنى العنبر بن عمرو بن تميم . انظر القاموس (جعر) . وفى الأصل : « الجعداء » ، صوابه ما أثبت من ح . وقد سبق بعض أبيات هذه القصيدة فى ص ٢٩٨ — ٢٩٩ . وقال ابن أبى الحديد فى (١ : ٤٩٨) : « قلت : هذا الشعر نظمه كعب بن جعيل بعد رفع المصاحف وتحكيم الحكمين يذكر فيه ما مضى لهم من الحرب على عادة شعراء العرب » .

(٤) تمج أمه ، كذا وردت فى الأصل .

(٥) هذا البيت وسابقه يرويان فى شعر كعب بن جعيل ، كما سبق فى ٢٩٩ . وهذا البيت أيضاً يروى للحصين بن الحمام المرى ، كما فى اللسان (٦ : ٦٩) .

وقال أبو جَهمة الأَسدىّ :

أنا أبو جَهمة فى جلد الأَسَدْ | علىَّ منه لِبَدٌ فوق لِبَدْ
أَهجو بنى تغلبَ ما ينجى النَّقَدْ[1] | أَقْوَدُ من شئتَ وصعبٌ لم يُقَدْ

هجاء عتبة لكعب بن جعيل

وقال عتبة يهجو كعبَ بن جُعَيلٍ مجيباً له[2] :

سُمِّيتَ كعباً بشَرِّ العظامِ | وكان أَبوك سَوِىَّ الجُعَلْ[3]
وكان مكانُك[4] من وائلٍ | مَكانَ القُرَادِ مِنِ اْستِ الجَمَلْ

وقال كعب مجيباً له :

* سمِّيتَ عتَّاباً ولستَ بمُعتَبِ *

ارتجاز أبى الأعور وعبد الرحمن بن خالد

ثم إنَّ عليًّا أَمر مناديَه فنادى فى الناس : أَن اْخرجوا إلى مصافِّكم . فخرج النَّاسُ إلى مصافهم ، واقتتل الناسُ ، وأَقبل أبو الأَعور السلمى فقال :

أَضربهم ولا أَرى عليّـا | كفى بهذا حَزَناً عَلَيّا

وأَقبل عبد الرحمن بن خالد وهو يقول :

أنا عبد الرحمن وابنُ خالدِ | أَضربُ كلَّ قدمٍ وساعِدِ

وقعة الخميس

نصر : ثم كانت بين الفريقين الوقْعة المعروفة بـ « وقعة الخميس » ،

---

(١) النقد ، بالتحريك : جنس من الغنم قباح الوجوه صغار الأرجل ، يقال فيها : « أذل من نقد » .

(٢) ح (٢ : ٢٨٠) : « وهجا كعب بن جعيل عتبة بن أبي سفيان وعيره بالفرار ، وكان كعب من شيعة معاوية لكنه هجا عتبة تحريضاً له » . على أن البيتين يرويان للأخطل ، انظر ديوانه ٣٣٥ ، وشرح الحيوان (٥ : ٤٤١) حيث تخريج الشعر .

(٣) ح : « يسمى الجعل » .

(٤) ح : « وإن مكانك » . وفى الحيوان : « وأنت مكانك » ، ويروى : « وإن محلك » .

حدثنا بها عمر بن سعد ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم الهَجَرى[1] قال : حدثنا القعقاع بن الأبرد الطُّهَوىّ قال : والله إنّى لواقفٌ قريباً من علىّ بصِفّين يومَ وقعة الْخَميس ، [و] قد التقت مَذْحج ــ وكانوا فى ميمنة علىّ ــ وعكٌّ وجذامٌ ولخمٌ والأشعرون ، وكانوا مستبصِرين فى قتال علىّ . ولقد واللهِ رأيتُ ذلك اليوم مِن قتالهم ، وسمعتُ من وقْع السُّيوف على الرءُوس ، وخَبْط الخيولِ بحوافرها فى الأَرض وفى القتلى ، ما الجبال تَهِدُّ[2] ولا الصواعق تَصعَق ، بأَعظم هولاً فى الصُّدور من ذلك الصوت . نظرتُ إلى علىٍّ وهو قائمٌ فدنوتُ منه ، فسمعته يقول : « لا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله[3] ، والمستعانُ الله » . ثم نهضَ حين قام قائم الظهيرة وهو يقول : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ[4] ﴾ . وحَمَل على الناس بنفسه ، وسيفُه مجرَّدٌ بيده ، فلا واللهِ ما حجز بيننا إلاَّ الله ربُّ العالمين ، فى قريبٍ من ثُلث الليل ، وقُتِلت يومئذ أَعلامُ العربِ . وكان فى رأْس علىٍّ ثلاث ضَرَبات ، وفى وجهه ضربتان .

نصر : وقد قيل إن عليًّا لم يُجرَح قَطُّ .

صرعى يوم الخميس

وقُتِل فى هذا اليوم خُزيمة بن ثابت ذو الشهادتين[5] ، وقُتل من أهل

---

(١) هو إبراهيم بن مسلم العبدى ، أبو إسحاق الهجرى ، قال ابن حجر : « لين الحديث ، رفع موقوفات . من الخامسة » . تقريب التهذيب . وفى ح : « إبراهيم النخعى » ، تحريف .

(٢) الهدة : صوت تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل ، تقول منه : هد يهد ، بالكسر ، هديدا .

(٣) بعده فى ح : « اللهم إليك الشكوى وأنت المستعان » .

(٤) من الآية ٨٩ فى سورة الأعراف .

(٥) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصارى ، شهد بدراً وما بعدها ، وسمى ذا الشهادتين لأنه شهد للنبى على يهودى فى دين قضاه عليه السلام فقال : « كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه » ؟ قال : يا رسول الله نحن نصدقك على الوحى من السماء فكيف لا نصدقك على أنك قضيته ؟ فأنفذ عليه السلام شهادته وسماه « ذا الشهادتين » ؛ لأنه صير شهادته شهادة رجلين . الإصابة ٢٢٤٧ وجنى الجنتين ١٦٠ .

الشَّام عبد الله بن ذى الكَلَاع الحميرى ؛ فقال معقل بن نهيك بن يساف الأَنصارى :

يالهف نفسى ومَنْ يشفِى حزازَتَها إذ أَفلَتَ الفاسق الضِّلِّيلُ منطلِقا
وأَفلتَ الخيلَ عمرٌو وهى شاحبة
جُنْحَ الظَّلامِ يحثُّ الركضَ والعَنَقا[1]
وافت منيَّةُ عبدِ الله إذْ لحِقت قُبُّ البُطونِ به ،أَعجِزْ بمَنْ لَحِقا
وانساب مَروانُ فى الظَّلماءِمستتراً تحت الدُّجى كلما خاف الرَّدَى أَرِقا

قال : وقال مالك الأَشتر :

نحن قتلنا حوشباً لما غدا قد أَعْلَما
وذا الكلاع قبلَه ومَعبداً إذْ أَقْدَما
إن تقتلوا منا أبا الـ يَقْظانِ شَيخاً مُسْلِما
فقد قتلنا منكمُ سبعين رأساً مجرما
أَضْحَوا بصِفِّينَ وقد لاقَوا نكالا مؤْثِما

من أشعار صفين — وقال عامر بن الأَمين السُّلَمى :

كيف الحياة ولا أَراكَ حزينا وغَبَرْتَ فى فِتَنٍ كذاكَ سِنينا
ونسيتَ تَلذاذَ الحياةِ وعَيْشَها وركبت مِن تلك الأُمورِ فُنونا
ورجَعتُ قد أَبصَرْتُ أَمرىَ كلَّه وعرفْتُ دينى إذْ رأَيتَ يقينا
أَبلغْ معاويةَ السَّفيهَ بأَنَّنى فى عُصبةٍ ليسوا لدَيكَ قَطِينا
لا يغضبون لغير ابن نبيِّهم يرجُون فوزاً ، إن لقوكَ ، ثمينا

طائفة من المراثى — وقال عبد الله بن يزيد بن عاصم الأَنصارى يرثى من قُتل من أَصحابه :

يا عينُ جودى على قَتْلَى بصِفِّينا أَضحَوْا رُفاتاً وقد كانوا عَرانينا

---

(١) ح : « تحت العجاج تحث » .

أنَى لهَمْ صَرْفُ دهرٍ قد أَضرَّ بنَا   تَبًّا لقاتِلِهِم فى اليوم مدفونا[1]
كانوا أَعزَّة قومى قــد عرفتُهم   مأْوَى الضِّعاف وهم يُعْطُونَ ماعُونا
أَعزِزْ بمصرَعِهم ، تَبًّـا لقاتلهم ،   على النبيِّ وطُـوبَى للمُصابيينـا

وقال النضر بن عجلان الأَنصارى :

قد كنتُ عن صِفِّينَ فيما قد خلا   وجنودِ صِفّينٍ لَعَمْرِىَ غافِــلا
قد كنتُ حقًّا لا أُحاذِرُ فِتْنَــةً   ولقد أَكونُ بذاك حَقًّـا جاهلا
فرأَيتُ فى جمهور ذلك مُعظَمـا   ولقيتُ من لهوات ذاك عَياطلا[2]
كيف التفرُّقُ والوصىُّ إمـامنا   لا كيفَ إلاَّ حيــرةً وتخــاذُلا
لا تَغْتَبِنَّ عقولــكم لا خيرَ فى   مَنْ لم يكن عند البلابِلِ عــاقلا
وذرُوا معاوِيةَ الغَــوِىَّ وتابعــوا   دينَ الوصىِّ تصــادفوه عــاجلا

وقالت أَمينة الأَنصارية ترثى مالكاً :

منع اليــومَ أَن أَذوقَ رقــادا   مالكٌ إذْ مضى وكــان عِمــادا
يا أَبا الهيثم بنَ تيهــانَ إنِّى   صــرتُ للهمِّ مَعْدِناً ووِسَــادا
إذْ غــدا الفاسقُ الكَفورُ عليهمْ   إنَّه كــان مثلَهــا مُعتــادا
أَصبحُوا مثلَ مَنْ ثوى يومَ أُحْدٍ   يرحم الله تِلــكمُ الأَجســادا

وقالت ضبيعة بنة خزيمة بن ثابت ، تَرْثِى أَباها[3] صاحب الشهادتين :

عيْنِ جُودِى على خُزيمة بالدَّمْـ   ـعِ قَتيلِ الأَحزاب يومَ الفُراتِ
قتــلوا ذا الشهــادتين عُتُــوًّا   أَدْرَكَ الله منهــمُ بالتِّــراتِ
قتــلوهُ فى فتيــة غير عُــزْلٍ   يُسْرِعُون الرُّكوبَ للدَّعَــوَاتِ

---

(١) أنى يأنى : حان وقته . وفى الأصل : « أنا لهم » ، تحريف .
(٢) يقال هضبة عيطل : طويلة .
(٣) فى الأصل : « فى خزيمة أباها » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٨٠) .

نصرُوا السيِّد[1] الموفَّقَ ذا العَـدْ ل ودانُوا بذاك حتَّى المـمـاتِ
لعن اللهُ مَعشـراً قتـلوهُ ورمـاهم بالخِـزْى والآفـاتِ

كتاب معاوية إلى أبي أيوب وزياد بن سمية

نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن الأعمش قال ، كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصارى[2] صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه ، وكان سيِّداً معظَّماً من سادات الأنصار ، وكان من شيعة علىٍّ عليه السلام — كتاباً ، وكتب إلى زياد بن سُمَيَّة — وكان عاملاً لعلىٍّ عليه السلام على بعض فارسَ — كتاباً . فأمَّا كتابه إلى أبي أيوبَ فكان سطراً واحداً : « لا تنْسَى شَيباءُ أبا عُذْرتها ، ولا قاتلَ بِكْرِها » . فلم يَدْرِ أبو أيّوبَ ما هو ؟ فأتى به عليًّا وقال : يا أمير المؤمنين ، إن معاويةَ ابنَ أكَّالة الأكباد ، وكهف المنافقين ، كتب إلىَّ بكتابٍ لا أدرى ما هو ؟ فقال له علىٌّ : وأين الكتاب ؟ فدفعه إليه فقرأه وقال : نَعَم ، هذا مثلٌ ضربه لك ، يقول : ما أنسى الذى لا تنسى الشَّيباءُ ، لا تنسى أبا عذرتها . والشيباءُ : المرأة البكر ليلةَ افتضاضها[3] ، لا تنسى بعلَها الذى افترعَها أبدا ، ولا تنسى قاتل بِكْرِها وهو أوَّل ولدها . كذلك لا أنْسى أنا قتلَ عُثمان .

جواب زياد

وأما الكتاب الذى كتب إلى زياد فإنَّه كان وعيداً وتهدُّدا ، فقال زياد : « ويلى على معاويةَ ابنِ أكَّالة الأكباد ، وكهفِ المنافقين وبقيةِ الأحزاب ، يتهدَّدنى ويُوعدنى وبينى وبينه ابنُ عمٍّ محمد ، ومعه سبعون ألفاً طوائِع[4] ، سيوفُهم عند أذقانهم ، لا يلتفتُ رجلٌ منهم وراءه حتى

(١) فى الأصل : « نصروا أحمد » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٢) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصارى ، نزل عليه النبى صلى الله عليه لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده . وتوفى فى غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ . الإصابة ٢١٥٩ . وفى الأصل : « خالد بن أيوب » ، صوابه فى ح والإصابة .
(٣) قيل ياء « شيباء » بدل من واو ؛ لأن ماء الرجل شاب ماء المرأة ، ولم يسمع الأصل ، جعلوه بدلا لازماً ، كعيد وأعياد من العودة .
(٤) طوائع : جعله جمعاً لطائع والقياس طائعون . وفى ح (٢ : ٢٨١) : « سبعون ألفاً سيوفهم على عواتقهم ، يطيعونه فى جميع ما يأمرهم » .

يموت . أَمَا واللّٰه لئن خَلَص الأمرُ إلىّ ليجدنِّى أَحْمَر ضرَّاباً بالسَّيف » . والأَحمر يعنى أنه مولى ، فلما ادَّعاه معاوية صار عربياً [منافيًّا[1]] .

ما كتب معاوية فى أسفل كتاب أبى أيوب

[قال نصر] : و [روى عمرو بن شمر ، أن معاوية] كتب فى أسفل كتاب أَبى أَيُّوب :

أبلِغ لَدَيْكَ أَبا أَيّوبَ مألُكةً ... أَنَّا وقومَك مثلُ الذِّئبِ والنَّقَدِ
إمَّا قتلتم أَميرَ المؤمنينَ فَلاَ ... تَرجُوا الهَوادَةَ عندى آخِرَ الأَبدِ[2]
إنّ الذى نِلتُموه ظالِمِينَ له ... أَبقَتْ حرارتُه صَدْعاً على كَبِدِى
إنى حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ ... لقد قتلتُمْ إماماً غيرَ ذِى أَوَدِ
لا تحسَبُوا أَننى أَنسَى مُصِيبتَه ... وفى البلادِ مِن الأَنصارِ مِنْ أَحَدِ[3]
أَعزِزْ علىَّ بأَمرٍ لستَ نائلَه ... واجهَدْ علينا فلسْنَا بَيضَةَ البَلَدِ
قد أَبدل اللّٰه مِنكم خَيرَ ذى كَلَعٍ ... واليَحْصُبِيِّينَ أَهلَ الحقِّ فى الجنَدِ[4]
إن العراقَ لنا فَقْعٌ بقَرْقَرَةٍ ... أَو شحمةٌ بَزَّها شاوٍ ولم يَكَدِ[5]
والشامُ يَنزِلها الأَبرارُ ، بَلدتها ... أَمْنٌ ، وحَوْمتُها عِرِّيسَةُ الأَسَدِ[6]

على وأبو أيوب

فلما قرأَ الكتابَ علىٌّ عليه السلام قال : لشدَّ ما شحذكم معاوية[7] يامعشر الأَنصار ، أَجيبُوا الرَّجُل . فقال أَبو أَيُّوب : يا أَمير المؤمنين :

---

(١) منافياً : منسوبا إلى عبد مناف .

(٢) ح : « منا آخر الأبد » .

(٣) فى الأصل : « مصابته » ، ولم يقولوا فى المصيبة إلا « المصاب » بالتذكير . وأثبت ما فى ح .

(٤) بنو يحصب : بطن من حمير ؛ وحاؤه مثلثة . والجند بالتحريك : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا . ح : « أهل الخوف والجند » .

(٥) الفقع ، بالفتح : ضرب من أردأ الكمأة . والقرقرة : أرض مطمئنة لينة .

(٦) ح : « وبيضتها عريسة الأسد » .

(٧) فى الأصل : « لأشد » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٨١) .

ما أشاءُ أن أقول شيئاً من الشعر يعيَا به الرجالُ[١] إلا قلتُه . قال : فأنت إذاً أنت .

جواب أبي أيوب

فكتب أبو أيوب إلى معاوية : « [أما بعد فإنك كتبت إلىّ] : لا تنسى الشيباءُ[٢] — وقال فى هذا الحديث : الشيباءُ : الشمطاءُ — ثُكْلَ ولدِها ، ولا أبا عُذرتِها فضربتَها مثلًا بقتل عثمان . وما نحنُ[٣] وقتل عثمان ؟ إن الذى تربَّص بعثمان وثبَّط يزيدَ بنَ أسد[٤] وأهلَ الشام فى نُصرتِه لَأَنت ، وإنَّ الذين قتلوه لَغيرُ الأنصار؟ » . وكتب فى آخر كتابه :

لا توعِدنَّا ابنَ حربٍ إننا بشرٌ ... لانبتغى وُدَّ ذى البَغضاءِ من أحدِ
فاسعَوا جميعاً بَنِى الأَحزاب كلُّكمُ ... لسنَا نريد وَلاكمُ آخِرَ الأَبدِ[٥]
نحن الذين ضربنا الناسَ كلَّهم ... حتى استقاموا وكانوا عُرضةَ الأَوَدِ
والعامَ قصرُك مِنَّا أَنْ أَقمْتَ لنا ... ضَرباً يزيِّلُ بين الرُّوح والجَسدِ
أمَّا علىٌّ فإنا لنْ نُفارِقُه ... ما رَقرقَ الآلُ فى الدّاويَّةِ الجَرَدِ
إمَّا تبدّلتَ منَّا بعد نُصرتنا ... دِينَ الرَّسولِ أُناساً ساكِنِى الجَنَدِ
لا يعرفون أَضلَّ اللهُ سعْيَهمُ ... إلاَّ اتّباعَكمُ ، يا راعىَ النَّقَدِ
فقد بغى الحقَّ هَضْماً شرُّ ذى كَلَعٍ ... واليحصُبيُّو ن طُرًّا بيضَةُ البَلَدِ

(١) يعيا به : يعجز عنه . وفى الأصل : « يعبأ به » ، وفى ح : « يعتا به » .
(٢) فى الأصل : « أنت لا تنسى الشيباء » ، وكلمة « أنت » محرفة عن « كتبت » التى فى التكملة السابقة .
(٣) فى الأصل : « وما أنا » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) هو يزيد بن أسد ، جد خالد بن عبد الله القسرى . وكان مطاعاً فى أهل اليمن عظيم الشأن ، وجهه معاوية لنصر عثمان فى أربعة آلاف ، فجاء إلى المدينة فوجد عثمان قد قتل ، فلم يحدث شيئاً . انظر الإصابة ٩٢٢٩ .
(٥) ولاكم : أى ولاءكم . وفى ح : « رضاكم » .

ألا نُدافع كفًّا دُونَ صاحبهـــا   حد الشِّقاقِ ولا أم ولا ولد[1]

فلمَّا أُتِيَ معاويةُ بكتاب أَبِي أَيُّوبٍ كسرَه .

صفة معركة صفين

نصر ، قال : وذكر عمر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن عبد الرحمن عن أبيه ، عن أَبي سليمان الحضرمى ـ وكان حضرها أَبو سليمانَ مع على ـ : أَنَّ الفيلقين التقيا بصِفِّين ، واضطربوا بالسُّيوف ليس معهم غيرُها إلى نِصف اللَّيل .

نصر ، قال عمر : وحدثنى مجالد ، عن الشعبى ، عن زياد بن النضر الحارثى ، وكان على مقدمة علىّ ، قال : شهدتُ مع علىٍّ بصفِّين ، فاقتتلنا ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليال ، حتَّى تكسَّرت الرِّماح ، ونفِدَت السهام ، ثم صرنا إلى المسايفة[2] فاجتَلَدْنا بها إلى نصف الليل ، حتى صِرْنا نحنُ وأَهلُ الشَّام فى اليوم الثالثِ يعانقُ بعضُنا بعضاً ، وقد قاتلتُ ليلتئذٍ بجميع السلاح ، فلم يبق شىءٌ من السلاح إلاَّ قاتلتُ به ، حتَّى تحاثَينا بالتُّرابِ ، وتكادَمْنا [بالأَفواه] ، حتَّى صرنا قياماً ينظر بعضُنا إلى بعض[3] ما يستطيعُ واحدٌ من الفريقين ينهضُ إلى صاحبه ولا يقاتل . فلما كان نصفُ الليل من الليلة الثالثة انحازَ معاويةُ وخيلُه من الصف ، وغلب علىٌّ عليه السلام على القتلى فى تلك الليلة ، وأَقبل على أَصحاب محمدٍ صلى الله عليه وأَصحابه فدفنَهم ، وقد قُتل كثيرٌ منهم، وقُتل من أَصحاب معاويةَ أَكثر ، وقتل فيهم تلك الليلة شِمِر بن أَبرهة ،وقتل عامّة من أَصحاب علىٍّ يومئذ ، فقال عمارة :

من أشعار صفين

قالت أُمامةُ : ما للونك شاحبــاً   والحربُ تَشْحَبُ ذا الحديدالباسلِ

(١) كذا ورد هذا البيت .

(٢) فى الأصل : « صارت إلى المسايفة » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٨١) .

(٣) بعدها فى الأصل : « حتى صرنا قياماً » ، وهى عبارة مكررة .

أنَّى يكونُ أبوك أبيضَ صافياً بين السَّمائم فوقَ متن السَّائل
تغْدو الكتائبُ حولَه ويسوقهمْ مِثلَ الاسود بكلِّ لَدْن ذابلِ
خُزْرَالعُيون من الوُفود لدى الوَغَى بالبِيض تَلمع كالشَّرار الطاسلِ[1]
قالوا معاويةَ بنَ حرب بايِعُوا والحربُ شائلةٌ كظَهر البازل
فخرجتُ مُخْترِماً أَجرُّ فُضُولَها حَتى خلَصْتُ إلى مقامِ القَاتل[2]

وقال عمرو بن العاص :

إذا تخازَرْت وما بى من خَزَرْ[3] ثم خبأْت العينَ من غير عَوَرْ[4]
ألفيتَنى أَلْوَى بَعيد المستَمَرّ[5] ذا صَولةٍ فى المصْمَئِلاَّتِ الكُبَرْ
أَحمِلُ ما حُمِّلتُ مِن خيرٍ وشَرّْ كالحيَّةِ الصَّمَّاءِ فى أَصل الصَّخَرْ

وقال محمد بن عمرو بن العاص :

لو شهِدَتْ جُمْلُ مَقامى ومَوقِفِى بصِفِّين يوماً شابَ منها الذَّوائبُ
غدَاةَ غدَا أَهلُ العِراق كأَنَّهُمْ من البحر موجٌ لُجُّهُ متراكبُ
وجئناهُمُ نمشِى صُفوفاً كأَنَّنا سحابُ خريفٍ صفَّقته الجنائبُ
فطار إلينا بالرِّماحِ كُمَاتُهُمْ وطِرْنا إليهم والسيوفُ قواضبُ
فدارَتْ رَحانا واستدارت رحاهُم سَرَاةَ النَّهارِ ماتُوَلِّى المناكبُ

(١) الطاسل : الجارى المضطرب ، من قولهم طسل السراب : اضطرب .

(٢) مخترماً : يخترم الأقران ، أى يستأصلهم . وفى الأصل : « محترماً » . فضولها : أى فضول الدرع السابغة . مقام القاتل ، يعنى نفسه . وبعده فى الأصل : ويقرقعونه كقرن الحائل » ، ولعلها رواية محرفة لعجز أحد الأبيات السابقة .

(٣) التخازر : إظهار الخزر ، وهو ضيق العين وصغرها .

(٤) ح (٢ : ٢٨١) : « ثم كسرت العين » .

(٥) الألوى : الشديد الخصومة .

إذا قلت يوماً قد وَنَوا برزت لنا كتائبُ حُمرٌ وارجحنَّتْ كتائب[1]
فقالوا: نَرَى مِنْ رأْيِنا أن تُبَايعوا عليًّا فقلنا بل نَرى أن تضاربوا
فأُبْنا وقد نَالوا سَرَاة رِجالِنا وليْس لما لَاقَوْا سِوَى اللهِ حاسبُ
فلم أَر يوماً كانَ أَكثَرَ باكِياً ولا عارضاً منهم كمِيًّا يُكالِبُ
كأَنَّ تَلالِي البِيضِ فينا وفيهم تلأْلُؤُ بَرقٍ فى تهامةَ ثاقبُ[2]

فردَّ عليه محمد بن أبى طالب:

لو شهدَتْ جُملٌ مقامَك أبصرَتْ مَقامَ لَئيمٍ وَسْطَ تلك الكتائبِ
أَتذكُرُ يوماً لم يكن لَكَ فخرُهُ وقد ظَهَرَتْ فيها عليك الجلائبُ[3]
وأَعطيتمونا ما نَقِمْتُمْ أَذِلَّةً على غيرِ تَقوى اللهِ والدِّينُ واصبُ[4]

وروى: «خوف العواقب»:

قول على فى نداء عمرو بن العاص

نصر: عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: والله إنى مع علىٍّ حين أتاه علقمةُ بن زُهيرٍ الأنصارى فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عمرَو ابن العاص ينادى ثَمَّ:

أنا الغلامُ القرشىُّ المؤتمنْ الماجدُ الأَبلجُ ليثٌ كالشَّطنْ
يرضى به الشامُ إلى أرض عدنْ ياقادةَ الكوفة من أهل الفتنْ
يأَيُّها الأَشرافُ مِنْ أَهل اليمنْ أَضربُكُمْ ولا أَرى أَبا حَسَنْ

---

(١) فى الأصل: «إذا قلت قد استهزموا»، وأثبت ما فى ح. كتائب حمر، لما علاها من صدأ الحديد. ح: «كتائب منهم».
(٢) تلالى، مصدر من تلالا المسهلة، كما تقول: تراضى تراضيا.
(٣) الجلائب: العبيد يجلبون من بلد إلى غيره..
(٤) واصب، أى طاعته دائمة واجبة أبداً. وفى الكتاب: (وله الدين واصبا).

أعنى عليًّا وابنَ عمٍّ المـؤتَمَنْ كفى بهذا حَزَناً من الحَـزَنْ

فضحك علىٌّ ثم قال : أما والله لقد حادَ عُدَىٌّ الله عنّى ، وإنَّه بمكانى لعالمٌ ، كما قال العربى : « غيرَ الوَهْىِ ترقَعِين وأنت مُبْصِرة[(١)] » ، ويْحكم ، أرونى مكانه لِلّه أبوكُم ، وخَلاَكُمْ ذمّ .

شعر للنجاشى فى مدح على

وقال النجاشى يمدح عليا :

إنِّى إخالُ عَلِيًّا غير مرتـدعٍ حَتَّى يؤدِّى كتابُ اللهِ والذِّممُ[(٢)]
حَتَّى ترى النَّقْعَ معصوباً بلمَّتـه نَقْعَ القبائل ، فى عرنينِه شممُ[(٣)]
غضبانُ يحـرُق نابَيـه بحِرَّتِهِ كما يَغُطُّ الفَنيقُ المصعَبُ القَطِمُ[(٤)]
حتَّى يُزيل ابنَ حرب عن إمارته كما تنكَّب تيسَ الحُبلة الحُلمُ[(٥)]
أو أن تَرَوْه كمثلِ الصَّقرِ مرتبئاً يخفقْنَ من حوله العِقبانُ والرَّخَمُ

شعر للنجاشى فى مدح على وهجو معاوية

وقال النجاشى أيضاً يمدح عليًّا ويهجو معاويةَ وقد بلغه أنَّه يتهدَّدُه[(٦)]

يأيُّها الرَّجُل المُبْـدِى عـداوتَه روِّ لنَفسِك أىَّ الأَمـر تـأْتمـرُ

---

(١) فى الأصل : « عين للوهى » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٨٢) . والوهى ، بالفتح : الشق فى الشىء .

(٢) فى الأصل : « غير منهى » وهى من ضرورة الشعر ، لكن كتب بجوارها «ن : مرتدع» أى إنها كذلك فى نسخة أخرى ، وهذه الأخيرة رواية ح .

(٣) فى الأصل : « حتى ترى النقع » ، وفى ح : « أما ترى النقع » .

(٤) حرق نابيه يحرقهما ، بالضم والكسر : سحقهما حتى سمع لهما صريف . المصعب : الفحل . والقطم : المشتهى للضراب . وفى الأصل : « المغضب القطم » ، والوجه ما أثبت من ح .

(٥) الحبلة ، بالضم : ثمر عامة العضاه . وهم ينسبون التيس أيضاً فيقولون : « تيس الربل » وهو ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر . انظر الحيوان (٤ : ١٣٤/٦ : ١٢٣) . وفى الأصل : « الجلة » ، وفى ح : « الخلة »ولا وجه لهما .

(٦) ح : « قال نصر : « وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبى قال : بلغ النجاشى أن معاوية تهدده فقال » .

لاَ تحسبَنِّى كأقـوام ملكتَهُمُ طَوْعَ الأَعِنَّة لمَّا ترشح العُـذرُ
وما علمتُ بما أضمرتَ من حَنَقٍ حتَّى أتتنى به الرُّكبانُ والنُّذُرُ
فإن نَفِسْتَ على الأَمجاد مجدَهُمُ فابسُطْ يديكَ فإنَّ الخيرَ مُبتدَرُ
واعلم بأَنَّ علىَّ الخيرِ مِنْ نَفَرٍ مِثْلِ الأَهِلَّةِ لا يعلوهُمُ بَشَـرُ
لا يرتقى الحاسدُ الغضبانُ مَجْدَهُم (١) ما دام بالحَزْنِ من صَمَّائِها حَجَرُ
بئسَ الفَتَى أنتَ إلاَّ أَنَّ بينَكُما كما تفاضَلَ ضَوْءُ الشَّمسِ والقمرُ
ولا إخالُكَ إلاَّ لَسْتَ منتهيـاً حَتَّى يَمَسَّكَ مِنْ أظفارِهِ ظُفُـرُ
لا تحمَدَنَّ أمراً حَتَّى تُجـرِّبَه ولا تذمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُهُ الخُبُـرُ
إنى امرؤٌ قلَّما أُثنِى على أَحَـدٍ حَتَّى أرى بعضَ ما يأْتى وما يَذَرُ
إنِّى إذا معشرٌ كانت عداوتُهُمْ فى الصَّدْرِ أو كانَ فى أبصارهم خَزَرُ
جمَّعتُ صبراً جراميزى بقافيةٍ (٢) لا يَبرحُ الدَّهرَ منها فيهمُ أَثَرُ

فلما بلغَ هٰذا الشِّعرُ معاويةَ قال : ما أراه إلا قد قارب » .

توقع لذى الجناحين

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك ابن عبد الله ، عن ابن أبى شقيق ، أن عبد الله بن جعفرٍ ذى الجَناحين كان يحملُ على الخيل بصِفِّين ، إذ جاءَ رجلٌ من خزيمة فقال : هل من فَرَس ؟ قال : نعم ، خذْ أىَّ الخيلِ شئتَ . فلمّا ولَّى قال ابنُ جعفر : إن يُصِبْ أفضلَ الخيل يُقْتَل . قال : فما عَتَّم أَنْ أَخَذَ أَفضلَ الخيل فرَكبه ، وحمل على الذى دَعاه إلى البرِاز ، فقتله الشامىّ .

وصف لمعركة صفين

وحَمَل غلامان من الأَنصار جميعاً أخوانِ ، حَتَّى انتهيا إلى سرادق

(١) ح : « لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم » .

(٢) جمع جراميزه ، إذا تجمع ليثب . فى الأصل : « بعافية » ، صوابه فى ح . وأراد بالقافية الشعر يقوله فى الهجو .

معاوية فقُتلا عنده ، وأقبلت الكتائبُ بعضُها نحوَ بعضٍ ، فاقتتلت قياماً فى الركب ، لا يَسمعُ السامع إلاَّ وقع السُّيوف على البَيض والدَّرَق .

وقال عمرو بن العاص :

من أشعار صفين

أجئتم إلينـــا تسفِكون دِمَاءَنا ... وما رُمْتمُ وَعْرٌ من الأَمر أَعْسَـــرُ
لعمرى لَمَا فيه يكون حِجاجُنا[(١)] ... إلى اللهِ أَدْهَى لو عقَلْتم وأنـــكَرُ
تعاورتمُ ضَرْباً بـــكلِّ مهنَّـــد ... إذا شدَّ وَرْدانٌ تقدَّمَ قَنْبَرُ[(٢)]
كتائبكم طوراً تَشُـــدُّ وتـــارةً ... كتائبُنا فيها القَنا والسَّنَوَّرُ[(٣)]
إذا ما التقَوا يوماً تدارَكَ بينَهم ... طِعانٌ وموتٌ فى المَعَارِكِ أَحمرُ[(٤)]

وقال مُرّة بن جُنَادة العُلَيمىّ :

لله درُّ عِصـــابةٍ فى مَـــأْقِطٍ ... شَهِدوا مَجَال الخَيْلِ تحتَ قَتَامِها
شهِدُوا ليُوثاً ليس يُدرَك مِثلُهم ... عند الهِياج تذُبُّ عَنْ آجامِها[(٥)]
خُزْرَ العُيون ، إذا أَردتَ قتالَهم ... برزُوا سِمَاحاً كلُّهُمْ بحِمامِها[(٦)]
لا ينكُلُون إذا تقوَّضَ صفُّهم ... جزَعاً على الإخوان عند جِلامِها
فوق البَرَاح من السَّوابحِ بالقنَا ... يَرْدِينَ مَهْيَعَةَ الطَّريق بهامِهـــا[(٧)]

---

(١) فى الأصل : « حجامنا » ، صوابه فى ح .

(٢) وردان : غلام عمرو بن العاص . انظر ص ٣٥ ، ٣٦ . وقنبر ، بوزن جعفر : مولى على . انظر الحاشية الرابعة من ص ٤٣ .

(٣) السنور : جملة السلاح ، وخص به بعضهم الدروع .

(٤) فى الأصل : « إذا ما التقوا حرباً » و : « فى المبارك » ، صوابهما فى ح .

(٥) الأجمة : الشجر الكثير الملتف. فى الأصل : «يذب عند إجامها»، والصواب ما أثبت . وهذه المقطوعة لم ترد فى ل .

(٦) السماح : جمع سمح ، وهو الجواد . بحمامها ، بحمام النفوس أى موتها المقدر لها .

(٧) السوابح : الخيل تسبح فى جريها . يردين من الرديان ، وهو ضرب من السير .

وقال العليمى :

يا كلبُ ذُبُّوا عن حَريم نِسائكم ... كما ذبَّ فحلُ الشَّول بين عِشارِها
ولا تجزَعُوا إنَّ الحروب لَمُــرَّةٌ ... إذا ذِيق منها الطَّعْمُ عند زِيارِها
فإنَّ عَلِيًّــا قــد أتاكم بفتيــة ... محــدَّدة أنيابُها مَــعْ شِفارِها
إذا نُدِبُوا للحرب سَارَعَ مِنهمُ ... فوارسُ حَرْبٍ كالأُسود ابتكارها
يخفُّونَ دُون الرَّوع فى جَمْعِ قَومهم ... بكلِّ قَضوبٍ مِقْصَلٍ فى حِذارها[1]

وقال سِمَاك[2] بن خرَشة الجُعفىُّ ، من خيل على :

لقد علمتْ غَسَّانُ عندَ اعتزامِهــا ... بأنَّا لدَى الهيجاء مثلُ السَّعائِرِ
مقاويلُ أيســارٌ لهــاميمُ سَــادَةٌ ... إذا سالَ بالجريالِ شَعر البَياطِرِ
مساعيرُ لم يوجَدْ لهم يومُ نَبْــوة ... مطاعينُ أبطالٌ غداةَ التَّناحُرِ
ترانا إذا ما الحربُ دَرَّتْ وأنشبَتْ ... رواسيَها، فى الحَرْبِ مثلَ الضَّباطِرِ[3]
فلم نرَ حيًّا دَافعوا مِثْــلَ دفعنــا ... غداةَ قَتلنا مُكْنِفاً وابنَ عــامرِ
أكرَّ وأحْمَى عند وقع سيوفِهــا ... إذا سافت العِقبانُ تحتَ الحوافِرِ
همُ ناوشُونا عن حريم دِيارِهم ... غداةَ التقينا بالسُّيوفِ البواترِ

وقال رجلٌ من كلب مع معاوية ، يهجو أهل العراق ويوبِّخهم :

لقــد ضلَّتْ معاشِرُ من نِزارٍ ... إذا انقــادُوا لمثلِ أبى تــرابِ
وإنَّهم وبيعتَهُــمْ عَليًّــا ... كواشمةِ التَّغَضُّنِ بالخِضابِ[4]

---

(١) القضوب : القاطع ، يعنى السيف . وفى الأصل : « صعوب » . وهذه المقطوعة لم ترد فى ح .

(٢) سماك ، بوزن كتاب ، كما فى القاموس والإصابة . وخرشة ، بالتحريك . وهما صحابيان يقال لكل منهما سماك بن خرشة ، ويفرق بينهما بالكنية . أما أحدهما وهو أبو دجانة فلم يشهد صفين ، وشهدها الآخر . انظر الإصابة ٣٤٥٨ .

(٣) الضباطر : جمع ضبطر ، وهو الأسد الماضى الشديد . وفى الأصل : « الصياخر » .

(٤) التغضن : تكسر الجلد وتثنيه . فى الأصل : « تغضر » ، صوابه فى ح .

تزيِّنُ من سَفاهتهــا يدَيهــا	وتحسِرُ باليــدينِ عن النِّقابِ
فإيّاكم وداهيـــةً نَـــؤُوداً	تسير إليكم تحت العُقــابِ[1]
إذا هشُّوا سمِعتَ لحافَتيهم	دَوِيًّا مثلَ تصفيق السَّحابِ[2]
يُجيبــون الصَّريخَ إذا دعــاهمْ	إلى طعنِ الفوارسِ بالحِــرابِ
عليهم كــلُّ سابغــةٍ دِلاصٍ	وأبيضَ صــارمٍ مثْلِ الشِّهابِ

وقال الأحمر — وقُتل مع علىّ :

قد علمت غَسّانُ مَــعْ جُذَامِ	إنِّى كريمٌ ثَبَتُ المَقــامِ[3]
أحْمى إذا ما زِيلَ بالأَقــدامِ	والتقَتِ الجِـرْيالُ بالأَهدام
إنِّى وربِّ البيتِ والإحــرامِ	لستُ أُحامى عــورة القَمْقَــامِ

وقال الشيخ بن بشر الجُذامىّ :

يالهفَ نفسِى على جُذَامَ وقَــدْ	هُزَّتْ صُدورُ الرِّماحِ والْخِــرَقِ
كانوا لَدَى الحربِ فى مواطنهم	أُسْدًا إذا انساب سائلُ العَــلقِ
فاليوم لا يَدْفَعون إن دُهِمُــوا	ولا يردُّون شــامَةَ الغَــلِقِ[4]
فاليومَ لا يُنصِفون إخوتَهــم	عنــد وُقوع الحُــروبِ بالحَلقِ

وقال الأشتر :

وسار ابنُ حربٍ بالغَوايةِ يَبْتَغى	قِتالَ علىٍّ والجيوشُ مع الْحَفْــلِ

---

(١) النؤود : الداهية . وفى الأصل : « تروها »، صوابه فى ح (٢ : ٢٨٣) . والعقاب : راية معاوية ، كما سيأتى فى قول النجاشى :

رأيت اللواء لواء العقــاب	يقحمــه الشــانئ الأخزر

(٢) فى ح : « إذا ساروا » .
(٣) الثبت ، بالفتح : الذى لا يبرح . وحرك الباء للشعر .
(٤) الشامة : الناقة السوداء . والغلق : الجانى ، والأسير . وفى الأصل : « العلق » .

سِرْنا إليهم جهرةً فى بلادِهم   فصُلْنا عليهم بالسُّيوفِ وبالنَّبلِ
فأهلكهم ربِّى وفــرَّقَ جمعَهم   وكانلنا عوناً وذاقُوا رَدَى الْخَبْل

عمرو بن العاص وحمزة ابن عتبة

ثم إنَّ معاوية أرسل عمرو بنَ العاصِ فى خيلٍ عظيمة ، فلقيه حمزة ابن عتبة بن أَبى وقَّاص ، فقاتله حمزة ، وجعل حمزةُ يطعن بالرُّمح ويقول :

ماذا يُرَجَّى مِن رئيسٍ مَــلاَّ   لستُ بفرَّارٍ ولا زُمَّيْــلاَ(1)
فى قومه مستبــدَلاً مُــدِلاَّ   قــد سئِمَ الحيــاةَ واستمــلاَّ
وكلَّ أغراضٍ له تَمَــلاَّ(2)

وذلك عند غروب الشمس . وقال حمزة :

دعانِى عمرٌو للِّقــاءِ فــلم أُقِلْ   وأَىُّ جوادٍ لا يُقال له هَنِى(3)
وولَّى على طِرْفٍ يجولُ بشِــكَّةٍ   مقلَّصَةٍ أحشــاؤُه ليس ينثنِى(4)
فلو أدركَته البِيضُ تحتَ لوائه   لغُودِرَ مجدولاً تعاوَرُهُ القُنِى(5)
عليه نجيعٌ من دِمــاءٍ تنوشُــه   قَشاعِمُ شُهبٌ فى السباسبِ تَجْتَنِى

فرجع عمرٌو إلى معاوية فحدَّثه فقال: لقد لقيتُ اليومَ رجلاً [هو(6)] خليقٌ أن تدُوسَه الخيلُ بسنابكها ، أو تُذْرِيَه فى مداركها ، كدَوس

---

(1) الزميل : الضعيف الجبان الرذل . وفى الأصل : « زملا » ، تحريف .

(2) تملى العيش : استمتع به طويلا .

(3) هنى ، أى ياهنى . أراد أن كل جواد يستدعى ويطلب . وفى الأصل : « وإنى جواد » . ونحوه فى الأسلوب قول ليلى الأخيلية :

تعيرنا داء بأمك مثله   وأى حصان لا يقال لها هلا

الحصان ، بالفتح : المرأة العفيفة . وهلا بمعنى أسرعى .

(4) الطرف : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأبوين . ويجول ، من الجولة فى الحرب . وفى الأصل : « يجوب » . والشكة : السلاح .

(5) مجدولا : صريعاً . وفى الأصل : « مخذولا » . والقنى ، على وزن فعول : الرماح واحدها قناة .

(6) ليست فى الأصل . والخبر لم يرو فى مظنه من ح .

الجِصرم ؛ وهو ضعيف الكبد ، شديدُ البَطْش ، يتلمَّظ تلمُّظ الشمطاءِ المفجَّعة ، فأَتاه غمر — فقال — إذْ به عندنا واللهِ ضَرَبَ كضَرْبِ القُدار[1] ، مرن الشَّراسيف ، بالشفار الواقع ، تشمص له النشوز فى سَراعيف الخيل . فحمل عليه فدخل تحت بطن فرسه فطعنه حتى جدله عن فرسه ، وجاءَ أَصحابه فحملوه فعاش ثلاثة أيام ثم مات[2] .

مقتل حمزة ابن عتبة

وهو الذى جعل معاويةُ ابنَه على عطائه . وقُتل حمزة يوم التُّلَيل المنفرد . وقال حمزة :

بلِّغا عنِّى السَّكُونَ وهَلْ لى ... من رسول إليهمُ غير آنِ
لم أَصُدَّ السِّنانَ عن سُبَّقِ الْخيْـ ... ـل ولم أَتَّقِى هُذامَ السِّنانِ[3]
حين ضَجَّ الشَّعاع مِن نَدَبِ الخيـ ... ـل لحربٍ وهَرَّ الكماةُ وقْع اللِّدانِ[4]
ومشَى القومُ بالسُّيوف إلى القَوْ ... م كمَشْيِ الجِمال بين الإِرانِ

شعر لعمرو ابن العاص

وقال عمرو بن العاص :

أَن لو شهدتَ فوارساً فى قومنا ... يومَ القوارع مَرَّ مرَّ الأَجْهَلِ
لرأَيتَ مأْسَدَةً شوارِعَ بالقنا ... جُونَ الجُلودِ من الحديد المرسلِ[5]

---

(١) القدار ، بالضم : الجزار . وفى الأصل : « القداد » تحريف . قال مهلهل :

إنا لنضرب بالصوارم هامها ... ضرب القدار نقيعة القدام

(٢) فى هذا الكلام تحريف لم أجد مرجعاً لتحقيقه .

(٣) سنان هذام : حديد قاطع .

(٤) الشعاع ، بالفتح : ما تفرق وانتشر من الدم إثر الطعنة . والندب : آثار الجراحات واللدان : جمع لدن ، وهو اللين من الرماح . وفى الأصل : « الجبان » ، ولا وجه له . قال المفضل بن المهلب :

ومن هر أطراف القنا خشية الردى ... فليس لمجد صالح بكسوب

وقال عنترة :

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً ... نزايلكم حتى تهروا العواليا

(٥) أى اسودت جلودهم من لبس الحديد والسلاح . والجون بالضم : جمع جون ، بالفتح ، وهو الأسود . وفى الأصل : « دون » ، تحريف .

متسربلين سوابغاً عادِيَّةً ادفوا الملوك بكل عضب مِقْصَلِ[1]
يمشون فى عَنَت الطَّريق كأنَّهم أُسْدٌ تَقَلْقَلُ فى غَرِيفِ الحسكلِ
يحْمَوْن إِذْ دُهموا وذَاكَ فِعالُهم عند البَديهة فى عَجاج القَسْطَلِ
النَّازلون أَمامَ كل كريهة تُخْشَى عوائِدُها غداةَ الفَيْصَل
والخيلُ غائِرةُ العُيون كأَنَّما كُحِلت مآقيها بزُرق الكعطل[2]
يَعدون إذ ضجَّ المنادى فيهم نحو المنادى بَذْخةً فى القَنْبَلِ[3]
ودنا الكماةُ من الكُماة وأَعْمَلَتْ زُرقاً تعمُّ سراتَهم كالمشْعَل[4]

وقال الأَحمر :

كلُّ امرئٍ لا بدَّ يوماً ميِّتٌ والموت حقٌّ فاعرِفَنَّ وصيَّهْ

عدى بن حاتم وعلى

وجاء عدىُّ بن حاتمٍ يلتمس عليًّا ، ما يطأُ إلاَّ على إنسانٍ ميت أو قدَمٍ أَو ساعد ، فوجده تحتَ راياتِ بكر بن وائل ، فقال: يا أَمير المؤمنين ، أَلا نقوم حتَّى نموت ؟ فقال علىٌّ : ادْنُهْ . فدنا حتى وضع أُذُنَهُ عند أَنفه فقال : ويحَك ، إنَّ عامَّة مَن معى يعصينى ، وإنَّ معاوية فيمن يطيعُه ولا يعصيه .

من أشعار صفين

وقال أَبو حبة بن غَزِيَّة الأَنصارى ؛ واسمه عمرو[5] ، وهو الذى عَقَر الجَمَل ، فقال بصفين:

سائل حليلةَ معبدٍ عن فِعلِنا وحليلةَ اللخمىِّ وابن كَلاَع

---

(١) ادفوا ، كذا وردت . والمقصل : القطاع .
(٢) كذا ورد هذا اللفظ .
(٣) البذخة : المرة من البذخ وهو الكبر . والقنبل ، بالفتح : الطائفة من الناس ومن الخيل.
(٤) الزرق : الأسنة . فى الأصل : « وأهملت زرقاً » ، والوجه ما أثبت .
(٥) هو عمرو بن غزية ، بفتح الغين وكسر الزاى وتشديد الياء، بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٥٩٢٢ .

واسأَلْ عبيدَ الله عن أَرماحِنا ... لمَّا ثَوى متجدِّلا بالقاعِ
واسأَل معاويةَ المولِّى هارباً ... والخيلُ تعدُو وهى جدٌّ سِراعِ[1]
ماذا يخبِّرك المخبِّر منهم ... عَنَّا وعنهم عند كلِّ وِقاعِ[2]
إن يَصدقُوك يُخَبِّروك بأَنّنا ... أَهلُ النَّدى قِدْماً مُجيبُو الداعى[3]
ندعو إلى التقوى ونرعى أَهلَها ... برعاية المأْمونِ لا المِضياعِ
إن يصدقُوك يخبِّروك بأَنّنا ... نحمى الحقيقةَ عند كل مِصاعِ
ونسُنُّ للأَعداءِ كلَّ مثقَّفٍ ... لَدْنٍ وكلَّ مُشَطَّبٍ قَطَّاعِ

وقال عدىُّ بن حاتمٍ بصِفّين :

أَقول لمّا أَنْ رأَيتُ المعمعَهْ ... واجتمع الجُندان وسْطَ البَلْقَعَهْ
هذا علىٌّ والهُدَى حَقًّا معهْ ... يا ربِّ فاحفظْهُ ولا تضيِّعَهْ
فإنَّه يخشاك ربِّى فارْفَعَهْ ... ومن أَراد عَيبَه فضعضِعَهْ[4]

وقال النعمان بن عجلان الأَنصارىّ[5] يوم صِفِّين :

سائل بصفِّين عنَّا عند وقعتنا ... وكيفَ كُنَّا غداةَ المَحْكِ نبتدِرُ[6]
واسأَلْ غَداة لقِينا الأَزْدَ فاطبةً ... يَوْم البصيرة لما استجمَعت مُضَرُ

---

(١) ح (٢ : ٢٨٣) : « والخيل تمعج » .
(٢) الوقاع : المواقعة فى الحرب . وفى الأصل : « دفاع » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) فى الأصل : « مستسمعون الداعى » ، صوابه فى ح .
(٤) فى الأصل : « ومن أراد غيه » ، صوابه فى ح .
(٥) هو النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الأنصارى ، كان لسان الأنصار وشاعرهم . وذكر المبرد أن علياً استعمله على البحرين فجعل يعطى كل من جاءه من بنى زريق ، فقال فيه الشاعر ، وهو أبو الأسود الدئلى :

أرى فتنة قد ألهت الناس عنكم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب
فإن ابن عجلان الذى قد علمتم ... يبدد مال الله فعل المناهب

انظر الإصابة ٨٧٤٧ . ح : « ابن جعلان » ، تحريف .
(٦) ح : « أم كيف كنا إلى العلياء » .

لولا الإلهُ وقومٌ قد عرفتهم ... فيهم عفافٌ، وما يأتى به القدرُ[1]

لَمَا تداعَتْ لهم بالمِصر داعيةٌ ... إلاَّ الكلابُ، وإلاَّ الشاءُ والحُمرُ[2]

كم مُقْعَصٍ قد تركناهُ بمُقْفِرَةٍ ... تعوِى السِّباعُ لديه وهو مُنعفرُ

ما إن تَرَاه ولا يُبكَى علانيةً ... إلى القيامة حتى تُنفَخَ الصُّوَرُ[3]

وقال عمرو بن الحَمِق الخُزاعىّ :

تقولُ عِرسِى لما أَنْ رأَت أَرَقى ... ماذا يَهيجُكَ من أَصحاب صِفِّينا

أَلستَ فى عُصبَةٍ يَهدِى الإلهُ بهم ... لا يَظلِمونَ[4] ولا بغياً يُريدونا

فقلت : إنِّى على ما كان من سَدَرٍ ... أَخشَى عواقبَ أمر سوف يأتينا[5]

إدالةَ القوم فى أمرٍ يُرادُ بنا ... فاقْنَىْ حياءً وكُفِّى ما تقُولِينا

وقال حُجر بن عدىّ الكِندىّ :

يا ربَّنا سلِّم لنا عليَّا ... سلِّم لنا المهذَّبَ النقيَّا

المؤمنَ المستَرْشَدَ المرضيَّا ... واجعلْهُ هادى أُمَّةٍ مهديَّا

لا أَخْطَلَ الرَّأْى ولا غَبِيَّا[6] ... واحفظْهُ ربِّى حفظَكَ النَّبيَّا

فإنَّه كان لهُ وليَّا ... ثم ارتضاهُ بعده وَصِيَّا

وقال معقِل بن قيسٍ التميمىّ :

---

(١) ح : « وعفو من أبى حسن * عنهم وما زال منه العفو ينتظر » .

(٢) ح (٢ : ٢٨٤) : « ما إن يؤوب ولا ترجوه أسرته » .

(٣) الصور ، بضم ففتح : جمع صورة ، وبها قرأ الحسن فى كل موضع من الكتاب جاء فيه لفظ « الصور » بالضم . انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢١١ . على أن بعض من قرأ « الصور » بالضم جعله أيضاً جمعاً لصورة كصوف وصوفة ، وثوم وثومة . انظر اللسان (٦ : ١٤٦) .

(٤) فى الأصل : « أهل الكتاب » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) السدر ، بالتحريك : الحيرة . وفى ح : « رشد » .

(٦) فى الأصل : « بغيا » ولا وجه له ؛ وقال اللحيانى : « لا يقال رجل بغى » .

يأيُّهـا السـائل عن أصحابى إنْ كنتَ تبغى خَبَرَ الصّـوابِ
أُخبرُ عنهـمْ غير ما تكذابِ بأَنَّهـم أَوعيـةُ الـكِتابِ
صُبْرٌ لَدَى الهيجاءِ والضِّرابِ[1] وسَلْ جُمـوع الأَزدِ والـرِّبابِ

وسل بذاك معشرَ الأَحزابِ

وقال أَبو شُريحٍ الخُزاعىُّ :

يا ربِّ قاتِلْ كلَّ مَن يريـدُنا وكِدْ إلهى كـلَّ مَن يَـكيدُنا
حتَّى يُرَى معتـدِلاً عمـودُنا إنَّ عَليًّـا لَلَّـذِى يقـودُنا
وهو الـذى بفِقهه يؤودُنا[2] عن قُحَم الفِتْنـةِ إذْ تريدُنـا

وقال عبد الرحمن بن ذُؤيب الأَسلمىّ :

أَلا أَبلغ معـاويةَ بنَ حـربٍ أَمالَكَ لا تُنيبُ إلى الصّـوابِ
أَكلَّ الـدهر مَرْجـوسٌ لغَيرٍ تُحارِبُ مَن يقومُ لدى الكِتابِ
فإنْ تَسْلَم وتَبْـقَ الـدّهرَ يوماً نَزُرْكَ بجحفـلٍ شِـبهِ الهضابِ
يقودهُم الـوصىُّ إليـك حتَّى يردَّك عن عُوائِك[3] وارتيـابِ
وإلاَّ فالتى جَـرَّبْتَ منَّـا لـكمْ ضربُ المهنَّد بالذُّؤابِ

وقال أَبو واقد الحارثُ بن عَوفٍ الخُشَنىّ :

سـائل بنا يوم لقينـا الأَزْدَا والخيـلُ تَعْدُو شُقْراً ووُرْدا[4]
لمـا قطعنـا كفَّهـم والزندا واستبدلوا بغيـاً وباعُوا الرُّشـدا

(١) فى الأصل : « صبرا » . وهذه المقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .
(٢) آده : عطفه وثناه .
(٣) من العواء اشتق اسم « معاوية » ؛ فإن المعاوية الكلبة تعاوى الكلاب . وفى الأصل : « غواتك » ، تحريف .
(٤) شقرا : جمع أشقر وشقراء ، وهو الأحمر ، وهن أكرم الخيل . والورد بالضم : جمع ورد ، بالفتح ، وهو ما لونه أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وفى الأصل : « تفدو سفراً وورداً » وإنما هما من العدو والشقرة . وهذه المقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .

وضيَّعوا فيما أرادوا القَصْـــدا سُحْقاً لهم فى رأيهم وبُعْـــدا[1]

وقال هَمّام بن الأَغفل الثقفى :

قد قرت العين من الفُسَّــاقِ[2] ومن رءُوس الـكُفْر والنِّفَــاقِ
إِذْ ظهرَتْ كتـائبُ العِـراقِ نحنُ قتلْنَا صـاحبَ المُرّاقِ[3]
وقـائدَ البُغـاةِ والشِّقـاقِ عثمانَ يومَ الـدَّار والإِحْـراقِ[4]
لمَّـا لفمْنـا سـاقهم بِسـاقِ بالطَّعن والضَّـرب مع العِناقِ
وسـلْ بصِفِّين لـدى التَّلاقِى تُنْبَأْ بتِبيـانٍ مع المِصْـداقِ[5]
أنْ قد لَقُوا بالمـارقِ المِمـراق[6] ضَرباً يُدَمِّى عُقُـرَ الأَعنـاقِ[7]

وقال محمد بن أَبى سَبْرة بن أَبى زهير القرشى :

نحن قتلنـا نَعْثـلاً بالسِّيرهْ[8] إذ صـدّ عن أعلامِنـا المُنِيرهْ
يحـكم بالجَـوْر على العَشيرهْ نحنُ قتلنـا قبـلَه المُغيـرهْ
نالتْـه أَرماحٌ لنـا مـوتورهْ إنَّا أناسٌ ثابتُـو البصيـرهْ
إنَّ عليًّا عالمٌ بالسِّيرهْ

وقال حُويرثة بن سُمَىّ العَبْدىّ :

سائل بنا يومَ التقَينـا الفَجَرهْ والخيلُ تغدو فى قَتَـام الغَبَرَهْ

(١) سحقا ، بالضم : بعدا . وفى الكتاب : « فسحقاً لأصحاب السعير » .
(٢) فى الأصل : « المساق » . وهذه المقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .
(٣) المراق : جمع مارق . وفى الأصل : « المراق » ، تحريف .
(٤) يشير إلى ما كان من إحراق باب دار عثمان فى أثناء حصاره . انظر الطبرى (٥ : ١٣١).
(٥) فى الأصل : « ثبنا بتبيان » .
(٦) المارق : السهم يمرق من الرمية ، أى ينفذ ، وقد عنى به السيف .
(٧) عقر الأعناق : أصلها ، وهو بضم العين ، وضم القاف للشعر . وفى الأصل : «عكر» تحريف .
(٨) نعثل : نبز لعثمان بن عفان . انظر ما سبق فى ص ٢٢٩ .

تُنْبَأُ بأَنَّا أَهلُ حقٍّ نعمرُهُ[1] كم من قتيلٍ قد قتلنا تُخْبِرُهْ
ومن أَسيرٍ قد فككنا مأْسَرَهْ بالقاع من صِفِّين يومَ عسكرهْ

وقال عمرو :

لعمرى لقد لاقت بصِفِّين خيلُنا سُمَيراً فلم يعدِلْنَ عنه تخوُّفا
قصَدتُ له فى وائلٍ فسقيتُه سِمام زُعافٍ يترك اللَّونَ أَكْلفا
فما جبُنَتْ بكرٌ عن ابن معَمَّرٍ ولكن رجا عَوْدَ الهَوادةِ فانكَفَا
وخاف الذى لاقى الهجيمىُّ قبلَه تفرَّقَ عنه جَمعُه فتُخطِّفا
ونحن قَتلنا هاشماً وابنَ ياسرٍ ونحن قتلنا ابنَىْ بُدَيلٍ تعسُّفا

وهذا سمير ، ابن الحارث العجلى . وقال عرفجة بن أبرد الخشنى :

أَلاَّ سأَلتَ بنا والخيلُ شاحِبَةٌ[2] تحتَ العجاجة والفُرسان تطَّرِدُ
وخيلُ كلب ولخمٍ قد أَضرَّ بها وِقَاعُنا[3] إذ غَدَوْ للموتِ واجتلَدُوا
من كان أَصْبَرَ فيها عند أَزْمَتِها إذِ الدِّماءُ على أَبْدَانِها جُسُدُ[4]

وقال أَيضاً :

سائل بنا عَكًّا وسائِلْ كلبا والحميريين وسائل شَعْبا[5]

---

(١) فى الأصل : « ثبنا بأنا » ، والوجه ما أثبت . وفى هذا البيت وتاليه إقواء .

(٢) الشحوب : التغير من هزال أو عمل أو جوع أو سفر . وفى الأصل : «ساجية ». وهذه المقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .

(٣) الوقاع ، بالكسر : المقاتلة . وفى الأصل : « فى قاعنا » .

(٤) الجسد : جمع جساد ، وهو بالكسر : الزعفران . وفى الأصل : « جسدوا » ، تحريف .

(٥) أى أهل شعب ، وهو جبل باليمن ، نزله حسان بن عمرو الحميرى ، فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم شعبيون ، منهم الشعبى الفقيه ، ومن كان منهم بالشام يقال لهم الشعبانيون ، ومن كان باليمن يقال لهم آل ذى شعبين ، ومن كان بمصر يقال لهم الأشعوب . وقالوا فى قوله : * جارية من شعب ذى رعين * : ليس يراد به الموضع ، بل القبيلة .

كيف رأونا إذ أرادوا الضَّربا ... ألم نكنْ عند اللقاء غُلْبا[1]

لما ثوَى معبدُهم مُنكبّا

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب :

ياشُرطَة الموت صبراً لايهولكمُ ... دينُ ابنِ حربٍ فإنَّ الحقَّ قد ظَهَرا

وقاتلوا كلَّ من يَبغِي غوائلكم ... فإنَّما النصرُ فى الضَّرّا لمن صَبَرا

سِيفُوا الجوارح حَدَّ السَّيفِ واحتسِبوا[2] ... فى ذلك الخيرَ وارجُوا اللهَ والظَّفَرا

وأيقِنوا أنَّ من أضحى يخالفكم ... أضحى شقِيًّا وأضحى نَفْسَه خَسِرا

فيكم وصىٌّ رسولِ الله قائدُكم ... وأهلُه وكتابُ اللهِ قد نُشِرَا

ولا تخافوا ضَلالاً لا أبا لكم ... سيُحفَظُ الدِّينُ والتقوى لمن صَبَرا

كتاب لعلى إلى معاوية

وكتب على إلى معاوية : أمّا بعد فإنك قد ذُقْتَ ضَرّاءَ الحرب وأذَقتها ، وإنّى عارضٌ عليكم ما عَرَض المخارق على بنى فالج[3] :

أيا راكباً إما عرضت فبلِّغَن ... بنى فالجٍ حيث استقرَّ قرارُها[4]

هلمُّوا إلينا لا تكونوا كأنكم ... بلاقِعُ أرضٍ طارعنْها غُبارُها

سليم بن منصور أناسٌ بحَرَّةٍ ... وأرضهمُ أرضٌ كثير وِبارُها[5]

---

(١) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .
(٢) سافه يسيفه : ضربه بالسيف . حد السيف ، أى بحد السيف ، فنزع الخافض .
(٣) فى الأصل : « فاتح » ، تحريف . وانظر الحيوان (٦ : ٣٦٩) .
(٤) فى الأصل : « بنى فاتح » . وانظر التنبيه السابق .
(٥) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أحرقت بالنار . وفى معجم البلدان : « حرة سليم ، هو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. قال أبو منصور : حرة النار لبنى سليم ، وتسمى أم صبار » . وفى الأصل : « تجرة »، صوابها ما أثبت . وانظر الحيوان (٤ : ٧١) . والوبار : جمع وبر ، بالفتح : دويبة كالسنور .

إجابة معاوية عليا

فأجابه معاوية : من معاوية إلى علي : أما بعد — عافانا الله وإياك — فإني إنّما قاتلتُ على دم عثمان ، وكرهتُ التَّوهين[1] في أمره وإسلامَ حقِّه ، فإن أُدْرِكْ به فَبِها ، وإلا فإنَّ الموت على الحقّ أجمل من الحياة على الضَّيم . وإنما مَثَلي ومثَلُ عثمانَ كما قال المُخارِق :

مَتَى تَسلِ عن نُصرتي السِّيدَ لا يجِدْ
لكِ السِّيدُ بيتَ السِّيدِ عِندي مسلَّما[2]

إذا حَلَّ بيتي عندَ جارِيَ لم يَخَفْ
غَوَائِلَ ما يسرِي إذا اللَّيْلُ أظْلَما

وقلتُ له في الرُّحْبِ وجهُك إنَّني
سأُمْسِكُ عنكَ الدَّارَ أن يتهدَّما[3]

كتاب آخر لعلي إلى معاوية

فكتب إليه عليُّ بن أبي طالب : أما بعد فإنَّكَ وما ترى كما قال أوس بن حَجَر :

وكائنْ يُرَى من عاجزٍ متضَعِّفٍ جَنَى الحربَ يوماً ثم لم يُغْنِ مايَجْنِي
ألم يَعْلَمَ المُهدِي الوعيدَ بأنَّني سريعٌ إلى مالا يُسَرُّ له قِرْني

وإنَّ مكاني للمريدين بارزٌ
وإنْ برَّزوني ، ذو كَؤُود وذو حِضْنِ[4]

جواب معاوية

فكتب إليه معاوية : عافانا الله وإيّاك . إنّا لم نَزَلْ للحرب قادةً وأبناءً . لم تُصِب مَثَلَنا ومَثَلَك ؛ ولكن مثَلُنا كما قال أوْس :

---

(١) التوهين : الإضعاف . وفي الأصل : « التدهين » .
(٢) السيد ، بالكسر : قبيلة من قبائلهم ، من بني ضبة .
(٣) وجهك : أي الجهة التي تنتويها في السفر . والدار مؤنثة ، وقد تذكر .
(٤) الكؤود : العقبة الشاقة المصعد ، الصعبة المرتقى .

إذا الحرب حَلَّتْ ساحةَ القوم أخرجَتْ عُيوبَ رجالٍ يُعْجِبونك فى الأَمْر
وللحربِ يجنيها رجـــالٌ ومنهمُ إذا ما جناها من يُعيدُ ولا يُغْنِى

كلام الأحنف فى صفين

وقال الأَحنف بن قيسٍ التميميُّ بصفِّين وهو مع علىّ : هلكت العرب ؟ فقال له أَصحابُه : وإن غَلَبْنا أَبا بحر ؟ قال : نعم . قالوا : وإن غُلِبنا ؟ قال : نعم . قالوا : واللهِ ما جعلتَ لنا مخرجاً . قال الأَحنف: إن غَلبْنا لم نترُك بها رئيساً إلا ضربْنا عنقَه ، وإن غُلِبْنا لم يعرِّجْ [بعدها] رئيسٌ عن مَعْصيةِ الله أَبداً .

تذاكر صفين عند معاوية

نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبى قال : ذكر معاويةُ يوماً صفِّين بعد عام الجماعة وتسليم الحسن عليه السلامُ الأَمْرَ إليه ، فقال لِلوليد ابن عقبة : أَىُّ بنى عمِّك كان أَفضلَ يومَ صِفِّين ياوليدُ ، عند وَقَدَانِ الحرْب واستشاطة لظاها ، حين قاتلَتِ الرِّجالُ على الأَحساب ؟ قال : « كلُّهم قد وَصَل كنفَتَها[1] ، عند انتشار وقْعتها ، حتى ابتلَّت أَثباجُ الرِّجال ، من الجريال ، بكل لَدْنٍ عَسَّال ، وكلِّ عضْبٍ قَصَّال» . ثم قال عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد : « أَما والله لقد رأَيتُنَا[2] يوماً من الأَيام وقد غشِيَنَا ثُعْبانٌ مثلُ الطَّودِ الأَرعَن قد أَثارَ قَسطلاً حال بيننا وبين الأُفق ، وهو على أَدهمَ شائلٍ ، يضربهم بسيفه ضربَ غرائبِ الإبل ، كاشراً عن أَنيابه ، كَشْرَ المُخْدِرِ الحَرِب » . فقال معاوية : والله إنَّه كانَ يجالد ويقاتل عن ترَةٍ له وعليه . أُراه يعنى عليًّا[3] .

دعاء على معاوية إلى المبارزة

نصر : وحدَّثنا عمر بن سعد ، عن الشعبى قال : أَرسل علىٌّ إلى معاوية : أَن ابرز لى وأَعْفِ الفريقَين مِن القتال ، فأَيُّنا قَتَل صاحبَه

(١) الكنف والكنفة : جانب الشىء . ح (٢ : ٢٨٤) : « كنفيها » .
(٢) فى الأصل : « رأيت » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) هذه العبارة ليست فى ح .

كان الأَمرُ له . قال عمرو : لقد أنصفَكَ الرجل . فقال معاوية : إنِّى لأَكره أَن أُبارز الأَهوج الشُّجاع[1] ، لعلَّك طمعت فيها يا عمرو؟ [فلمّا لم يُجب] قال علىّ : « وانَفْساه ، أَيُطاع معاويةُ وأُعصى ؟ ما قاتلَتْ أُمّةٌ قطُّ أَهلَ بيتِ نبيِّها وهى مقرَّة بنبيِّها إلاّ هذه الأُمّة » .

خشية عمرو على ولديه

ثم إنَّ عليًّا أَمر الناس أَن يحملوا على أَهل الشام ، فحملت خيل علىٍّ على صفوف أَهل الشام ، فقوَّضت صفوفهم . قال عمرو يومئذ : على مَن هذا الرَّهَج السَّاطع ؟ فقيل: عَلَى ابنيك عبدِ الله ومحمد. فقال عمرو : يا وَرْدان ، قدِّم لواءك. فتقدَّم ، فأَرسل إليه معاوية : « إنَّه ليس على ابنيك بأْسٌ ، فلا تنقض الصفّ والزمْ موقِعَك » . فقال عمرو: هيهات هيهات ! :

اللّيثُ يَحمِى شِبْلَيهْ ما خيرُهُ بعد ابنيهْ

فتقدم [باللواءِ] فلقِىَ الناس وهو يحمل ، فأَدركه رسولُ معاوية فقال : إنَّه ليس على ابنيك بأْسٌ فلا تحمِلنَّ . فقال له عمرو : قل له : إنَّك لم تلدهما ، وإنِّى أنا ولدتُهما . وبلغ مقدَّمَ الصُّفوف فقال له الناس : مكانَكَ ، إنَّه ليس على ابنيك بأْسٌ، إنَّهما فى مكانٍ حريز . فقال : أَسمِعُونى أَصواتَهما حتَّى أَعلمَ أَحيّانِ هما أَم قتيلان ؟ ونادى : يا وردان ، قدم لواءك قدر قِيسِ قَوْسى[2] ، ولك فلانة — جارية له — فتقدَّم بلوائه .

يوم من أيام صفين

فأَرسل علىٌّ إلى أَهل الكوفة : أَن احملوا . وإلى أَهل البصرة : أَن احملوا . فحمل النَّاسُ من كل جانب فاقتتلوا قتالا شديداً ، فخرج رجل من أَهل الشام فقال : من يبارز ؟ فخرج إليه رجل من أَصحاب

(١) ح : « الشجاع الأخرق » .

(٢) القيس ، بالكسر ، هو القدر . ونحو هذه الإضافة : دار الآخرة ، وحق اليقين ، وحبل الوريد ، وحب الحصيد . وفى ح : « قيد قوس » .

عليٍّ فاقتتلا ساعة ، ثم إن العراقىّ ضرب رِجْل الشامىّ فقطعها ، فقاتل ولم يسقُط إلى الأَرض ، ثم ضرب يدَه فقطعها ، فرمى الشامىّ بَسيفه بيده اليسرى إلى أَهل الشام ثم قال : يا أَهل الشَّام ، دونكم سيفِى هذا فاستعينوا به على عدوِّكم . فأَخذوه ، فاشترى معاوية ذلك السّيفَ من أَولياء المقتول بعشرة آلاف .

مدح أبي زبيد علياً

وقال أبو زُبيد الطائى يمدح عليًّا ويذكر بأْسه :

إن عليًّا سادَ بالتكرُّمِ والحِلمِ عند غاية التحلُّمِ
هَداهُ ربِّى للصِّراطِ الأَقْوَمِ بأَخذه الحِلَّ وتَركِ المَحْرَمِ
كالليثِ عِندَ اللَّبُوات الضَّيْغمِ[1] يُرْضِعْن أَشبالا ولَمَّا تُفْطَمِ
فهُوَ يَحْمَى غيرَةً ويَحْتمِى عبلِ الذِّراعين كريهِ شَدْقَمِ[2]
مجوَّفِ الجوفِ نبيل المحْزِمِ نهدٍ كعادِىِّ البِناء المُبْهَمِ
يزدجِرُ الوحىَ بصوتٍ أَعْجمِ تسمع بعد الزَّبْر والتقحُّمِ
منه إذا حشر له ترمرم[3] مندلق الوَقْع جَرِىّ المُقْدَمِ[4]
ليث الليوث فى الصِّدام مِصْدمِ وكَهمس اللَّيلِ مِصَكٍّ مِلْدَمِ[5]
عُفروسِ آجامٍ عُقارِ الأَقْدَمِ[6] كروَّس الذفرى أَغَمٍّ مُكدَمِ[7]

---

(١) فى الأصل : « عنده اليوث » .
(٢) شدقم : واسع الشدق . وفى الأصل : « كريه الشدقم » ، تحريف.
(٣) كذا ورد هذا البيت .
(٤) الاندلاق : الهجوم والتقدم . وفى الأصل : « مندلف » ، تحريف.
(٥) الكهمس : اسم من أسماء الأسد .
(٦) العفروس ، من أسماء الأسد ، واشتقاقه من العفرسة وهو الصرع والغلبة ، ولم يذكر هذه اللغة – صاحب اللسان . وفى القاموس : « العفرس : بالكسر ، والعفريس والعفراس والعفروس والعفرنس كسفرجل : الأسد » . والعقار ، بالضم : القاتل ، وهو من قولهم : كلأ عقار ، أى قاتل للماشية . وفى الأصل : « عفار » . والأقدم ، بفتح الدال : الأسد .
(٧) الكروس : الضخم . والذفرى ، بالكسر : عظم شاخص خلف الأذن . والأغم : الذى سال شعره فضاق وجهه وقفاه . والمكدم : الغليظ الشديد . وفى الأصل : « كروس الذفرين عم المكرم » .

ذو جَبهةٍ غَرَّا وأَنفٍ أَخثَـــمِ　　　يُكنَى من البَأْسِ أَبا مُحَطِّمِ (١)
قَسورة النطر صَفِىٍّ شَجْعَمِ (٢)　　　صِمٍّ صِمَّاتٍ صِلَخْدٍ صِلْدِمِ (٣)
مصمَّتِ الصُّمِّ صَموتِ سِرْطِمِ (٤)　　　إذا رأَته الأُسد لم تَرَمْــرَمِ (٥)
مِنْ هيبـــة المـــوتِ ولم تجمجِمِ　　　رهبـــةَ مرهـــوبِ اللِّقاءِ ضَيغَمِ
مجرمِزٍ شـــانٍ ضِـــرارٍ شَيْظــمِ　　　عند العراكِ كالفَنيق الأَعْلَمِ (٦)
يفرى الـــكمىَّ بالسَّـلاح المعـــلم　　　منـــه بأَنيـــاب ولمـــا تُقْضَمِ
ركن مماضيغ بِلَحْيٍ سَلْجَمِ (٧)　　　حامى الذمار وهـــو لمـــا يُكدَمِ
ترى من الفَرْسِ به نَضْحَ الدَّمِ　　　بالنَّحْرِ والشِّدقين لونَ العَنْـــدَمِ
أَغلبَ ما رضى (٨) الأُنوفِ الرُّغَّمِ　　　إذا الأُسود أَحجمَتْ لم يُحْجِـــم
إذا تُناجِى النَّفسُ قـــالتْ صَمِّمِ　　　غمغمـــةً فى جوفهـــا المغمغِمِ
أَغضفَ رئبالٍ خِدَبٍّ فَدْغَمِ (٩)　　　منتشر العُـــرف هَضيمٍ هيصَمِ (١٠)

قالها أَبو زبيد لعلى . وقال علىّ :

أَنا الذى سمَّتْنِ أُمِّى حَيْـــدَرَهْ　　　رئبالُ آجـــامٍ كريهُ المَنْظَرَهْ

---

(١) البأس : الشدة . وفى الأصل : « من الناس » .
(٢) القسورة : الشجاع . والنطر ، كذا وردت ، ولعلها «النتر» ، وهو الجذب بجفاء .
(٣) الصم ، بالكسر ، والصمة : من أسماء الأسد لشجاعته . والصلخد : الشديد الماضى. وفى الأصل : « مصلخد » ، ولا يستقيم به الوزن .
(٤) السرطم : الواسع الحلق السريع البلع .
(٥) أى تترمرم . أى سكنت و تتحرك . وفى الأصل : « أم ترترم » ، تحريف .
(٦) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . وفى الأصل : « المعلم » ، تحريف .
(٧) ركن ، كذا وردت . والمماضيغ : الأضراس : وفى الأصل : « مماضع » . ولحى سلجم : شديد . انظر اللسان (سلجم) .
(٨) كذا وردت هذه الكلمة .
(٩) الفدغم : اللحيم الجسيم الطويل فى عظم . وفى الأصل : « فدعم » ، تحريف .
(١٠) الهضيم ، بالضاد المعجمة : اللطيف الكشحين . والهيصم ، بالمهملة : الغليظ الشديد الصلب . وهذه الأرجوزة لم أجد لها مرجعاً أعتمد عليه فى تحقيقها .

عَبْلُ الذِّراعين شديدُ القَسْوَرَهْ أكيلهم بالصَّاع كيلَ السَّنْدَرَهْ

خطبة على فى حث أصحابه

نصر قال : وحدَّثنى رجلٌ عن مالك الجهنى ، عن زيد بن وهب ، أن عليًّا مرَّ على جماعةٍ من أهل الشام بصفِّين ، فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصِبونه [1] فأخبروه بذلك ، فوقف فى ناس من أصحابه فقال : « انهَدُوا إليكم وعليكم السكينةُ وسيما الصالحين ووَقار الإسلام ، والله لأقربُ قومٍ من الجهل بالله عزّ وجلّ قومٌ قائدُهم ومؤدِّبهم [2] معاوية ، وابن النابغة [3] ، وأبو الأعور السلمى ، وابن أبى مُعَيط ، شارب الحرام ، والمجلود حدًّا فى الإسلام ؛ وهم أولاء يقومون فيقصِبُوننى ، ويشتمُوننى ، وقبل اليوم ما قاتلونى وشتَمونى ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعُوننى إلى عبادة الأصنام . فالحمدُ لله ولا إله إلا الله . وقديماً ما عادَانِى الفاسقون . إن هذا هو الخطبُ الجليل . إنَّ فُساقاً كانوا عندنا غير مرضيِّين ، وعلى الإسلام وأهله متخوَّفين ، أصبحوا وقد خَدَعوا [4] شطر هذه الأُمَّة فأشرَبوا قُلوبَهم حُبَّ الفتنة ، فاستمالوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ، وقد نصبوا لنا الحربَ ، وجَدُّوا فى إطفاء نور الله ﴿ وَاللهُ مُتِمٌّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ ﴾ . اللهمَّ فإنَّهم قد ردّوا الحقَّ فافضُضْ جَمعَهم ، وشتِّتْ كلمتَهم ، وأبْسِلْهم بخطاياهم [5] ؛ فإنه لا يَذِلّ مَن واليت ، ولا يعِزّ مَن عاديت » .

خطبة أخرى لعلى فى تحريض أصحابه

نصر ، عن نمير بن وَعلة ، عن عامرٍ الشَّعبى ، أن علىَّ بن طالب مرَّ بأهل رايةٍ فرآهم لا يزُولون عن موقفهم ، فحرَّض الناسَ على قتالهم —

(١) القصب : العيب والشتم ، ومثله التقصيب .
(٢) ح (٢ : ٢٨٥) : « أقرب بقوم من الجهل قائدهم ومؤدبهم » .
(٣) يعنى عمرو بن العاص . واسم أمه « النابغة » وهى من بنى عنزة ، كما فى أول ترجمته من الإصابة ٥٨٧٧ .
(٤) فى الأصل : « حتى خدعوا » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٨٥) .
(٥) الإبسال : الإهلاك . وفى الكتاب : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا » .

وذكر أنهم غسان ـ فقال : « إنَّ هؤلاءِ القوم لن يزولوا عن موقِفهم دون طعنٍ دِراكٍ يخرج منه النسيم[1] ، وضرب يَفلِقُ الهام ، ويُطيح العِظام ، وتسقط منه المعاصم والأَكفُّ ، حتَّى تُصدع جِباهُهم، وتُنثَر حواجبُهم على الصدور والأَذقان . أين أهلُ الصَّبرِ وطُلَّابُ الخيرِ ؟ أين من يَشْرِى وجهَه لله عزّ وجلّ ؟ » . فثابت إليه عصابةٌ من المسلمين فدعا ابنَه محمداً فقال له : امشِ نحو هذه الرَّاية مشياً رويداً على هِينَتك، حتى إذا أَشْرَعْتَ فى صدورهم الرِّماح فأَمسِكْ يدَك حتى يأْتيَك أَمْرِى ورأْيِى[2] . ففعل ، وأَعَدَّ علىٌّ عليه السلام مثلَهم معَ الأَشتر ، فلمّا دنا منهم وأَشْرَع الرِّماحَ فى صُدورهم، أَمرَ علىٌّ الذين أُعدُّوا فشَدُّوا عليهم، ونهض محمدٌ فى وجوههم ، فزالُوا عن مواقفهم ، وأَصابوا مِنهم رجالا ، واقتتل الناسُ بعد المغرب قتالاً شديداً ، فما صلَّى كثيرٌ من النَّاسِ إلاَّ إيماءً .

قتال محمد ابن الحنفية

وقال العُدَيل بن نائلٍ العجلى[3] :

شعر للعديل

لستُ أَنْسَى مُقام غَسّان بالتـ ... لِّ ولو عشتُ ، ما أَظلَّ شَمَامِ

سادةٌ قادةٌ إذا اعصَوْصبَ القـو ... مُ ليومِ القِراعِ عند الكِدامِ[4]

ولهم أَنْدياتُ نادٍ كرام ... فهمُ الغُرُّ فى ذُرى الأَعلامِ

ناوَشُونا غداةَ سِرْنا إليهم ... بالعَوالِى وبالسُّيوفِ الدَّوامِى

فتولَّوا ولم يصيبوا حَميماً ... عند وقْع السُّيوف يوم اللغامى[5]

---

(١) النسيم : الروح ، كالنسم . قال الأغلب :

ضرب القدار نقيعة القديم ... يفرق بين النفس والنسيم

(٢) فى الأصل : « ورايى » .

(٣) لم أعثر له على ترجمته . وفى شعرائهم : « العديل بن الفرخ العجلى » .

(٤) اعصوصب القوم : اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة . والكدام : شدة القتال ، وفى اللسان : « والكدم والمكدم : الشديد القتال » . وفى الأصل : « الكهام » ، ولا وجه له .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة .

ورضِينا بكلِّ كهلٍ كريمٍ ثابتٍ أُسُّه من القَمقام[1]

مبارزة هانئ ليعمر بن أسيد

نصر ، عن رجل ، عن محمد بن عُتْبة الكندىّ قال : حدَّثنى شيخ من حضْرمَوْت شهد مع علىٍّ صِفّين فقال : كان منّا رجلٌ يدعَى بهانئ بن نمر[2] ، وكان هو اللَّيثَ النَّهد ، فخرج إليه رجلٌ من أهل الشّام يدعو إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحدٌ فقال : سبحانَ الله ، ما يمنعُكم أن يخرجَ منكم رجلٌ إلى هذا ؟ فلولا أنِّى موعوكٌ وأنِّى أَجِدُ لذلك ضعفاً [شديداً] لخرجتُ إليه . فما ردّ عليه رجلٌ من أصحابه شيئاً ، فوثَب[3] فقال أصحابه : سبحان الله تخرجُ وأنت موعوك ؟ ـ قال : والله لأَخرجنّ إليه ولو قتَلَنى . فلمَّا رآه عرَفه ، وإذا الرَّجُل من قومه يقال له يعمر بن أسيد[4] الحضرمىّ ، وبينهما قرابةٌ من قِبَل النِّساء ، فقال له : ياهانئُ ارجعْ ، فإنَّه أنْ يخرجَ إلىّ غيرُك أحبُّ إلىّ ، إنى لستُ أُريد قتلك . قال له هانئ : ما خرجتُ إلاَّ وأنا موطِّنٌ نفسى على القتل ، [لا والله ، لأقاتلنَّ اليوم حتى أُقتَل] ، ما أُبالى قتلتنى أنت أو غيرك . ثم مشى نحوَه فقال : اللَّهمّ فى سبيلك وسبيلِ رسولك ، ونصراً لابن عمِّ نبيِّك. ثم اختلفا ضربتين ، فقتَل هانئٌ صاحبَه ، وشدّ أصحابُه نحوه ، وشدّ أصحابُ هانئ نحوه ، ثم اقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلا . ثم إن عليًّا أرسل إلى الناس : أن احملوا . فحمل الناس على راياتهم ، كلُّ قوم بحيالهم[5] ، فتجالَدُوا بالسيوف وعُمُد الحديد ، لا يسمع إلاّ صوت ضربِ الهامات كوقع المطارقِ على السَّنادين[6] . ومرَّت

(1) القمقام : العدد الكثير . قال ركاض بن أباق :

* من نوفل فى الحسب القمقام *

(2) ح (٢ : ٢٨٥) : « بن فهد » .

(3) فى ح : « فقام وشد عليه سلاحه ليخرج » .

(4) ح : « بن أسد » .

(5) ح (٢ : ٢٨٦) : « كل منهم يحمل على من بإزائه » .

(6) فى الأصل : « لا يسمع إلا صوت السنادين » ، وأثبت ما فى ح .

الصَّلواتُ كلُّها ولم يصلُّوا إلاَّ تكبيراً عند مواقيت الصلاة ، حتى تفانَوا ورقَّ الناس ، فخرج رجلٌ بين الصفَّين لا يُعلَمُ من هو ، فقال : أَخَرَجَ فيكم المحلِّقون ؟ قلنا : لا . قال : « إنهم سيَخرجُون ، ألسنتُهم أحْلى من العسل ، وقلوبهم أَمَرُّ من الصَّبِرِ ، لهم حُمَةٌ كحُمة الحيَّات » . ثم غاب الرجل ولم يعلم مَن هو .

رسالة عبدالرحمن ابن كلدة إلى على

نصر ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي يحيى ، عن عبد الرحمن بن حاطب[1] قال : خرجْتُ ألتمس أخى فى القَتْلى بصِفِّين ، سُوَيداً . فإذا برجلٍ قد أخذ بثوبِى ، صريعٍ فى القتلى ، فالتفتّ فإذا بعبد الرحمن بن كَلَدة ، فقلت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، هل لك فى الماء ؟ قال : لا حاجة لى فى الماء قد أُنْفِذَ فىَّ السلاحُ وخَرَّقَنى ، ولستُ أَقدِر على الشرب ، هل أنت مبلغٌ عنى أميرَ المؤمنين رسالةً فأُرسلَك بها ؟ قلت : نعم . قال : فإذا رأيتَه فاقرَأعليه منِّى السلام ، وقل : « يا أمير المؤمنين ، احْمِلْ جَرْحاك إلى عسكرك ، حتى تجعلَهم من وراءِ القتلى ، فإنَّ الغلبة لمن فَعَل ذلك » . ثم لم أبرح حتى مات ، فخرجتُ حتَّى أتيتُ عليًّا ، فدخلتُ عليه فقلت : إنَّ عبد الرحمن بن كَلَدة يقرأُ عليك السلام . قال : وعليه ، أين هو ؟ قلت : قد والله يا أمير المؤمنين أنفَذَهُ السِّلاح وخرَّقَهُ فلم أَبرحْ حتَّى توفِّىَ . فاسترجعَ . قلتُ : قد أرسلَنى إليك برسالة . قال : وما هى ؟ قلت : قال : « يا أمير المؤمنين ، احمل جرحاك إلى عسكرك حتَّى تجعلَهم من وراءِ القتلى ؛ فإنَّ الغلبةَ لمن فعل ذلك » . قال : صَدق والذى نفسى بيده . فنادى منادى العسكر : أن احمِلوا جَرحاكم إلى عسكركم . ففعلوا ذلك ، فلما أصبح نظر إلى أهل

(١) هو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمى ، وهو ممن ولد زمن الرسول صلى الله عليه . وكان ثقة قليل الحديث ، توفى سنة ٦٨ ، وقيل قتل يوم الحرة ، وهذه كانت سنة ٦٣ فى أيام يزيد بن معاوية . انظر الإصابة ٦١٩٦ ومعجم البلدان (حرة واقم) .

الشام وقد ملُّوا من الحرب . وأصبح عليٌّ فرحَّل الناسَ وهو يريد أن ينزل على أهل الشام فى عسكرهم، فقال معاوية : فأَخذتُ مَعْرَفَةَ فرسى[1]، ووضعتُ رِجْلى فى الركاب[2] حتى ذكرتُ أَبيات عمرو بن الإطنابة :

معاوية وأبيات عمرو بن الإطنابة

أبت لى عِفَّتى وأبى بـلائى وأخذى الحمـدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وإجشـامى على المكروه نَفْسِى وضربِى هامَةَ البطلِ المُشيح[3]
وقَوْلى كلَّمـا جشـأَتْ وجاشَتْ مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَستريحى

فعُدت إلى مقْعَدى فأَصبتُ خير الدنيا .

وكان عليٌّ إذا أَراد القتالَ هلَّل وكبّر ثم قال :

من أىِّ يَوْمَىَّ مِن المـوت أَفِرّْ أَيومَ ما قُدِّرَ أم يومَ قُـدِرْ

عبدالرحمن بن خالد وجارية بن قدامة

وأقبل عبد الرحمن بنُ خالدِ بن الوليد ، ومعه لواءُ معاوية الأعظم ، وهو يقول :

أَنا ابنُ سيفِ الله ذاكمْ خـالدِ أَضـربُ كلَّ قـدَمٍ وسـاعدِ
بِصارمٍ مثـلِ الشِّهاب الواقـدِ أَنصُـرُ عمِّى إنَّ عمِّـى والدِى
بالجهد ، لا بل فوق جَهْدِ الجاهدِ مـا أَنا فيها نابِئى بِراقـدِ

فاستقبله جارية بن قُدامة السعدىّ وهو يقول :

اثبُتْ لِصَدرِ الرُّمح يا ابنَ خالدِ اثبتْ لليثٍ ذى فُـلولٍ حـاردِ

---

(١) معرفة الفرس : لحمه الذى ينبت عليه العرف ، وهى بفتح الميم والراء .

(٢) فى أمالى القالى (١ : ٢٥٨) : « فى الركاب يوم صفين غير مرة » . وانظر القصة فى الكامل ٧٥٣ وعيون الأخبار (١ : ١٢٦) ومجالس ثعلب ٨٣ ومعجم المرزبانى ٢٠٤ وديوان المعانى (١ : ١١٤) . ورواية الأبيات فى حماسة البحترى (وهى أول مقطوعة فيها) ولباب الآداب ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) فى الأصل : « وإعظامى » ، وأثبت أقرب رواية إليها من المصادر المتقدمة ، وهى رواية المبرد . وفى عيون الأخبار ولباب الآداب واللسان (٣ : ٣٣١) : « وإقدامى » ، وفى معجم المرزبانى : « وإكراهى » . وفى الأمالى : « وإعطائى على الإعدام مالى » ، والبحترى : « على المعسور مالى » ، وديوان المعانى : « على المكروه مالى » .

من أُسْدِ خَفانَ شديدِ السّاعدِ ينصرُ خيرَ راكعٍ وساجدِ
مَن حقُّه عندى كحقِّ الوالدِ ذاكمْ علىٌّ كاشفُ الأوابدِ

واطَّعنا مليًّا ، ومضى عبد الرحمن وانصرف جاريةُ ، وعبد الرحمن لا يأتى على شىءٍ إلاّ أهمده ، وهو يقول :

إنى إذا ما الحرب فُرّت عن كِبَرْ تخالنى أخْزَر من غيرِ خَزَرْ
أُقحِمْ والخطِّىُّ فى النَّقْع كشِرْ كالحيَّةِ الصّماءِ فى رأس الجُحُرْ

* أَحمِلُ ما حُمِّلْتُ من خيرٍ وشرّ *

حملة الأشتر وشعر النجاشى فى ذلك

فغمّ ذلك عليًّا ، وأقبل عمرُو بن العاص فى خيلٍ من بعده فقال : أَقحِمْ يا ابنَ سيفِ الله فإنَّه الظفر؟ وأقبل النّاسُ على الأَشتر فقالوا : يومٌ من أيّامك الأُوَل ، وقد بلغ لواء معاويةَ حيث ترى . فأَخذ الأَشتر لواءه ثمّ حمل وهو يقول :

إنِّى أنا الاشْتَرُ معروفُ الشَّتَرْ[(١)] إنِّى أنا الأفعى العراقىُّ الذكَرْ
لستُ من الحىِّ رَبيعٍ أَوْ مُضَرْ[(٢)] لكنَّنى من مَذْحِجَ الغُرِّ الغُرَرْ

فضارب القومَ حتى ردَّهم على أعقابهم ، فرجعت خيلُ عمرٍو .

وقال النجاشىُّ فى ذلك :

رأيتُ اللواءَ لواءَ العقابِ[(٣)] يقحِّمه الشانئُ الأَخْزَرُ
كلَيثِ العرينِ خِلالَ العجاجِ وأقبلَ فى خَيْلِهِ الأَبْتَرُ
دعونا لها الكبشَ كبشَ العراقِ وقد خالَطَ العسكَرَ العسكَرُ[(٤)]

---

(١) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه .
(٢) ربيع : مرخم ربيعة لغير نداء . وفى الأصل : « ربيعة ومضر » ولا يستقيم به الوزن . والصواب ما أثبت من مروج الذهب (٢ : ٢١) .
(٣) ح (٢ : ٢٨٥) : « ولما رأينا اللواء العقاب » .
(٤) ح : « وقد أضمر الفشل العسكر » .

فردَّ اللِّواءَ على عَقْبِهِ وفازَ بحُظْوَتِها الأَشْتَرُ
كما كان يَفعلُ في مثلِها إذا نَابَ معصوصِبٌ مُنكَرُ(١)
فإن يدفعِ اللهُ عن نَفْسِهِ فحظُّ العراقِ بها الأوفرُ(٢)
إذا الأَشتَرُ الْخَيرُ خلَّى العراقَ فقد ذهَبَ العُرْفُ والْمُنكَرُ
وتلكَ العراقُ ومن قد عرفتَ كفَقْعٍ تَنَبَّتَهُ القَرْقَرُ(٣)

رجز همام ابن قبيصة

وذكروا أنه لما ردّ لواءَ معاويةَ ورجعت خيلُ عمرو اشْرَأَبَّ(٤) لعليّ همّام بن قبيصة ، وكان من أشتم الناس لعليّ ، وكان معه لواء هوازن، فقصد لمذحجٍ وهو يقول :

قد علمت حوراءُ كالتِّمثالِ(٥) أنِّى إذا ما دُعِيتُ نَزالِ
أُقدِمُ إقدامَ الهِزَبْرِ الغَالِى أَهْلَ العِراقِ إنَّكُم من بالِى
كلُّ تلادِى وطريفُ مالِى حَتَّى أنالَ فيكم المعالِى
أو أَطعَمَ الموتَ وتلكمْ حالى فى نصرِ عثمانَ ولا أُبالِى

حملة عدى ابن حاتم

فقال عدى بن حاتم لصاحب لوائه : ادنُ منّى . فأخذه وحَمَلَ وهو يقول :

ياصاحبَ الصَّوتِ الرفيعِ العالى إنْ كنتَ تبغى فى الوَغَى نِزالِى

---

(١) ناب : نزل ، والنوائب : النوازل . وفى الأصل : « ثاب » ، صوابه فى ح .
(٢) بها ، أى بنفسه ، أو بتلك الفعلة . وفى ح : « به » ، أى بشخصه .
(٣) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة . والقرقر : الأرض المطمئنة اللينة . يقال : « أذل من فقع بقرقر » ، لأن الدواب تنجله بأرجلها . وتنبته : نماه وغذاه ، ولم أجد تفسير هذه الكلمة إلا فى شرح الشنتمرى للبيت الذى أنشده سيبويه فى (١ : ٢٦٨) ، وهو :
إلا كناشرة الذى كلفتم كالغصن فى غلوائه المتنبت
وفى ح : « تفسنه القرقر » .
(٤) اشرأب : ارتفع وعلا . وفى الأصل : « أشذب » ، تحريف .
(٥) فى الأصل : « قد علمت الخود » ، ولا يستقيم بها الوزن . ولم ترد المقطوعة فى مظنها من ح .

فادنُ فإنِّى كـاشفٌ عن حَـالِى   تَفـدِى عَليًّـا مُهْجَتى ومالِى
* وأُسرتى يَتْبعُها عيـالى *

فضربه وسلبَ لواءه ، فقال ابنُ حِطَّانَ وهو شامتٌ به :

أهمَّام لا تذكر مَدَى الدَّهرِ فارساً   وعَضّ على مـا جِئتَه بالأَباهِم
سما لك يوماً فى العجاجة فارسٌ   شديدُ القفيز ذو شجاً وغَماغِم[1]
فولَّيتــهُ لمَّـا سمعتَ نداءَهُ   تقول لَه : خُذْ يا عدىَّ بنَ حاتِم
فأَصبحتَ مسلوبَ اللِّواءِ مُذبذَباً   وأَعظِمْ بهـذا من شَتيمةِ شاتِم

من أرجاز صفين

ثم حمل خُزيمة بن ثابت وهو يقول :

قد مرَّ يومان وهـذا الثَّـالثُ   هذا الذى يلهَثُ فيـه اللاَّهِثُ
هذا الذى يَبحثُ فيـه الباحثُ   كم ذا يرجِّى أن يعيشَ المـاكثُ
النـاسُ موروثٌ ومنهم وارثُ   هـذا علىٌّ مَن عَصـاه ناكثُ

فقُتل . ثم خرج خالد بن خالد الأَنصارى وهو يقول :

هـذا علىٌّ والهُـدَى أمامَـه   هـذا لِـوَا نبيِّنـا قُـدَّامَهُ
يقْحِمُـهُ فى بقعـةٍ إقـدامَهُ   لا جبنَـه نخشَى ولا أثامَـهُ
* منه غَدَاه وبه إدامُهُ *

فَطعن ساعةً ثم رجَع . ثم حَمل جندبُ بن زهيرٍ وهو يقول :

هـذا علىٌّ والهُـدَى حَقًّا معَـهْ   يا ربِّ فاحفظـه ولا تضيِّعَـهْ
فإنَّه يخشـاك ربِّى فارفَعَـهْ   نحن نصـرناهُ على من نازَعَـهْ
صهرُ النبىِّ المصطفى قد طـاوعَهْ   أوّلُ من بايَعَـه وتابَعَـهْ

---

(١) القفيز ، كذا فى الأصل ، ولعلها : « القصيرى » وهى أسفل الأضلاع . وأنشد فى اللسان :

لا تعدليْنى بظرب جعد   كز القصيرى مقرف المعد

وأقبل الأشتر يضرب بسيفه وهو يقول :

أَضــربُهُمْ ولا أَرَى مُعــاوِيَهْ ... الأَخزرَ العَيْنِ العظــيمَ الحــاوِيهْ
هــوَتْ به فى النَّــار أُمٌّ هــاوِيَهْ ... جــاوَرَهُ فيهــا كــلابٌ عاوِيهْ
أَغوى طَغاماً لا هَدَتْهُ هاديهْ

قال : وذكروا أنَّ عمرو بن العاص لما رأى الشرّ استقبل ، فقال له معاوية :

حملة عمرو وأهل اليمن

ائتِ ببَنِى أَبيكَ فقاتِلْ بهم ؛ فإنّه إنْ يكُ عندَ أحدٍ خيرٌ فعندَهم . فأَتى جماعَةَ أهلِ اليمن فقال : أَنتم اليومَ النَّاسُ وغداً لكم الشان ، هذا يومٌ له ما بعده من الأَمرِ ، احْملوا معى على هذا الجَمْع . قالوا : نعم . فحملوا وحمل عمرٌو وهو يقول :

أَكــرِمْ بجمــعٍ طيّبٍ يَمــانْ ... جِــدُّوا تــكونوا أَولياءَ عثمانْ
إنى أَتانى خبرٌ فأَشجانْ[1] ... أَنَّ عليًّــا قتل ابن عَفَّــانْ[2]
خليفــةَ الله على تِبْيَــــانْ ... ردُّوا علينــا شيخَنا كما كانْ[3]

فرُدَّ على عمرٍو :

أَبت شيوخُ مذحِــجٍ وهَمْــدانْ ... بأَن نَردَّ نعثــلاً كمــا كانْ
خلقاً جديدا مثل خَلْق الرَّحْمٰنْ[4]

حملة عمرو بن الحمق

فقال عمرو بن الحَمِقِ : دعونى والرَّجُلَ ، فإنَّ القومَ قومى . فقال ابن بُديل : دع الجمعَ يلقَى بعضُهم بعضاً . فأَبى عليه ، وحمل وهو يقول :

---

(١) فى الأصل : « فجان » ، صوابه مما سبق ص ٢٢٨ .
(٢) فى الأصل : « نال من عفان » ، صوابه مما سبق ص ٢٢٨ .
(٣) فى الأصل : « مكانى » ، صوابه مما سبق ص ٢٢٨ .
(٤) فى الأصل : « بعد خلق الرحمن » ، صوابه مما سبق ص ٢٢٨ .

بؤساً لجندٍ ضائعٍ يمانِ   مُستوسِقِين كاتِّساق الضَّانِ[1]
تهوِى إلى راعٍ لها وَسْنانِ   أَقحَمَها عمرٌو إلى الهَوانِ
ياليتَ كَفِّى عَدِمَتْ بنانِى   وأَنَّكم بالشِّحْرِ من عمَانِ

مثل الذى أفناكم أبكانى

مقتل حوشب ذى ظليم

ثم طعنَ فى صدره فقتله ، وولَّت الخيل ، وزال[2] القومُ عن مراكزهم . ثم إنَّ حوشباً ذا ظُليمٍ ، وهو يومئذٍ سيّدُ أهلِ اليمن ، أقبل فى جَمْعه وصاحبُ لوائه يقول :

نحن اليمانُون ومنا حَوشبُ   أَذَا ظُليمٍ أينَ مِنَّا المهربُ[3]
فينا الصَّفيحُ والقَنا المعَلَّبُ[4]   والخيل أَمثال الوَشِيج شُزَّبُ[5]
إنّ العراقَ حبلُها مذبذَبُ   إن عليًّا فيكمُ محبَّبُ

فى قتلِ عُثمانَ وكلٌّ مذنِبُ

فحمل عليه سليمان[6] بن صُرد الخزاعىُّ وهو يقول :

يالك يوما كاسِفاً عَصَبْصَبا[7]   يالك يوماً لا يُوارى كوكبا[8]
يأيُّها الحىُّ الذى تذبذَبا   لسنا نخاف ذا ظُليمٍ حَوشَبا

(١) الاستيساق والاتساق : الاجتماع . وفى اللسان (١٢ : ٢٦٠) : « واتسقت الإبل واستوسقت : اجتمعت » .
(٢) فى الأصل : « وأزال » .
(٣) أى ياذا ظليم . وفى الأصل : « أنا ظليم » ، تحريف .
(٤) علب السيف والسكين والرمح ، فهو معلوب ، وعلبه تعليبا : حزم مقبضه بعلباء البعير ، والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . وفى الأصل : « مغلب » بالغين المعجمة ، تحريف .
(٥) الوشيج : الرماح . شزب : ضوامر ، جمع شازب . وفى الأصل : « شذب » بالذال ، تحريف .
(٦) فى الأصل : « سليم » ، تحريف .
(٧) الكاسف : العبوس . وفى الأصل : «كاشفا » ، تحريف .
(٨) كأن نجومه ظاهرة لشدة ظلامه واحتجاب شمسه ، لما ثار من الغبار .

لأَنَّ فينـا بطـلاً مجـرَّبَا ابنَ بُديلٍ كالهِـزَبْر مُغْضَبـا
أَمسى علىٌّ عنـدنا محبَّبـا نَفـدِيه بالأُمِّ ولا نُبْقِى أَبا

فطعنه وقتله ، واستدار القوم ، وقتل حوشب وابنُ بديل ، وصبر بعضُهم لبعض ، وفرِح أهل الشام بمقتل هاشمٍ .

شعر بجريش السكونى

وقال جَرِيشٌ السَّكونى مع علىّ :

معـاوىَ مـا أفلتَّ إلاَّ بجُـرعة
من الموت رُعباً تحسب الشمسَ كوكَبا
نجـوتَ وقـد أدميتَ بالسَّـوطِ بطنَه
أَزومًا على فأْسِ اللِّجـام مشـذَّبا[1]
فـلا تـكفُرَنْهُ واعلمَنْ أَنَّ مِثلَهـا
إلى جنْبها ما دارَكَ الجـرىَ أَو كبا[2]
فإن تفخـروا بابنَىْ بَدَيلٍ وهـاشِمٍ
فنحن قتلنـا ذا الـكَلاع وحَوْشَبـا
وإنَّهمُـا ممّن قتـلتم على الهُـدَى
ثَواءً فكفُّوا القولَ نَنْسَى التحـوُّبا[3]
فلمّـا رأينا الأَمرَ قد جَدَّ جِدُّهُ وقد كان مما يترُكُ الطِّفْلَ أشيَبا
صبَرْنا لهم تحتَ العجاجِ سُيوفَنا وكان خِلافُ الصَّبرِ جَدْعاً موعِّبا
فلم نُلْفَ فيهـا خاشِعينَ أَذِلَّةً ولم يكُ فيهـا حبلُنـا متذبذِبا

---

(١) الأزوم: الشديد العض . وفى اللسان : « وأزم الفرس على فأس اللجام : قبض » . وفى الأصل : « لزوما » ، تحريف . والمشذب : الفرس الطويل ليس بكثير اللحم .
(٢) دارك الجرى : تابعه . وفى الأصل : « مالا بك الجرى » .
(٣) الثواء : الإقامة . والتحوب : التغيظ والتوجع .

كسرنا القَنَا حتى إذا ذهبَ القَنَا صبرنا وفلّلنا الصفيحَ المجرَّبا[1]
فلم نر فى الجمعين صـادِفَ خَدِّهِ ولا ثانياً من رهبةِ الموت مَنْكِبا[2]
ولم نر إلاَّ قِحْفَ رأسٍ وهامـةً وساقاً طَنُوناً أو ذراعاً مخضبا[3]

دخول على فى مصاف ربيعة

واختلط أَمرهم حتى ترك أَهلُ الرايات مراكزهم ، وأَقحم أَهل الشام من آخر النهار ، وتفرَّق الناس عن على ، فأَتى ربيعةَ [ليلاً فكان[4] فيهم ، وأَقبل عدىٌّ بن حاتمٍ يطلب عليًّا فى موضعه الذى تركه فيه فلم يجده ، فطاف يطلبه] ، فأَصابه فى مصافّ ربيعة فقال : « يا أَمير المؤمنين ، أَمّا إذْ كنتَ حيًّا فالأَمرُ أَمَم[5] ، ما مشَيتُ إليكَ إلاَّ على قتيل ، وما أَبقتْ هـذه الوقعةُ لنا ولهم عَمِيداً ، فقاتِلْ حتى يَفتحَ الله عليك ؛ فإنَّ فى القومِ بقيّةً بعْد » . وأَقبل الأَشعثُ يلهثُ جزَعاً ، فلما رأَى عليًّا هلَّل وكبَّر وقال : « يا أَمير المؤمنين ، خيلٌ كخيل ، ورجالٌ كرجال ، ولنا الفضل [عليهم] إلى ساعتنا هذه ، فعُدْ إلى مقامك الذى كنتَ [فيه] ، فإنَّ الناس إنما يظنُّونك حيث تركوك » . وأَرسل سعيد بن قيس [الهمدانى إلى علىّ عليه السلام] : « إنَّا مشتغِلون[6] بأَمرنا [معَ القوم] وفينا فضلٌ ، فإن أَردتَ أَن نُمِدَّ أَحداً أَمددناه » .

ثناؤه على ربيعة

وأَقبل علىٌّ على ربيعة فقال : « أَنتم دِرْعى ورمحى » ـ [قال : فربيعة تفخر بهذا الكلام إلى اليوم] ـ فقال عدىٌّ بن حاتم : « يا أَمير المؤمنين ، إن قوماً أَنِسْتَ [بهم] وكنتَ فيهم فى هذه الجولة ، لعظيمٌ

---

(١) الصفيح ، عنى به السيوف . والمجرب ، لعلها « المحرب » وهو المحدد المذرب .
(٢) صدف خده : أعرض به . وفى الأصل : « صارف حده » .
(٣) الطنون : التى أطنها الضارب ، أى أسرع قطعها فطنت . وهذا الوصف لم تذكره المعاجم . وفى الأصل : « ظنونا » ، ووجهه ضعيف .
(٤) فى الأصل : « وكان » .
(٥) أمم ، أى قريب . وفى ح (٢ : ٢٨٦) : « أمم » ، تحريف .
(٦) فى الأصل : « مستقبلون » ، وأثبت ما فى ح .

حقَّهم علينا . والله إنهم لصُبُر عند الموت ، أشدّاءُ عند القتال » .

ركوبه الشهباء وخطبته

وركب عليٌّ عليه السلام فرسه الذى كان لرسول الله ، وكان يقال له « المرتجِز » ، [فركبه] ثم تقدم[1] [أمام الصفوف ثم قال : بل البغلة بل البغلة . فقُدِّمت له] بغلة رسول الله صلى الله عليه « الشهباءُ » فركبها ثم تعصَّب بعمامة رسول الله السَّوداء ثم نادى : أيها الناس ، من يَشْرِ نفسه لله يربَحْ . هذا يومٌ له ما بعده . إن عدوّكم قد مسَّه القرح كما مسَّكم[2] » .

انتداب القوم لعلى

فانتَدَبَ له ما بين عشرة آلافٍ[3] إلى اثنَىْ عشر ألفاً ،[قد] وضعوا سيوفَهم على عواتقهم ، وتقدَّمَهم عليٌّ منقطعاً على بغلةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول :

دِبُّوا دبيبَ النَّمــلِ لا تقوتوا | وأصبِحُــوا بحَرْبِــكم[4] وبِيتُوا
حتَّى تنالوا الثَّأْرَ أو تمــوتُوا | أوْلاَ فــإِنِّى طــالمــا عُصِيتُ
قد قلتمُ لو جئتَنــا ، فَجِيتُ | ليس لــكم مــا شئتمُ وشيتُ
بل ما يريد المحيِى المميتُ

رجز عدى بن حاتم والأشتر

وتبعه ابنُ عدىٍّ بن حاتم بلوائه وهو يقول :

أبعــدَ عمــارٍ وبعــدَ هــاشم | وابن بُديل فــارِس المَــلاحِم
نرجو البقاءَ مثــل حُــلْم الحالمِ | وقــد عَضِضْنَــا أمْسِ بالأباهِم
فاليــوم لا نَقْــرَعُ سِنَّ نادمِ | ليس امــرؤٌ من يومِــهِ[5] بسالمِ

(١) فى الأصل : « ثم قدم على » ، صوابه من ح .
(٢) القرح ، بالضم : ألم الجراح ، وبالفتح : الجراح بأعيانها . وبهما قرئ قوله تعالى : (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) . انظر اللسان (٣ : ٣٩٢) .
(٣) فى الأصل : « بين العشرة الآف » ، صوابه من ح .
(٤) ح : « حربكم » .
(٥) ح : « من حتفه » .

وتقدّم الأشتر وهو يقول :

حربٌ بأسباب الرَّدَى تَأجَّجُ   يهلِك فيها البطلُ المدجَّجُ
يكَفيكها همدانُها ومَذْحِجُ   قومٌ إذا ما أحمشوها أنضجوا[1]
روحوا إلى اللهِ ولا تعرَّجوا   دينٌ قويمٌ وسبيل مُنهَجُ

وحمل النّاسُ حملةً واحدة فلم يبق لأهل الشّام صفٌّ إلا انتقض ، وأهمدُوا ما أتَوْا عليه[2] حتى أفضى الأمر إلى مِضْرَب معاوية[3] ، وعلىٌّ يضربهم بسيفه ويقول :

أَضربُهم ولا أرى مُعاوِيهْ   الأخزَرَ العينِ العظيمَ الحَاويهْ

* هوت به فى النّارِ أمٌّ هاويه *

تمثل معاوية بأبيات عمرو ابن الإطنابة

فدعا معاوية بفرسه لينجوَ عليه ، فلما وضعَ رجلَه فى الرِّكاب تمثَّل بأبياتِ عمرِو بن الإطنابة[4] :

أبَتْ لى عِفَّتِى وأبَى بَلائِى   وأخْذِى الحمدَ بالثَّمَن الرَّبِيحِ
وإجشامى[5] على المكروهِ نَفْسى   وضَرْبى هامةَ البَطَلِ المُشِيحِ
وقَولِى كلَّما جشَأَتْ وجاشَتْ   مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَستَريحِى
لأَدْفَعَ عن مآثِرَ صالحاتٍ   وأَحْمِى بَعْدُ عن عِرْضٍ صَحيحِ
بذى شُطَبٍ كلَون المِلْحِ صافٍ   ونفسٍ ما تَقَرُّ على القَبيحِ

معاوية وعمرو

وقال : « يا ابن العاصِ ، اليومَ صَبْرٌ ، وغداً فَخْر » . صدقت ،

---

(١) فى الأصل : « انقبجوا » . والمقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .
(٢) ح (٢ : ٢٨٦) : « وأهمد أهل العراق ما أتوا عليه » .
(٣) المضرب ، بكسر الميم : فسطاط الملك .
(٤) سبق إنشاد الأبيات فى ص ٣٩٥ .
(٥) فى الأصل : « وإعظامى على المكروه » . وانظر ما سبق فى ص ٣٩٥ .

إنّا وما نحنُ فيه كما قال ابن أبي الأَقلح[1] :

مــا عِلّتى وأنا رامٍ نابلٌ[2] والقوس فيها وتر عُنَابِلُ[3]
تزِلُّ عن صفحتها المعــابلُ[4] الموتُ حقٌّ والحيــاةُ باطــلُ

استصراخ معاوية بعك والأشعريين

فثنى معاويةُ رجلَه من الرِّكاب ونزل واستصرخ بعكٍّ والأَشعريين ، فوقفوا دونه[5] وجالدوا عنه ، حتّى كرِه كلٌّ من الفريقين صاحبَه وتحاجَزَ الناس . قال الشّنّىّ فى ذلك :

أبيات للشنى

أتانا أَميرُ المؤمنين فحَسْبنــا على النّاس طُرًّا أجمعين بها فَضْلا
على حينَ أَنْ زلّتْ بنا النّعلُ زَلّةً ولم تَترك الحربُ العَوانُ لنا فَحْلا
وقد أَكلَتْ مِنّا ومنهم فوارســاً كما تأْكل النِّيران ذا الحَطَبَ الجَزْلا
وكُنّــا له فى ذلك اليومِ جُنّــةً وكنّا له من دون أنفسنا نعلا
فأَثنَى ثَنــاءً لم يَرَ النّاسُ مِثلَه على قومِنا طُرًّا وكنّــا لهُ أَهْلا
ورغّبه فينــا عــدىٌّ بنُ حــاتم بأَمرٍ جميلٍ صدّق القولَ والفِعْلا
فإنْ يكُ أَهلُ الشام أَودَوْا بهاشمٍ وأَودوا بعَمّار وأَبقوا لنا ثُكْــلا

---

(١) ح (٢ : ٢٨٧) : « كقوله القائل » . وفى الأصل : « ابن الأفلح » ، وهو نقص وتحريف . وابن أبى الأقلح ، بالقاف ، كما فى الإصابة ٤٣٤٠ والقاموس (قلح) . وهو عاصم بن أبى الأقلح قيس بن عصمة الأنصارى . وهو صحابى جليل ، وكان المشركون قد أرادوه بأذى ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته منهم ، وسمى لذلك : « حمى الدبر » .

(٢) فى اللسان (عنبل) : « وأنا طب خاتل » .

(٣) الوتر العنابل ، بضم العين : الغليظ الصلب المتين .

(٤) المعابل : جمع معبلة ، وهى النصل الطويل العريض . وفى اللسان : « صفحته » أى صفحة الوتر . لكن فى اللسان (١٣ : ٤٤٨ س١١) : « عن صفحتى » ، وإخال هذه محرفة .

(٥) فى الأصل : « فرفعوا دونه » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٢٨٧) .

وبابنَى بُديلٍ فارسَىْ كلِّ بُهْمــة　　　وغيث خُزَاعِىٍّ به نَدْفَع المَحْلا[1]

فهذا عُبيدُ الله والمــرءُ حوشبٌ　　　وذو كَلَعٍ أَمْسَوا بساحَتِهم قَتْلَى

كلام لمعاوية والأصبغ والأحنف

ثم إنَّ معاوية لما أَسرعَ أَهلُ العراق فى أَهل الشام قال : « هذا يومُ تمحيصٍ . إن القوم قد أُسرع فيهم كما أُسرع فيكم . اصبروا يومَكم هذا وخَلاَكم ذم » . وحضَّض علىٌّ أَصحابَه ، فقام إليه الأَصبغ بن نُباتة التَّميمى فقال : يا أَمير المؤمنين إنَّك جعلتنى على شُرْطة الخميس ، وقدَّمتنى فى الثِّقة دُونَ النَّاس ، وإنَّك اليوم لا تفقِد لى صبراً ولا نَصْراً. وأَما أَهل الشام فقد هدَّهم ما أَصبنا منهم ، ونحن فَفينا[2] بعضُ البقيَّة ، فاطلب بنا أَمرَك وأْذَنْ لى فى التقدُّم . فقال له علىّ : « تقدَّم باسم الله » . وأَقبل الأَحنفُ بن قيسٍ السعدىُّ فقال : يا أَهل العراق ، واللهِ لا تُصيبون هذا الأَمر أَذلَّ عُنُقاً منه اليوم ، قد كشف القومُ عنكم قِناع الحياء ، وما يقاتِلون على دين ، وما يصبرون إلاَّ حياء[3] ؛ فتقدَّموا . فقالوا : إنَّا إنْ تقدَّمْنا اليوم فقد تقدَّمنا أَمسِ ، فما تقولُ يا أَمير المؤمنين ؟ قال : « تقدَّموا فى موضع التقدم ، وتأَخَّرُوا فى موضع التأَخُّرِ . تَقَدَّموا مِن قبلِ أَن يتقدَّموا إليكم » .

حملة عمرو

وحمل أَهلُ العراق وتلقَّاهم أَهلُ الشام فاجتلَدوا ، وحمل عمرو ابن العاص مُعْلِمًا وهو يقول :

شدُّوا علىَّ شــكتى لا تنــكشِف　　　بعــد طليــح والزبير فأُتْلِفْ

يومٌ لهمــدانَ ويومٌ للصَّدِف[4]　　　وفى تميمٍ نخــوةٌ لا تنحــرفْ

(١) يقال فلان فارس بهمة ، كما يقال ليث غابة . والبهمة ، بالضم : الجيش .

(٢) فى الأصل : « نفينا » .

(٣) لعلها : « إلا حبا فى الدنيا » .

(٤) الصدف ، بكسر الدال : لقب عمرو بن مالك بن أشرس بن عفير بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد عريب بن زيد بن كهلان ، انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠٤ ثم ٣٠٣) . والنسبة إليه « صدفى » بالتحريك .

أَضربُها بالسَّيف حتَّى تنصرِفْ   إذا مشيتُ مِشْيةَ العَوْدِ الصَّلِفْ
ومثلهـا لحمير ، أَو تنحـرف   والرَّبَعيُّـون لهم يوم عَصِفْ[1]

فاعترضه علىٌّ وهو يقول :

قـد علمت ذات القُرون الميلِ   والخَصْرِ والأَنامِـلِ الطُّفولِ[2]
أَنِّى بنصـل السيف خنْشَليلُ[3]   أَحمى وأَرْمى أَوَّلَ الرَّعيـلِ
بصـارمٍ ليس بذى فُلولِ

طعنة على لعمرو

ثم طعنه فصرعه واتَّقَاه عمرو بِرِجْلِه ، فبدت عورتُه ، فصرف علىٌّ وجهه عنه وارتُثَّ ، فقال القوم : أَفلتَ الرّجلُ يا أَمير المؤمنين . قال : وهل تدرون مَن هو ؟ قالوا : لا . قال : فإِنَّه عمرو بن العاص تَلَقَّانى بعورته فصرفْتُ وجهى عنه .

حديث معاوية معه فى شأنها

ورجع عمرٌو إلى معاوية فقال له : ما صنعتَ ياعمرو ؟ قال : لقينى علىٌّ فصَرَعنى . قال : احمدِ الله وعَورَتَك ، أَمَا والله أن لو عرفتَه ما أَقحمتَ عليه . وقال معاويةُ فى ذلك :

أَلا لِلهِ من هَفَـوات عمـرٍو   يعـاتِبُنى على تركـى بِرازِى
فقـد لاقى أَبا حَسَنٍ عليًّـا   فآب الـوائلىُّ مـآبَ خازِى
فـلو لم يُبْـدِ عـورتَه للاقى   به ليثـاً يذلِّلُ كـلَّ نازِى
له كفٌّ كـأَنَّ براحتيهـا   منايا القوم يخطِف خطفَ بازِى

---

(١) المقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .
(٢) الطفول : جمع طفل ، بالفتح ، وهو الرخص الناعم ، قال ابن هرمة :
متى ما يغفل الواشون تومئ   بأطراف منعمة طفول
(٣) فى البيت إقواء ، وأنشد فى اللسان بدون نسبة :
قد علمت جارية عطبول   أنى بنصل السيف خنشليل
والخنشليل : الجيد الضرب بالسيف ، ومثله الخنشل .

فــإنْ تــكن المنايا أخطأته   فقد غنّى بها أهــل الحجازِ

فغضب عمرو وقال : ما أشدّ تغبيطك عليًّا فى أمرى هذا [(١)] . هل هو إلاّ رجلٌ لقيه ابنُ عمِّه فصرعه ، أفترَى السَّماء قاطرةً لذلك دماً ؟ ! قال : ولكنَّها معقبة لك خِزْياً [(٢)] .

قال : وتقدم جُندب بن زُهيرٍ برايته ورايةِ قومه وهو يقول : والله لا أنتهى حتَّى أخضبَها ! فخضبها مراراً ، إذ اعترضه رجلٌ من أهل الشام فطعنه ، فمشى إلى صاحبه فى الرمح حتى ضربَه بالسَّيف فقتله .

إيفاد معاوية أخاه عتبة إلى الأشعث ابن قيس

ثم إنَّ معاوية دعا أخاه عتبة بن أبى سفيان فقال : الْقَ الأشعثَ بن قيس ؛ فإنّه إن رضىَ رضيت العامةُ . وكان عتبة لا يُطاق لسانُه [(٣)] . فخرج عتبةُ فنادى الأشعث بن قيس ، فقال الناس : يا أبا محمد ، هذا الرجل يدعوك . فقال الأشعث : كما يكون الرجل فسلوه من هو . فقال : أنا عتبة بن أبى سفيان . فقال الأشعث بن قيس : غلامٌ مُتْرف ولا بدَّ من لقائه . [فخرج إليه] فقال : ما عندك يا عتبة ؟ فقال : أيُّها الرجل ، إنَّ معاوية لو كان لاقياً رجلاً غير علىٍّ للقيك ، إنك رأس أهل العراق ، وسيِّد أهل اليمن ، وقد سلف من عثمان إليك ما سلف من الصِّهر والعمل ، ولستَ كأصحابك . أما الأشتر فقتَل عثمان ، وأمَّا عدىّ فحرَّضَ عليه ، وأما سعيد فقلَّد عليًّا ديتَه [(٤)] ، وأما شُريح وزَحْر ابن قيسٍ فلا يعرفان غيرَ الهوى ، وإنَّك حاميت عن أهل العراق تكرُّما . ثم حاربت أهلَ الشام حمّية ، وقد بلَغْنا واللهِ منك وبَلغتَ منَّا ما أردت ،

---

(١) التغبيط ، هو كما ورد فى الحديث « أنه جاء وهم يصلون فى جماعة فجعل يغبطهم » . قال ابن الأثير : « هكذا روى بالتشديد ، أى يحملهم على الغبط ويجعل هذا الفعل عندهم مما يغبط عليه » . وفى الأصل : « تعظيمك عليا فى كسرى هذا » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) فى الأصل : « تعقبك جبنا » ، وأثبت ما فى ح .

(٣) ح : « وكان عتبة فصيحا » .

(٤) فى الأصل : « دينه » ، والوجه ما أثبت من ح .

وإنا لا ندعوك إلى ترك عليٍّ ونَصْر معاوية ، ولكنَّا ندعوك إلى البقيّة[1] التى فيها صلاحُك وصلاحنا .

كلام الأشعث فى ذلك

فتكلَّم الأَشعث فقال : يا عتبة ، أمّا قولك إنَّ معاوية لا يلقى إلا عليًّا فإنْ لقينى والله لما عظُم عنّى ولا صغُرت عنه ؛ فإنْ أَحَبَّ أن أَجمعَ بينه وبين علىّ فعلت . وأما قولك إنى رأْسُ أَهلِ العراق وسيِّدُ أهل اليمن فإنَّ الرأسَ المتَّبَع والسِّيدَ المطاعَ هو علىٌّ بن أَبى طالب عليه السلام . وأمّا ما سلف من عُثمان إلىَّ فوالله ما زادنى صِهْرُه شرفاً ، ولا عملُه عِزًّا . وأَما عيبك أَصحابى فإنّ هذا لا يقرِّبك منى ولا يباعِدُنى عنهم . وأمّا مُحاماتى عن أَهل العراق فمَنْ نزلَ بيتاً حماه . وأَما البقيّة فلستم بأَحوجَ إليها منا ، وسنرى رأْينا فيها إن شاء الله .

معاوية وعتبة

فلما بلغ معاويةَ كلامُ الأَشعث قال : « يا عتبة لا تلقَه بعدها ؛ فإنَّ الرّجلَ عظيمٌ عند نفسه ، وإن كان قد جنح للسَّلم » . وشاع فى أَهل العراق ما قاله عتبةُ للأَشعث وما ردّه الأَشعثُ عليه .

وقال النجاشى يمدحه :

مديح النجاشى للأشعث

يا ابن قيس وحــارث ويزيد ... أنت والله رأسُ أهلِ العــراقِ
أنتَ والله حيّــة تنفُث السُّـ ... ـمَّ قليــلٌ فيهــا غَناءُ الرَّاقى
أنت كالشَّمس والرجــالُ نجومٌ ... لا يُرى ضــوؤُها مــع الإشراقِ
قد حميتَ العــراق بالأَسَلِ السُّمْـ ... ـرِ وبالبيض كالبروق ، الرِّقاق
وأَجبناك إذ دعــوتَ إلى الشــا ... م على القُبِّ كالسَّحُوق العِتاق[2]

(١) البقية : الإبقاء . والعرب تقول للعدو إذا غلب : « البقية » أى أبقوا علينا ولا تستأصلونا . قال الأعشى .

* قالوا البقية والخطى يأخذهم *

(٢) القب : الخيل الضامرة . والسحوق ، بالفتح : النخلة الطويلة .

وسَعَرت القتالَ فى الشّـــام بالبيـ ـــض المواضى وبالرماح الدِّقاقِ[1]
لا نَرى غير أذرُعٍ وأكُفٍّ ورءُوسٍ بهامِهــا ، أفْــلاقِ[2]
كلّمــا قلتُ قــد تصرَّمت الهيـ ـجاءُ سَقَّيتَهم بكأْسٍ دِهاقِ[3]
قد قضيتَ الذى عليك من الحقِّ وســارتْ به القِلاصُ المَنَاقى[4]
وَبقِى حَقُّكَ العظيمُ على النّـــا س وحقُّ المليكِ صعبُ المَرَاقى
أنت حــلوٌ لمن تَقَــرَّبَ بالوُ دِّ وللشـــانئين مُــــرُّ المــذاق
لابسٌ تاجَ جــــدِّه وأبيــهِ لو وَقاه رَدَى المنيّـــة واقِ[5]
بِئس ما ظنَّه ابنُ هنــدٍ ومن مِثـ ـلُك للنَّاس عند ضِيق الخِناقِ

معاوية وعمرو

قال : وإنَّ معاوية لما يئس من جهة الأشعث قال لعمرو بن العاص : إنَّ رأس الناس بعد علىٍّ هو عبدُ الله بنُ عباس ، فلو ألقيتُ إليكَ كتاباً لعلك ترقِّقه به[6] ؛ فإنَّه إن قال شيئاً لم يخرجْ علىٌّ منه ، وقد أكلتْنَا الحربُ ، ولا أُرانا نصِل [إلى] العراق إلا بهلاك أهل الشام . قال له عمرو : إنَّ ابنَ عباسٍ لا يُخْدَع ، ولو طمِعت فيه [لَ] طمِعت فى علىّ . فقال معاوية : علىَّ ذلك ؛ فاكتب إليه .

كتاب عمرو إلى ابن عباس

فكتب إليه عمرو : « أما بعد فإنَّ الذى نحن وأنتم فيه ليس بأوّل أمرٍ[7]

---

(١) فى الأصل :
وأدرنا كأس المنية فى الفتـ ـنة بالضرب والطعان الدقاق
وقد أشير فى هامش الأصل إلى هذه الرواية التى أثبتها من ح .
(٢) أفلاق : جمع فلق ، بالكسر ، وهو المفلوق .
(٣) كذا فى ح وهامش الأصل عن نسخة . وفى الأصل :
كلما قلت قد تصرمت الحر ب سقانا ردى المنية ساق
(٤) المناقى : جمع منقية ، كمحسنة ، وهى الناقة ذات الشحم
(٥) فى الأصل · « لدى النبة » .
(٦) فى الأصل : « ترفقه به » ، وأثبت وجهه من ح (٢ : ٢٨٨) .
(٧) فى الأصل: « ليس بأمر » ، وأثبت ما فى ح .

قاده البلاء . وساقته العافية[1] . وأنت رأس هذا الجمع[2] بعد عليّ ، فانظر فيما بقى ودَعْ ما مضَى . فوالله ما أبقَتْ هذه الحربُ لنا ولكم حَياةً[3] ولا صبراً . واعلموا أنَّ الشام لا تُملَك إلا بهلاك العراق ، وأنَّ العراق لا تُملك إلا بهلاك الشام ، وما خيرنا بعد هلاك أعدادِنا منكم ، وما خيركم بعد هلاك أعدادِكم منَّا . ولسنا نقول ليت الحرب غارت[4] ، ولكنا نقول ليتها لم تكن . وإنَّ فينا من يكره القتال كما أنَّ فيكم من يكرهه ، وإنما هو أمير مُطاع أو مأمور مطيع ، أو مؤتَمن مُشاوَر ، وهو أنت . وأما الأَشتر الغليظ الطبع ، القاسى [القلب] . فليس بأهلٍ أن يدعى فى الشُّورَى ولا فى خواصِّ أَهل النَّجوَى » .

وكتب فى أسفل الكتاب :

طـال البـلاءُ وما يُرجى له آسِ
بعـد الإِله سِـوى رِفْق ابن عبَّاسِ
قُولاَ له قَول من يَرضَى بحُظْوتِه[5]
لا تنس حَظَّك إنَّ الخـاسر الناسى
يا ابن الذى زَمزمٌ سقيًا الحجيج له
أَعظِمْ بذلك من فخـرٍ على الناسِ
كلٌّ لصاحبـه قِـرْنٌ يُسَـاوِرُه
أُسْدُ العـرين أُسـودٌ بين أَخْياسِ[6]

(١) هذه الجملة ليست فى ح .
(٢) فى الأصل : « أهل الجمع » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) فى الأصل : « حياء » .
(٤) فى الأصل و ح : « عادت » .
(٥) ح : « قول من يرجو مودته » .
(٦) يساوره : يواثبه . وفى الأصل : « يشاوره » ، تحريف . والبيت لم يرو فى ح . والأخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الشجر الكثير الملتف .

لو قيس بينهم فى العُرْب لاعتدلوا
العَجْزُ بالعَجْزِ ثُمَّ الراسُ بالراسِ
انظر فدًى لك نفسِى قَبْــلَ قاصمةٍ
للظَّهرِ ليس لهــا راقٍ ولا آسِى
إنَّ العراق وأهلَ الشّامِ لن يجدوا
طَعْمَ الحيــاة مع المستغلِق القاسِى
بُسرٌ وأصحــابُ بُسْرٍ والذين هُم
داءُ العــراق رجالٌ أهلُ وَسواس
قــومٌ عُــراةٌ من الخيراتِ كلُّهُمُ
فمــا يُســاوَى به أصْحابُهُ كاسِى
إنى أرى الخيرَ فى سِلْمِ الشآمِ لكمْ
واللهُ يعلمُ ، ما بالسِّلْم من باس
فيها التُّقى وأمــورٌ ليس يجهلُهــا
إلاَّ الجَهولُ وما النَّوْكَى كأكياسِ

عرض ابن عباس كتاب عمرو على على

قال : فلما فرغ من شعره عرضه على معاوية فقال معاوية : « لا أرى كتابك على رقة شعرك » . فلما قرأ ابنُ عباس الكتاب أتى به عليًّا فأقرأه شعرَه فضحك وقال : « قاتل الله ابنَ العاص ، ما أغراه بك يا ابنَ العبّاس ، أجبه ولْيردَّ عليه شِعرَه الفضلُ بن العبّاس ؛ فإنه شاعر » . فكتب ابنُ عبّاسٍ إلى عمرو :

جواب ابن عباس

« أما بعد فإنى لا أعلم رجلاً من العرب أقلَّ حياءً منك ، إنَّه مال بك معاويةُ إلى الهوى ، وبعتَه دينَك بالثَّمن اليسير ، ثم خبطْتَ بالنّاس

فى عشْوة طمعاً فى الملك[1] ، فلمَّا لم تر شيئاً أعظَمْتَ الدّنيا إعظامَ أهل الذنوب[2] ، وأَظهرت فيها نزاهَة أَهل الورع[3] ، فإن كنتَ تُرضِى الله بذلك فدعْ مِصْرَ وارجعْ إلى بيتك . وهذه الحربُ ليس فيها معاوية كعلىّ ، ابتدأَها علىٌّ بالحق وانتهى فيها إلى العُذْر ، وبدأَها معاوَية بالبغْى وانتهى فيها إلى السَّرَف ؛ وليس أَهلُ العراقِ فيها كأَهل الشام ، بايَع أَهلُ العراق عليًّا وهو خير منهم ؛ وبايع معاويةُ أَهلَ الشَّام وهم خيرٌ منه . ولستُ أَنا وأَنت فيها بسواءٍ ، أَردتُ الله وأَردتَ أَنت مصر . وقد عرفتُ الشىءَ الذى باعدك منّى ، ولا أَرى[4] الشىءَ الذى قرَّبك من معاوية . فإن تردْ شرًّا لا نسبقْكَ به ، وإن تردْ خيراً لا تسبقْنا إليه. [والسلام] ».

جواب الفضل ابن العباس

ثم دعا [أخاه] الفضلَ بن العباس فقال له : يا ابن أُمّ ، أجب عمراً . فقال الفضل :

يا عمرو حسبُك من خَدْعٍ ووَسواسِ ... فاذهبْ فليس لداءِ الجهل من آسِى
إلا تَواتُرَ طعنٍ فى نُحورِكمُ ... يُشجِى النُّفوسَ ويَشفِى نخوةَ الراسِ
هذا الدواءُ الذى يَشفِى جماعتَكم ... حتَّى تطيعوا عليًّـــا وابنَ عباسِ
أَمّا علىٌّ فإنَّ الله فضَّـــلَهُ ... بفضلٍ ذى شرفٍ عالٍ على الناسِ
إن تَعقِلوا الحرب نعقلْها مَخيَّسَةً ... أَو تبعثوها فإنَّا غير أَنْـــكاسِ
قد كان مِنَّا ومِنكمْ فى عجاجتِها ... ما لا يُرَدُّ وكلٌّ عُرْضةُ الباسِ
قَتْلَى العِراقِ بقَتلى الشّامِ ذاهبةٌ ... هذا بهذا وما بالحقِّ مِن باسِ

---

(١) ح (١ : ٢٨٨) : « فى الدنيا » .
(٢) بدل هذه العبارة فى ح : فأعظمتها إعظام أهل الدنيا » .
(٣) النزاهة : التباعد عن السوء ، كالتنزه . وفى الأصل: « التزهة » . وفى ح : « ثم تزعم أنك تتنزه عنها تنزه أهل الورع » .
(٤) ح : « ولا أعرف » .

لا بارَكَ اللهُ فى مصرٍ لقد جلَبَت شَرًّا وحظُّكَ منها حُسْوَةُ الكَاسِ
يا عمرو إنَّكَ عَارٍ من مغــارمها والرَّاقصاتِ ومِنْ يوم الجَزَا كاسِى

كتاب معاوية إلى ابن عباس

ثم عرضَ الشِّعرَ وَالكتابَ على علىٍّ فقال : « لا أَراه يُجيبُك بشىء بعدَها إن كان يعقل ، ولعلَّه يعودُ فتعودَ عليه » . فلما انتهى الكتابُ إلى عمرو أتَى به معاويةَ فقال : « أَنت دعوتَنى إلى هذا ، ما كان أغنانى وإياك عن بنى عبد المطَّلب » . فقال : « إنَّ قلبَ ابنِ عبّاسٍ وقلبَ علىٍّ قلبٌ واحد ، كلاهما ولَدُ عبد المطَّلب ، وإن كان قد خشُن فلقد لانَ ، وإن كان قد تعظَّمَ أَو عظَّم صاحبَه فلقد قارب وجَنَح إلى السَّلم » . وإنَّ معاوية كان يكاتب ابن عباسٍ وكان يُجيبُه بقولٍ ليّنٍ ، وذلك قبل أَن يُعْظِمَ الحرب ، فلمّا قُتل أَهل الشام قال معاوية : « إن ابنَ عبّاسٍ رجلٌ من قريش ، وأَنا كاتبٌ إليه فى عداوةِ بنى هاشمٍ لنا ، وأُخوِّفُه عواقبَ هذه الحرب لعلَّه يكفُّ عنا » . فكتب إليه : « أَما بعد فإنَّكم يا معشرَ بنى هاشمٍ لستم إلى أَحدٍ أَسرعَ بالمَسَاءَةِ منكم إلى أَنصار عثمان بن عفَّان ، حتى إنَّكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمَه ، واستعظامِهما ما نِيلَ منه ، فإن يكن ذلك لسلطانِ بنى أُميّة فقد وَلِيها عدىٌّ وتيم ، [فلَمْ تنافِسوهم] وأَظهرتم لهم الطاعة . وقد وقع من الأَمر ما قد ترى ، وأَكلتْ هذه الحروب بعضُها من بعض حتى استوينا فيها ، فما أَطمعكم فينا أَطمعنا فيكم ، وما آيسكم مِنَّا آيَسنا منكم . وقد رجونا غير الذى كان ، وخشينا دون ما وقع ، ولستُمْ بملاقِينا اليومَ بأَحدَّ من حَدِّ أَمس ، ولا غداً بأَحدّ من حَدِّ اليوم ، وقد قنَعْنا بما كان فى أَيدينا من مُلك الشام فاقنعوا بما فى أَيديكم من مُلْكِ العراق ، وأَبقُوا على قريشٍ ؛ فإنما بقِىَ من رجالها ستة : رجلان بالشَّام ، ورجلان بالعراق ، ورجلان بالحجاز . فأَما اللذان بالشام فأَنا وعمرو ، وأَما اللذان بالعراق فأَنت

وعلىّ ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عُمر ، واثنان من الستة ناصبان لك ، واثنان واقفان [فيك] ، وأنت رأس هذا الجمع اليوم . ولو بايع لك الناسُ بعد عثمانَ كنَّا إليك أسرعَ مِنَّا إلى علىّ » . فى كلام كثير كتب إليه .

جواب ابن عباس فلما انتهى الكتابُ إلى ابن عباس أسخطه ثم قال : حتى متى يخطب [ابن هند] إلىَّ عقلى ، وحتى متى أجمجم على ما فى نفسى ؟ فكتب إليه :

« أما بعد [فقد أتانى كتابك وقرأتُه] ، فأمَّا ما ذكرتَ من سُرعتنا [إليك] بالمساءة فى أنصار ابن عفَّان ، وكراهيتنا لسلطان بنى أُميّة ، فلعمرى لقد أدركتَ فى عثمان حاجتَك حين استنصرك فلم تنصُرْه ، حتَّى صرتَ إلى ما صرتَ إليه ، وبينى وبينك فى ذلك ابنُ عمِّك وأخو عثمانَ الوليدُ بن عُقبة[1] . وأما طلحة والزبير [فإنهما أجلبا عليه ، وضيّقا خناقه ، ثم خرجا] ينقضان البيعة ويطلبان الملك[2] ، فقاتلناهما على النَّكْث وقاتلناك على البَغْى . وأمَّا قولك إنَّه لم يبق من قريش غير ستة ، فما أكثر رجالَها وأحسنَ بقيَّتَها ، [و] قد قاتلك من خيارها مَن قاتَلَك ، لم يخذلْنا إلا مَنْ خذَلك .

وأمَّا إغراؤك إيّانا بعدِىٍّ وتيم فأبو بكر وعمر خيرٌ من عثمان ، كما أنَّ عثمان خير منك . وقد بقى لك منَّا يوم ينسيك[3] ما قبلَه ، ويُخَاف ما بعده[4] . وأمَّا قولك : إنه لو بايع النَّاس لى لاستقامت لى[5] ؛ فقد بايع الناس عليًّا وهو خيرٌ منِّى فلم يستقيموا له . وإنما الخلافة لمن كانت له فى المشورة . وما أنت يا معاويةُ والخلافة وأنت طليق وابن طليق ،

(١) هو أخوه لأمه كما سبق فى حواشى ٢٤٧ .
(٢) فى الأصل : « فنقضا البيعة وطلبا الملك » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) ح (٢ : ٢٨٩) : « ما ينسيك » .
(٤) ح : « وتخاف ما بعده » .
(٥) بدلها فى ح : « لاستقاموا » .

[والخلافة للمهاجرين الأولين ، وليس الطُّلقاءُ منها فى شيءٍ . والسلام]» .

مقاطعة معاوية لابن عباس

فلما انتهى الكتاب إلى معاوية قال : هذا عملى بنفسى . لا والله لا أكتب إليه كتاباً سنةً [كاملةً] . وقال معاوية فى ذلك :

دعوتُ ابنَ عباسٍ إلى حَدِّ خُطَّةٍ ... وكان امرأً أُهــدِى إليه رسائلى
فأخلَفَ ظنِّى والحــوادثُ جَمةٌ ... ولم يك فيما قال منِّى بواصـلِ
وما كان فيما جـاءَ ما يستحقــه ... وما زاد أن أغلى عليه مَـراجِلى
فقل لابن عبــاس تُراك مفرِّقا ... بقولك مَنْ حَوْلى وأنَّك آكِـلى
وقلْ لابن عباس تُراكَ مخـوِّفا ... بجهلك حلمى ، إنَّنى غير غَـافِلِ
فأبرقْ وأرعِدْ ما استطعتَ فإنَّنى ... إليك بما يشجيك سَبْطُ الأنامل

شعر الفضل فى ذلك

فلما قرأ ابنُ عبّاسٍ الشِّعر قال : « لن أشتُمك بعدَها » .

وقال الفضل بن عباس :

ألا يا ابن هندٍ إنَّنى غيرُ غـافِلٍ ... وإنَّك ما تسعى له غيرُ نائِــلِ
لأنَّ الذى اجتبت إلى الحرب نابها ... عليك وألقى برْكَها بالكلاكلِ[1]
فأصبحَ أهلُ الشَّامِ ضربين خِيرةٌ ... وفَقْعةُ قاعٍ أو شُحَيمة آكلِ[2]
وأيقنتَ أنَّا أهــلُ حقٍّ وإنَّمــا ... دعوتَ لأمرٍ كانَ أبطــلَ باطـلِ
دعوتَ ابنَ عبَّاسٍ إلى السِّلم خُدعةَ ... وليس لهــا حتَّى نَدينَ بقــابِلِ
فلا سِلْمِ حتَّى تُشْجَرَ الخيلُ بالقنا ... وتُضْرَبَ هاماتُ الرِّجالِ الأماثلِ
وآليتَ : لا أُهدِى إليــه رسالةً ... إلى أن يَحُول الحولُ من رأسِ قابل
أردْتَ به قَطْعَ الجوابِ وإنَّمــا ... رَماك فلم يُخْطِئْ بناتِ المقاتلِ
وقلتَ له لو بايَعُــوك تبعتَهم ... فهذا علىٌّ خيرُ حــافٍ وناعلِ
وصىُّ رسولِ اللهِ مِن دُون أهلِه ... وفارسُه إنْ قِيل هَلْ من مُنازلِ

(١) كذا ورد صدر هذا البيت . والمقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .
(٢) انظر ص ٣٦٧ .

فدونَكَهُ إنْ كنتَ تبغِى مهاجراً أشمَّ كنصْلِ السيفِ عَيْرَ حَلاحلِ[1]

اجتماع بعض الرؤساء عند معاوية

فعرض شعرَه على علىٍّ فقال : « أنت أَشعرُ قريش » . فضرب بها النَّاسُ إلى معاويةَ .

وذكروا أنَّه اجتمع عند معاوية تلك الليلة عتبةُ بن أَبى سفيان ، والوليدُ بن عقبة ، ومروانُ بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، وابنُ طلْحة الطَّلَحات ، فقال عُتبة : إنَّ أمرَنا وأمر علىٍّ لَعَجب ، ليس مِنَّا إلا موتورٌ مُحاجٌّ . أما أنا فقَتَل جدِّى ، واشترك فى دم عُمومتى يومَ بدرٍ . وأما أنتَ يا وليدُ فقتل أباكَ يومَ الجمل ، وأَيْتَمَ إخوتَك . وأمَّا أنتَ يا مروانُ فكما قال الأَّول[2] :

وأَفلتهنَّ عِلباءٌ جريضاً ولو أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ[3]

قال معاوية : هذا الإقرار فأين الغُيُرُ[4] ؟ قال مروان : أىَّ غُيُرٍ تريد ؟ قال : أُريد أن يُشْجَر بالرِّماح . فقال : واللهِ إنَّك لهازلٌ ، ولقد ثقَّلنا عليك . فقال الوليدُ بن عقبةَ فى ذلك :

يقول لنا معاوية بنُ حرب أمَا فيكمْ لِواتِرِكم طَلوبُ
يشدُّ على أَبى حسنٍ علىٍّ بأَسمرَ لا تهجِّنُه الكُعوبُ
فيهتك مجمعَ اللَّبَّاتِ منه ونَقْعُ القوم مطَّرِدٌ يثُوبُ
فقلت له : أتلعبُ يا ابنَ هندٍ كأنَّك وسْطَنا رجلٌ غريبُ
أتأمُرُنا بحيَّةِ بطنِ وادٍ إذا نَهشَتْ فليس لها طَبيبُ

(١) عير القوم : سيدهم . والحلاحل ، بفتح أوله : جمع الحلاحل بضمه ، وهو السيد فى عشيرته ، الشجاع ، الركين فى مجلسه . وفى الأصل : « بنعل السيف غير حلاحل » تحريف .

(٢) هو امرؤ القيس ، من أبيات له فى ديوانه ص ١٦٠ .

(٣) علباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس ، وهو علباء بن حارث الكاهلى . والجريض : الذى يأخذ بريقه . صفر وطابه : قتل .

(٤) الغير : جمع غيور ، والغيرة : الحمية والأنفة .

وما ضَبُعٌ يدِبُّ ببطنِ وادٍ أُتيح له بهِ أسدٌ مَهيبُ
بأَضعفَ حِيلةً منّا إذا ما لَقيناه وذا ممّا عَجيبُ
دَعَا لِلقاهُ فى الهيجاءِ لاقٍ فأخطأ نفسه الأَجلُ القريبُ
سِوى عمرٍو وقَتْه خُصيتاهُ نجا ولقلبِهِ منها وَجيبُ
كأَنَّ القوم لما عايَنُوهُ خِلالَ النَّقْعِ ليس لهمْ قُلوبُ
لعمر أَبى معاويةَ بنِ حربٍ وما ظَنِّى بملقحة العيوب(١)
لقد ناداهُ فى الهيجا علىٌّ فأسمعه ولكن لا يجيبُ

غضبة عمرو

فغضب عمرٌو وقال : إن كان الوليدُ صادقاً فليلْقَ عليًّا ، أو ليقِفْ حيثُ يسمع صوتَه .

وقال عمرو :

يذكِّرُنى الوليدُ دُعَا علىٍّ وبطنُ المرءِ يملؤه الوعيدُ
مَتى يذكُرْ مَشَاهِدَهُ قريشٌ يَطِرْ مِنْ خوفهِ القلبُ الشديدُ
فأَمَّا فى اللقاءِ فأَينَ منهُ معاويةُ بنُ حربٍ والوليدُ
وعيَّرَنى الوليدُ لِقاءَ ليثٍ إذا ما زارَ هابَتْهُ الأُسودُ(٢)
لقيتُ ولستُ أَجهلُه عليًّا وقد بُلَّتْ من العَلَقِ الكُبُودُ
فأَطعنُه ويطعُنُنى خِلاسا وماذا بَعْدَ طعنتِه أُريدُ
فرُمْها منهُ يابنَ أَبى مُعَيْط وأَنت الفارسُ البَطَلُ النَّجيدُ
فأُقسِمُ لو سمعتَ نِدَا علىٍّ لطارَ القلبُ وانتفَخَ الوريدُ
ولو لاقيتَهُ شُقَّتْ جيوبٌ عليك ولُطِّمت فيكَ الخُدودُ

---

(١) كذا ورد هذا العجز .
(٢) زار : زأر وصاح .

آخر الجزء السادس ويتلوه فى السابع : « ثم إنهم التقوا بصفين واقتتلوا أشدّ القتال حتى كادوا أن يتفانوا » . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما ، يا إلٰه العالمين . آمين رب العالمين .

وجدت فى الجزء العاشر من نسخة عبد الوهاب بخطِّه : « سمع جميعه من الشيخ أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار ، الأجلُّ السيِّد الأوحد الإمام قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامَغانىّ وابناه القاضيان [أبو عبد الله محمد[1]] وأبو الحُسين أحمد ، وأبو عبد الله محمد بن القاضى أبى الفتح بن البيضاوى ، والشريف أبو الفضل محمد ابن على بن أبى يعلى الحسينى ، وأبو منصور محمد بن محمد بن [قرمى ، بقراءة[2]] عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى . وذلك فى شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة » .

---

(١) ليست فى الأصل ، وإكمالها ما سلف فى نظائرها .

(٢) موضعها بياض فى الأصل ، وتكملتها ما مضى فى أشباهها .

الجزء السابع

من كتاب صفين

لنصر بن مزاحم

رواية أبي محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخزاز .

رواية أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد .

رواية أبي الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت .

رواية أبي يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريري .

رواية أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي .

رواية الشيخ الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي .

سماع مظفر بن علي بن محمد بن زيد بن ثابت ، المعروف بابن المنجم – غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى قال : أخبرنا الشيخ أبو الحُسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه قال : أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر قال : أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى قال: أبوالحسن علىّ بن محمد بن عقبة قال : أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز قال : أبو الفضل نصر بن مزاحم :

ثم إنَّهم التقَوا بصِفِّين، واقتتلوا أشدَّ القتال حتَّى كادوا أن يتفانَوا، ثم إنَّ عمرو بنَ العاصِ مرَّ بالحارث بن نصر الجُشَمِىِّ وكان عدوًّا لعمرو، وكان عمرٌو قلَّما يجلِس مجلساً إلا ذكر فيه الحرب[1] . فقال الحارث فى ذلك :

هجاء الحارث بن نصر الجشمى لعمرو

ليس عمرٌو بتارك ذِكرَه الحـر	بَ مَدَى الدَّهرِ أو يلاقِى عليّا
واضعَ السَّيفِ فوقَ مَنْكِبه الأيـ	منِ لا يحسَبُ الفوارسَ شيَّا
ليت عمراً يلقاه فى حَمَسِ النَّقْـ	ـع وقد صارت السُّيوفُ عِصِيّا[2]
حيث يدعُو البِرَازُ حاميةَ القو	م إذا كان بالبِرَاز مَلِيَّا

(١) فى الأصل : « الحرث » أى الحارث . والشعر يقتضى ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « ليس عمرو »، والوجه ما أثبت . والمقطوعة لم ترو فى مظنها من ح . وحمس النقع : شدته . والنقع : الغبار . صارت عصيا ، جعل المقاتلة يضربون بها ضرب العصى ويأخذونها أخذها .

فوق شُهْب مِثْلِ السَّحُوق من النَّخْـــلِ ينادى المبارِزين : إليَّـــا[1]
ثُمَّ ياعَمرُو تستريـــحُ من الفخْـــرِ وتلتقى بـــه فتًى هاشميّـــا
فالقه إن أردتَ مكرُمَةَ الدَّهْـــرِ أو المـــوتَ كلٌّ ذاك عليّـــا

طعنة على لعمرو

فلما سمع عمرٌو شعره قال : والله لو علمت أنِّى أموتُ ألف مَوتةٍ لبارزتُ عليًّا فى أوَّلِ ما ألقاه . فلما بارزه طعنه علىٌّ فصرَعه ، واتَّقاه عمرٌو بعَورته ، فانصرف علىٌّ عنه .

وقال علىٌّ حين بدت له عورةُ عمرٍو فصرف وجهَهُ عنه :

ضربِى ثُبِى الأَبطال فى المَشاعب[2] ضربُ الغـــلام البـــطلِ المُلاعِبِ
أين الضِّرابُ فى العَجاجِ الثائبِ حين احمرار الحَـــدَقِ الثواقبِ
بالسَّيفِ فى تَهتهة الكتائب[3] والصبر فيـــه الحمـــدُ للعواقب

عقد معاوية للألوية

ثم إنَّ معاوية عقد لرجالٍ من مُضَر ، منهم بُسْر بن أرطاة ، وعُبيد الله ابن عُمر ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومحمد وعتبة ابنا أبى سفيان ، قَصَد بذلك إكرامَهم ورفْعَ منازلهم ، وذلك فى الوقَعَاتِ الأُولى من صِفّين ، فغمَّ ذلك رجالاً من أهل اليمن ، وأرادوا ألاَّ يتأمَّر عليهم أحدٌ إلاَّ منهم ، فقام رجلٌ من كِندة يقال له عبد الله بن الحارث السَّكونىّ ، فقال : يا معاوية ، إنِّى قلتُ شيئاً فاسمَعْه ، وضعه مِنِّى على النَّصيحة . فقال : هاتِ . قال :

مقالة عبد الله بن الحارث السكونى لمعاوية

(١) السحوق من النخل : الطويلة ، شبه بها الخيل .

(٢) الثبة : الجماعة ، والعصبة من الفرسان ، وثبى ، هى ثبين جمع ثبة ، من الجمع الملحق بالسالم ، كعزين وعضين ، وحذفت النون للإضافة : وفى الأصل : « ضرب ثبا » ، والوجه ما أثبت .

(٣) التهتهة : مصدر قولهم تهته فى الشىء — بالبناء للمفعول : أى ردد فيه . وقد تكون : « نهنهة » بنونين ، وهو الكف والزجر .

مُعَاوِىَ أحيَيْتَ فينــا الإِحَنْ ... وأَحدَثْتَ فى الشام ما لم يكُنْ
عَقَــدتَ لبُسْــرٍ وأصحــابه ... وما النَّــاسُ حولَكَ إلا اليَمَنْ
فــلا تخلِطَنَّ بنــا غيــرَنا ... كما شِيبَ بالماءِ مَحْضُ اللَّبَنْ[1]
وإلاَّ فدَعْنَــا على مالنــا ... وإنّــا وإنَّــا إذا لم نُهَنْ
ستَعلم إنْ جــاشَ بَحرُ العــراقِ ... وأبدى نواجــذَه فى الفِتَنْ
ونــادى علىٌّ وأصحــابُه[2] ... ونفسُكَ إذْ ذاك عنــد الذَّقَنْ
بأنَّا شعــارُك دُونَ الــدِّثارِ ... وأنَّا الرِّمــاح وأنَّا الجُنَــنْ
وأنَّا السُّيــوفُ وأنَّا الحتوفُ ... وأنَّا الــدُّرُوعُ وأنَّا المِجَــنّ

فكبا له معاوية ، ونظر إلى وجوهِ أهل اليمن فقال : أعَن رضاكم قال هذا ما قال ؟ فقال القوم : لا مرحباً بما قال ، الأَمر إليك فاصنَعْ ما أحببت[3] . قال معاوية : إنما خلطتُ بكم ثقاتى وثقاتِكم[4] ، ومن كان لى فهو لكم ومن كان لكم فهو لى . فرضى القوم وسكتوا ، فلما بلغ أهلَ الكوفة مقالةُ عبد الله بن الحارث لمعاوية فيمن عقد له من رءوس أهل الشام قام [الأعور] الشَّنّىّ إلى علىّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لا نقول لك كما قال أصحاب أهل الشام لمعاوية ، ولكنا نقول : زاد الله فى هداك وسرورك[5] ، نظرتَ بنور الله فقدّمتَ رجالاً ، وأخّرتَ رجالا ، فعليك أن تقول وعلينا أن نفعل ، أنت الإمام ، فإن هلكتَ فهذان من بعدك ــ يعنى حسناً وحسيناً ــ وقــد قلتُ شيئاً فاسمَعْه . قال : هات . فقال :

مقالة الأعور الشنى لعلى

---

(١) ح (٢ : ٢٩٠) : « صفو اللبن » .
(٢) ح : « وشد على بأصحابه » .
(٣) فى الأصل : « بما أحببت » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) فى الأصل : « أهل ثقاتى وثقاتكم » . وكلمة : « أهل » مقحمة ، وفى ح : « أهل ثقتى » فقط .
(٥) ح : « فى سرورك وهداك » .

أبا حسَنٍ أنتَ شمسُ النَّهـارِ وهـذان فى الحادِثَاتِ القَمَرْ
وأنت وهـذانِ حتَّى الممـاتِ بمنزلةِ السَّمـع بعـدَ البَصَرْ
وأَنتم أُناسٌ لـكم سُـورَةٌ يقصِّرُ عنهـا أكفُّ البَشَرْ[1]
يخبِّرنَا النـاسُ عَنْ فضلِكم وفضلكمُ اليومَ فوقَ الخبرْ[2]
عَقَـدْتَ لقـومٍ ذوِى نَجْدَةٍ منَ أهل الحيـاءِ وأهل الخَطَرْ
مسـاميحَ بالمـوتِ عندَ اللقاءِ مِنَّـا وإخوانِنـا من مُضَـرْ
ومن حـىٍّ ذى يمـنٍ جِـلَّةٍ يقيمـون فى الحـادثات الصَّعَرْ
فـكلٌّ يسـرُّك فى قومِـه ومن قال لا فبِفِيـه الحَجَـرْ
ونحن الفـوارسُ يومَ الزُّبير وطلحةَ إذ قيـل أودى غُـدَرْ
ضربناهمُ قبـلَ نِصفِ النهـارِ إلى الليل حتى قضَينـا الوَطَـرْ
ولم يأْخُذ الضربُ إلاَّ الـرءوسَ ولم يأخـذ الطَّعْنُ إلا الثُّغَـرْ
فنحنُ أولئـك فى أَمْسِنـا ونحن كـذلك فيما غَبَرْ[3]

فلم يبق أحدٌ من الناس به طِرقٌ[4] أوله ميسرةٌ إلا أهدى للشَّنِّىِّ أو أتْحَفَه .

تآمر معاوية وصحبه على بعض أصحاب على

قال [نصر : وحدثنا عمر بن سعد قال] : ولما تعاظمت الأُمور على معاوية ، [قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب] ، دعا عمرَو بنَ العاص ، وبُسْر بن أرطاة ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، فقال لهم : إنَّه قد غمّنى رجالٌ من أصحاب علىّ ، منهم سعيد بن قيس فى همدان ، والأشتر فى قومه ، والمرقال وعدى ابن حاتم وقيس بن سعد فى الأنصار ، وقد وقَتكم يمانيتكم بأنفسها [أياماً

(١) السورة ، بالضم : المنزلة الرفيعة .
(٢) فى الأصل : « يخبر بالناس » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٩٠) .
(٣) غبر : بقى . والغابر من الأضداد ، يقال للماضى وللباقى . فى الأصل : « فيمن غبر » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) الطرق ، بكسر الطاء : القوة والقدرة . وفى الأصل : « طرف » ، تحريف .

كثيرة] حتى لقد استحييت لكم ، وأنتم عِدّتهم من قريش : وقد أردت أن يعلم الناس أنَّكم أهل غَنَاء ، وقد عَبَّأْت لكلِّ رجلٍ منهم رجلاً منكم ، فاجعلوا ذالك إلىّ . فقالوا : ذلك إليك . قال : فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومَه غدا ، وأنت ياعمرو لأعور بنى زهرة المرقال ، وأنت يا بسر لقيس بن سعد ، وأنت يا عبيد الله للأشتر النخعى ، وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لِأعور طيِّئ ـ يعنى عدى بن حاتم ـ ثم ليردّ كل رجل منكم عن حماة الخيل . فجعلها نوائب فى خمسة أيام ، لكلِّ رجل منهم يومٌ . فأصبح معاوية [فى غده] فلم يدع فارساً إلا حشَدَه ، ثم قصد لهمدان [بنفسه] وتقدم الخيلَ وهو يقول :

لا عيشَ إلا فَلْقُ قِحْفِ الهامِ ... من أرحَبٍ وشاكرٍ وشِبامِ
لن تُمْنَعَ الحرمةُ بعد العامِ ... بين قتيلٍ وجريحٍ دامِ
سأملك العراقَ بالشآمِ ... انعَى ابن عفانَ مَدى الأيّامِ

فطعن فى أعراض الخيل مليًّا . ثم إن همْدان تنادت بِشعارها ، وأقحمَ سعيد بن قيس فرسَه على معاوية واشتدّ القتال ، وحجز بينهم الليل ؛ فذكرت همدان أنَّ معاوية فاتها ركْضاً . وقال سعيد بن قيس فى ذلك :

هزيمة سعيد لمعاوية

يالهف نفسى فاتنى معاويَهْ ... فوق طِمِرٍّ كالعقابِ هاويَهْ
والرّاقصاتِ لا يعودُ ثانيهْ[1] ... إلاَّ على ذاتِ خَصيل طاوِيَهْ
إن يَعْدِ اليومَ فكفِّى عاليَهْ

هزيمة المرقال لعمرو

فانصرف معاوية ولم يعمل شيئاً . وإن عمرو بن العاص غدا فى

(١) يقسم بالراقصات ، وهى الإبل ترقص فى سيرها . والرقص : ضرب من الخبب . انظر أيمان العرب للنجيرمى ص ٢٠ وأمالى القالى (٣ : ٥١) .

اليوم الثانى فى حُماة الخيل ، فقصد المرقال ، ومع المرقال لواءُ علىّ الأعظمُ ، فى حماة الناس ، وكان عمرو مِن فرسان قريش ؛ فتقدم وهو يقول :

لا عيش إن لم ألقَ يوماً هاشمـا ... ذاك الذى أجشمنى المجـاشمـا
ذاك الـذى أقـام لى المآتما ... ذاك الذى يشتُم عِرْضى ظالما
ذلك الذى إن ينجُ منِّى سالما ... يكن شَجاً حتَّى الممات لازما

فطعن فى أعراض الخيل مُزْبِداً ، فحمل هاشم وهو يقول :

لا عيش إن لم أَلْقَ يومِى عَمْـرا ... ذاك الذى أحدثَ فينـا الغَدْرا
أو يحـدثَ الله لأمرٍ أمـرا ... لا تجزعِى يانَفْسُ صَبْراً صَبْرا
ضربا هَذَاذَيْكَ وطعْناً شَزْرا (١) ... ياليت ما تَجْنِى يكون قبرا (٢)

فطاعَنَ عمراً حتَّى رجع (٣) ، واشتدَّ القتال وانصرفَ الفريقان [بعد شدّة القتال] ، ولم يسرَّ معاويةَ ذلك .

هزيمة قيس لبسر

وإن بُسرَ بن أرطاةَ غدَا فى اليوم الثالثِ فى حُماة الخيل فلقىَ قيسَ ابن سعد فى كُماة الأنصار ، فاشتدَّت الحربُ بينهما ، وبرز قيسٌ كأنَّه فنيقٌ مُقْرَم ، وهو يقول :

أنا ابنُ سعـدٍ زانه عُبادَهْ ... والخزرجيُّـون رجـالٌ سادَهْ
ليس فِرارى فى الوغَى بِعـادَهْ ... إن الفـرار للفتى قِـلادهْ
يا رب أنت لقِّنِى الشَّهاده ... والقتـلُ خيرٌ من عِنـاقِ غَادهْ
حتى متى تُثْنَى لىَ الوِسادهْ

(١) هذاذيك : أى هذا بعد هذ ، يعنى قطعا بعد قطع . وفى الأصل : « مداريك » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « يا ليت ما تحيى » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٣) فى الأصل : « فطعن عمراً » ، صوابه فى ح .

وطاعَنَ خيلَ بُسْرٍ[1] . وبرز له بسر بَعْد مَلِيٍّ[2] ، وهو يقول :

أنا ابن أرطــاةٍ عظيمِ القَــدْرِ   مُرَدَّدٌ فى غــالب بن فهــرِ[3]
ليس الفِرارُ من طبــاعِ بُسْــرِ   أَنْ يرجَع اليــومَ بغير وِتْــرِ
وقد قضيتُ فى عــدوِّى نَذْرِى   ياليت شِعْرى ما بِقَى من عمرى[4]

ويطعن بُسر قيساً فيضربه قيسٌ بالسَّيف فردّه على عَقِبَيه ، ورجع القومُ جميعاً ولقيسٍ الفضلُ .

هزيمة الأشتر لعبيد الله بن عمر

وإنَّ عبيد الله بن عُمَر تقدَّم فى اليوم الرابع ولم يتركْ فارساً مذكوراً ، وجَمَع من استطاع ، فقال له معاوية : إنك تلقى أفاعىَ أهل العراق[5] فارفُقْ واتَّئد . فلقيه الأشترُ أمامَ الخيل مُزْبِداً ــ وكان الأشتر إذا أراد القتال أزبَد ــ وهو يقول :

فى كل يوم هــامتى مقيَّرَهْ   بالضَّرْبِ أبغــى مِنَّــةً مؤخَّرَهْ
والدِّرعُ خيرٌ من بُرودٍ حِبَرَهْ[6]   يارَبِّ جنِّبنى سبيل الكَفَرَهْ
واجعــل وفاتِى بــأكفِّ الفجَرَهْ   لا تعدِلُ الدُّنيا جميعــاً وَبَرَهْ
ولا بعوضاً فى ثوابِ البَرَرَهْ

وشدَّ على الخيل خيل الشام فردَّها[7] ، فاستحيا عُبيد الله فبرزَ أمام الخيل ، وكان فارساً [شجاعاً] ، وهو يقول :

---

(١) فى الأصل : « فطعن خيل بسر » ، والصواب فى ح .

(٢) يقال مضى ملى من النهار ، أى ساعة طويلة .

(٣) فى الأصل : « مراود » ، ووجهه من ح . وفى ح : « غالب وفهر » . وغالب هو ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

(٤) بقى ، بكسر القاف وإسكان الياء للشعر ، وفى لغة طيىء : بقى يبقى بفتح القاف ، كما يقولون فنى : يفنى ، يفعلون ذلك فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يجعلونها ألفاً . انظر اللسان (بقى) .

(٥) ح (٢ : ٢٩١) : « أفعى أهل العراق » .

(٦) ح : « فالقتل خير من ثياب الحبره » .

(٧) هذا ما فى ح . وبدل هذه العبارة فى الأصل : « فرد الخيل » .

أنعَى ابنَ عفانَ وأرجُو ربى   ذاك الذى يُخْرِجُنى من ذَنْبِى
ذاك الذى يكشِفُ عنِّى كَرْبِى   إنَّ ابن عفَّان عظيمُ الخَطْبِ
يأبَى له حبِّى بكل قلْبِى[1]   إلاَّ طعانِى دونَه وضرْبِى
حسبى الذى أنْوِيهِ حَسْبِى حَسْبِى

فحمل عليه الأشتر فطعنه ؛ واشتدَّ الأمرُ وانصرف القومُ وللأشتر الفضلُ . فغمَّ ذلك معاويةَ .

هزيمة عدى بن حاتم لعبد الرحمن بن خالد

وإنَّ عبدَ الرحمن بن خالدٍ غدَا فى اليوم الخامس ، وكان أرجاهُمْ عند معاوية أن ينالَ حاجتَه ؛ فقوَّاهُ معاويةُ بالخيل والسِّلاح . وكان معاوية يعدُّهُ ولداً ؛ فلقيه عدىُّ بن حاتمٍ فى حماة مذْحجٍ وقُضاعة ؛ فبرز عبدُ الرحمن أمامَ الخيل وهو يقول :

قل لعدىّ ذهَبَ الوعيدُ   أنا ابنُ سيفِ اللهِ لا مزيدُ
وخالدٌ يزينُه الوليدُ   ذاك الذى هُو فِيكمُ الوحيدُ[2]
قد ذقتم الحرب فزِيدُوا زيدُوا   فما انا ولا لكمْ مَحيدُ
* عن يومنا ويومِكمْ فعُودوا *

ثم حمل فطعن الناس ، وقصده عدىُّ بن حاتمٍ [وسدَّد إليه الرمح] وهو يقول :

أرجو إلٰهى وأخافُ ذَنْبِى   وليس شئٌ مثلَ عَفْوِ ربِّى[3]
يا ابنَ الوليد بغضُكمْ فى قَلبِى   كالهضْبِ بل فوقَ قِنانِ الهَضْبِ[4]

(١) فى الأصل : « قلب » ، صوابه فى ح .
(٢) ح (٢ : ٢٩٢) : « الذى قيل له » .
(٣) ح : « ولست أرجو غير عفو ربى » .
(٤) القنان : جمع قنة ، وقنة كل شىء : أعلاه .

فلما كادَ أن يخالِطَه بالرُّمح توارى عبدُ الرحمن فى العَجاج واستتر بأسنّة أصحابه ، واختلط القومُ ، ورجع عبدُ الرحمن إلى معاوية مقهوراً ، وانكسرَ معاوية .

تعزية أيمن بن خريم لمعاوية

وإنَّ أيمن بن خُريمٍ الأسدىّ[1] لمَّا بلغه ما لقى معاويةُ وأصحابُه شَمِت ، وكان أنْسكَ رجلٍ من أهل الشام وأشعَرَه ، وكان فى ناحيةٍ معتزلا[2] ، فقال فى ذلك :

مُعـــاوِىَ إنَّ الأَمرَ لله وحـــدَه ... وإنَّك لا تَسْطِيعُ ضَرًّا ولا نَفْعا
عَبَأْتَ رِجـــالاً من قُرَيْش لمعشـــرٍ ... يَمَانِيَـــةٍ لا تستطِيـــعُ لها دَفْعـــا
فكيف رأيتَ الأَمرَ إذْ جَدَّ جِدُّهُ ... لقد زادكَ الرأْىُ الذى جِئْتَه جَدْعا
تعبِّى لقيسٍ أو عـــدىٍّ بنِ حاتمٍ ... والأشترِ ، يالَلنَّاسِ ، أغْمَارَكَ الجُدْعا[3]
تعبِّئُ للمِـــرقال عَمْراً وإنَّـــه ... لَلَيْثٌ لـقِى من دُونِ غَابَتِهِ ضَبْعا
وإنَّ سَعيداً إذ برزْتَ لرُمْحِـــه ... لَفَارِسُ هَمْدانَ الذى يَشْعَبُ الصَّدْعا
مَلِىٌّ بضَرْبِ الـــدَّارِعِينَ بسَيفهِ ... إذا الخيلُ أبدَتْ من سَنابِكها نَقْعا
رجعتَ فلم تظفرْ بشىءٍ أردْتَه ... سوى فَرَسٍ أعيَتْ وأُبْتَ بها ظَلْعا
فدَعْهُمْ فـــلا واللهِ لا تستطيعُهم ... مجاهرةً فاعمل لقهرهم خَدْعا[4]

(1) أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن العليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدى . قال المبرد فى الكامل : له صحبة . وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح . وكان يسمى خليل الخلفاء ، لإعجابهم فى تحديثه بفصاحته وعلمه . وكان به وضح يغيره بزعفران . انظر الإصابة ٣٩٠ . وفى الأصل و ح : « بن خزيم » ، صوابه بالراء المهملة ، كما فى ترجمة (خريم) من الإصابة ٢٢٤٢ .

(2) ح : « وكان معتزلا للحرب من ناحية عنها » .

(3) الأغمار : جمع غمر ، وهو من لا تجربة له . والجدع ، جمع أجدع . وفى الأصل : « الخدعا » ، وفى ح : « الجذعا » والوجه ما أثبت .

(4) فى الأصل : « فانظر تطيقهم خدعا » ، وأثبت ما فى ح .

تقويع معاوية لعمرو

قال : وإنّ معاويةَ أَظهر لعَمْرٍو شماتةً ، [وجعل يقرِّعه ويوبِّخه] وقال : لقد أَنصفتُكم إذ لقيتُ سعيد بنَ قيس فى هَمْدَان وفررتُمْ ، وإنَّك لجبانٌ . فغضب عمرٌو ثم قال : والله لو كان عليًّا ما قحمت عليه يا معاويةُ ، فهلاَّ برزتَ إلى علىٍّ إذْ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعُم . وقال عمرو فى ذلك :

تَسيرُ إلى ابنِ ذى يزنٍ سعيدٍ ... وتترُكَ فى العَجاجةِ مَنْ دعاكا
فهل لَكَ فى أَبى حسنٍ علىٍّ ... لعلَّ اللهَ يُمْكِنُ من قَفَاكا
دعاك إلى النِّزال فلم تُجِبْهُ ... ولو نازلتَهُ تَرِبَتْ يَدَاكا
وكنتَ أَصمَّ ، إذْ ناداك ، عَنْها ... وكان سكوتُه عنها[1] مُناكا
فآبَ الكبشُ قد طَحَنَتْ رحاه ... بنَجْدَتِه ولم تَطْحَنْ رَحاكا
فما انصفْتَ صَحْبَكَ يا ابنَ هندٍ ... أَتفرَقُه وتُغْضب مَنْ كَفاكا
فلا واللهِ ما أَضمرتَ خيراً ... ولا أَظهرتَ لى إلا هَوَاكا

تعزية معاوية للقرشيين

[قال] : وإنَّ القرشيين استحيَوا ممّا صنعوا ، وشمِتَتْ بهم اليمانِيَة [من أَهل الشَّام] ، فقال معاوية : « يامعشر قريش ، والله لقد قرَّبكم لقاءُ القوم من الفَتْح ، ولكن لا مردَّ لأَمر الله[2] ، [وممَّ تستحيون ؟ !] إنما لقيتمْ كِباشَ أَهل العراق ، وقَتَلْتُمْ وَقُتِلَ منكم ، ومالكم علىَّ من حجَّة ، لقد عبَّأْت نفسى[3] لسيِّدهم سعيد بن قيس » .

فانقَطَعُوا عن معاوية أَياماً ، فقال معاوية فى ذلك :

---

(١) أى عن الدعوة أو المنازلة . وفى الأصل : « عنه » ، وأثبت ما فى ح ليتلاءم الكلام .

(٢) فى الأصل : « الأمر لأمر الله » ، صوابه فى ح .

(٣) فى الأصل : « تعبئى » ، والوجه ما أثبت من ح . انظر السطر الثانى .

لعمرى لقد أنصفْتُ والنِّصْفُ عَادَةٌ　　وعايَنَ طَعْناً فى العَجاجِ المُعايِنُ[1]
ولولا رجَائِى أَن تبوءُوا[2] بنُهزَةٍ　　وأَن تغسِلُوا عاراً وعَتْهُ الكنائن
لناديت للهيجَا رجالاً سِواكُمُ　　ولكنَّما تحمى الملوكَ البطائنُ
أَتَدْرُون مَنْ لا قَيتُمُ فُلَّ جَيشُكُمْ　　لَقيتُمْ جُيوشاً أَصحرتْها العَرَائِنُ[3]
لَقِيتُمْ صَنَادِيدَ العِراقِ وَمَنْ بِهِمْ　　إذا جاشَتْ الهيجاءُ تُحْمَى الظَّعَائِنُ
وما كان منكمْ فارسٌ دونَ فارسٍ　　ولكنَّه ما قدَّر اللهُ كائنُ

اعتذار القرشيين لمعاوية

قال : فلمَّا سمع القومُ ما قال معاويةُ أَتَوه فاعتذروا له ، واستقاموا له على ما يحبّ .

تراسل معاوية وعمرو

قال [نصر : وحدثنا عمرو بن شمر قال] : ولما اشتدَّ القتال [وعظُم الخطب] أرسل معاوية إلى عمرٍو : أَنْ قدِّم عكًّا والأَشعريين إلى من بإزائهم . فبعث عمرو إلى معاوية : « إنَّ هَمْدانَ بإزاء علكّ » . فبعث [إليه] معاويةُ : « أَنْ قدِّم عكًّا إلى هَمْدان » . فأَتاهم عمرو فقال : يا معشر علكّ ، إنَّ عليًّا قد عرَف أنكم حَىُّ أَهلِ الشام ، فعبُّوا لكم حىَّ أَهل العراق همدان ، فاصبروا وهَبُوا لى جماجمَكمْ ساعةً من النَّهار ، وقد بلغ الحقُّ مَقْطَعه . فقال ابنُ مسروق العكّى : أَمهلونى[4] حتَّى آتِىَ معاوية . فأَتاه فقال : يا معاوية ، اجعل لنا فريضة أَلفَىْ رجلٍ فى أَلفين ، ومن هلَكَ فابنُ عمه مكانه ؛ لنقرَّ اليوم عينك . قال : ذلك لك . فرجع ابن مسروقٍ إلى أَصحابه فأَخبرهم الخبرَ فقالت علكٌّ : نحن لهمدان.

ابن مسروق ومعاوية

قتال همدان لعك

(١) النصف ، بالكسر : الإنصاف .
(٢) ح : « أن تؤوبوا » .
(٣) أصحرتها : أبرزتها . وفى الحديث : فلا تصحريها » ، معناه لا تبرزيها إلى الصحراء قال ابن الأثير : هكذا جاء فى هذا الحديث متعديا ، على حذف الجار وإيصال الفعل ، فإنه غير متعد . والعرائن : جمع عرينة ، وهى مأوى الأسد ، كالعرين .
(٤) ح (٢ : ٢٩٣) : « أمهلنى » .

قال : فتقدَّمت عكٌّ ، ونادى سعيدُ بن قيس : يالَ همدان خَدِّموا[1] . فأَخذت السُّيوفُ أَرجلَ عكٍّ ، فنادى أَبو مسروق العكِّيّ : يا لعَكّ ، بركاً كبرك الكَمَل[2] . فبركوا تحتَ الحجف وشَجَرُوهم بالرِّماح[3] ، وتقدم شيخٌ من همدانَ وهو يقول :

يا لَبَكِيل لخْمُها وحَاشِدُ[4] نَفْسِي فِداكمْ طاعِنوا وجالِدُوا
حتَّى تخرَّ منكم القمَاحِدُ[5] وأَرجلٌ تتبعها سواعدُ
بذاك أَوصَى جَدُّكمْ والوالدُ إِنِّي لَقَاضٍ عصبتِي ورائدُ

وتقدم رجلٌ من عكٍّ وهو يقول :

يدعون همدانَ ونَدعُو عَكَّا نَفِسي فِداكُمْ يالَ عَكٍّ بَكَّا
إنْ خدَّمَ القومُ فبَركا بَرْكا لا تدخِلُوا نفسي[6] عليكمْ شَكَّا
قد مَحَكَ القومُ فزِيدُوا مَحْكا

قال : فأَلقَى القوم الرِّماحَ وصارُوا إلى السُّيوف ، وتجالَدُوا حتَّى أَدركَهم الليلُ ، فقالت همدان : يا معشر عكّ ، إنَّا واللهِ لا ننصرفُ حتَّى تنصرفوا . وقالت عكٌّ مثلَ ذلك ، فأَرسل معاويةُ إلى عكّ : « أَبِرُّوا قسَمَ القوم[7] [وهلمُّوا] » . فانصرفت عكٌّ ثم انصرفتْ هَمْدان ، وقال عمرو : يا معاوية ، لقد لقيت أُسْدٌ أُسْداً ، ولم أَرَ كاليومِ قطُّ ، لو أَنَّ معك حَيًّا كعكٍّ ، أَو مع عليٍّ حيًّا كهمدان لكانَ الفناء .

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٥٧ س ١٥ وص ٣٢٩ س ١٣ .
(٢) الكمل : الجمل ، فى لغة عك ، وهم يقبلون الجيم كافا . انظر ما مضى ص ٢٢٨ ، ٣٢٩ . وفى الأصل : « الجمل » ، صوابه فى ح .
(٣) شجروهم : طعنوهم . وفى ح : « فشجرتهم همدان بالرماح » .
(٤) فى الاشتقاق ٢٥٠ : « بنو حاشد وبنو بكيل منهم تفرقت همدان » .
(٥) القماحد : جمع قمحدوة ، وهى ما أشرف على القفا من عظم الرأس
(٦) ح : « لا تدخلوا اليوم » .
(٧) ح (٢ : ٢٩٣) : « أن أبروا قسم إخوتكم » .

وقال عمرو فى ذلك :

شعر عمرو فى قتال عك وهمدان

إنّ عــكًّا وحــاشداً وبكيلا | كأسودِ الضِّرابِ لاقَتْ أُسُودا
وجَثَا القومُ بالقَنَــا وتساقَــوْا | بظُبَــاتِ السيوف موتاً عَتِيدا
ليس يدرون ما الفــرارُ وإن كا | ن فِــراراً لَكَان ذاك سَدِيدا[1]
ازْورار المنــاكب الغُلْب بالشُّـ | ـمِّ وضربِ المســوِّمين الخُــدودا
يعــلم اللهُ مــا رأيتُ من القَــوْ | مِ ازوراراً ولا رأيت صُــدُودا
غيرَ ضربٍ فَوق الطُّلَى وعلى الها | مِ وقَرْعِ الحديدِ يَعْــلُو الحديدا
ولقــد فُضِّــل المطيــعُ على العا | صِى ولم يبلغُوا بِهِ المجهُــودا
ولقــد قال قائلٌ خَدِّمُوا السُّــو | قَ فخَرَّتْ هناك عَكٌّ قُعُــودا
كبُرُوكِ الْجِمــال أثقلها الحِمْـ | ـلُ فما تَستقِلُّ إلاَّ وَئِيــدا[2]

سخاء معاوية فى العطاء

ولما اشترطت عكٌّ والأشعرون على معاويةَ ما اشترطُوا من الفَرِيضة والعطاء فأعطاهم ، لم يبقَ من أهل العراق أحدٌ فى قلبه مرضٌ إلاَّ طَمِع فى معاوية وشَخَص بصرُه إليه[3] ، حتَّى فشا ذلك فى الناس ، وبلغ ذلك عليًّا فساءه .

هجاء المنذر الوادعى لعك والأشعريين

وجاء المنذر بن أبى حَمِيصَة الوادعى[4] ، وكان فارسَ هَمْدان وشاعرَهم فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عكًّا والأشعريين طلبوا إلى

---

(١) فى الأصل : « وكان ذلك شديدا » ، صوابه فى ح .
(٢) فى الأصل و ح : « كبراك » ، ولا وجه لها .
(٣) ح : « وشخص ببصره إليه » .
(٤) الوادعى : نسبة إلى وادعة ، وهم بطن من همدان . الاشتقاق ٢٥٣ . وفى الأصل : « الأوزاعى » ، صوابه فى ح والإصابة ٨٤٥٩ . قال ابن حجر : « له إدراك ، هو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب ، فبلغ عمر فأعجبه » . وفى الأصل أيضا : « بن أبى حميضة » ، وفى ح : « بن أبى حمضة » ، صوابهما فى الإصابة .

معاوية الفرائضَ والعَطَاءَ[1] فأَعطاهم ، فباعوا الدِّين بالدنيا ، و إنَّا رضِينا بالآخرة من الدُّنيا ، وبالعراق من الشَّام ، وبِكَ من معاوية . والله لآخرتُنا خيرٌ من دنياهم ، ولَعراقُنا خيرٌ من شامهم ، ولَإمامُنا أَهدى من إمامهم ، فاستفتِحنا بالحرب ، وثق منا بالنصر[2] ، واحملنا على الموت » . ثم قال فى ذلك :

إن عكًّا سَالُوا الفَرائِض والأَشْـ ... عَرَ سالُوا جـوائزاً بَثَنِيَّـهْ[3]
تركُـوا الدِّين للعَطـاء ولِلْفَـرْ ... ض فـكانوا بذاك شَر البريَّهْ
وســأَلْنا حُسْن الثَّـواب من اللَّـ ... ـهِ وصَبراً على الجهـادِ ونِيَّهْ
فلــكلٍّ مــا سَــأَلَهُ ونَواهُ ... كلُّنــا يحسب الخِلافَ خطِيَّهْ
ولَأَهْلُ العِراق أَحسَنُ فى الحَـرْ ... ب إذا ما تدانَت السَّمهـريَّهْ
ولَأَهلُ العِـراقِ أَحْمَـلُ للثِّقْـ ... ـل إذا عَمَّتِ العِبـادَ بليّـهْ[4]
ليس مِنَّا مَنْ لم يكنْ لك فى اللَّـ ... ـه وَلِيًّـا ياذا الوَلَا والوَصيَّـهْ

فقال علىٌّ : حسْبُك ، رحمك الله . وأثنى عليه خيراً وعلى قومه . وانتهى شعره إلى معاويةَ فقال معاوية : والله لأَستميلنَّ بالأَموال ثقاتِ[5] علىّ ، ولأَقسمنّ فيهم المالَ حتَّى تغلب دُنيايَ آخرتَه .

وإنَّه لمّا أَصبح الناس غدَوْا على مصافّهم ، وإنَّ معاويةَ نادَى فى أَحياءِ اليمن فقال : عبُّوا إلىَّ[6] كلّ فارسٍ مذكورٍ فيكم ، أَتقوَّى به

---

(١) فى الأصل : « والعقار » صوابه فى ح .
(٢) بدل هاتين الجملتين فى ح : « فامنحنا بالصبر » ، وهو نقص وتحريف .
(٣) سالوا : مخفف سألوا . والبثنية : المنسوبة إلى قرية بالشام بين دمشق وأذرعات . وإليها تنسب الحنطة البثنية ، وهى أجود أنواع الحنطة . ح (٢ : ٢٩٤) : « لبثيه » ، تحريف .
(٤) ح : « إذا عمت البلاد » .
(٥) فى الأصل : « أهل ثقات على » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٦) ح : « عبوا لى » .

لهذا الحىِّ من هَمْدان(١) . فخرجَتْ خيْلٌ عظيمةٌ ، فلما رآها علىٌّ عَرَف أَنَّها عيونُ الرِّجال فنادى : يالَهمدان . فأَجابه سعيد بن قيس ، فقال له علىٌّ عليه السلام : احمِلْ . فحمَلَ حتَّى خالَطَ الخيلَ واشتدّ القتال ، وحطَّمتهم همدانُ حتَّى أَلحقوهم بمعاوية فقال : ما لقيتُ مِنْ همدان ، وجَزِعَ جزعاً شديدًا وأَسرع فى فُرسان أَهلِ الشَّام القتلُ ، وجمع علىٌّ همدانَ فقال : يا معشَر هَمْدان ، أَنتم دِرعى ورُمْحى ، يا همدان ما نَصرتُم إلاَّ الله ولا أَجبتم غيرَه . فقال سعيد بن قيس: « أَجَبْنا الله وأَجبناك(٢) ، ونصرنَا نبىَّ الله صلى الله عليه فى قبره ، وقاتلنا معك مَن ليس مِثلَك ، فارم بنا حيثُ أَحبَبْت » .

إعجاب على بهمدان

قال نصر : وفى هذا اليوم قال علىٌّ عليه السلام :

ولو كنتُ بوَّاباً على بابِ جَنَّةٍ لقلتُ لَهَمْدَانَ ادخلِى بسلامِ

فقال علىّ عليه السلام لصاحب لِواءِ هَمْدَان : اكفِنى أَهلَ حِمْص ؛ فإِنِّى لَمْ أَلْقَ من أَحدٍ ما لقيتُ منهم .

قتال همدان وأهل حمص

فتقدَّم وتقدَّمَتْ همدانُ وشَدّوا شدَّةً واحدةً على أَهلِ حِمْص فضربوهم ضرباً شديداً متدارِكاً بالسُّيوف وعُمُدَ الحديد ، حتَّى أَلجؤوهم إلى قبّة معاوية ، وارتجز مِن همدانَ رجل [عِدَادُه(٣)] فى أَرحب ، وهو يقول:

قد قتل اللهُ رِجَالَ حِمْصِ حرصاً على المالِ وأَىَّ حِرْص
غُرُّوا بقولِ كَذِبٍ وخَرْص قد نكَص القومُ وأَىَّ نكص(٤)

* عن طاعة الله وفَحْوَى النَّصِّ *

(١) ح : « على هذا الحى من همدان » .
(٢) فى الأصل : « أجبنا الله وأنت » ، صوابه فى ح .
(٣) أى عدده ونسبته . وموضع هذه الكلمة بياض فى الأصل .
(٤) الخرص : الكذب ، والخراص : الكذاب . ح : « وحرص » ، تحريف .

وحملَ أهل حمص ورجُلٌ من كِندة يَقْدُمُهم وهو يقول :

قــد قتــل الله رجــالَ العــاليهْ   فى يومنا هذا وغَدْواً ثانِيَــهْ
حتى يكونوا كرِجامٍ باليَــهْ[1]   من عَهْدِ عــادٍ وثمودَ الثَّــاوِيهْ
* بالحِجْرِ أو يملِكَهُمْ مُعاويهْ *

قال : ولما عَبَّأَ معاويةُ حُماةَ الخيلِ لهَمْدان فرُدَّت خيلُه أَسِفَ ، فخرجَ بسيفه فحملت عليه فوارسُ هَمْدان ، ففَاتَها[2] ركْضاً ، وانكسر حماةُ أَهلِ الشَّام ، ورجعت همدانُ إلى مكانها . وقال حُجْر بن قحطان الوادِعىّ[3] ، [يخاطب سعيد بن قيس] :

قصيدة حجر ابن قحطان

أَلا يا ابنَ قيسٍ قَرَّت العينُ إذْ رَأَتْ
فــوارسَ همــدانَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ
على عــارفاتٍ لِلقــاء عَــوابِسٍ
طِوالِ الهَوَادِى مُشْرِفاتِ الحَــوَارِكِ
مُــوَقَّرَةٍ بالطعن فى ثُغُرَاتِهــا
يجُلْنَ ويحطِمنَ الحصى بالسنابك[4]
عَبَــاها علىٌّ لابنِ هنــدٍ وخَيــلِه
فــلو لم يَفُتْهــا كان أَوَّلَ هــالِكِ

---

(١) الرجام : الحجارة ، وربما جمعت على القبر ليسنم . وفى الأصل : « كرجال » .
(٢) فى الأصل : « ففارقها » .
(٣) وادعة : بطن من همدان . انظر ٤٣٥ . وفى ح : « الهمدانى » .
(٤) الموقرة : المصلبة الممرنة ، يقال وقرتنى الأسفار أى صلبتنى ومرنتنى عليها . ح : « معودة للطعن » . والثغرة ، بالضم : نقرة النحر . وفى الأصل : « يزلن يلحقن القنا » ، صوابه من ح .

وكانت لهُ فى يومِــهِ عِنــدَ ظنِّه　　وفى كلِّ يومٍ كاسِفِ الشَّمْسِ حالِكِ
وكانت بحمد الله فى كُلِّ كُرْبَةٍ　　حُصوناً وعزًّا للرِّجال الصَّعالكِ
فقلْ لأميرِ المؤمنين أن ادعنــا　　إذا شئتَ[1] إنَّا عُرْضَةٌ للمهالكِ
ونحن حَطَمنا السُّمْرَ فى حىِّ حميرٍ　　وكندةَ والحىِّ الخفافِ السَّكاسِكِ[2]
وعَكٍّ ولخمٍ شائِلين سِــياطَهُم　　حِذَارَ العَوالِى كالإماءِ العَوارِكِ[3]

معاوية ومروان ابن الحكم وعمرو ابن العاص

[قال نصر] : و [حدثنا عمر بن سعد ، عن رجاله [، أن معاوية دَعا مروانَ بن الحكم فقال : يا مروان ، إن الأَشتر قد غَمَّنى [وأقلقنى] ، فاخرجْ بهذه الخيلِ فى كَلاعٍ ويَحْصُب ، فالقَهُ فقاتِلْ بها . فقال له مروان : ادعُ لها عَمْراً فإنَّهُ شِعارُك دونَ دِثارِك . قال : وأنتَ نفسِى دونَ وريدى . قال : لو كنتُ كذلك أَلحقتَنى به فى العطاء ، أو أَلحقتَه بى فى الحرمان ، ولكنَّك أعطيته ما فى يديك، ومنَّيْته ما فى يَدَىْ غيرك ، فإن غَلبتَ طاب له المقام ، وإن غُلِبتَ خَفَّ عليه المرب . فقال معاوية : يغنى الله عنك[4] . قال : أمَّا اليوم فلا . ودعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الأَشتر فقال : والله إنى لا أقول لك كما قال لك مروان. قال : ولِم تقوله[5] وقد قدّمتك وأخَّرتُه ، وأدخلتُك وأخرجته . قال عمرو : [أما] والله لئن كنت فعلتَ لقد قدّمتَنى كافياً ، وأدخلتَنى ناصحاً . وقد أكثر القومُ عليك فى أمر مصر ، وإن كان لا يرضيهم إلا أخْذُها فخُذْها[6] .

---

(١) ح : « متى شئت » .
(٢) انظر ص ٨١ س ٩ .
(٣) العوالى : أعالى الرماح . العوارك : الحوائض .
(٤) ح (١ : ٢٩٥) : « سيغنى الله عنك » .
(٥) ح : « وكيف تقوله » .
(٦) ح : « فإن كان لا يرضيهم إلا رجوعك فيما وثقت لى به منها فارجع فيه » .

لقاء عمرو للأشتر

فخرج عمرٌو فى تلك الخيل فلقيه الأَشترُ أمامَ الخيل ، [وقد علم أنَّه سيلقاه] ، وهو [يرتجز] ويقول :

يا ليتَ شِعْـرِى كيف لى بعمرِو ذاك الذى أوجَبْتُ فيه نَذْرِى
ذاك الذى أطلُبُه بوِتْرِى ذاك الذى فيه شِفاءُ صَدْرِى
ذَاك الذى إن ألقه بعُمْرِى تغلى به عند اللِّقاءِ قِدْرِى
أولا فربِّى عَاذِرِى بعُذْرِى

عمرو والأشتر

فعرف عمرٌو أنه الأشتر ، وفَشِل حَيْلُه[1] وجبن ، واستحيا أن يرجع ، فأَقبلَ نحوَ الصَّوتِ وهو يقول :

يا ليتَ شِعْرِى كيف لى بمالكِ كَمْ كاهِلٍ جَبَبْتُه وحارِكِ[2]
وفارسٍ قَتَلتُه وفاتِكِ ونابل فتكته وباتِكِ[3]
ومُقْدِمٍ آبَ بوَجْهٍ حَالكِ هذا وهذا عُرْضَةُ المَهَالِكِ

قال : فلمّا غشِيه الأَشتَرُ بالرمح زاغ عنه عمرو ، فطعنه الأشتر فى وجهه فلم يصنع [الرمح] شيئاً ، وثقل عمرو فأمسك [عنان فرسه وجعل يده] على وجهه ، ورجع راكضاً إلى العسكر ، ونادى غلام من يَحصُب : يا عمرو ، عليكَ العَفا ، ما هَبَّت الصَّبا ، يالحمير[4] ، إنما لكم ما كان معكم ، أبلِغُونى اللِّواءَ[5] . فأَخذَه ثمَّ مضَى — وكان غلاماً شابًّا[6] — وهو يقول :

---

(١) الفشل : الضعف . والحيل : القوة . وفى الأصل : « خيله » ، تحريف ، وهذه الكلمة ليست فى ح .

(٢) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . والحارك : أعلى الكاهل . جببته : قطعته . فى الأصل : « كداحل خيبته » ، وفى ح : « كم جاهل جببته » ، والوجه ما أثبت .

(٣) هذا البيت ليس فى ح . والمعروف فى اللغة « فتكت به » .

(٤) ح (٢ : ٢٩٥) : « يا آل حمير » .

(٥) ح : « هاتوا اللواء » .

(٦) ح : « غلاما حدثا » .

إن يك عمــرو قد علاه الأَشترُ   بأَسمرٍ فيــه سنــانٌ أزهــرُ
فــذاكَ واللهِ لعَمْــرِى مَفْخَرُ   ياعمرو هيهات الجَنَابُ الأَخضرُ(١)
يا عمرو يكفيك الطعانَ حميرُ   واليحصبىُّ بالطِّعــانِ أَمْهَــرُ

* دون اللِّوَاءِ اليومَ مَوتٌ أَحمرُ *

فنادى الأَشتر إبراهيمَ ابنَه : خذ اللواءَ ، فغلامٌ لغُلام . فتقدَّم وهو يقول :

يا أَيُّها الســائل عنى لا تُــرَعْ   أَقدِمْ فإِنِّى من عَرانينِ النَّخَعْ
كيف ترى طَعْنَ العراقىِّ الجَذَعْ   أَطيرُ فى يومِ الــوغَى ولا أَقَعْ
ما ساءكم سَرَّ ومــا ضَرَّ نفع(٢)   أَعددت ذا اليومَ لهــول المطَّلَــعْ

فشل عمرو

ويحمل على الحميرىّ ، فالتقاه الحميرىُّ بلوائه ورمحه ، ولم يبرحا يطعنُ كلٌّ منهما صاحبَه حتى سقط الحميرىُّ قتيلاً ، وشمِت مروانُ بعمرو ، وغضِب القحطانيُّون على معاوية فقالوا : تُولِّى علينا مَن لايقاتل معنا ؟ ! ولِّ رجلاً منَّا ، وإلاَّ فلا حاجةَ لنا فيك . فقال المُزْعِف اليحصُبىّ — وكان شاعراً — أيُّها الأَمير ، اسمَعْ :

شعر اليحصبى فى ذلك

معــاوِىَ إمّــا تدعُنــا لعظيمــة
يُلَبَّسُ من نَكْرَائها الغَرْضُ بالحَقَبْ(٣)
فــولِّ علينــا مَنْ يَحُــوطُ ذِمــارَنا
من الحميريِّين المــلوكِ على العَــرَبْ

(١) يشير إلى مصر .
(٢) أى ما ساءكم سرنا وما ضركم نفعنا . فى الأصل : « ولا ضر » ، صوابه فى ح .
(٣) الغرض : حزام الرحل . وفى الأصل : « العرض » ، صوابه فى ح . والحقب ، بالتحريك : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله لئلا يؤذيه التصدير .

ولا تأمُرَنّا بالتى لا نريدُهـا
ولا تجعلنّـا ، للهوَى ، موضع الذّنَبْ

ولا تُغْضِبَنّـا ، والحـوادثُ جَمَّـةٌ
عليكَ ، فيفشُو اليومَ فى يَحْصُبَ الغَضَبْ

فإنَّ لنـا حقّـاً عظيمـاً وطاعةً
وحُبًّا دخيلاً فى المُشَاشةِ والعصَبْ[1]

تحريض معاوية لأصحابه

فقال لهم معاوية : [والله] لا أَولِّى عليكم بعد موقفى هذا[2] إلاّ رجلاً منكم .

[قال نصر] : و [حدثنا عمر بن سعد قال] : إن معاوية لمَّا أسرع أهلُ العراقِ فى أهل الشام قال : هذا يوم تمحيصٍ ، [وإن لهذا اليوم ما بعده] . إنّ القوم قد أُسرِع فيهم كما أُسْرِعَ فيكم ، فاصبروا وكونوا كراماً[3] .

على والأصبغ بن نباتة

قال : وحرّض علىّ بن أبى طالب أصحابَه ، فقام إليه الأَصبَغُ بن نُباتة فقال : يا أمير المؤمنين ، قدِّمْنى فى البقيَّة من الناس ، إنَّك لا تفقد لى اليوم صبراً ولا نصراً . أمّا أهل الشّام فقد أصبْنا منهم ، وأمَّا نحن ففينا بعضُ البقيَّة ، ائذنْ لى فأَتقدّم . فقال على : تقدّم باسم الله والبَركة . فتقدمَ وأَخذ رايته ، فمضى وهو يقول :

حتَّى متَى ترجُو البَقَا يا أَصْبَغُ   إنَّ الرجَـاءَ بالقُنوط يُدْمَغُ
أَما ترى أَحـداثَ دهرٍ تَنْبُغُ   فادْبُغْ هواك ، والأَديمُ يُدبَـغُ

---

(١) المشاشة : واحدة المشاش ، وهى رءوس العظام . ح : « فى المشاش وفى العصب » .
(٢) ح : « بعد هذا اليوم » .
(٣) ح : « وموتوا كراما » .

والرِّفقُ فيما قــد تريد[1] أَبلَغُ اليومَ شُغْــلٌ وغــداً لا تَفرُغ

فرجَع الأَصبغُ وقد خضَب سيفَه دماً ورمْحَه ، وكان شيخاً ناسكاً عابداً ، وكان إذا لقى القومُ بعضُهم بعضاً يُغْمِد سيفَه ، وكان من ذخائِر علىٍّ ممَّن قد بايَعَه على الموت ، وكان من فُرسان أهل العراق ، وكان علىٌّ عليه السلام يضنٌّ به على الحرب والقتال .

نداء الأشتر

وقال : وكانوا قد ثقلوا عن البِراز حين عضَّتهم الحرب ، فقال الأَشتر : يا أَهل العراق ، أَما مِنْ رجلٍ يَشرِى نفسَه [للهِ] ؟ ! فخرج أُثال بن حَجْل فنادى بين العسكرَين : هل من مبارِز ؟ فدعا معاوية حَجْلاً فقال : دونَكَ الرَّجلَ . وكانا مستبصِرَين فى رأْيهما ، فبرز كلٌّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، فبدره الشيخُ بطعنةٍ فطعنه الغلامُ ، وانتمى[2] فإذا هو ابنُه ، فنزَلا فاعتنَق كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه وبكيا ، فقال له الأَب : أَىْ أُثالُ ، هلمَّ إلى الدُّنيا . فقال له الغلام : يا أَبَهْ ، هلمَّ إلى الآخرة ، والله : يا أَبَهْ ، لو كان من رأْيي الانصراف إلى أَهل الشَّام لوجَبَ عليك أَن يكون من رأْيك لى أَن تنهانى . واسوأَتاهُ[3] ، فماذا أَقول لعلىٍّ وللمؤمنين الصالحين ؟ ! كن على ما أَنت عليه ، وأَنا أَكون على ما أَنا عليه . وانصرف حَجْل إلى أَهل الشَّام ، وانصرف أُثال إلى أَهل العراق ، فخبَّر كل واحد منهما أَصحابَه . وقال فى ذلك حَجْل :

مفاجأة أثال بن حجل لأبيه

شعر حجل فى ذلك

إنَّ حَجْــلَ بنَ عــامرٍ وأُثالاً أَصبحا يُضْرَبانِ فى الأَمثــالِ
أَقبل الفــارسُ المدجَّجُ فى النَّقْـ ـع أُثَالٌ يدعــو يُريد نِزالِى
دونَ أَهل العراق يَخطِرُ كالفَحْـ ـل على ظهــرِ هَيْــكَلٍ ذَيَّالِ

(١) فى الأصل . « قديدين » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٩٦) .
(٢) انتمى : انتسب . وفى ح : « وانتسبا » .
(٣) فى الأصل : « واسوأتنا » ، وأثبت ما فى ح .

فدعـــانى له ابن هنـــد وما زا   لَ قليلاً فى صحْبِهِ أَمثــالى[١]
فتنـــاولْتُه ببـــادِرة الرُّمْـــــ   ـح وأَهْــوِى بـأَسْمَـــرٍ عَسَّالِ
فاطّعنّـــا وذاكَ من حَدَثِ الدَّهـ   ـر عَظِيمٌ ، فتًى لشَيْخٍ بَجَـــالِ[٢]
شـــاجِراً بالقَنَـــاةِ صدرَ أَبيهِ   وعظـــيمٌ علىَّ طعنُ أُثـــالِ
لا أُبالِى حين اعترضت أُثَالاً   وأُثالٌ كــذاك ليس يُبـــالِى
فافترقْنَـــا على السَّـــلامة والنَّفـ   ـسُ يَقِيهـــا مـــؤخَّرُ الآجـــالِ
لا يرانى على الهُـــدى وأَراه   من هُـــداىَ على سَبيلِ ضلالِ

فلما انتهى شعرُه إلى أَهل العراق قال أُثال ـ وكان مجتهداً مستبصراً :

شعر أثال بن حجل

إنّ طَعْنِى وسْطَ العجاجة حَجْلاً   لم يكن فى الذى نَويتُ عُقُوقا
كنت أَرجُو بهِ الثَّواب من اللَّـ   ـه وكَوْنِى مــع النبىِّ رَفِيقـــا
لم أَزَلْ أَنصُرُ العِراقَ على الشَّـــا   ـم[٣] أُرانى بفعـــل ذاكَ حقيقا
قال أَهلُ العِراق إِذْ عظُم الخَطْـ   ـب ونَقَّ المبـــارِزُون نَقيقـــا
مَنْ فَتًى يأْخُذُ الطَّرِيقَ إلى اللَّـ   ـهِ فكنْتُ الذى أَخذت الطريقا[٤]
حاسرَ الرَّأْسِ لا أُرِيد سِوى المو   تِ أَرى كلَّ ما يرون دَقيقا[٥]
فإِذا فـــارسٌ تقحَّم فى النَّقْـ   ـع خِدَبًّا مِثلَ السَّحُوق عَتِيقا[٦]
فبـــدَانِى حَجْـــلٌ ببَـــادِرَةِ الطَّعـ   ـنِ وما كنتُ قبلَهـــا مَسْبُوقا

---

(١) فى الأصل : « وما ذاك قليلا » ، صوابه فى ح .
(٢) البجال ، بالفتح : الكبير العظيم . ح : « بشيخ بجال » .
(٣) فى الأصل : « من الشام » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) ح : « يسلك الطريق » و « سلكت الطريق » .
(٥) ح : « أرى الأعظم الجليل دقيقا » .
(٦) الخدب : الضخم العظيم . والسحوق : النخلة الطويلة .

فتــلاقيته بعــاليةِ الرُّمْــــ ـحِ ، كِلانا يُطــاوِلُ العَيُّوقا[1]
أحمَدُ اللهَ ذَا الجــلالةِ والقُــدْ رةِ حمــداً يزيدُني توفيقــا
لم أَنَلْ قتلَهُ ببــادرة الطّعـ ـنة مِنِّى ولم أَنَلْ ثُفــروقا[2]
قلتُ للشَّيخ لستُ أَكفُرُك الدَّهْـ ـرَ لطيفَ الغِــذَاءِ والتَّفْنيقــا[3]
غير أَنِّى أَخاف أَن تدخُل النَّا رَ فلا تَعْصِنى وكن لِي رَفيقــا
وكذا قالَ لى ، فغــرَّبَ تَغْرِيـ ـباً وشرَّقْتُ راجعــاً تَشْرِيقا

دعوة معاوية النعمان ومسلمة

وإن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأَنصارى ، ومسلمة ابن مخلد الأَنصارى ، ولم يكن معه من الأَنصار غيرهما ، فقال : يا هذان ، لقد غمَّنى ما لقيت من الأَوس والخزرج ، صاروا واضعِى سيوفِهم على عواتقهم يدعُون إلى النِّزال ، حتى والله جبَّنوا أَصحابى ، الشُّجاعَ والجبان ، وحتَّى والله ما أَسأَل عن فارسٍ من أَهل الشام إلاَّ قالوا: قتلتْه الأَنصار . أَمَا واللهِ لأَلقينَّهم بحَدِّى وحديدى ، ولأَعبِّين لكلِّ فارسٍ منهمْ فارساً ينشَبُ فى حلْقِه ، ثمَّ لأَرمينَّهم بأَعدادهم من قريش ، رجالٍ لم يغذُهُم التَّمر والطَّفَيْشَل[4] ، يقولون نحنُ الأَنصار ، قد واللهِ آوَوْا ونَصَروا ، ولكن أَفسدوا حقَّهم بباطلهم .

(١) التلافى : التدارك . وعالية الرمح : أعلاه . وفى الأصل : « ببادرة الرمح » ، صوابه فى ح . وفى ح أيضاً : « فتلقيته » .

(٢) الثفروق : قمع البسرة والتمرة ، يقول : لم أنل منه أقل شىء . وفى الأصل : « لم أكن مفروقاً » ، وفى ح :

إذ كففت السنانَ عنه ولم أد ن فتيلا أبى ولا ثفروقا

وصواب إنشاد هذا : « منه ولا ثفروقا » .

(٣) التفنيق : التنعيم . ح : « لست أكفر نعماك » .

(٤) الطفيشل ، بوزن سميدع ، كما فى القاموس ، ويقال له أيضاً « طفشيل » . ولفظه فارسى معرب ، وهو بالفارسية « تفشله » أو « تفشيله » وقد فسره استينجاس فى ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل ، وفسر فى القاموس بأنه نوع من المرق . وجعله البغدادى فى كتاب الطبيخ ضربا من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وفى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك » . انظر حواشى الحيوان (٢ : ٢٤ / ٥ : ٢٢٦) .

رد النعمان على معاوية

فغضب النُّعمان فقال : يا معاوية ، لا تلومَنَّ الأنصارَ بسرعتهم فى الحرب فإنَّهم كذلك كانوا فى الجاهلية . . فأَمّا دُعاؤهم اللهَ فقد رأيتُهم مع رسول الله صلى الله عليه [يفعلون ذلك كثيراً] . وأَما لقاؤك إياهم فى أَعدادهم من قريشٍ فقد علمتَ ما لقيتْ قريشٌ منهم [قديماً] ، فإن أَحببتَ أَن ترى فيهم مثلَ ذلك آنفاً فافعل . وأَما التَّمر والطَّفَيْشَل فإنّ التمر كان لنا ، فلمَّا أَن ذُقتموه شاركتُمونا فيه . وأَما الطَّفَيْشَل فكان لليهود ، فلمَّا أَكلْناه غَلبناهم عليه ، كما غلبتْ قريشٌ على السَّخينة[1] .

رد مسلمة على معاوية

ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال : يا معاوية ، إن الأَنصار لا تُعابُ أَحسابُها ولا نَجَداتها . وأَما غمُّهم إيَّاك فقد والله غمُّونا ، ولو رضينا ما فارقونا وما فارَقْنا جماعتَهم ، وإنّ فى ذلك لَمَا فيه ، من مباينة العشيرة ، ومُباعَدَة الحجاز وحرب العراق ، ولكن حملنا ذلك لك ، ورجونا منك عِوضَه . وأَما التمر والطَّفَيْشَل فإنهما يجرَّان[2] عليك نسبَ السَّخينة والخرنوب .

كلام قيس بن سعد فى ذلك

وانتهى الكلامُ إلى الانصار ، فجمع قيسُ بن سعد الأَنصاريّ الأَنصارَ ثم قام خطيباً فيهم فقال : إن معاوية قد قال ما بَلَغكم ، وأَجابَ عنكم صاحباكم[3] ، فلعمرى لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأَمس ، وإن وتَرْتُموه فى الإِسلام فقد وترتموه فى الشِّرْك ، وما لكم إليه من ذنب [أَعظمَ] من نصرِ هذا الدِّين الذى أَنتم عليه ، فجِدُّوا اليوم جِدًّا تُنسونَه [به] ما كان أَمس ، وجِدُّوا غداً [جِدًّا] تُنْسُونه[4] [به] ما كان

(١) السخينة : طعام يتخذ من دقيق وسمن – وقيل من دقيق وتمر – أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة . وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سموا سخينة .
(٢) فى الأصل : « يجبران » ، وأثبت ما فى ح (٤ : ٢٩٧) .
(٣) أى النعمان ومسلمة . وفى الأصل : « صاحبكم » ، صوابه فى ح .
(٤) فى الأصل : « فتنسونه » ، وأثبت ما فى ح .

اليوم ، وانتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل ، والقوم مع لواء أبى جهل والأحزاب . وأما التمر فإنَّا لم نغرِسْه ، ولكن غلبْنا عليه مَن غرسَه . وأما الطفيشل فلو كان طعامَنا لَسُمِّينا به اسماً كما سُمِّيت قريش « السَّخينة » . ثم قال قيس بن سعد فى ذلك :

يا ابن هنــد دع التوثُّب فى الحر ... ب إذا نحن فى البلاد نأَينا[1]

نحن من قد رأيت فادْنُ[2] إذا شئ ... تَ بمن شئتَ فى العجَاجِ إلينــا

إنْ برزْنا بالجمع نَلقَكَ فى الجمْ ... عِ وإنْ شِئتَ مَحْضَــةً أَسْرَيْنا

فالقَنَا فى اللفيفِ نلقك فى الخز ... رَجِ ندعُو فى حَرْبِنــا أَبَوَيْنا

أَىَّ هــذين ما أَردْتَ فخُــذْهُ ... ليس مِنَّا وليس منكَ الهُوَينــا

ثم لا تَنْزِع العجــاجةُ حَتَّــى ... تَنْجَلِى حربُنــا لنا أو عَلَينا[3]

ليتَ ما تطلُبُ الغَــداةَ أَتانا ... أَنعَمَ الله بالشَّهــادةِ عَيْنــا

إنَّنــا إنَّنــا الذين إذا الفتـــ ... حَ شهدْنا وخَيبراً وحُنَينـــا

بعــدَ بدرٍ وتلك قاصِمةُ الظَّهــ ... رِ وأُحْــد وبالنَّضِير ثَنَيْنــا

يومَ الأَحزابِ ، قد علِم النَّــا ... سُ ، شَفَينا مِنْ قبلكم واشتفينا[4]

استشارة معاوية عمرا فى الأنصار

فلما بلغ شعرُه معاويةَ دعا عمرَو بنَ العاصِ فقال : ما ترى فى شتْم الأَنصار ؟ قال : أَرى أَن تُوعِدَ ولا تشتُم ، ما عسى أَنْ نقول لهم ؟ إذا أَردتَ ذمَّهم فذُمَّ أَبدانَهم ولا تذمَّ أَحسابهم . قال معاوية : إنَّ خطيبَ

عتاب معاوية لبعض الأنصار

الأَنصار قيسَ بنَ سعد يقومُ كلَّ يومٍ خطيبا ، وهو واللهِ يريد أَن يُفنِيَنا غداً إن لم يحبسْه عنَّا حابس الفيل ، فما الرّأْى ؟ قال : الرأْى التوكُّل والصَّبر . فأَرسل معاويةُ إلى رجالٍ من الأَنصار فعاتبهم ، منهم

(١) ح : « بالجياد سرينا » .
(٢) فى الأصل : « فأذن » ، صوابه فى ح (٢ : ٢٩٧) .
(٣) العجاجة : واحدة العجاج ، وهو ما ثورته الريح . تنزع : تكف . وفى الأصل : « ينزع » ، وفى ح : « لا نسلخ » .
(٤) لعلها : « وبيوم الأحزاب » .

عقبة بن عمرو ، وأبو مسعود ، والبَرَاء بن عازب ، وعبد الرحمن بن أَبي ليلى ، وخزيمة بن ثابت ، وزيد بن أَرقم ، وعمرو بن عُمَير[(١)] والحجاج بن غزيَّة ، وكان هؤلاءِ يُلقَوْن فى تلك الحرب . فبعثَ معاويةُ بقوله : لتأْتوا قيسَ بن سعد . فمشوا بأَجمعهم إلى قيس ، فقالوا : إنّ معاوية لا يريد شتْمًا فكفَّ عن شَتْمه . فقال : إنَّ مثلى لا يَشتُم ، ولكنِّى لا أَكفُّ عن حربِه حتَّى أَلْقَى الله . وتحركت الخيلُ غُدوةً فظنّ قيسُ بن سعدٍ أَنَّ فيها معاوية ، فحمل على رجُل يُشْبهه فقَنَّعَه بالسَّيف فإذا غيرُ معاوية ، وحمل الثانيةَ [على آخر] يشبهه أَيضاً فضربَه ، ثم انصرَف وهو يقول :

الأنصار وقيس بن سعد

قولوا لهــذا الشــاتِمِى مُعــاوِيهْ	إنْ كلُّ ما أوعدتَ رِيحٌ هاوِيَهْ
خَوَّفْتَنــا أَكلُبَ قــومٍ عاوِيهْ	إلىَّ يا بنَ الخاطِئِين الماضِيَهْ
تُرقِل إرقال العجوز الجارِيَهْ[(٢)]	فى أَثَر السَّارى ليالِى الشَّاتِيهْ[(٣)]

استجابة النعمان لرجاء معاوية

فقال معاوية : يا أَهل الشام ؛ إذا لقيتم هذا الرجل فأَخبروه بمساويه. وغضب النعمان ومسلمة على معاوية ، فأَرضاهما بعد ما همَّا أَن ينصرفا إلى قومهما ، ولم يكن مع معاوية من الأَنصار غيرهما . ثم إنَّ معاوية سأَل النُّعمانَ أَن يخرجَ إلى قيس فيعاتبَه ويسأَلَه السِّلم . فخرج النعمانُ حتَّى وقَفَ بين الصَّفين فقال : يا قيس ، أَنا النعمان بن بشير . فقال قيس : هيه يا ابن بشير فما حاجتُك ؟ فقال النعمان : يا قيس ، إنَّه

---

(١) عمرو بن عمير الأنصارى ، أحد الصحابة ، وقد اختلف فى اسمه فقيل عمرو بن عمرو ، وقيل عامر بن عمير أيضاً . وفى الأصل : « عمير بن عمر » ، تحريف . الإصابة ٥٩١٤ ، ٤٤٠٤ .

(٢) العجوز : الكلبة . وفى الأصل : « العجوز الحاوية » .

(٣) السارى : السحاب الذى يسرى ليلا . والكلاب تنبح السحاب . انظر الحيوان (٢ : ٧٣) .

قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنَفْسه ، ألَسْتُم معشر الأَنصار ، تعلمون أنكم أخطأْتم فى خذْلِ عثمانَ يوم الدَّار ، وقَتلتمْ أَنصارَه يوم الجمل وأَقحمتم خيولكم على أَهل الشام بصِفِّين ، فلو كنتم إذْ خذلتُم عثمانَ خذَلْتم عليًّا لكانت واحدةً بواحدةٍ ، ولكنَّكم خذلتم حَقًّا ونصرتُم باطلا ، ثم لم ترضَوْا أَنْ تكونوا كالنَّاس حتى أَعلَمْتُم فى الحرب ودعوتُم إلى البِراز ، ثم لم ينزلْ بعليٍّ أَمرٌ قطٌّ إلاَّ هَوَّنتم عليه المُصِيبة ، ووعدتموه الظَّفر . وقد أَخذت الحربُ منَّا ومنكم ما قد رأَيتم . فاتَّقوا الله فى البقيَّة .

رد قيس على النعمان

فضحك قيس ثم قال : ما كنتُ أَراك يا نعمان تجترِئُ على هذه المقالة ، إنَّه لا ينصح أَخاهُ مَن غشَّ نفسه ، وأَنتَ والله الغاشُّ الضالُّ المضلّ . أَمّا ذِكرك عثمانَ فإن كانت الأَخبارُ تكفيك فخُذْها منى : واحدة قَتَلَ عثمانَ مَن لستَ خيراً منه ، وخَذَله من هو خيرٌ منك . وأَما أَصحاب الجمل فقاتلناهم على النَّكْث . وأَمّا معاوية فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب [قاطبةً] لقاتلته الأَنصار . وأَما قولك إنَّا لسنا كالناس ، فنحن فى هذه الحرب كما كنَّا مع رسول الله ، نتَّقى السيوف بوجوهنا ، والرِّماحَ بنُحُورنا ، حتى جاء الحقُّ وظهر أَمرُ اللهِ وهُم كارِهون ، ولكن انظُرْ يا نُعمان هل ترى مع معاوية إلاَّ طليقاً أَو أعرابيًّا أَو يمانيًّا مُسْتَدْرَجاً بغُرور . انظُرْ أَينَ المهاجرون والأَنصار والتابعون بإحسان ، الذين رضى الله عنهم ، ثم انظر هل تَرَى مع معاوية غيرَك وصُوَيحِبكَ ، ولستما والله ببدريَّين ، [ولا عَقَبِيَّين] ، ولا أُحدِيَّين ، ولا لكما سابقةٌ فى الإسـلام ولا آية فى القرآن ولعمرى لئن شغبتَ علينا لقد شَغَب علينا أَبوك » .

وقال قيس فى ذلك :

والرَّاقصاتِ بكلِّ أَشعثَ أَغْبَرٍ خُوصِ العُيونِ تحثُّها الرُّكبـانُ

ما ابن المخـلَّدِ ناسياً أسيافنا   فى مَنْ نحاربُه ولا النُّعمانُ[1]

تركا البَيان وفى العِيان كِفايةٌ   لو كان ينفَعُ صـاحِبَيْهِ عِيـانُ

مقام العكبر بين يدى على

[قال نصر : وحدَّثنا عمر بن سعد ، عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب قال[2]] : كان فارسَ أهل الكوفة الذى لا ينازَعُ رجلٌ كان يقال له العَكبَر بن جدير الأَسدىّ ، وكان فارسَ أهل الشام الذى لا ينازع عوفُ بن مَجْزَأة الكوفىّ [المرادىّ] المكنّى أبا أحمر ، وهو أبو الذى استنقذ الحجاج بن يوسف يوم صُرع فى المسجد بمكة . وكان العَكْبَرُ له عِبادة ولسانٌ لا يطاق ، فقام إلى علىّ فقال : « يا أمير المؤمنين إنَّ فى أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس ، وقد ظننَّا بأهل الشام الصبر وظنُّوه بنا ، فصبرنا وصبروا . وقد عجِبت من صبر أهل الدُّنيا لأهل الآخرة ، وصبْرِ أهل الحقِّ على أهل الباطل ، ورغبة أهل الدنيا ، ثم نظرت فإذا أعجبُ ما يُعْجبنى جهلى بآية من كتاب الله : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبينَ ﴾ . وأثنى عليه علىٌّ خيراً ، وقال خيراً .

مبارزة عوف ابن مجزأة للعكبر

وخرج الناس إلى مصافِّهم ، وخرج [عوف بن مَجزأة] المرادىّ نادراً من الناس ، وكذلك كان يصنع ، وقد كان قَتَل قبل ذلك نفراً [من أهل العراق] مبارزة ، فنادى : يا أهل العراق ، هل من رجلٍ عَصَاهُ سيفُه يبارزُنى ؛ ولا أغرُّكم من نفسى ، فأنا فارسُ زَوْف[3] . فصاح الناس بالعَكبر ، فخرج إليه منقطعاً من أصحابه ، والناسُ وقوف ،

(١) ابن المخلد يعنى به مسلمة بن مخلد الأنصارى . وفى الأصل : « عمن تحاربه » ، والوجه ما أثبت . والمقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .

(٢) قبل هذا الأصل : « وذكروا أنه » ، وضعت مكان السند المتقدم .

(٣) زوف ، بفتح الزاى : أبو قبيلة ، وهو زوف بن زاهر — أو أزهر — بن عامر بن عويثان . انظر القاموس (زوف) . وفى الأصل : « دوف » ، تحريف .

ووقف المرادىُّ وهو يقول :

بالشَّامِ أَمْنٌ ليسَ فيــه خــوفْ بالشَّــامِ عدْلٌ ليس فيه حَيْفْ
بالشَّام جُودٌ ليس فيه سَوْفْ[1] أَنا المرادىّ ورهطى زَوْفْ[2]
أَنا ابن مَجْــزَاةٍ واسمى عــوفْ هل من عــراقىٍّ عصــاهُ سيْفْ
* يبرزُ لى وكيفَ لى وكيفْ *

فبرز إليه العكبر وهو يقول :

الشــام مَحْــلٌ والعِراق تُمطَرُ بها الإمامُ والإمام مُعْــذِرُ[3]
والشام فيهــا للإمام مُعْوِرُ[4] أَنا العــراقىّ واسِمى العَــكْبَرْ
ابن جــدير وأَبــوه المنــذِرُ ادنُ فإنى للــكمىِّ مُصْحِرُ[5]

فاطَّعنا فصرعه العكبرُ فقتله ، ومعاويةُ على التَّلِّ فى أُناس من قريش[6] ونفر من الناس قليل[7] ، فوجّه العكبرُ فرسه فملأَ فروجَه رَكضاً يضربه بالسَّوط ، مسرعاً نحو التَّلِّ ، فنظر إليه معاويةُ فقال : إنَّ هذا الرجلَ مغلوبٌ على عقله أَو مستأْمَن ، فاسأَلوه . فأَتاه رجلٌ وهو فى حَمْىِ فرسه[8] فناداه فلم يجبه ، فمضى [مبادراً] حتى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن فى أَعراض الخيل ، ورجا العَكبرُ أن يُفرِدُوا له معاويةَ ، فقتل رجالاً[9] ، وقام القومَ دون معاوية بالسيوف والرِّماح ، فلمَّا لم يصل إلى معاويةَ نادى : أَولى لك يا ابنَ هند ، أَنا الغلام الأَسدىّ. العكبر ومعاوية

(١) يقال فلان يقتات السوف ، أى يعيش بالأمانى .
(٢) فى الأصل : « زوف ». وانظر التحقيق فيما قبل .
(٣) المعذر : المنصف . ح : « بها إمام طاهر مطهر » .
(٤) المعور : القبيح السريرة . ح : « فيها أعور ومعور » .
(٥) مصحر ، أى هو من أمره على أمر واضح منكشف . ح : « فإنى فى البراز قسور » .
(٦) ح (٢ : ٢٩٧) : « فى وجوه قريش » .
(٧) فى الأصل : « وأناس من الناس قليل » ، وفى ح : « ونفر قليل من الناس » .
(٨) الحمى : اشتداد العدو . وفى الأصل : « حمو » ، والوجه ما أثبت . قال الأعشى :
كأن احتدام الجوف من حمى شده وما بعده من شده غلى قمقم
(٩) ح : « فاستقبله رجال قتل منهم قوماً » .

فرجع إلى عليّ[1] فقال له : ماذا دعاك إلى ما صنعتَ يا عكبر ؟ [لا تُلقِ نفسك إلى التهلكة] . قال : أَردت غِرّة ابنِ هند .

وكان شاعراً فقال :

قصيدة العكبر فى قتل المرادى

قتلتُ المراديّ الذى جــاءَ باغياً ... ينادِي وقد ثار العَجاجُ : نَزَالِ
يقول أنا عوف بن مجزَاةَ ، والمنى ... لقــاءُ ابن مجــزاةٍ بيوم قتالِ
فقلت له لمـا علا القوم صوتُه ... مُنِيتَ بمشبوح الذِّراع طُوَالِ
فأَوجرتُه فى مُعظَمِ النَّقعِ صَعْدةً ... ملأْتُ بهـا رعباً قلوبَ رجـالِ
فغادرتُهُ يكبُو صريعاً لوجْهِهِ ... ينادِي مراراً فى مَكَرٍّ مَجالِ
فقدَّمتُ مُهرِى آخذاً حدَّ جريه ... فأَضربُه فى حَوْمَةٍ بِشمالِي[2]
أُريد به التلَّ الذى فوقَ رأْسِه ... معاويةُ الجــانِى لِـكلِّ خبالِ
يقول ومُهرِى يَغْرِفُ الجرىَ جامحاً ... بفارسِه : قد بانَ كلُّ ضَــلالِ[3]
فلما رأَونى أَصدُق الطَّعنَ فيهمُ ... جَلاَ عنهمُ رَجْمَ الغُيوب فِعالِي
فقــام رجــالٌ دونَه بسُيوفهم ... وقــام رجــالٌ دونَه بعوالى
فلو نِلتُه نلتُ التى ليس بَعْــدَها ... من الأَمْرِ شىءٌ غيرُ قيلَ وقالِ[4]
ولو متُّ فى نَيلِ المُنَى أَلفَ مِيتةٍ ... لقلت إذا ما مِتُّ لست أُبالى

إهدار دم العكبر

وانكسرَ أَهلُ الشام لقتل [عوف] المراديّ ، وهَدَر معاويةُ دمَ العكبر ، فقال العَكبر : يدُ اللهِ فوقَ يدِ معاوية ، فأَينَ دِفاعُ اللهِ عن المؤمنين[5] .

وقال نصر : حيث شَرِكَ النَّاس عليًّا فى الرَّأْى .

---

(١) ح : « ورجع إلى صف العراق ولم يكلم » .
(٢) ح (٢ : ٢٩٩) : « أصرفه فى جريه بشمالى » .
(٣) فى الأصل : « يعرف الجرى » ، تحريف . وفى القاموس : « وخيل مغارف كأنها تغرف الجرى » .
(٤) ح : « وفزت بذكر صالح وفعال » .
(٥) فى الأصل : « من المؤمنين » . وفى ح : « فأين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين » .

فجزِع النجاشى من ذلك وقال :

كفى حَزَناً أنَّا عَصَينا إمامَنا ... عَلِيًّا وأنَّ القوم طَاعُوا معاويه[1]
وإن لأَهل الشَّام فى ذاك فَضْلَهم ... علينا بما قالوه فالعينُ باكيهْ
فسُبحان من أرسَى ثَبيراً مَكانَه ... ومن أمْسَكَ بالسَّبع الطِّباقِ كماهيهْ
أيُعصى إمامٌ أوجَبَ اللهُ حقَّهُ ... علينا وأهل الشام طوعٌ لطاغيهْ[2]

تسويد قيس ابن سعد على الأنصار

ثم إنّ عليًّا عليه السلام دعا قيسَ بنَ سعدٍ فأثنى عليه خيراً ، وسوَّده على الأنصار ، وكانت طلائعُ أَهلِ الشام وأَهلِ العراق يلتقون فيما بين ذلك ويتناشدون الأَشعار ، ويفخَر بعضُهم على بعض ، ويُحدِّث بعضُهم بعضاً على أمان ، فالتقوا يوماً وفيهم النجاشيُّ ، فتذاكر القوم رَجْراجَة علىٍّ وخُضْرِيّة معاوية ، فافتخر كلٌّ بكتيبتهم فقال أهل الشام : إن الخُضْريَّة مثل الرَّجراجة . وكان مع علىٍّ أربعة آلاف مجفَّف[3] من همدان ، مع سعيد بن قيس رجراجة ، وكان عليهم البيض والسلاح والدروع ، وكان الخضريَّة مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب أربعة آلاف عليهم الخضرة ، فقال فتًى من جذام من أهل الشام ممَّن كان فى طليعة معاوية :

المفاخرة بالرجراجة والخضرية

ألا قُلْ لفُجَّارِ أهلِ العراق ... ولين الكلام لهم سَيَّهْ[4]

---

(١) اللسان : « الطوع نقيض الكره — أى بفتح الكاف — طاعه يطوعه وطاوعه » .
(٢) فى الأصل وح : « طوعا لطاغيه » .
(٣) المجفف : لابس التجفاف ، وأصله ما يوضع على الخيل من حديد وغيره . وفى الأصل : « مجفجف » ، تحريف .
(٤) السية هى مخفف السيئة ، ثم سهلت همزتها وقلبت ياء وأدغمت فى أختها ، كما أن السى مخفف السىء ، ومنه قول أفنون التغلبى (انظر اللسان ١ : ٩١ والقصيدة ٦٦ من المفضليات) :
أنى جزوا عامراً سيئاً بفعلهم ... أم كيف يجزوننى السوءى من الحسن

متى ما تجيئوا برجراجةٍ نجئكم بجأْواءَ[1] خُضْريهْ
فوارسُها كأُسود الضِّراب طوال الرِّماح يمانيهْ
قصارُ السُّيوف بأَيديهمُ يطوِّلها الخطوُ والنِّيَّهْ[2]
يقول ابن هند إذا أقبلت جَزَى اللهُ خيراً جذاميّهْ

فقال القوم للنجاشى : أنتَ شاعرُ أهلِ العراق وفارسُهم ، فأَجِبِ الرَّجل . فتنحّى ساعةً ثم أقبل يهدِر مُزْبداً يقول :

مُعاوىَ إنْ تأْتِنا مزْبداً بخُضريّةٍ تلقَ رجراجهْ
أَسنَّتُها مِن دماءِ الرِّجال إذا جالت الخيلُ مَجّاجهْ
فوارسُها كأُسودِ الضِّراب إلى الله فى القتلِ محتاجهْ
وليستْ لَدَى الموتِ وَقّافةً وليستْ لدى الخَوفِ فجفاجَهْ[3]
وليس بهم غير جِدٍّ اللقاء إلى طُول أسيافهم حاجهْ
خُطاهمْ مقدَّمُ أَسيافِهمْ وأذرعهم غير خداجهْ
وعندكَ من وقْعهم مصدقٌ وقد أخرجَت أَمْسِ إخراجهْ
فشنَّتْ عليهم ببيض السيوف بها فقع لجاجه[4]

فقال أهل الشام : يا أخا بنى الحارث أرْوِناها فإنها جيدة . فأعادها عليهم حتّى رَوَوْها . وكانت الطلائع تلتقى ، يستأْمِنُ بعضُهم بعضاً فيتحدَّثون .

كلام معاوية بن خديج

[قال نصر : وروى عمر بن سعد ، عن الحارث بن حصيرة ، عن

(١) الجأواء : الكتيبة التى علاها الصدأ . وفى الأصل : « بجا » فقط ، وهذه المقطوعة وتاليتها لم تردا فى مظنهما من ح .
(٢) ينظر إلى قول الأخنس بن شهاب فى المفضلية ٣١ :
وإن قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب
(٣) الفجفاج : الكثير الصياح والجلبة . وفى الأصل : « فجاجة » ، تحريف .
(٤) كذا ورد هذا الشطر .

ابن أبى الكنود] ، قال : جزع أهل الشام[1] على قَتْلاهم جزعاً شديداً ، فقال معاويةُ بن خديج :

يا أهل الشام، قَبَحَ اللهُ مُلكاً يملكه المرءُ بعد حوشبٍ وذى الكَلاع .
و [الله] لو ظفرنا بـأهل العراق بعد قتلهما بغير مؤونةٍ ما كان ظَفَرا .

وقال يزيدُ بن أنس لمعاوية : لا خير فى أمرٍ لا يشبه أوّله آخرُه ، لا يُدمَلُ جريح[2] ، ولا يُبكَى على قتيل حتّى تنجلىَ هذه الفتنة ، فإنْ يكن الأمر لك دَمَلْتَ[3] وبكيت على قرار ، وإن كان الأمر لغيرك فما أصبت فيه أعظَم . فقال معاوية : « يا أهل الشام ، ما جعلكم أحقَّ بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم ، فوالله ما ذو الكلاع فيكم بـأعظَم من عمّار بن ياسرٍ فيهم ، ولا حوشبٌ فيكم بـأعظم من هاشم فيهم ، وما عبيد الله بن عمر فيكم بـأعظم من ابن بُديل فيهم ، وما الرِّجال إلا أشباه ، وما التمحيص إلاّ من عند الله . فأَبْشِرُوا فإنَّ الله قدْ قتل من القوم ثلاثة ، قتل عمار بن ياسر وهو كان فتاهم ، وقتل هاشماً وكان جمرتهم ، وقتل ابن بُديلٍ وهو فاعل الأفاعيل ، وبقى الأشعث والأشتر وعدىُّ بن حاتم . فأَما الأشعث فحماه مصرُه ، وأمّا الأشتر وعدىٌّ فغضِبا للفتنة ، واللهُ قاتِلُهما غداً إن شاء الله . فقال ابن خَديج : إن يكن الرِّجالُ عندك أشباهاً فليست عندنا كذلك . وغضب معاوية [من] ابن خديج . وقال الحَضرمىّ فى ذلك شعرًا[4] :

معاوية وابن خديج

---

(١) بدل ما بعد التكلة فى الأصل : « ثم ذكروا أن أهل الشام جزعوا » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) يدمل : يصلح ويعالج . وفى الأصل : « لا يدمن على جريح » . ح (٢ : ٢٩٩) : « لا يدمى جريح » ، ووجههما ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « أدمنت » ، وفى ح : « أدميت » . وانظر التحقيق السالف .
(٤) ح : « وقال شاعر اليمن يرثى ذا الكلاع وحوشبا » .

مُعاوِىَ قد نِلْنا ونيلت سَراتُنـــا وجُدِّع أحياءُ الكَلاعِ ويَحْصُبِ

بذى كَلَعٍ لا يُبعدِ اللهُ دارَه وكلٌّ يمان قـــد أُصيبَ بحَوشَبِ

هما ماهما كانا، مُعاوِىَ، عصمةً مَتى ما أَقلْهُ جَهرةً لا أُكـــذَّبِ

ولو قُبِلَتْ فى هالكٍ بذلُ فديةٍ فديناهُما بالنَّفس والأُمِّ والأَبِ

وقد عَلِقَتْ أَرماحُنـــا بفوارسٍ مُنَى قومِهِمْ منَّا بجذْعٍ مُوَعَّبِ (١)

وليس ابنُ قيسٍ أَو عدىٌّ بن حاتمٍ والأشتر إن ذاقوا فَناً بتحوُّبِ (٢)

ثم رجع إلى حديث عمر بن سعد .

مرور الأسود بعبد الله بن كعب وهو فى آخر رمق

نصر ، عن عمر ، عن عبد الرحمن بن عبد الله (٣) . أن عبد الله ابن كعب (٤) قتل يوم صِفِّين ، فمرّ به الأَسود بن قيس (٥) بآخر رَمَقٍ فقال : عزَّ علىَّ واللهِ مصرعُك . أَما والله لو شهدتك لآسيتُك ولدافعتُ عنك ، ولو رأَيتُ الذى أَشعرك (٦) لأَحببت أَلاَّ يزايلنى حتَّى [أَقتله أَو] يُلحِقَنى بك . ثم نزل إليه فقال : [رحمك الله يا عبد الله] ، والله إن كان جارُكَ لَيأْمن بَوائِقَك ، وإن كنتَ لَمِن الذَّاكرين الله كثيراً .

---

(١) فى الأصل : « وقد علقت أرحامنا » ، والوجه ما أثبت ، والبيت لم يرو فى ح . أراد أخذت أرماحنا هؤلاء الفوارس الذين يتمنى قومهم لنا الجذع الموعب . وهذا البيت ترتيبه الثالث فى الأصل ، كما أن تاليه كان ترتيبه الخامس فى الأصل ، ولم يرويا فى ح ، وقد رددتهما إلى هذا الوضع الذى يتساوق به الشعر .

(٢) فنا : مقصور فناء ، قصره للشعر . وفى الأصل : « فلا » .

(٣) ح : « عن عبيد الرحمن بن كعب » .

(٤) عبد الله بن كعب المرادى قتل يوم صفين ، وكان من أعيان أصحاب على . الإصابة ٤٩٠٩ . وفى ح . : « عبد الله بن بديل » . وعبد الله بن بديل ، وأخوه عبد الرحمن بن بديل ، قتلا أيضا بصفين .

(٥) ح : « الأسود بن طهمان الخزاعى » .

(٦) فى اللسان : « أشعره سنانا : خالطه به » . وأنشد قول أبى عازب الكلابى :

فأشعرته تحت الظلام وبيننا من الخطر المنضود فى العين واقع

قال : « يريد أشعرت الذئب بالسهم » . وفى الأصل : « ولو أعرف » ، وأثبت مافى ح .

آوصِنِى رحمك الله . قال : « أُوصيك بتقوى الله ، وأن تُناصِح أمير المؤمنين وأن تقاتل معه المحِلِّين ، حتَّى يظهر الحقّ أو تَلحَق بالله . وأَبلغه عنِّى السلام وقل له : قاتلْ على المعركة حتَّى تجعلَها خلْفَ ظهرِك ؛ فإنَّه مَن أصبح والمعركةُ خلفَ ظهرِه كانَ الغالبَ » . ثم لم يلبثْ أن مات ، فأَقبل الأَسود إلى علىٍّ فأَخبَرَه فقال : « رحمه الله ، جاهَدَ معنا عدُوَّنا فى الحياة ، ونَصَح لنا فى الوفاة » . ثم إنَّ عليًّا غلَّس بالناس بصلاة الفجر ، ثمَّ زحف بهم فخرج الناس على راياتهم وأَعلامهم ، وزحف إليهم أهل الشَّام .

الأسود بن قيس وعلى

موقف أبرهة ابن الصباح

قال : فحدثنى عمرو بن شَمِر ، عن جابر عن عامر ، عن صعصعة ابن صُوحان والحارث بن أدهم ، أن أَبرهة بن الصَّباح بن أبرهة الحميرىّ قام فقال : ويلكم يا معشر أهل اليمن ، والله إنى لأَظنُّ أن قد أُذِن بفنائكم ، ويحكم خلُّوا بين هذين الرجلين فليَقْتتلا ، فأَيُّهما قتل صاحبه مِلْنا معه جميعاً . وكان [أبرهة] من رؤساء أصحاب معاوية . فبلغ ذلك عليًّا فقال : صدَق أبرهةُ بن الصباح ، والله ما سمعتُ بخطبةٍ منذُ وردت الشامَ أنا بها أشدُّ سُروراً مِنِّى بهذه . وبلغ معاويةَ كلامُ أبرهة فتأَخَّر آخر الصُّفوف وقال لمن حوله : إنِّى لأَظنُّ أبرهةَ مصاباً فى عقله . فأَقبل أهلُ الشَّام يقولون : والله إنَّ أبرهةَ لأَفضلُنا ديناً ورأياً وبأْساً ، ولكن معاوية كره مبارزة على . فقال أبرهة فى ذلك:

لقــد قال ابنُ أَبرهــةِ مقــالاً ... وخالفَــهُ معــاويةُ بنُ حرب
لأَنَّ الحقّ أَوضَحُ من غُــرورٍ ... ملبَّســة غــرائضــهُ بحقْبِ [1]
رمى بالفيلقينِ به جِهــارًا ... وأنتم وُلْــدُ قحطــان بحَرْبِ
فخــلُّوا عنهمــا لَيْثَىْ عِرَاكٍ ... فإنَّ الحقَّ يَدْفعُ كُلَّ كِذْبِ

(١) كذا ورد هذا الشطر . وانظر أواخر ص ٤٤١ .

وما إنْ يعتصم يوماً بقولٍ ذوو الأَرحام إنَّهمُ لصحبى
وكم بَينَ المنادِى مِنْ بَعيدٍ ومَنْ يَغْشَى الحروبَ بكلِّ عَضْبِ
ومَن يرد البقاءَ ومَنْ يُلاقِى بإسماحِ الطِّعانِ وصفح ضَرْبِ
أَيهجرنى معاويةُ بنُ حَرْبٍ وما هِجْرَانُهُ سُخْطاً لربِّى
وعمرٌو إنْ يُفَارِقْنِى بقولٍ فإنَّ ذراعه بالغَدْرِ رَحْبُ[1]
وإنِّى إنْ أُفارِقْهُمْ بدِينى لَفِى سَعَةٍ إلى شرقٍ وغَرْبِ

مبارزة على لعروة الدمشقى ومصرعه

وبرز يومئذٍ عُروة بن داود الدِّمشقى[2] فقال : إنْ كان معاويةُ كَرِهَ مبارزتَكَ يا أَبا الحسن فهلُمَّ إلىَّ . فتقدّم إليه علىٌّ فقال له أَصحابه : ذَرْ هذا الكلب فإنه ليس لك بخَطَرٍ[3] . فقال : واللهِ ما معاويةُ اليومَ بأَغيظ لى منه . دعُونى وإياه . ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين ، سقطتْ إحداهما يَمْنَةً والأُخرى يَسرة ، فارتجَّ العسكران لهول الضربة ، ثم قال : اذهب يا عروة فأَخبِرْ قومَك . أَمَا والذى بعثَ محمداً بالحقّ لقد عاينتَ النارَ وأَصبحتَ من النادمين . وقال ابن عمٍّ لعروة : وَاسُوءَ صَباحاه ، قَبَحَ اللهُ البقاءَ بعد أَبى داود . ثم أَنشأَ يقول فى ذلك :

رثاء عروة الدمشقى

فَقَدَتْ عُرْوَةَ الأَراملُ والأَيْتامُ يومَ الكريهةِ الشَّنْعَاءِ[4]
كان لا يشتُمُ الجليسَ ولا يَنْكُلُ يومَ العظيمةِ النَّكْباءِ[5]
آمَنَ اللهُ مِنْ عدىٍّ ومن ابْن أَبى طالبٍ ومن علياءِ
يا لَعَيْنِى أَلاَّ بكَتْ عُرْوة [الأَقْوامِ] يومَ العَجاج والتُّرْبَاءِ[6]

---

(١) الذراع أنثى ، وقد تذكر . وفى البيت إقواء .
(٢) ح (٢ : ٣٠٠) : « أبو داود عروة بن داود العامرى » .
(٣) فى اللسان : « وهذا خطير لهذا وخطر له ، أى مثل له فى القدر » .
(٤) فى الأصل : « الشغباء » تحريف . والمقطوعة لم ترد فى ح .
(٥) نكل ، كضرب ونصر وعلم ، نكولا : نكص وجبن .
(٦) كلمة « الأقوام » بمثلها يتم البيت ، وليست فى الأصل . والترباء ، إحدى لغات التراب ، وهى إحدى عشرة لغة .

فَلْيُبَكِّيه نسوةٌ من بنى عا ... مِرَ من يَثْرِبٍ وأهلِ قُباء
رحِمَ اللهُ عُرْوةَ الخير ذا النَّجْـ ... ـدةِ وابنَ القَماقِمِ النُّجباء
أرهقتـه المَنُونُ فى قاعِ صِد ... فِّينَ صريعاً قد غاب فى الجَرْباء[1]
غادرته الكماةُ من أهلِ بدرٍ ... ومن التابعين والنُّقَباء

شعر فى الشماتة به

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى :

عُرْوَ ياعُرْوَ قد لقِيتَ حِماما ... إذ تقحَّمت فى حِمَى اللهوات
أعليًّا ، لك الهوانُ ، تنادِى ... ضيغماً فى أياطِلِ الحَومات
إن لِله فارساً كأبى الشِّبْـ ... ـلين ما إن يَهولُه المُتْلِفَات[2]
مؤمناً بالقَضاءِ محتَسِباً بالـ ... ـخَيْرِ يرجُو الثَّوابَ بالسَّابقات
ليس يخشَى كريهةً فى لقاءٍ ... لا ولا ما يَجى به الآفات
فلقد ذُقْتَ فى الجَحيم نَكالاً ... وضِراب المَقَامِعِ المُحْمَيات
يا ابن داودَ قد وَقَيْتَ ابن هِنْدٍ ... أنْ يكونَ القَتيلَ بالمُقْفِرات

مصرع ابن عم أبى داود

قال : وحمل ابنُ عم أبى داود على علىٍّ فطعنه فضرب الرمح فبَرَاه ، ثم قنَّعه ضربةً فألحقه بأبى داود ، ومعاوية واقفٌ على التلِّ يُبصر ويشاهد ، فقال : تبًّا لهذه الرجال وقُبْحاً ، أما فيهم مَن يقتلُ هذا مبارزة أو غِيلة ، أو فى اختلاط الفَيلق وثَوَرَان النَّقْع . فقال الوليد بن عقبة : ابْرُزْ إليه أنت فإنَّكَ أولَى النَّاس بمبارزته . فقال : والله لقد دعانى إلى البراز حتى استحييتُ من قريش ، وإنِّى واللهِ لا أبرُز إليه ، ما جَعَل العسكرَ بين يدَى الرئيسِ إلا وقايةً له . فقال عتبةُ بن أبى سفيان الهَوْا عن هذا كأنَّكم لم تسمعوا نداءَه ، فقد علمتم أنه قَتل حُريثاً وفضَح عَمراً ، ولا أرى أحداً يتحكَّك به إلاَّ قتله . فقال معاوية لبسر بن أرطاة :

تخوف القوم من على

(١) الجرباء : الأرض الممحلة المقحوطة . وفى الأصل : « قد عاين الحوباء » .
(٢) فى الأصل : « ليس لله فارس » .

أتقوم لمبارزته ؟ فقال : ما أحدٌ أحقُّ بها منك ، وإذ أبيتموه فأنا له . فقال له معاوية : أمَا إنَّك ستلقاه فى العَجاجة غداً فى أول الخيل . وكان عند بسر بن أرطاة ابنُ عمٍّ له قد قدِم من الحجاز يخطُبُ ابنَته فأتى بُسراً فقال له : إنِّى سمعت أنَّك وعدتَ من نفسك أن تُبارز عليًّا . أما تعلم أنَّ الوالى من بعد معاوية عتبة ، ثم بعده محمد أخوه ، وكلٌّ من هؤلاءِ قِرنٌ لعلىّ[1] ، فما يدعوك إلى ما أرى . قال : الحياءُ ، خرج منى كلامٌ[2] فأنا أستحيي أن أرجع عنه . فضحك الغلام وقال فى ذلك :

تنازله يابُسرُ إنْ كنت مثـــله ... وإلا فإنَّ اللَّيْثَ للضَّبْع آكِلُ[3]
كأنَّكَ يابُسرُ بن أَرطاةَ جــاهلٌ ... بآثاره فى الحــرب أو متجــاهِلُ
معـــاويةُ الوالى وصِنْوَاهُ بعــدَهُ ... وليس سواءٌ مُستعــار وثاكــلُ
أولئك هم أولى به منك إنَّه ... علىٌّ فلا تَقْرَبْهُ ، أُمُّك هــابلُ
مَتى تَلْقَهُ فالموتُ فى رأسِ رَمْحِهِ ... وفى سيفه شُغْلٌ لنفسك شــاغِلُ
وما بعده فى آخر الحرب عَاطفٌ ... ولا قبلَهُ فى أَوَّل الخيل حاملُ[4]

فقال بسر : هل هو إلاَّ الموت ، لا بدَّ والله من لقاءِ الله تعالى .

فغدا علىٌّ [عليه السلام] منقطعاً من خيله ومعه الأَشتر ، وهو يريد التلّ وهو يقول : رجز لعلى

إنِّى علىٌّ فاسأَلوا لتُخْبَرُوا ... ثمَّ ابرُزُوا إلى الوغَى أَو أَدبِرُوا
سَيفِى حُســامٌ وسِنــانِى أَزْهَرُ ... مِنَّـــا النبىُّ الطيِّبُ المطهَّــرُ

---

(١) فى الأصل : « وكل هؤلاء من قرن لعلى » ، صوابه فى ح .
(٢) فى الأصل : « شيء » ، والوجه ما أثبت من ح (٢ : ٣٠٠) .
(٣) ح : « للشاة آكل » .
(٤) عاطف ، أراد به الذى يحمى المنهزمين . وفى اللسان : « ورجل عطوف وعطاف ، يحمى المنهزمين » . وفى الأصل : « خاطف » موضع « عاطف » ، صوابه فى ح .

وحَمزَةُ الخَيْرُ ومِنّــا جَعْفَــرُ له جَناحٌ فى الجِنان أَخْضَرُ[1]
ذا أَســدُ اللهِ وفيــه مَفْخرُ هــذا وهــذا وابن هِنْدٍ مُجْحَرُ
مذَبذَبٌ مُطرَّدٌ مؤخَّرُ

مبارزة على لبسر وفراره

فاستقبله بسرٌ قريباً من التلّ وهو مقنَّع فى الحديد لا يُعرَف ، فناداه : ابرُزْ إلىّ أَبا حسَن . فانحدر إليه عَلَى تؤدة غيرَ مكترثٍ ، حتّى إذا قاربه طعنه وهو دارع ، فأَلقاه على الأَرض ، ومَنَع الدّرعُ السنانَ أَن يصلَ إليه . فاتَّقاه بسر [بعورته] ؛ وقصد أَن يكشفها يستدفع بأْسه ، فانصرف عنه علىٌّ عليه السلام مستدبِراً له ، فعرفه الأَشتر حين سقط فقال : يا أَمير المؤمنين ، هذا بُسر بن أَرطاة . عدوُّ الله وعدوُّك . فقال : دعَهْ عليه لعنة الله ، أَبَعْدَ أَن فعلها .

حملة الأشتر على ابن عم بسر

فحمل ابنُ عمٍّ لبسرٍ شابٌّ على علىٍّ عليه السلام وهو يقول :

أَرديتَ بُســراً والغــلامُ ثائرُهْ أَرديتَ شَيخاً غاب عنه ناصِرُهْ
وكلُّنا حامٍ لبُسرٍ واتِرُه

فحمل عليه الأَشتر وهو يقول :

أَكلَّ يومٍ رجُلُ شيخٍ شــاغِرَهْ وعورةٌ وسَطْ العَجــاج ظاهِرَهْ
تُبرِزُهــا طعنةُ كفٍّ واتِــرَهْ عمرٌو وبُسرٌ رُمِيَا بالفَــاقِرِه[2]

فطعنه الأَشتر فكسر صُلْبَه ، وقام بُسرٌ مِن طعنةِ علىٍّ [مولِّياً] وولَّت خيلُه ، وناداه علىّ : يابُسر ، معاويةُ كان أَحقَّ بهذا منك[3] .

---

(١) هو جعفر بن أبى طالب ، أخو على عليه السلام ، وكان جعفر أسن من على بعشر سنين . وكان مصرعه يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة ، وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً . ويسمى جعفر « ذا الجناحين »، و « وذا الهجرتين » . انظر الإصابة ، وكتب المغازى والحيوان (٣ : ٢٢٣) .

(٢) الفاقرة : الداهية تكسر فقار الظهر . ح : « منيا بالفاقرة » .

(٣) ح (٢ : ٣٠١) : « بها منك » .

فرجع بُسرٌ إلى معاوية ، فقال له معاوية : ارفع طرفَك قد أدال الله عَمْراً منك . فقال فى ذلك النضر بن الحارث :

أفى كلِّ يوم فارسٌ تندبونه ... له عورةٌ وسطَ العجاجة باديه
يكفّ بها عنه علىٌّ سِنانهُ ... ويضحك منها فى الخلاءِ مُعاويهْ
بدتْ أمسِ من عمرٍو فقنَّعَ رأسَه ... وعورةُ بسر مثلُها حَذْوَ حاذِيهْ
فقُولا لَعمرٍو وابنِ أرطاةَ أبصِرَا ... سبيلَكُما لا تَلقَيا اللَّيثَ ثانيهْ
ولا تَحمَدا إلاَّ الحيا وخُصاكُما ... هما كانتا واللهِ للنَّفسِ وَاقيَهْ
فلولاهما لم تَنجُوا مِن سنانِه ... وتلك بما فيها عن العَودِ ناهِيهْ
متى تلقيا الخيل المُشِيحَةَ صُبْحَةً ... وفيها علىٌّ فاترُكا الخيلَ ناحيه [(١)]
وكونا بعيداً حيثُ لا يبلغ القَنا ... وحَمْىُ الوغَى ، إنَّ التجارب كافيهْ
وإنْ كان منه بعدُ فى النَّفسِ حاجةٌ ... فعودا إلى ما شئتما هىَ مَا هِيَهْ

تحامى بسر وفرسان الشام عليا

فكان بسر بعد ذلك إذا لقى الخيلَ التى فيها علىٌّ تنحَّى ناحيةً . وتحامى فُرسانُ أهل الشام عليًّا .

حض معاوية قريش الشام

[قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الأَجلح بن عبد الله الكندى ، عن أبى جُحيفة قال] : ثم إن معاوية جمع كل قرشى بالشام فقال : العجبُ يامعشر قريش أنَّه ليس لأَحدٍ منكم فى هذه الحرب فَعالٌ يطول به لِسانُه [(٢)] غداً ، ما عدا عمراً ، فما بالُكم ، وأين حميّة قريش ؟ ! فغضب الوليد بن عقبة وقال : وأىَّ فَعَالٍ تريد ، والله ما نعرفُ فى

---

(١) المشيحة : المجدة . صبحة : صبحاً . وفى الأصل : « صيحة » ، صوابه فى ح ، وفيها : « الخيل المغيرة » .

(٢) الفعال ، بالفتح : الفعل الحسن . وفى ح : « فعال يطول بها لسانه » وهو بالكسر : جمع فعل .

أكفائنا من قريش العِراقِ مَن يُغْنى غَناءَنا باللِّسان ولا باليد . فقال معاوية : بل إنَّ أولئك قد وَقَوا عليًّا بأَنفسهم . قال الوليد : كلاَّ بل وقاهم علىٌّ بنفسه . قال : ويحكم ، أَمَا مِنكم مَن يقومُ لقِرْنه منهم مبارزةً أو مفاخرة . فقال مروان : أَمَّا البِراز فإنَّ عليًّا لا يأْذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بَنِيهِ فيه ، ولا لابن عباس وإخوته ، ويَصْلَى بالحرب دونهم ، فلأَيِّهم نُبارز . وأَمّا المفاخرة فبماذا نفاخرهم أَبِا لإسلام أم بالجاهلية . فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوَّة ، وإن كان بالجاهلية فالمُلك فيه لليمن . فإن قلنا قريش قالت العرب : فأَقِرُّوا لبَنِى عبدالمطلب.

رد القرشيين على معاوية

فغضِب عتبةُ بن أَبى سفيان فقال : الهَوْا عن هذا ؛ فإنى لاقٍ بالغداة جعدةَ ابنَ هُبيرة . فقال معاوية : بخٍ بخٍ ، قومُه بنو مخزوم ، وأُمُّه أم هانئ بنت أَبى طالب ، وأَبوه هبيرة بن أَبى وهب ، كُفوٌ كريم . وظهر العتاب بين عتبة والقوم حتى أَغلظ لهم وأَغلظوا له . فقال مروان : أَما والله لولا ما كان منِّى يوم الدار مع عثمان ، ومشهدى بالبصرة لكان منى فى علىٍّ رأىٌ كان يكفى امرأً ذا حسبٍ ودين ، ولكنّ ولعلّ . ونابذ معاوية الوليدَ بن عقبة دون القوم ، فأَغلظ له الوليد فقال معاوية : «ياوليد ، إنك إنما تجترئُ علىَّ بحقِّ عثمان[1] ، وقد ضربك حدًّا ، وعزَلك عن الكوفة» . ثم إنَّهم ما أَمسَوْا حتَّى اصطلحوا وأَرضاهم معاويةُ من نفسه ، ووصلهم بأَموالٍ جليلة . وبعثَ معاوية إلى عتبة فقال : ما أنت صانعٌ فى جعدة ؟ فقال : أَلقاه اليومَ وأُقاتله غداً . وكان لجعدةَ فى قريشٍ شرفٌ عظيم ، وكان له لسانٌ ، وكان من أَحبِّ الناس إلى علىّ ، فغدا عليه عتبةُ فنادى : أَيا جعدة ، أَيا جعدة . فاستأْذن علياً عليه السلام فى الخروج إليه ، فأَذِن له ، واجتمع الناس لكلامهما ، فقال عتبة : ياجعدة ، إنّه واللهِ ما أَخرجك علينا إلاَّ حبٌّ خالك وعمِّك ابن أَبى سلمة

(١) ح (٢ : ٣٠١) : « بنسبك من عثمان » .

اجتماع عتبة وجعدة

عامِلِ البَحرين[1] ، وإنَّا والله ما نزعمُ أنَّ معاوية أحقُّ بالخلافة من عليٍّ لولا أمره فى عثمان ، ولكنّ معاوية أحقُّ بالشَّام لرضا أهلها به فاعفُوا لنا عنها ، فو الله ما بالشام رجلٌ به طِرْقٌ[2] إلا وهو أجدُّ من معاويةَ فى القتال ، ولا بالعراق من له مثل جدِّ عليٍّ [فى الحرب] . ونحن أطوعُ لصاحبنا منكم لصاحبكم ، وما أقبحَ بعليٍّ أن يكونَ فى قلوب المسلمينَ أولى النَّاس بالنَّاس ، حتَّى إذا أصاب سُلطاناً أفنى العرب . فقال جعدة : أمَّا حبّى لخالى فو الله أن لو كان لك خالٌ مثلُه لنسِيتَ أباك . وأما ابن أبى سلَمة فلم يُصب أعظَمُ من قَدْره ، والجهاد أحبّ إلىّ من العمل . وأما فضل علىٍّ على معاوية فهذا مالا يختلف فيه [اثنان] . وأما رضاكم[3] اليوم بالشَّام فقد رضِيتمْ بها أمس [فلم نقبل] . وأما قولك إنَّه ليس بالشام من رجلٍ إلاَّ وهو أجدُّ من معاوية ، وليس بالعراق لرجلٍ مثلُ جدِّ علىٍّ ، فهكذا ينبغى أن يكون ؛ مضى بعلىٍّ يَقينُه ، وقصَّر بمعاوية شكُّه ، وقَصْدُ أهلِ الحقِّ خيرٌ من جُهد أهل الباطل . وأمَّا قولك نحن أطوعُ لمعاوية منكم لعلىٍّ عليه السلام ، فوالله ما نسأله إنْ سكت ، ولا نردُّ عليه إن قال . وأمَّا قتل العرب فإنَّ اللهَ كتب [القتل و] القتال ، فمن قتله الحق فإلى الله . فغضب عتبة وفَحش على جَعدة ، فلم يجبْه وأعرض عنه وانصرفا جميعاً مغضَبين . فلما انصرف عتبةُ جمع خيلَه فلم يستبقِ منها [شيئاً] ، وجلُّ أصحابِه السَّكون والأزْدُ والصَّدِف . وتهيّأ جعدةُ بما استطاع فالتقيا ، وصبرَ القومُ جميعاً ، وباشر جعدةُ يومئذٍ القتالَ بنفسه ، وجزِع عتبة فأَسْلَمَ خيلَه وأسرع هارباً إلى معاوية : فقال له :

(١) فى الأصل : « عاملى البحرين » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) الطرق ، بالكسر : القوة . وفى الحديث : « لا أرى أحداً به طرق يتخلف » وفى الأصل : « طرف » ، صوابه بالقاف .

(٣) فى الأصل : « رضاكم » ، وأثبت ما فى ح .

فَضَحَك جعدةُ ، وهَزَمْتُكَ[1] لا تغسل رأسَكَ منها أبداً . قال عتبة : لا واللهِ لا أعودُ إلى مثلها أبداً ، ولقد أعذَرْتُ ، وما كان على أصحابى من عتب ، ولكن الله أَبَى أن يُديلَنا منهم فما أصنع ؟ فحظِيَ بها جعدةُ عند علىّ . فقال النجاشى فيما كان من شتم عتبة لجعدة شعراً :

شعر النجاشى فى شتم عتبة لجعدة

إنّ شَتْمَ الكريمِ يا عُتْبَ خطْبٌ ... فاعلمَنْهُ من الخطـوب عظيمُ
أمُّـه أمّ هـانئٍ وأبـوهُ ... من معـدٍّ ومن لُـؤَىٍّ صميمُ
ذاك منهـا هبيرةُ بن أبى وهْـ ... ـبٍ أقـرَّتْ بفضْلهِ مخـزومُ
كـان فى حَرْبكمْ يُعَـدُّ بألفٍ ... حينَ تلقَى بهـا القُرومَ القُرومُ
وابنـه جعـدة الخليفة منه ... هـكذا يخلُف الفـروعَ الأُرومُ
كـلُّ شىءٍ تريدُه فهـو فيـه ... حسَبٌ ثاقبٌ ودينٌ قـويمُ
وخطيبٌ إذا تمعَّـرتِ الأو ... جُـهُ يشْجَى به الألَدُّ الخصيمُ
وحليمٌ إذا الحُبَى حلَّهـا الجهْـ ... ـلُ وخفَّتْ من الرِّجال الحُلومُ[2]
وشكيمُ الحـروبِ قـد علم النَّا ... سُ إذا حُلَّ فى الحروب الشكيمُ
وصحيحُ الأديم من نَغَل العَيْـ ... ـبِ إذا كان لا يصحُّ الأديمُ
حاملٌ للعظيمِ فى طلب الحَمْـ ... ـدِ إذا أعظَمَ الصَّغيرَ اللئيمُ
ما عسى أن تقولَ للذّهب الأحْـ ... ـمرِ عيباً ، هيهاتَ مِنكَ النُّجومُ
كلُّ هـذا بحمـدِ ربِّكَ فيـه ... وسوى ذاك كانَ وهـو فطيمُ

شعر الشنى فى هجاء عتبة لجعدة

وقال الشَّنِّىُّ فى ذلك لعتبة :

ما زلتَ تنظُـر فى عِطفَيكَ أُبَّهـةً
لا يرفَعُ الطَّرْفَ منك التِّيهُ والصَّلَفُ[3]

(١) فى الأصل : « يهزمك » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٢) الحبى : تقال بضم الحاء جمع حبوة بضم الحاء ، وبكسر الحاء جمع حبوة بكسرها ، وهى أن يجمع ظهره وساقيه بعمامة . ح : « إذا الجبال جللها الجهل » .
(٣) فى الأصل : « وظلت تنظر » ، وأثبت ما فى ح (١ : ٣٠٢) .

لا تحسبُ القومَ إلاَّ فقْعَ قَرقرةٍ   أو شحمةً بزَّها شاوٍ لها نُطَفُ[1]
حتَّى لقيتَ ابنَ مخزومٍ وأىُّ فتًى   أَحيــا مــآثرَ آباءٍ له سَلَفُوا
إن كان رهطُ أبى وهبٍ جَحاجحةً   فى الأَوّلين فهــذا منهمُ خَلَفُ
أشجاكَ جعدةُ إذ نادَى فوارسَهُ :   حامُوا عَن الدِّين والدُّنيا ، فما وقَفوا
حتَّى رمَوْكَ بخيــلٍ غيرِ راجعةٍ   إلا وسُمرُ العَوالِى منــكم تكِفُ
قد عاهدُوا الله لن يَثْنُوا أَعِنَّتَهــا   عند الطِّعان ولا فى قولهم خُلُفُ
لمَّــا رأَيتَهم صبحــاً حسِبتَهمُ   أُسْدَالعَرين حَمَى أَشبالَهَا الغُرُفُ[2]
ناديت خيلَكَ إذْ عَضّ الثِّقافُ بهم :   خيلى إلىّ . فما عاجُوا ولا عَطَفوا[3]
هــلاَّ عطفت على قتلَى مصرَّعَةٍ   منهاالسَّكونُ ومنها الأَزْدُ والصَّدِفُ
قد كنت فى منظرٍ من ذا ومُستَمَعٍ   ياعُتبَ لولا سَفاهُ الرَّأْى والسَّرَفُ
فاليوم يُقرَع منك السِّنُّ عن ندمٍ   ما للمبــارِز إلا العَجْز والنَّصَفُ

أسر الأشتر للأصبغ

نصر ، عن عمر فى إسناده قال : وكان من أهل الشام بصفين رجلٌ يقال له الأَصبغ بن ضِرار الأزدىّ ، وكان يكون طليعةً ومَسْلحةً لمعاوية ، فندب علىٌّ له الأَشترَ فأَخذه أَسيراً من غير أن يقاتِل . وكان علىٌّ ينهى عن قتل الأَسير الكافّ ، فجاءَ به ليلاً وشدَّ وَثاقه وأَلقاه عند أَصحابه[4] ينتظر به الصَّباح ، وكان الأَصبغُ شاعراً مفوَّها . ونام أَصحابُه ، فرفع صوتَه فأَسمع الأَشتَرَ فقال :

---

(١) فى الأصل : « لم يصبح القوم » ، وأثبت ما فى ح . وفى الأصل أيضا : « شحمة يشوها » ، صوابه من ح ، وانظر ما سبق فى ص ٣٦٧ س ١٣ .

(٢) الغرف : جمع غريف ، وهو الشجر الملتف . وفى الأصل : « العرف » ، تحريف . وهذا البيت والثلاثة قبله والبيت الذى بعده ليس فى ح .

(٣) خيلك : أى فوارسك . عض الثقاف بهم : دخلوا فى مأزق الحرب . وأصل الثقاف خشبة تسوى بها الرماح والقسى ، بها خرق يتسع لهما ، ثم يغمز منهما حيث ينبغى أن يغمز ، وهما مدهونان مملولان أو مضهوبان على النار ، حتى يصيرا إلى ما يراد منهما . وفى الأصل : « إذا غض النقاف » : تحريف .

(٤) فى الأصل : « مع أضيافه » ، وأثبت ما فى ح (٢ : ٣٠٢) .

شعر الأصبغ في الأشتر

ألا ليتَ هذا الليل طَبَّقَ سرمـداً على النَّاس لا يأتيهمُ بنهارِ[1]
يكونُ كذا حتَّى القيامةِ إنَّنى أُحاذِرُ فى الإصباح ضَرمةَ نارِ[2]
فياليلُ طبِّقْ إنّ فى اللَّيْلِ راحةً وفى الصُّبح قتلِي أو فِكاك إسارِي
ولو كنتُ تحتَ الأرضِ سِتِّين وادياً لمـا رَدّ عنّى ما أخـافُ حِذارى
فيانفسُ مهلاً إنَّ للمـوت غاية فصبراً على ما نابَ يا ابنَ ضِرارِ
أأَخْشَى وَلِى فى القوم رِحْمٌ قريبةٌ أبى اللهُ أن أخشى والأشترُ جارى[3]
ولو أنّه كـان الأسيـرَ ببلـدةٍ أُطاعُ بهـا شمَّرْتُ ذيلَ إزارِى
ولوكنتُ جارَ الأشعثِ الخيرِفكَّنِى وقلَّ من الأمرِ المَخُوفِ فِـرارِى
وجارَ سعيدٍ أو عدىٍّ بنِ حـاتمٍ وجارَ شُرَيحِ الخيْرِ قَرَّ قـرارى
وجـارَ المرادىِّ العَظيمِ وهـانئٍ وزَحْرِبنِ قَيْسٍ ماكرهتُ نهارى[4]
ولو أنّنى كنتُ الأسيرَ لبعضِهم دعوتُ رئيسَ القَوْمِ عند عِثارِى
أُولئكَ قومى لا عدِمْتُ حيـاتَهم وعَفْوَهُم عنّى وسَتْرَ عُـوَارى[5]

العفو عن الأصبغ

فغدا به الأشتر على علىٍّ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا رجلٌ من المَسْلَحة لقيتُه بالأمس ، فوالله لو علمتُ أنَّ قتلَه الحقُّ قتلتُه ، وقد باتَ عندنا الليلة وحَرَّكَنا [بشعره] ، فإن كان فيه القتلُ فاقتلْه وإن غضبنا فيه ، وإن ساغ لك العفو عنه[6] فهبْه لنا . قال : هو لك يا مالك ، فإذا أصبت [منهم] أسيراً فلا تقتله ؛ فإنَّ أسير أهل القبلة لا يفادى ولا يقتل . فرجع به الأشترُ إلى منزلهِ وقال : لك ما أخذْنا منك ، ليس لك عندنا غيرُه .

---

(١) ح : « أصبح سرمداً » .
(٢) ح : « يوم بوار » . والبوار : الهلاك .
(٣) ح (٢ : ٣٠٣) : « ومالك جارى » ، ومالك هو الأشتر .
(٤) ح : « المرادى الكريم » .
(٥) العوار ، مثلثة : العيب .
(٦) فى الأصل : « وإن كنت فيه بالخيار » ، وأثبت ما فى ح .

فزع معاوية وأصحابه من تصبيح علي

وذكروا أن عليًّا أظهر أنه مصبِّحُ غداً معاوية ومُناجِزُه ، فبلغ ذالك معاوية ، وفزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله . وكان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بنى سليم مع معاوية ، وكان مبغضاً لمعاوية [وأهل الشام ، وله هوًى مع أهل العراق وعلىّ بن أبى طالب عليه السلام] ، وكان يكتب بالأخبار[1] إلى عبد الله بن الطفيل العامرى ويبعث بها إلى علىّ عليه السلام[2] فبعث إلى عبد الله بن الطفيل : إنى قائل شعراً أذعَرُ به أهلَ الشَّام وأُرْغِم به معاوية[3] . وكان معاوية لا يتَّهمه ، وكان له فضلٌ ونجدةٌ ولسان ، فقال ليلاً ليسمع أصحابه :

شعر معاوية بن الضحاك فى إزعاج أهل الشام

ألاليتَ هذا الليلَ أطْبَقَ سَرْمدًا ... علينــــا وأنَّا لا نرى بعدَه غَدَا
ويالَيتَه إنْ جــاءَنا بصَبَاحِهِ ... وجَدْنا إلى مَجْرَى الكواكب مَصْعَدا
حِــذارَ علىٍّ إنَّهُ غيرُ مُخْلِفٍ ... مَدَى الدَّهرِ ،ما لَبَّى المُلَبُّونَ ،مَوْعِدا
فأمَّا قَرارى فى البــلادِ فليس لى ... مُقَامٌ ولو جاوزتُ جَابَلْقَ مُصْعِدَا
كأنِّى به فى الناسِ كاشِفَ رأْسِهِ ... على ظهر خَوّار الرِّحــالةِ أجرَدا
يخوض غمــار الموت فى مرجَحِنَّةٍ ... ينـــادُون فى نَقْع العجاج محمدًا
فوارسُ بدرٍ والنَّضيرِ وخَيْبَرٍ ... وأُحْدٍ يُرَوُّون الصَّفيح المهنَّدا
ويومَ حُنَيْنٍ جالَدُوا عن نبيِّهـــم ... فريقاً من الأحــزاب حتَّى تبدَّدا
هنالك لا تَلوِى عجــوزٌ على ابنها ... وإن أكثرتْ فى القول نفسى لكَ الفِدَا
فقُلْ لابنِ حربٍ ما الذى أنتَ صانعٌ ... أتثبُتُ أم ندعوك فى الحرب قُعْدُدا[4]
وظنِّى بأن لا يصبرَ القوم موقفاً ... يَقِفُهُ وإن لم يُجْرِ فى الدَّهْر للمَدَى

(١) ح (٣ : ٤٢٣) : « بأخبار معاوية » .
(٢) ح : « فيخبر بها عليا عليه السلام » .
(٣) فى الأصل : « وأذعر به معاوية » ، وأثبت ما فى ح .
(٤) القعدد ، بضم القاف والدال ، وبفتح الدال أيضا : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .

فلا رأىَ إلاَّ تَرْكُنَا الشَّامَ جَهْرَةً   وإنْ أَبرقَ الفَجْفَاجُ فيها وأَرعدا[1]

فلما سمع أَهلُ الشام شِعرَه أَتَوْا به معاويةَ فهمَّ بقتله ، ثم راقب فيه قومَه وطرده عن الشام فلحق بمصر ، وندم معاويةُ على تسييره إياه . وقال معاوية : واللهِ لَقولُ السُّلَمىِّ أَشدُّ على أَهل الشامِ من لقاءِ علىّ ، ماله – قاتله الله – لو أَصاب خلف جَابَلْقَ مصعداً نَفَذَه[2] .

تسيير معاوية ابن الضحاك

وجابَلْق : مدينة بالمشرق . وجابَلْص : مدينة بالمغرب ليس بعدهما شىء[3] .

وقال الأَشتر حين قال على : « إنَّنى مناجزُ القومِ إذا أَصبحت » :

قصيدة للأشتر

قــد دنا الفصْل فى الصَّباح وللِسِّـلمِ رجــالٌ وللحــروب رجــالُ
فرجــالُ الحــروب كُلٌّ خِدَبٌّ   مُقْحِمٍ لا تهــدُّه الأَهــوالُ
يَضربُ الفــارسَ المدجَّجَ بالسَّيْـف إذا فُلَّ فى الوغى الأَكفالُ[4]
يا ابن هندٍ شُدَّ الحيــازيمَ للمو   تِ ولا يذهَبَنْ بِكَ الآمــالُ
إنَّ فى الصبح إنْ بقِيتَ لأَمراً   تتفَــادى من هَوْلِهِ الأَبطــالُ
فيــه عِزُّ العراق أَو ظفَرُ الشــا   م بأَهــلِ العِــرَاقِ والزلزالُ
فاصبروا للطِّعــان بالأَسَلِ السُّمْـرِ وضربٍ تَجْرى به الأَمثــالُ
إنْ تكونوا قتلتم النَّفَــرَ البيــضَ وغــالتْ أُولئــكَ الآجالُ

(١) الفجفاج : الكثير الكلام والفخر بما ليس عنده .
(٢) نفذه : جازه . ح : « لو صار خلف جابلق مصعدا لم يأمن عليا » .
(٣) ذكر ياقوت أن جابلق بأقصى المغرب ، ومدينة أخرى من رستاق أصبهان لها ذكر فى التواريخ . ولم يرسم لجابلص . وفى ح (٣ : ٤٢٣) : « ألا تعلمون ما جابلق ؟ يقول لأهل الشام . قالوا : لا . قال : مدينة فى أقصى المشرق ليس بعدها شىء » .
(٤) فل : هزم . ح (٣ : ٤٢٤) : « فر » . والأكفال : جمع كِفل . بالكسر ، هو من الرجال الذى يكون فى مؤخر الحرب ، إنما همته فى الفرار والتأخر .

فلَنَا مثلُهُمْ وإن عظم الخطـ ... بُ ، قليلٌ أَمثالُهم أبدالُ[1]

يخضِبُون الوشيجَ طعْناً إذا جُـ ... ـرَّتْ من المـوتِ بينهم أذيالُ[2]

طلَبَ الفوزِ فى المعادِ وفى ذا ... تُستهان النُّفوسُ والأَموالُ

آخر الجزء الحادى عشر من نسخة أجزاء عبد الوهاب

طلب معاوية الشام من على

فلما انتهى إلى معاويةَ شعرُ الأَشترِ قال : شعرٌ منكَر من شاعرٍ منكر، رأسِ أَهل العراق وعظيمهم ومِسعَر حربِهم ، وأَوّل الفتنة وآخرها . وقد رأَيتُ أن أَكتبَ إلى علىٍّ كتاباً أَسأَله الشام — وهو الشىءُ الأَوّل الذى ردّنى عنه — وأُلقِى فى نفسه الشكَّ والرِّيبَة . فضحك عمرو ابن العاص ، ثم قال : أَين أَنت يا معاوية من خدعة علىّ ؟ ! فقال : أَلسنا بنى عبد مناف ؟ قال : بلى ، ولكنْ لهم النبوَّةُ دونَك ، وإنْ شئتَ أَن تكتب فاكتب . فكتب معاوية إلى علىٍّ مع رجلٍ من السكاسك ، يقال له عبد الله بن عقبة ، وكان من ناقلة أَهل العراق ، فكتب :

رسالة معاوية إلى على

« أَما بعد ، فإنِّى أَظنُّك أَنْ لو علمتَ أَنَّ الحربَ تبلغُ بنا وبك ما بلغتْ وعَلمنا ، لم يجْنِهَا بعضُنا على بعض ؛ وإنَّا وإنْ كنا قد غُلِبْنا على عقولنا فقد بَقِى لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونُصْلِح به ما بَقِى . وقد كنتُ سأَلتك الشَّامَ على أَلاَّ يَلزمَنى لك طاعةٌ ولا بَيعة ، فأَبيتَ ذلك علىّ ، فأَعطانى اللهُ ما منعتَ ،وأَنا أَدعوك اليومَ إلى ما دعوتُك

(١) ح : « فلنا مثلهم غداة التلاق » .
(٢) فى الأصل : « جرت للموت » ، صوابه من ح .

إليه أمسِ ؛ فإنى لا أرجو من البقاء إلاَّ ما ترجو ، ولا أخافُ من الموت إلاَّ ما تَخَاف . وقد واللهِ رقّت الأجناد . وذهبت الرِّجال ، ونحن بنو عبدِ منافٍ ليس لبعضنا على بعض فضلٌ إلاَّ فضلٌ لا يُستذَلُّ به عزيز ، ولا يُستَرَقُّ حرٌّ به . والسلام »

جواب على

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علىٍّ قرأه ، ثم قال : العجب لمعاوية وكتابه . ثم دعا علىٌّ عبيدَ الله بن أبى رافع كاتبَه ، فقال : اكتب إلى معاوية : « أما بعد فقد جاءنى كتابُك ، تذكُرُ أنّكَ لو علمتَ وعلمنا أن الحرب تبلغُ بنا وبك ما بلغَتْ لم يَجْنها بعضُنا على بعض . فإنَّا وإياك منها فى غايةٍ لم تبلغها . وإنِّى لو قُتلت فى ذات الله وحَيِيت ، ثم قُتلت ثمَّ حييت سبعين مرة ، لم أرجع عن الشدّة فى ذاتِ الله ، والجهادِ لأعداء الله . وأمّا قولك إنّه قد بقى من عقولنا ما نندمُ به على ما مضى ، فإنِّى ما نقصتُ عقلى ، ولا ندِمتُ على فعلى . فأمّا طلبُكَ الشامَ ، فإنِّى لم أكنْ لأُعطيك اليومَ ما منعتُك [منها] أمس . وأمّا استواؤُنا فى الخوفِ والرَّجاء ، فإنَّك لستَ أمضى على الشكِّ منِّى على اليقين ، وليس أهلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العراقِ على الآخرة . وأما قولك إنَّا بنو عبد منافٍ ليس لبعضنا على بعضٍ فضلٌ ؛ فلعمرى إنَّا بنو أبٍ واحد ، ولكن ليس أميّة كهاشم ، ولا حربٌ كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبى طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا المحِقُّ كالمُبْطل . وفى أيدينا [بعدُ] فضلُ النبوّة التى أذَلَلْنا بها العزيز ، وأعزَزْنا بها الذَّليل . والسلام » .

كتمان معاوية كتاب على ثم إذاعته

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة قال : فلمّا أتى معاويةَ كتابُ علىٍّ كتمه عن عمرو بن العاص أيّاما ، ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتابَ ، فشمِت به عمرٌو . ولم يكن أحدٌ من قريشٍ أشدَّ تعظيماً

لعليٍّ من عمرو منذُ يومَ لقيه وصفَح عنه . فقال عمرو بن العاص فيما كان أشار به على معاوية :

شعر لعمرو

ألا لله درُّك يا ابنَ هندٍ ودرّ الآمرين لكَ الشُّهودِ
أتطمع لا أبالَكَ فى عليٍّ وقد قُرع الحديدُ على الحَديدِ
وترجو أن تحَيِّره بشكٍّ وترجو أن يهابَك بالوعيدِ[1]
وقد كشَفَ القِناعَ وجَرَّ حَرباً يَشِيبُ لهَولها رأسُ الوليدِ
له جأْواءُ مظلِمةٌ طحونٌ فوارسُها تَلَهَّبُ كالأُسودِ[2]
يقول لها إذا دَلَفَتْ إليه وقد مَلَّتْ طِعانَ القَومِ :عُودِى[3]
فإنْ وردَتْ فأَوَّلُها وُروداً وإن صَدَرتْ فليس بذى صدودِ[4]
وما هى من أبى حسَنٍ بنُكْرٍ وما هى من مَسائك بالبعيدِ
وقلتَ له مقالةَ مستكينٍ ضعيفِ الرُّكنِ منقطِع الوريدِ
دعَنَّ الشّامَ حسبُك يا ابنَ هندٍ من السَّوءاتِ والرَّأىِ الزَّهيدِ
ولو أعطاكَها ما أزدَدْتَ عِزًّا ولا لَكَ لو أجابَكَ مِن مَزيدِ
ولم تكسِر بذاكَ الرَّأى عُوداً لرِكّتِه ولا ما دونَ عُودِ

فلما بلغ معاويةَ قولُ عَمرٍو دعاه ، فقال : يا عمرو ، إنّنى قد أعلم ما أردتَ بهذا . قال : ما أردت ؟ قال : أردتَ تفييلَ رأْبى وإعظامَ علىٍّ ، وقد فَضَحك . قال : أمَّا تفييلى رأيَك فقد كان . وأمّا إعظامى عليًّا فإنّك بإعظامه أشدُّ معرفةً منى ، ولكنّك تَطويه وأنا أنشُره . وأما فضيحتى ، فلم يفتضح امرؤٌ لقِىَ أبا حَسن .

---

(١) فى الأصل : « أن تخبره » صوابه فى ح (٣ : ٤٢٤) . وفى ح أيضاً : « وتأمل أن يهابك » .
(٢) الجأواء : الكتيبة يعلوها لون السواد لكثرة الدروع .
(٣) ح : « إذا رجعت إليه » .
(٤) هذا ما فى الأصل . وفى ح : « وإن صدت » .

وقد كان معاويةُ شمت بعمرو ، حيث لقى من علىّ عليه السلام ما لقى، فقال عمرو فى شماتة معاوية : شعر لعمرو فى شماتة معاوية

مُعاوِى لا تشمَتْ بفارِس بُهْمَةٍ ... لَقِىَ فارساً لا تَعترِيه الفــوارسُ
مُعاوِى إن أبصرتَ فى الخيل مُقْبِلاً ... أبا حسَنٍ يَهوِى دَهَتْكَ الوساوسُ
وأيقَنْتَ أنَّ المــوتَ أحقٌّ وأنَّه ... لنفسك إن لم تَمْضِ فى الرّكض حابِسُ
فإنَّك لو لاقيتَــه كنتَ بُومــةً ... أُتيح لها صَقرٌ من الجوِّ آنِسُ
وماذا بقاء القوم بعــد اختباطه ... وإنَّ امــرأً يلقى عليًّا لآيِسُ
دعاكَ فصمَّتْ دونه الأُذْن هارباً ... بنفسك قد ضاقتْ عليكَ الأمالسُ
وأيقنتَ أنَّ المــوت أقربُ موعدٍ ... وأنَّ التى ناداك فيهــا الدَّهارِسُ
وتشمتُ بى أنْ نالَنى حــدُّ رمحِه ... وعضَّضَنى نابٌ من الحرب ناهسُ(١)
أبى اللهُ إلاَّ أنَّه ليثُ غــابةٍ ... أبو أشبُلٍ تُهدَى إليــه الفرائسُ
وأنى امرؤٌ باقٍ فلم يُلفَ شِــلْوه ... بمعْتركٍ تَسْــفى عليــه الروامسُ
فإن كنتَ فى شكٍّ فأَرهِجْ عَجاجةً ... وإلا فتلك الترَّهاتُ البسابسُ

نصر : حدّثنا عمرو بن شمر قال : حدَّثنا أبو ضرار قال : حدثنى عمّار بن ربيعة قال : غلَّس علىٌّ بالناسِ صلاةَ الغَداةِ يومَ الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، وقيل عاشر شهر صفر ، ثم زحف إلى أهل الشَّام بعسكر العراق والناس على راياتهم ، وزحف إليهم أهل الشام ، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنَّها فى أهل الشام أشدُّ نكايةً وأعظَمُ وقْعا ، فقد ملُّوا الحربَ وكرِهوا القتال ، وتضعضعت أركانهم . قال : فخرج رجلٌ من أهل العراق على فرسٍ كميت ذَنوب ، زحف على

(١) فى الأصل : « عضعضنى » ، والوجه ما أثبت . والمقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .

عليه السّلاح ، لا يرى منه إلا عيناه ، وبيده الرُّمح ، فجعل يضربُ رءُوسَ أصحابِ علىٍّ بالقناة ويقول : سوُّوا صفوفكم [رحمكم الله] . حتَّى إذا عدّل الصفوف والراياتِ استقبلَهم بوجهه وولّى أهلَ الشام ظهره ، ثمَّ حمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال :

خطبة للأشتر وهو مقنع متستر

الحمد لله الذى جعل فينا ابنَ عمِّ نبيِّه[1] ، أقدمهم هجرة ، وأوّلهم إسلاماً ؛ سيفٌ من سُيوف الله صبَّه على أعدائه . فانظروا[2] . إذا حَمِىَ الوطيسُ وثارَ القَتَام وتكسَّر المُرّان ، وجالت الخيلُ بالأَبطال ، فلا أسمعُ إلاَّ غمغمةً أو همهمة ، [فاتَّبعُونى وكونوا فى إثرى] . قال : ثمّ حمل على أهل الشام وكسرَ فيهم رُمْحَه ثم رجع ، فإذا هو الأشتر .

محاولة أحد الشاميين إبطال الحرب

قال وخرج رجلٌ من أهل الشام ينادى بين الصَّفَّين : يا أبا الحسن ، يا علىّ ، ابرزْ إلىّ . قال : فخرج إليه علىٌّ حتى إذا اختلف أعناق دابّتيهما بين الصَّفَّين فقال : يا علىّ ، إنَّ لك قَدَماً فى الإسلام وهجرة[3] ، فهل لك فى أمرٍ أعْرِضُه عليك يكون فيه حقْنُ هذه الدِّماء ، وتأْخيرُ هذه الحروب حتَّى ترى من رأيك ؟ فقال له على : وما ذاك ؟ قال : « ترجع إلى عراقك فنخلِّى بينك وبين العِراق ، ونرجعُ إلى شامنا فتخلِّى بيننا وبين شامنا » . فقال له على : لقد عرفتُ ، إنما عرضتَ هذا نصيحةً وشفقةً . ولقد أهمَّنى هذا الأمر وأسهرَنى ، وضربْتُ أنفَه وعينيه ؛ فلم أجد إلا القتالَ أو الكفرَ بما أنزل اللهُ على محمد صلى الله عليه . إنَّ الله تباركَ وتعالى لم يرضَ من أوليائهِ أن يعصى فى الأرض وهم سكوتٌ مذْعنون ، لا يأْمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . فوجدتُ القتالَ أهونَ علىَّ من معالجة الأَغلال فى جهنم » .

---

(١) فى الأصل : « فيكم ابن عم نبيكم » ، وأثبت ما فى ح (١ : ١٨٣) .
(٢) فى الأصل : « فانظروا إلى » . وكلمة « إلى » ليست فى ح .
(٣) ح : « والهجرة » .

فرجع الشامىُّ وهو يسترجع .

ليلة الهرير

قال : وزحف النَّاسُ بعضُهم إلى بعض فارتموا بالنَّبل [والحجارة] حتى فنِيت ، ثمَّ تطاعَنُوا بالرِّماح حتى تكسَّرت واندقّت ، ثم مشى القومُ بعضُهم إلى بعضٍ بالسَّيف وعُمُد الحديد ، فلم يسمع السامعُ إلا وقع الحديد بعضِه على بعض ، لَهُوَ أشدُّ هولاً فى صُدور الرجال من الصَّواعق ، ومن جبال تِهامةَ يدكُّ بعضُها بعضا . قال : وانكشفت الشمس [بالنَّقع] وثار القَتام ، وضلّت الألويةُ والرايات . قال : و [أخذ] الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمُر كلَّ قبيلةٍ أو كتيبةٍ من القُرّاء بالإقدام على التى تليها . قال : فاجتلدوا بالسُّيوف وعمد الحديد من صلاة الغَداة إلى نصف الليل ، لم يصلُّوا لِله صلاة . فلم يزل يفعل ذلك الأشترُ بالنَّاسِ حتى أصبحَ والمعركةُ خلفَ ظهره ، وافترقوا عَنْ سبعينَ ألفَ قتيلٍ فى ذلك اليوم وتلك الليلة ، وهى « ليلة الهرير » . و [كان] الأشتر فى ميمنة الناس ، وابن عبّاس فى الميسرة ، وعلىٌّ فى القلب ، والناس يقتتلون .

إذكاء الأشتر لنار القتال

ثم استمرَّ القتالُ من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضُّحى ، والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام : ازحَفُوا قِيدَ رُمْحى هذا . وإذا فعلوا قال : ازحفوا قاب هذا القوس[1] . فإذا فعلوا سألهم مثلَ ذلك حتى مَلَّ أكثر الناس الإقدام[2] . فلما رأى ذلك قال : أُعيذُكم بالله أن ترضَعوا الغَنَم سائرَ اليوم . ثم دعا بفرسه وركز رايته ، وكانت مع حيّان بن هَوذة النَّخعى ، وخرجَ يسيرُ فى الكتائب ويقول : ألا مَن

---

(١) وكذلك فى ح . والقوس يذكر ويؤنث .

(٢) فى الأصل : « حتى بل » ، صوابه من ح.

يَشرِى نفسَه لِلهِ ويقاتل مع الأَشتر حتى يظهر أَو يَلحَقَ بالله[1] » . فلا يزال الرّجلُ من النَّاس يخرج إليه ويقاتل معه .

نصر ، عن عمر بن سعد قال : حدَّثنى أَبو ضِرار . عن عمّار[2] ابن ربيعة قال : مرَّ بى والله الأَشترُ وأَقبلتُ معه حتى رجع إلى المكان الذى كان به ، فقام فى أَصحابه فقال : شُدُّوا ، فِدًى لكم عمِّى وخالى ، شَدَّةً تُرضون بها الله وتُعزُّون بها الدين . فإذا شدَدت فشُدُّوا . قال : ثم نزل وضرب وجْهَ دابّته ثم قال لصاحب رايته : أَقدِم ، فأَقدَمَ بها ثم شدّ على القوم ، وشدَّ معه أَصحابه يضرب أَهلَ الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم . ثم إنهم قاتلُوا عند العسكر قتالاً شديداً فقُتِلَ صاحب رايته . وأَخَذ علىٌّ – لمَّا رأَى الظفر قد جاءَ منْ قِبَله – يمُدُّه بالرجال .

خطبة لعلى

قال : وإن عليًّا قام خطيباً فحمِد الله وأَثنى عليه ثم قال : « أَيها الناس قد بلغ بكم الأَمر وبعدوِّكم ما قد رأَيتم ، ولم يَبْقَ منهم إلا آخر نَفَس ، وإنَّ الأُمورَ إذا أَقبلت اعتُبِرَ آخرها بأَوَّلها ، وقد صبرَ لكم القوم على غير دينٍ حتى بلغْنا منهم ما بلغْنا ، وأَنا غادٍ عليهم بالغَداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ » .

فبلغ ذلك معاويةَ فدعا عمرو بنَ العاص فقال : يا عمرو ، إنما هى اللَّيلة حتى يغدُوَ علىٌّ علينا بالفَيصل[3] فما ترى ؟ قال : إنَّ رجالك لا يقومون لرجاله ، ولستَ مثلَه . هو يقاتلك على أَمرٍ وأَنتَ تقاتله على غيره . أَنتَ تريد البقاءَ وهو يريد الفناءَ . وأَهلُ العراق يخافون منك إنْ ظفرت بهم ، وأَهلُ الشام لا يخافون عليًّا إنْ ظفِرَ بهم . ولكن أَلقِ

(١) فى الأصل : « ويلحق بالله » ، صوابه فى ح .

(٢) فى الأصل : « عمارة » ، وأثبت ما فى ح (١ : ١٨٤) مطابقاً ما سلف فى ص ٤٧٣ .

(٣) ح : « بالفصل » .

إليهم أمراً إن قبِلوه اختَلفُوا ، وإن ردُّوه اختلفوا . ادعُهمْ إلى كتاب الله حَكَماً فيما بينك وبينهم ؛ فإنَّك بالغٌ به حاجتَك فى القوم ؛ فإنى لم أَزل أُؤَخِّرَ هذا الأَمر لوقت حاجتك إليه[1] .

فعرف ذلك معاويةُ فقال : صدقت .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن عُمَير الأَنصارى[2] قال : والله لكأَنى أَسمع عليًّا يومَ الهرير حين سار أَهل الشام . وذلك بعد ما طحنت رحَى مذحجٍ فيما بينَها[3] وبين عكٍّ ولخمٍ وجُذام والأَشعريِّين ، بأَمرٍ عظيمٍ تشيب منه النَّواصى من حين استقلَّت الشمس[4] حتى قام قائم الظهيرة . ثم إن عليًّا قال : حتى متى نخلِّى بين هذين الحيين ؟ قد فنِيَا وأنتم وقوفٌ تنظرون إليهم . أَما تخافون مَقْتَ الله . ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى : « يا الله ، يا رحمن [يارحيم] يا واحد [يا أَحد] ، يا صمد ، يا الله يا إله محمد . اللّهم إليك نُقِلت الأَقدام ، وأَفْضَتْ القلوب ، ورُفِعت الأَيدى ، وامتدَّت الأَعناق ، وشخَصت الأَبصار ، وطُلبت الحوائج . [اللهم] إنا نشكو إليك غيبة نبيِّنا صلى الله عليه ، وكثرةَ عدوِّنا ، وتشتُّتَ أهوائنا . ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾ . سيروا على بركة الله » . ثم نادى : لا إله إلا الله والله أكبر ، كلمة التقوى . ثم قال[5] : لا والله الذى بعث محمداً صلى الله عليه بالحقِّ نبيا . ما سمِعْنا برئيس قومٍ منذُ خلق الله السَّموات والأَرضَ أَصاب بيده فى يومٍ واحدٍ ما أَصاب . إنَّه قتل

دعاء على يوم الهرير

(١) فى الأصل : « لحاجتك إليه » ، وأثبت ما فى ح .
(٢) فى الأصل : « بن نمير » ، تحريف . انظر الإصابة ١٠٣٠ .
(٣) فى الأصل : « بيننا » ، والوجه ما أثبت من ح .
(٤) استقلت الشمس : ارتفعت فى السماء . وفى الأصل : « استقبلت » ، صوابه فى ح .
(٥) القائل هو الراوى ، جابر بن عمير الأنصارى .

فيما ذكر العادّون زيادةً على خمسمائة من أعلام العرب ، يخرج بسيفه منحنياً فيقول : معذرةً إلى الله عزَّ وجل وإليكم من هذا ؛ لقد هممتُ أن أَصقُله[1] ولكنْ حجزنى عنه أنِّى سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول كثيراً : « لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتَى إلا علىّ » . وأنا أُقاتل به دونه . قال : فكنا نأْخذه فنقوِّمه ثمَّ يتناوله من أَيدينا فيتقحَّم به فى عُرض الصفّ ، فلا والله ما ليث بأَشد نكايةً فى عدوِّه منه . رحمة الله عليه رحمة واسعة .

رفع المصاحف على أطراف الرماح

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر[2] قال : سمعت تميم بن حذيم[3] يقول : لما أَصبحنا من ليلة الهرير نظرنا ، فإِذا أَشباه الرايات أمام صفّ أَهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية ، فلما أَسفرنا إذا هى المصاحف قد رُبطتْ على أَطراف الرِّماح ، وهى عِظامُ مصاحِف العسكر ، وقد شدُّوا ثَلاثة أَرماحٍ جميعاً وقد ربطوا عليها مصحفَ المسجد الأَعظم يُمْسِكه عشرةُ رهط . وقال أَبو جعفر وأَبو الطفيل : استقبَلُوا عليًّا بمائة مصحفٍ ، ووضَعوا فى كل مجنِّبةٍ مائتَىْ مُصْحَف[4] ، وكان جميعُها خَمسَمائة مُصحَف . قال أَبو جعفر : ثم قام الطفيل بن أَدهم حِيالَ علىٍّ ، وقام أَبو شُريح الجذامىّ حِيالَ الميمنة ، وقام ورقاءُ بن المعمَّر حيال الميسرة ، ثم نادَوا : يا معشر العرب ، اللهَ اللهَ فى نسائكم وبناتكم ، فمنِ للروم[5] والأَتراك وأَهل فارس غدًا إذا فنيتم . الله اللهَ فى دينكم . هذا كتابُ الله بينَنَا وبينكم . فقال علىٌّ : اللَّهم إِنَّك تعلم أَنَّهم ما الكتابَ

(١) إنما يريد أن يصقله ليزيل ما به من الفقار ، وهى الحفر الصغار . وفى الأصل : « أفلقه » .

(٢) جابر هذا هو جابر بن يزيد الجعفى المترجم فى ص ٢٤٥ .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ .

(٤) المجنبة ، بكسر النون المشددة : ميمنة الجيش وميسرته ، وبفتحها : مقدمة الجيش .

(٥) ح : « من الروم » .

يريدون ، فاحكمْ بيننا وبينهم ، إنَّك أنت الحكَمُ الحقُّ المبين . فاختلف أَصحاب عليٍّ فى الرأى، فَطائفةٌ قالت: القتال ، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحل لنا الحربُ وقد دُعِينا إلى حكم الكتاب . فعند ذلك بطلت الحربُ ووَضَعت أوزارَها . فقال محمد بن على : فعند ذلك حُكِّم الحكمان .

يوم الهرير

قال نصر : وفى حديث عمرو بن شمر بإسناده قال : فلما أن كان اليومُ الأَعظم قال أَصحاب معاوية ، والله ما نحن لنبرحَ اليومَ العَرْصَة حتَّى يفتح الله لنا أو نموت . فبادَرُوا القِتالَ غدوةً فى يومٍ من أَيام الشِّعْرَى طويلٍ شديد الحرّ[1] فترامَوْا حتَّى فنيت النبل ، ثمَّ تطاعنوا حتَّى تقصّفتَ رماحُهم . ثمَّ نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضُهم إلى بعضٍ بالسُّيوف حتى كُسِّرَت جفونُها وقامت الفرسان فى الرُّكُب ، ثمَّ اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد ، فلم يَسمع السامعُ إلا تغمغم القوم وصليل الحديدِ فى الهام ، وتكادُمَ الأَفواه ، وكُسِفَت الشمسُ ، وثار القتام ، وضلَّت الأَلوية والرايات[2] . ومرّت مواقيتُ أربعِ صلوات لم يُسجَدْ لله فيهنّ إلا تكبيرا . ونادت المشيخةُ فى تلك الغَمَرات : يا معشر العرب ، اللهَ اللهَ فى الحُرُمات . من النِّساء والبنات .

قال جابر : فبكى أبو جعفر وهو يحدِّثُنا بهذا الحديث[3] .

قال : وأَقبلَ الأَشتر على فرسٍ كميتٍ محذوف ، قد وضع مِغْفره على قَرَبُوس السَّرج ، وهو يقول : « اصبرُوا يا معشرَ المؤمنين فقد حَمِيَ الوطيس » . ورجَعت الشمسُ من الكُسوف . واشتدَّ القتال ، وأَخذت

---

(١) فى الأصل : « فباكروا القتال غدا يوما من أيام الشعرى طويلا شديد الحر » ، وأثبت ما فى ح .

(٢) فى الأصل : « فى الرايات » ، ووجهه من ح (١ : ١٨٥) .

(٣) فى الأصل : « وهو يحدثنى » ، وأثبت ما فى ح .

السِّباعُ بعضها بعضاً ، فهُمْ كما قال الشاعر[1] :

مضتْ واستأْخَرَ القُرَعَــاءُ عَنْها وخُلِّىَ بينهمْ إلا الــوَرِيعُ[2]

قال : يقولُ واحدٌ [لصاحبه] فى تلك الحال : أَىُّ رجل هذا لو كانت له نيّة . فيقول له صاحبه : وأَىُّ نيّةٍ أعظمُ من هذه ، ثكِلتْكَ أُمُّك وهبلتْكَ . إنَّ رجلا فيما قد تَرَى قد سبَحَ فى الدماء وما أضجرتْه الحربُ ، وقد غلَتْ هامُ الكماة من الحرّ ، وبلغت القلوبُ الحناجر ، وهو كما تراه جَذَعا يقولُ هذه المقالة ! اللهمّ لا تُبْقِنا بعد هذا[3] .

خطبة الأشعث ليلة الهرير

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشَّعبى ، عن صعصعة قال : قام الأَشعثُ بن قيس الكندى ليلةَ الهرير فى أَصحابه من كِندة فقال : « الحمد لله ، أَحمَده وأَستعينه ، وأُومنُ به وأَتوكَّل عليه . وأَستنصِره وأَستغفرُه ، وأَستخيرُه وأَستهديه ، [وأَستشيره وأَستشهد به] ؛ فإنه من يهد الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللْ فلا هادىَ له . وأَشهد أَلاَّ إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، صلى الله عليه » . ثم قال : « قد رأَيتم يا معشر المسلمين ما قد كان فى يومكم

(١) فى الأصل : « فأنتم » ، ووجهه من ح . والشاعر هو عمرو بن معديكرب ، من قصيدة فى خزانة الأدب (٣ : ٤٦٢ – ٤٦٣) والأصمعيات ٤٣ – ٤٥ . وقبل البيت :

وزحف كتيبة دلفت لأخرى كأن زهاءها رأس صليع

(٢) القرعاء : جمع قريع ، وهو المغلوب المهزوم . وفى الأصل وح : « الفرعاء » تحريف . وفى الخزانة والأصمعيات : « الأوغال » جمع وغل ، وهو النذل من الرجال . الوريع ، الكاف ؛ وفى الخزانة : « والوريع » ، بالراء المهملة ، وكذلك الورع بفتحتين ، هو الصغير الضعيف الذى لا غناء عنده » . وفى الأصل وح : « الوزيع » ، ولا وجه له .

(٣) كتب ابن أبى الحديد بعد هذا فى (١ : ١٨٥) : « قلت : لله أم قامت عن الأشتر . لو أن إنساناً يقسم أن الله تعالى ما خلق فى العرب ولا فى العجم أشجع منه إلا أستاذه عليه السلام لما خشيت عليه الإثم . ولله در القائل وقد سئل عن الأشتر : ما أقول فى رجل هزمت حياته أهل الشام ، وهزم موته أهل العراق . وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : كان الأشتر كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله » .

هذا الماضى ، وما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغتُ من السِّنّ ما شاء الله أن أبلغَ فما رأيتُ مثل هذا اليوم قطُّ . ألا فليبلِّغ الشاهدُ الغائب ، أنَّا إنْ نحن تواقفنا غداً إنه لفناءُ العرب وضيعة الحرمات[1]. أما واللهِ مَا أقولُ هذه المقالةَ جزعاً من الحتف ، ولكنِّى رجل مسنٌّ أخاف على [النساء و] الذرارىِّ غداً إذا فنينا . اللهم إنك تعلم أنى قد نظرتُ لقومى ولأهلِ دينى فلم آلُ ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكَّلت وإليه أُنيب ، والرأْى يخطئُ ويصيب ؛ وإذا قضى اللهُ أمراً أمضاه على ما أحبَّ العباد أو كرهوا . أقول قولى هذا وأستغفر الله [العظيم] لى ولكم » .

إشارة معاوية برفع المصاحف

قال صعصعة : فانطلقتْ عيونُ معاويةَ إليه بخطبة الاشعث فقال : أصاب وربِّ الكعبة ، لئن نحن التقينا غداً لتميلَنَّ الروم على ذرارِيِّنا ونسائنا ، ولتميلنَّ[2] أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريِّهم . وإنما يبصر هذا ذَوُو الأَحلام والنُّهى . اربطوا المصاحف على أطراف القنا .

قال صعصعة : فثار[3] أهل الشام فنادَوْا فى سواد الليل : يا أهل العراق ، مَنْ لذراريِّنا إنْ قتلتمونا ومَن لذراريِّكم إن قتلناكم ؟ اللهَ اللهَ فى البقيّة . فأصبح أهلُ الشام وقد رفعوا المصاحفَ على رءُوس الرماح وقلَّدوها الخيل ، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دُعوا إليه ، ورُفِع مصحفُ دمشقَ الأَعظمُ تحمله عشرة رجال على رءُوس الرماح ، ونادوا : يا أهل العِراق ، كتاب الله بيننا وبينكم . وأقبل أبو الأَعور السلمى على بِرذونٍ أبيضَ وقد وضع المصحفَ على رأسه ينادى : يا أهل العراق ، كتابُ الله بينَنا وبينكم .

(١) فى الأصل : « الحرمان » ، صوابه فى ح .
(٢) فى الأصل : « لتمكن » فى هذا الموضع وسابقه ، ووجههما ما أثبت من ح .
(٣) فى الأصل : « فأمر » ، وصوابه فى ح .

كلمة عدى بن حاتم

وأقبل عدىٌّ بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ كان أهلُ الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنّه لم يُصَب عصبةٌ مِنّا إلا وقد أصيب مثلُها منهم ، وكلٌّ مقروحٌ . ولكنّا أمثَلُ بقيةً منهم . وقد جزِع القومُ وليس بعد الجزَع إلا ما تحبّ[1] ؛ فناجزِ القوم . فقام الأشتر النَّخَعى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ معاويةَ لا خَلَف له من رجاله . ولك بحمد الله الخَلف ، ولو كان له مثلُ رجالك لم يكن له مثلُ صبرِك ولا بَصَرك . فاقرع الحديدَ بالحديد ، واستعِنْ بالله الحميد .

القائلون باستمرار القتال

ثم قام عمرو بن الحَمِق فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما أجبناك[2] ولا نصرناك عصبيّةً على الباطل ، ولا أجَبْنا إلا الله عز وجل ؛ ولا طلبنا إلاَّ الحق ، ولو دعانا غيرُك إلى ما دعوتَ إليه لاستشرى فيه اللَّجاج[3] وطالَتْ فيه النجوى ؛ وقد بلغ الحقُّ مقْطَعَه . وليس لنا معكَ رأى .

نصيحة الأشعث بوقف القتال

فقام الأشعثُ بن قيس مغضَباً فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا لك اليوم على ما كُنّا عليه أمسِ ، وليس آخر أمرِنا كأوّله ؛ وما مِنَ القوم أحدٌ أحْنَى على أهل العراق ولا أوْتَرَ لأهل الشام منّى ؛ فأَجِبِ القومَ إلى كتاب الله فإنّكَ أحقُّ به منهم . وقد أحب الناسُ البقاء وكرهُوا القتال .

فقال على عليه السلام : إن هذا أمرٌ يُنظَر فيه .

وذكروا أنَّ أهل الشام جزِعوا فقالوا : يا معاوية ، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه ، فأعِدْها جذعة[4] ؛ فإنّك قد غمرتَ بدعائك القومَ وأطمَعْتَهم فيك .

(١) ح (١ : ١٨٥) : « نحب » بالنون .

(٢) فى الأصل : « ما اخترناك » ، والوجه ما أثبت من ح .

(٣) استشرى : اشتد وقوى . وفى الأصل : « لكان فيه اللجاج » ، وأثبت ما فى ح .

(٤) أى ابدأها مرة أخرى . وفى اللسان : « وإذا طفئت حرب بين قوم فقال بعضهم إن شئتم أعدناها جذعة ، أى أول ما يبتدأ فيها » . ح (١ : ١٨٨) : « فأعدوها خدعة » ، تحريف .

الكلام فى التحكيم

فدعا معاوية عبدَ الله بنَ عمرِو بن العاص ، وأمَرَه أن يكلِّم أهل العراق . فأقبل حتّى إذا كان بين الصفَّين نادى : يا أهلَ العراق ، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص ، إنَّها قد كانت بيننا وبينكم أمورٌ للدِّين والدُّنيا . فإن تكن للدين فقد والله أعْذَرْنا وأعْذَرْتم ، وإن تكنْ للدنيا فقد والله أسْرفْنا وأسرفْتم. وقد دعوناكُم إلى أمرٍ لو دعَوْتُمونا إليه لأجَبْناكم ، فإنْ يجمَعْنا وإيّاكم الرضا فذلك من الله . فاغتنموا هذه الفُرجة لعلَّهُ أن يعيش فيها المحترف[1] ويُنْسَى فيها القتيل . فإنَّ بقاءَ المُهلِك بعد الهالك قليل . فخرج سعيد بن قيس فقال : يا أهل الشام ، إنَّه قد كان بيننا وبينكم أمورٌ حامينا فيها على الدِّين والدُّنيا ، سمَّيتموها غدراً وسَرَفا ، وقد دعوتُمونا اليومَ إلى ماقاتلناكم عليه بالأمس ، ولم يكنْ ليرجع أهلُ العراق إلى عراقهم ، ولا أهلُ الشام إلى شامهم ، بأمرٍ أجملَ من أن يُحكم بما أنزل الله. فالأمر فى أيدينا دُونكم ، وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم .

وقام الناس إلى علىّ فقالوا : أجب القومَ إلى ما دعَوْكَ إليه فإنَّا قد فَنِينا . ونادى إنسانٌ من أهل الشام فى سواد الليل بشعرٍ سمِعَه النَّاسُ ، وهو :

رءوسَ العراق أجيبُوا الدُّعاءَ ... فقد بُلِغتْ غايةُ الشِّدهْ
وقد أودت الحربُ بالعالِمين ... وأهلِ الحفائظ والنَّجدهْ
فلسنا ولستمْ من المشركينَ ... ولا المُجْمِعين على الرِّدَّهْ
ولكنْ أُناسٌ لَقُوا مِثلَهم ... لنا عِدَّةٌ ولهم عِدَّهْ
فقَاتَلَ كلٌّ عَلَى وَجْهِهِ ... يقُحِّمُه الجِدُّ والحِدّهْ
فإنْ تَقبلُوها ففيها البقاءُ ... وأمْنُ الفَريقينِ والبَلدهْ
وإن تَدْفعوها ففيها الفناءُ ... وكلُّ بلاءٍ إلى مُدَّهْ

(١) ح : « المحترق » .

وحتَّى متَى مَخْضُ هــذا السقاء ولا بدّ أن يُخْــرج الزُّبْدَهْ
ثــلاثةُ رهــطٍ هُمُ أَهلُهـــا وإن يَسْكُتُوا تَخْمــد الوَقْدَهْ[1]
سعيدُ بن قيس وكبش العــراق وذاك المســوَّد من كنــدهْ

اختلاف أصحاب على فى استمرار القتال

نصر : هؤلاءِ النَّفَرُ المسمَّون فى الصُّلح . قال : فأَمَّا المسوَّد من كندة وهو الأَشعث ، فإنه لم يرض بالسكوت ، بل كان من أعظم النَّاس قولاً فى إطفاء الحرب والرُّكون إلى الموادعة . وأَمّا كبشُ العراق ، وهو الأَشتر ، فلم يكن يرى إلاَّ الحرب ، ولكنه سكَت على مَضَض . وأَما سعيد بن قيس ، فتارةً هكذا وتارة هكذا .

قال : ذكروا أَن الناس ماجُوا وقالوا : أَكلتْنا الحرب وقُتلت الرجال. وقال قوم : نقاتل القومَ على ما قاتلناهم عليه أَمْسِ . ولم يقل هذا إلاَّ قليلٌ من الناس . ثم رجَعوا عن قولهم مع الجماعة ، وثارت الجماعة بالموادعة .

خطبة لعلى

فقام علىٌّ أمير المؤمنين فقال : « إنَّه لم يزل أمرى معكم على ما أُحبُّ إلى أن أَخذَتْ منكم الحرب ، وقد والله أَخذَتْ منكم وتَرَكَتْ ، وأَخذَتْ من عدوِّكم فلم تترك ، وإنَّها فيهم أَنْكَى وأَنْهَكُ . أَلاَ إنِّى كنتُ أمسِ أَميرَ المؤمنين فأَصبحتُ اليوم مأْموراً ، وكنتُ ناهياً فأَصبحت منهيًّا . وقد أَحببتم البقاءَ ، وليس لى أن أَحملَكم على ما تكرهون » .

ثم قعد ، ثم تكلم رؤساءُ القبائل؛ فأَمّا من ربيعة وهى الجبهة العظمى فقام كُردوس بن هانئ البكرىّ فقال : أَيُّها الناس ، إنا والله ما تولَّينا معاويةَ منذ تبرَّأْنا منه ، ولا تبرَّأْنا من علىٍّ منذُ تولَّيناه . وإنَّ قَتْلانا لَشُهداءُ ، وإنَّ أَحياءَنا لأَبرار ، وإنَّ عليًّا لعَلَى بيِّنة من ربه ، ما أَحدث إلا الإنصاف ، وكلُّ محقٍّ مُنْصِف؛ فمن سلَّم له نجا ، ومَنْ خالَفَه هلك.

(١) فى الأصل : « فحمد » .

كلام رؤساء القبائل

ثمّ قام شقيق بن ثور البكريّ فقال : أَيُّها الناس ، إنَّا دَعونا أَهلَ الشَّام إلى كتاب الله فردُّوه علينا فقاتَلْناهم عليه ، وإنَّهم دعَوْنا إلى كتاب الله فإن رددْناهُ عليهم حلّ لهم منَّا ما حلّ لنا منهم . ولسنا نخافُ أَنْ يَحيف الله علينا ولا رسولُه . وإنَّ عليًّا ليس بالراجع الناكص ، ولا الشاكِّ الواقف ، وهو اليومَ على ماكان عليه أَمسِ . وقد أَكلَتْنا هذه الحربُ . ولا نرى البقاءَ إلاَّ فى الموادَعة .

ثم قام حريث بن جابر البكريّ فقال : أَيُّها الناس ، إن عليًّا لو كان خَلْفاً من هذا الأَمر لكان المفْزَع إليه ، فكيف وهو قائدُه وسائقُه . وإنَّه والله ما قَبِل من القوم اليوم إلاَّ ما دعاهُم إليه أَمسِ ، ولو ردَّه عليهم كنتم له أَعْنَتَ . ولا يُلحد فى هذا الأَمر إلاَّ راجعٌ على عقبيه أو مستدرَجٌ بغرور . فما بيننا وبين من طَغَى علينا إلاَّ السَّيفُ .

كلام خالد بن المعمر والحضين الربعى

ثم قام خالد بن المعمَّر فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنَّا والله ما اخترنا هذا المقامَ أَن يكون أَحدٌ هو أَولى به مِنَّا ، غير أَنَّا جعلناهُ ذُخْراً ، وقلنا : أَحبُّ الأُمور إلينا ما كُفِينا مُؤْنته[1] . فأَمَّا إذْ سُبِقنا فى المُقام فإنَّا لا نرى البقاءَ إلاَّ فيما دعاك إليه القوم ، إن رأَيت ذلك ؛ فإنْ لم تره فرأْيُك أَفضل .

ثم إنَّ الحُضين الرَّبَعى ، وهو أَصغر القومِ سِنًّا قام فقال : أَيُّها الناس ، إنما بُنِى هذا الدِّين على التسليم ، فلا تُوفِّروه بالقياس ولا تهدموه بالشفقة ؛ فإنَّا والله لولا أَنَّا لا نقبل إلا ما نعرف لأَصبح الحقُّ فى أَيدينا قليلا ، ولو تركْنَا ما نهوى لكان الباطلُ فى أَيدينا كثيراً ، وإنّ

(١) المؤنة ، بالضم وسكون الهمزة : لغة فى المؤونة ، بفتح الميم وضم الهمزة . واستشهد صاحب المصباح لها بقوله : * أمير نا مؤنته خفيفه *

لنا داعياً قد حمِدنا وِردَه وصَدرَه ، وهو المصدَّق على ما قال ، المأمونُ على ما فعل . فإنْ قال لا قلنا لا ، وإن قال نعم قُلْنَا نعم .

معاوية ومصقلة

فبلغ ذلك معاويةَ فبعث إلى مَصقلةَ بن هبيرة فقال : يا مَصقلة ، ما لقيتُ من أحد ما لقيتُ من ربيعة . قال : ما هم منكَ بأَبعَدَ من غيرهم ، وأنا باعثٌ إليهم فيما صنعوا . فبعث مصقلةُ إلى الربعيِّين فقال :

لن يُهلكَ القومَ أن تُبدَى نصيحتُهم ... إلاَّ شقيقٌ أخو ذُهــل وكُردوسُ
وابنُ المعمَّـــر لا تنفكُّ خطبتهُ ... فيها البيان وأمْرُ القَــوْم ملبوسُ
أمَّا حـــريث فانَّ اللهَ ضَـــلَّلهُ ... إذْ قام معترضاً ، والمرءُ كُرْدوسُ
طاطَا حضينٌ هنا فى فتنة جمحت ... إن ابن وعْلةَ فيها ، كان ، محسوسُ
مَنُّوا علينـــا ومَنَّـــاهم وقال لهم ... قولاً يَهيج له البُزْلُ القَنَاعيسُ
كلُّ القبائلِ قـــد أدّى نصيحتَهُ ... إلاَّ ربيعةَ ، زعم القوم محبوسُ

شعر النجاشى

وقال النجاشيّ :

إنَّ الأراقم لا يَغشــاهمُ بُــوسُ ... ما دافع اللهُ عَن حَوْباء كُرْدوسِ (١)
نمَتْهُ من تَغلِبَ الغَلْبَا فوارسُهـــا ... تلكَ الرُّءُوسُ وأبناءُ المرائيسِ (٢)
ما بالُ كلِّ أميرٍ يُستَرابُ به ... دينٌ صحيح ورأىٌ غير ملبوسِ
وَالَى عَليًّـــا بغـــدرٍ بذَّ منه إذا ... ما صَرَّح الغَدرُ عن رَدِّ الضَّغابيسِ
نِعمَ النَّصيرُ لأهل الحقِّ ، قد علمتْ ... عُلْيَا معدٍّ ، على أنصار إبليسِ

---

(١) الأراقم ، هم جشم ومالك وعمرو وثعلبة والحت ومعاوية ، بنو بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط . والحوباء : النفس . وفى الأصل : « من حوباء » .

(٢) الغلباء لقب لتغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار . انظر القاموس (غلب) والمعارف ٤١ — ٤٢ . وفى الأصل : « العليا » . والمرائيس : جمع مرآس ، وهو المتقدم السابق .

قُلْ لِلّذين ترقَّـوا فى تعنُّتِـه إنَّ البِكارةَ ليست كالقناعيسِ (١)
لن تُدرِكُوا الدَّهرَ كُردوساً وأُسرتَه أَبناءَ ثعلبة الحادِى وذُو العيسِ (٢)

شعر خالد بن المعمر

وقال فيما قال خالد بن المعمَّر :

وفَتْ لِعلِىّ من ربيعـةَ عُصبةٌ بصُمِّ العَوالى والصَّفيحِ المذكَّرِ
شقيقٌ وكُردوسُ ابنُ سيِّد تَغْلبٍ وقـد قام فيهـا خالد بن المعمَّرِ
وقارَعَ بالشُّورى حُريثُ بنُ جابرٍ وفاز بها لولا حُضَين بن منذرِ (٣)
لأَنَّ حُضَينا قام فينـا بخُطبـةٍ من الحقِّ فيها مِيتة المتجبِّرِ (٤)
أُمرنا بمُرِّ الحقِّ حَتَّى كأَنَّنـا خَشاشٌ تَفَادى من قَطامٍ بقَرقَرِ (٥)
وكان أَبوهُ خيرَ بكرِ بن وائـلٍ إذا خِيف مِن يومٍ أَغرَّ مشهَّـرِ
نمـاه إلى عُلْيَا عُـكابةَ عُصبةٌ وآبٍ أَبِىٌّ للدنيَّـة أَزهرُ (٦)

شعر الصلتان

وقال الصَّلَتان :

شقيقُ بن ثَوْرٍ قام فينا بخطبةٍ يحدِّثُها الرُّكبانُ أَهـلَ المشـاعرِ
بمـا لم يَقِفْ فينا خطيبٌ بمثلها جَزَى الله خيراً مِنْ خَطيبٍ وناصِرِ
وقد قام فينا خالدُ بن معمَّـرٍ وكُردوسٌ الحامى ذِمارَ العَشـائِرِ
بمثلِ الذى جاءَا به حَذْوَ نَعْـلِه وقد بيَّن الشُّورى حريثُ بنُ جابرِ

---

(١) البكارة بالكسر : جمع البكر ، بالفتح ، وهو الفتى من الإبل . والقناعيس : جمع قنعاس ، وهو الجمل الضخم العظيم .
(٢) هم بنو ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم . انظر ما سبق فى التنبيه الأول من الصفحة السابقة . وفى الأصل : « بنى ثعلبة »، ولا يستقيم به الشعر .
(٣) سبقت ترجمة حضين فى ص ٢٨٧ . وفى الأصل : « حصين »، تحريف .
(٤) فى الأصل : «حصينا »، صوابه بالضاد المعجمة . وفى الأصل أيضاً : « منية المتجبر » .
(٥) فى الأصل : « حتى كأنها » . والخشاش : ضعاف الطير . والقطام كالقطامى : الصقر . والقرقر : الأرض المطمئنة اللينة .
(٦) فى هذا البيت إقواء .

فلا يُبْعِدَنْكَ الدَّهرُ ماهبَّت الصَّبا ولا زِلتَ مَسقيًا بأَسحَمَ ماطـر
ولا زِلتَ تُدعَى فى ربيعـة أَوّلاً بِإسمِكَ فى أُخرى اللّيالى الغَوابرِ (١)

وقال حُريث بن جابر :

أَتَى نبـأٌ من الأَنباءِ يَنْمِى وقـد يُشْفَى من الخبرِ الخبيرُ

قال : فلمّا ظهر قولُ حُضَينٍ رمته بكرُ بن وائل بالعداوة ، ثم إنَّ عليًّا أَصلح بينهم .

كلام رفاعة بن شداد

وقال رفاعة بن شدّاد البَجَلىّ : « أَيُّها الناس ، إنَّه لا يفوتنا شئٌ من حقِّنا ، وقد دَعَونا فى آخر أمرنا إلى ما دَعَوناهم إليه فى أَوّله . وقد قَبِلُوه من حيث لا يعقلون . فإن يتمَّ الأَمرُ على ما نريدُ فبعدَ بلاءٍ وقتْل ، وإلاَّ أَثَرْناها جَذَعة ، وقد رجع إليه جدُّنا » .

وقال فى ذلك :

تَطاوَلَ ليلى للهمـوم الحواضرِ وقَتْلَى أُصيبتْ من رُءُوس المَعاشرِ
بصِفِّينَ أَمسَتْ والحوادثُ جَمَّةٌ يُهيل عليها التُّربَ ذَيلُ الأَعاصِرِ
فإنَّهمُ فى مُلتقَى الخيلِ بُكْرَةً وقَدجَالت الأَبطال دُونَ المسَاعرِ (٢)
فإنْ يكُ أَهلُ الشّامِ نَالوا سَرَاتنا فقد نِيلَ منهم مثلُ جَزْرَةِ جازرِ
وقام سِجال الدَّمعِ مِنَّا ومنهم يبكِّين قَتْلَى غيرَ ذاتِ مَقَابرِ
فلن يَسْتَقيلَ القومُ ما كان بيننا وبينهمُ، أُخْرَى اللّيالى الغَوَابرِ (٣)

---

(١) الغوابر : الباقيات . والغابر من الأضداد ، يقال للماضى وللباقى .

(٢) دونهم: أىقريباً منهم . والمساعر جمع مسعر ، بكسر الميم ، يقال رجل مسعر : حرب إذا كان يؤرثها، أى تحمى به . وفى الأصل: « المشاعر »، تحريف . والمقطوعة لم ترد فى مظنها من ح .

(٣) أخرى الليالى : آخرها . وفى الأصل: « إحدى »، تحريف ، ونحوه قول الشنفرى:

هنا لك لا أرجو حياة تسرنى سجيس الليالى مبسلا بالجرائر

وسجيس الليالى : آخرها ؛ أى أبدا .

وماذا علينـــا أن تريح نفوسَنا إلى سِنَةٍ من بَيْضِنا والمَغَافِرِ[1]
ومِنْ نَصْبِنَا وسْطَ العَجاجِ جِباهَنا لوَقْع السُّيوفِ المرهَفَــاتِ البواتِرِ
وطعنٍ إذا نادَى المنادِى أن اركَبوا صُدورَ المَذَاكِى بالرِّماحِ الشَّواجِرِ
أثَرْنَا التى كانَتْ بصِفِّينَ بُكرةً ولم نَكُ فى تسعيرهـــا بعَــوَاثِرِ
فإنْ حكَمَا بالحقِّ كانت ســلامةٌ ورأىٌ وقانا منه من شؤم ثائِرِ[2]

خطبة على فى التحكيم

وفى حديث عمر بن سعد قال: لما رفع أهلُ الشَّام المصاحفَ على الرِّماح يَدعُون إلى حكم القرآن قال على عليه السلام: «عبادَ الله، إنى أحقُّ مَن أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبى مُعَيط، وحبيب بن مَسْلَمة، وابنَ أبى سَرحٍ، ليسوا بأصحاب دينٍ ولا قرآن، إنِّى أعرَفُ بهم منكم، صحبتُهم أطفالا وصحبتهم رجالاً فكانوا شرَّ أطفالٍ وشرَّ رجال[3]. إنَّها كلمةُ حقٍّ يراد بها باطل. إنَّهم واللهِ ما رفَعوها أنَّهم يعرفونها ويعملونَ بها[4]. ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة[5]. أعِيرُونى سواعدَكم وجماجِمَكم ساعةً واحدةً، فقد بلغ الحقُّ مَقطعَه، ولم يبقَ إلا أن يُقطع دابرُ الذين ظَلَموا».

فجاءه زهاءُ عشرين ألفاً مقنَّعين فى الحديد شاكِى السِّلاح، سيوفُهم على عواتقهم، وقد اسودَّت جِباهُهم من السُّجود، يتقدَّمهم مِسعَر بن فَدَكىّ، وزيد بن حصين، وعصابةٌ من القراء الذين صاروا خوارج من بعدُ، فنادَوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علىُّ، أجب القومَ إلى كتاب الله إذْ دُعيتَ إليه، وإلا قتلناك كما قتَلْنا ابنَ عفان، فوالله لنفعلنَّها إنْ لم

(١) فى الأصل: «من بيننا».
(٢) الثائر: الذى يطلب الثأر. فى الأصل: «فى شؤم».
(٣) ح (١: ١٨٦): «صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر رجال». وما أثبت من الأصل يوافق ما فى الطبرى (٦: ٢٧).
(٤) فى الأصل: «ولا يعلمون بها». وتصح هذه القراءة على الاستئناف. وأثبت ما فى ح.
(٥) فى الأصل: «وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة»، وأثبت ما فى ح.

تُجِبْهم . فقال لهم : ويحكم ، أنا أوّل مَن دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه ، وليس يحلُّ لى ولا يسعنى فى دينى أن أُدعَى إلى كتاب الله فلا أقْبَلَهُ ، إنى إنما أقاتُلهم ليَدِينُوا بحكم القرآن فإنَّهم قد عَصَوُا الله فيما أمَرَهم ، ونقضوا عهدَه ، ونَبذوا كتابه ، ولكنِّى قد أعلمتكم أنَّهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا العملَ بالقرآن يُريدون . قالوا : فابعثْ إلى الأَشتر ليأْتِيَك . وقد كان الأَشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخلَه .

حكاية مصعب لما كان من أمر رفع المصاحف

نصر : فحدثنى فضيل بن خَدِيج ، عن رجلٍ من النَّخَع قال : رأيت إبراهيمَ بنَ الأَشتر دخل على مصعب بن الزبير فسأَله عن الحال كيف كانت[1] . فقال : كنت عند علىٍّ حين بعث إلى الأَشتر أن يأْتيه ، وقد [كان الأَشتر] أشرف على معسكر معاوية ليدخله ، فأَرسل [إليه] علىٌّ يزيدَ بن هانئ : أن ائتِنى . فأَتاه فبلَّغه فقال الأَشتر : ائته فقل له : ليس هذه بالساعة [التى] ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن مَوْقفى . إنى قد رجوتُ الله أن يفتح لى فلا تُعْجِلنى. فرجعَ يزيد بن هانئ إلى علىٍّ فأَخبره ، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرَّهَج وعلَت الأَصوات مِن قِبَل الأَشتر ، وظهرت دلائلُ الفتح والنَّصر لأَهل العراق ، ودلائلُ الخِذلان والإدبار على أهل الشام ، فقال له القوم : والله ما نراك إلا أمرتَه بقتال القوم . قال : أرأيتمونى ساررتُ رسولى [إليه] ؟ أليس إنما كلَّمته على رءُوسكم علانيةً وأنتم تسمعون . قالوا : فابعث إليه فليأْتك ، وإلا فوالله اعتزلْناك . قال : ويحك يا يزيد ، قل له أقبِلْ إلىّ ؛ فإنَّ الفتنة قد وقعَتْ . فأَتاه فأَخبره فقال له الأَشتر : أَلِرفعِ هذه المصاحف[2] ؟ قال : نعم . قال : أما والله لقد ظننتُ أنَّها حين

(١) السائل ، هو مصعب بن الزبير . وفى ح : « قال : سألت مصعب بن إبراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت » ، تحريف .

(٢) ح : « أبرفع هذه المصاحف » . وما فى الأصل يوافق الطبرى (٦ : ٢٧) .

رُفعت ستُوقِع اختلافاً وفرقة ، إنها من مشورة ابن النابغة ـ يعنى عمرو ابن العاص ـ قال : ثمَّ قال ليزيد : [ويحك] ألا ترى إلى ما يلقَوْن ، ألا ترى إلى الذى يَصنعُ الله لنا ، أيتبغى أن ندعَ هذا وننصرفَ عنه؟! فقال له يزيد : أتحبُّ أنك ظفرت هاهنا وأنَّ أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يُفرَج عنه ويُسلَم إلى عدوِّه ؟ ! قال : سبحان الله ، [لا] والله ما أُحبُّ ذلك . قال : فإنَّهم قالوا : لترسلنَّ إلى الأشتر فليَأْتينَّك أو لنقتلنَّك [بأسيافنا] كما قتلنا عثمان ، أو لنُسْلمنَّك إلى عدوِّك . قال : فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح فقال : يا أهل الذُّلّ والوهْن ، أحين عَلَوتم القومَ فظنُّوا أنكم لهم قاهرون ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟ ! وقد والله تركوا ما أَمر الله به فيها وسنَّةَ من أُنْزِلت عليه ؛ فلا تجيبوهم . أَمهلونى فُوَاقا[1] ، فإنى قد أحسستُ بالفتح . قالوا : لا . قال : فأَمهلونى عدوةَ الفَرس[2] ، فإنى قد طمعت فى النَّصْر . قالوا : إذنْ ندخلَ معك فى خطيئتك . قال : فحدِّثونى عنكم ـ وقد قُتل أماثِلُكم وبقى أراذلكم ـ متى كنتم محقِّين ، أحِينَ كنتم تقتلون أهل الشام[3] ، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون أم [أنتم] الآن [فى إمساككم عن القتال] محقُّون ؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم ، فى النار . قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله . إنا لسنا نُطيعك فاجتنِبْنَا . قال : خُدعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السُّود ، كنَّا نظنُّ أنَّ صلاتكم زَهادةٌ فى الدنيا وشوقٌ إلى لقاء الله، فلا أرى فِراركم إلا إلى الدُّنيا من الموت . ألَا فقُبْحاً يا أشباه النِّيبِ

(١) الفواق ، بالضم وبالفتح : ما بين الحلبتين . يقال : أنظرنى فواق ناقة .
(٢) فى الأصل : « عدو الفرس » ، وأثبت ما فى ح .
(٣) فى الأصل : « حيث كنتم » ، صوابه فى ح (١ : ١٨٦) .

الجَلاَّلة ، ما أنتم برائين بعدها عِزًّا أبدا ، فابعَدُوا كما بعِدَ القومُ العالمون . فسبّوه وسبَّهم ، وضربوا بسياطهم وجه دابّته ، وضرب بسوطه وجوه دوابِّهم ، فصاح بهم علىٌّ فكفُّوا . وقال الأَشتر : يا أمير المؤمنين ، احمل الصفَّ على الصفّ يُصْرَع القوم . فتصايَحوا[1] : إنَّ عليًّا أَمير المؤمنين قد قَبِل الحكومة ورَضِىَ بحكم القرآن ولم يسَعْه إلا ذلك . قال الأَشتر : إن كان أمير المؤمنين قد قَبِل ورضى بحُكْم القرآن ، فقد رضِيتُ بما رَضِىَ أمير المؤمنين . فأَقبل الناس يقولون : قد رضِىَ أَميرُ المؤمنين ، قد قَبِل أمير المؤمنين . وهو ساكتٌ لا يبضُّ بكلمة[2] ، مطرقٌ إلى الأَرض .

شعر أبى محمد الأسيدى فى صفين

وقال أبو محمد نافع بن الأَسود التميمى[3] :

أَلا أَبْلِغــا عنِّى عليًّــا تحيــةً ... فقد قَبِل الصَّماء لمّــا استقَلَّتِ
بَنَى قُبَّة الإسلام بعــد انهدامها ... وقامت عليه قَصْرَةً فاستقرَّت[4]
كأَنَّ نبيًّا جــاءنَا حِين هَدْمِهــا ... بما سنَّ فيها بعد ما قد أُبِرَّتِ[5]

قال : ولما صدر علىٌّ من صفين أنشأ يقول :

وكم قد تركنا فى دمشقَ وأَرضِها ... منَ أشمَطَ مَوتورٍ وشمطاء ثاكلِ
وعــانيةٍ صَــادَ الرِّماحُ حايلَها ... فأَضحت تُعَدُّ اليومَ إحدى الأَراملِ

(١) بدلها فى الأصل : « فقالوا له » وأثبت ما فى ح (١ : ١٨٧) .

(٢) لا يبض بكلمة ، أى ما يتكلم . وفى حديث طهفة : « ما تبض ببلال » ، أى ما يقطر منها لبن . وفى الأصل : « لا يفيض » ، صوابه فى ح .

(٣) هو أبو محمد نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك التميمى ، ثم الأسيدى بتشديد الياء ، من بنى أسيد بن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : شاعر مخضرم يكنى أبا محمد . وقال الدارقطنى فى المؤتلف : أبو محمد نافع بن الأسود شهد فتوح العراق . انظر الإصابة ٨٨٤٩ . وفى الأصل : « أبو مجيد » ، تحريف .

(٤) قصرة ، أى دون الناس . وفى اللسان : « أبلغ هذا الكلام بنى فلان قصرة ومقصورة أى دون الناس » .

(٥) أبرت : غلبت . والمقطوعة لم ترد فى ح .

تبكّى على بعلٍ لها راحَ غــادياً   فليس إلى يوم الحساب بقافلِ[1]
وإنا أُناسٌ ما تصيب رماحُنــا   إذا ما طَعَنَّا القومَ غيرَ المَقَاتِلِ

رسالة معاوية إلى على

قال : وقال الناس : قد قبِلْنا أن نجعل القرآنَ بيننا وبينهم حَكَماً . وبعث معاويةُ أبا الأعور السُّلَمىَّ على بِرذونٍ أبيض ، فسار بين الصّفّين صفٍّ أهل العراق وصفٍّ أهل الشام ، والمصحفُ على رأسه وهو يقول : كتابُ الله بيننا وبينكم . فأَرسل معاويةُ إلى علىٍّ : « إنَّ الأَمرَ قد طال بيننا وبينك ، وكلُّ واحدٍ مِنَّا يرى أنَّه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يُعطِىَ واحدٌ منا الطَّاعةَ للآخر ، وقد قُتل فيما بيننا بشرٌ كثير ، وأنَا أتخوَّف أن يكون ما بقى أشدَّ مما مضَى ، وإنَّا [سوف] نُسْأَلُ عن ذلك الموطن ، ولا يحاسَب به غيرى وغيرُك ، فهل لك فى أمرٍ لنا ولك فيه حياةٌ وعُذر وبراءة ، وصلاحٌ للأُمّة ، وحقْنٌ للدماء ، وأُلفةٌ للدِّين ، وذَهاب للضّغائن والفتن : أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضِيّان ، أحدهما من أصحابى والآخر من أصحابك ، فيحكمان بما فى كتاب الله بيننا ؛ فإنَّه خير لى ولك ، وأقطعُ لهذه الفِتن . فاتَّق الله فيما دُعيت له ، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله . والسلام » .

جواب على لرسالة معاوية

فكتب إليه على بن أبى طالب : « من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويةَ بن أبى سفيان . أمّا بعد فإن أفضلَ ما شغل به المرءُ نفسَه اتِّباعُ ما يحسُن به فعلُهُ ، ويُستوجَب فضلُه ، ويَسلمُ من عيبه . وإنَّ البغىَ والزُّور يُزْرِيان بالمرءِ فى دينه ودنياه ، ويُبديان من خَلَله عند من يُغْنيه ما استرعاه الله ما لا يُغْنى عنه تدبيرُه . فاحذر الدُّنيا فإنَّه لا فرَحَ فى شىءٍ وصَلْتَ إليه منها . ولقد علمتَ أنَّك غيرُ مدركٍ ما قُضِى فواتُه .

---

(١) قافل : راجع ؛ قفل يقفل قفولا . وفى الأصل : « بنافل » ، والوجه ما أثبت .

وقد رام قومٌ أمراً بغير الحقِّ فتأوَّلوا على الله تعالى[1] . فأكذَبَهم ومتّعهم قليلا ثم اضطَرَّهم إلى عذاب غليظ . فاحذر يوماً يغتبط فيه من أَحْمَدَ عاقبةَ عملِه ، ويندم فيه من أَمكَنَ الشيطانَ من قيادِهِ ولم يحادَّهُ . فغرّته الدنيا واطمأَنَّ إليها . ثم إنَّك قد دعوتَنى إلى حُكم القرآن ، ولقد علمتُ أنك لستَ من أهل القرآن ، ولستَ حكمَه تريد . والله المستعان. وقد أجبنا القرآنَ إلى حكمه ، ولسنا إيّاك أجبنا . ومن لم يرضَ بحكْمِ القرآن فقد ضل ضلالاً بعيدا » .

آخر الجزء . يتلوه فى الذى يتلوه قصة الحكمين . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله والطاهرين . والسلام .

وجدت فى الجزءِ الثانى عشر[2] من أجزاءِ عبد الوهاب بخطِّه : « سمع علَى الشيخ أَبى الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى الأَجلُّ السيِّد الإمام قاضى القضاة أَبو الحسن على بن محمد الدّامَغانىّ وابناه القاضيان: أَبو عبد الله محمد وأَبو الحُسين أَحمد، وأَبو عبد الله محمد ابن القاضى أَبى الفتح بن البيضاوى ، والشريف أَبو الفضل محمد ابن على بن أَبى يعلى الحسينى ، وأَبو منصور محمد بن محمد بن قرمى ، بقراءَة عبد الوهاب بن المبارك بن أَحمد بن الحسن الأَنماطى . فى شعبان سنة أَربع وتسعين وأَربعمائة » .

---

(١) ح (١ : ١٨٨) : « وتأولوه على الله عز وجل » .
(٢) فى الأصل : « الثامن » ، وصوابه ما أثبت .

الجزء الثامن

من كتاب صفين
لنصر بن مزاحم

رواية أبى محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز .

رواية أبى الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة بن الوليد .

رواية أبى الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن محمد بن ثابت الصيرفى .

رواية أبى يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى .

رواية أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى .

رواية الشيخ الحافظ أبى البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى .

سماع مظفر بن على بن محمد بن زيد بن ثابت المعروف بابن المنجم — غفر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الثقة شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطى قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى بقراءتى عليه ، قال أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر الحريرى : قال أبو الحسن محمد بن ثابت بن عبد الله بن [محمد[1]] بن ثابت الصيرفى : قال أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عقبة : قال أبو محمد سليمان بن الربيع بن هشام النهدى الخزاز : قال أبو الفضل نصر بن مزاحم :

قصة الحكمين

نصر، عن عمر بن سعد ، عن رجل ، عن شقيق بن سلمة قال : جاءت عصابةٌ من القراءِ قد سلُّوا سيوفهم واضِعِيها على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ، ما تنتظر بهؤلاء القوم أن نمشىَ إليهم بسيوفنا حتَّى يحكم الله بيننا وبينهم بالحق . فقال لهم علىّ : قد جعلنا حُكْمَ القرآن بينَنَا وبينهم ، ولا يحلُّ قتالهم حتَّى ننظرَ بم يحكمُ القرآن .

قال : وكتب معاوية إلى على : « أما بعدُ ، عافانا الله وإياك ، فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا وأُلفةُ بينِنا ، وقد فعلتُ وأنا أعرفُ حقِّى ، ولكن اشتريت بالعفو صلاحَ الأُمّة ، ولا أُكثِرُ فرحاً بشىء

(١) ساقطة من الأصل .

جاءَ ولا ذهب[1] ، وإنَّما أدخلنى فى هذه الأَمر القيامُ بالحقّ فيما بين الباغى والمبغىِّ عليه ، والأَمرُ بالمعروف والنَّهىُ عن المنكر . فدعوتُ إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك؛ فإنَّه لا يجمعنا وإيّاك إلاَّ هو ، نُحْيِى ما أحيا القرآن ، ونُميت ما أَماتَ القرآن . والسلام » .

كتاب على إلى عمرو

وكتب على إلى عمرو بن العاص [يعظه ويرشده] : « أما بعد فإنَّ الدُّنيا مَشْغَلَةٌ عن غيرها ، ولم يُصِب صاحبُها منها شيئاً إلا فتحَتْ له حرصاً يزيده فيها رغبة ، ولن يستغنى صاحبُها بما نَالَ عمّا لم يبلغه ، ومِن وراء ذلك فراقُ ما جمع . والسَّعيد من وُعِظ بغيره . فلا تُحبِط أَبا عبدالله أَجْرَك ، ولا تجارِ معاويةَ فى باطله» .

تراسل على وعمرو بن العاص

فأَجابه عمرو بن العاص :«أَمَّا بعدفإنَّ ما فيه صلاحُنا وأُلفَتُنا الإنابةُ إلى الحق ، وقد جعلنا القرآنَ حكَماً بيننا فأَجبْنا إليه. وصَبر الرَّجلُ منَّا نفسَه على ما حكم عليه القرآن ، وعذَره النَّاسُ بعد المحاجزة . [والسلام] » .

فكتب إليه علىٌّ : « أما بعد فإن الذى أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمُنْقلِبٌ عنك ، ومفارقٌ لك . فلا تطمئنَّ إلى الدُّنيا فإنها غرّارة . ولو اعتبرتَ بما مضى لحفِظْتَ ما بقِى ، وانتفَعْتَ بما وُعِظت به . والسلام » .

فأَجابه عمرو: «أَما بعد فقد أَنصفَ مَن جَعلَ القرآنَ إماماً ودعا الناسَ إلى أَحكامه. فاصبِرْ أَبا حسن ، وأَنا غير مُنيلك[2] إلا ما أَنالك القرآن » .

وجاءَ الأَشعث بن قيس إلى علىٍّ فقال: [يا أَمير المؤمنين] ، ما أَرى الناسَ إلا وقد رضُوا وسرَّهم أَن يُجيبوا القومَ إلى ما دعَوهم إليه من حُكْمِ

(١) كذا ورد فى الأصل وح على الاكتفاء ، أى ولا بشىء ذهب .
(٢) ح (١ : ١٨٩) : « فإنا غير منيليك » .

القرآن ، فإن شئتَ أتيتُ معاويةَ فسألتُه ما يريد ، ونظرتُ ما الذى يَسأل . قال : آئته إنْ شئت . فأتاه فسأله فقال : يا معاوية ، لأىِّ شىء رفعتم هذه المصاحفَ ؟ قال : لنرجعَ نحنُ وأنتمْ إلى ما أمر الله به فى كتابه[1] . فابعثوا منكم رجُلاً ترضَوْن به ، ونبعثُ منا رجلاً ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعْدُوانِه ، ثم نتَّبع ما اتَّفقا عليه . فقال الأشعث : هذا هو الحقُّ . فانصرفَ إلى علىٍّ فأخبره بالذى قال .

رضا قراء الشام والعراق بحكم القرآن

وقال الناس : قد رضينا وقبِلْنا . فبعث علىٌّ قرَّاءً من أهل العراق ، وبعث معاويةُ قُرّاءً من أهل الشام ، فاجتمعوا بين الصَّفَّين ومعهم المصحف ، فنظروا فيه وتدارسوه ، وأجمعوا على أن يُحيُوا ما أحيا القرآن ، وأن يُميتوا ما أمات القرآن . ثم رجع كلٌّ فريق إلى أصحابه ، وقال الناس : قد رضينا بحُكْم القرآن . فقال أهل الشام : فإنا قد رضينا واخترنا عمرَو بن العاص . وقال الأشعث والقُرّاءُ الذين صاروا خوارجَ فيما بعد : فإنا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعرى . فقال لهم علىّ : إنى لا أرضى بأبى موسى ، ولا أرى أن أُوَلِّيَه . فقال الأشعث ، وزيد بن حُصين[2] ، ومِسعر بن فدكىّ ، فى عصابةٍ من القراء : إنَّا لا نرضى إلاَّ به ، فإنه قد حذَّرنا ما وقعنا فيه . قال علىّ : فإنه ليس لى برضاً ، وقد فارقَنى وخَذَّل الناسَ عنِّى[3] ثم هربَ ، حتى أمَّنته بعد أشهر . ولكن هذا ابنُ عباسٍ أُوَلِّيه ذلك . قالوا : والله ما نبالى ، أكنتَ أنت أو ابن عباس ، ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواءٌ ، وليس إلى واحدٍ منكما بأدنى من الآخر . قال على : فإنى أجعل الأشتر .

قال نصر : قال عمرو : فحدثنى أبو جناب قال : قال الأشعث :

(١) ح : « به فيها ».
(٢) هو زيد بن حصين الطائى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ٢٨٨٧ . وقد سبقت خطبة له فى ص٩٩ ، وانظر أيضاً ص ١٠٠ . وفى الأصل : « يزيد بن حصن » ، والصواب ما أثبت من ح .
(٣) التخذيل : حمل الرجل على خذلان صاحبه ، وتثبيطه عن نصرته .

وهل سعَّر الأَرضَ علينا غيرُ الأَشتر ، وهل نحنُ إلا فى حكم الأَشتر . قال له علىّ : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضُنا بعضاً بالسُّيوف حتى يكونَ ما أردتَ وما أراد .

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : لمّا أراد النَّاسُ عليًّا على أن يضَعَ حَكَمين قال لهم علىّ : إنَّ معاوية لم يكنْ ليضَعَ لهذا الأَمر أحداً هو أَوثَقُ برأيه ونظره مِن عمرو بن العاص، وإنَّه لا يصلُح للقرشىِّ إلاَّ مثلُه ، فعليكم بعبد الله بن عبّاس فارمُوه به ؛ فإنَّ عمْراً لا يعقِد عُقدةً إلا حلَّها عبد الله ، ولا يحُلُّ عقدةً إلا عقَدها ، ولا يُبرم أمراً إلا نقضه ، ولا ينقُض أمراً إلاَّ أبرمَه . فقال الأَشعث : لا والله لا يحكم فيها مُضَريَّان حتَّى تقوم السَّاعة ، ولكن اجعلْهُ رجلاً من أهل اليمن إذْ جَعَلوا رجلاً من مضر . فقال علىٌّ : إنِّى أخاف أن يُخدَعَ يَمَنِيُّكم ؛ فإن عمراً ليس من الله فى شىءٍ إذا كان له فى أمرٍ هوًى[1] . فقال الأَشعثُ : والله لأَن يحكمُا ببعض ما نكره، وأحدهما من أهل اليمن ، أحبُّ إلينا من أن يكون [بعض] ما نحبُّ فى حكمهما وهما مضريّان . وذكر الشعبى مثلَ ذلك .

وفى حديث عمر قال : قال علىّ : قد أبيتُم إلاَّ أبا موسى ؟ قالوا : نعم . قال : فاصنعوا ما أردتم . فبعثوا إلى أبى موسى وقد اعتزل بأرضٍ من أرض الشَّام يقال لها « عُرْض[2] » ، واعتزل القتال ، فأتاه مولًى له فقال : إنَّ الناس قد اصطلحوا . قال : الحمد لله ربِّ العالمين . قال : وقد جعلوك حَكَماً . قال : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . فجاءَ أبو موسى حتَّى دخل عسكر علىّ ، وجاءَ الأَشتر حتَّى أتى عليًّا فقال له : يا أمير المؤمنين أَلزِزْنى بعمرو بن العاص[3] ، فوالله الذى لا إله غيره لئن ملأْتُ

(١) فى الأصل : « حتى إذا كان له فى أمر هواه » ، صوابه فى ح .

(٢) عرض ، بضم أوله وسكون ثانيه : بلد بين تدمر والرصافة الشامية . (٣) ألزه به : ألزمه إياه .

عينى منه لأقتلنّه . قال : وجاء الأحنف بن قيس التميمى فقال : ياأمير المؤمنين ، إنَّك قد رُمِيتَ بحجَر الأَرض[1] ومَنْ حارَبَ اللهَ ورسولَه أَنْفَ الإسلام[2] ، وإنِّى قد عجَمْتُ هذا الرَّجل — يعنى أبا موسى — وحلبت أشطُره ، فوجدته كليل الشَّفرة ، قريبَ القعر . وإنه لا يصلح لهؤلاءِ القوم إلا رجلٌ يدنُو منهم حتَّى يكونَ فى أَكُفِّهم ، ويتباعدُ منهم حتَّى يكون بمنزلة النَّجم منهم ، فإنْ تجعلْنى حكَماً فاجْعلنِى . وإن أَبيتَ أن تجعلَنى حكَماً فاجعلنِى ثانيا أَو ثالثاً[3] ، فإنَّه لا يعقد عقدةً إلا حللتُها ، ولن يحلَّ عُقدةً إلا عقدتُها وعقدتُ لك أُخرى أَشدَّ منها . فعرض ذلك على الناس فأَبوه وقالوا : لا يكون إلاَّ أَبا موسى .

نصر : وفى حديث عمر قال : قام الأَحنف بن قيس إلى علىٍّ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنِّى خَيَّرتُك يومَ الجمل أَنْ آتِيَك فيمن أطاعَنى وأَكفَّ عنك بنى سعد ، فقلتَ : كفَّ قومك فكَفَى بكفِّك نصيرا[4] ، فأَقمتُ بأَمرك . وإن عبد الله بن قيس[5] رجلٌ قد حلبت أَشطُرَه فوجدتُه قريبَ القعر كليلَ المُدية ، وهو رجل يمانٍ وقومه مع معاوية . وقد رُمِيتَ بحجر الأَرْض وبمن حاربَ اللهَ ورسولَه ، وإنَّ صاحب القوم من ينأَى حتى يكون مع النجم ، ويدنو حتى يكونَ فى أَكفِّهم . فابعثْنى وواللهِ لا يحلُّ عقدةً إلا عقدتُ لك أَشدَّ منها . فإن قلتَ : إنى لستُ من أصحاب

---

(١) فى اللسان : « يقال رمى فلان بحجر الأرض ، إذا رمى بداهية من الرجال ». وروى صاحب اللسان حديث الأحنف فى (٣ : ٢٣٧) .

(٢) أى فى أول الإسلام .

(٣) فى الأصل : « فإن شئت أن تجعلنى ثانياً أو ثالثاً » ، وصوابه وتكملته من الطبرى .

(٤) فى الأصل : « نصراً » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) عبد الله بن قيس ، هو أبو موسى الأشعرى . توفى سنة ٤٢ أو ٤٣ وهو ابن نيف وستين سنة .

رسول الله صلى الله عليه ، فابعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه ، غير عبد الله بن قيس[1] ، وابعثْنى معه . فقال علىٌّ : إنَّ القومَ أتَونى بعبد الله بن قيس مُبرنَساً ، فقالوا[2] : ابعث هذا ، فقد رضِينا به ، والله بالغُ أمرِه .

وذكروا أنَّ ابن الكوَّاء قام إلى علىٍّ فقال : هذا عبد الله بن قيس وافدُ أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه ، وصاحبُ مقاسِم أبى بكر[3] وعامل عمر ، وقد [رضى به القوم . و] عرضْنا على القوم عبد الله ابن عباس فزعموا أنه قريبُ القرابةِ منك ، ظَنُونٌ فى أمرك[4] .

فبلغ ذلك أهلَ الشام فبعث أيمن بن خُرَيم الأسدىّ ، وهو معتزلٌ لمعاوية ، هذه الأبياتَ ، وكان هواه أن يكون هذا الأمرُ لأهل العراق فقال :

لو كان للقوم رأىٌ يُعْصَمُونَ به ... من الضَّلَالِ رَمَوْكم بابن عبّاسِ[5]
لله درُّ أبيـــه أيُّمَـــا رجـــلٍ ... ما مثلُهُ لفِصال الخَطْبِ فى الناسِ
لكن رمَوكُمْ بشيخٍ من ذَوِى يمنٍ ... لم يَدْرِ ما ضربُ أخماسٍ لأسداس
إنْ يخلُ عمرٌو به يقْذِفْهُ فى لُجَجٍ ... يَهْوِى به النَّجْمُ تَيْساً بينَ أتْيَاس
أبلغ لَدَيكَ عَلِيًّا غير عاتِبِه[6] ... قول امرئٍ لا يرى بالحقِّ مِنْ بَاسِ
ما الأشعرىُّ بمأمونٍ ، أبا حسنٍ ، ... فاعلمْ هُدِيتَ وليس العَجْزُ كالرَّاسِ
فاصدِمْ بصاحِبك الأدنى زعيمَهمُ ... إنَّ ابنَ عمِّك عبَّاسٍ هو الآسى

(١) « غير عبد الله بن قيس » ليست فى ح .
(٢) فى الأصل : « فقال » ، صوابه فى ح .
(٣) صاحب المقاسم : الذى يتولى أمر قسمة المغانم ونحوها .
(٤) الظنون كالظنين : المتهم .
(٥) فى الأصل : « يعظمون به * بعد الخطار » ، صوابه فى ح .
(٦) فى الأصل : « غير عائبه » ، وأثبت ما فى ح (١ : ١٩٠) .

قال : فلما بلغ النّاسَ قولُ أيمَنَ طارت أهواءُ قومٍ من أولياء علىٍّ عليه السلام وشيعته[1] إلى عبد الله بن عباس ، وأَبت القُرّاءُ إلاَّ أبا موسى .

وفى حديث عمر بن سعد قال : قال بسر بن أرطاة : لقد رضىَ معاويةُ بهذه المدّة ، ولئن أطاعنى لينقصنَّ هذه المدّة .

شعر لأيمن بن خريم

قال أيمن بن خريم بن فاتك ، وكان قد اعتزل عليًّا ومعاوية ثم قارب أهل الشام ولم يبسطْ يداً :

أما والذى أرسى ثَبِيراً مكانه ... وأنزَلَ ذا الفرقانَ فى ليلة القَدْرِ
لئن عَطَفَتْ خيلُ العِرَاقِ عليكُم ... وللهِ لا للنّــاس عاقبةُ الأَمْرِ
تَقَحَّمَها قُدْما عــدىُّ بنُ حاتمٍ ... والأشترُ يَهدِى الخيلَ فى وَضَحِ الفَجْرِ
وطاعَنَكُمْ فيها شُرَيْحُ بنُ هــانئٍ ... وزَحرُ بنُ قيسٍ بالمثقفــةِ السُّمْرِ
وشمَّر فيها الأَشعثُ اليــومَ ذَيلَهُ ... تُشَبِّهُه[2] بالحارثِ بن أَبى شَمْرِ
لَتَعْرِفُــهُ يابُسْرُ يومــاً عَصَبْصَباً ... يحرِّمُ أَطْهَارَ النِّساءِ من الذُّعْرِ[3]
يُشيبُ وَليدَ الحىِّ قبلَ مَشيبِــهِ ... وفى بعض ما أَعطَوْكَ راغِيَةُ البَكْرِ[4]
وعهدُك يابُسْرُ بنُ أَرطاةَ والقَنَا ... رِوَاءٌ منَ أهلِ الشام أَظماؤها تجرى
وعمرو بن سفيــان على شر آلةٍ ... بمعتَرَكٍ حــامٍ أَحَرَّ من الجمرِ[5]

أثر شعر أيمن

قال : فلما سمع القومُ الذين كرهوا المدّة قول أَيمن بن خُرَيم كفُّوا عن الحرب . وكان أَيمنُ رجلاً عابداً مجتهداً ، قد كان معاوية جعل له فلسطين علىْ أن يتابعه ويشايعه على قتال علىّ[6] ، فبعث إليه أيمن :

(١) بدلها فى الأصل : « طارت أهوائهم » ، وما هنا من ح .
(٢) فى الأصل : « يشبهه » والمقطوعة لم ترد فى ح .
(٣) انظر ص ٤٦ س٢ .
(٤) انظر ص ٤٥ السطر الأخير .
(٥) الآلة : الحالة . قال : * قد أركب الآلة بعد الآله *
(٦) فى الأصل : « على أن يبايعه على قتل على » ، وأثبت ما فى ح .

قصيدة أيمن إلى معاوية

ولستُ مقاتلاً رجُلاً يصلِّى ... على سلطانِ آخَرَ من قريشِ
له سلطانُهُ وعَلَىَّ إثمى ... معاذَ اللهِ من سفَه وطَيْش
أأقتلُ مسلماً فى غيرِ جُرْمٍ ... فليس بنافِعِى ما عِشْتُ عَيشِى

كتاب بسر إلى أهل الشام

قال : وبعث [بسر[1]] إلى أهل الشام : « أما والله إنَّ من رأيى إنْ دفعتم هذه الموادعَة أنْ أَلْحَقَ بأهل العراق فأكون يداً من أيديها عليكم وما كففتُ عن الجمعين إلاَّ طلباً للسَّلامة » . قال معاوية : يابُسْرُ ، أتُريد أن تمنَّ علينا بخَيْر ؟ ! قال : فرضِىَ أهلُ الشام ببعث الحكَمين ، فلمّا رضِىَ أهلُ الشَّام بعمرو بن العاص، ورضىَ أهلُ العِراق بأبى موسَى ، أخذُوا فى كتاب الموادَعَة ، ورضُوا بالحُكْمِ حكمِ القرآن .

وثيقة التحكيم

نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن زيد بن حسن قال عمرو : قال جابر : سمعت زيد بن حسن ــ وذكر كتاب الحكمين فزاد فيه شيئاً على ما ذكره محمد بن على الشعبىّ ، فى كثرة الشهود وفى زيادةٍ فى الحروف ونقصانٍ ، أملاها علىٌّ من كتابٍ عندَه فقال ــ : هذا ما تقاضى عليه علىُّ بن أبى طالب ومعاويةُ بن أبى سفيانَ وشيعتُهما فيما تراضَيَا به من الْحُكْم بكتاب الله وسنة نبيِّه صلى الله عليه ، قضيّةُ علىٍّ على أهل العراق ومَن كان من شيعته مِن شاهدٍ أو غائب ، [وقضيّة معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته مِن شاهد أو غائب] . إنَّا رضينا أن نَنزل عند حُكم القرآن فيما حكم ، وأن نَقِف عند أمره فيما أمَرَ ، وإنّه لا يجمعُ بيننا إلا ذلك . وإنا جعَلْنا كتاب الله فيما بيننا حَكَماً فيما اختلفْنا فيه من فاتحته إلى خاتمته ، نُحيِى ما أحيا ونميت ما أمات[2] . على ذلك تقاضَيَا ، وبه تراضَيا . وإنَّ عليًّا وشيعتَه رضُوا

(١) تكلمة يقتضيها السياق .

(٢) ح (١ : ١٩١) : « نحيى ما أحيا القرآن و نميت ما أماته » .

أَن يَبعثُوا عبد الله بنَ قيسٍ[1] ناظِراً ومحاكماً ، ورضى معاويةُ وشيعته أَن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً ومحاكما . على أَنهما[2] أَخذُوا عليهما عهدَ الله وميثاقَه ، وأَعظَمَ ما أَخَذَ اللهُ على أَحدٍ مِن خلقه ، لَيَتَّخذانِّ الكتابَ إماماً فيما بُعِثا له ، لا يَعدُوَانه إلى غيره فى الحُكْم بما وجداه فيه مسطوراً . ومالم يجداهُ مسمًّى فى الكتاب ردَّاه إلى سُنَّة رسول الله صلى الله عليه الجامعة ، لا يتعمّدان لهما خلافاً ، ولا يتَّبعان فى ذلك لهما هوًى ولا يدخُلان فى شُبْهة . وأَخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىٍّ ومعاويةَ عهدَ اللهِ وميثاقَه بالرِّضا بما حَكَما به من كتاب الله وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله ، وليس لهما أَن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره ، وأَنَّهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأَموالهما وأَهلهما مالم يعدُوَا الحقَّ ، رضِىَ بذلك راضٍ أَو أَنكرَهُ مُنْكِر ، وأَنَّ الأُمةَ أَنصارٌ لهما على ما قَضَيا به من العَدل. فإنْ تُوُفِّىَ أَحدُ الحكَمينِ قبل انقضاء الحكومة فأَميرُ شيعته وأَصحابُه يختارون مكانَه رجلاً ، لا يأْلون عن أَهل المَعْدَلةِ والإقساط ، على ما كان عليه صاحبُه من العهد والميثاق ، والحكم بكتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وآله . وله مثلُ شرطِ صاحبه . وإن ماتَ أَحد الأَميرين قبل القضاء فلِشيعته أَن يولُّوا مكانَه رجُلاً يرضَون عدْلَه . وقد وقعت القضيّةُ ومعها الأَمنُ والتفاوضُ ، ووضْعُ السِّلاح ، والسَّلامُ والموادَعة . وعلى الحكَمَينِ عهدُ الله وميثاقُه أَلاَّ يأْلُوَا اجتهاداً ، ولايتعمّدا جَوْراً ، ولا يَدخُلا فى شُبْهة ، ولا يَعْدُوَا حكمَ الكتابِ وسنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وآله . فإنْ يفعلا برئتِ الأُمّة (سقط من كتاب ابن عقبة) من حكمهما ، ولا عهدَ لهما ولا ذِمّة . وقد وجبَتِ القضيّةُ على ما قد سُمِّى فى هذا الكتاب من مواقع الشُّروط على الأَميرين والحكَمين والفريقين

(١) عبد الله بن قيس ، هو أبو موسى الأشعرى .

(٢) فى الأصل : « أنهم » ، وأثبت ما فى ح .

والله أقربُ شهيداً ، وأدنى حفيظاً . والناسُ آمِنُون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انقضاء مدّة الأَجل ، والسِّلاحُ موضوع ، والسُّبُل مخلاَّة ، والغائب والشاهدُ من الفريقين سواءٌ فى الأَمْن . وللحكمين أن يَنزِلا منزلاً عَدْلاً بينَ أهل العراق وأهل الشام ،ولا يحضرهما فيه إلا من أحبّا ، عن مَلَإٍ منهما وتَرَاضٍ . وإنّ المسلمين قد أَجّلُوا القاضيين إلى انسلاخِ رمضان ، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وُجّها له عجّلاها ، وإن أرادا تأْخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فإنّ ذلك إليهما . فإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنَّة نبيه صلى الله عليه وآله إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الأَوّلِ فى الحرب . ولا شرط بينَ واحدٍ من الفريقين . وعلى الأُمّة عهدُ الله وميثاقُه على التمام ، والوفاء بما فى هذا الكتاب . وهم يدٌ عَلى من أراد فيه إلحاداً وظلماً ، أو حاوَلَ له نَقْضاً . وشهد بما فى الكتاب من أصحاب علىٍّ[1] عبدُ الله بن عباس ، والأَشعث ابن قيس ، والأَشتر مالك بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، والحُصين والطفيل ابنا الحارث بن المطَّلب ، وأبو أُسَيْد مالك بن ربيعة الأَنصارىّ[2] ، وخبّاب بن الأَرتّ، وسهل بن حُنيف ، وأبو اليَسَر بن عمرو الأَنصارى[3] ، ورِفاعة بن رافع بن مالك الأَنصارى ، وعوف

---

(١) ح (١ : ١٩٢) : « وشهد فيه من أصحاب على عشرة ، ومن أصحاب معاوية عشرة » . وقد فصل الطبرى فى (٦ : ١٣٠) فذكر هؤلاء العشرة وهؤلاء العشرة . لكن ما فى الأصل هنا يربى على هذا العدد كثيراً .

(٢) هو أبو أسيد ، بهيئة التصغير ، مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الساعدى . وكان معه راية بنى ساعدة يوم الفتح ، اختلف فى وفاته ما بين سنة ثلاثين إلى ثمانين . انظر الإصابة ٧٦٢٢ . وفى الأصل : « ربيعة بن مالك » ، تحريف .

(٣) هو أبو اليسر ، بفتحتين ، الأنصارى ، واسمه كعب بن عمرو بن عباد . شهد بدراً والمشاهد ، وهو الذى أسر العباس . ومات بالمدينة سنة خمس وخمسين . الإصابة (٧ : ٢١٨) . وفى الأصل : « أبو اليسير » ، تحريف .

ابن الحارث بن المطَّلب القرشيّ ، وبُرَيدة الأسلميّ[1] ، وعُقبة بن عامر الجُهنَيّ ، ورافع بن خَدِيجٍ الأنصارى ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعيُّ ، والحسن والحسين ابنا على ، وعبد الله بن جعفر الهاشميّ ، والنُّعمان ابن عَجْلان الأنصارى ، وحُجْر بن عدىّ الكِندىّ ، وورقاءُ بن مالك ابن كعب الهمدانىّ ، وربيعة بن شُرَحْبِيل ، وأبو صفرة بن يزيد ، والحارث بن مالك الهَمْدانى ، وحُجْر بن يزيد ، وعُقبة بن حُجَيَّة ، (إلى هنا السقط) . ومن أصحاب معاوية : حبيب بن مسلمة الفِهْرىّ ، وأبو الأعور بن سفيان السُّلَمى[2] ، وبُسر بن أرطاة القرشيّ ، ومعاوية بن خَديجٍ الكندى ، والمخارق بن الحارث الحميرىْ ، ورَعْبَل بن عمرو السكسكيّ ، وعبد الرحمن بن خالد المخزومىّ ، وحمزة بن مالك الهمدانىّ وسبيع بن يزيد الهمدانىّ ، ويزيد بن الحرّ الثَّقفى، ومسروق بن حرملة العكِّىّ[3] ، ونُمير بن يزيد الحميرىّ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلقمة بن يزيد الكلبى ، وخالد بن المعرِّض السَّكسَكيِّ ، وعلقمة ابن يزيد الجَرْمىّ ، وعبد الله بن عامر القرشى ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عُقْبة القرشىّ ، وعتبة بن أبى سفيان ، ومحمد بن أبى سفيان ، ومحمد بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن عمر الجذامىّ ، وعمّار بن الأحوص الكلبىّ ، ومَسعدة بن عمرو التُّجِيبىّ ، والحارث بن زياد القينىّ ، وعاصم بن المنتشر الجذامىّ ، وعبد الرحمن بن ذى الكلاع الحميرىّ ، والقباح ابن جلهمة الحميرىّ[4] ، وثمامة بن حوشب ، وعلقمة بن حكيم ، وحمزة

(١) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمى ، ينتمى إلى أسلم بن أفصى . مات سنة ثلاث وستين . الإصابة ٦٢٩ . وفى الأصل : « السلمى » ، تحريف .

(٢) هو أبو الأعور عمرو بن سفيان بن عبد شمس ، وهو ممن قدم مصر مع مروان سنة خمس وستين . انظر الإصابة ٥٨٤٦ .

(٣) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٧٩٣٨ ، ولم يعرف اسم والده .

(٤) لم أعثر له على ترجمة ، والمعروف فى أعلامهم مما يقاربه « القباع » .

ابن مالك . وإنَّ بيننا على ما فى هذه الصحيفة عهدَ الله وميثاقه . وكتب عُمرُ يوم الأَربعاء لثلاثَ عشرة ليلةً بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

الخلاف عند كتابة الوثيقة

قال نصر : وفى كتاب عمر بن سعد : « هذا ما تقاضى عليه علىٌّ أمير المؤمنين » . فقال معاوية : بئس الرجل أنا إنْ أقررتُ أنَّه أمير المؤمنين ثم قاتلتُه . وقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، إنما هو أميركم ؛ وأمّا أميرنا فلا . فلمَّا أُعِيد إليه الكتاب أمر بمحوه ، فقال الأَحنف : لا تمحُ اسم إمرة المؤمنين عنك ؛ فإنى أتخوَّف إن محوتَها ألَّا ترجع إليك أبداً ، لا تمحُها وإن قَتَل الناسُ بعضهم بعضاً . فأَبَى مَلِيًّا من النَّهار أن يمحُوَها ، ثمَّ إنَّ الأَشعثَ بنَ قيسٍ جَاءَ فقال : امحُ هذا الاسم . فقال علىٌّ : لا إله إلا الله والله أكبر ، سنَّة بسنَّة ، أمَا واللهِ لَعَلَى يدِى دارَ هذا يومَ الحديبية ، حين كتبتُ الكتابَ عن رسول الله صلى الله عليه : « هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسُهيل بن عمرو » ، فقال سهيل : لا أجيبك إلى كتابٍ تسمَّى [فيه] رسول الله صلى الله عليه ، ولو أعلم أنك رسولُ الله لم أُقاتلْك ، إنى إذاً ظلمتك إنْ منعتُكَ أنْ تطوفَ ببيت الله وأنت رسولُ الله ، ولكن اكتب : « محمد بن عبد الله » أُجبْك . فقال محمد صلى الله عليه : « يا علىُّ إنى لرسول الله ، وإنى لمحمد بن عبد الله ، ولن يمحوَ عنى الرسالة كتابى إليهم : من محمد بن عبد الله ، فاكتب : محمد بن عبد الله » . فراجعنى المشركون فى هذا(١) إلى مدّة . فاليوم أكتُبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله صلى الله عليه إلى آبائهم سُنَّة ومثلاً . فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ، ومثل هذا شبّهتَنا بالكُفّار ونحن مؤمنون ؟ فقال له علىٌّ : يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للكافرين وليًّا وللمسلمين عدوًّا ، وهل تشبه إلا أمّك التى وَضَعَت بِكَ(٢) . فقام عمرو فقال : والله لا يجمع

(١) فى الأصل : « فى عهد » . (٢) هذه العبارة بعينها فى الطبرى (٦ : ٢٩) .

بيني وبينك مجلسٌ أبداً بعد هذا اليوم . فقال عليٌّ : والله إنى لأرجُو أن يُظهر الله عليكَ وعلى أصحابِكَ. قال : وجاءت عصابةٌ قد وضعوا سيوفَهم على عواتقهم فقالوا : يا أمير المؤمنين مُرْنا بما شئت . فقال لهم ابن حُنيف: أيها النَّاس ، اتَّهِمُوا رأيَكم ؛ فوالله لقد كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا. وذلك فى الصُّلح الذى صالح عليه النبى صلى الله عليه .

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن بُريدة الأسلمى [1] — يعنى ابن سفيان — عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن علقمة بن قيس النخعى قال : لما كتب علىٌّ الصُّلحَ يوم صالح معاوية فدعا الأشتر ليكتب ، قال قائل : أكتُبُ بينك وبين معاوية . فقال [2] : إنى والله لأَنَا كتبتُ الكتابَ بيدى يومَ الحديبية ، وكتبتُ : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سُهيل : لا أرضى ، اكتُبْ « باسمك اللهم » . فكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهيلَ بنَ عمرو » ، فقال : لو شهدتُ أنَّكَ رسول الله لم أُقاتِلْك . قال عَلِىٌّ : فغضبتُ فقلت : بلى والله إنَّه لرسول الله وإنْ رغِمَ أَنفُك . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اكتبْ ما يأْمُرك ، إنَّ لك مِثلَها ، ستُعطيها وأنت مضطَهَد » .

نصر ، عن عمر بن سعد قال : حدثنى أبو إسحاقَ الشيبانىّ قال : قرأْت كتاب الصلح عند سعيد بن أبى بردة ، فى صحيفةٍ صفراء عليها خاتَمان ، خاتَمٌ من أسفلها وخاتَمٌ من أعلاها . فى خاتم على : « محمد رسولُ الله » وفى خاتم معاوية : « محمد رسول الله » . فقيل لعلىٍّ حين أراد أن يكتب الكتابَ بينه وبين معاوية وأهل الشام : أتقرُّ أنهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال علىّ : ما أُقِرُّ لمعاويةَ ولا لأصحابه أنَّهم مؤمنون ولا مسلمون ، ولكن يكتبُ معاويةُ ما شاء ، ويقرُّ بما شاء لنفسه وأصحابه ،

(١) هذا غير بريدة الأسلمى ، المترجم فى ص ٥٠٧ . وقد ترجم لبريدة بن سفيان فى تهذيب التهذيب . (٢) أى على عليه السلام .

ويسمّى نفسَه وأصحابه ما شاء . فكتبوا : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه عليٌّ بن أبي طالب ومعاويةُ بن أبي سفيان . قاضى عليٌّ بن أبي طالبٍ على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاويةُ بن أبي سفيان على أهل الشّام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين : إنّا ننزل عند حُكْم الله وكتابه ، وألاّ يجمعَ بيننا إلاّ إيّاه ، وأنَّ كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته إلى خاتمته : نُحيِى ما أحيا القرآن ، ونُميت ما أمات القرآن . فما وجد الحكمانِ فى كتاب الله بيننا وبينكم فإنّهما يَتْبعانه ، وما لم يجداه فى كتاب الله أخذَا بالسنّة العادلة ، الجامعة غير المفرِّقة ، والحكمان عبد الله ابن قيس وعمرو بن العاص . وأخذْنا عليهما عهدَ الله وميثاقَه ليقضيا بما وجدَا فى كتاب الله ، فإن لم يجدا فى كتاب الله فالسنة الجامعة غير المفرِّقة . وأخذ الحكمان من عليٍّ ومعاوية ومن الجُندَين — مما هما عليه من أمر الناس بما يرضيان به من العَهْد والميثاق والثِّقة من الناس — أنّهما آمنان على أموالهما وأهليهما . والأُمّة لهما أنصارٌ على الذى يقضيان به عليهما[1] . وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيها عهد الله أنّا على ما فى هذه الصحيفة ؛ ولنقومنَّ عليه ، وإنّا عليه لأنصار . وإنّها قد وجبت القضيَّة بين المؤمنين بالأَمن والاستقامة ووضع السلاح ، أينما ساروا ، على أنفسهم وأموالهم وأهليهم وأرضيهم ، وشاهدهم وغائبهم . وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه ليحكمان بين الأُمّة بالحق ، ولا يُردَّانها فى فرقةٍ ولا بحربٍ حتى يقضيا . وأجَلُ القضية إلى شهر رمضان ، فإن أحبَّا أن يعجِّلا عجَّلا . وإن توفِّى واحدٌ من الحكمين فإنَّ أميرَ شيعته يختار مكانَه رجلاً لا يألو عن المعْدَلَة والقسط ،

صورة أخرى من وثيقة التحكيم

---

(١) فى الأصل : « علبه » .

وإنَّ ميعادَ قضائهما الذى يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل الشَّام وأهل الكوفة ، فإن رضيا مكاناً غيرَه فحيثُ رضِيا ، لا يحضرهما فيه إلاَّ من أرادا . وأن يأخذ الحكمان مَنْ شاءا من الشُّهود ثم يكتبوا شهادتَهم على ما فى الصحيفة . ونحن بَرَاءٌ من حُكْمٍ بغير ما أنزل الله . اللَّهمَّ إنَّا نستعينُك على من تَرَك ما فى هذه الصحيفة ، وأرادَ فيها إلحاداً وظلماً .

وشهد على ما فى الصحيفة عبد الله بن عباس ، والأشعث بن قيس ، وسعيد بن قيس ، وورقاءُ بن سمىٍّ[1] ، وعبد الله بن الطُّفَيل ، وحُجْر ابن يزيد ، وعبد الله بن جمل ، وعُقبة بن جارية ، ويزيد بن حُجيَّة ، وأبو الأعور السُّلمى ، وحبيب بن مسلمة ، والمُخارِق بن الحارث ، وزِمْل بن عمرو[2] ، وحمزة بن مالك ، وعبد الرحمن بن خالد ، وسُبَيع بن يزيد[3] وعلقمة بن مرثد ، وعتبة بن أبى سفيان ، ويزيد ابن الحرِّ . وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاثَ عشرةَ بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين.

واتَّعد الحكمانِ أَذْرُحَ[4] ، وأن يجىءَ علىٌّ بأربعمائةٍ من أصحابه ، ويجىءَ معاويةُ بأربعمائة من أصحابه ، فيشهدون الحكومة .

موقف الأشتر والأشعث من الصحيفة

نصر ، عن عمر بن سعد ، قال أبو جَنَاب[5] ، عن عُمارة بن ربيعة الجرمى قال : لما كُتِبت الصَّحيفة دُعِىَ لها الأشترُ فقال : لا صحِبَتْنى يمينى ولا نَفَعتْنى بعدَها الشِّمال إنْ كُتب لى فى هذه الصحيفة اسمٌ على صُلحٍ ولا مَوادَعة . أَوَ لستُ على بيِّنةٍ من ربِّى ، ويقين من ضَلالة

(١) الطبرى (٦ : ٣٠) : « ووفاء بن سمى » .

(٢) زمل ، بالكسر ، بن عمرو بن عنز العذرى ، عقد له النبى صلى الله عليه لواء ، وشهد بهذا اللواء صفين مع معاوية ، وقتل بمرج راهط مع مروان سنة أربع وستين . انظر الإصابة ٢٨١٠ . وفى الأصل : « زامل » ، تحريف ، صوابه فى الإصابة والطبرى .

(٣) فى الأصل : « سمع بن زيد » ، وأثبت ما فى الطبرى (٦ : ٣٠) .

(٤) أذرح ، بضم الراء : بلد فى أطراف الشام مجاور لأرض الحجاز .

(٥) هو أبو جناب الكلبى ، كما فى الطبرى (٦ : ٣٠). وفى الأصل « أبو خباب » .

عدوِّى ؟ ! أوَ لستم قد رأيتم الظَّفرَ إن لم تجمعوا على الخَوَر ؟ ! فقال له رجلٌ من الناس : إنَّكَ واللهِ ما رأيتَ ظفَراً ولا خَوَراً ، هلمَّ فأشهِدْ على نَفْسك ، وأقْرِرْ بما كُتِب فى هذه الصحيفة ؛ فإنّه لا رغبة بلك عن الناس . قال : بلَى والله ، إن بى لرغبةً عنك فى الدُّنيا للدُّنيا وفى الآخرة للآخرة . ولقد سفك اللهُ بسيفى هذا دماءَ رجالٍ ما أنتَ بخيرٍ منهم عندى ولا أحرَمَ دما . فقال عمّار بن ربيعة : فنظرتُ إلى ذلك الرَّجُل وكأنَّما قُصِع على أنفه الحُمَم[1] ، وهو الأشعث بن قيس . ثم قال : ولكن قد رضيت بما صنع علىٌّ أمير المؤمنين ، ودخلتُ فيما دخل فيه ، وخرجتُ مما خرج منه ؛ فإنّه لا يدخل إلاّ فى هُدًى وصواب .

الخلاف فى التحكيم

نصر ، عن عمر ، عن أبى جناب ، عن إسماعيل بن سُمَيع[2] ، عن شقيق بن سلمة[3] وغيره ، أن الأشعث خرج فى الناس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويعرِضه عليهم ويمرُّ به على صفوف أهل الشام وراياتهم ، فرضُوا بذلك ، ثم مرَّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم يعرِضه عليهم حتّى مرَّ برايات عَنَزة – وكان مع علىٍّ من عَنَزَة بصِفِّين أربعةُ آلاف مجفَّف[4] – فلما مرَّ بهم الأشعثُ فقرأه عليهم قال فَتَيانِ منهم : لا حُكْم إلا لِلهِ . ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما [فقاتلا] حتى قُتِلا على باب رواق معاوية ، وهما أوّل من حكَّم[5] واسماهما : معدان وجَعْد ، أخوان . ثم مرَّ بها على مراد فقال صالح بن شقيق ، وكان من رؤسائهم :

---

(١) القصع : الضرب والدلك . والحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق من النار ، واحدته حممة . وفى ح (١ : ١٩٢) : « الحميم » . وما أثبت من الأصل يطابق ما فى الطبرى .

(٢) ح : « شفيع » .

(٣) ح : « سفيان بن سلمة » .

(٤) المجفف : لابس التجفاف ، وأصله ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراحة .

(٥) فى اللسان : « والخوارج يسمون المحكمة ، لإنكارهم أمر الحكمين وقولهم لا حكم إلا لله » .

ما لِعلِيٍّ فى الدِّماءِ قــد حَــكَمْ   لو قاتلَ الأحزابَ يوماً ما ظَلَمْ

لا حُكْمَ إلا لِلّهِ ولو كره المشركون . ثم مرَّ على رايات بنى راسبٍ فقرأها عليهم فقالوا : لا حُكْمَ إلا لله ، لا نرضى ولا نحكِّم الرِّجالَ فى دين الله . ثم مرَّ على رايات بنى تميم[1] فقرأها عليهم فقال رجلٌ منهم : لا حكم إلا لله،يقضى بالحقِّ وهو خير الفاصلين . فقال رجلٌ منهم لآخر : أمَّا هــذا فقد طَعَن طعنةً نافــذة . وخرج عروة بن أُدَيَّة أخو مِرداس ابن أُدَيَّة التميمى فقال : أتحكِّمُون الرِّجال فى أمر الله ، لا حكم إلاَّ لِلّهِ فأين قَتْلانا يا أشعث . ثم شدَّ بسيفه ليضربَ به الأشعثَ ، فأخطأه وضرب به عَجُزَ دابّته ضربةً خفيفة ، فاندفعت به الدابَّة وصاح به الناسُ أن أمسِكْ يدَك . فكفَّ ورجع الأشعثُ إلى قومه ، فأتاه ناسٌ كثير من أهل اليمن ، فمشى إليه الأحنف بن قيس ، ومعقل بن قيس ، ومِسعَر بن فدَكىّ ، ورجالٌ من بنى تميم ، فتنصَّلوا إليه واعتذروا ، فقبل منهم الأشعثُ فتركهم وانطلق إلى علىٍّ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرضْتُ الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق ، فقالوا جميعاً : قد رضينا . حتى مررت برايات بنى راسبٍ ونَبْذٍ من الناس سِواهم[2] ، فقالوا : لا نرضَى ، لا حُكْمَ إلا لله . فلنَحْمِلْ بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلَهم . فقال علىٌّ : هل هى غير رايةٍ أو رايتين ونَبْذٍ من الناس ؟ قال : بَلَى[3] . قال : دعْهم . قال : فظنَّ علىٌّ عليه السـلام أنهم قليلون لا يُعْبأُ بهم . فما راعَهُ إلاَّ نداءُ الناسِ من كلِّ جهةٍ وفى كلِّ ناحية : لا حكم إلاَّ لله ، الحكم لله يا علىُّ لا لك ، لا نَرضى بأن يحكم الرِّجالُ فى دين الله . إنَّ اللهَ قد أمْضى حكمه فى معاوية وأصحابه ، أن

---

(١) ح (١ : ١٩٢) : « رايات تميم » .

(٢) النبذ ، بالفتح : الشيء القليل ؛ وجمعه أنباذ .

(٣) فى الأصل وح (١ : ١٩٣) : « لا » .

يُقتَلوا أو يدخُلوا فى حكمنا عليهم[1] . وقد كانت مِنَّا زَلَّةٌ حين رضِينا بالحكَمين ، فرجعنا وتُبْنا ، فارجعْ أَنت ياعلىُّ كما رجعنا ، وتُبْ إلى الله كما تُبْنا ، وإلاَّ برِئْنَا منك . فقال علىّ : ويْحكم ، أَبعد الرضا [والميثاق] والعَهد نرجع . أَو ليس الله تعالى قال : ﴿ أَوْفُوا بالْعُقُودِ[2] ﴾ وقال : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . فأَبى علىٌّ أَن يرجع ، وأَبت الخوارجُ إلاَّ تضليلَ التحكيم والطعنَ فيه ، وبرئتْ مِن علىٍّ عليه السلام ، ، وبرئَ منهم ، وقام خطيبُ أَهل الشام حَمل بن مالك بين الصفين فقال : أَنشُدكم اللهَ يا أَهل العِراق إلاّ أَخبرتمونا لِمَ فارقتمونا ؟ قالوا : فارقناكم لأَنَّ الله عزَّ وجل أَحلَّ البراءَةَ ممن حكم بغير ما أَنزل الله ، فتولَّيتم الحاكم بغير ما أَنزل الله ، وقد أَحلَّ عداوتَه وأَحلَّ دمَه إن لم يرجعْ إلى التَّوبة ويَبُوْ بالدين[3] . وزعمتم أَنتم خلافَ حُكْمِ اللهِ فتولَّيتم الحاكم بغير ما أَنزل الله وقد أَمَرَ الله بعداوته ، وحرَّمتم دمه وقد أَمر الله بسَفكه ، فعاديناكم لأَنكم حرَّمتم ما أَحلَّ اللهُ ، وحلَّلتم ماحرَّم الله ، وعطَّلتم أَحكام الله ، واتبعتم هواكم بغير هُدًى من الله. قال الشامى حمل بن مالك[4] : قتلتم أَخانا وخليفتنا ونحن غُيَّبٌ عنه ، بعد أَن استتبْتُموه فتاب ، فعجِلتم عليه فقتلتموه ، فنذكِّركم اللهُ لَمَّا أَنصفتم الغائبَ[5] المتَّهم لكم ؛ فإنَّ قَتْلَه لو كان عن مَلإٍ من الناس ومشُورة كما كانت إمْرته ، لم يحلَّ لنا الطلبُ بدمه ، وإنّ أَطيبَ التوبة والخير فى العاقبة أَن يعرفَ من لا حجَّةَ له الحجَّةَ عليه ؛ وذلك أَقطع للبَغْى ،

(1) ح : « تحت حكمنا عليهم » .

(2) من الآيات الأولى فى سورة المائدة . وفى الأصل : « بالعهود » ، تحريف .

(3) يبوء : يقر ويعترف . وفى الأصل : « ويبوء بالدين » .

(4) فى الأصل : « حمزة بن مالك » .

(5) لما ، هنا ، بمعنى إلا ، كما فى قول الله : (إن كل نفس لما عليها حافظ) .

وأقربُ للمناصحة . وقد رضينا أن تعرِضوا ذنوبَه على كتاب الله أوّلَها وآخِرَها ، فإن أَحلَّ الكتابُ دمَه برِئْنا منه وممَّن تولاَّه ومَن يطلب دمَه ، وكنتم قد أُجِرتُم فى أوّل يومٍ وآخره . وإن كان كتاب الله يمنع دمَه ويحرِّمه تبتمْ إلى الله ربِّكم ، وأَعطيتم الحقَّ من أنفسكم فى سَفكِ دمٍ بغير حِلِّهِ بعَقْل أَو قَوَد ، أو براءةٍ ممن فعل ذلك وهو ظالم . ونحن قومٌ نقرأُ القرآن وليس يَخفَى علينا منه شىءٌ ، فأَفهِمُونا الأَمرَ الذى استحلَلْتم عليه دماءَنا . قالوا : نعم ، قد بعثْنا منَّا رجلاً ومنكم رجلاً يقرءانِ القرآن كلَّه ويتدارسان ما فيه ، ويَنزِلان عند حكمه علينا وعليكم . وإنا قد بَعثْنا مِنَّا مَن هو عندنا مثلُ أَنفسِنا ، وجعلْنا لهما أَن ينتهيا إليه ، وأَن يكون أمرهما على تؤدة ، ونسأَلُ عما يجتمعان عليه وما يتفرَّقان عنه ، فإنما فارقناكم فى تفسيره ولم نفارقْكم فى تنزيله . ونحن وأنتم نشهد أَنّه من عند الله ، فإنَّما نريد أَن نسأَل عنه مما تفسّرون ، مما جهلنا[(١)] نحن تفسيره ، فنسأَل عنه أَهلَ العلم[(٢)] مِنَّا ومنكم ، فأَعطيناكم على هذا الأَمرِ ما سأَلتم مِن شأْن الحكَمين . وإنَّما بُعِثا ليحكُما بكتاب الله ، يُحيِيان ما أَحيا الكتاب ويُميتان ما أَمات الكتاب ، فأَما ما لم يجِدَا فى الكتاب فالسنَّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة . ولم يُبْعَثا ليحكما بغير الكتاب . ولو أَرادَا اللَّبسَ على أُمة محمدٍ لبرئت منهما الذمة[(٣)] وليس لهما على أُمّةِ محمد حكم . فلما سمع المسلمون قولَهم علموا أَنَّ عَلَى كلِّ مخاصِم إنصافَ خصيمه وقبولَ الحقِّ منه ، وإن كان قد منعه فقاتل عليه ؛ لأَنّهم إلى الحقِّ دعَوا أَولَ يوم ، وبه عَمِلوا يقيناً غير شك ، ومن الباطل استُعتبوا ، وعلى عمايةٍ قَتَلوا من قَتَلوا . ونظر القومُ فى أَمرهم ، وشاوروا قائدَهم ، وقالوا : قد قبلنا من عثمانَ بن عفانَ حين

(١) فى الأصل : « مما جعلنا » . (٢) فى الأصل : « السلم » .
(٣) فى الأصل : « فبرئت منهما الذمة » .

دُعِى إلى الله والتَّوبةِ من بَغْيه وظلمه ، وقد كان مِنَّا عنه كفٌّ حين أعطانا أنه تائب حتى جرى علينا حُكْمه بعد تعريفه ذنوبَه ، فلما لم يتمّ التوبة وخالَفَ بفعله عَن توبته قلنا اعتزِلْنَا ونُولِّى أَمرَ المؤمنين رجلاً يكفيك ويكفينا ؛ فإنَّه لا يحلّ لنا أن نُولِّى أَمرَ المؤمنين رَجلاً نتَّهمه فى دمائنا وأموالنا ، فأَبى ذلك وأصرَّ ، فلما أَنْ رأَينا ذلك منه قَتَلْناه ومن تولاَّه بعد قتلنا إيّاه ، وهم يعرضون كتابَ الله بيننا وبينهم ، ويسأَلونَا حُجّتنا عليهم ، وإنَّما هم صادقون أَو كاذبون فى نِيَّتهم ، وليس لنا عذرٌ فى إنصافهم والموادعة والكفّ عنهم حتَّى يرجعوا بتوبة أَو مناصحة بعد أَن نقرِّرهم ونعرِّفهم ظلمهم وبغيَهم ، أَو يصرُّوا فيغلِّبَنا عليهم ما غلَّبنا على قائدهم فنقتُلَهم ، فإنَّما نطلب الحجة بعد العُذْر ؛ ولا عُذْر إلا ببيّنة ولا بيِّنة إلا بقرآن أَو سنَّة[1] . وهم خلطاءُ فى الدِّين ، ومُقِرُّون بالكتاب والنبيِّ صلى الله عليه ، ليسوا بمنزلةِ أَحَدٍ ممّن حارب المسلمين ؛ أَهلُ بغى أَمَرَ اللهُ أَن يُقاتَلوا حتَّى يَفِيئُوا مِنَ بَغيهم إلى أَمر الله ، وبرئوا ببغيهم من الإيمان . قال الله عزّ وجلّ على لسان نبيِّه داود : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ . هؤلاءِ منافقون ، لِأَمْرِهم بالمنكر ونَهْيهم عن المعروف وقتالهم عليه ، ولاتِّباعهم ما أَسخط الله وكَرِهُوا رِضوانَه فأَحبَطَ أَعمالهم . بذلك تَفْنَى حسناتُهم ؛ وذلك أَنه كانت لهم حسناتٌ لم تنفعْهم حين عاداهم . فقبِل أَمير المؤمنين مناصفتَهم فى المنازعة عند الحكمين بالدِّين بأَن يُحكمَ بكتاب الله ؛ ويُرَدَّ المحقُّ والمبطلُ إلى أَمره ، و [ما[2]] يرضى به ؛ وفيما نَزَل بهم أَمرٌ ليس فيه قرآنٌ يعرفونه ، فالسنَّة الجامعة العادلة غير المفرّقة . فلم يكن يَسعُ أَحداً من الفريقين تركُ كتابِ الله

(١) فى الأصل : « وسنة » .
(٢) ليست فى الأصل .

والسنّة بعد قول الله عزّ وجلّ فى صفة عدوّه ومَن يرغَب عن كتابه وهو مقرٌّ بتنزيله ، حاملٌ لميثاقه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وقال الله تعالى يعيِّرهم بذلك: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وما أُولئك بالمؤمنين ؛ إنهم لو كانوا مؤمنين رَضُوا بكتابى ورسولى . ثمّ أنزل : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . يعنى أنهم أصابوا حقائق الإيمان والصُّلْح . فلم يسع عليًّا أمير المؤمنين إلا الكفُّ بعد توكيدهم الميثاق ، وضَرْبِهم الأَجل ، والرِّضا بأن يحكم بينهم رجلان بكتاب الله ــ فيما تَنَازَع فيه عبادُ الله ــ بما أنزل الله وسنةِ رسوله ؛ ليبلِّغَ الشاهدُ الغائبَ منهم سبيل المحقّ من المبطل ، ألا يغير بمؤمن غائبٍ برضا غوىّ[(١)] أو عَمٍ[(٢)] غير مهتد ، فيُسمَّى أميرُ المؤمنين من كلٍّ باسمه حتى يقرّه الكتابُ[(٣)] على منزلته .

ظهور المحكمة

قال : فنادت الخوارج أيضاً فى كل ناحية : لا حَكَمَ إلا اللهُ ، لانرضى بأن تحكم الرِّجالُ فى دين الله ، قد أمضى الله حكمَه فى معاوية وأصحابه أن يُقْتَلوا أو يدخلوا معنا فى حكمنا عليهم ، وقد كانت منّا خطيئةٌ وزَلَّةٌ حين رضِينا بالحكمين ، وقد تُبْنا إلى ربِّنا ورجَعْنا عن ذلك ؛ فارجع كما رجعنا ، وإلا فنحنُ منكَ بَراءٌ . فقال علىٌّ : ويْحَكم ، بعد الرِّضا والعهد والميثاق أرجع ؟ أو ليس الله يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ

(١) كذا وردت هذه العبارة .
(٢) فى الأصل : « عمى » .
(٣) فى الأصل : « يفرده الكتاب » .

كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . فبرئوا مِن علىٍّ وشهدوا عليه بالشِّرْك ، وبرئ علىٌّ منهم .

عمرو بن أوس ومعاوية

نصر ، عن عمر بن سعد قال : حدَّثنى أبو عبد الله يزيد الأودىّ أنّ رجلاً منهم كان يقال له عمرو بن أوس ، قاتل مع علىٍّ يومَ صِفِّين وأسرهُ معاويةُ فى أسرَى كثيرةٍ ، فقال له عمرو بن العاص : اقتلْهم . قال عمرو بن أوس لمعاوية : إنك خالى فلا تقتلْنى. فقامت إليه بنو أَوْد[1] فقالوا : هبْ لنا أخانا . فقال : دَعُوه فلَعمرى لئن كان صادقاً ليَستغنينّ عن شفاعتكم ، وإن كان كاذباً فإنَّ شفاعتكم لَمِن ورائه . فقال له معاوية : مِنْ أين أنا خالُك ؟ فما بيننا وبين أَوْدٍ من مصاهرة . فقال : فإذا أخبرتُك فعرفتَ فهو أَمَانِى عندَك ؟ قال : نعم . قال : ألستَ تعلم أن أمّ حَبِيبة[2] ابنةَ أبى سفيان زوجةَ النبىِّ صلى الله عليه هى أمّ المؤمنين ؟ قال : بلى . قال : فأنا ابنُها وأنتَ أخوها ، فأنت خالى . فقال معاوية : ما له لله أبوه ، ما كان[3] فى هؤلاء الأسرى أحدٌ يفطُن لها غيره . وقال : خلُّوا سبيله .

معاملة الأسرى

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن الشعبىّ قال : أسر علىٌّ أسرَى يوم صِفِّين ، فخلَّى سبيلهم فأتَوا معاوية ، وقد كان عمرو بن العاص يقول لأسرَى أسَرَهم معاويةُ : اقتلْهم . فما شعَروا إلا بأسراهم قد خلَّى سبيلَهم علىّ، فقال معاوية : ياعمرو ، لو أطَعْناك

(١) أود ، بالفتح . وهم من بنى معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان .

(٢) أم حبيبة كنية لها . واسمها رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس . وقيل بل اسمها هند . وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية . وقد تزوجها رسول الله وهى فى الحبشة ، زوجه إياها سعيد بن العاص ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله أربعمائة دينار ، وعمل النجاشى لذلك طعاماً . وقد دخل بها الرسول قبل إسلام أبيها . وماتت بالمدينة سنة ٤٤ . انظر الإصابة (قسم النساء) والروض الأنف (٢ : ٣٦٨) . وفى الأصل : « أن حبيبة »، صوابه « أن أم حبيبة » .

(٣) ح (١ : ١٩٣) : « أما كان » .

فى هؤلاءِ الأَسرى لوقَعْنا فى قبيحٍ من الأمر . ألا تراه[1] قد خلَّى سبيلَ أسرانا . فأمر بتخلية من فى يديه من أسْرَى علىّ . وكان علىٌّ إذا أخذ أسيراً من أهل الشَّام خلَّى سبيله ، إلاَّ أن يكون قد قَتَل أحداً من أصحابه فيقتلَه به ، فإذا خلَّى سبيلَه فإن عاد الثانيةَ قتله ولم يخلّ سبيلَه . وكان علىٌّ لا يُجْهِز على الجَرحى[2] ولا على من أدبر بصفِّين ، لمكانِ معاوية .

رأى سليمان بن صرد فى الصحيفة

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبى جُحَيفة[3] قال : أتى سليمان بن صرد عليًّا أميرَ المؤمنين بعد الصَّحيفة ووجهه مضروبٌ بالسَّيف ، فلما نظر إليه علىٌّ قال : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ . فأنتَ ممَّن ينتظر وممَّن لم يبدِّل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمَا لو وجدتُ أعواناً ما كُتبتْ هذه الصحيفة أبدًا . أما واللهِ لقد مشيتُ فى الناس ليعودوا إلى أمرهم الأوَّل فما وجدتُ أحداً عنده خيرٌ إلا قليلا .

رأى محرز بن جريش

وقام إلى علىّ محرزُ بن جريش[4] بن ضليع فقال : يا أمير المؤمنين ما إلى الرُّجوع عن هذا الكتاب سبيلٌ ، فوالله إنى لأخاف أن يورث ذُلاًّ ، فقال علىّ : أَبعد أن كتبناه ننقضه[5] ، إنَّ هذا لا يحلّ . وكان محرز يُدْعَى « مَخَضْخِضا » ، وذاك أنَّه أخذ عَنَزَةً بصفين[6] ، وأخذ معه إداوةً من ماءٍ ، فإذا وجد رجلاً من أصحاب علىّ جريحاً سقاه من الماء ، وإذا وجد رجلاً من أصحاب معاوية خضخضه بالعنزة حتى يقتلَه .

---

(1) فى الأصل : « ألا ترى » .

(2) أجهز على الجريح : أسرع قتله . وفى اللسان : « ومنه حديث على رضوان الله عليه : « لا يجهز على جريحهم » . وفى الأصل : « لا يجبر » ، تحريف .

(3) عون بن أبى جحيفة ، بتقديم الجيم وبهيئة التصغير ، السوائى ، بضم السين ، الكوفى . ثقة من الرابعة . مات سنة ١١٦ . تقريب التهذيب .

(4) ح (١ : ١٩٣) : « محمد بن جريش » .

(5) فى الأصل : « أما بعد » بإقحام « ما » ، صوابه فى ح .

(6) العنزة ، بالتحريك : رميح صغير .

جمع سعيد بن قيس قومه للقتال

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن نمير بن وعلة ، عن أبى الودّاك قال : لما تداعى الناسُ إلى الصُّلح بعد رفع المصاحف ـ قال ـ قال علىّ : إنما فعلْتُ ما فعلْتُ لمَّا بدا فيكم الخَوَر والفشَل ـ هما الضعفُ ـ فجمع سعيدُ بن قيسٍ قومَه ، ثم جاءَ فى رجراجةٍ[1] من هَمْدان كأنها ركنُ حَصِير[2] ـ يعنى جبلا باليمن ـ فيهم عبد الرحمن[3] ، غلامٌ له ذؤابة ،

رفض على ما عرضه سعد بن قيس

فقال سعيد : هأنذا وقومى ، لا نُرادُّك ولا نردّ عليك[4] ، فمُرْنا بما شئت قال : أمَا لو كان هذا قبلَ رَفْع المصاحف[5] لأَزَلْتُهم عن عسكرهم أو تنفرد سالِفَتى قبل ذلك ، ولكن انصرفُوا راشدين ؛ فلعمرى ما كنتُ لأُعرِّض قبيلةً واحدةً للناس .

خطبة لعلى بعد الصلح

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن إسحاق بن يزيد ، عن الشَّعبى ، أنّ عليًّا قال يوم صِفين حين أَقرَّ الناسُ بالصُّلح : إنّ هؤلاءِ القومَ لم يكونوا ليَفِيئوا إلى الحقّ[6] ، ولا ليُجيبوا إلى كلمة السَّواءِ حتى يُرمَوْا بالمَنَاسر تتبعها العساكر ، وحتَّى يُرجَموا بالكتائب تقفوها الجلائب ، وحتى يَجُرَّ ببلادِهم الخميسُ يتلوه الخميسُ ، وحتى يدَعوا الخيل فى نواحى أَرضهم ، وبأَحناءِ مسارِبهم ومسارحهم ، وحتى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ ، وحتى يَلقاهم قومٌ صُدُق صُبُر ، لا يَزيدهُمْ هلاكُ مَنْ هَلَك مِن قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله إلا جِدًّا فى طاعة الله ، وحِرصاً على لقاءِ الله . ولقد كُنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءَنا وأَبناءَنا وإخواننا

(١) كلمة : « فى » ليست فى الأصل .

(٢) حصير : حصن باليمن من أبنية ملوكهم القدماء ؛ عن ياقوت . وفى الأصل وح : « حصين » ، تحريف .

(٣) هو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، كما فى ح .

(٤) بدلها فى ح : « لا نرد أمرك » .

(٥) بدلها فى ح : « قبل سطر الصحيفة » ، أى كتابتها .

(٦) ح : « ليثيبوا إلى الحق » . وهما بمعنى .

وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليما ومضِيا على أَمَضِّ الألم ، وجِدًّا على جهاد العدوّ ، والاستقلال بمبارزة الأقران . ولقد كان الرَّجلُ منّا والآخرُ مِن عدوّنا يتصاولان تصاوُلَ الفَحْلين ، يتخالسان أنفسَهما أيُّهما يسقى صاحبَه كأْسَ المنون ، فمرَّةً لنا من عدوِّنا ، ومرَّة لعدوِّنا منا . فلمّا رآنا الله صُبُرا صُدُقا أنزل الله بعدوِّنا الكَبْت ، وأنزل علينا النَّصر . ولعمرى لو كنَّا نأْتِى مثلَ الذين أتيتم ما قام الدِّينُ ولا عزّ الإسلام . وايمُ الله لتحلبُنَّها دماً ، فاحفظوا ما أقول لكم ــ يعنى الخوارج .

قول على فى الأشتر

نصر ، عن عمر ، عن فُضَيل بن خَديج قال : قيل لعلىٍّ لما كُتِبت الصحيفة إنَّ الأشتر لم يَرْضَ بما فى هذه الصحيفة ، ولا يرى إلاَّ قتالَ القوم . فقال علىّ : بلى إنَّ الأشترَ لَيرضَى إذا رضيتُ ، وقد رضيتُ ورضيتم ، ولا يَصلُح الرُّجوع بعد الرِّضا ، ولا التبديلُ بعد الإقرار ، إلاَّ أن يُعصَى اللهُ ويُتعدَّى ما فى كتابه . وأما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، وليس أتخوّفُه على ذلك[1] ، ولَيتَ فيكم مثلَه اثنين ، بل ليت فيكم مثلَه واحداً يرى فى عدوِّه مثلَ رأيه ، إذن لخفَّتْ علىَّ مؤُونتكم ورَجوت أن يستقيم لى بعضُ أَوَدكم . وأمَّا القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها ، فقد طمعتُ ألاَّ تضِلُّوا إن شاء الله ربُّ العالمين : وكان الكتاب فى صفر ، والأجلُ فى شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقى الحكمان.

مقتل حابس بن سعد الطائى

ثم إنَّ الناس أقبَلُوا على قتلاهم يدفِنونهم . قال : وكان عمر ابن الخطَّاب دعا حابِسَ بنَ سعدٍ الطائىَّ فقال له : إنِّى أُريد أن أُولِّيَك قضاءَ حِمْص فكيف أنتَ صانعٌ . قال : أجتهِدُ رأْيى ، وأستشِيرُ جُلَسائى. فانطَلَق فلم يَمْض إلا يسيراً حتَّى رجَع فقال : يا أمير المؤمنين ، إنِّى رأَيتُ رُؤيا أَحببتُ أَنْ أَقُصَّها عليك . قال : هاتِها . قال : رأيت كأَنَّ

(١) ح : « ولا أعرفه على ذلك » .

الشمسَ أقبلَتْ من المشرق ومعها جمعٌ عظيم ، وكأنّ القمرَ أقبل من المغرب ومعه جمعٌ عظيم ، فقال له عُمر : مع أيِّهما كنتَ ؟ قال : كنتُ مع القمر . قال عُمر : كنتَ مع الآية المحوّة ، [اذهب ، ف] لا واللهِ لا تعملُ لى عَمَلاً . فردَّه فشهد مع معاوية صِفِّين وكانت راية طيِّئٍ[1] معه ، فقُتِل يومئذ فمر به عديٌّ بنُ حاتم ، ومعه ابنه زيد بن عديّ فرآه قتيلاً فقال : يا أبَه ، هذا واللهِ خالى . قال : نعم ، لعَنَ اللهُ خالَكَ فبئس واللهِ المصرعُ مصرعُه . فوقف زيدٌ فقال : مَنْ قَتَل هذا الرجل ـ مراراً ـ فخرج إليه رجلٌ من بكر بن وائلٍ طُوالٌ يَخْضِب ، فقال : أنا واللهِ قتلتُه . قال له : كيفَ صنعْتَ به[2] . فجعل يُخْبِره ، فطعنه زيدٌ بالرُّمح فقتَلَه ، وذلك بعد أن وضَعت الحربُ أوزارَها . فحمل عليه عديٌّ يسبُّه ويسبُّ أمَّه ويقول : يا ابن المائقة ، لستُ على دين محمّدٍ إنْ لم أدفَعْك إليهم . فضرب [زيدٌ] فرسَه فلحِق بمعاوية ، فأكرمَه معاويةُ وحَمَله وأدنى مجلِسَه ، فرفع عديٌّ يديه فدعا عليه فقال : اللهمّ إنّ زيداً قد فارق المسلمين ، ولَحق بالمُحِلِّين[3] اللهم فارمِه بسهم من سهامك لا يُشْوِى[4] ـ أو قال : لا يخطئ ـ فإنّ رميَتَكَ لا تُنْمِى[5] ، لا والله لا أكلِّمهُ من رَأْسِى[6] كلمة أبداً ، وَلا يظلُّنى وإيّاه سقفُ بيتٍ أبدًا . قال وقال زيدٌ فى قتل البكرىّ :

ثأر زيد بن عدى لحابس بن سعد

لحاقه بمعاوية

مَنْ مُبْلِغٌ أبنـاءَ طـىٍّ بأنّنى ثـأَرتُ بخـالى ثم لم أتـأثَّمِ

(١) فى الأصل : « راية على » ، صوابه فى ح (١ : ١٩٤) .

(٢) فى الأصل : « له » ، وأثبت ما فى ح . (٣) ح : « بالملحدين » .

(٤) أشوى : رمى فأصاب الشوى – وهى الأطراف – ولم يصب المقتل .

(٥) الإنماء : أن ترمى الصيد فيغيب عنك فيموت . والإصماء : أن ترميه فتقتله على المكان بعينه قبل أن يغيب عنه . وفى حديث ابن عباس : « كل ما أصميت ودع ما أنميت » .

وفى قول امرئ القيس: فهـو لا تنمى رميتـه ماله لا عـد من نفـره

وفى الأصل : « لا تمنى » تحريف . وهذه العبارة ليست فى ح .

(٦) فى الأصل : « رأس » ، صوابه فى ح (١ : ١٩٤).

تركتُ أخا بَكر يَنُوءُ بصدره ... بصِفّينَ مخضُوبَ الجُيوبِ[1] من الدَّم
وذَكَّرَنى ثأرى غداةَ رأيتُه ... فأوجَرْتُهُ رُمْحِى فخرَّ على الفم
لقد غادرَتْ أرماحُ بكرِ بن وائلٍ ... قتيلاً عن الأهوال ليسَ بمُحْجِمِ
قتيلاً يَظَلُّ الحىُّ يُثْنُونَ بَعْدَه ... عليه بأَيدٍ من نَدَاهُ وأنعُمِ
لقد فُجِعَت طَىٌّ بحِلْمٍ ونائلٍ ... وصاحبِ غاراتٍ ونَهْبٍ مقسَّمِ
لقد كان خَالِى ليسَ خالٌ كمثلِهِ ... دِفاعاً لضَيم واحتمَالاً لمَغْرَمِ[2]

اعتذار عدى بن حاتم إلى على من فرار ولده زيد

قال : ولمّا لحق زيدُ بن عدىٍّ بمعاوية تكلَّم رجالٌ من أهل العراق فى عدىِّ بن حاتم ، وطعنوا فى أمره ، وكان عدىٌّ سيِّد الناس مع علىٍّ فى نصيحته وغَنائه ، فقام إلى علىٍّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أمَا عَصَم اللهُ رسولَه من حديث النَّفس والوساوس وأمانىّ الشيطان بالوحى ؟ وليس هذا لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه . وقد أنزل فى عائشةَ وأهلِ الإفك والنبىُّ صلى الله عليه خيرٌ منك ، وعائشة يومئذ خيرٌ منِّى . وقد قرَّبنى زيد للظنّ وعرّضنى للتُّهمة . غير أنِّى إذا ذكرتُ مكانَكَ من الله ومكانى منك ارتفع حَنَانى[3] ، وطال نَفَسى . ووالله أنْ لو وجَدْتُ زيداً لقتلتُه ، ولو هلك ما حزِنْتُ عليه . فأثنى عليه علىٌّ خيراً . وقال عدىٌّ فى ذلك :

شعر عدى فى شأن ولده

يازيدُ قد عصَّبتنى بعصابةٍ ... وما كنتُ للثوبِ المدنَّسِ لابسا
فليتَكَ لم تُخْلَقْ وكنتَ كَمَنْ مَضَى ... وليتَكَ إذْ لم تَمْضِ لم تَرَ حابِسا
ألاَ زادَ أعداءٌ وعقَّ ابنُ حاتمٍ ... أباهُ وأمْسَى بالفريقين ناكسا
وحامَتْ عليه مَذْحِجٌ دونَ مَذْحِجٍ ... وأصبحتَ للأعداءِ ساقاً مُمارسا

(١) ح (١ : ١٩٥) : « مخضوب الجبين » .
(٢) المغرم : ما يلزم أداؤه من حمالة وغيرها . وفى الأصل : « لمعدم » ، صوابه فى ح .
(٣) أراد ذهب حنانى . وفى الأصل : « أرانسع حنانى » .

نكصتَ على العَقْبَين يازيدُ رِدَّةً ... وأصبَحْتَ قد جدّعتَ مِنَّا المَعاطِسا
قتَلْتَ امرأً من آل بكر بحابسٍ ... فأصبحتُ مما كنتُ آمُلُ آيسا

شعر النجاشى فى فرار معاوية

نصر عن عمرو بن شمر ، عن إسماعيل السُّدّىّ قال : حدّثنى نويرة ابن خالد الحارثى ، أن ابن عمه النجاشىّ قال فى وقعة صفين — رواه نصر قال : رواه أيضاً عن عمر بن سعد بإسناده :

ونجّى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالة ... أجَشُّ هزيمٌ والرِّماحُ دَوَانِى
سليمُ الشَّظَاعَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا ... أقبُّ الحَشَا مستطلع الرَّدَيَانِ
إذا قلتُ أطرافَ العوالى ينلنَه(١) ... مَرَتْهُ به السَّاقانِ والقَدَمَان
حسبتُمْ طِعانَ الأشعَرِينَ ومَذْحِجٍ ... وهَمْدَانَ أكْلَ الزُّبدِ بالصَّرَفانِ(٢)
فما قُتِلتْ عكٌّ ولخمٌ وحمْيَرٌ ... وعَيلان إلاَّ يومَ حربٍ عوانِ
وما دُفِنَتْ قَتْلَى قريشٍ وعامرٍ ... بصِفِّينَ حتَّى حُكِّمَ الحكَمَان
غَشِيناهُمُ يومَ الهَرِيرِ بعُصْبةٍ ... يَمانِيَةٍ كالسَّيلِ سَيل عِرانِ(٣)

---

(١) فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٦٢ : « تناله » . وبعض أبيات هذه القصيدة فيه ، وهى على هذا الترتيب : ١ ، ٣ ، ٢ ، ٣٠ ثم بيتان آخران ، وهما :

من الأعوجيات الطوال كأنه ... على شرف التقريب شاة إران
أجش هزيم مقبل مدبر معاً ... كتيس ظباء الحلب الغذوان

وروى ابن الشجرى فى حماسته ص ٣٣ قبل الأبيات :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... تميما وهذا الحى من غطفان
فما لكم لو لم تكونوا فخرتم ... بإدراك مسعاة الكرام يدان
وكنتم كذى رجلين رجل سوية ... ورجل بها ريب من الحدثان
فأما التى شلت فأزد شنوءة ... وأما التى صحت فأزد عمان

(٢) الصرفان، بالتحريك : ضرب من التمر أحمر مثل البرنى، إلا أنه صلب الممضغة علك ، والواحدة صرفانة . وفى الأصل : « حسبت »، صوابه من اللسان (صرف) . وفى حماسة ابن الشجرى : « أخلتم » . ونحوه قول عمران الكلبى :

أكنتم حسبتم ضربنا وجلادنا ... على الحجر أكل الزبد بالصرفان

(٣) عران ، بالكسر : موضع قرب اليمامة .

فأصبحَ أهلُ الشّامِ قد رفَعُوا القَنَا ... عليها كِتابُ اللهِ خَيرُ قُـرَانِ
ونادَوا عليًّا : يا ابن عمّ محمدٍ ... أما تتَّقِى أن يَهْلِكَ الثَّقَلَانِ
فمَنْ للذَّرارِى بعـدهَا ونِسائِنا ... ومَنْ للحريم أيُّهـا الفَتَيَـانِ
أُبَكِّى عُبيداً إذْ ينوءُ بصَدْرِهِ(١) ... غداةَ الوغى يوم التقَى الجَبَلَانِ
وبِتْنَا نُبكِّى ذَا الكَلَاعِ وحَوشَباً ... إذا ما أَنَى أن يُذْكَرَ القَمَرانِ(٢)
ومالكَ واللَّجلاجَ والصَّخْرَ والفتَى ... محمدَ قد ذلَّتْ له الصُّدُفانِ(٣)
فلا تبعدوا لَقَّاكُمُ اللَّـهُ حَبْرَةً ... وبشَّرَكم من نصره بِجِنـانِ(٤)
ومازالَ من هَمْدَانَ خيلٌ تدوسُهم ... سِمانٌ وأُخرى غيرُ جِدِّ سِمـانِ
فقاموا ثلاثاً يـأْكلُ الطَّيرُ منهمُ ... على غيرِ نِصْفٍ والأُنوفُ دوانِ
وما ظنَّ أولادُ الإمام بَنُو آستِها ... بكلِّ فتًى رخوِ النِّجـاد يمانِ
فمَنْ يرَ خَيْلَيْنا غَـدَاةَ تلاقيـا ... يَقُلْ جَبَلَا جِيلانَ ينتطحـانِ(٥)
كأنَّهُما ناران فى جـوف غَمْرَةٍ ... بلا حَطَبٍ حَدَّ الضُّحَى تَقِدَانِ
وعارِضَـةٍ برَّاقةٍ صَـوْبُهَا دَمٌ ... تكشَّفَ عن بَرْقٍ لهـا الأُفقَانِ
تجودُ إذا جادَتْ وتجلو إذا انْجَلَتْ ... بلَبْسٍ ولا يحما لهـا كربانِ(٦)
قَتَلْنَا وأَبقَيْنَا وما كلُّ ما ترى ... بكفِّ المَدَرِّى يأْكلُ الرَّحَيَـانِ
وفَرّتْ ثَقيفٌ فرَّقَ اللهُ جمْعَهـا ... إلى جبلِ الزَّيتونِ والقَطِـرَانِ
كأنِّى أراهم يَطْرَحُونَ ثِيَابَهُـمْ ... من الرَّوْعِ ، والخَيْلانِ يَطَّرِدَانِ

---

(١) فى الأصل : « أبعد عبيد الله ينوء » . والوزن والمعنى فاسدان .
(٢) أنى : حان وقته . وفى الأصل : « إذ ما أشا » .
(٣) الصدفان ، بضمتين : ناحيتا الشعب أو الوادى؛ ويقال لجانبى الجبل إذا تحاذيا : صدفان وصدفان ، بضمتين وبفتحتين .
(٤) الحبرة ، بالفتح : السرور . وفى الأصل : « خيره » .
(٥) جيلان : قرى من وراء طبرستان فى مروج بين جبال .
(٦) كذا ورد هذا الشطر .

فياحَزَنَا ألاَّ أكـونَ شهدتهُـمْ | فأَدهُنَ من شحمِ العَبيد سِنَانِى[1]
وأمَّـا بنو نصْرٍ ففرَّ شـريدُهم | إلى الصَّلتان الخـور والعجـلانِ
وفرت تميمٌ سعـدُها ورِبابُها | إلى حيث يضفو الحَمْضُ والشَّبَهانُ[2]
فأضحى ضحًى من ذى صُبَاحٍ كأنَّه | وإيّاهُ رامـا حفرة قلِقـانِ[3]
إذا ابتلَّ بالمـاءِ الحميمَ رأيتَـه | كقادمةِ الشؤبوب ذى النَّفيَانِ[4]
كأنَّ جَنـابَىْ سَرْجه ولجامهِ | إذا ابتلّ ثوْبًا ماتح خضِلانِ[5]
جَزاهُ بنُعمَى كان قدَّمَهـا له | وكانَ لدى الإسطبل غيرَ مُهانِ

ردّ ابن مقبل

فردَّ عليه ابنُ مقبل العامرىّ :

تأمَّلْ خليلى هل ترَى من ظعـائنٍ | تحمَّلْنَ بالجَرْعاءِ فـوقَ ظِعـانِ
على كلِّ حَيَّاد اليدينِ مُشَهَّـرٍ | يمدُّ بذِفْرَى دِرَّةٍ وجِـرَانِ
فصَبَّحْنَ من ماءِ الوَحِيدَين نُقْرَةً | بميزانِ رَعْمٍ إذْ بدا ضَـدَوَانِ[6]

---

(١) فى الأصل : « من شحم الثمار » ، وأثبت ما فى حماسة ابن الشجرى .

(٢) يضفو : يكثر ويطول . وفى الأصل : « يصفو » . والشبهان : ضرب من العضاه . وفى البيت إقواء .

(٣) ذو صباح ، بضم الصاد : موضع . والرام : ضرب من الشجر .

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر . ونفيان السيل : ما فاض من مجتمعه . وفى الأصل : « كقادمتى الشؤبوب ذى نفيان » .

(٥) الماتح : المستقى من البئر . وفى الأصل: « ثوبا أنجد » ، ولا وجه له ، وأثبت ما فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٦٢ .

(٦) الوحيدان: ماءان فى بلاد قيس . والنقرة : الموضع يجتمع فيه الماء . ورعم ، بالفتح : اسم جبل فى ديار بجيلة . بميزانه ، أى بما يوازنه، كما فسر ياقوت فى (رعم) . وضدوان : جبلان . وقد ورد البيت محرفاً :

فأصبح من ماء الوحيدين فقـره | بميزان زعم قـد بـدا ضدوان

وصوابه من معجم البلدان (رعم ، ضدوان ، الوحيدان) .

وأصبحنَ لم يَبْرُكْنَ فى ليلة السُّرَى من السُّوق إلا عُقْبَةَ الدَّبَرانِ[1]
وعرَّسْنَ والشِّعْرَى تغور[2] كأنَّها شهابُ غضاً يُرْمى به الرَّجَوانِ
فهل يبلغَنِّى أهلَ دَهماءَ حُرَّةٌ وأَعْيَسُ نَضَّاحُ القَفَا مَرَجانِ[3]

(١) الدبران : نجم من منازل القمر. وعقبته : نزول القمر به فى كل شهر مرة .
(٢) فى الأصل : « فى الشعرى ».
(٣) دهماء : موضع فى بلاد مزينة من نواحى المدينة ، يقال له دهماء مرضوض . حرة ، عنى بها الناقة الكريمة . والأعيس : ما فيه أدمة من الإبل ، والأنثى عيساء . وفى الأصل : « أغبس » تحريف . وفى الأصل أيضاً : « نضاح القرى » ، ولا وجه له . أراد أنه ينضح ذفراه بالعرق ؛ والذفرى من القفا هو الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . والمرج ، بالتحريك : الذى يخلى فى المرعى يذهب حيث شاء .

مقدم على من صفين الى الكوفة

نصر ، عن عمر ، عن عبد الرحمن بن جندب قال : لما أقبل علىّ من صفِّين أقبلْنا معه ، فأَخذ طريقاً غير طريقنا الذى أقبلنا فيه ، فقال علىّ : « آئبون عائدون ، لربِّنا حامدون . اللّهم إنِّى أعوذ بك من وَعثاءِ السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوءِ المنظَر فى المال والأَهل » . قال : ثم أَخذ بنا طريقَ البرِّ على شاطئ الفرات حتَّى انتهينا إلى هِيت وأَخذنا على صَنْدَوْدَا[1] ، فخرج الأَنماريون بنو سعيد بن حزيم[2] واستقبلوا عليًّا ، فعرضوا عليه النُّزُلَ فلم يقبَل ، فبات بها ، ثُمّ غدا وأَقبلْنا معه حتَّى جُزْنا النُّخيلة ورأَينا بيوتَ الكوفة ، فإذا نحن بشيخٍ جالسٍ فى ظلِّ بيت ، على وجهه أثرُ المرض ، فأَقبل إليه علىٌّ ونحن معه حتَّى سلَّم عليه وسلَّمنا عليه . قال : فردّ ردًّا حسناً ظنَنَّا أَن قد عرَفَه ، فقال له علىّ : مالى أَرى وجهَك منكَفِتا[3] ، أَمِن مرض ؟ قال : نعم . قال : فلعلَّك كرِهتَه . فقال : ما أَحبُّ أَنَّه بغَيْرِى[4] . قال : أَليس احتِساباً لِلخَيْر[5] فيما أَصابك منه ؟ قال : بلى . قال : أَبشِرْ برحمةِ ربك وغفرانِ ذنبك ، من أَنت يا عبد الله ؟ قال : أَنا صالح بن سليم . قال : ممَّن أَنت ؟ قال : أَما الأَصل فمن سلامان بن طيّ ، وأَما الجِوار والدَّعوة فمن بنى سُليم بن منصور . قال : سبحان الله ، ما أَحسَنَ اسمَكَ واسمَ أَبيك

(١) صندوداء ، ضبطت فى معجم ياقوت بفتح الصاد وسكون النون وفتح الدال ، مع المد . وهى بلدة فى الطريق ما بين الشام والعراق .

(٢) كذا . وفى الطبرى (٦ : ٣٣) : « الأنصاريون بنو سعد بن حرام » .

(٣) الطبرى : « منكفئاً » وهما بمعنى ، أى متغيراً .

(٤) فى الأصل : « يعترى » ، صوابه من الطبرى .

(٥) فى الأصل : « احتساب بالخير » ، صوابه من الطبرى .

واسم أدعيائك[1] واسمَ من اعتزيتَ إليه ، هل شهدتَ معنا غَزَاتنا هذه ؟ قال : لا واللهِ ما شهدتُها ، ولقد أردْتُها ، ولكن ما ترى بى من لَحَب الحُمَّى[2] خذَّلنى عنها. قال علىّ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى المَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . أخبِرْنى ما يقول الناسُ فيما كان بيننا وبين أهل الشام ؟ قال : منهم المسرورُ فيما كان بينك وبينهم ، وأولئك أَغِشَّاءُ[3] الناس ؛ ومنهم المكبوت الآسف لما كان من ذلك ، وأولئك نُصَحاءُ الناس لك . فذهب لينصرف فقال : صدقتَ ، جعل اللهُ ما كان من شكواك حَطًّا لسيِّئاتك ؛ فإنَّ المرضَ لا أجْرَ فيه ، ولكن لا يدعُ للعبد ذنباً إلا حطَّه . إنَّما الأَجرُ فى القول باللِّسان ، والعمل باليد والرِّجْل ، وإنَّ الله عَزَّ وجلّ يُدخِل بصدق النيَّة والسريرة الصالحة [عالَماً جَمًّا[4]] مِنْ عباده الجنَّة .

ثمّ مضى غيرَ بعيدٍ فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصارى ، فدنا منه وسأله فقال : ما سمعتَ الناسَ يقولون فى أمْرِنا هذا ؟ قال : منهم المعجَب به ، ومنهم الكاره له . والناس كما قال الله تعالى : ﴿ وَلاَيَزَالُونَ مخْتَلِفِينَ ﴾ . فقال له : فما يقول ذَوُو الرَّأى؟ قال : يقولون : إنَّ عليًّا كان له جمعٌ عظيم ففرَّقه ، وحِصنٌ حصين فهدمه ، فحتَّى متى يَبنِى مثل ما قد هَدَم ، وحتَّى متى يَجمع مثلَ ما قد فرَّق . فلو أنَّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أو يَهْلِك ، إذنْ كانَ ذلك هو الحزم . فقال علىّ : أنا هدمت أمْ هم هَدَموا ، أم أنا فرّقت

(١) أصل الدعى المنسوب إلى غير أبيه ؛ وأراد بالأدعياء الأحلاف ، من الدعوة وهى الحلف. يقال دعوة فلان فى بنى فلان . وفى الأصل : « أعدادك » ، صوابه من الطبرى .

(٢) لحب الحمى : إنحالها الجسم ؛ ويقال لحب الرجل ، بالكسر ، إذا أنحله الكبر .

(٣) فى الأصل : « أغنياء الناس » ، صوابه من الطبرى . وهو فى مقابل النصحاء .

(٤) هذه التكملة من الطبرى (٦ : ٣٤).

أم هم فرّقوا[1] ؟ وأمَّا قولهم لو أنَّه مضى بمن أطاعه إذ عصاه مَن عصاه فقاتل حتَّى يظفرَ أو يهلِك ، إذنْ كان ذلك هو الحزم — فواللهِ ما غَبِيَ عنِّى ذلك الرأى[2] ، وإن كنت لَسَخِيًّا بنفسى عن الدنيا[3] ، طيِّب النفس بالموت . ولقد هَممتُ بالإقدام [على القوم[4]] ، فنظرتُ إلى هذين [قد ابتدرانى — يعنى الحسن والحسين — ونظرت إلى هذين[4]] قد استقدمانى — [يعنى عبد الله بن جعفر ومحمد بن على[4]] — فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأُمة ، فكرهتُ ذلك . وأشفقت على هذين أن يهلكا ، وقد علمت[5] أن لولا مكانى لم يستقدما — يعنى محمد بن على وعبد الله بن جعفر[6] — وايمُ الله لئن لقيتُهم بعدَ يومى لألْقَينَّهم[7] وليس هما معى فى عسكرٍ ولا دار .

قال : ثم مضى حتَّى جُزْنا دُورَ بنى عوف ، فإذا نحنُ عن أيماننا بقبور سبعةٍ أو ثمانية ، فقال أميرُ المؤمنين : ما هذه القبور ؟ فقال له قُدامة بن عَجْلان الأزدىّ : يا أمير المؤمنين ، إنَّ خبّاب بن الأَرَتّ تُوُفِّى بعد مَخرجك ، فأوصى أنْ يُدفَن فى الظَّهر[8] ، وكان الناس [إنما[9]] يدفنون فى دورهم وأفنيتهم ، فدفن الناسُ إلى جنبه . فقال علىّ : رحم الله خبّابا ، قد أسلم راغباً ، وهاجَر طائعاً ، وعاش مجاهِداً ، وابتُلِىَ فى جسده أحوالاً ، ولن يُضيع الله أجرَ مَن أحسَنَ عملا . فجاء

(١) فى الأصل : « تفرقوا » ، والوجه ما أثبت من الطبرى .

(٢) غبى عنه : لم يفطن له . وفى الأصل : « ما غبى عن ذلك الرأى » ، وفى الطبرى : « غبى عن رأيى ذلك » ، ووجههما ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « لسخى النفس بالدنيا » ، صوابه من الطبرى

(٤) التكلمة من الطبرى .

(٥) فى الأصل : « ولو علمت » ، صوابه من الطبرى .

(٦) فى الأصل : « يعنى بذلك ابنيه الحسن والحسين » ، صوابه من الطبرى .

(٧) فى الأصل : « لقيتهم » ، وأثبت ما فى الطبرى .

(٨) الظهر من الأرض : ما غلظ وارتفع .

(٩) هذه من الطبرى .

حتى وَقف عليهم ثم قال : عليكم السلامُ يا أَهلَ الدِّيار الموحِشة والمحَالِّ المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ؛ وأَنتم لنا سلفٌ وفرَط ، ونحن لكم تبَع ، وبكم عَمَّا قليلٍ لاحِقون . اللهم اغفِرْ لنا ولهم ، وتجاوَزْ عنَّا وعنهم . ثم قال : الحمدُ لله الذى جعل الأَرضَ كِفاتاً[1] ، أَحياءً وأَمواتا ؛ الحمدلله الذى جَعل منها خَلْقَنا ، وفيها يُعيدنا ، وعليها يحشرُنا . طُوبَى لمن ذكر المَعَاد ، وعَمِل للحساب ، وقَنَع بالكَفَاف ، ورضِى عن الله بذلك . ثم أَقبل حتى دخل سِكَّة الثَّورِيِّين فقال : خُشُّوا بَيْنَ هذه الأَبيات[2] .

نصر ، عن عمر قال : حدّثنى عبد الله بن عاصم الفائشىّ ، قال : لما مرّ علىٌّ بالثوريِّين – يعنى ثور همدان – سمِع البُكاءَ فقال : ما هذه الأَصواتُ ؟ قيل : هذا البكاءُ على مَن قُتل بصِفِّين . فقال : أَمَا إنِّى أَشهَدُ لمن قُتِل منهم صابراً محتسباً بالشَّهادة . ثم مرّ بالفائشيِّين فسمع الأَصواتَ فقال مثلَ ذلك ، ثم مرَّ بالشِّباميِّين فسمع رنَّةً شديدة وصوتاً مرتفعاً عالياً ، فخرج إليه حربُ بن شُرَحْبيل الشِّبامىّ[3] فقال علىّ : أَيَغلبُكم نساؤكم ، أَلا تنهونهنَّ عن هذا الصِّياح والرَّنين ؟ قال : يا أَمير المؤمنين ، لو كانت داراً أَو دارَين أَو ثلاثاً قَدَرْنا على ذلك ، ولكن مِن هذا الحىِّ ثمانون ومائةُ قتيلٍ ، فليس من دارٍ إلا وفيها بكاءٌ ؛ أَمّا

---

(١) الكفات ، بالكسر : الموضع الذى يضم فيه الشىء ويقبض . وظهر الأرض كفات للأحياء ، وبطنها كفات للأموات . وفى الكتاب العزيز : (ألم نجعل الأرض كفاتاً . أحياء وأمواتاً) .

(٢) خشوا : ادخلوا ؛ خش فى الشىء : دخل . وفى الأصل : « حشوا » ، تحريف . وكلمة « بين » ليست فى الأصل ، وصوابه وتكلمته من الطبرى ، وعبارته : « خشوا ادخلوا بين هذه الأبيات » .

(٣) الشبامى : نسبة إلى شبام ، بالكسر ، وهم حى من همدان . وفى الأصل : « حارب ابن شرحبيل الشامى » ، تحريف .

نحن مَعْشرَ الرِّجال فإنَّا لا نبكى ، ولكن نفرح لهم؛ [ألَا نفرح لهم[1]] بالشَّهادة ؟! فقال علىّ : رحِم الله قتلاكم وموتاكم . وأقبل يمشى معه وعلىّ راكب ، فقال له على : ارجِع . ووقف ثم قال له : ارجع ؛ فإنَّ مَشْىَ مِثلِك فتنةٌ للوالى ومَذَلَّة للمؤمنين . ثم مضى حتى مرّ بالنَّاعطيِّين[2] فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد[3] ، فقال : ما صنع علىٌّ واللهِ شيئاً ، ذهب ثم انصرف فى غير شىء . فلما نظر أميرَ المؤمنين أبْلِس[4] فقال علىّ : وجوهُ قومٍ ما رأوا الشامَ العامَ . ثم قال لأصحابه : قومٌ فارقتهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء . ثم قال :

أخوكَ الذى إنْ أحْرَضَتْكَ مُلِمَّةٌ ... من الدَّهرِ لم يبرح لِبَثِّك واجما[5]

وليس أخوكَ بالذى إن تمنَّعتْ ... عليك أمورٌ ظلّ يَلحاكَ لائما[6]

ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة[7] .

شعر على حين صدر من صفين

قال نصر : وفى حديث عمرو بن شمر قال : لمّا صدر علىٌّ من صِفِّين أنشأ يقول[8] :

وكَم قد تَركْنَا فى دِمشقَ وأرضِها ... منَ أشمط مَوتورٍ وشمطاء ثاكلِ

---

(١) التكلة من الطبرى .

(٢) الناعطيون ، بالنون : حى من همدان ، نسبة إلى جبل لهم يسمى « ناعط » . الاشتقاق ٢٥١ ومعجم البلدان . وفى الأصل : « الباعطيين » ، تحريف ، وهو على الصواب الذى أثبت فى الطبرى.

(٣) الطبرى : « عبد الرحمن بن يزيد ، من بنى عبيد من الناعطيين » .

(٤) الطبرى : « فلما نظروا إلى على أبلسوا » . والإبلاس : أن تنقطع به الحجة ويسكت .

(٥) أحرضه : أفسده وأشفى به على الهلاك . الطبرى : « أجرضتك » ، أى أغصتك .

(٦) الطبرى : « إن تشعبت » .

(٧) الطبرى : « القصر » .

(٨) سبقت هذه الأبيات فى ص ٤٩٢ — ٤٩٣ .

وغانيةٍ صـادَ الرِّمـاحُ حليلَها ... فأَضحَتْ تُعدُّ اليومَ إحدى الأرامِلِ
تبكِّى على بَعلٍ لهـا راحَ غادياً ... فليس إلى يوم الحسـابِ بِقافِلِ
وإنَّا أُناسٌ مـا تُصِيبُ رماحُنـا ... إذا ما طَعَنَّا القومَ غيرَ المَقاتلِ

شعر أبى محمد التميمى

قال : وفى حديث يوسف قال : وقال أبو محمد نافع بن الأسود التميمى[1] :

أَلا أَبلِغـا عنِّى عليًّـا تحيّـةً ... فقد قبِـلَ الصّماءَ لمـا استقلَّتِ
بنى قُبّةَ الإسلامِ بعـد انهدامها ... فقامت عليه قَصْرةً فاستقرّتِ
كأَن نبيًّا جـاءَنا بعـدَ هَدْمِها ... بمـا سَنَّ فيهـا بعد ما قد أبرّتِ

قال : لِمَا[2] بَعث علىٌّ أَبا موسى لدَى يوْم الحكمين .

بعوث على ومعاوية

نصر : عمر بن سعد ، عن مجالد[3] ، عن الشعبى ، عن زياد ابن النضر أَنَّ عليًّا بعث أَربعَمائةِ رجلٍ ، وبعث عليهم شُريحَ بن هانئٍ الحارثىّ ، وبعث عبدَ الله بنَ عباسٍ يصلِّى بهم ويَلِى أُمورَهم ، وأَبوموسى الأَشعرىُّ معهم . وبعث معاويةُ عمرَو بن العاص فى أَربعمائةِ رجل . قال : فكان إذا كتب علىٌّ بشىءٍ أَتاه أَهلُ الكوفة فقالوا : ما الذى كتب به إليك أَمير المؤمنين ؟ فيكتمهم فيقولون له : كتَمْتَنا ما كَتب به إليك إنما كتب فى كذا وكذا . ثم يجىءُ رسولُ معاويةَ إلى عمرو بن العاص فلا يُدرَى فى أَىِّ شىءٍ جاءَ ولا فى أَىِّ شىءٍ ذهب ، ولا يَسمعون حولَ صاحبهم لغطاً . فأَنَّب ابنُ عباس أَهلَ الكوفة بذلك وقال : إذا جاءَ رسولٌ قلتم بأَىِّ شىءٍ جاءَ ، فإن كتمكم قلتم لِمَ تكتُمُنا ؟ جاءَ بكذا وكذا

---

(١) سبقت ترجمته فى ٤٩٢ . وفى الأصل : « أبو مجيد » ، تحريف سلف نظيره . والأبيات التالية تقدمت روايتها فى ص ٤٩٢ .

(٢) فى الأصل : « ولما » . وأرى الكلام تعقيباً على الشعر .

(٣) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى الكوفى ، توفى سنة ١٤٤ . وفى الأصل : « عمر بن سعد بن مجالد » ، تحريف .

فلا تزالون توقفون وتقاربون حتى تصيبوا ، فليس لكم سرّ . ثم إنهم خلَّوا بين الحكَمين ، فكان رأىُ عبد الله بن قيسٍ أبو موسى فى ابن عُمَر. وكان يقول : والله أن لو استطعتُ لأحيينَّ سنَّةَ عمر .

ما قيل لأبى موسى حين أراد المسير

قال نصر : وفى حديث محمد بن عبيد الله ، عن الجرجانىِّ قال : لما أراد أبو موسى المسيرَ قام شُريح فأخذ بيد أبى موسى فقال : يا أبا موسى إنَّك قد نُصِبت لأمرٍ عظيمٍ لا يُجبَر صدْعه ، ولا يُستقال فَتْقه[١] ، ومهما تقلْ شيئاً لك أو عليك ، يثبتْ حقُّه ويُرَ صِحَّتُه ، وإن كان باطلا[٢] وإنه لا بقاءَ لأهل العراق إنْ مَلَكها معاوية ، ولا بأْسَ على أهل الشام إنْ ملَكَها علىّ . وقد كانت منك تثبيطةٌ أيامَ قدِمتَ الكوفة ، فإن تَشفَعْها بمثلها يكن الظَّنُّ بك يقيناً ، والرجاءُ منك يأْساً . وقال شريحٌ فى ذلك :

أَبا موسى رُميتَ بشَرِّ خَصمٍ ... فلا تُضِعِ العراقَ فدتْكَ نَفْسى
وأَعْطِ الحقَّ شامَهُمُ وخُذْه ... فإنَّ اليومَ فى مَهَلٍ كأَمسِ
وإن غداً يَجىءُ بما عليه ... يَدورُ الأَمرُ من سَعْدٍ ونَحْسِ
ولا يخدعْكَ عمرٌو ، إنّ عمراً ... عدُوُّ اللهِ ، مَطْلَعَ كلِّ شَمْسِ
له خُدَعٌ يَحارُ العقلُ فيها ... مُموَّهةٌ مزخرفةٌ بلَبْسِ
فلا تجعل معاويةَ بنَ حربٍ ... كشَيخٍ فى الحوادثِ غيرِ نِكْسِ
هدَاهُ الله للإسلامِ فرداً ... سوى بنتِ النبىِّ ، وأىُّ عِرسِ

— فى غير كتاب ابن عقبة : « سوى عرس النبى وأى عرس » :

فقال أبو موسى : ما ينبغى لقومٍ اتَّهمونى أن يُرسِلونى لأَدفعَ عنهم

---

(١) ح (١ : ١٩٥) : « ولا تستقال فتنته ».

(٢) فى الأصل : « ثبت حقه ويزول باطله » ، والوجه ما أثبت من ح .

باطلا أو أجُرّ إليهم حقًّا . وكان النجاشىُّ بن الحارث بن كعب صديقاً لأبى موسى ، فبعث إليه :

قصيدة النجاشى إلى أبى موسى

يؤمِّلُ أهلُ الشام عَمراً وإنَّنى … لآملُ عبدَ الله عند الحقائقِ
وإنَّ أبا موسى ، سيُدرِك حَقَّنا … إذا مارمى عَمراً بإحدى الصَّواعق[1]
وحقَّقه حتَّى يدِرّ وريدهُ … ونحن على ذاكم كأحنَق حانِقِ
على أنَّ عمراً لا يُشَقُّ غُبارَه … إذا ما جَرى بالجهد أهلُ السَّوابقِ
فلِلّه ما يُرمَى العراقُ وأهلُه … به منه إنْ لم يَرمِه بالبوائقِ[2]

فقال أبو موسى : والله إنِّى لأرجو أن ينجلىَ هذا الأمرُ وأنا فيه على رِضا الله .

تجهيز شريح لأبى موسى

[قال نصر] : وإنَّ شريحَ بن هانئٍ جهَّز أبا موسى جَهازاً حسَنا وعظَّم أمره فى الناس ، ليشرِّف أبا موسى فى قومه ، فقال الشنىُّ فى ذلك لشريح :

زففتَ ابنَ قيسٍ زِفاف العروسِ … شُرَيْحُ إلى دُومةِ الجَندلِ
وفى زفِّكَ الأشعرىَّ البَلاءُ … وما يُقْضَ مِنْ حادث يَنزلِ
وما الأشعَرىُّ بذى إرْبةٍ … ولا صاحبِ الخُطْبةِ الفَيصَلِ[3]
ولا آخذاً حظَّ أهلِ العراقِ … ولو قِيلَ ها خُذْه لم يَفْعلِ
يحاولُ عَمراً وعَمرٌو له … خدائعُ يأتِى بها من عَلِى[4]
فإن يَحكما بالهُدَى يُتْبَعا … وإن يَحكُما بالهوَى الأميلِ
يكونَا كتيسين فى قَفْرةٍ … أكِيلَىْ نَقيفٍ من الحَنظَلِ[5]

(١) ح (١ : ١٩٦) : « البوائق » .
(٢) ح : « بالصواعق » .
(٣) ح : « صاحب الخطة » .
(٤) من على ، بياء ساكنة : من أعلى ، وهى إحدى لغات عل .
(٥) التيس ، هنا : الذكر من الظباء . والنقيف : المنقوف ، الذى يكسر ليستخرج حبه .

وقال شريح بن هانئ : والله لقد تعجلَتْ رجالٌ مَساءتَنا فى أَبى موسى وطعَنوا عليه بسوءِ الظَّنّ[1] وما اللهُ عاصمهُ منه[2] ، إنْ شاءَ الله .

توديع شرحبيل لعمرو

وسار مع عمرو بن العاص شُرحبيل بن السِّمط الكِنْدىُّ فى خيل عظيمة ، حتّى إذا أَمِنَ عليه خيلَ أَهلِ العراق ودّعه ثم قال : ياعمرو ، إنَّك رجلُ قريش ، وإنّ معاوية لم يبعَثْك إلاَّ ثقةً بك ، وإنك لن تُؤتَى من عجزٍ ولا مكيدة ، وقد عرفتَ أَنْ وطَّأْتُ[3] هذا الأَمرَ لك ولصاحبك ، فكن عندَ ظنِّنا بك . ثم انصرفَ ، وانصرف شريحُ بن هانئٍ حين أَمِن أَهلَ الشام على أَبى موسى ، وودّعه هو ووجوهُ الناس .

توديع الأحنف ونصيحته لأبى موسى

وكان آخرُ من ودّع أَبا موسى الأَحنفَ بنَ قيس ، أَخذ بيده ثم قال له : « يا أَبا موسى ، اعرف خطب هذا الأَمر ، واعلم أَنَّ له ما بعده ، وأَنَّك إن أَضَعْتَ العراقَ فلا عراق . فاتَّقِ الله فإنَّها تجمع لك دنياك وآخرتَكَ ، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبدأْه بالسلام ، فإنَّها وإن كانت سنَّةً إلاَّ أَنَّه ليس من أَهلها ، ولا تُعطِه يدَك[4] فإنَّها أَمانة . وإيّاك أَنْ يُقعِدَك على صدر الفِراش فإنَّها خُدْعة . ولا تَلقَه وحْده ، واحذَرْ أَن يكلِّمَك فى بيتٍ فيه مُخدَع تُخبأُ فيه الرِّجال والشهود » . ثمّ أَراد أَن يبور[5] ما فى نفسه لعلىّ فقال له : « فإن لم يستقمْ لك عمرٌو على الرضا بعلىٍّ فخيِّرْهُ أَن يختار أَهلُ العراق من قريشِ الشام مَن شاءُوا ؛ فإنَّهم يولُّونا الخيار فنختار من نريد . وإنْ أَبَوْا فليختر أَهلُ

---

(١) ح : « بأسوأ الطعن » .

(٢) أى وبما الله عاصمه منه .

(٣) ح (١ : ١٩٦) : « أنى وطأت » .

(٤) فى الأصل : « بيدك » ، وأثبت ما فى ح .

(٥) ح : « يبلو » ، وهما بمعنى .

الشام من قريش العراق من شاءُوا ، فإنْ فعلوا كان الأَمرُ فينا » . قال أبو موسى : قد سمعتُ ما قلتَ . ولم يتحاشَ لقول الأحنف .

الأحنف وعلى

قال : فرجع الأَحنف فأَتى عليًّا فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَخرَجَ واللهِ أَبو موسى زُبدة سقائه فى أَوّل مَخْضه ، لا أُرانا إلاَّ بعثْنا رجلاً لايُنْكِر خلْعَك . فقال علىّ : يا أَحنف ، إنّ الله غالبٌ على أمره . قال : فمِن ذلك تجزعُ يا أَمير المؤمنين . وفشا أَمرُ الأَحنف وأَبى موسى فى النَّاس ، فَجهَّز الشَّنىّ راكباً فتبع به أَبا موسى بهذه الأَبيات :

قصيدة الشنى التى بعث بها إلى أبى موسى

أَبا مُوسَى جَـزَاك اللهُ خيـراً ... عِراقَكَ إنّ حظَّكَ فى العـراقِ
وإنّ الشَّامَ قد نَصَبُـوا إمـامـاً ... مِن الأَحْزاب معروفَ النفـاقِ
وإنَّا لا نَزَالُ لهمْ عَـدُوًّا ... أَبا موسى إلى يوم التَّـلاقِى
فـلا تجعل مُعاويةَ بنَ حـربٍ ... إمـامـاً ما مَشَتْ قدمٌ بساقِ
ولا يَخدَعْك عمرٌو إنّ عَمْـراً ... أَبا موسى تحـامَاه الرَّواقِى[1]
فـكنْ منه على حـذَرٍ وأَنهِجْ ... طـريقَك لا تزِلَّ بك المَرَاقِى
ستَلقـاهُ أَبَا موسى مَلِيًّـا ... بمُرِّ القـول من حقِّ الخِنـاقِ
ولا تحـكُمْ بأَنَّ سـوى علىٍّ ... إمـامـاً إن هـذا الشرَّ باقِ

شعر الصلتان

قال : وبعث الصَّلَتَان العبدىّ[2] وهو بالكوفة بأَبياتٍ إلى دُومة الجندل :

لعَمْرُك لا أُلْفَى مدَى الدَّهرِ خالعاً ... عليًّا بقول الأَشعرىّ ولا عمـرِو
فإنْ يحكُمَـا بالحقِّ نقبلْهُ منهما ... وإلاَّ أَثَرْناها كراغية البَكْرِ[3]

---

(١) عنى أنه حية يعجز الراقون عن استخراجها بالرقى لخبثها .

(٢) هو قثم بن خبية ، أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . انظر خزانة الأدب (٢ : ١٨١) .

(٣) انظر ما سبق فى نهاية ص ٤٥ .

ولسنا نقولُ الدَّهْرَ ذَاكَ إليهما وفى ذاك لو قُلْنَاهُ قاصمةُ الظَّهْر
ولكنْ نقولُ: الأَمرُ والنَّهْىُ كلُّه[1] إليه ، وفى كَفَّيْـهِ عاقبةُ الأَمْر
وما اليومُ إلا مثلُ أَمْسِ وإننا لفى وَشَلِ الضَّحْضاحِ أَولُجَّة البَحْرِ[2]

فلمّا سمع الناس قولَ الصَّلَتان شحَذَهم ذلك على أَبى موسى ؛واستبطأَه القومُ وظنُّوا به الظنون . وأَطبق الرَّجُلان بدُومة الجندل لا يقولان شيئاً.

موقف سعد بن أبى وقاص وابنه عمر

وكان سعد بن أَبى وقَّاصٍ قد اعتزل عليًّا ومعاوية ، فنزل على ماءٍ لبنى سُليمٍ بأَرض البادية يتشوَّفُ الأَخبار ، وكان رجلاً له بأْسٌ ورأْىٌ [ومكانٌ] فى قريش، ولم يكن له فى علىٍّ ولا معاوية هوًى، فأَقبل راكبٌ يُوضِع مِن بعيد فإذا هو بابنهِ عمرَ بنِ سعد ، [فقال له أَبوه : مَهْيَمْ[3] ؟] فقال : يا أَبى ، التَقَى النَّاسُ بصِفِّين فكان بينهم ما قد بلَغك ، حتى تفانَوا ، ثم حكَّموا الحكمين : عبد الله بنَ قيسٍ وعمرَو بنَ العاص ، وقد حضر ناسٌ من قريش عِندهما ، وأَنت مِن أَصحاب رسول الله صلى الله عليه ومِن أَهل الشُّورى ، ومَن قال له رسول الله :« اتَّقوا دعواتِه» ولم تدخل فى شىءٍ مما تكره هذه الأُمة[4] ، فاحضُرْ دُومةَ الْجَنْدَل فإنَّك صاحبُها غداً . فقال : مهلا ياعُمَر ، إنِّى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه يقول : « يكون مِن بَعدى فِتنةٌ خيرُ النَّاس فيها الخفىُّ التقىّ » . وهذا أَمرٌ لم أَشهَدْ أَوَّلَه فلا أَشهَدُ آخِرَه[5] ؛ ولو كنتُ غامساً يدى فى هذا الأَمر لَغَمستُها مع علىّ . قد رأَيتُ القوم حَمَلونى على حدِّ السيف فاخترتُه

---

(١) فى الأصل : « الأمر بالحق كله » ، وأثبت ما فى ح (١ : ١٩٧) .
(٢) الوشل : الماء القليل . وفى الأصل : « رهق الضحضاح » ، صوابه فى ح .
(٣) مهيم : كلمة يمانية ، معناه ما أمرك وما شأنك .
(٤) فى الأصل : « مما تكن هذه الأمة » ، صوابه فى ح .
(٥) فى الأصل : « ولن أشهد آخره » ، والوجه ما أثبت من ح .

على النار . فأَقِمْ عند أبيك ليلتَك هذه . فراجَعَه حتى طمع فى الشيخ .
فلما جنَّه الليل رفع صوته ليسمع ابنه[1] فقال :

دعوتَ أَباكَ اليومَ واللهِ لِلَّذِى ... دعانى إليه القومُ والأَمرُ مقبلُ
فقلت لهم : لَلْمَوْتُ أهونُ جَرْعةً ... من النَّارِ فاستبقُوا أَخاكُمْ أَواقتُلوا
فكَفُّوا وقالوا إنَّ سعدَ بنَ مالكٍ ... مُزَخرِفُ جهلٍ والمجهَّلُ أَجهَلُ
فلمَّا رأَيتُ الأَمرَ قد جَدّ جِدُّه ... وكاشَفَنَا يومٌ أَغرُّ محجَّلُ
هربتُ بدينى والحوادثُ جَمّةٌ ... وفى الأَرض أَمْنٌ واسعٌ ومعوَّلُ
فقلتُ مَعاذَ اللهِ من شرِّ فتنةٍ ... لهَا آخرٌ لا يُستقالُ وأَوّلُ
ولو كنتُ يوماً لا محالةَ وافداً ... تبِعتُ عليًّا والهوى حيث يُجعَلُ
ولكنَّنى زاولتُ نفساً شحيحةً ... على دينها تأْبى علىَّ وتَبْخَلُ
فأَمّا ابنُ هندٍ فالتُّرَابُ بوجْهه ... وإنّ هواىَ عن هواهُ لأَمْيَلُ
فياعُمَرُ ارجعْ بالنَّصيحة إنّنى ... سأَصبِرُ هذا العامَ.والصَّبْرُ أَجمَلُ

فارتحل عُمَر وقد استبانَ له أَمرُ أَبيه .

استدعاء معاوية بعض من لم يعنه من قريش

وقد كانت الأَخبارُ أَبطأَتْ على معاوية ، فبعث إلى رجالٍ من قريش من الذين كرهوا أَن يُعينوه فى حربه : « إنَّ الحرب قد وَضَعَت أَوزارَها ، والتقى هذان الرجلان بدُومة الجندل فاقدَمُوا علىَّ » . فأَتاه عبد الله بن الزُّبير ، وعبد الله بن عمر ، وأَبو الجهم بن حذيفة ، وعبد الرحمن بن الأَسود بن عبد يغوث الزهرىّ ، وعبد الله بن صَفْوان الجُمحىّ ، ورجالٌ من قريش ؛ وأَتاهُ المغيرة بن شعبة وكان مُقيما بالطائف لم يشهد صِفِّين. فقال : يا مُغيرة ما ترى ؟ قال : يا معاوية ، لو وَسِعَنى أَن أَنصرك لَنَصَرْتُك ، ولكن عَلَىَّ أَن آتيَكَ بأَمر الرَّجُلين .

---

(١) فى الأصل : « أبوه » ، والصواب ما أثبت .

فركب حتى أتى دُومة الْجَنْدل فدخل على أبى موسى كأنه زائر له ، فقال : يا أبا موسى ، ما تقول فيمن اعتزَلَ هذا الأَمرَ وكره الدّماءَ ؟ قال : أُولئك خيارُ الناس، خفَّت ظهورُهم من دمائهم ، وخَمَصَتْ بطونُهم من أموالهم . ثم أتى عمْراً فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأَمرَ وكره هذه الدماءَ ؟ قال : أُولئك شِرار الناس ، لم يعرِفوا حقًّا ولم يُنكروا باطلا . فرجع المغيرةُ إلى معاوية فقال له : قد ذُقْتُ الرَّجُلين : أمّا عبدُ الله بن قيسٍ فخالعٌ صاحبَه وجاعلُها لرجلٍ لم يشهَدْ هذا الأَمرَ ، وهواه فى عبد الله بن عمر . وأمّا عمرو فهو صاحبُك الذى تعرف ، وقد ظنَّ الناسُ أنَّه يرومُها لنفسه ، وأنه لا يرى أنَّك أَحَقُّ بهذا الأَمر منه .

آخر الجزء الثالث عشر من أجزاءِ شيخنا عبد الوهاب

نصر : فى حديث عمرو ، قال : أقبل أبو موسى إلى عمرو فقال : يا عمرو ، هل لك فى أمرٍ هو للأُمّة صلاحٌ ولصلحاءِ الناس رِضاً ؟ نولِّى هذا الأَمرَ عبد الله بنَ عمرَ بنِ الخطاب ، الذى لم يدخلْ فى شىءٍ من هذه الفتنة ولا هذه الفُرقة ــ وعبدُ الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن الزُّبير قريبان يسمعان هذا الكلام ــ فقال عمرو : فأَينَ أنت عن معاوية ؟ فأَبى عليه أبو موسى .

شهود الحكمين — قال : وشَهِدهم عبدُ الله بن هشام ، وعبد الرحمن بن[الأَسود بن]

عبد يغوث[1] ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوىّ ، والمغيرةُ بن شعبة ، فقال عمرو : أَلست تعلم أَنَّ عثمان قُتِل مظلوماً ؟ قال : بلى . قال اشهَدُوا، فما يمنعك يا أَبا مُوسى من معاوية ولىّ عثمان ، وبيتُه فى قريشٍ ما قد علمت ؟ فإِنْ خشيتَ أَن يقول الناسُ ولَّى معاويةَ وليست له سابقةٌ ، فإِنَّ لك بذلك حجة ، تقول : إِنى وجدتُه ولىَّ عثمان الخليفةِ المظلوم ، والطَّالبَ بدمه ، الحسنَ السياسةِ الحسَنَ التدبير ، وهو أَخو أُمّ حَبيبة[2] أُمِّ المؤمنين زوجِ النبىّ صلى الله عليه ، وقد صحبه وهو أَحد الصحابة . ثم عرَّض له بالسلطان فقال : إِنْ هو وَلِىَ الأَمرَ أَكرمكَ كرامةً لم يُكرمْك أَحدٌ قطٌّ [مثلَها] . فقال أَبو موسى : اتَّقِ الله يا عمْرو ، أَمَّا ذكركَ شرفَ معاوية فإِن هذا الأَمر ليس على الشرف يُوَلاَّهُ أَهلُه ، ولو كان على الشَّرَف كانَ أَحقَّ الناس بهذا الأَمر أَبرهةُ بنُ الصَّباح . إِنما هو لأَهل الدين والفضل . مع أَنى لو كنتُ أُعطيهِ أَفضلَ قريشٍ شرفاً أَعطيتُه علىَّ ابن أَبى طالب . وأَما قولُك إِنَّ معاوية ولىُّ عثمان فولِّهِ هذا الأَمر ؛ فإِنى لم أَكن أُولِّيه معاويةَ وأَدعَ المهاجرين الأَوَّلين . وأَمَّا تعريضُك بالسلطان فو الله لو خَرَج لى من سلطانه ما وَلِيتُه ، ولا كنتُ لأَرتَشِىَ فى الله ، ولكنك إِن شئتَ أَحيينا سنَّة عمر بنِ الخطاب .

تداول أبي موسى وعمرو الرأى

نصر ، عن عمر بن سعد ، عن أَبى جَنَاب[3] أَنَّه قال : « واللهِ أَنْ

(١) هو عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى ، ولد على عهد رسول الله ، ومات أبوه فى ذلك الزمان ، فلذلك عد فى الصحابة . وقال العجلى : من كبار التابعين . الإصابة ٥٠٧٢ وتهذيب التهذيب. وكلمة « الأسود » ساقطة من الأصل و ح ، وقد سبق الاسم كاملا فى ص ٥٣٩ .

(٢) سبقت ترجمتها فى ص ٥١٨ .

(٣) أبو جناب ، أوله جيم مفتوحة فنون خفيفة ، هو يحيى بن أبى حية الكلبى ، وشهرته بكنيته . ضعفوه لكثرة تدليسه . مات سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « أبى خباب » وفى ح : « أبى حباب » والوجه ما أثبت .

لو استطعتُ لأُحيينَّ اسم عمر بن الخطاب » . فقال عمرو بن العاص : إن كنتَ تريدُ أن تبايعَ ابن عُمرَ فما يمنعُك من ابنى وأنت تعرفُ فَضلَه وصَلاحَه ؟ قال : إنّ ابنَك رجلُ صدق ، ولكنَّك قد غمستَه فى هذه الفتنة .

نصر : عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال أبو موسى لعَمرو : إنْ شئتَ ولَّينا هذا الأَمر الطيّبَ ابنَ الطيّب عبدَ الله بن عُمَر . فقال عمرو : إنّ هذا الأَمرَ لا يصلحُ له إلاَّ رجلٌ له ضِرْسٌ[1] يأْكُل ويُطْعِم ، وإن عبد الله ليس هناك . وكان فى أَبى موسى غَفْلة[2] . فقال ابنُ الزبير لابن عمر : اذهب إلى عمرو ابن العاص فارْشُه . فقال عبد الله بن عمر : لا واللهِ ما أَرشو عليها أَبداً ما عشت . ولكنَّه قال له : ويلك يا ابنَ العاص ، إنَّ العربَ قد أَسندتْ إليك أَمرَها بعدما تقارعَتْ بالسُّيوف وتشاجرَتْ بالرِّماح ، فلا تردَّهم فى فتنةٍ واتَّق الله .

نصر : قال عمر : عن أَبى زهير العبسى ، عن النَّضر بن صالح قال : كنتُ مع شريح بن هانئٍ فى غزوة سِجِسْتان ، فحدَّثنى أن عليًّا أَوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال له : قل لعمرو إنْ لقِيتَه : إنَّ عليًّا يقول لك : إنَّ أَفضلَ الخلق عند الله مَن كان العملُ بالحقِّ أَحبَّ إليه وإن نقَصَه ، وإنَّ أَبعدَ الخلق من الله مَن كان العملُ بالباطل أَحبَّ إليه وإن زاده . واللهِ ياعَمرُو إنَّك لتعلمُ أَينَ موضعُ الحق، فلِمَ تتجاهَلُ ؟ أَبِأَنْ أُوتيت طمعاً[3] يسيراً فكنتَ لله ولأَوليائه عدُوًّا ، فكأَنْ والله ما أُوتيت قد زال عنك؛ فلا تكنْ للخائنين خصيما ، ولا للظَّالمين

(١) فى الأصل : « إلا كل رجل ضرس » صوابه فى ح (١ : ١٩٨) والطبرى (٦ : ٣٩) .
(٢) الطبرى فقط : « فى ابن عمر غفلة » .
(٣) كذا فى الأصل و ح والطبرى . وأراها : « طعما » .

ظَهيراً . أَما إِنى أَعلمُ أَن يومَك الذى أَنت فيه نادمٌ هو يومُ وفاتك ، وسوفَ تتمنَّى أَنَّك لم تُظهرْ لمسلمٍ عداوة ولم تأْخُذْ على حُكم رشوة .

وصية على شريحاً بكلمات إلى عمرو

قال شُريح : فأَبلغتُه ذلك فتمعَّر وجهُ عمروٍ وقال : متى كنتُ أَقبلُ مشورة علىٍّ أَو أُنيبُ إِلى أَمره وأَعتدُّ برأْيه ؟ ! فقلتُ : وما يمنعك ياابنَ النابغةِ أَن تقبلَ مِن مولاك وسيِّد المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه مشورتَه . لقد كان مَنْ هو خيرٌ منك ، أَبو بكر وعمر ، يستشيرانِه ويَعملان برأْيه . فقال : إِنَّ مثلى لا يكلِّم مثلَك[1] . فقلتُ : بأَىِّ أَبوَيك ترغبُ عن كلامى ؟ بأَبيك الوشيظ[2] ، أَم بأُمِّك النابغة ؟ فقام من مكانه ، وأَقبلتْ رجالٌ من قريش على معاوية فقالوا : إِن عمراً قد أَبطأَ بهذه الحكومة ، وهو يريدُها لنفسه ، فبعثَ إِليه معاوية :

قصيدة معاوية إلى عمرو

نَفَى النومَ ما لا تبتغيه الأَضالعُ ... وكلُّ امرئٍ يوماً إِلى الصِّدقِ راجعُ[3]
فياعمرُو قد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... فياليتَ شِعْرِى عمرُو ماأَنتَ صانعُ
ويااليتَ شعرى عَن حديثٍ ضَمِنْتَهُ ... أَتحمله يا عمرُو؟ ماأَنتَ ضالعُ[4]
وقال رجالٌ إِنّ عَمراً يريدُهـــا ... فقلتُ لهم : عمرُو لِيَ اليومَ تابعُ
فإِن تكُ قد أَبطأْتَ عنِّى تبادرَتْ ... إِليك بتحقيق الظنونِ الأَصابعُ
فإِنى وربِّ الراقصـــاتِ عَشِيَّـــةً ... خَوَاضِعَ بالرُّكبانِ والنَّقعُ ساطعُ
بكَ اليومَ فى عَقْدِ الخلافة واثقٌ ... ومِنْ دون ما ظنُّوا به السم ناقع

---

(١) فى الأصل : « إلا مثلك » ، وكلمة « إلا » مقحمة .

(٢) الوشيظ : الخسيس ، والتابع ، والحليف ، والدخيل فى القوم ليس من صميمهم . وفى الأصل : « الوسيط » ، صوابه فى ح والطبرى .

(٣) فى الأصل : « ما لا يبلغنه » .

(٤) ضالع ، أراد به المطيق القوى ، من الضلاعة وهى القوة وشدة الأضلاع . ولم يرد هذا المشتق فى المعاجم ، وفيها « الضليع » .

فأَسرِعْ بها ، أَوأَبْطِ فى غير ريبةٍ ولاتعدُ، فالأَمر الذى حُمَّ واقعُ[1]

مصانعة عمرو لأبى موسى

عمر بن سعد قال : حدَّثنى أَبو جَنَاب الكلبىّ[2] ، أَنّ عَمراً وأَباموسى حيثُ التقيا بدُومَة الجندلِ أَخذ عمرٌو يقدِّم عبد الله بنَ قيسٍ فى الكلام ويقول : إِنَّك قد صَحِبتَ رسول الله صلى الله عليه قبلى وأَنتَ أَكبَرُ منِّى فتكلَّمْ ثم أَتكلَّمُ[3] . وكان عمرٌو قد عوّد أَبا موسى أَن يقدِّمه فى كلِّ شيءٍ[4] وإنما اغترّه بذلك ليقدِّمه[5] فيبدأَ بخلع علىّ . قال : فنظرا فى أَمرهما وما اجتمعا عليه فأَراده عَمرٌو على معاويةَ فأَبى ، وأَراده على ابنه فأَبى ، وأَراده أَبو موسى على عبد الله بن عُمَر فأَبى عليه عَمرو . قال : فأَخبِرْنى ما رأْيُك يا أَبا موسى ؟ قال : رأْيى أَن أَخلَعَ هذين الرجُلين عليًّا ومعاوية ، ثم نجعلَ هذا الأَمرَ شُورى بين المسلمين يختارون لأَنفسهم مَن شاءُوا ومن أَحبُّوا . فقال له عمرو : الرَّأْىُ ما رأَيتَ . وقال عمرو : يا أَبا موسى ، إنه ليس أَهلُ العراق بأَوثَقَ بك من أَهل الشَّام ، لغَضَبك لعثمان وبُغضك للفُرْقة ، وقد عرفتَ حالَ معاويةَ فى قريشٍ وشرفَه فى عبد مناف ، وهو ابن هندٍ وابنُ أَبى سفيان فما ترى ؟ قال أَرى خيراً . أَمَّا ثقةُ أَهلِ الشَّام بى فكيف يكون ذلك وقد سرتُ إليهم مع على . وأَما غضبى لعثمانَ فلو شهدتُه لنصرتُه . وأَما بُغْضى للفِتن فقَبَح الله الفِتَن وأَمّا معاويةُ فليس بأَشرفَ من علىٍّ .

(١) فى الأصل : « وكم تعدوا الأمر » .

(٢) فى الأصل : « أبو خباب» ، وفى ح (١ : ١٩٨) : « أبو حباب » ، صوابهما ما أثبت . وانظر ما سبق فى ص ٥٤١ .

(٣) ح : « فتكلم أنت وأتكلم أنا » . الطبرى (٦ : ٣٩) : « فتكلم وأتكلم » .

(٤) فى الأصل : « قد أعد أبا موسى يقدمه فى كل شىء » ، صوابه وتكلته من الطبرى .

(٥) الطبرى : « اغتزى بذلك كله أن يقدمه » وهى صحيحة ، فى اللسان : اغتزاه : قصده . وأنشد ابن الأعرابى (اللسان ١٩ : ٣٥٩) :

* قد يغتزى الهجران بالتجرم *

وباعَدَه أبوموسى . فرجع عمرٌو مغموماً . فخرج عمرٌو ومعه ابنُ عمٍّ له غلامٌ شابٌ ، وهو يقول : مباعدة أبي موسى

يا عمرُو إنَّكَ للأمورِ مجــرِّبٌ فارفُقْ ولا تَقْذِفْ برأيكَ أَجْمَعِ
واستَبْقِ منه ما استطعتَ فإنَّهُ لا خير فى رأيٍ إذا لم يَنْفَــعِ
واخلَعْ معاويةَ بنَ حربٍ خُدعةً يخلَعْ عليًّــا ســاعةً وتصنَّــعِ
واجعَلْهُ قَبْلَكَ ثم قُلْ مِنْ بعدِهِ اذهَبْ فما لكَ فى ابن هندٍ مَطمعُ
تلكَ الخديعةُ إن أَرَدْتَ خِداعَه والرَّاقصاتِ إلى منًى ، خُذْ أَو دَعِ

فافترصَها عمرو[1] وقال : يا أَبا موسى ، و ما رأيُك ؟ قال : رأْيِي أَنْ أَخلعَ هذين الرّجُلين ، ثم يختارَ الناسُ لأَنفسهم مَنْ أَحبُّوا . فأَقبَلاَ إلى الناسِ وهم مجتمِعون ، فتكلَّم أَبو موسى فحمِد الله وأَثْنى عليه فقال : إنَّ رأْيِي ورأْيَ عمرٍو قد اتَّفق على أَمرٍ نرجُو أن يُصلِحَ اللهُ به أَمرَ هذه الأُمّة . قال عمرو : صَدَق ! ثم قال : يا أَبا موسى فتكلَّمْ . فتقدَّم أَبو موسى ليتكلَّم فدعاه ابنُ عباسٍ فقال : وَيْحك ، إنى لأَظنُّه قد خَدَعك ، إنْ كنتما قد اتَّفقتُما على أَمرٍ فقدِّمْه قبلك فيتكلَّمَ بذلك الأَمرِ قبلَك ثم تكلَّمْ أنتَ بعدَه ؛ فإنَّ عمراً رجلٌ غَدّار ، ولا آمَنُ أن يكونَ قد أَعطاك الرِّضا فيما بينك وبينه ، فإذا قُمتَ به فى النَّاس خالَفَك .

وكان أَبو موسى رجلا مغفَّلا ـ فقال : [إيهاً عنك] ، إنا قد اتَّفقنا. فتقدَّم فحمد اللهَ وأَثنى عليه ثم قال : يأَيُّها الناس ، إنا قد نظَرْنا فى أَمر هذه الأُمّة ، فلم نر شيئاً هو أَصلحُ لأَمرها وأَلَمُّ لشَعْثها من أَلاَّ تتبايَن أُمورُها[2] . وقد أَجمَعَ رأْيِي ورأْيُ صاحبي عَمرٍو على خلع علىٍّ ومعاويةَ ، و [أَن] نستقبلَ هذا الأَمرَ فيكونَ شُورى بين المسلمين ، فيولُّون أُمورَهم

(١) يقال : فرص الفرصة ، وافترصها ، وتفرصها ، أى أصابها .
(٢) فى الأصل : « لشمثها الانبتر أمورها » ، صوابه فى ح .

من أحبُّوا . وإنى قد خلعْتُ عليًّا ومعاوية ، فاستقبِلوا أمركم وولُّوا مَن رأيتُمْ لها أهلاً . ثم تنحَّى فقعد .

التنازع حين الحكم

وقامَ عمرو بن العاص مَقامَه فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قال ما قد سمِعتُم وخلَعَ صاحبَه ، وأنا أخلَعُ صاحبَه كما خلعه ، وأُثبت صاحِبى معاوية [فى الخلافة] ؛ فإنه ولىُّ عثمانَ والطالبُ بدمِه ، وأحقُّ الناس بمقامه . فقال له أبو موسى : مالَكَ لا وَفَّقَك الله ، قد غدرتَ وفجرتَ . وإنما مثلُك مثلُ الكلبِ ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ إلى آخر الآية . قال : فقال له عمرو : إنما مثلك مثل ﴿الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ إلى آخر الآية . وحمل شُريح بن هانئ على عمرو فقنَّعه بالسَّوط ، وحمل عَلَى شريحٍ ابنٌ لعمرٍو فضربَه بالسَّوط ، وقام الناسُ فحجَزوا بينهم ، فكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندِمتُ على شىءٍ ندامَتى أن لا ضربتُه بالسَّيف بدلَ السوط . والتمس أصحابُ علىٍّ أبا موسى فركِب ناقتَه فلحِق بمكَّة ، فكان ابن عباس يقول : قبَح الله أبا موسى ، حذَّرته وأمَرْتُه بالرَّأى فما عَقَل[1] . وكان أبو موسى يقول : قد حذَّرنى ابنُ عباسٍ غدرةَ الفاسق ولكن اطمأننْتُ إليه ، وظننتُ أنَّه لن يؤْثِرَ شيئاً على نصيحة الأُمَّة . ثم انصرف عمرٌو وأهل الشام إلى معاوية فسلَّموا عليه بالخلافة ، ورجع ابنُ عباسٍ وشُريح بن هانئ إلى علىّ . وقال الشَّنِّىّ :

التسليم على معاوية بالخلافة

قصيدة الشنى

ألم تَرَ أنّ اللهَ يقضى بحُكْمِهِ — وعمرٌو وعبدُ الله يَخْتَلِفان
وليسا بمهدَى أُمّةٍ من ضلالة — بدرماءَ سخما فتنةً عَمِيَانِ[2]
أثارا لما فى النفس من كلِّ حاجة — شديدان ضَرَّارانِ مؤتلفانِ[3]

(١) وكذا فى الطبرى (٦ : ٤٠) . وفى ح (١ : ١٩٩) : « وهديته إلى الرأى فا عقل » .
(٢) كذا ورد هذا العجز .
(٣) كذا .

أَصَمَّانِ عن صَوتِ المنادِى تراهما على دَارةِ بَيضاءَ يَعتلجانِ
فياراكباً بلغ تَميمًا وعامرا وعَبْساً وبلِّغ ذاك أهلَ عُمانِ
فما لكمُ ، إلا تكونوا فجرتمْ بإدراك مَسْعَاةِ الكرام . يَدَانِ[1]
بكتْ عينُ مَن يبكى ابنَ عفَّان بَعدما نَفَى ورقَ الفُرْقانِ كلَّ مكانِ
كِلاً فئتيه عاشَ حَيًّا وميِّتاً يكادان لولا الحقُّ يشتبهانِ

رسالة عمرو إلى معاوية يخبره بالأمر

ولما فعل عمرٌو ما فعل واختلطَ النَّاسُ رجَعَ إلى منزله فجهَّز راكبا إلى معاوية يُخبره بالأَمرِ من أَوَّله إلى آخره . وكتب فى كتابٍ على حِدَة[2] :

أَتَتْكَ الخلافةُ مزْفُوفةً هنيئاً مريئاً تُقِرُّ العُيونا
تُزَفُّ إليك كزَفِّ العَروسِ بأَهْوَنَ من طَعْنك الدَّارعينا
وما الأَشعرىُّ بصَلْدِ الزِّنادِ ولا خَامِلِ الذِّكرِ فى الأَشعَرِينا
ولكن أُتِيحَتْ له حَيَّةٌ يظلّ الشُّجاعُ لها مُستكِينا
فقالوا وقلتُ وكنتُ امرأً أُجَهْجِهُ بالخَصْمِ حَتَّى يَلِينا
فخُذْها ابنَ هِندٍ على بَأْسِها فقد دَافَعَ اللهُ ما تَحْذَرُونا
وقد صَرَفَ اللهُ عن شامِكُمْ عدوًّا شَنِيًّا وحَرْباً زَبُونا[3]

كلام سعيد وكردوس

وقام سعيد بن قيس الهمدانىّ فقال : والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحنُ الآن عليه ، وما ضلالُكما بلاَزِمِنا ، وما رجعتما إلا بما بدأْتُما ، وإنَّا اليومَ لعلَى ما كنَّا عليه أمس .

وتكلم الناسُ غيرَ الأَشعث بن قيس ، وتكلم كُردوس بن هانئ فقال :

---

(1) فى الأصل : « معصات » ، تحريف . وفى اللسان : « والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل مساعى ، واحدتها مسعاة ؛ لسعيهم فيها ، كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم » . وقال عبدة بن الطبيب فى المفضلية ٢٧ :

فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا تبقى لكم منها مآثر أربع

(2) فى الأصل : « عليحدة » .
(3) ح : « عدواً مبيناً » .

أَمَا واللهِ إني لأَظنُّك أَوّلَ راض بهذا الأَمر يا أَخا ربيعة . فغضب كردوسٌ فقال :

أَياليتَ مَن يَرْضَى من النَّاسِ كلِّهم	بعمرٍو وعبدِ اللهِ فى لُجَّـــة البحرِ
رضِينَا بحُكْمِ اللهِ لا حُكْمَ غيرُه	وباللهِ ربًّا والنبيِّ وبالـــذِّكر
وبالأَصلع[1] الهـادِى علىٍّ إمامِنا	رضِينَا بذاكَ الشّيخ فى العُسْرواليُسْرِ
رضينـــا به حَيًّـــا ومَيْتـــاً وإنَّه	إمامُ هُدًى فى الحُكْمِ والنَّهْىِ والأَمْرِ
فمن قال لا قُلْنا بَلَى إنَّ أَمـــرَهُ	لأَفْضَلُ ما نُعطاهُ فى لَيلة القَـــدْرِ
وما لابن هند بَيْعةٌ فى رقابنـــا	وما بينَنَا غيرُ المثقَّفــةِ السُّمْـــرِ
وبيضٍ تُزِيلُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّه	وهيهاتَ هيهاتَ الوَلَا[2] آخرَ الدَّهْرِ
أَبَتْ لِيَ أَشياخُ الأَراقم سُبَّةً[3]	أُسَبُّ بها حتَّى أُغيَّبَ فى القَبْرِ

كلام يزيد بن أسد القسرى

وتكلَّم يزيد بن أَسد القَسْرىّ ــ وهو من قُوّاد معاوية ــ فقال : يا أَهلَ العراق ، اتَّقوا الله ؛ فإنّ أَهونَ ما يردُّنا وإيَّاكم إليه الحربُ ما كُنَّا عليه أَمسِ ، وهو الفَناءُ . وقد شَخَصت الأَبصارُ إلى الصُّلح ، وأَشرفَتِ الأَنفسُ على الفناءِ[4] ، وأَصبح كلُّ امرئٍ يَبكِى على قَتيل . مالكُمْ رضِيتم بأَوّلِ أَمرِ صاحبِكم وكرِهتُم آخِرَه . إنَّه ليس لكم وحدَكم الرِّضا .

تشاتم عمرو وأبي موسى

فتشاتم عمرٌو وأَبو موسى من ليلته ، فإذا ابنُ عمٍّ لأَبى موسى يقول :

أَبا مُوسى خُدِعتَ وكنتَ شيخاً[5]	قريبَ القَعْرِ مَدْهُوشَ الجَنَـــانِ
رمَى عَمرٌو صَفَاتَك يا ابن قيسٍ	بأَمرٍ لا تنـــوءُ به اليَـــدَان

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٢٣ س ٦ - ٧ .

(٢) ح (١ : ١٩٩) : « الرضا » .

(٣) انظر للأراقم ما مضى فى ص ٤٨٦ .

(٤) فى الأصل : « البقاء » ، صوابه من ح .

(٥) فى الأصل : « بليت فكنت شيخاً » ، وأثبت ما فى ح .

وقد كُنَّا نجمجِمُ عن ظُنــون فصرَّحَت الظُّنــونُ عن العِيــانِ
فَعضَّ الكفَّ من نَدمٍ ومــاذا يردُّ عليك عَضُّــك بالبَنــانِ

قال : وشمِت أهلُ الشَّام بأهل العراق . وقال كعبُ بن جَعيلٍ التَّغْلبىّ[1] ، وكان شاعرَ معاوية ، قال :

ما قيل من الشعر بعد الحكم

كأنَّ أبا مُوسى عَشِيّةَ أَذْرُحٍ يطوفُ بلقمانَ . الحكيمِ يواربُه
فلمَّا تلاقَوا فى تُراثِ محمّــد نَمَتْ بابن هندفى قُريش مَضاربُه[2]
سَعَى بابنِ عَفَّــان ليُدركَ ثأْرَهُ وأولَى عِبادِ اللهِ بالثَّأْر طــالبُه
وقد غَشِيَتْنا فى الزُّبير غضــاضةٌ وطلحةَ إذ قامتْ عليــه نَوَادِبُه
فردّ ابنُ هندٍ مُلْــكَه فى نِصابه ومَنْ غالبَ الأَقدارَ فاللهُ غــالبُه
وما لِابنِ هندٍ فى لؤىّ بن غالبٍ نظيرٌ وإن جــاشتْ عليه أقاربُه
فهذاك مُلْكُ الشَّامِ وافٍ سَنامُه وهذاكَ مُلْكُ القَومِ قد جُبَّ غاربه
يحــاوِلُ عبــدُ اللهِ عمْراً وإنَّه ليَضْرِب فى بَحرٍ عَرِيضٍ مذاهبُه
دَحا دَحْوةً فى صدره فهوَتْ به إلى أسفل المَهْوَى ظُنــونٌ كواذبُه

فردّ عليه رجلٌ من أصحاب علىّ فقال :

غدرتُم وكانَ الغَدْرُ منكم سَجِيَّةً فما ضرّنا غَدْرُ اللَّئيمِ وصــاحبُه
وسَمَّيتمُ شَــرَّ البرية مُؤمنــاً كَذَبْتُم فشرُّ النَّاسِ للناسِ كاذبُه
ولــكم[3] بن حــربٍ بصيرة بلعن رسول اللهِ إذْ كان كاتبُه

---

(١) فى الأصل : « وقال أبا موسى إنما كان غدراً من عمرو» وما بعد « قال » مقحم . وفى الأصل أيضاً : « كعب بن جعيل الثعلبى » ، والصواب ما أثبت . وهو كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل . انظر الخزانة (١ : ٤٥٨ — ٤٥٩) .

(٢) وكذا الرواية فى معجم البلدان (أذرح) وفى ح : « مناسبه » ، وهما بمعنى . وفى اللسان : « ابن سيده : ما يعرف له مضرب عسلة ، أى أصل ولا قوم ولا أب ولا شرف » .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل . وهذه المقطوعة لم ترد فى ح .

وقال عمرو بن العاص حين خَدَع أبا موسى .

خَدَعْتُ أَبا موسى خديعةَ شيظمٍ ... يُخادِع سَقْباً فى فَلاةٍ من الأَرضِ (١)
فقلتُ له إنَّا كرهْنَــا كليهما ... فنَخْلَعُهُمَا قبل التَّلاتلِ والدَّحْضِ (٢)
فإنَّهما لا يُغْضِيــانِ على قَـذًى ... من الدَّهرِ حَتَّى يَفْصِلان على أَمْضِ (٣)
فطــاوَعَنِى حتَّى خلعتُ أَخاهم ... وصارَ أَخونا مستقيماً لدى القبْضِ
وإنَّ ابنَ حربٍ غيرُ مُعطيهم الوَلا ... ولا الهاشميِّ الدهرَ أَوبربع الحمضِ (٤)

فرد عليه ابن عباس فقال :

كذبتَ ولكن مثلُك اليومَ فاسقٌ ... على أمركم يبغى لنا الشَّرَّ والعَزْلاَ
وتزعُم أَنَّ الأَمر منكَ خَديعــةٌ ... إليه وكلَّ القولِ فى شأْنكم فضلا
فأَنتُمْ وربِّ البيت قد صارَ دينكم ... خِلافاً لدين المصطفى الطيِّبَ العَدْلا
أَعــاديتُمُ حِبَّ النبيِّ ونَفْسَــهُ ... فما لكُم من سابقاتٍ ولا فَضْلاَ
وأَنتمْ وربِّ البيت أَخْبَثُ مَنْ مَشَى ... على الأَرض ذا نعلين أَوحافياً رجْلا
غدرتمْ وكان الغَدْرُ منكم سجيّةً ... كأَن لم يكن حرثاً وأَن لم يكن نَسْلاَ (٥)

طواف أبى موسى بالبيت بعد الحكم

قال : ولُحِق أَبو موسى وهو يطُوف بالبيت بمكة .

نصر ، قال : فحدثنى عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، عن طاوس قال : سأَلت أَبا موسى وهو يطُوف بالبيت فقلت له : أَهذه الفتنةُ

---

(١) فى الأصل : « خداعة شيظم » وإنما هى الخديعة . والشيظم : الطويل الجسيم الفتى من الناس والخيل والإبل . والسقب : ولد الناقة .

(٢) التلاتل : الشدائد . والدحض : الزلق والزلل .

(٣) الأمض : الباطل والشك . وحتى ، فى البيت ، ابتدائية ، كما فى قوله :

* ولا صلح حتى تضبعون ونضبعا *

انظر الخزانة (٣ : ٥٩٩) .

(٤) كذا ورد هذا العجز .

(٥) فى الأصل : « فإن لم يكن حرثاً » .

التى كنّا نسمعُ بها ؟ قال : ابنَ أخى ، هذه حَيْصَةٌ من حَيْصَات الفِتَن ، فكيف بكم إذا جاءتكم المثْقِلة الرَّدَاح ، تقتل مَن أشرَفَ لها ، وتموج بمن ماج فيها .

وقال الهيثم بن الأسود النَّخعىّ :

شعر الهيثم فى الحكم

لمَّـا تداركتِ الوفـودُ بأذْرُحٍ ... وبأشعرىٍّ لا يحلُّ له الغَـدْرُ[(١)]

أدّى أمـانَتَهُ وأوفَى نَذْرَهُ ... وصَبَـا فأصبحَ غادراً عمرُو[(٢)]

ياعمرُو إنْ تَدَعِ القضيَّةَ تعْترفْ ... ذلَّ الحيـاةِ ويُنزعِ النَّصرُ

تَرَكَ القُرآنَ فما تأوّلَ آيَهُ[(٣)] ... وارتابَ إذ جُعِلَتْ له مصْرُ

دخول جمع من الصحابة على على

قال نصر : وفى حديث عمر بن سعد : ودخل عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبى وقّاص ، والمغيرةُ بن شعبة مع أُناسٍ معهم ، وكانوا قد تخلَّفوا عن علىٍّ ، فدخلوا عليه فسألوه أنْ يُعطيَهم عَطاءَهم ــ وقد كانوا تخلَّفوا عن علىٍّ حين خرج إلى صِفِّين والجمل ــ فقال لهم علىّ : ماخلَّفكم عنِّى ؟ قالوا : قُتِل عثمانُ ، ولا ندرى أحِلٌّ دمُه أم لا ؟ وقد كان أحدَثَ أحداثاً ثم استتبتموه فتاب ، ثمّ دخلْتم فى قتله حين قُتِل ، فلسنا ندرى أصَبْتُم أم اخطأْتم ؟ مع أنّا عارفون بفضْلك يا أمير المؤمنين وسابِقَتِك وهجرتك. فقال علىٌّ : ألستم تعلمون أنَّ الله عزّ وجلّ قد أمرَكم أنْ تأْمروا بالمعروف وتَنْهَوا عن المنكر فقال : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُما عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى

(١) كذا ورد هذا العجز . وفى معجم البلدان (أذرح) : « وفى أشعرىّ لا يحل له غدر ». وهذا العجز فى هذه الرواية من بحر الطويل ، والأبيات من الكامل .

(٢) صبا : خرج ومال بالعداوة . وفى الأصل : « وسما »، وبدلها فى معجم البلدان : « عنه وأصبح » .

(٣) فى الأصل : « ترك القرآن فأول »، وصوابه من معجم البلدان .

تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ ٱللهِ ﴾ ؟ قال سعد : يا علىّ ، أعطِنى سَيفاً يعرفُ الكافرَ من المؤمن، أخاف أن أقتُل مؤمناً فأَدخلَ النَّار. فقال لهم علىّ : أَلستم تعلمون أنَّ عثمان كان إماماً بايعتموه على السَّمع والطاعة ، فعلام خذَلْتُمُوه إن كان محسناً ، وكيف لم تقاتلوه إذ كان مسيئاً ؟ ! فإنْ كان عثمانُ أَصابَ بما صنَع فقد ظَلمتم إذ لم تنصُروا إمامَكم . وإن كان مسيئاً فقد ظلمتم إذْ لم تُعِينوا من أَمَرَ بالمعروف ونَهَى عن المنكر . وقد ظَلَمتم إذْ لم تقوموا بيننا وبين عدوِّنا بما أمرَكم اللهُ به ؛ فإنه قال : ﴿ قَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ[1] ﴾ . فردّهم ولم يُعْطِهم شيئا .

دعاء على ومعاوية

وكان علىّ عليه السلام إذا صلَّى الغداةَ والمغربَ وفرَغَ من الصلاة يقول[2] « اللهم ٱلْعَنْ معاوية ، وعَمراً ، وأَبا موسى[3] ، وحبيبَ بنَ مَسْلَمة ، والضحَّاك بن قيسٍ ، والوليدَ بنَ عُقبة ، وعبد الرحمن بنَ خالد بن الوليد». فبلغ ذلك معاويةَ فكان إذا قنت[4] لَعَن عليًّا ، وابن عباسٍ وقيسَ بن سعد ، والحسنَ ، والحسين .

وقال الراسبىُّ ، من أهل حَرُورا :

قصيدة الراسبى

نَدِمنا على ما كان منَّا ومَنْ يُرِدْ سوى الحقِّ لا يُدْرِكْ هواه ويندَمِ
خرجْنا على أَمرٍ فلم يكُ بيننـــا وبينَ علىٍّ غيرُ غـــابٍ مُقَـــوَّمِ
وضَربٍ يُزِيلُ الهامَ عن مستقَرِّهِ كِفاحاً كفاحاً بالصَّفيح المصمِّمِ
فجاءَ علىٌّ بالتى ليسَ بَعْـــدَها مَقالٌ لِذِى حِلْمٍ ولا متحلِّمِ

(١) من الآية ٩ فى سورة الحجرات . وقد استشهد بالآية مع إسقاط الفاء فى أولها ، وهو جائز . انظر حواشى الحيوان (٤ : ٥٧) .
(٢) فى الطبرى (٦ : ٤٠) : « وكان إذا صلى الغداة يقنت » .
(٣) وكذا فى ح (١ : ٢٠٠) لكن بدله فى الطبرى : « وأبا الأعور السلمى » .
(٤) وكذا فى الطبرى ، لكن فى ح : « فكان إذا صلى » .

رمانا بمُرِّ الحقّ إذ قال جئتمُ   إلىّ بشيخٍ للأشاعر قشعمِ
فقلتمْ رضينَا بابن قيسٍ وما لنا   رضاً غير شيخٍ ناصحِ الجَيْبِ مسلمِ
وقال : ابنُ عبّاسٍ يكون مكانَه   فقالوا له : لا لا ألا بالتهجُّمِ
فما ذنبُه فيه وأنتمْ دعوتمُ   إليه عليًّا بالهَوى والتقحُّمِ
فأصبحَ عبدُ اللهِ بالبيت عائذاً   يُريد المُنَى بين الحَطيمِ وزَمْزَمِ

— من هنا إلى موضع العلامة ليس عند ابن عقبة —

قصيدة النابغة الجعدى

وقال نابغة بنى جعدة . وقال : [هى] عندنا أكثر من مائة بيتٍ فكتبت الذى يُحتاج إليه :

سألَتْنِى جارتى عن أُمَّتى   وإذا ما عَىَّ ذو اللُّبِّ سألْ
سألَتْنِى عن أُناسٍ هَلَكُوا   شَرِبَ الدَّهرُ عليهمْ وأكَلْ[1]
بلغُوا الملكَ فلمَّا بلَغوا   بخَسارٍ وانتهى ذاكَ الأجَلْ
وَضَع الدهرُ عليهمْ بَرْكَهُ   فأُبِيدُوا لم يُغادَرْ غيرُ تلّْ
فأرانِى طَرِباً فى إثْرِهِمْ   طَرَبَ الوالهِ أو كالمختَبَلْ[2]
أَنْشُدُ الناسَ ولا أُنشِدُهم   إنما يَنْشُدُ مَنْ كانَ أضلّْ[3]
ليتَ شِعرِى إذْ مَضى ماقدْ مَضى   وتجلَّى الأمرُ للهِ الأجَلّْ
ما يُظنَّنَّ بناسٍ قَتَلُوا   أهلَ صِفِّينَ وأصحابَ الجملْ
أينامون إذا ما ظَلَمُوا   أم يبيتون بخَوفٍ ووجلْ

وقال طُلْبة بن قيس بن عاصم المِنقرىّ :

---

(١) انظر الكلام على نسبة هذا البيت وروايته الحيوان (٥ : ٢٨) .

(٢) الطرب ، ها هنا : الحزن . والواله : كل أنثى فارقت ولدها . وفى الأصل : « الوالد » تحريف .

(٣) أنشد : أطلب . ولا أنشدهم : لا أدلعليهم. وفى الأصل : « من قال أضل » وصوابه من اللسان (٤ : ٤٣٣) .

إذا فازَ دُونى بالمـــودَّة مـــالكٌ[1] وصاحبُه الأَدنى عَدىُّ بنُ حاتمِ

وفاز بها دونى شُرَيحُ بنُ هانئ ففيم نُنَـــادِى للأُمـــور العظائِم

ولو قيلَ من يَفْدِى عليًّا فديتَه[2] بنفسك ياطُلبَ بنَ قيسِ بنِ عاصِمِ

لقلتَ: نعم تَفْدِيه نَفسٌ شحيحةٌ ونَفْدِى بسَعدٍ كلِّهـــا حىَّ هاشِم

لقاء معاوية لعامر بن واثلة

نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفى قال : سمعت تميم بن حذيم[3] الناجىّ يقول : لمّا استقام لمعاوية أَمرُه لم يكن شىءٌ أَحبَّ إليه من لقاء عامرِ بن واثلة ، فلم يزل يكاتبُه ويُلْطف حتى أتاه ، فلما قدِم ساءَله عن عَرَب الجاهلية . قال : ودخل عليه عمرو بن العاص ونفرٌ معه فقال لهم معاوية : تعرفون هذا ؟ هذا فارسُ صِفِّينَ وشاعرُها ؟هذا خليلُ أَبى الحسن . قال : ثم قال : يا أَبا الطُّفيل ، ما بَلَغ من حبِّك عليًّا ؟ قال : « حبّ أُمِّ موسى لموسى » . قال : فما بلغ من بُكائك عليه ؟ قال : « بُكاءُ العجوزِ المِقْلاتِ[4] ، والشيْخ الرقوب[5] . إلى الله أَشكو تقصيرى » . فقال معاوية : ولكنَّ أَصحابى هؤلاء لو كانوا سُئِلوا عنِّى ما قالوا فىَّ ماقلتَ فى صاحبك . قال : « إنَّا والله لا نقولُ الباطل » : فقال لهم معاويةُ : لا والله ولا الحقَّ . قال : ثم قال معاوية : هو الذى يقول :

إلى رَجَبِ السَّبْعِينَ تعترفـــوننى مع السَّيفِ فى خيلٍ وأَحمِى عدِيدَها[6]

إجازة أبى الطفيل لقصيدة عامر بن واثلة

وقال معاوية : يا أَبا الطفيل ، أَجزْها . فقال أَبو الطفيل :

زَحُوف كرُكن الطَّودِ كلُّ كتيبة إذا استمكنت منها يُفَلُّ شديدُها

---

(١) مالك ، هو مالك بن الحارث ، المعروف بالأشتر النخعى . وفى الأصل : « هالك » .

(٢) فى الأصل : « ولو قيل بعدى من على » ، صوابه ما أثبت .

(٣) الوجه فيه : « بن حذلم » كما سبق فى ص ١٦٩ ، ٢٤٥ .

(٤) المقلات : التى لا يبقى لها ولد . وفى الأصل : « الملناة » ، تحريف .

(٥) الرقوب : الذى لا يبقى له ولد .

(٦) الإجازة هنا تقتضى أن يكون « عديدها » بالرفع ، فيبدو أن فى البيت تحريفاً .

كَأَنَّ شُعَاع الشَّمس تحتَ لوائِها | مقارمها حُمْر النَّعام وسودُها[1]
شِـعارهُم سِيمَا النبيِّ ورايةٌ | بها يَنْصُر الرَّحمنُ ممَّن يكيدُها
لها سَرَعَانٌ من رجـالٍ كأنَّهَا | دواهِي السِّباع نُمْرُها وأُسودُها[2]
يمُورون مَوْرَ الموجِ ثمَّ ادِّعاؤهم | إلى ذاتِ أَنْدَادٍ كثيرٍ عـديدُها
إذا نَهَضت مدّتْ جَناحينِ منهمُ | على الخيل فُرسانٌ قليلٌ صدودُها
كهولٌ وشُبّانٌ يَرونَ دمـاءكم | طَهُوراً وثاراتٍ لها تَستَقِيدُها[3]
كأنّى أَراكم حين تختلِفُ القَنَا | وزالَتْ بأَكفالِ الرجالِ لُبودُها[4]
ونحن نكُرّ الخيلَ كَرًّا عليكُمُ | كخَطْفِ عِتاقِ الطَّيرطيراً تصيدُها
إذا نُعِيَتْ موتَى عليكم كثيرةٌ | وعَيّتْ أمورٌ غاب عنكم رشيدُها
هنـالك النَّفس تابعة الهـدى | ونار إذا ولَّتْ وأَزَّ شـديدُها[5]
فلا تجزعوا إنْ أَعقَبَ الدَّهرُ دَوْلةً | وأَصبح مَنْآكُمْ قريبـاً بعيدُها

فقالوا : نعم ، قد عرفناه ، هذا أفحشُ شاعر ، وأَلأَمُ جليس[6] فقال معاوية : يا أَبا الطفيل ،أَتعرف هؤلاءِ؟ قال : ما أَعرفُهم بخيرٍ ولا أُبعدهم من شرٍّ . فأَجابه [أَيمنُ بنُ[7]] خُرَيمٍ الأَسدىّ :

إجابة خريم الأسدى

إلى رجبٍ أَو غُرّةِ الشّهرِ بَعـدَه | يُصَبِّحُكمْ حُمْرُ المنايا وسُودُهـا

(١) مقارمها ، كذا وردت.
(٢)السرعان بالتحريك : أوائل القوم المستبقون إلى الأمر . وفى الأصل : « لها شرعاء » والوجهما أثبت . وفى الأصل أيضاً : « دواعى السباع »، تحريف .
(٣)تستقيدها : تطلب القود فيها . والقود ، بالتحريك : قتل النفس بالنفس . وفى الأصل: « يستعيدها »، محرفة .
(٤)الأكفال : جمع كفل ، بالكسر ، وهو الذى لا يثبت على ظهور الخيل .
(٥) كذا ورد هذا البيت.
(٦) فى الأصل : « وألم جليس ».
(٧) هاتان الكلمتان ساقطتان من الأصل . وانظر ٤٣١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

ثمانينَ ألفاً دينُ عُثمانَ دينهم كتائبُ فيهـا جِبْرئيلُ يَقـودُها

فمَنْ عاش عبداً عاشَ فينا ومن يمُتْ

في النّـار يُسقَى ، مُهْلُها وَصديدُهـا

ـ من هنا عند ابن عقبة ـ

أسماء من قتل من أصحاب علي

نصر ، عن عمرو بن شمر عن جابر قال : سمعت تميم بن حِذيم[1] الناجيّ يقول : أُصيب في المبارزة من أصحاب عليّ[2] :

عامر بن حنظلة الكندى يوم النّهر ، وبُسر بن زُهير الأزديّ ، ومالك ابن كعب العامريّ ، وطالب بن كلثوم الهمدانى ، والمرتفع بن الوضّاح الزبيديّ أُصيب بصفّين ، وشُرَحْبيل بن طارقٍ البكرى ، وأسلم بن يزيد الحارثى ، وعلقمة بن حُصين الحارثى ، والحارث بن الجُلاح الحكميّ ، وعائذ بن كُريب الهلالى ، وواصل بن ربيعة الشيبانيّ ، وعائذ بن مسروق الهَمْدانيّ ، ومُسلِم بن سعيد الباهليّ ، وقُدامة بن مسروق العبديّ ، والمخارق ابن ضرارٍ المراديّ ، وسَلْمان بن الحارث الجُعفيّ ، وشُرَحْبيل بن الأبرد الحضرميّ ، والحصين بن سَعيد الجرشى ، وأبو أيّوب بن باكر الحكَميّ ، وحَنظلة بن سعد التميميّ ، ورُوَيم بن شاكر الأحمرى ، وكلثوم بن رواحة النّمريّ ، وأبو شُريح بن الحارث الكَلاعيّ ، وشُرَحبيل بن منصور الحكَميّ ، ويزيد بن واصل المَهْرِيّ ، وعبد الرحمن بن خالد القَيْنيّ ، وصالح بن المغيرة اللّخميّ ، وكُريب بن الصباح الحميريّ من آل ذى يزن قتله على[3] ، والحارث بن وداعة الحميريّ ، وروق بن الحارث الكَلاعيّ ، والمُطاع بن المطّلب القينى ، والوضّاح بن أدهم السّكسَكى ،

(١) انظر ما سبق في ص ٥٥٥.

(٢) كذا . ونجد في جملة من سرد من الأعلام أسماء كثير من أصحاب معاوية . وقد تعذر التمييز الدقيق بين هؤلاء وهؤلاء لندرة تراجمهم . كما أن هذه الأسماء تضمنت بعض من قتل في غير صفين .

(٣) قتله علي يوم صفين. انظر الإصابة ٧٤٨٣ .

وجلهمة بن هِلالٍ الكلبيّ ، وابن سَلامان الغسّانى ، وعبد الله بن جريش العكّىّ ، وابن قيس ، والمهاجر بن حنظلة الجهنىّ ، والضحّاك بن قيس ، ومالك بن وَديعة القرشى ، وشريح بن العطاء الحنظلىّ ، والمخارق بن علقمة المازنىّ ، وأبو جهل بن ظالم الرُّعَينىّ ، وعبيدة بن رياح الرُّعَينىّ ، ومالك بن ذات[1] الكلبىّ ، وأكيل بن جمعة الكنانىّ ، والربيع بن واصل الكَلاعىّ ، ومطَرِّف بن حُصين العكّىّ ، وزبيد بن مالك الطائى ، والجهم بن المعلَّى ، والحُصين بن تميم الحميريّان ، والأبرد بن علقمة الحُرَقىّ من أصحاب طلحة والزُّبير ، والهذيل بن الأشهل التميمىّ ، والحارث ابن حنظلة الأَزدىّ ، ومالك بن زهير الرَّقاشىّ ، وعَمرو بن يَثْربىّ الضَّبىّ[2] ، والمجاشع بن عبدِ الرحمن ، والنعمان بن جبير اليشكرىّ[3] والنَّضْر بن الحارث الضَّبىّ ، والقاسم بن منصور الضَّبىّ ، ورامل بن طلحة الأُزدىّ ، وكُرز بن عطيّة الضبى ، ورفاعة بن طالب الجُرهمىّ ، والأشعث بن جابر ، وعبد الله بن المِنْهال الساعدىّ ، وعبد الله بن الحارث المازنىّ ، والحكَمُ بن حنظلة الكندىّ ، وأبرهة بن زهير المذحِجىّ ، وهند الجَمَلىّ[4] ، ورافع بن زيد الأنصارىّ ، وزيد بن صُوحَان

---

(١) كذا . ولعلها : « زرارة » .

(٢) عمرو بن يثربى الضبى ، كان من رءوس ضبه فى الجاهلية ثم أسلم . وهو قاتل علباء بن الهيثم السدوسى ، وهند بن عمرو الجملى ، وزيد بن صوحان العبدى ، قتلهم يوم الجمل ، فأسره عمار بن ياسر فجاء به إلى على رضى الله عنه فأمر بقتله . ولم يقتل أسيراً غيره . وهو القائل :

إن تقتلونى فأنا ابن يثربى ... قاتل علباء وهند الجملى
ثم ابن صوحان على دين على

انظر الإصابة ٦٥١٣ والاشتقاق ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٣) فى الأصل : « والمجاشع بن عبد الرحمن النعمانى بن حبير اليشكرى » . والوجه ما أثبت .

(٤) هو هند بن عمرو الجملى ، نسبة إلى جمل بن سعد العشيرة ، حى من مذحج . انظر المعارف ٤٨ والانستقاق ٢٤٦ واللسان (مادة جمل) ، قتله عمرو بن يثربى ، كما سبقت الإشارة إليه فى التنبيه الثانى . انظر الإصابة ٩٠٥٦ . وفى الأصل : « همد الحملى » ، تحريف .

العبدىّ[1] ومالك بن حذيم الهَمْدانى[2] ، وشُرَحْبيل بن امرئ القيس الكندى ، وعِلْباءُ بن الهيثم البكرىّ[3] ، وزيد بن هاشم المرّىّ ، وصالح بن شُعيب القيسىّ ، وبكر بن علقمة البَجَلىّ ، والصامت بن قنسلى الفوطى[4] ، وكليب بن تميم الهلالى ، وجهم الراسبىّ ، والمهاجر بن عُتبة الأَسدىّ ، والمستنير بن مَعقِل الحارثىّ ، والأَبرد بن طهرة الطُّهوىّ ، وعِلباءُ بن المخارق الطائى ، وبواب بن زاهر[5] ، وأبو أَيوب بن أَزهر السلمىّ . زهاءُ عشرة آلاف .

وأُصيب يوم الوقعة العظمى أَكثرُ من ذلك ، وأُصيب فيها من أَصحاب علىٍّ ما بين السبعمائة إلى الأَلْف .

وأُصيب بصفِّين من أَهل الشَّام خمسةٌ وأَربعون أَلفاً .

وأُصيب بها من أَهل العراق خمسة وعشرون أَلفاً .

وأُصيب يوم النَّهرَوَانِ على قنطرة البَرَدان[6] من المحكِّمة خمسةُ آلاف .

---

(١) وهذا زيد قتله كذلك عمرو بن يثربى الضبى ، فى وقعة الجمل . اختلف فى صحبته . الإصابة ٢٩٩١ .

(٢) هذا غير مالك بن حريم الهمدانى الشاعر الجاهلى الذى ذكره المرزبانى فى معجمه ص ٣٥٧ .

(٣) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسى البكرى ، نسبة إلى سدوس بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . استشهد فى وقعة الجمل ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى ترجمة عمرو بن يثربى ص ٥٥٧ .

(٤) كذا ورد هذا الاسم .

(٥) المعروف فى أعلامهم « ثواب » . ومنه المثل : « أطوع من ثواب » .

(٦) قنطرة البردان ، بفتح الباء والراء . والبردان : محلة ببغداد . انظر معجم البلدان . وفى الأصل : « البودان » . تحريف .

وأُصيب منهم أَلفٌ بالنُّخيلة بعد مُصاب علىّ .

وأُصيب من أَصحاب علىٍّ يوم النَّهْرَوَان أَلفٌ وثلاثمائة .

قال : وذكر جابرٌ عن الشعبي وأَبى الطُّفيل ، ذكروا فى عدّة قتلى صفِّين والنَّهرَوان والنُّخيلة نحواً مما ذكر تميمٌ الناجىّ .

آخر كتاب صفين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبى وآله وسلَّمَ تسليما كثيراً .

الفهارس الفنّية

١ – فهرس الأعلام

(*) تكررت الأعلام التالية تكراراً لا يحتاج معه إلى التنبيه على أرقامها ، وهى : على بن أبى طالب ، عثمان بن عفان ، معاوية بن أبى سفيان ، الأشتر النخعى ، عمرو بن العاص ، عمر بن سعد الراوى ، وعمرو ابن شمر الراوى ، فاكتفيت بالإشارة إليها . وما وضع من الأرقام بين قوسين فهو موضع الترجمة ، وما سبق من الأعلام بنجم فهو من الرواة .

(ح)

(خ)

٢ ـ فهرس القبائل والطوائف

٣ – فهرس البلدان والمواضع

٤ ـ فهرس الأشعار

(الهمزة)

دواءُ	وافر	سعد بن أبى وقاص	٧٥
داءُ	«	معاوية	٧٤
دواءُ	«	الهمدانى	١٦٤
النعماء	خفيف	الشنى	٨
الشنعاء	«	—	٤٥٨

(ب)

بالحقبْ	طويل	المزعف	٤٤١
الثعالبْ	«	—	١٦٨
يغْضبُوا	طويل	على	١٦٠
قواضب	«	خالد بن المعمر	٢٩٤
الذوائب	«	محمد بن عمرو	٣٧٠
يواربه	«	كعب بن جعيل	٥٤٩
صاحبه	«	الوليد بن عقبة	٥٣
وصاحبه	«	—	٥٤٩
ذنب	بسيط	خالد بن المعمر	٢٩٤
مكروبُ	«	(عبد الله بن عنمة)	١٥٨
الوطاب	وافر	(امرؤ القيس)	٤١٧
طلوب	«	الوليد بن عقبة	٤١٧

(ع)

(ف)

(ق)

٥ – فهرس الأرجاز

٦ — فهرس الأمثال

٧ – فهرس الخطب

٨ ـ فهرس الرسائل

٩ ـ فهرس الألفاظ المفسرة

(*) ما وضع تحته خط فهو مما لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(خ)

١٠ ـ فهرس التاريخ

« الجزء الثالث »

فهرس الفهارس

